

التفسير المأثور

عَلَى مَنَهَجِ التَّنْزِيلِ وَالصَّحِيحِ الْمُسْنُونِ

تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى مَنَاجِ الْأَصْلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ
- الْوَحْيَيْنِ : الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ -
عَلَى فَرْقِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ

تَفْسِيرٌ مِنْ جِهَةِ فِقْهِ شَامِلٌ مُعَاوَرٌ

الجزء الثامن

تأليف الأستاذ الدكتور
مأمون محمود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التفسير المأثور
على منهج التزويل والصحيح المسنون

جميع حقوق الطبع والتصوير محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى
1428 هـ - 2007 م

موافقة وزارة الإعلام
رقم : 91092
ورقم : 91451
تاريخ : 16 / 7 / 2006 م
دمشق - سورية

يطلب من المؤلف
دمشق هاتف: 3218471

المدقق اللغوي
الدكتور أحمد راتب حموش

60

سُورَةُ الْمُتَحَنِّةِ

آياتها
١٣ترتيبها
٦٠

وهي سورة مدنية ، وعدد آياتها (13) .

قال القرطبي : (الممتحنة - بكسر الحاء - أي المختبرة ، أضيف الفعل إليها مجازاً ، كما سُمِّيت سورة «براءة» المبعثرة والفاضحة ، لما كشفت عن عيوب المنافقين . ومن قال في هذه السورة : الممتحنة - بفتح الحاء - فإنه أضافها إلى المرأة التي نزلت فيها ، وهي أمُّ كُلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيْط ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا جُحُودُ اللَّهِ أَعْلَمُ بِإِيمَانٍ ﴾ الآية . وهي امرأة عبد الرحمن بن عَوْف ، ولدت له إبراهيم بن عبد الرحمن).

موضوع السورة

منهج الولاء والبراء ، والتفريق بين المسالمين والأعداء

- منهاج السورة -

- 1 - قصة حاطب بن أبي بلتعة ورسالته إلى المشركين ينذرهم الفتح القادم .
- 2 - قواعد منهج الولاء والبراء الذي هو جزء من منهاج الإيمان عند المسلمين .
- 3 - ذِكْرُ اللَّهِ تعالى - إبراهيم عليه السلام - المثل الأعلى للمؤمنين في الولاء للمسلمين والبراء من الكافرين .

- 4 - التفريق بين المحاربين من الأعداء والمسالين ، والنهي عن موالاة المقاتلين منهم والأمر بالإقسط إلى المقسطين .
- 5 - الأمرُ باختبار المؤمنات المهاجرات ، والترغيب بنكاحهن والتأكيد على دفع مهرهن .
- 6 - الأمر بتعويض الذين ذهب أزواجهم مثل ما أنفقوا ، والحث على لزوم التقوى .
- 7 - مبايعة النبي ﷺ النساء على الإسلام ، وذكر بنود البيعة التي بقيت عبر الزمان .
- 8 - تجديدُ النهي عن موالاة الكافرين ، وتأکید قواعد الولاء والبراء عند المؤمنين .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 3. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَبَسُّوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾.

في هذه الآيات: ذكر قصة حاطب بن أبي بلتعة وهو رجل من المهاجرين شهد بدرًا ، وكان له بمكة أولاد ومال ، ولم يكن من قريش أنفسهم ، بل كان حليفًا لعثمان ، فلما غدرت قريش ونقضت العهد وأمر رسول الله ﷺ أصحابه بالتجهز عامداً فتح مكة ، حدث أن أرسل حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش ينذرهم المسلمين وجيش الفتح القادم ، - يريد بذلك أن يتخذ عندهم يداً - وحمله امرأة عجوزاً لتوصله إلى مكة ، إلا أن الوحي الكريم تدخل في اللحظة المناسبة وأفسد الإنذار ، وبيّن قواعد منهج الولاء والبراء الذي يجب أن يكون عليه الأخيار.

أخرج البخاري في صحيحه عن علي رضي الله عنه قال: [بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد ، فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضةً خاخ فإن بها طعينةٌ معها كتاب فخذوه منها. قال: فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة ، فإذا نحن بالطعينة. قلنا لها: أخرجي الكتاب ، قالت: ما معي كتاب ، فقلنا: لتُخرجي الكتاب أو لتُلقيني الثياب. قال: فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: يا حاطب ما هذا؟ قال: يا رسول الله لا تعجل علي ، إني كنتُ امرأً مُلصقاً في قريش ، يقول: كنت حليفاً ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين

من لهم قرابات يحمون أهلهم وأموالهم ، فأحببتُ إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: أما إنه قد صدقكم. فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق (وفي رواية: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين دعني أضرب عنقه). فقال: إنه قد شهد بداراً وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بداراً قال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، فأنزل الله السورة: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾⁽¹⁾.

فقوله: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾. أي: من المشركين والكفار الذين يحاربون الله ورسوله ويصدون عن الدين الحق ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ يعني أصدقاء وأنصاراً. والآية فيها تهديد ووعد لمن يضعف أمام إقامة منهج الولاء والبراء.

وقوله: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾. قال القرطبي: (يعني بالظاهر ، لأن قلب حاطب كان سليماً ، بدليل أن النبي ﷺ قال لهم: «أما صاحبكم فقد صدق» وهذا نصرٌ في سلامة فؤاده وخلوص اعتقاده). وعن الزجاج: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ تخبرونهم بسرائر المسلمين وتنصحون لهم).

وقوله: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾. أي: كيف توادوهم أو تتولوهم وهذا حالهم لا يخفى عليكم من محاربة ما جاءكم من الحق.

وقوله: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾. استئناف يبين بعض النعوت والصفات التي كفر بها طغاة مكة ، وهو إخراجهم الرسول والمؤمنين من ديارهم. قال ابن عباس: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾: وكان حاطب ممن أخرج مع النبي ﷺ. وقيل: بل هو حال من ﴿كَفَرُوا﴾. وكلا التأويلين منسجم مع السياق.

وقوله: ﴿أَنْ تَوَمَّنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾. تعليل لـ ﴿يُخْرِجُونَ﴾. والتقدير: إنما يخرجونكم مع رسولكم من مكة بسبب إيمانكم بالله وحده ، وإفراده تعالى بالتكبير والتعظيم.

وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾. قال ابن كثير: (أي: إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء ، إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي باغين لمرضاتي عنكم

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (3983) - كتاب المغازي ، باب فضل من شهد بداراً. وكذلك (4274) - في باب غزوة الفتح ، و(3007) - كتاب الجهاد. ورواه مسلم بنحوه (2494) ، وأبو داود (2650) ، والترمذي (3305) ، وأحمد (1/79).

فلا تُوالوا أعدائي وأعداءكم ، وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حَتَقاً عليكم ، وسُخْطاً لدينكم).

وقوله: ﴿ تَسِرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ ﴾ . قال النسفي: (المعنى: أي طائل لكم في إسراركم ، وقد علمتم أن الإخفاء والإعلان سيان في علمي وأنا مطلع رسولي على ما تسرون).

وقوله: ﴿ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ . أي: ومن يفعل ذلك الإسرار إلى الكفار أو المكاتبه لإطلاعهم على أسرار المسلمين فقد أخطأ طريق الحق والصواب ، وجار عن قصد الطريق.

وفي التنزيل نحو ذلك من آيات الولاء والبراء:

1 - قال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة: 51].

2 - وقال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: 57].

3 - وقال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَن يُجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: 144].

ومن صحيح السنة العطرة في آفاق ذلك:

قال عبد الله بن الإمام أحمد: [حدثنا أبي حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن سماك بن حرب عن عياض الأشعري عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قلت لعمر رضي الله عنه: إن لي كاتباً نصرانياً. قال: مالك؟ قاتلك الله. أما سمعت الله يقول: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ الآية. ألا اتخذت حنيفياً؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه. قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله ، ولا أعزهم إذ أذلهم الله ، ولا أدينهم إذ أقصاهم الله].

ورواه البيهقي ولفظه: [لا تؤمنوهم وقد خونهم الله ، ولا تقربوهم وقد أبعدهم الله ، ولا تُعزُّوهم وقد أذلهم الله]⁽¹⁾.

وقوله: ﴿ إِنْ يَتَفَقَّهْكُمْ ﴾ . أي: يلقوكم ويظفروا بكم ويتمكنوا منكم. وفي لغة

(1) حديث حسن. أخرجه البيهقي (10/127) ، وحسنه الألباني في «الإرواء» (8/256).

العرب: ثِقِف فلان فلاناً: أي صادفه ، فهو من المثاقفة .

وقوله: ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾. أي يكونوا لكم حرباً. ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾. أي بالضرب والقتل وأنواع الأذى. ﴿وَالْيَسِينُهم بِالسُّوءِ﴾ أي بالشتيم والسب وفاحش القول.

وقوله: ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾. أي: وتمنوا لو ترتدون عن دينكم ، فهم يريدون أن يلحق بكم مضار الدنيا والدين من قتل الأنفس وتمزيق الأعراض وردكم كفاراً بمحمد وهذا القرآن. وهذا تهيج لكم على عداوتهم. قال النسفي: (وردكم كفاراً أسبق المضار عندهم وأولها ، لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم لأنكم بذالون لها دونه ، والعدو أهم شيء عنده أن يقصد أهم شيء عند صاحبه).

وقوله: ﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾. قال القرطبي: (لما اعتذر حاطب بأن له أولاداً وأرحاماً فيما بينهم ، بين الرب عز وجل أن الأهل والأولاد لا ينفعون شيئاً يوم القيامة إن عُصِيَ من أجل ذلك).

وقوله: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾. أي يحكم بينكم ويقضي لكل بما يستحقه يوم القيامة ، فيدخل المؤمنين الجنة ويدخل الكافرين النار ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

4 - 6. قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ۖ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۚ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٧﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۖ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٨﴾﴾.

في هذه الآيات: ذكّر الله تعالى المثل الأعلى للمؤمنين في الولاء للمسلمين والبراء من الكافرين ، إنه إبراهيم عليه السلام ومن كان معه على الحق المبين .

أخرج الحاكم على شرط الشيخين عن ابن عباس رضي الله عنهما: [في قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ نزل في مكاتبة حاطب بن أبي بلتعة ومن معه إلى كفار قريش

يحذرونهم. وقوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ نهوا أن يتأسوا باستغفار إبراهيم لأبيه فيستغفروا للمشركين. وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون: لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم⁽¹⁾.

فقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾. تنبيه الله تعالى المؤمنين إلى التأسى بسيرة إبراهيم في البراء من الكفار. أي: فاقتدوا به معشر المؤمنين واثموا بمنهاجه. قال ابن زيد: (﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ هم الأنبياء). وقيل: أصحاب إبراهيم من المؤمنين، وهو الأنسب للسياق.

فقوله: ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ﴾. أي: الكفار. ﴿إِنَّا بَرَاءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾. أي: من الأصنام والطواغيت.

وقوله: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾. أي بدينكم وطريقكم. ﴿وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾. قال ابن كثير: (يعني: وقد شُرعت العدواة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم، ما دمتم على كفركم، فنحن أبداً نتبرأ منكم ونبغضكم).

وقوله: ﴿حَتَّى تَوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾. أي: حتى تفردوا الله تعالى بالعبادة والتعظيم، وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد والطواغيت.

وقوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾. قال ابن عباس: (نهوا أن يتأسوا باستغفار إبراهيم لأبيه فيستغفروا للمشركين). والمعنى: لكم في إبراهيم والمؤمنين معه أسوة صالحة للتأسي بها، إلا في استغفار إبراهيم لأبيه، فإنه إنما كان عن موعدة وعدها إياه، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه.

وفي التنزيل نحو ذلك، قال تعالى: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانِ اسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: 113 - 114].

وفي صحيح مسلم عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: [لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: يا عَمَّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كلمة أشهد لك بها عند الله. فقال

(1) حديث صحيح. رواه الحاكم على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وأقره الذهبي. انظر: «الصحيح المسند من أسباب النزول» - الوادعي - سورة الممتحنة.

أبو جهل وعبدُ الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغبُ عن مِلَّةِ عبدِ المطلب؟ فلو يزل رسول الله ﷺ يَعْرضُها عليه ويُعيد له تلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على مِلَّةِ عبدِ المطلب ، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله . فقال رسول الله ﷺ: أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنَّه عنك . فأنزل الله عز وجل: ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [1].

وقوله: ﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ . هو من قيل إبراهيم والمؤمنين معه . أي: توكلنا عليك ربنا وسلمنا أمورنا لك ، ورجعنا طائعين مخبتين تائبين راجين عفوك ومغفرتك ، فإن مصيرنا إليك ، ومرجعنا يوم نبعث من قبورنا إلى موقف العَرْض بين يديك .

وقوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . قال ابن عباس: (لا تسلطهم علينا فيفتنونا) . وقال مجاهد: (لا تعذبنا بأيديهم ، ولا بعذاب من عندك ، فيقولوا: لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا) . وقال قتادة: (يقول: لا تُظهِرهم علينا فيفتنونا بذلك ، يرون أنهم ظهروا علينا لحق هم عليه) .

وقوله: ﴿ وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا ﴾ . أي: واستر علينا ربنا ذنوبنا بعفوك وكرمك .

وقوله: ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ . أي: إنك أنت ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ في انتقامك من أعدائك ، والذي لا يُضام من لاذِ بجناحك . ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ في تدبيرك شؤون خلقك ، وفي أقوالك وأفعالك وشرعك وقدرك .

وقوله: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ . تأكيد لما تقدم ، وتهييج إلى التأسى الصادق بملة إبراهيم ، ملة التوحيد والتعظيم ، والولاء والبراء ، عليه وعلى نبينا وسائر المرسلين أفضل الصلاة والتسليم ، لمن كان يرجو لقاء الله وثوابه والنجاة من عذابه يوم القيامة .

وقوله: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ . قال ابن عباس: ﴿ الْغَنِيُّ ﴾: الذي قد كمل في غناه ، وهو الله ، هذه صفته لا تنبغي إلا له ، ليس له كُفء ، وليس كمثله شيء ، سبحانه الله الواحد القهار) . وقال ابن كثير: ﴿ الْحَمِيدُ ﴾: المُستحَمَدُ إلى خلقه ، أي هو المحمود في جميع أفعاله وأقواله ، لا إله غيره ، ولا ربَّ سواه) . والمعنى: إنه من يعرض عن أمر الله ويدبر مستكبراً ، ويوالي أعداء الله ويلقي إليهم بالمودة ، فإن الله غني

(1) حديث صحيح . أخرجه مسلم (40/1) - كتاب الإيمان . باب: أول الإيمان قول لا إله إلا الله .

عن إيمانه وطاعته كما هو غني عن جميع خلقه ، وهو ﴿ الْحَيِّدُ ﴾ أي المحمود عند أهل المعرفة بأياديهِ وآلائهِ عندهم .

7 - 9 . قوله تعالى : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٩﴾ .

في هذه الآيات : التفريق بين المحاربين من الأعداء والمسالمين ، والنهي عن موالاة المقاتلين منهم والأمر بالإقسط إلى المقسطين .

فقوله : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً ﴾ . قال ابن زيد : (هؤلاء المشركون ، قد فعل ، قد أدخلهم في السلم وجعل بينهم مودة حين كان الإسلام حين الفتح) . والمعنى : إنه تعالى قد غيّر الأحوال وقلب القلوب فيؤمن هؤلاء المشركون من قريش الذين أمرت بمعاداتهم ومفاصلتهم على الدين الحق ، ومن ثم يجعل الله بينكم وبينهم مَحَبَّةً بعد البَغْضَةِ ، ومودَّةً بعد التَّفَرَّةِ ، وأُلْفَةً بعد الفرقة ، ولذلك قال : ﴿ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ﴾ قال قتادة : (على ذلك) . ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ : أي يغفر الذنوب الكثيرة ، ويعفو عما سلف أيام الجاهلية ، إنه تعالى رحيم بعباده التائبين وبجميع خلقه .

وفي التنزيل نحو ذلك :

1 - قال تعالى : ﴿ وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ [آل عمران : 103] .

2 - وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِصُرُوءِ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٦٦﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ [الأنفال : 62 - 63] .

ومن كنوز السنة العطرة في آفاق هذه الآية أحاديث ، منها :

الحديث الأول : أخرج الإمام أحمد في المسند ، بسند صحيح من حديث أبي سعيد

- في قسمة أموال هوازن وقد وجد الأنصار في أنفسهم - فقال لهم رسول الله ﷺ: [يا معشر الأنصار! ألم آتكم ضللاً فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا: بلى] (1).

الحديث الثاني: أخرج الترمذي بسند حسن عن أبي هريرة مرفوعاً: [أَحِبَّ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا . وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا] (2).

وقوله: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾. أي: لا ينهاكم الله - معشر المؤمنين - عن أن تبروا الذين لم يقاتلوكم من الكفرة كالنساء والضعفة فتحسنوا لهم ، وتعزلوا وتقضوا إليهم بالقسط ولا تظلموهم . قال النسفي: (وإذا نهى عن الظلم في حق المشرك فكيف في حق المسلم).

أخرج البخاري ومسلم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قلت: [قَدِمْتُ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قُلْتُ: إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: نَعَمْ . صِلِي أُمَّكَ] (3).

ورواه البخاري في «الأدب المفرد» عنها بلفظ: [أتتني أُمِّي رَاغِبَةٌ ، فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَفَأَصِلُهَا؟ قَالَ: نَعَمْ . قَالَ ابْنُ عِينَةَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾] (4).

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾. قال ابن جرير: (يقول: إن الله يحب المنصفين الذين ينصفون الناس ، ويعطونهم الحق والعدل من أنفسهم ، فيبرون من برهم ، ويحسنون إلى من أحسن إليهم).

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾. قال مجاهد: (كفار أهل مكة). والمقصود: إنما ينهاكم الله - معشر

(1) حديث صحيح . أخرجه أحمد في المسند (3/ 76 ، 77) ، (3/ 89) ، وانظر كتابي: السيرة النبوية - على منهج الوحيين - (1412) لمزيد من التفصيل .

(2) حديث حسن . أخرجه الترمذي (1997) ، وابن حبان والبيهقي . وانظر صحيح الجامع (176).

(3) حديث صحيح . أخرجه البخاري (2620) - (3183) ، ومسلم (1003) ، وأحمد (6/ 347) و (6/ 355) ، وأخرجه أبو داود (1668) ، وابن حبان (452).

(4) حديث صحيح . أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (25). وانظر: «صحيح الأدب المفرد» - حديث رقم - (19) - باب برِّ الوالد المشرك .

المؤمنين - عن موالاة الذين جاهدوكم على الدين وناصبوكم العداوة فقاتلوكم وأخرجوكم وعاونوا على إخراجكم أن تولوهم ، فتكونوا لهم أولياء ونصراء .

وقوله : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ . أي : ومن يتخذهم أولياء وأنصاراً وأحباباً ﴿ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

10 - 11 . قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۚ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكْفُوهُنَّ إِذَا ءَايَسْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَلُوا مَا أَنْفَقُوا ۚ ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَتَاوُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا ۚ وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ .

في هذه الآيات : الأمرُ باختبار المؤمنات المهاجرات وعدم إرجاعهن إلى الكفار إن صحَّ إيمانهن ، والترغيب في نكاحهن بعد دفع مهورهن والإحسان إليهن ، والأمر بتعويض الذين ذهب أزواجهن مثل ما أنفقوا وبتقوى الله العليم الحكيم .

فقوله : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۚ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾ . استثناء لما كان قد وقع في عقد صلح الحديبية بين رسول الله ﷺ وكفار قريش من قولهم : [على أن لا يأتيك منا رجل - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا] (1) .

فتزل الوحي في شأن المسلمات المهاجرات يأمر بعدم ردهم - أصلاً - إلى المشركين . فتمسك المسلمون بظاهر نصِّ العقد : (على أن لا يأتيك منا رجل) ، والذي يُفهم منه أن النساء غير مشمولين في هذا العقد .

يروى البخاري في صحيحه عن المسور قال : [. . . ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله

(1) وفي رواية : [على أنه لا يأتيك منا أحد - وإن كان على دينك إلا رددته إلينا] . والحديث رواه البخاري (2731) ، (2732) - كتاب الشروط ، ورواه مسلم (1784) في السير ، ورواه أحمد في المسند (4/325) من حديث المسور بن مخرمة .

تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَتُ مُهَجِرَتٍ فَأَمْتَحُونَهَا﴾ حتى بلغ ﴿بِعَصِمِ الْكَافِرِ﴾ فطلق عمرُ يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك ، فتزوج إحداهما معاويةُ بن أبي سفيان ، والأخرى صفوان بن أمية⁽¹⁾.

ويبدو أن سبب نزول هذه الآيات قدوم أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط مهاجرة فيمن هاجر ، فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم ، فأبى - عليه الصلاة والسلام - لما نزل من القرآن فيهن ، فكان يختبرهن فإن كان الإسلام أخرجهن استبقاهن ودفع مهورهن لأزواجهن ، في حين كان لا يدفع ذلك قبل الصلح ونزول هذه الآيات .

فقد أخرج البخاري وأحمد عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أنه سمع مروان والمصور بن مخزومة رضي الله عنهما يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ قال: [لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي ﷺ أنه لا يأتيك منا أحدٌ وإن كان على دينك إلا رددته إلينا وخليت بيننا وبينه ، فكره المؤمنون ذلك وامتنعوا منه ، وأبى سهيل إلا ذلك ، فكاتبه النبي ﷺ على ذلك ، فردَّ يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو ، ولم يأتَه أحد من الرجال إلا ردَّه في تلك المدة وإن كان مسلماً. وجاء المؤمنات مهاجرات ، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذ وهي عاتق ، فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم فلم يرجعها إليهم لما نزل فيهن: ﴿إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَتُ مُهَجِرَتٍ فَأَمْتَحُونَهَا﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَيْمَنِهِنَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهَا﴾⁽²⁾.

فإلى فهم الآيات كما جاء في التفاسير:

يروي ابن جرير بإسناده إلى أبي نصر الأسدي ، قال: (سُئِلَ ابن عباس: كيف كان امتحان رسول الله ﷺ النساء؟ قال: كان يمتحنهنَّ بالله ما خرجت من بغض زوج ، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض ، وبالله ما خرجت التماس دنيا ، وبالله ما خرجت إلا حباً لله ورسوله). وفي رواية: قال ابن عباس: (كان امتحانهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله).

وعن مجاهد: (قوله: ﴿فَأَمْتَحُونَهَا﴾ قال: سلوهن ما جاء بهن؟ فإن كان جاء بهن

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري في الصحيح (2731) ، (2732) - كتاب الشروط .

(2) حديث صحيح . أخرجه البخاري في صحيحه (4180) ، (4181) - كتاب المغازي . وكذلك (2711) ، (2712) - كتاب الشروط .

غضب على أزواجهن ، أو سخطه ، أو غيره ، ولم يؤمن ، فارجعوهن إلى أزواجهن).
وقال قتادة: (كانت محتتهن أن يستحلفن بالله ما أخرجكن النشوز ، وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله ، وحرصن عليه ، فإذا قلن ذلك قبل ذلك منهن).
وقال عكرمة: (يقال لها: ما جاء بك إلا حب الله ، ولا جاء بك عشق رجل منا ، ولا فراراً من زوجك ، فذلك قوله: ﴿فَأَمْتَحُونَهُنَّ﴾).

وقال ابن زيد: (كانت المرأة من المشركين إذا غضبت على زوجها ، وكان بينه وبينها كلام ، قالت: والله لأهاجرن إلى محمد ﷺ وأصحابه ، فقال الله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحُونَهُنَّ﴾ إن كان الغضب أتى بها فردوها ، وإن كان الإسلام أتى بها فلا تردوها).

قال ابن اسحاق: (فحدثني الزهري ، عن عروة بن الزبير ، قال: دخلت عليه وهو يكتب كتاباً إلى ابن أبي هنيذة ، صاحب الوليد بن عبد الملك ، وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾ إلى قوله: ﴿عَلِمَ حَكِيمٌ﴾ قال: فكتب إليه عروة بن الزبير: إن رسول الله ﷺ كان صالح قريشاً يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه ، فلما هاجر النساء إلى رسول الله ﷺ وإلى الإسلام ، أبى الله أن يردن إلى المشركين إذا هن امتحن بمحنة الإسلام ، فعرفوا أنهن إنما جئن رغبة في الإسلام ، وأمر برد صدقاتهن إليهم إن اختبسن عنهم ، إن هم ردوا على المسلمين صداق من حُسوا عنهم من نسائهم ، ذلكم حكم الله يحكم بينكم ، والله عليم حكيم. فأمسك رسول الله ﷺ النساء ورد الرجال ، وسأل الذي أمره الله به أن يسأل من صدقات نساء من حُسوا منهن ، وأن يردوا عليهم مثل الذي يردون عليهم ، إن هم فعلوا ، ولولا الذي حكم الله به من هذا الحكم لرد رسول الله ﷺ النساء كما رد الرجال ، ولولا الهدنة والعهد الذي كان بينه وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ، ولم يردن لهن صداقاً ، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد⁽¹⁾).

وقوله: ﴿وَأَنَّهُمْ مَّا أَنفَقُوا﴾. أي: ادفعوا إلى أزواج المهاجرات من المشركين ما غرموه عليهن من الأصدقة. قاله ابن عباس وقتادة. قلت: وهذا من الوفاء بالعهد ، لا يجمع على الرجل خسران الزوجة والمال.

وقوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ﴾. أي: إذا آتيتموهن

(1) انظر: سيرة ابن هشام (326/3) من مرسل عروة. وانظر كتابي: السيرة النبوية (2/1039).

أَصْدَقْتَهُنَّ فَاَنْكَحُوهُنَّ. والمقصود: إقامة النكاح بشروطه الشرعية ، من انقضاء العدة والولي والشاهدين ودفع المهور كما هو معلوم في شأن النكاح.

وقوله: ﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ﴾. تحريم استمرار المؤمنين على نكاح المشركات. قال ابن هشام: (واحدة العصم: عِصْمَةٌ ، وهي الحبل والسبب). وأما الكوافر فجمع كافرة. قال مجاهد: (أصحاب محمد أمروا بطلاق نسائهم كوافر بمكة ، قعدن مع الكفار). وقال قتادة: (مشركات العرب اللاتي يأبين الإسلام أمر أن يُخْلَى سبيلهن). وقال ابن زيد: (إذا كفرت المرأة فلا تمسكوها ، خلوها ، وقعت الفرقة بينها وبين زوجها حين كفرت).

وفي صحيح البخاري من حديث المسور: [﴿وَلَا تُنْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له على الشرك]⁽¹⁾.

وقوله: ﴿وَسَلُّوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَلُوا مَا أَنْفَقُوا﴾. قال ابن كثير: (أي: وطالبوا بما أنفقتم على أزواجكم اللاتي يذهبن إلى الكفار ، إن ذهبن ، وليطالبوا بما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين).

وقوله: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَنْصَحُكُمْ بِهِ﴾. أي: هذا الذي ذكر في هذه الآية من أمر الصلح واستثناء النساء بالشروط السابقة إنما هو حكم الله يحكم به بين خلقه. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يصلح عباده ﴿حَكِيمٌ﴾ في شرعه وقدره وجميع أقواله وأفعاله.

وقوله: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَتَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾. قال الزهري: (يقول: إن فات أحدكم منكم أهله إلى الكفار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذي يأخذون منكم ، فعوضوهم من شيء إن أصبتموه). ذكره ابن إسحاق.

وعند ابن جرير بإسناده إلى ابن عباس قال: (يعني: إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار ، أمر له رسول الله ﷺ أن يُعْطَى من الغنيمة مثل ما أنفق). قال مجاهد: (مهر مثلها يُدفع إلى زوجها).

والمقصود: لو ذهبت بعد هذه الآية امرأة من أزواج المؤمنين إلى المشركين فامتنعوا من دفع ما أنفق ﴿فَعَاقِبْتُمْ﴾ - يعني فاقترضتم - فالقصاص يكون بإعطاء المؤمن الذي

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (2731) ، (2732) - كتاب الشروط ، وقد مضى بتمامه .

ذهبت زوجته من العقب الذي بأيديكم ، وهو ما كان من صدق نساء الكفار اللواتي آمن والذي أمر الله برده إلى أزواجهم المشركين . فإن لم يتيسر ذلك فمن الغنائم التي تؤخذ من أيدي الكفار .

وقوله : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ . أي : واحذروا - أيها المؤمنون بالله - أن تتعدوا ما أمرتم به ، فهذا من امتحان الصدق في الإيمان .

12 . قوله تعالى : ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَتَرَفَّقْنَ وَلَا يَرْزَيْنَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

في هذه الآية : مبايعة النبي ﷺ على الإسلام ، وذكر بنود هذه البيعة التي خلدها الله عبر الزمان .

أخرج البخاري في صحيحه عن عروة : [أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية : ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ - إلى قوله - ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ . قال عروة : قالت عائشة : فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ : (قد بايعتك) كلاماً ، (وفي رواية : يكلمها به) ولا والله ما مست يده يد امرأة في المبايعة قط ، ما يبايعهن إلا بقوله : (قد بايعتك على ذلك) (1) .

وفي لفظ الترمذي ، قالت عائشة : [ما كان رسول الله ﷺ يمتحن إلا بالآية التي قال الله : ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ الآية . قال معمر : فأخبرني ابن طاووس عن أبيه قال : ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة إلا امرأة يملكها] .

وفي جامع الترمذي وموطأ مالك ومسنند أحمد بسند صحيح عن أميمة بنت رقيقة قالت : [أتيت رسول الله ﷺ في نساء لئبايعه ، فأخذ علينا ما في القرآن : ألا نُشْرِكْ بِاللَّهِ

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري في الصحيح (2713) - كتاب الشروط . وكذلك (4891) نحوه . وانظر صحيح سنن الترمذي (2634) .

شيئاً... الآية ، وقال: فيما استطعْتُ وَأَطَقْتُ ، قلنا: الله ورسوله أرحمُ بنا مِن أنفُسِنَا ، قلنا: يا رسول الله! ألا تُصافِحنا؟ قال: إني لا أَصافِحُ النساءَ ، إنما قولي لامرأةٍ واحدةٍ كقولي لمئة امرأة⁽¹⁾ .

فقوله: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ - يشمل التحذير من الشرك ومداخله .

فقد أخرج البخاري عن أم عطية قالت: [بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا: ﴿أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ ، ونهانا عن النياحة]⁽²⁾ .

وفي رواية: قالت أم عطية: [أخذ علينا رسول الله ﷺ عند البيعة أن لا ننوح ، فما وَفَّت منا امرأةٌ غيرُ خَمْسٍ نِسوة: أُمُّ سُلَيْمٍ ، وأم العلاء ، وابنة أبي سَبْرَةَ امرأةٌ مُعَاذٍ ، وامرأتان - أو: ابنة أبي سبرة ، وامرأة معاذ ، وامرأة أخرى - وقد كان رسول الله ﷺ يتعاهدُ النساءَ بهذه البيعة يوم العيد] .

وكذلك أخرج الإمام أحمد بسند قوي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: [جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله ﷺ تباعيه على الإسلام ، فقال: أَبَايَعُكَ عَلَى أَنْ لَا تَشْرِكِي بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا تَسْرِقِي وَلَا تَزْنِي وَلَا تَقْتُلِي وَلَدَكَ ، وَلَا تَأْتِي بَبْهَتَانِ تَفْتَرِيَنَّهُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَرَجْلَيْكَ ، وَلَا تَنُوحِي ، وَلَا تَبْرَجِي تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَةِ الْأُولَى]⁽³⁾ .

وقوله: ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ﴾ . قال ابن كثير: (أي: أموال الناس الأجانب ، فأما إذا كان الزوج مقصراً في نفقتها فلها أن تأكل من ماله بالمعروف ما جرت به عادة أمثالها ، وإن كان بغير علمه ، عملاً بحديث هند بنت عتبة أنها قالت: يا رسول الله! إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني ، فهل علي جناح إن أخذت من ماله بغير علمه؟ فقال رسول الله ﷺ: «خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك» أخرجاه في الصحيحين) .

وقوله: ﴿وَلَا يَزْنَيْنَ﴾ . تحريم لما انتشر من الفجور في الجاهلية . كقوله تعالى:

(1) إسناده صحيح . أخرجه الترمذي (1597) ، والنسائي (4101) ، و (358) ، وفي «التفسير» (609) ، ورواه أحمد (257/6) ، ومالك (2/ص 982) وإسناده على شرطهما .

(2) حديث صحيح . أخرجه البخاري (4892) ، ومسلم (936) ح (33) ، والنسائي في «التفسير» (607) ، وانظر للرواية الأخرى (1306) - من صحيح الإمام البخاري .

(3) حديث صحيح . أخرجه أحمد في المسند (2/196) ، وإسناده قوي ، وله شواهد .

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّكُمْ كَانُمْ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: 32]. ثم إن الزنى ينافي عقد الإيمان ، بل لا يستقر الإيمان ساعة وقوع الفاحشة في القلب وإنما يخرج منه .

أخرج أبو داود والحاكم بسند صحيح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : [إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان على رأسه كالظُّلَّة ، فإذا أقْلَع رَجَعَ إِلَيْهِ] ⁽¹⁾ .

وفي لفظ : [فإذا انقلع منها رجع إليه الإيمان] .

وأخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن عائشة قالت : [جاءت فاطمة بنتُ عتبة تُبَاعِ النبي ﷺ فأخذ عليها : ﴿أَنْ لَا يَشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ﴾ . . . الآية ، قال : فوضعت يدها على رأسها حياءً ، فأعجبه ما رأى منها ، فقالت عائشة : أَقْرَبِي أَيْتَهَا المرأة ، فوالله ما بايعنا إلا على هذا . قالت : فنعنم إذن ، فبايعها بالآية ⁽²⁾ .

وقوله : ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ . أي لا يئدن المَوُودات ولا يُسْقِطن الأجنة . ذكره القرطبي . قال ابن كثير : ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ : وهذا يشمل قتله بعد وجوده ، كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق ، ويعم قتلَهُ وهو جَنِينٌ ، كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء ، تطرحُ نفسها لثلاث تحبل إِمَّا لِعَرَضٍ فاسدٍ أو ما أشبهه) .

وقوله : ﴿وَلَا يَأْتِينَ بَهْتَنٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ . قال ابن عباس : (يقول : لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم) . قال النسفي : (كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك ، كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذباً ، لأن بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين ، وفرجها الذي تلده به بين الرجلين) .

وقوله : ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ . قال البخاري : قال ابن عباس : (إنما هو شَرْطُ شَرْطَةِ الله للنساء) . أي : ولا يخالفن أمرَك إليهن مما أمرتهن به من معروف ، ونهيتهن عنه من منكر . قال ميمون بن مهران : (لم يجعل الله لنبيه طاعة إلا لمعروف ، والمعروف طاعة) . قلت : وقد جاء النهي للنساء في السنة الصحيحة عن معاص كثيرة تخصهن : فقد أخرج أبو داود والبيهقي بسند صحيح عن امرأة من المبايعات قالت : [كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ في المعروف الذي أخذ علينا أن لا نعصيه فيه : وأن

(1) حديث صحيح . أخرجه أبو داود (4690) ، والحاكم (22/1) ، وانظر السلسلة الصحيحة (509) .

(2) حديث صحيح . أخرجه أحمد في المسند (6/151) ، وإسناده على شرط البخاري ومسلم .

لا نخمش وجهاً ، ولا ندعو ويلًا ، ولا نشق جيباً ، وأن لا ننشر شعراً⁽¹⁾ .

وفي الصحيحين من حديث أبي بردة بن أبي موسى قال: [وَجَعَ أَبُو مُوسَى وَجَعاً فَغَشِيَ عَلَيْهِ ، وَرَأْسُهُ فِي حَجَرِ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ ، فَصَاحَتْ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِهِ ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئاً ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ : أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَإِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِئَ مِنْ الصَّالِقَةِ ، وَالْحَالِقَةِ ، وَالشَّاقَةِ]⁽²⁾ .

والصَّالِقَةُ: هي التي ترفع صوتها عند الفجیعة بالموت . والحَالِقَةُ: هي التي تحلق شعرها عند المصيبة ، والشَّاقَةُ هي التي تشق جيبها عند ذلك .

وقد أخرج الشيخان من حديث ابن مسعود مرفوعاً إلى النبي ﷺ: [ليس منا من لطم الخدود ، وشقَّ الجيوبَ ، ودعا بدعوى الجاهلية]⁽³⁾ .

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: [لَعَنَ اللَّهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ]⁽⁴⁾ .

وفي جامع الترمذي بسند حسن عن أم سلمة الأنصارية قالت: [قالت امرأة من النسوة ، ما هذا المعروف الذي لا ينبغي لنا أن نعصيك فيه؟ قال: «لا تَنْحُنَّ» . قلت: يا رسول الله إن بني فلان ، قد أسعدوني على عمي⁽⁵⁾ ، ولا بد لي من قضائهم ، فأبى عليّ فعاتبته مراراً ، فأذن لي في قضائهم ، فلم أنح بعد قضائهم ولا على غيره حتى الساعة ، ولم يبق من النسوة امرأة إلا وقد ناحت غيري]⁽⁶⁾ .

قال عبد بن حميد: أم سلمة الأنصارية هي: أسماء بنت يزيد بن السكن .

قلت: وهذه البيعة تشتمل على منهاج النجاة للعبد في الدارين ، ولذلك ورد تكرارها كثيراً من النبي ﷺ للرجال والنساء في مواضع مختلفة من السيرة العطرة . وفي ذلك أحاديث ، منها:

- (1) حديث صحيح . أخرجه أبو داود (59/2) ، ومن طريقه البيهقي (64/4) بسند صحيح .
- (2) حديث صحيح . أخرجه البخاري (129/3) ، ومسلم (70/1) ، والنسائي (263/1) ، وأخرجه البيهقي (64/4) ، من حديث أبي بردة بن أبي موسى .
- (3) حديث صحيح . أخرجه البخاري (127/3 - 128) ، ومسلم (70/1) ، والبيهقي (63/4 - 64) .
- (4) حديث صحيح . أخرجه البخاري في الصحيح (5933) - كتاب اللباس ، باب وصل الشعر .
- (5) أي ناحوا معي عند موت عمي مواساة منهم .
- (6) حديث حسن . انظر صحيح سنن الترمذي (2635) ، وصحيح سنن ابن ماجه (1579) .

الحديث الأول: - في شأن الرجال -. أخرج البخاري ومسلم وأحمد والترمذي عن عبادة بن الصامت قال: [كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَجْلِسٍ فَقَالَ: تُبَايعُونِي عَلَى أَنْ لَا تَشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا تَسْرِقُوا ، وَلَا تَزْنُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ - قَرَأَ الْآيَةَ الَّتِي أَخَذَتْ عَلَى النِّسَاءِ: ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَتُ ﴾ - فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسْتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ ، إِنْ شَاءَ غُفِرَ لَهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ]⁽¹⁾.

الحديث الثاني: - في شأن النساء -. أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال: [شَهِدْتُ الصَّلَاةَ يَوْمَ الْفِطْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ ، فَكُلُّهُمْ يُصَلِّيهِمَا قَبْلَ الْخُطْبَةِ ثُمَّ يَخْطُبُ بَعْدُ ، فَنَزَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَكَانِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ حِينَ يُجْلِسُ الرِّجَالَ بِيَدِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَسْتَقْهُمْ حَتَّى أَتَى النِّسَاءَ مَعَ بِلَالٍ فَقَالَ: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَتُ فَيَايَعُكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرَكَكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِيَنَّ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِيَنَّ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾ ، حَتَّى فَرَّغَ مِنَ الْآيَةِ كُلِّهَا . ثُمَّ قَالَ حِينَ فَرَّغَ: أَنْتُنَّ عَلَى ذَلِكَ؟ فَقَالَتْ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ - لَمْ يُجِبْهُ غَيْرُهَا -: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: فَتَصَدَّقْنَ . قَالَ: وَبَسَطَ بِلَالٌ ثَوْبَهُ فَجَعَلَنَ يُلْقِيَنَّ الْفَتَحَ⁽²⁾ وَالْخَوَاتِيمَ فِي ثَوْبِ بِلَالٍ⁽³⁾.

وقوله: ﴿ فَبَايَعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . قال القاسمي: (أي فبايعهن على الوفاء بذلك ، وسل الله لهن مغفرة ذنوبهن ، والعفو عنها ، فإنه غفور رحيم لمن تاب منها).

13. قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾⁽¹⁾.

في هذه الآية: تجديدُ النهي عن موالاته الكافرين ، كما ابتدأ ذلك في أول هذه السورة التي هي منهاج كامل للمؤمنين ، في قواعد الولاء للمسلمين والبراء من المشركين.

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري في الصحيح (18) ، ومسلم (1709) ، والترمذي (1439) ، ورواه أحمد في المسند (314/5) ، وغيرهم.

(2) الفتخ: جمع فتحة ، وهي الخاتم لا فصّ له. وقيل: الفتخ: الخواتيم العظام ، أو حلق من فضة لا فصّ فيها.

(3) حديث صحيح. أخرجه البخاري (4895) ، وأخرجه مسلم (884) - من حديث ابن عباس .

فقوله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾. يشمل سائر الكفار من المشركين والمنافقين واليهود والنصارى ممن غضب الله عليهم.

وقوله: ﴿قَدْ يَسْأَلُونَ مِنَ الْآخِرَةِ﴾. قال مجاهد: (المعنى يسئوا من ثواب الآخرة). قال النسفي: (لأنهم ينكرون البعث). والمقصود: كيف توالون قوماً وتتخذونهم أولياء وأحلاء وهم آيسون من ثواب الآخرة ونعيمها قد كفروا بالبعث والحساب. قال ابن زيد: (يعني اليهود). وقال الحسن: (هم اليهود والنصارى). وقيل: هم المنافقون. وقال ابن مسعود: (معناه أنهم تركوا العمل للآخرة وآثروا الدنيا).

وقوله: ﴿كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾. فيه قولان متكاملان:

القول الأول: قد يسئ الكفار من الآخرة كما يسئوا من لقاء قرابتهم الذين ماتوا لأنهم لا يؤمنون بالبعث والنشور. قال ابن عباس: (يعني: من مات من الذين كفروا فقد يسئ الأحياء منهم أن يرجعوا إليهم ، أو يبعثهم الله). وقال الحسن: ﴿كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ قال: الكفار الأحياء قد يسئوا من الأموات). يعني من الاجتماع بهم مرة أخرى. وقال قتادة: (كما يسئ الكفار أن يرجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا).

القول الثاني: قد يسئ الكفار الأحياء من ثواب الآخرة وكرامتها كما يسئ الكفار الأموات في قبورهم من كل خير حين عاينوا مقاعدهم من النار وذاقوا عذاب البرزخ. قال مجاهد: ﴿قَدْ يَسْأَلُونَ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ قال: من ثواب الآخرة حين تبين لهم عملهم ، وعانوا النار).

واختار ابن جرير القول الثاني ، وإن كان القول الأول سالك المعنى ، ومن ثم فالإعجاز القرآني يحتمل التأويلين معاً ، والله تعالى أعلم .

تم تفسير سورة الممتحنة

بِعَوْنِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ ، وَوَاسِعَ مَنْهُ وَكْرَمِهِ

ظهر الأحد 20 رمضان 1426 هـ

الموافق 23 / تشرين الأول / 2005 م

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - لا يجوز للمؤمن أن يوادّ أعداء الله خوفاً على أهله وماله .
- 2 - لعل الله قال لأهل بدر : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم .
- 3 - لا توالوا من إذا غلبوكم لا يرحمونكم ، ونفعهم منقطع عنكم .
- 4 - على المؤمنين أن يتبرؤوا من الكفار ولو كانوا آباءهم .
- 5 - لا بأس بالإحسان إلى الكفار المسالمين ، وخاصة الأرحام والأقربين .
- 6 - من يتولى الكفار فإنه منهم ، والله جامع المنافقين والكافرين في جهنم .
- 7 - استثناء استرجاع المهاجرات المؤمنات من شروط صلح الحديبية .
- 8 - فسخ الأنكحة بين المسلمين والمشركين ، وللمسلم والمشرِك استرداد المهر .
- 9 - بايع الرسول النساء على التوحيد وعدم السرقة والزنى وقتل الأولاد وألا يدخلن على أزواجهن غير أولادهن وألا يعصين في معروف ، وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط ، إنما كان يبايعهن بالكلام .
- 10 - ليس منا من لطم الخدود وشقّ الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية .



61

سُورَةُ الصَّفِّ

آياتها
١٤نزلت بها
٦١

وهي سورة مدنية ، وعدد آياتها (14).

فضائلها وما ورد في ذكرها:

لقد ورد في ذكر هذه السورة الكريمة أحاديث من السنة الصحيحة المطهرة:

الحديث الأول: أخرج الدارمي والترمذي بسند صحيح عن محمد بن كثير ، عن الأوزاعي ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة ، عن عبد الله بن سلام قال: [قَعَدْنَا نَقْرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَذَاكَرْنَا فَقُلْنَا: لَوْ نَعْلَمُ أَيَّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَعَمَلْنَاهَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ يَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقْتًا ٣ حَتَّى خْتَمَهَا . قال عبد الله: فقرأها علينا رسول الله ﷺ حتى ختمها . قال أبو سلمة: فقرأها علينا ابن سلام . قال يحيى: فقرأها علينا أبو سلمة . قال ابن كثير: فقرأها علينا الأوزاعي . قال عبد الله: فقرأها علينا ابن كثير⁽¹⁾ . وفي رواية: (قال يحيى: فقرأها علينا أبو سلمة وقرأها علينا يحيى وقرأها علينا الأوزاعي وقرأها علينا محمد).

الحديث الثاني: أخرج أحمد والحاكم والبيهقي بسند على شرط الشيخين عن عبد الله بن سلام: [أَنَّ أَنَسًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالُوا: لَوْ أُرْسِلْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ

(1) حديث صحيح. أخرجه الدارمي (2/200) ، والترمذي (3309) ، والحاكم (2/69) . وقال الحافظ في «الفتح» (8/641): وقع لي سماع هذه السورة مسلسلاً ، وإسناده صحيح ، قل أن وقع في المسلسلات مثله مع مزيد علوه .

نَسَأْلُهُ عَنْ أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَلَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَّا ، وَهَبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ ، قَالَ : فَدَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَوْلَئِكَ النَّفَرَ رَجُلًا رَجُلًا حَتَّى جَمَعَهُمْ ، وَنَزَلَتْ فِيهِمْ هَذِهِ السُّورَةُ : ﴿ سَبِّحْ ﴾ ، الصَّفِّ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ : فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُلُّهَا⁽¹⁾.

الحديث الثالث: أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن عبد الله بن سلام قال: [تذاكرنا: أيكم يأتي رسول الله ﷺ فيسأله: أي الأعمال أحبُّ إلى الله؟ فلم يقم أحدٌ منا، فأرسل رسول الله ﷺ إلينا رجلاً، فجمعنا، فقرأ علينا هذه السورة، يعني سورة الصف كلها]⁽²⁾.

موضوع السورة

وحدة الصف في القتال والقيام
وذم التفرق والنفاق والانهازم

- منهج السورة -

- 1 - اشتراك جميع الكائنات في تسبيح الله العزيز الحكيم .
- 2 - تحذير المؤمنين أن يقولوا ما لا يفعلون ، والتنبية على فضل الجماعة في قتال المشركين .
- 3 - ثناء الله تعالى على منهج موسى وعيسى عليهما السلام ، وتبشير عيسى بالمصطفى سيد الخلق وخير الأنام .
- 4 - ذم أهل الفرية والكذب والله لا يوفق القوم الظالمين ، الذين يحاولون إطفاء نور الله العظيم .
- 5 - أفضل أنواع التجارة: الإيمان بالله والجهاد في سبيله لإعلاء كلمته ونصر دينه .
- 6 - تشجيع المؤمنين لنصر دين الله العظيم ، وثناء تعالى على الحواريين الصادقين .
- 7 - تأييد الله تعالى بنصره المؤمنين ، وكتابته الغلبة للمخلصين المختبين .

(1) حديث صحيح . أخرجه أحمد (5/ 352) ، والحاكم (2/ 69 - 70) ، والبيهقي (9/ 160) .

(2) حديث صحيح . أخرجه أحمد (5/ 452) وإسناده صحيح ، رجاله رجال البخاري ومسلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1-4. قوله تعالى: ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَلِينَ مَرَصُوصٌ ﴿٣﴾.

في هذه الآيات: تسبيح جميع الكائنات لله العزيز الحكيم ، وتحذير المؤمنين أن يقولوا ما لا يفعلون ، والتنبيه على فضل الجماعة في قتال المشركين .

فقوله: ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ . إخبار من الله تعالى أن جميع ما في السماوات والأرض من شيء ينزّهه ويمجّده ويعظمه ويقدّسه ، ويسبّح ويصلي له ويؤخّده . كقوله: ﴿نُسَبِّحُ لَكَ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: 44].

وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ . أي: منيع الجنب قد عزّ كل شيء وغلبه . ﴿الْحَكِيمُ﴾ في أقواله وأفعاله وتدبيره وقدره وشرعه .

وقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ . إنكار بليغ على حصول الطلاق بين القول والعمل في حياة المؤمنين .

روى مسلم في صحيحه عن أبي حَرْب بن أبي الأسود ، عن أبيه قال: [بُعِثَ أبو موسى الأشعري إلى قُرَاء أهل البصرة ، فدخل عليه ثلاث مئة رَجُلٍ قد قرؤوا القرآن ، فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقُرَآؤُهُمْ ، فأتلوه ، ولا يطولنَّ عليكم الأمد فتفسؤ قلوبكم كما فسّت قلوب مَنْ كان قبلكم ، وإنا كُنَّا نَقْرَأُ سُورَةَ ، كُنَّا نُسَبِّحُهَا فِي الطَّوْلِ والشَّدَّةِ بسورة براءة ، فَأُنْسِيَتْهَا ، غَيَّرَ أَنِي قَدْ حَفِظْتُ مِنْهَا: لو كان لابن آدم واديان من مالٍ لابتغى وادياً ثالثاً ، ولا يَمَلَأُ جَوْفَ ابنِ آدمَ إلا الترابُ ، وَكُنَّا نَقْرَأُ سُورَةَ

كُنَّا نُشَبِّهُهَا بِأَحَدِي الْمُسَبِّحَاتِ فَأَنْسِيْتُهَا ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ حَفِظْتُ مِنْهَا : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ ، فَتَكْتَبْ شَهَادَةً فِي أَعْنَاقِكُمْ ، فَتَسْأَلُونَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ⁽¹⁾ .

وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : (كان ناسٌ من المؤمنين قبل أن يُفْرَضَ الجهادُ يقولون : لَوَدِدْنَا أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - دَلَّنَا عَلَى أَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَيْهِ ، فَنَعْمَلْ بِهِ . فأخبر الله نبيُّهُ أَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِيْمَانُ بِهِ لَا شَكُّ فِيهِ ، وَجَهَادُ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ الَّذِينَ خَالَفُوا الْإِيْمَانَ وَلَمْ يُقِرُّوا بِهِ . فلما نزل الجهادُ كَرِهَ ذَلِكَ أَنَسٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَشَقَّ عَلَيْهِمْ أَمْرُهُ ، فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾) . رواه ابن جرير واختاره لمعنى الآية .

قلت : بل الآية عامة في كل عزيمة أو عِدَّة أو نذر أو قول لا يفي به المؤمن بعد أن أخذه على نفسه أو عاهد الله عليه . قال تعالى : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ ﴾ [البقرة : 44] .

وفي الصحيحين والمسند ومعظم السنن عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : [أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَلَّةٌ مِنْ نِفَاقٍ ، حَتَّى يَدْعَهَا : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ] ⁽²⁾ .

وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح عن ابن عمر وابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : [لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُعْطِيَ عَطِيَّةً ، أَوْ يَهَبَ هِبَةً ، فَيَرْجِعَ فِيهَا ، إِلَّا الْوَالِدَ فِيمَا يُعْطِي وَلَدَهُ ، وَمِثْلَ الَّذِي يُعْطِي الْعَطِيَّةَ ثُمَّ يَرْجِعُ فِيهَا كَمِثْلِ الْكَلْبِ يَأْكُلُ ، فَإِذَا شَبِعَ قَاءَ ثُمَّ عَادَ فِي قَيْئِهِ] ⁽³⁾ .

وقوله تعالى : ﴿ كَبُرُ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ . تأكيد الإنكار ، لتناقض الأقوال مع الأعمال . قال النسفي : (واختير لفظ المقت لأنه أشد البغض) . وقال القرطبي : (و«مَقْتًا» نصب بالتميز ، المعنى : كبر قولهم ما لا يفعلون مقْتًا .

(1) حديث صحيح . أخرجه مسلم (1050) - كتاب الزكاة . باب لو أن لابن آدم واديين لا يتغى ثالثاً .

(2) حديث صحيح . أخرجه البخاري (34) ، ومسلم (58) ، وأبو داود (4688) ، والترمذي (2632) ، وأخرجه النسائي (116/8) ، وأحمد (2/189 - 198) ، وابن حبان (254) .

(3) حديث صحيح . أخرجه أبو داود (3539) ، وابن ماجه (2377) . انظر صحيح أبي داود (3023) .

وقيل: هو حال. والمقت والمقاتة مصدران، يقال: رجل مقيت وممقوت إذا لم يحبه الناس).

قال الزمخشري: (هذا من أفصح كلام وأبلغه في معناه. قصد في «كَبُرَ» التعجب من غير لفظه. ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين. وأسند إلى ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾، ونصب «مَقْتًا» على تفسيره، دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص، لا شوب فيه، لفرط تمكّن المقت منه. واختير لفظ «المقت» لأنه أشد البغض وأبلغه، ولم يقتصر على أن جعل البغض كبيراً، حتى جعل أشده وأفحشه. و﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أبلغ من ذلك، لأنه إذا ثبت كبر مقتّه عند الله، فقد تم كبره وشدته).

قال الناصر: (وزائد على هذه الوجوه الأربعة وجه خامس، وهو تكراره لقوله: ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ وهو لفظ واحد، في كلام واحد. ومن فوائد التكرار التهويل والإعظام) حكاه القاسمي.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْصُوصٍ﴾. قال ابن كثير: (فهذا إخبار منه تعالى بمحبة عباده المؤمنين إذا اصطَفُوا مواجِهين لأعداء الله في حَوْمَةِ الوغى، يقاتلون في سبيل الله من كَفَرَ بالله، لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه هو الظاهرُ العالي على سائر الأديان). قال ابن عباس: ﴿كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْصُوصٍ﴾: مُثَبَّتٌ، لا يزول، ملصق بعبئه ببعض). وقال قتادة: ﴿كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْصُوصٍ﴾: ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه، فكذلك الله عز وجل لا يحب أن يختلف أمره، وأن الله صف المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم، فعليكم بأمر الله فإنه عصمة لمن أخذ به).

يروى الدارمي وصاحب المصابيح بسند حسن عن كعب يحكي عن التوراة قال: [نجد مكتوباً: محمد رسول الله عبدي المختار، لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه الشام، وأمه الحمادون، يحمدون الله في السراء والضراء، يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه على كل شرف، رعاة للشمس، يصلون الصلاة إذا جاء وقتها، يتأزرون على أنصافهم، ويتوضؤون على أطرافهم، مناديهم ينادي في جو السماء، صفهم في القتال وصفهم في الصلاة سواء، لهم بالليل دوي كدوي النحل]⁽¹⁾.

(1) هذا لفظ المصابيح، ورواه الدارمي مع تغيير يسير. وبعضه في صحيح البخاري (4838).

وأخرج الإمام أحمد في المسند ، والنسائي في السنن ، والطبراني بإسناد على شرط مسلم عن يزيد بن عبد الله بن الشَّحِير قال : [قال مُطَرِّفُ : كان يبلغني عن أبي ذرٍّ حديثٌ كنت أشتهي لقاءه ، فلقيناه فقلتُ : يا أبا ذرٍّ ، كان يبلغني عنك حديثٌ فكنت أشتهي لقاءك . فقال : لله أبوك ! فقد لقيت ، فهات . فقلتُ : كان يبلغني عنك أنك تزعم أن رسولَ الله ﷺ حدَّثكم : أن الله يحبُّ ثلاثةً ويُبغضُ ثلاثةً؟ قال : أجل ، فلا إخالني أكذبُ على خليلي ﷺ . قلت : فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبُّهم الله؟ قال : رجلٌ غزَا في سبيل الله ، خرج مُحْتَسِباً مُجاهداً فلقى العدوَّ فقتلَ ، وأنتم تجدونه في كتاب الله المنزل ، ثم قرأ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْصُوصٍ ﴾ [الحديث (1) .

5- 6. قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَتَّبِعِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ .

في هذه الآيات : بيانٌ من الله تعالى أنَّ موسى وعيسى - عليهما الصلاة والسلام - أمرا بالتوحيد وجاهدا في سبيل الله ، وقد حلَّ العقاب بمن خالفهما ، وقد بشر عيسى بالمصطفى عليهما الصلاة والسلام .

فقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ . تسلية للنبي ﷺ عما يلقيه من أذى قومه ، فها هو موسى قد أُوذِيَ من قبله فصبر . وفيه نهى للمؤمنين عن إيذاء نبيهم مثل قوم موسى . كما قال تعالى : ﴿ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجْهًا ﴾ [الأحزاب : 69] .

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : [قَسَمَ رسول الله ﷺ قِسْمَةً ، فقال رجلٌ من الأنصار : والله ما أرادَ محمدٌ بهذا وجهَ الله ، فأُتِيَ رسول الله ﷺ فأخبرته فتمعرَ وجهُهُ ، وقال : رَحِمَ الله موسى ، لقد أُوذِيَ بأكثرٍ مِنْ هذا فصَبَرَ] (2) .

(1) حديث صحيح . أخرجه أحمد (5/ 153) ، والنسائي (5/ 84) ، والترمذي (2568) ، وابن حبان (3349) ، والحاكم (2/ 113) ، والطبراني (1637) بإسناد على شرط مسلم .

(2) حديث صحيح . أخرجه البخاري (6059) - كتاب الأدب ، وانظر كذلك (3150) .

ومن إيذاء بني إسرائيل لموسى عليه السلام: رَمِيَهُ بِالْأَذْرَةِ ، وقولهم: ﴿ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ [الأعراف: 138] ، وقولهم: ﴿ فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا ﴾ [المائدة: 24] ، وغير ذلك من محاولات الاتهام والعناد .

قال القرطبي: ﴿ وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾ والرسول يحترم ويعظم . ودخلت «قَدْ» على ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ للتأكيد ، كأنه قال: وتعلمون علماً يقيناً لا شبهة لكم فيه).

وقوله: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ . أي: فلما عدلوا ومالوا عن الحق والهدى ، عدّل الله بقلوبهم فأمالها عن الرشد والهداية إلى الزيغ والضلال . وهذه هي المرتبة الثانية من مراتب الضلال كما جاء في الكتاب والسنة .

فمراتب الضلال: أولاً - مرتبة الضياع والانحراف: وهي نتيجة رفض الحق وطريق الرسل . ثانياً - مرتبة الترك والإهمال والتناسي والخذلان: وهي نتيجة للغور في البعد عن الله ، وتعتمد ما يسخطه . ثالثاً - مرتبة الهداية إلى الناريوم القيامة .

فقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ . يدل على المرتبة الثانية مرتبة الترك والخذلان ، فيختم الله على قلوب أصحابها فلا طريق للحق إليها .

وفي التنزيل نحو ذلك:

1 - قال تعالى: ﴿ تَسْأَلُونَ اللَّهَ فَأَنْسِيَهُمْ ﴾ [التوبة: 67] .

2 - وقال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ [غافر: 35] .

وفي صحيح مسلم عن حذيفة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: [تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ، فأَيُّ قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأيُّ قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء ، حتى يصير القلب أبيض مثل الصفا لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض ، والآخر أسود مُزْبِداً كالكوز مُجْحِياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه] (1) .

وقوله: ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ . قال النسفي: (أي لا يهدي من سبق في علمه أنه فاسق) .

(1) حديث صحيح . أخرجه مسلم في الصحيح (1/ 89 - 90) . والكوز مجخياً: أي منكوساً .

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾.

أي: واذكر لقومك يا محمد هذه القصة أيضاً - قصة عيسى بن مريم عليه السلام - إذ بعثه الله إلى بني إسرائيل بالإنجيل مصدقاً ما تقدمه من كتاب ، وهو التوراة التي بشرت به . ولم يقل عيسى لهم ﴿يَقُومُ﴾ كما قال موسى ، لأنه لا نسب له فيهم فيكونون قومه .

وقوله: ﴿وَمُبَشِّرًا رَسُولًا يُاتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ . أي: وكما بشرت التوراة بعيسى ، فإن عيسى بشر بمحمد - عليهما الصلاة والسلام - .

قال البخاري في كتاب التفسير من صحيحه ، باب: ﴿مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: 6]: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَبْرِ ابْنِ مَطْعَمٍ ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: [إِنَّ لِي أَسْمَاءً: أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَنَا أَحْمَدُ ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُخْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي ، وَأَنَا الْعَاقِبُ] ⁽¹⁾ . والعاقب الذي ليس بعده نبي .

وفي صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري قال: [كان رسول الله ﷺ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً ، فَقَالَ: أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَحْمَدُ ، وَالْمُقَفِّي ، وَالْحَاشِرُ ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ] ⁽²⁾ .

وفي التنزيل: إثبات لتلك البشائر في التوراة والإنجيل وميثاق الأنبياء:

1 - قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوزًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: 157] .

2 - وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: 81] . قال ابن عباس: (ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد: لئن بُعث محمدٌ وهو حيٌّ ليتبعه ، وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بُعث محمد وهم أحياء ليتبعه وينصروه) .

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري (4896) - كتاب التفسير ، وكذلك (3532) في المناقب .

(2) حديث صحيح . أخرجه مسلم (2355) - كتاب الفضائل . وأخرجه أحمد (4/395) ، (4/404) .

ومن كنوز السنة العطرة في ذلك أحاديث :

الحديث الأول: أخرج الحاكم والبيهقي بسند جيد عن خالد بن معدان ، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: يا رسول الله! أخبرنا عن نفسك. قال: [دعوة أبي إبراهيم ، وبُشرى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نورٌ أضاءت له قصور بُصرى من أرض الشام]⁽¹⁾.

الحديث الثاني: أخرج أحمد والطيالسي بسند صحيح عن أبي أمامة قال: [قلتُ يا نبي الله! ما كان بدءُ أمرِك؟ قال: دعوةُ أبي إبراهيم ، وبُشرى عيسى ، ورأت أمي أنه يخرجُ منها نورٌ أضاءت له قصور الشام]⁽²⁾.

الحديث الثالث: أخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن العرياض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ: [إني عند الله لخاتمُ النبيين وإنَّ آدمَ لَمُنْجِدِل في طينته ، وسأنبئكم بأوّل ذلك ، دعوةُ إبراهيم ، وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أمي التي رأت]⁽³⁾.

وجاء في التوراة: (أن نبياً سيظهر في مكة ، - وهو أحد أبناء إسماعيل عليه السلام - وأن اسمه يرتفع فيها ، وأنه يركب الجمل ، وأنه يحارب بالسيف ، وأنه ينتصر هو وأصحابه ، وأنه يُبارك عليه في كل يوم - وهذا ما يفعله المسلمون عند التشهد - ، وأن ملوك اليمن تأتيه بالقرابين ، وأن علامة سلطانه على كتفه بقدر بيضة الحمام)⁽⁴⁾.

وجاء في إنجيل بَرْنابا (باب : 220): أن عيسى عليه السلام قال لأتباعه: (وسيقى هذا إلى أن يأتي محمدٌ رسول الله الذي متى جاء كشفَ هذا الخِداغ للذين يؤمنون بشريعة الله).

وقوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّؤْتَيْنٌ ﴾. أي: بَيِّن. قال ابن جريج: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ قال: أحمد). وقيل: عيسى. واختار ابن جرير وابن كثير والقاسمي وغيرهم

(1) حديث صحيح. أخرجه الحاكم (600/2) ، والطبري (2075) ، والبيهقي في «الدلائل» (83/1) وإسناده جيد ، وجهالة الصحابي لا تضر ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي.

(2) حديث صحيح. أخرجه أحمد في المسند (262/5) ، وكذلك الطيالسي (1140) ، ورواه ابن سعد (102/1) ، وإسناده لا بأس به ، وله شواهد.

(3) حديث صحيح. أخرجه أحمد في المسند (127/4) ، وأخرجه الطبري (34054) ، ورواه الحاكم (418/2) ، وله شواهد.

(4) انظر كتابي: أصل الدين والإيمان (142/1) ، وسفر التكوين (21: 22).

أنه أحمد - عليه الصلاة والسلام . قال ابن كثير : (أي : المُبَشِّر به في الأعصار المُتَقَدِّمة المُنَوَّه بِذِكْرِهِ في القرون السالفة ، لما ظهر أمره وجاء بالبينات قال الكفرة المخالفون : ﴿ هَذَا سِحْرٌ مُّيْنٌ ﴾) . قال القاسمي : (والإشارة إلى ما جاء به أو إليه ، عليه الصلاة والسلام ، وتسميته سحراً مبالغة . يريد عليه السلام : أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعاً ، ممن تقدّم وتأخّر) .

فائدة : الفرق بين أحمد ومحمد - ﷺ - .

قال ابن القيم في «جلاء الأفهام» : (الفرق بين محمد وأحمد من وجهين :

أحدهما : أن محمداً هو المحمود حمداً بعد حمد ، فهو دالٌّ على كثرة حمد الحامدين له ، وذلك يستلزم كثرة موجبات الحمد فيه . و﴿ أَحْمَدُ ﴾ أفعل تفضيل من الحمد ، يدل على أن الحمد الذي يستحقه أفضل مما يستحقه غيره . فمحمد زيادة حمد في الكمية ، وأحمد زيادة في الكيفية ، فيحمد أكثر حمد ، وأفضل حمد حمده البشر .

والوجه الثاني : أن محمداً هو المحمود حمداً متكرراً كما تقدم ، وأحمد هو الذي حمده لربه أفضل من حمد الحامدين غيره . فدلّ أحد الاسمين - وهو محمد - كونه محموداً . ودل الاسم الثاني - وهو أحمد - على كونه أحمد الحامدين لربه) .

7 - 9 . قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾^٧ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ^٨ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ^٩ .

في هذه الآيات : ذمٌ من اختار سبيل الفرية والكذب على الله طريقاً له والله لا يوفق القوم الظالمين ، الذين يحاولون إطفاء نور الله والله ناصر دينه ومظهر رسوله ولو كره المشركون .

فقوله : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ ﴾ . أي : لا أحد أظلم ممن يختار سبيل الفرية والكذب على الله وقد ظهر أمر الدين الحق بالبينات والمعجزات ، فهو يُدعى إلى التوحيد والإخلاص ويأبى إلا البقاء على الشرك والرياء . قال القرطبي : (هذا تعجبٌ ممن كفر بعيسى ومحمد بعد المعجزات التي ظهرت لهما) .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ . أي : جزاء وفاقاً . فإنّ مقابلة الفرية والكذب إنما

هو بالختم والطبع ، والترك والنسيان ، والإهمال والخذلان .

وقوله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ . قال ابن زيد: (نور القرآن). قلت: والأشمل أن يقال نور الإسلام الممثل بالوحيين: القرآن والسنة المطهرة ، فإنه يؤذي أعين الطغاة ويحرق بإشعاعه قلوبهم ، فناصره العدا لئلا يمنع انتشار نوره ، ولكنهم بذلك كمن يحاول إطفاء نور الشمس فيه . قال ابن جرير: (يقول: يريدون ليبطلوا الحق الذي بعث الله به محمداً ﷺ بأفواههم يعني بقولهم إنه ساحر ، وما جاء به سحر ، ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ يقول: الله معلن الحق ، ومظهر دينه ، وناصر محمداً عليه الصلاة والسلام على من عاداه ، فذلك إتمام نوره).

وقوله: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ . أي: والله متم الحق ومبلغه غايته ، ومظهر نبيه وصحابته ، والطائفة التي على منهاج النبوة ، ولو كره الكافرون وأغاظهم ذلك .

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ . قال النسفي: (أي الملة الحنيفية). وقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ . أي: ليعليه على جميع الأديان المخالفة له . قال مجاهد: (إذا نزل عيسى لم يكن في الأرض إلا دين الإسلام).

وقوله: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ . أي: ولو أغاظ ذلك أهل الشرك والكفر والطغيان .

وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ يقول: [لا تزال طائفة من أمتي يقتاتون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة]. قال: فينزل عيسى بن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعال صل لنا ، فيقول: لا ، إن بعضكم على بعض أمراء ، تَكْرِمَةُ الله هذه الأمة⁽¹⁾.

وكذلك أخرج الإمام مسلم عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: [لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك]⁽²⁾.

وله شاهد عنده من حديث المغيرة بلفظ: [لن يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس ، حتى يأتيهم أمر الله ، وهم ظاهرون].

(1) حديث صحيح . أخرجه مسلم (156) - كتاب الإيمان ، من حديث أبي الزبير عن جابر .

(2) حديث صحيح . أخرجه مسلم (1920) - كتاب الإمارة . وانظر للشاهد حديث رقم (1921).

10 - 13. قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَحْرِقِ شُجَيْكُمْ مِنْ عَذَابِ الْإِيمِ ۖ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۚ وَآخَرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾.

في هذه الآيات: بيان أفضل أنواع التجارة ، إنه الإيمان والجهاد لنيل رضوان الله والمغفرة ، ونصره - تعالى - في الدنيا والفوز في الآخرة.

فقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَحْرِقِ شُجَيْكُمْ مِنْ عَذَابِ الْإِيمِ ۖ﴾. أي: تخلصكم من عذاب موجع في نار جهنم. قال قتادة: (فلولا أن الله بيّنها ، ودلّ عليها المؤمنين ، لتلهف عليها رجال أن يكونوا يعلمونها ، حتى يرضوا بها ، وقد دلّم الله عليها ، وأعلمكم إيها فقال: ﴿تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. قال: الحمد لله الذي بيّنها).

وقد تقدم حديث الإمام أحمد عن عبد الله بن سلام قال: [تذاكرنا: أيكم يأتي رسول الله ﷺ فَيَسْأَلُهُ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فلم يَقم أحدٌ منا ، فأرسل رسول الله ﷺ إلينا رجلاً ، فجمعنا ، فقرأ علينا هذه السورة ، يعني سورة الصف كلها] (1).

ومن ضمن هذه السورة هذه الدعوة إلى هذه الصفقة العظيمة من التجارة الرابعة: الإيمان والجهاد. فقال: ﴿تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي إيماناً يقينياً لا يشوبه أدنى شك. فناداهم بـ ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ثم دعاهم إلى الصدق في هذا الإيمان حتى تحصل النجاة ويكون الظفر بالصفقة الكبيرة. وهو كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَلْكَتِبِ الَّذِي نَزَلَ عَلَى رَسُولِهِ. وَأَلْكَتِبِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾ [النساء: 136].

ثم عطف على الإيمان الجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس. قال القرطبي: (ذكر الأموال أولاً لأنها التي يبدأ بها في الإنفاق).

وقوله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. قال القاسمي: (أي من أهل العلم. أو أنه خير). والمقصود: هذه التجارة التي ذكرت لكم في صدق الإيمان وفي الجهاد ببذل

(1) حديث صحيح. أخرجه أحمد (5/ 452) وإسناده صحيح ، رجاله رجال البخاري ومسلم.

الأموال والأنفس ، خير لكم من تجارة الدنيا ، والكد لها والتصدي لها وحدها . فهو من باب إلهاب الحمية للطاعة ، والاستثارة بلفظ «التجارة» للباعة ، فإن الله اشترى من المؤمنين أموالهم وأنفسهم بأن لهم الجنة .

وقوله : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ﴾ .

قال ابن كثير : (أي : إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه غفرت لكم الزلات ، وأدخلتكم الجنّات ، والمسكن الطيبات ، والدرجات العاليات).

وقوله : ﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ . قال ابن جرير : (يقول : ذلك النجاء العظيم من نكال الآخرة وأهوالها).

وقوله : ﴿ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا ﴾ . قال الفراء : («أخرى» معطوفة على ﴿تَجَرَّوْا﴾ فهي في محل خفض). والمقصود : وتجارة أخرى تحبون الظفر بأرباحها وجوائزها .

وقيل : بل محلها الرفع على الابتداء ، والمعنى : أي : ولكم خصلة أخرى سوى ذلك في الدنيا تحبونها : ﴿ نَصْرٌ مِنْ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ . قلت : وكلا التأويلين يحتمله الإعجاز القرآني والبيان الإلهي .

وقوله : ﴿ نَصْرٌ مِنْ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ . قال القرطبي : (أي هو نصر من الله ، ف ﴿نَصْرٌ﴾ على هذا تفسير ﴿وَأُخْرَى﴾ . وقيل : رفع على البدل من «أخرى» أي ولكم نصر من الله . ﴿ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ أي غنيمة في عاجل الدنيا ، وقيل فتح مكة . وقال ابن عباس : يريد فتح فارس والروم).

وقوله : ﴿ وَيَتَرَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . أي بهذا النصر على عدوهم ، والفتح العاجل لهم ، وما يرافق ذلك من الرضا عنهم ، ويعقبه نعيم الجنة عرفها لهم .

14 . قوله تعالى : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمْنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ .

في هذه الآية : تشجيع الله المؤمنين على نصر دين الله العظيم ، كما نصر الحواريون عيسى بن مريم ومنهاج النبوة الكريم ، وقد كتب الله النصر والغلبة للصادقين المخبتين .

فقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ﴾. ابتداء خطاب من الله ، أي: كونوا - معشر المؤمنين أنصاراً لله في جميع أقوالكم وأفعالكم. وقيل: بل التقدير: قل لهم يا محمد كونوا أنصار الله. والأول أنسب للسياق.

وقوله ﴿كَأَنَّ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾. الحواريون: خواص الرسل. قال القرطبي: (أكد أمر الجهاد ، أي كونوا حواري نبيكم ليظهركم الله على من خالفكم كما أظهر حواري عيسى على من خالفهم). قال ابن كثير: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: مَنْ معيني في الدعوة إلى الله عز وجل؟ ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ﴾ - وهم أتباع عيسى عليه السلام -: ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ ، أي: نحن أنصارك على ما أرسلت به ومؤازرك على ذلك. ولهذا بعثهم دعاءً إلى الناس في بلاد الشام في الإسرائيليين واليونانيين).

وعن قتادة: (قد كانت لله أنصار من هذه الأمة تجاهد على كتابه وحقه. قال: جاءه سبعون رجلاً فبايعوه عند العقبة ، فنصروه وآووه حتى أظهر الله دينه).

وقوله: ﴿فَأَمَنَتِ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ﴾. أي: اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به عيسى عليه السلام ، وجحدت طائفة أخرى بنبوته ، ورموه وأمه بالبهتان والكذب - وهم اليهود - عليهم لعائن الله. وغلت فيه طائفة ممن اتبعه وكانوا شيعاً: منهم من قال: إنه الله. ومنهم من قال: هو ابن الله. ومنهم من قال: إنه ثالث ثلاثة: الأب ، والابن ، وروح القدس. ذكره الحافظ ابن كثير.

وقوله: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾. أي: فقوينا الذين آمنوا منهم على عدوهم الذين كفروا بعيسى فأصبحوا غالبين. قال ابن عباس: (أيَّد الله الذين آمنوا في زمن عيسى بإظهار محمد على دين الكفار). وقال مجاهد: (أيدوا في زمانهم على من كفر بعيسى). قلت: وكلا المعنيين حق ، فإن المؤمنين في زمان عيسى - عليه السلام - كانوا هم الغالبين ، ثم أيَّد الله بقيتهم فنصرهم على من عاداهم من فرق النصارى ببعثة محمد ﷺ.

تم تفسير سورة الصف

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منّه وكرمه

عصر الأربعاء 23 رمضان 1426 هـ

الموافق 26 / تشرين الأول / 2005 م

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - أمقت شيء عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون .
- 2 - صفوفُ هذه الأمة في الصلاة وفي القتال سواء ، فهي كالبنيان المرصوص تحمل الرعب والرهبة للأعداء .
- 3 - بشارة النبيين وبشارة عيسى بالنبي الأمي العربي محمد ﷺ .
- 4 - محمد ﷺ هو الماحي الذي يمحو الله به الكفر ، والحاشر الذي يُحْشَرُ الناس على قدمه ، وهو العاقب الذي ليس بعده نبي .
- 5 - ما أنزل الله الإسلام إلا ليظهره على الأديان عامة ويختتمها به .
- 6 - لا تزال طائفة من أمة محمد ﷺ ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم إلى يوم القيامة .
- 7 - كان المسلمون الأوائل أنصار محمد ﷺ كما كان الحواريون أنصار عيسى ﷺ .
- 8 - ألقى شبه عيسى على أحد الحواريين ، وجزاؤه الجنة بإذن الله .



62



وهي سورة مدنية ، وعدد آياتها (11).

فضائلها وما ورد في ذكرها:

لقد جاء ذكر هذه السورة وفضلها وفضل يوم الجمعة في أحاديث من السنة العطرة:

الحديث الأول: روى مسلم وأبو داود والترمذي عن ابن عباس وأبي هريرة: [أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين]⁽¹⁾.

الحديث الثاني: روى مسلم - في كتاب الجمعة - من صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خُلِقَ آدمُ ، وفيه أُدْخِلَ الجنة ، وفيه أخرج منها]⁽²⁾.

الحديث الثالث: أخرج أبو داود وابن حبان بسند صحيح عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خُلِقَ آدم ، وفيه قُبِضَ ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة عليّ. قالوا: وكيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ - أي بليت -

(1) حديث صحيح. أخرجه مسلم في الصحيح (877) ، وأحمد في المسند (2/ 429 - 430) ، وأخرجه أبو داود (1124) ، والترمذي (519) ، وابن ماجه (1118).

(2) حديث صحيح. أخرجه مسلم (854) والذي بعده. وفيه زيادة: (ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة) ، كتاب الجمعة ، باب في الساعة التي في يوم الجمعة.

فقال: إن الله جل وعلا حَرَّمَ على الأرض أن تأكل أجسامنا⁽¹⁾.

الحديث الرابع: أخرج أحمد وابن ماجة بلفظ واحد عن أبي لبابة بن عبد المنذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [إِنَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الْأَيَّامِ ، وَأَعْظَمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَهُوَ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ يَوْمِ الْأَضْحَى وَيَوْمِ الْفِطْرِ ، وَفِيهِ خَمْسُ خَلَائِلٍ: خَلَقَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ ، وَأَهْبَطَ اللَّهُ فِيهِ آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ ، وَفِيهِ تَوَفَّى اللَّهُ آدَمَ ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَسْأَلُ اللَّهُ فِيهَا الْعَبْدَ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ حَرَاماً ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ. مَا مِنْ مَلِكٍ مَقْرَبٍ ، وَلَا سَمَاءٍ ، وَلَا أَرْضٍ ، وَلَا رِيَّاحٍ ، وَلَا جَبَالٍ ، وَلَا بَحْرٍ ، إِلَّا وَهْنٌ يُشْفِقُنَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ]⁽²⁾.

الحديث الخامس: أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: [نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، بَيِّدَ أَنَّهُمْ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأَوْتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، فَاخْتَلَفُوا ، فَهَدَانَا اللَّهُ لَمَّا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ ، فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ، هَدَانَا اللَّهُ لَهُ - قَالَ⁽³⁾: يَوْمُ الْجُمُعَةِ - فَالْيَوْمَ لَنَا ، وَغَدًا لِلْيَهُودِ ، وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى]⁽⁴⁾.

الحديث السادس: أخرج ابن ماجة بسند حسن عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: [إِنَّ هَذَا يَوْمٌ عِيدٌ ، جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَمَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ ، وَإِنْ كَانَ طَيِّبٌ فَلْيَمَسَّ مِنْهُ ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَاكِ]⁽⁵⁾.

موضوع السورة

الجمعة تشريعها وآدابها
واختصاص الله هذه الأمة بها

- (1) حديث صحيح. أخرجه أبو داود (1034)، وابن ماجة (1085)، والنسائي (91/3). ورواه ابن حبان وغيرهم. وانظر صحيح سنن ابن ماجة (889).
- (2) حديث حسن. أخرجه أحمد، وابن ماجة (1084) كتاب الصلاة. باب في فضل الجمعة.
- (3) أي: قال الرواي مفسراً لقوله ﷺ: «فهذا يومهم» أي يوم الجمعة، ويؤيده ما في رواية النسائي: «يعني يوم الجمعة» (1365).
- (4) حديث صحيح. أخرجه البخاري في الصحيح (876)، ومسلم (855)، كتاب الجمعة.
- (5) حديث حسن. أخرجه ابن ماجة (1098)، كتاب الصلاة، باب ما جاء في الزينة يوم الجمعة.

- منهاج السورة -

- 1 - اشترك جميع الكائنات بتسبيح الله الملك القدوس العزيز الحكيم .
- 2 - امتنان الله تعالى على عباده ببعث رسوله الكريم ، يعلمهم الكتاب والسنة ومنهاج هذا الدين القويم .
- 3 - متابعة الأخيار في هذه الأمة نبيهم وأصحابه على منهاج الحق منهاج الرسول الكريم .
- 4 - تشبيه الذين نقضوا عهد التوراة بالحمار يحمل كتباً لا ينتفع بها ، ودعوة اليهود لتصديق ادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه بتمني الموت في سبيل الله .
- 5 - الأمر بالسعي إلى صلاة الجمعة وتأجيل الصفق في الأسواق وتعظيم هذه الشعيرة العظيمة .
- 6 - إباحة العودة بعد الصلاة لابتغاء الرزق والفضل من الله ، والأمر بالتماس ذكره تعالى دوماً فعليه الفلاح في الدنيا والآخرة .
- 7 - عتاب لطيف من الله تعالى لأصحاب نبيه الكرام ، في انشغالهم بالغير عن متابعة خطبة نبيهم عليه الصلاة والسلام .
- 8 - ما عند الله خير وأبقى والله خير الرازقين .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 4. قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِ رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣﴾.

في هذه الآيات: تسييحُ جميع الكائنات لله الملك القدوس العزيز الحكيم ، الذي امتن على عباده بإرسال هذا النبي الكريم ، يعلمهم الكتاب والسنة ويتابعهم الأخيار من بعدهم على هذا المنهاج القويم .

فقوله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ . إخباراً من الله تعالى أنه يسبح له كل من في السماوات والأرض من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها ، كما قال تعالى: ﴿وَلَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44].

وقوله: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ . الملك: هو المالك لكل شيء المتصرف فيه . والقدُّوس: هو الطاهر من العيوب المتنزه عنها . قال تعالى: ﴿فَنَعْلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [طه: 114]. وقال تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: 23].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك ، أين ملوك الأرض] (1).

وفي سنن أبي داود عن عائشة: [أن النبي ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ] (2).

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري (4812) ، (6519) ، (7382) ، ورواه مسلم (8/126).

(2) حديث صحيح . انظر صحيح سنن أبي داود (165/1) من حديث عائشة ، ورواه مسلم بنحوه .

وقوله: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. العزيز: الغالب القاهر ، والعزّة: الغلبة. والحكيم: العالم وصاحب الحكمة والمتقن للأمر. وفي التنزيل: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: 118].

وفي الصحيحين عن ابن عباس: أن نبي الله ﷺ كان يدعو عند الكرب: [لا إله إلا الله الحليم الحكيم ، لا إله إلا الله ربّ العرش العظيم. لا إله إلا الله ربّ السماوات والأرض وربّ العرش الكريم]⁽¹⁾.

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾. قال ابن عباس: (الأميون العرب كلهم ، من كتب منهم ومن لم يكتب ، لأنهم لم يكونوا أهل كتاب). وقيل: الأميون الذين لا يكتبون. وكذلك كانت قريش. وقوله: ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ يعني محمداً ﷺ. وما من حيّ من العرب إلا ولسول الله ﷺ فيهم قرابة وقد ولدوه. قال ابن إسحاق: (إلا حيّ تغلب ، فإن الله تعالى طهر نبيه ﷺ منهم لنصرانيّتهم ، فلم يجعل لهم عليه ولادة. وكان أمياً لم يقرأ من كتاب ولم يتعلم ﷺ).

قال الماوردي (6/6): (فإن قيل ما وجه الامتنان بأن بعث نبياً أمياً؟ فالجواب عنه من ثلاثة أوجه: أحدها: لموافقته ما تقدمت به بشارة الأنبياء. الثاني: لمشاكلته حاله لأحوالهم ، فيكون أقرب إلى موافقتهم. الثالث: ليتنفي عنه سوء الظن في تعليمه ما دعا إليه من الكتب التي قرأها والحكم التي تلاها).

وكونه بعث في الأميين - أي العرب - لا ينفي عموم بعثته للعالمين ، وإنما يكون وجه الامتنان من الله على قومه أبلغ وأكثر ، وهذه الآية مصداق إجابة دعوة إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: 129]. فبعثه الله على حين فترة من الرسل ، وطموس في السبل ، وقد اشتدت الحاجة إليه.

وقوله: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾. فيه البدء بتزكية النفس لتحمل لوازم العلم ، فإن الإيمان أولاً ثم طلب العلم يكون يعقبه ، كما قال بعض السلف: (تعلمنا الإيمان ، ثم تعلمنا القرآن فازدنا إيماناً). فقوله: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ يعني القرآن. قال ابن عباس: ﴿يُزَكِّيهِمْ﴾ أي يجعلهم أذكاء القلوب

(1) حديث صحيح. انظر صحيح البخاري (6345) ، (6346) ، وصحيح مسلم (2730) ، كتاب الذكر والدعاء ، وصحيح سنن الترمذي (2732) ، ورواه ابن ماجه (3883).

بالإيمان). وقيل: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من دنس الكفر والذنوب - قاله ابن جريج. وعن الحسن: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ السنة. وقال مالك بن أنس: «الحكمة» الفقه في الدين).

وقوله: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾. أي: وإن كانوا من قبل محمد ﷺ لفي كفر وجهالة، وذهاب عن الحق.

وقوله: ﴿وَعَاخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾. عطف على ﴿الْأَمِيسِينَ﴾ أي بعث في الأميين وبعث في آخرين منهم. أو هو منصوب بالعطف على الهاء والميم في ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ﴾ أي يعلمهم ويعلم آخرين من المؤمنين - حكاه القرطبي وقال: (لأن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مسنداً إلى أوله، فكأنه هو الذي تولّى كل ما وجد منه). وقال عكرمة: ﴿وَعَاخِرِينَ مِنْهُمْ﴾: هم التابعون. وقال مجاهد: (هم الناس كلهم، يعني من بعد العرب الذين بُعث فيهم محمد ﷺ). وقال ابن زيد: (هم من دخل في الإسلام بعد النبي ﷺ إلى يوم القيامة).

قلت: وآفاق هذه المعاني في عموم بعثته ﷺ، وتصديق العرب والعجم بهذا الدين، والتسابق لحمل لوائه مؤيد في تفسير هذه الآية بروائع من السنة الصحيحة:

الحديث الأول: أخرج البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: [كنا جلوساً عند النبي ﷺ فَأَنْزَلَتْ عَلَيْهِ سورة الجمعة: ﴿وَعَاخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قال: قُلْتُ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلَاثاً وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ أَوْ رَجُلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ⁽¹⁾.

وقد صَحَّ بلفظ آخر: [لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجلٌ من فارس، أو قال: من أبناء فارس حتى يتناوله]⁽²⁾.

الحديث الثاني: أخرج الحاكم بإسناد على شرط البخاري عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: [رَأَيْتُ غَنَمًا كَثِيرَةً سَوْدَاءَ، دَخَلَتْ فِيهَا غَنَمٌ كَثِيرَةٌ بَيَاضَ.

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري في الصحيح (4897)، كتاب التفسير، سورة الجمعة (3)، وأخرجه مسلم (2546)، والترمذي (3310)، وأحمد (417/2)، والنسائي في «التفسير» (612)، وأخرجه الطبري في «التفسير» (34086).

(2) حديث صحيح. أخرجه مسلم (191/6)، وأحمد (308/2 - 309) عن أبي هريرة مرفوعاً.

قالوا: فما أولئته يا رسول الله؟ قال: العَجَم ، يَشْرِكُونَكُمْ في دينكم وأنسابكم . قالوا: العجم يا رسول الله؟ قال: لو كان الإيمان معلقاً بالثريا لئله رجال من العجم ، وأسعد بهم الناس⁽¹⁾ .

الحديث الثالث: أخرج أبو نعيم في «أخبار أصبهان» بسند حسن من طريق عمرو بن شرحبيل عن رجل من أصحاب النبي ﷺ مرفوعاً: [رأيت الليلة غنماً سوداً تَتَّبِعُنِي ، ثم أَرَدَفَتْهَا غَنَمٌ عُقْرٌ ، فقال أبو بكر: تلك العرب اتَّبَعَتْكَ ، ثم أَرَدَفَتْهَا الأعاجم . فقال ﷺ: كذلك عَبَّرَهَا الملك بِسَحَرٍ]⁽²⁾ .

الحديث الرابع: أخرج ابن أبي عاصم في «السنة» بسند صحيح عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: [إِنَّ فِي أَصْلَابِ أَصْلَابِ رِجَالٍ رِجَالاً وَنِسَاءً مِنْ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ، ثم قرأ: ﴿وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾]⁽³⁾ .

وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ . قال النسفي: (في تمكينه رجلاً أُمياً من ذلك الأمر العظيم وتأنيده عليه واختياره إياه من بين كافة البشر) .

وقوله: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ . يعني: ما اختص الله به محمداً ﷺ من النبوة العظيمة ، وما خص به أمته من بعثته الكريمة . قال ابن عباس: (الفضل: الدين) . وقال مقاتل: (الوحي والنبوة) . وقيل: (إنه انقياد الناس إلى تصديق النبي ﷺ ودخولهم في دينه ونصرته) . وقيل: إنه المال ينفق في طاعته . ودليله ما في صحيح البخاري ومسلم عن أبي صالح ، عن أبي هريرة: [أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ⁽⁴⁾ بِالدرجات العلا والنعيم المقيم . فقال: «وما ذاك؟» قالوا: يُصَلُّونَ كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نُعتق . فقال رسول الله

(1) حديث صحيح . أخرجه الحاكم (4/ 395) وقال: «صحيح على شرط البخاري» ووافقه الذهبي ، وأقره الألباني بقوله: (وهو كما قال) . انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (1018) .

(2) حديث حسن . أخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (9/ 1) (10/ 1) بنحوه . وانظر كذلك (209/ 1) . وسلسلة الأحاديث الصحيحة ص (15) - المجلد الثالث - عقب الحديث (1018) .

(3) إسناده صحيح . أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» - حديث رقم - (309) ، والطبراني (6005) وسنده حسن . ورواه ابن مردويه كما في «الدر» (6/ 215) ، وجوّد الهيثمي (18702) ووافقه الألباني في تخريج كتاب: «السنة» (309) .

(4) الدثور: جمع دثر ، وهو المال الكثير .

ﷺ: «أفلا أعلمكم شيئاً تُدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم»؟ قالوا: بلى يا رسول الله ، قال: «تسبحون وتكبرون وتحمدون دُبُر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة». قال أبو صالح: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله. فقال رسول الله ﷺ: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾⁽¹⁾.

قلت: وجميع ما ذكر من اختصاص الله محمداً ﷺ بالنبوة ، واختصاص أمته باستقبال بعثته ، وانقياد الناس إليه ودخولهم في دينه ونصرته ، وتسابق بعض العرب والعجم لحمل لواء شريعته ، وإنفاق بعض الأغنياء في سبيل نشر دعوته ، كل ذلك داخل في مفهوم هذه الآية.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. قال ابن عباس: (حيث ألحق العجم بقريش). وقال: (يقول: والله ذو الفضل على عباده ، المحسن منهم والمسيء ، والذي بعث فيهم الرسول منهم وغيرهم ، العظيم الذي يقلّ فضل كل ذي فضل عنده).

5- 8. قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٦) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

في هذه الآيات: تشبيه الذين أوتوا التوراة من اليهود والنصارى وقد كُلفوا العمل بها فلم يعملوا بها ، ثم كذبوا بمحمد ﷺ ولم يؤمنوا بالوحي والنبوة ، بالحمار يحمل على ظهره كتباً من كتب العلم لا ينتفع بها ولا يعقل ما بداخلها ، ودعوة اليهود لتصديق ادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه بتمني مفارقة هذه الحياة إلى دار الخلود وجنات النعيم ،

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (6329) ، (843) ، ومسلم (595) ، وابن حبان (2014) ، وأخرجه البيهقي (186/2) من حديث أبي هريرة.

ولكنهم أحرص الناس على الحياة والله عليم بالظالمين .

قوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ﴾ . قال ابن عباس : ﴿ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ﴾ أي كُلفوا العمل بها . وقال الجرجاني : (هو من الحَمالة بمعنى الكفالة ، أي ضمنوا أحكام التوراة) .

وقوله : ﴿ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا ﴾ . أي تركوا العمل بها ، وأهملوا التحاكم إليها .

وقوله : ﴿ كَمَثَلِ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا ﴾ . أسفاراً : جميع سِفَر ، وهو الكتاب الكبير ، لأنه يسفر عن المعنى إذا قرئ . قال مجاهد : ﴿ يَحْمِلُ أَثْقَارًا ﴾ يحمل كتباً لا يدري ما فيها ، ولا يعقلها . وقال ميمون بن مهران : (الحمار لا يدري أسفر على ظهره أم زبيل ، فهكذا اليهود) . قال القرطبي : (وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب أن يتعلم معانيه ويعلم ما فيه ، لئلا يلحقه من الذم ما لحق هؤلاء) .

قلت : وقد جاء في السنة الصحيحة نحو ما جاء في هذه الآية مما يعيب اليهود ، ويحذر أمة محمد ﷺ أن تسلك مسلكهم .

فقد أخرج الطبراني بسند حسن عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : [إن بني إسرائيل كتبوا كتاباً فاتبعوه وتركوا التوراة] ⁽¹⁾ .

وكذلك أخرج الطبراني بسند صحيح عن خَبَّاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [إن بني إسرائيل لما هلكوا قَصُوا] ⁽²⁾ .

قال المناوي : (أي لما هلكوا بترك العمل أدخلوا إلى القصص ، وعولوا عليها ، واكتفوا بها) .

قلت : وما أشبه حال المسلمين اليوم بهذا الحال الذي حُذِّروا من اتباعه ، فإن كثيراً من وعاظهم انصرفوا إلى الوعظ بالقصص والأخبار الواهية ، والحكايات والإسرائيليات البالية ، تاركين منهج الفقه والعلم النافع الذي يعرف الناس بدينهم الحق ، والذي يحملهم على العمل الصالح والدأب والتحصيل النافع .

(1) حديث حسن . أخرجه الطبراني في «الكبير» بسند حسن . انظر «مجمع الزوائد» (1/ 172) ، وكذلك صحيح الجامع الصغير (2040) .

(2) حديث صحيح . أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (رقم - 3705) ، وأبو نعيم في «الحلية» (362/4) . وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (1681) .

أخرج الحاكم بسند جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:
 [لترَكِبَنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشْبِرٍ ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ ، وَبَاعًا بِبَاعٍ ، حَتَّى لَوْ أَنَّ
 أَحَدَهُمْ دَخَلَ جُحْرَ ضَبٍ دَخَلْتُمْ ، وَحَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ ضَاجَعَ أُمَّهُ بِالطَّرِيقِ لَفَعَلْتُمْ] ⁽¹⁾ .
 وقوله: ﴿ يَسْ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ . أي: بشس مثل القوم المثل الذي
 ضربناه لهم. قال ابن القيم في «أعلام الموقعين»: (قاس من حَمَلَهُ سبحانه كتابه ليؤمنَ
 به ويتدبره ويعمل به ويدعو إليه ، ثم خالف ذلك ، ولم يحمله إلا على ظهر قلب ،
 فقراءته بغير تدبر ولا تفهم ولا اتباع له ، ولا تحكيم له ، وعمل بموجبه - كحمار على
 ظهره زاملة أسفار ، لا يدري ما فيها ، وحظه منها حملها على ظهره ليس إلا ، فحظه
 من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكتب التي على ظهره. فهذا المثل ، وإن كان ضُربَ
 لليهود ، فهو متناول من حيث المعنى ، لمن حمل القرآن ، فترك العمل به ، ولم يؤدِّ
 حقّه ، ولم يرعه حقّ رعايته).

وقوله: ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ . أي: والله لا يوفق القوم الذين اختاروا ظلم
 أنفسهم ، بكفرهم بآيات ربهم. وقيل: والله لا يهدي من سبق في علمه أن يكون كافراً.
 وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتُّوا
 أَلْمُوتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . - هادوا -: من هادَ يهود إذا تهوّد. والمقصود: لما ادّعت
 اليهود الفضيلة بأنهم أبناء الله وأحباؤه من دون الناس دُعوا للاختبار الدقيق ، فإن
 للأولياء عند الله الكرامة ، ومن ثمّ قيل لهم: تمنوا على الله أن يميّتكم وينقلكم سريعاً
 إلى دار كرامته التي أعدها لأوليائه ، فتستريحوا من كرب الدنيا وهمومها وغموها ،
 وتصيروا بعد الموت إلى روح الجنان ونعيمها ، ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ في زعمكم
 ودعواكم.

وفي التنزيل نحو ذلك ، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ
 خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتُّوا أَلْمُوتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(١٦) وَلَنْ يَتَمَتَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتْ أَيْدِيهِمْ
 وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ^(١٧) وَلَنَجْذِثُنَّمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ
 أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍ لَهُ مِنْ أَلْعَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: 94 - 96].

وقوله: ﴿ وَلَا يَتَمَتَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ . أي: لا يتمنى اليهود الموت أبداً بما

(1) حديث صحيح. أخرجه الحاكم (4/455)، والدولابي في «الكنى» (2/30)، وله شاهد عند الترمذي، والحاكم (1/129) من حديث عبد الله بن عمرو. وانظر صحيح الجامع (4943).

اجترحوا من ظلم وأثام ، وبما اكتسبوا من كفر وفجور وإجرام .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ . أي : والله ذو علم بمن أوبق نفسه بالكفر بالله ورسله وكان من الظالمين .

وقوله : ﴿ قُلْ إِنْ أَلَمْتُ أَلَدَى تَقَرُّوتَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ﴾ . أي : قل يا محمد لهؤلاء اليهود : إن الموت الذي تكرهون تمنّيه وتحذرون وقوعه نازل بكم . وهو كقوله تعالى : ﴿ آيِنَمَا تَكُونُوا يَذْرُوكُمْ أَلَمُوتٌ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ﴾ [النساء : 78] .

وقوله : ﴿ ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ . قال ابن جرير : (ثم يردكم ربكم من بعد مماتكم إلى عالم الغيب والشهادة ، عالم غيب السماوات والأرض ، وَالشَّهَادَةِ) : يعني وما شهد فظهر لرأي العين ، ولم يغيب عن أبصار الناظرين) .

وقوله : ﴿ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ . قال قتادة : (يقول : فيخبركم حينئذ ما كنتم في الدنيا تعملون من الأعمال ، سيئها وحسنها ، لأنه محيط بجميعها ، ثم يجازيكم على ذلك المحسن بإحسانه ، والمسيء بما هو أهله) .

9 - 10 . قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

في هذه الآيات : أمرُ الله تعالى عباده المؤمنين بالسعي إلى صلاة الجمعة إذا سمعوا النداء لها ، والتبكير لسماع خطبتها ، وترك البيع والشراء تعظيماً لهذه الشعيرة العظيمة . وإباحة العودة بعد الصلاة إلى ابتغاء الرزق والفضل من الله ، والأمر بالتماس ذكره تعالى وتعظيم أمره دوماً ، ففي ذلك الفلاح في الدنيا والآخرة .

فقوله : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ .

أمرٌ بالمبادرة إلى صلاة الجمعة عند سماع النداء لها ، وليس المقصود الهرولة إليها . قال قتادة : (والسعي يا ابن آدم أن تسعى بقلبك وعملك ، وهو المضي إليها) . وكان عمر يقرؤها : « فامضوا إلى ذكر الله » - ذكره ابن جرير بإسناده .

وقد ثبت النهي عن الإسراع والهرولة إلى صلوات الجماعة عامة عند التوجه إليها .
ففي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : [إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فامشوا إلى الصلاة ، وعليكم بالسكينة والوقار ولا تسرعوا ، فما أدرَكْتُمْ فصلُّوا وما فاتكم فَأَتِمُّوا] (1) .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن أبي قتادة ، أن أباه أخبره قال : [بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مع رسول الله ﷺ . فَسَمِعَ جَلْبَةً ، فَقَالَ : مَا شَأْنُكُمْ ؟ قَالُوا : اسْتَعْجَلْنَا إِلَى الصَّلَاةِ . قَالَ : فَلَا تَفْعَلُوا ، إِذَا أُتِيتُمُ الصَّلَاةَ فَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ ، فَما أدرَكْتُمْ فصلُّوا ، وما سبقكم فَأَتِمُّوا] (2) .

وَسُمِّيَتِ الْجُمُعَةُ جمعة لأنها مشتقة من الجمع ، فأهل الإسلام يجتمعون فيه كل أسبوع مرة في المساجد يستمعون الذكر وموعظة الحق ويتعلمون أمر دينهم ، وقد أضلَّ الله تبارك وتعالى عن الجمعة أهل الكتابين قبلنا فاختار اليهود لعيدهم السبت ، والنصارى الأحد ، وخبأ الله الجمعة عيداً لأهل الإسلام .

ففي صحيح مسلم عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : [أَضَلَّ اللَّهُ عَنْ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا ، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا ، فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالْأَحَدَ ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، نَحْنُ الْآخَرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَاقِ] (3) .
وفي رواية : [هُدِينَا إِلَى الْجُمُعَةِ وَأَضَلَّ اللَّهُ عَنْهَا مَنْ كَانَ قَبْلَنَا] .

والمراد بالنداء في قوله تعالى : ﴿ إِذَا نَادَىكَ لِلصَّلَاةِ ﴾ النداء الثاني الذي كان يُرْفَعُ بين يدي رسول الله ﷺ إذا جلس على المنبر ، وأما النداء الأول فإنما زاده عثمان بن عفان رضي الله عنه أيام خلافته لتنبيه الناس وقد كثروا إلى ترك الأسواق والأعمال والاستعداد إلى صلاة الجمعة .

ففي صحيح البخاري عن السائب بن يزيد قال : [كَانَ النَّدَاءُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوَّلُهُ إِذَا

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري (636) ، كتاب الأذان ، وكذلك (908) ، وأخرجه مسلم (602) ، وابن ماجه (775) ، وأحمد (532/2) ، وابن حبان (2146) .

(2) حديث صحيح . أخرجه مسلم في الصحيح - حديث رقم - (603) ، كتاب المساجد ، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة ، والنهي عن إتيانها سعيًا .

(3) حديث صحيح . أخرجه مسلم (856) ، كتاب الجمعة ، ح (22) ، وانظر كذلك ح (23) .

جَلَسَ الإمامُ على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعُمَر ، فلما كان عُثْمَانُ بعدَ زَمَنِ ، وكَثُرَ الناسُ ، زاد النداءَ الثاني على الزَّوراءِ⁽¹⁾ . والزَّوراءُ أرفعُ دار بالمدينة قرب المسجد ، كان يؤذَنُ المؤذِنُ عليها .

وفي رواية أخرى عن السائب بن يزيد : [أَنَّ الذي زاد التأذِينَ الثالثَ يَوْمَ الجمعةِ عثمان بن عفان رضي الله عنه حين كَثُرَ أهل المدينة ، ولم يكن للنبي ﷺ مؤذِنٌ غَيْرَ واحدٍ ، وكان التأذِينَ يَوْمَ الجمعةِ حين يجلس الإمام - يعني على المنبر -]⁽²⁾ .

آداب خاصة بيوم الجمعة :

الأدب الأول : الغُسلُ لصلاة الجمعة :

فمن السنة الاغتسال قبل المجيء إلى صلاة الجمعة ، وفي ذلك أحاديث :

الحديث الأول : روى البخاري عن عبد الله بن عمر قال : سمعت النبي ﷺ يخطب على المنبر فقال : [مَنْ جاءَ إلى الجمعة فليغتسل]⁽³⁾ .

الحديث الثاني : أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : [غُسلُ يومِ الجمعة واجبٌ على كل مُحتَلِمٍ]⁽⁴⁾ .

الحديث الثالث : خرَّج مسلم في الصحيح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : [حَقُّ الله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام ، يغتسل رأسه وجسده]⁽⁵⁾ .

الحديث الرابع : أخرجه أحمد والنسائي وابن حبان عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : [على كل رجلٍ مسلمٍ في كل سبعة أيام غُسلُ يومٍ ، وهو يومُ الجمعة]⁽⁶⁾ .

قلت : وهذه الأحاديث تدل بمجموعها على وجوب الغسل قبل المجيء لصلاة الجمعة ، وإنما هناك قرينة تصرف الأمر عن الوجوب إلى الاستحباب ، فيكون

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري في الصحيح (912) ، كتاب الجمعة ، باب الأذان يوم الجمعة .

(2) حديث صحيح . أخرجه البخاري (913) ، كتاب الجمعة ، الباب السابق ، وانظر الحديث (912) .

(3) حديث صحيح . أخرجه البخاري (919) ، كتاب الجمعة ، ورواه مسلم (844) بنحوه .

(4) حديث صحيح . أخرجه البخاري (879) ، ومسلم (846) ، وأبو داود (341) ، والنسائي (93/3) ، ورواه مالك (102/1) ، وغيرهم .

(5) حديث صحيح . أخرجه مسلم (849) ، والبخاري نحوه (897) ، والبيهقي في السنن (188/3) .

(6) حديث صحيح . أخرجه النسائي في السنن (93/3) ، وأحمد في المسند (304/3) ، ورواه ابن أبي شيبة (95/1) ، وأخرجه ابن حبان (1219) ، وإسناده صحيح .

الوجوب في حق من يكون حاله أو طبيعة عمله يحتاج إلى الغسل لثلا يؤذي برائحته المسلمين .

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: [مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوضوء ، ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت ، غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعة ، وزيادة ثلاثة أيام ، ومن مسَّ الحصى فقد لغا]⁽¹⁾.

وفي سنن أبي داود بإسناد حسن عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: [من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت ، ومن اغتسل فهو أفضل]⁽²⁾.

الأدب الثاني: التبكير لصلاة الجمعة:

أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: [إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول ، فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر ، ومثل المهجر كمثل الذي يهدي البدنة ، ثم كالذي يهدي بقرة ، ثم كالذي يهدي الكبش ، ثم كالذي يهدي الدجاجة ، ثم كالذي يهدي البئضة]⁽³⁾.

وأخرج الإمام أحمد وأصحاب السنن بسند صحيح عن أوس بن أوس الثقفي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [مَنْ غَسَلَ وَاغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، وَبَكَرَ وَابْتَكَرَ ، وَمَشَى وَلَمْ يَزْكَبْ ، وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ وَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ أَجْرُ سَنَةٍ ، أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا]⁽⁴⁾.

الأدب الثالث: لبس أحسن الثياب والتسوك والتماس أجمل الطيب:

ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد مرفوعاً: [غُسِّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ ، وَالسَّوَاكُ ، وَأَنْ يَمَسَّ مِنْ طِيبٍ أَهْلُهُ]⁽⁵⁾.

- (1) حديث صحيح . أخرجه مسلم (857) ح (27) ، كتاب الجمعة . وراه أحمد وأكثر أهل السنن .
- (2) حديث حسن . أخرجه أبو داود في السنن (354) ، كتاب الطهارة ، باب في الرخصة في ترك الغسل يوم الجمعة . وانظر صحيح سنن أبي داود (341) .
- (3) حديث صحيح . أخرجه مسلم (850) ، كتاب الجمعة . باب فضل التهجير يوم الجمعة .
- (4) حديث صحيح . أخرجه أحمد (4/ 104) ، وأبو داود (345) ، والترمذي (496) ، وابن ماجه (1087) ، والنسائي (3/ 95 - 96) ، والبخاري (879) ، ومسلم (846) ، وأبو داود (341) ، والنسائي (3/ 93) .
- (5) حديث صحيح . أخرجه البخاري (879) ، ومسلم (846) ، وأبو داود (341) ، والنسائي (3/ 93) .

وفي مسند أحمد بإسناد حسن عن أبي أيوب الأنصاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [من اغتسل يوم الجمعة ، ومَسَّ من طيب أهله إن كان عنده ، ولبس من أحسن ثيابه ، ثم خرج حتى يأتي المسجد فيركع إن بدا له ، ولم يؤذ أحداً ، ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يُصلي ، كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى]⁽¹⁾.

وفي سنن أبي داود وابن ماجه بسند حسن عن عائشة أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم الجمعة ، فرأى عليهم ثياب الثمار ، فقال: [ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعه سيؤي ثوبي مهنته]⁽²⁾.

والجمعة واجبة على الرجال الأحرار دون النساء والعبيد والصبيان ، ويُعذر المسافر والمريض وقيم المريض وما أشبه ذلك من الأعذار.

ففي سنن أبي داود بسند صحيح عن طارق بن شهاب عن النبي ﷺ قال: [الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة: عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض]⁽³⁾.

وأخرج الدارقطني بسند حسن عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: [ليس على المسافر جمعة]⁽⁴⁾. ورواه الطبراني بلفظ: [ليس على مسافر جمعة].

ما يستحب من الأذكار والأدعية يوم الجمعة:

أولاً: الإكثار من الصلاة والسلام على النبي ﷺ:

فقد أخرج أبو داود وابن ماجه والنسائي بسند صحيح عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: [إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي..]. الحديث⁽⁵⁾.

(1) حديث حسن . أخرجه أحمد (5/ 420) ، ورجاله ثقات ، وله شواهد كثيرة .

(2) حديث حسن . أخرجه أبو داود في السنن (1078) - (1079) ، وابن ماجه (1096) . وانظر صحيح

سنن أبي داود (953) . والثمار: بركة من صوف تلبسها الأعراب .

(3) حديث صحيح . أخرجه أبو داود (1054) ، والبيهقي (3/ 172) ، والحاكم (1/ 288) .

(4) حديث حسن . أخرجه الدارقطني (4/ 4/ 2) ، وانظر صحيح الجامع الصغير (5281) .

(5) حديث صحيح . أخرجه أبو داود (1034) ، وابن ماجه (1085) ، والنسائي ، وقد مضى .

ثانياً: قراءة سورة الكهف:

أخرج الحاكم والبيهقي بإسناد صحيح عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: [مَنْ قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين]⁽¹⁾.

ثالثاً: الإكثار من الدعاء رجاء مصادفة ساعة الإجابة:

ففي صحيح مسلم وسنن أبي داود والنسائي - واللفظ له - عن جابر رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال: [يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة ، لا يوجد فيها عبدٌ مسلم يسأل الله عزَّ وجل شيئاً إلا آتاه إياه ، فالتمسوها آخر ساعة بعد صلاة العصر]⁽²⁾.

وقوله: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾. أي: دعوا البيع والشراء إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة. قال القرطبي: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾: منع الله عز وجل منه عند صلاة الجمعة ، وحرَّمه في وقتها على من كان مخاطباً بفرضها. والبيع لا يخلو عن شراء فاكتفى بذكر أحدهما. قال: وخصَّ البيع لأنه أكثر ما يشتغل به أصحاب الأسواق. ومن لا يجب عليه حضور الجمعة فلا يُتَهِى عن البيع والشراء).

وقوله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. قال ابن جرير: (يقول: سعيكم إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة إلى ذكر الله ، وترك البيع خير لكم من البيع والشراء في ذلك الوقت ، إن كنتم تعلمون مصالح أنفسكم ومضارها).

وقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾. هذا أمر إباحة. قال الضحاك: (هذا إذن من الله ، فمن شاء خرج ، ومن شاء جلس).

وقوله: ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾. أي من رزقه. قال ابن كثير: (لما حَجَرَ عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أَذِنَ لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله).

وقوله: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. أي عند البيع والشراء وفي شأنكم كله. قال القاسمي: (أي اذكروا أمره ودينه وشرعه دائماً ، لتصير ملكة لكم ، تظهر آثارها على أعمالكم وأخلاقكم ، فتفعلوها بسعادة الدارين). وعن مجاهد: (لا يكون العبد من

(1) حديث صحيح. أخرجه الحاكم (2/368) ، والبيهقي (3/249) ، وإسناده صحيح.

(2) حديث صحيح. انظر صحيح مسلم (853) ، وصحيح الترغيب (705) ، ورواه الحاكم على شرط مسلم ، ورواه أبو داود والنسائي - واللفظ له - وله شواهد كثيرة بألفاظ مقاربة.

الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومُضطجعاً).

قلت: وذكر الله يشمل التسبيح والتهليل والدعاء والصلاة على النبي عليه السلام. ويشمل تلاوة القرآن ومطالعة السنة وهدى خير الأنام. كما يشمل ملاطفة الخلق واختيار أجمل القول مع الوالدين والزوجة والأبناء والأرحام.

ففي التنزيل:

1 - قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: 41 - 42].

2 - وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: 152].

ومن كنوز السنة العطرة في آفاق ذلك أحاديث:

الحديث الأول: روى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: [يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، والله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة]⁽¹⁾.

الحديث الثاني: أخرج أحمد والترمذي وابن ماجه بسند حسن عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: [من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة، وبنى له بيتاً في الجنة]⁽²⁾.

الحديث الثالث: أخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه بسند صحيح عن أبي سعيد، وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ: [إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصلياً أو صلى ركعتين جميعاً كُتِبَا في الذاكرين والذاكرات]⁽³⁾. وفي رواية: [إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ أهله وصلياً ركعتين كُتِبَا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات].

(1) حديث صحيح. أخرجه مسلم في الصحيح (2675)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

(2) حديث حسن. أخرجه أحمد والترمذي، وابن ماجه (2235). انظر صحيح ابن ماجه (1817).

(3) حديث صحيح. أخرجه أبو داود في السنن (1309)، أبواب قيام الليل. وانظر صحيح سنن أبي داود (1161). ورواه النسائي وابن ماجه والحاكم. انظر: صحيح الجامع (330).

11. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ۝﴾.

في هذه الآية: عتابٌ لطيف من الله تعالى لصحابة نبيه ﷺ في انشغالهم بالبيع وبهجة قدومها عن متابعة خطبته عليه الصلاة والسلام يوم الجمعة ، فما عند الله خير وأبقى والله خير الرازقين .

أخرج البخاري ومسلم والترمذي عن جابر بن عبد الله قال: [بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إِذْ أَقْبَلْتُ عَيْرٌ تَحْمِلُ طَعَامًا فَالْتَفَتُوا إِلَيْهَا ، حَتَّى مَا بَقِيَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا اثْنِي عَشَرَ رَجُلًا ، فَتَرَلْتُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾] (1).

ولفظ الترمذي: [بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة قائماً ، إذ قدمت غير المدينة فابتدروا أصحاب رسول الله ﷺ ، حتى لم يبق منهم إلا اثنا عشر رجلاً فيهم: أبو بكر ، وعمر ، ونزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾].

وأخرج الطبري بسند رجاله رجال الصحيح عن جابر بن عبد الله قال: [كان الجواري إذا نكحوا كانوا يَمْرُونَ بالكبر والمزامير ويتركون النبي ﷺ قائماً على المنبر ، وينفضون إليها ، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾] (2).

وقوله: ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾. فيه دليل أن الإمام يخطب يوم الجمعة قائماً.

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة قال: [كانت للنبي ﷺ حُطْبَتَانِ يجلس بينهما ، يقرأ القرآن ويُدْكَرُ الناس] (3).

وقوله: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾. أي: قل لهم يا محمد: ما عند الله من الثواب وحسن المآب خيرٌ من لذة اللهو وفائدة التجارة ، فتواب انصرافكم إلى

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (936) ، كتاب الجمعة. وكذلك (2058) ، (4899) ، وأخرجه مسلم (863) ح (36) ، (37) ، (38) ، والترمذي (3311) ، وأحمد (313/3).

(2) أخرجه الطبري في «التفسير» - حديث رقم - (34145) ورجال رجال الصحيح ، وكذلك أخرجه أبو عوانة في صحيحه ، وذكره الحافظ في الفتح. وانظر: الصحيح المسند من أسباب النزول - الوادعي - سورة الجمعة ، آية (11).

(3) حديث صحيح. أخرجه مسلم في الصحيح (862) ح (34) من حديث جابر بن سمرة.

الصلاة وسماع العلم وتعظيم معالم الشرع لا يعدله كسب من أرزاق الدنيا.
 وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾. قال ابن كثير: (أي: لمن توكل عليه ، وطلب الرزق
 في وقته). وقال القرطبي: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾ أي خير من رزق وأعطى ، فمنه
 فاطلبوا ، واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خيري الدنيا والآخرة).

تم تفسير سورة الجمعة

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

عصر السبت 26 رمضان 1426 هـ

الموافق 29 / تشرين الأول / 2005 م



دروس ونتائج وأحكام

- 1 - خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أهبط إلى الأرض ، وفيه قبض ، وفيه تقوم الساعة ، وفيه ساعة إجابة .
- 2 - أكثروا الصلاة على نبيكم يوم الجمعة ، فإن صلاتكم معروضة عليه .
- 3 - كان ﷺ يقرأ في صلاة الجمعة بسورتين «الجمعة والمنافقون» .
- 4 - نزول الرسالة في العرب لا ينافي كونها للناس كافة .
- 5 - مثل الذين حملوا التوراة ثم لم ينفذوا أحكامها كمثل الحمار يحمل أسفاراً .
- 6 - لو باهل اليهود رسول الله لرجعوا لا يجدون أهلاً ولا مالاً .
- 7 - من السنة الاغتسال والتبكير للجمعة ، ووجوب ترك البيع والإنصات ، والجمعة إلى الجمعة كفارة للخطايا بينهما .
- 8 - لا ظهر بعد الجمعة ، وحرمة ترك الخطيب ، وصحة الجمعة بالنفر القليل .
- 9 - من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين .
- 10 - يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة ، لا يوجد فيها عبدٌ مسلمٌ يسأل الله عز وجل شيئاً إلا آتاه إياه ، فالتمسوها آخر ساعة بعد صلاة العصر .
- 11 - يوم الجمعة يوم عيد للمسلمين ، وفي الجنة سوق يأتونها يوم الجمعة .
- 12 - البقاء لما عند الله من الأجر خير من اللهو والتجارة .

63

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

وهي سورة مدنية ، وعدد آياتها (11).

أخرج البخاري ومسلم عن زيد بن أرقم قال: [كُنْتُ فِي غَزَاةٍ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي يَقُولُ: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْقُضُوا مِنْ حَوْلِهِ ، وَلَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزَّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعُمَرٍ فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَدَعَانِي فَحَدَّثَنِي ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَأَصْحَابِهِ فَخَلَفُوا مَا قَالُوا ، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَدَّقَهُ ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبنِي مِثْلُهُ قَطُّ ، فَجَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَقَّتَكَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَرَأَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ⁽¹⁾.

موضوع السورة

فضح المنافقين وكشف صفاتهم

- منهاج السورة -

- 1 - فضح المنافقين في كذبهم وكفرهم بالدين ، وضخامة أجسادهم وفصاحة أقوالهم لا تخدع أهل اليقين .

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (4900) ، كتاب التفسير ، وانظر كذلك (4901) ، (4904) ، وأخرجه مسلم (2772) ، والترمذي (3312) ، (3313).

- 2- المنافقون يحسبون كل صيحة عليهم ، وهم العدو الذي يجب الحذر من مكرهم .
- 3- كُشِفُ استكبار المنافقين وزهدهم في مغفرة الله الكريم ، وتقرير الله تعالى أن العزة له ولرسوله وللمؤمنين .
- 4- تحذير المؤمنين من سبيل النفاق والمنافقين ، والأمر بالإنفاق في سبيل الله لإعتاق النفوس من الجحيم .
- 5- لا يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خير بما تعملون .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 4. قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾.

في هذه الآيات: فضح الله تعالى المنافقين ، في شهادتهم وأيمانهم الكاذبة وهم يصدون عن سبيل الله وعن رسوله الكريم ، فلقد آمنوا ثم كفروا فهم لا يفقهون ، ولهم أجساد مستوية وصور مهيبة وفصاحة في القول ولكن قلوبهم خاوية من الإيمان ، ويحسبون كل صيحة عليهم من شدة جبنهم وخوفهم من أهل الإسلام ، إنهم العدو الذي يجب الحذر منه فقاتلهم الله من قوم لئام .

فقوله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ . إخباراً من الله تعالى عن مجيء المنافقين إلى النبي ﷺ يتفوهون بالإسلام ، ويشهدون بالرسالة للنبي عليه الصلاة والسلام ، وليس الأمر كذلك في قلوبهم بل هم قوم منكرون . وقيل: معنى ﴿نَشْهَدُ﴾ نحلف ، والأول أظهر .

وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ . جملة اعتراضية ضرورية للسياق . قال القرطبي: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ كما قالوه بألسنتهم).

وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ . قال ابن كثير: (أي: فيما أخبروا به ، وإن كان مطابقاً للخارج ، لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه ، ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم).

وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ . أي استتروا بالأحلاف الكاذبة ، والإيمان: جمع

يمين. قال مجاهد: (يجتئون بها ، قال: ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا). قال قتادة: ﴿جُنَّةٌ﴾: سترة يستترون بها كما يستتر المستجنّ بجُنَّتِهِ في حرب و قتال ، فيمنعون بها أنفسهم وذرائعهم وأموالهم ، ويدفعون بها عنها).

وقوله: ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾. أي فصدوا الناس عن الإسلام والجهاد ، بالتنفير وإلقاء الشبه والافتداء بهم في تخلفهم. وقيل: صرفوا المؤمنين عن إقامة حكم الله عليهم من القتل والسبي وأخذ الأموال.

وقوله: ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. قال النسفي: (من نفاقهم وصدّهم الناس عن سبيل الله ، وفي ﴿سَاءَ﴾ معنى التعجب الذي هو تعظيم أمرهم عند السامعين).

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾. أي: أقروا باللسان ثم كفروا بالقلب. وفيه إثبات أن الذي استقر عليه أمر المنافقين هو الكفر. ولذلك قال بعدها ﴿فَطُيْعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: أي ختم عليها بالكفر. قال قتادة: (أقروا بلا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ ، وقلوبهم منكرا تأبى ذلك).

وقوله: ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾. أي: الحق من الباطل ، والمعروف من المنكر ، لطبع الله على قلوبهم وإفقالها. قال القاسمي: ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أي حقيقة الإيمان ، وحمكة الرسالة والدين).

وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾. أي: وإذا نظرت - يا محمد - إلى هؤلاء المنافقين لأعجبتك أجسامهم لاستواء خلقها وحسن صورتها.

وقوله: ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾. أي: كانوا ذوي فصاحة وبلاغة ، فلو سمعهم السامع لأصغى إلى حديثهم لبلاغة ألسنتهم. قال ابن عباس: (كان عبد الله بن أبي سيماء جسيماً صحيحاً صبيحاً ذليق اللسان ، فإذا قال سمع النبي ﷺ مقالته. وصفه الله بتمام الصورة وحسن الإبانة).

وقوله: ﴿كَانَتْهُمْ حُشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾. قال النسفي: (إلى الحائط ، شُبَّهوا في استنادهم - وماهم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير - بالخشب المسندة إلى الحائط ، لأن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع ، وما دام متروكاً غير منتفع به أسند إلى الحائط ، فشبهوا به في عدم الانتفاع ، أو لأنهم أشباح بلا أرواح ، وأجسام بلا أحلام).

قال سيبويه: (خَشْبَةٌ وَخُشْبٌ ، مثل بَدَنَةٌ وَبَدَنٌ). و﴿مُسْنَدَةٌ﴾ للتكثير ، لكثرة استنادهم إلى الأيمان الكاذبة لحقن دمائهم .

وقوله: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ . أي يظنون كلما وقع أمر أو حدث أو خوف أنه نازل بهم . قال القرطبي: (يحسبون كل صيحة عليهم أنه قد فُطِنَ بهم وَعُلِمَ بنفاقهم ، لأنَّ للريبة خوفاً). وقال ابن جرير: (يقول جل ثناؤه: يحسب هؤلاء المنافقون من خبثهم وسوء ظنهم وقلة يقينهم ، كل صيحة عليهم ، لأنهم على وجل أن يُنزل الله فيهم أمراً يهتك به أستارهم ويفضحهم ، ويبيح للمؤمنين قتلهم وسبي ذراريهم ، وأخذ أموالهم).

وفي التنزيل نحو ذلك ، قال تعالى: ﴿أَشْحَثَ عَلَيْكُمْ إِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَقْرَعُونَ إِلَيْكَ تَدْوِيرًا أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى مِنَ الْمَوْتِ إِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُواكُمْ بِالْسِّنَةِ حَدَادًا أَشْحَثَ عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: 19].

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ قال: [مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ⁽¹⁾ بَيْنَ الْغَنَمِينَ ، تَعْبُرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً ، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً⁽²⁾].

وقوله: ﴿هُمُّرٌ أَلْعَدُوُّ فَأَحْذَرُهُمْ﴾ . إثبات عداوتهم ووجوب الحذر منهم . وذلك من وجهين: الأول: الحذر من الميل إلى كلامهم أو تصديقهم أو الثقة بأقوالهم . الثاني: الحذر من تخذيلهم المؤمنين أو قيامهم عيوناً للكافرين يتجسسون على أعراض المسلمين ومخططاتهم ومناهجهم وتحركاتهم .

وقوله: ﴿فَتَنَلَّهُمُ اللَّهُ﴾ . كلمة ذم وتوبيخ . قال ابن عباس: (أي لعنهم الله). وقيل: بل المعنى أخزاهم الله . قال النسفي: ﴿فَتَنَلَّهُمُ اللَّهُ﴾ دعاء عليهم ، أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك).

وقوله: ﴿أَفَنُفْكَوْنَ﴾ . أي: كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال ، وكيف يعدلون عن الحق إلى الجهل والمكر .

(1) العائرة: المترددة ، الحائرة لا تدري أيهما تتبع وكيف تتوجه ، ومعنى تعبر أي تتردد وتذهب .

(2) حديث صحيح . أخرجه مسلم في الصحيح - حديث رقم - (2784) ، كتاب صفة المنافقين وأحكامهم . وفي رواية للحديث: «تَكْرُرُ فِي هَذِهِ مَرَّةً ، وَفِي هَذِهِ مَرَّةً» .

5 - 8. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۖ﴾ هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا نُفِيقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا ۖ وَاللَّهُ خَرَّائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۖ يَقُولُونَ لِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۖ﴾.

في هذه الآيات: كُشِفَ استكبار المنافقين وزهدهم في نيل المغفرة وتوَعَّدَ الله لهم الحرمان من المغفرة والخذلان. وتقرير الله تعالى أن العزة له ولرسوله وللمؤمنين وأن الذلة على القوم المنافقين للثام.

فقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُءُوسَهُمْ﴾. قال ابن جرير: (يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: تعالوا إلى رسول الله ﷺ يستغفر لكم ﴿لَوَّأُ رُءُوسَهُمْ﴾ يقول: حرّكها وهزّوها استهزاء برسول الله ﷺ وباستغفاره).

وقوله: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾. قال القرطبي: (أي يعرضون عن الرسول متكبرين عن الإيمان).

وقوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾.

قال النسفي: (أي ماداموا على النفاق. والمعنى: سواء عليهم الاستغفار وعدمه لأنهم لا يلتفتون إليه ولا يعتدون به لكفرهم، أو لأن الله لا يغفر لهم).

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. أي إن الله لا يوفق ولا يصلح من سبق في علم الله أنه سيموت فاسقاً.

وقوله: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا نُفِيقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾. أي: حتى ينفرقوا عنه. قال ابن عباس: (لا تطعموا محمداً وأصحابه حتى تصيبهم مجاعة، فيتركوا نبيهم) - وهو قول عبد الله بن أبي المنافق لأصحابه -.

أخرج الترمذي وأحمد وابن جرير بسند صحيح عن الحكم قال: سمعت محمد بن كعب القرظي قال: سمعت زيد بن أرقم رضي الله قال: [لما قال عبد الله بن أبي: ﴿لَا

تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وقال أيضاً: ﴿لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ ، أخبرت به النبي ﷺ فلأمني الأنصار ، وحلف عبد الله بن أبي ما قال ذلك ، فرجعت إلى المنزل فمنت فدعاني رسول الله ﷺ فأتيته ، فقال: إن الله قد صدقك ، ونزل بهم: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا﴾ الآية⁽¹⁾.

وقد جاء في رواية أخرى عند الترمذي تفصيل كامل الحدث - من حديث زيد بن أرقم قال: [غزونا مع رسول الله ﷺ ، وكان معنا أناس من الأعراب ، فكنا نبتدر الماء ، وكان الأعراب يسبقونا إليه ، فسبق أعرابي أصحابه ، فسبق الأعرابي فيملاً الحوض ويجعل حوله حجارة ، ويجعل النطع عليه ، حتى يجيء أصحابه ، قال: فأتى رجل من الأنصار أعرابياً فأرخی زمام ناقته لتشرب فأبى أن يدعه ، فانترع قباض الماء فرفع الأعرابي خشبة ، فضرب بها رأس الأنصاري فشجّه. فأتى عبد الله بن أبي - رأس المنافقين - فأخبره ، وكان من أصحابه. فغضب عبد الله بن أبي ثم قال: لا تنفقوا على من عند رسول الله ، حتى ينفضوا من حوله - يعني الأعراب - وكانوا يحضرون رسول الله ﷺ عند الطعام.

فقال عبد الله: إذا انفضوا من عند محمد ، فأتوا محمداً بالطعام ، فليأكل هو ومن عنده.

ثم قال لأصحابه: لئن رجعنا إلى المدينة فليخرج الأعزُّ منكم الأذل. قال زيد: وأنا ردف رسول الله ﷺ فسمعت عبد الله بن أبي فأخبرت عمي ، فانطلق فأخبر رسول الله ﷺ ، فأرسل إليه رسول الله ﷺ فحلف وجحد ، قال: فصدقه رسول الله ﷺ وكذبني ، قال: فجاء عمي إلي فقال: ما أردت إلى أن مقتك رسول الله ﷺ وكذبك والمسلمون ، قال: فوقع علي من الهمّ ما لم يقع على أحد ، قال: فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفر قد خفقت برأسي من الهم ، إذ أتاني رسول الله ﷺ فعرك أذني وضحك في وجهي ، فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا.

ثم إن أبا بكر لحقني فقال: ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قلت: ما قال لي شيئاً ، إلا أنه عرك أذني وضحك في وجهي. فقال: أبشّر. ثم لحقني عمر ، فقلت له مثل قلبي

(1) حسن صحيح. أخرجه الترمذي في الجامع - حديث رقم - (3312) - كتاب التفسير ، ورواه أحمد في المسند (4/ 369 - 373). ورواه ابن جرير. وانظر صحيح سنن الترمذي عقب الحديث (2640) ، وكذلك صحيح البخاري (4902).

لأبي بكر ، فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين [1].

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. ردُّ من الله على المنافقين ، أنَّ بيده تعالى مفاتيح خزائن السماوات والأرض ، فهو ينفق كيف يشاء ، ولا يقدر أحد أن يعطي أحداً شيئاً إلا بمشيئته .

وقوله: ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ - أنَّ الأمر كذلك ، وأنه إذا أراد شيئاً يَسْرَهُ .

وقوله: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ﴾ .

أخرج البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: [كُنَّا فِي غَزَاةٍ ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ - أَي ضربه برجله - ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ. وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ. فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: مَا بَالُ دَعْوَى جَاهِلِيَّةٍ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ. فَقَالَ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي فَقَالَ: فَعَلُوهَا؟ أَمَا وَاللَّهِ لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ. فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: دَعِهِ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ. وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ أَكْثَرَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حِينَ قَدَمُوا الْمَدِينَةَ ، ثُمَّ إِنَّ الْمُهَاجِرِينَ كَثُرُوا بَعْدَ] (2).

ورواه الترمذي وفيه زيادة: [وقال غير عمر: فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله: والله لا تنقلب حتى تُقَرَّ أَنَّكَ الذليل ، ورسول الله ﷺ العزيز ففعل] (3).

ورواه ابن إسحاق ، وفيه: (فقال عمر: مُرُّ بِهِ عَبَادَ بْنَ بَشْرٍ فَلْيَقْتُلْهُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَكَيْفَ يَا عُمَرُ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ! لَا ، وَلَكِنْ أَدِّنْ بِالرَّحِيلِ ، وَذَلِكَ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْتَحِلُ فِيهَا ، فَارْتَحِلْ النَّاسُ. قَالَ: فَلَمَّا اسْتَقْلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَارَ ، لَقِيَهِ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ ، فَحَيَّاهُ بِتَحِيَّةِ النَّبُوَّةِ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، وَاللَّهِ لَقَدْ رُحِّتَ فِي سَاعَةٍ مُنْكَرَةٍ ، مَا كُنْتُ تَرُوحُ فِي مِثْلِهَا ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوْ مَا بَلَغَكَ مَا قَالَ صَاحِبُكُمْ؟ قَالَ: وَأَيُّ صَاحِبٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

(1) صحيح الإسناد. أخرجه الترمذي في «التفسير» - سورة المنافقين. انظر صحيح الترمذي (2640).

(2) حديث صحيح. أخرجه البخاري في الصحيح - حديث رقم - (4905) - كتاب التفسير. وأخرجه مسلم في الصحيح (2584) - كتاب البر والأداب والصلة.

(3) حديث صحيح. انظر صحيح سنن الترمذي (2641)، كتاب التفسير ، سورة المنافقين.

قال: عبد الله بن أبي. قال: وما قال؟ قال: زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليُخرجن الأعرز منها الأذل. قال: فأنت يا رسول الله والله تُخرجها منها إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ، ثم قال: يا رسول الله ، ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإن قومهُ لَيَنْظُمُونَ له الخرزَ ليتّوجوه ، فإنه ليرى أنك قد استلبته مُلكاً.

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مسّ الأرض فوقعوا نياماً ، وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي⁽¹⁾.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. أي: والله ﴿الْعِزَّةُ﴾ يعني الشدة والقوة ، وكذلك لرسوله وللمؤمنين بالله ، ولكن المنافقين لا يعلمون ذلك.

9- 11. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءُمُورُكُمْ وَلَا ءَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾.

في هذه الآيات: تحذيرُ الله تعالى المؤمنين من سبيل النفاق والمنافقين ، والأمر بالإنفاق في سبيل الله لإعتاق النفوس من الجحيم ، ولا يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله بكل شيء عليم.

فعن الضحاك: (قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءُمُورُكُمْ وَلَا ءَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ قال: (الصلوات الخمس). وقيل: ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي عن الحج والزكاة. وقيل: عن قراءة القرآن. وقيل: عن إدامة الذكر. وقال الحسن: (جميع الفرائض ، كأنه قال عن طاعة الله). وهذا القول يشمل جميع ما قبله.

(1) انظر سيرة ابن هشام (290/2 - 292) وهو حديث رجاله ثقات لكنه مرسل ، وله شاهد مرسل جيد من طريق عروة عند ابن أبي حاتم ، فيكون حسناً لغيره مع أصله الذي مضى في الصحيحين. انظر كتابي: السيرة النبوية على منهج الوحيين (2/847).

وقوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ﴾. قال ابن جرير: (ومن يلهه ماله وأولاده عن ذكر الله ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ﴾ يقول: هم المغبونون حظوظهم من كرامة الله ورحمته تبارك وتعالى).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. قال الضحاك، عن ابن عباس قال: (ما يمنع أحدكم إذا كان له مال يجب عليه فيه الزكاة أن يزكي، وإذا أطاق الحج أن يحج من قبل أن يأتيه الموت، فيسأل ربه الكثرة فلا يعطاها، فقال رجل: أما تتقي الله، يسأل المؤمن الكثرة؟ قال: نعم، أقرأ عليكم قرآناً، فقراً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ فقال الرجل: فما الذي يوجب عليّ الحج؟ قال: راحلة تحمله، ونفقة تبلغه).

وعن سفيان: (قوله: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: الزكاة والحج).

قلت: والآية عامة في الحث على الإنفاق في الطاعات، فكل مُفَرِّط يندم عند الاحتضار، ويسأل الزيادة في العمر ويتمنى الرجعة ليستعقب مما فات، ويتدارك نفسه قبل أن يصير في الأموات، ولكن هيهات هيهات، فقد كان ما كان وأتى ما هوأت.

قال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي، حدثنا المغيرة، حدثنا حريز بن عثمان، عن نعيم بن نَمْحَةَ قال: كان في خطبة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -: (أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم. فمن استطاع أن يقضي الأجل وهو في عمل الله - عز وجل - ليفعل، ولن تنالوا ذلك إلا بالله عز وجل، إن قوماً جعلوا آجالهم لغيرهم فنهاكم الله أن تكونوا أمثالهم: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الحشر: 19]، أين من تعرفون من إخوانكم؟ قدموا على ما قدموا في أيام سلفهم، وخلّوا بالشقوة والسعادة، أين الجبارون الأولون الذي بنوا المدائن وحققوها بالحوادث؟ قد صاروا تحت الصخر والآبار. هذا كتاب الله لا تنفى عجائبه فاستضيئوا منه ليوم ظلمة، واستنصحووا كتابه وتبيناه، إن الله أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: ﴿كَانُوا يُسِرُّونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَدِيعِينَ﴾ [الأنبياء: 90]، لا خير في قول لا يُراد به وجهه الله، ولا خير في مالٍ

لَا يُفَقُّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ يَغْلِبُ جَهْلُهُ حِلْمَهُ ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ⁽¹⁾ .

وأما الكفار ، فإنهم يرجون الرجعة إلى الدنيا عند الاحتضار ، ليؤمنوا بالله ويصدقوا الرسل ويعملوا بعمل الأبرار . قال تعالى : ﴿ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُحِبِّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾ [إبراهيم : 44] .

وقال تعالى : ﴿ حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : 99 - 100] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

قال ابن جرير : (لن يؤخر الله في أجل أحد فيمد له فيه إذا حضر أجله ، ولكن يخترمه ﴿ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ يقول : والله ذو خبرة وعلم بأعمال عبيده هو بجميعها محيط ، لا يخفى عليه شيء ، وهو مجازيهم بها ، المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته) .

تم تفسير سورة «المنافقون»

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

عصر الثلاثاء 29 رمضان 1426 هـ

الموافق 1 / تشرين الثاني / 2005 م



(1) إسناده جيد . ورجاله كلهم ثقات ، ولهذه الخطبة شواهد . وقد ذكرها الحافظ ابن كثير في «التفسير» - سورة الحشر ، آية (19) ، وقال : هذا إسناده جيد .

دروس ونتائج وأحكام

- 1- المنافقون يقولون نقيض ما يوقنون ، فكذبهم الله تعالى وفضحهم في قرآن مبين .
- 2- أضلّ الله تعالى المنافقين ، وفتنهم بأشكال وفصاحة وأجسام لا تنفعهم يوم الدين .
- 3- قام ابن سلول ينافق في المسجد فأسكته الصحابة فترك الجمعة .
- 4- الدعوات إلى غير منهج الإسلام دعوات باطلة منتنة جاهلية .
- 5- مثل المنافق كمثّل الشاة العائرة بين الغنمين ، تعيرُ إلى هذه مرة ، وإلى هذه مرّة .
- 6- تألق ابن عبد الله بن أبي في موقفه من أبيه اللّثيم ، فقد أعطى صورة المفاصلة الرائعة لهذا الدين .
- 7- العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، والخزي والذل والهوان على المنافقين .
- 8- لا تؤجل نفس حلّ أجلها ، ولا رجعة للدنيا بعد الموت .



64



وهي سورة مدنية في قول الأكثرين . وقال الضحاك : مكية . وقال الكلبي : هي مكية ومدنية . وعدد آياتها (18) . وهي آخر المُسَبَّحات .

موضوع السورة

فتنة الكفار والأزواج والأولاد والأموال
وأهوال يوم التغابن الشديد الأحوال

- منهاج السورة -

- 1 - اشتراك جميع الكائنات بالتسبيح لله الملك القوي الحميد .
- 2 - الخلق كله لله مؤمنهم وكافرهم ، وهو العليم بدقائق أعمالهم .
- 3 - أحسن الله تعالى كل شيء خلقه ، وعلم أفعال العباد وسرائرهم وما يعلنون .
- 4 - تذكير الله تعالى عباده خبر من كفر من الأمم ونزول انتقامه بهم الأليم ، وهذا جزاء البغي والكبر ومعاندة الوحي والمرسلين .
- 5 - استبعاد الكفار البعث والحساب ، وتأکید الله تعالى الجزاء والعقاب .
- 6 - دعوة الله عباده الصديق في الإيمان ، والاستعداد ليوم الشدة والزحام .
- 7 - المؤمنون خالدون في جنات النعيم ، والكفار مخلدون في نار الجحيم .

- 8- إثبات حدوث المصائب بأمر الله العظيم ، وإثبات أمر الهداية من الله للمؤمنين .
- 9- الأمر بطاعة الله ورسوله الكريم ، وحسن التوكل على الله العظيم .
- 10 - تنبيه الله عباده المؤمنين لفتنة الأزواج والأولاد والأموال ، والحث على التقوى والسمع والطاعة والبذل وحسن الأقوال والأعمال .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 4. قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِرَ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ .

في هذه الآيات: تسبيح جميع الكائنات لله الملك القوي الحميد ، الذي خلق الخلق وَعَلِمَ الإيمان والكفر وهو العليم البصير ، وصَوَّرَ العباد فأحسن التصوير وإليه المصير ، وتفرد بعلم الغيب وهو عليم بذات الصدور .

فقوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ . إِيخْبَارٌ من الله تعالى أن جميع ما في السماوات وما في الأرض من شيء يسبح له ويمجده ويقدسه ، ويصلي له ويوحده ، كقوله جل ذكره: ﴿سُبِّحَ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: 44] .

وقوله: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ . أي: هو المتصرف في جميع الكائنات ، وسلطانه ماض وقضاؤه نافذ في جميع المخلوقات ، وهو المحمود على جميع ما يخلقه ويُقَدِّره .

وقوله: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ . أي: ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وكل أمر أراد فلا مانع له ولا مدافع .

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِرَ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ . قال ابن عباس: (إن الله خلق بني آدم مؤمناً وكافراً ، ويعيدهم في يوم القيامة مؤمناً وكافراً) . وقال الزجاج: (إن الله

خلق الكافر ، وكَفَرُهُ فِعْلٌ له وكسب ، مع أن الله خالق الكفر . وخلق المؤمن ، وإيمانه فِعْلٌ له وكسب ، مع أن الله خالق الإيمان .

وفي التنزيل نحو ذلك :

1 - قال تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ [الأنعام : 53] .

2 - وقال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۚ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۚ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا ۚ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۚ ﴾ [الشمس : 7 - 10] .

ومن صحيح السنة العطرة في آفاق هذه الآية أحاديث :

الحديث الأول : أخرج الطبراني بسند حسن عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً : [خلق الله يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمناً ، وخلق فرعون في بطن أمه كافراً] ⁽¹⁾ .

الحديث الثاني : أخرج أحمد في المسند ، وابن سعد في «الطبقات» بسند صحيح عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي - وكان من أصحاب النبي ﷺ - مرفوعاً : [إن الله عزَّ وجل خلق آدم ، ثم أخذ الخلق من ظهره ، وقال : هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي ، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي . فقال قائل : يا رسول الله فعلى ماذا نعمل ؟ قال : على مواقع القدر] ⁽²⁾ .

وله شاهد في المسند وزوائد المسند بإسناد صحيح عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال : [خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى ، فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الدر ، وضرب كتفه اليسرى ، فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم ، فقال للذي في يمينه : إلى الجنة ولا أبالي ، وقال للذي في كتفه اليسرى : إلى النار ولا أبالي] ⁽³⁾ .

الحديث الثالث : أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعاً : [إن أحدكم أو الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو باع ، فَيَسْقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ

(1) حديث حسن . أخرجه الطبراني (10543) ، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (190/2) ، واللالكائي في «السنة» (130/1 - 2) . وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (1831) .

(2) حديث صحيح . أخرجه أحمد (186/4) ، وابن سعد (30/1) ، وابن حبان (1806) ، وغيرهم .

(3) رواه أحمد وابنه في زوائد «المسند» (441/6) ، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ج 15/136/1) ، وإسناده صحيح . وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (49) .

الجنة حتى ما يكونُ بينه وبينها غيرُ ذراعٍ أو ذراعين ، فَيَسْبِقُ عليه الكتابُ فيعملُ بعملِ أهل النار فيدخلُها⁽¹⁾.

الحديث الرابع: أخرج الشيخان وابن حبان من حديث سهل بن سعد مرفوعاً: [إنَّ الرجلَ ليعْمَلُ عملَ أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإنَّ الرجلَ ليعْمَلُ عملَ أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة]⁽²⁾.

والمقصود: تعلق علم الله الأزلي بكل معلوم ، فيجري ما علم وما أراد وما حكم .
وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ . أي: والله الذي خلقكم بصير بأعمالكم ، فاحذروا غضبه وما يعقب مخالفة أمره ونهيه .

وقوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ . قال ابن جرير: (يقول تعالى ذكره: خلق السماوات السبع والأرض بالعدل والإنصاف). وقال ابن كثير: ﴿بِالْحَقِّ﴾: بالعدل والحكمة).

وقوله: ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ . قال ابن عباس: (يعني آدم خلقه بيده).

قلت: بل الآية تعم جميع الخلائق ، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4]. قال النسفي: ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ أي جعلكم أحسن الحيوان كله وأبهاه).

وقوله: ﴿وَالَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ . أي: المرجع ، فيجازي كلًّا بعمله ، فأحسنوا سرائركم وأعمالكم كما أحسن الله صوركم .

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ . قال الزمخشري: (نبه بعلمه ما في السماوات والأرض ، ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلنونه ، ثم بعلمه ذوات الصدور ، أن شيئاً من الكليات والجزئيات غير خاف عليه ، ولا عازب عنه ، فحقه أن يتقى ويحذر ، ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه . وتكرير العلم ، في معنى تكرير الوعيد . وكل ما ذكره بعد قوله تعالى: ﴿فَنَكُفُّكُمْ﴾

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري (6594) - كتاب القدر . ورواه مسلم (2643) ، وأبو داود (4708) ، والترمذي (2137) ، وابن ماجه (76) ، وأحمد (414/1) .

(2) حديث صحيح . أخرجه البخاري (2898) ، (6493) ، ومسلم (112) ، وابن حبان (6175) ، والبيهقي في الدلائل (4/252) ، وأحمد (5/331) .

كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴿٥﴾ كما ترى ، في معنى الوعيد على الكفر ، وإنكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته).

5 - 6. قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْنِيهِمْ رُسُلَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾.

في هذه الآيات: تذكير الله تعالى عباده خَبَرَ من كفر من قبل ونزل بهم العذاب الأليم ، ذلك بسبب البغي والكبر ومعاندة الوحي والمرسلين .

فقوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ﴾. قال القرطبي: (الخطاب لقريش. أي: ألم يأتكم خبر كفار الأمم الماضية. ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ﴾ أي عوقبوا. ﴿وَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ أي موجع).

وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْنِيهِمْ رُسُلَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾. أي: هذا العذاب الذي نزل بتلك الأمم بسبب كفرهم برسولهم وقد جاؤهم بالآيات الباهرات والدلائل القاطعات على النبوة ، فأنكروا أن يكون الرسول من البشر كبراً وعلواً. قال النسفي: (أنكروا الرسالة للبشر ولم ينكروا العبادة للحجر).

وقوله: ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا﴾. أي: كفروا بالرسول وأعرضوا عن الإيمان ، وتولوا عن صحيح الدليل والبرهان .

وقوله: ﴿وَاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾. قال مقاتل: (أي بسلطانه عن طاعة عباده). وقيل: استغنى الله بما أظهره لهم من البرهان وأوضحه لهم من البيان ، عن زيادة تدعو إلى الرشد وتقود إلى الهداية .

وقوله: ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾. قال ابن جرير: (يقول: والله غني عن جميع خلقه ، محمود عند جميعهم بجميل أياديه عندهم ، وكريم فعاله فيهم).

7 - 10. قوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِبَغْيِهِمْ رَبِّي لَبِيعَثٌ لِّمَنْ لَّبِثُوا بِمَا عَمِلُوا وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

خَيْرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ .

في هذه الآيات: استبعاد الكفار البعث والحساب ، وتأكيده الله تعالى الجزاء والعقاب ، ودعوة الله عباده إلى الصدق في الإيمان ، والاستعداد ليوم الشدة والرحام ، فالمؤمنون في جنات النعيم ، والكفار مخلدون في الجحيم .

فقوله: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْذَبُوا ﴾ . أي ظنوا أنهم لا يبعثون بعد موتهم . قال القرطبي: (والزعم هو القول بالظن). وقال شريح: (لكل شيء كنية ، وكنية الكذب زعموا).

وقوله: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾ . أي: قل يا محمد لهؤلاء المنكرين للبعث بعد الموت: بلى وربِّي لتخرجن من قبوركم أحياء ، ثم لتخبرن بما أسلفتم من أعمال أيام دنياكم .

وقوله: ﴿ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ . أي: وبعثكم ومجازاتكم هين على الله تعالى . وهذه ثالث آية أمر الله رسوله ﷺ أن يقسم بربه عز وجل على وقوع المعاد تأكيداً لذلك ، وتشديداً في لهجة الإثبات أمام زعم المشركين . وهذه الآيات:

1 - قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَعْثِقُونَكَ أَهَقُ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ [يونس: 53] .

2 - وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ [سبأ: 3] .

3 - وقال تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْذَبُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: 7] .

وقوله: ﴿ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ . أمرهم بالإيمان بالله تعالى ورسوله محمد ﷺ بعد أن عرفهم قيام الساعة وهددهم موقف العرض والحساب .

وقوله: ﴿وَالنُّورَ الَّذِي أُنْزِلْنَا﴾. يعني القرآن. فهو نور يهدي به الله قلوب العباد ، وهو نور يهتدى به من ظلمة الضلال إلى سبيل النجاة والرشاد.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. أي: فلا تخفى عليه سرائركم وعلا نيتكم.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾. قال ابن كثير: (وهو يومُ القيامة ، سُمِّيَ بذلك لأنه يُجْمَعُ فيه الأولون والآخرون في صعيد واحد ، يُسْمِعُهُم الداعي وينفذهم البصر ، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمَ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمَ مَسْهُودٌ﴾ [هود: 103]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿١٥١﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: 49 - 50]).

وقوله: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ﴾. قال ابن عباس: (هو اسم من أسماء يوم القيامة ، عظمه وحذره عباده). وقال قتادة: (﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ هو يوم القيامة ، وهو يوم التغابن: يوم غبن أهل الجنة أهل النار). وقال مقاتل: (لا غَبْنَ أعظم من أن يدخل هؤلاء إلى الجنة ويذهب بأولئك إلى النار).

قلت: والتغابن في لغة العرب يحمل معنى الذهول ، فأهل الجنة يذهلون يوم القيامة من حال أهل النار الذي صاروا إليه ، فإطلاق اسم ﴿التَّغَابُنِ﴾ على يوم القيامة هو من باب التهويل والتحذير من أهوال ذلك اليوم.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. أي: ومن يصدق الله بالإيمان والعمل يمح عنه ذنوبه ويدخله بساتين الخلود تجري من تحت أشجارها وغرفها الأنهار وذلك هو الظفر العظيم.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾. أي: والذين جحدوا توحيد الله وإفراده بالتعظيم ، وكذبوا بكتابه ورسوله أولئك أهل النار يمكنون فيها ولا يخرجون منها ، فبئس المستقر وساء المنقلب والمآل والقرار.

11 - 13. قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا

عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْعُ الْمُمِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ .

في هذه الآيات: إثبات حدوث المصائب بأمر الله ، وإثبات أمر الهداية للمؤمنين والتوفيق بإذن الله ، والأمر بطاعة الله ورسوله والتوكل على الله .

فقوله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ . قال ابن عباس: (بأمر الله ، يعني عن قدره ومشئته) . وقال القرطبي: ﴿ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ أي بإرادته وقضائه) .

وقوله: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ﴾ . قال ابن عباس: (يعني: يهد قلبه لليقين ، فيعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه) . وعن الأعمش ، عن أبي ظبيان قال: كنا عند علقمة ، فقرأ عنده هذه الآية: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ﴾ فُسئل عن ذلك فقال: (هو الرجل تصيبه المصيبة ، فيعلم أنها من عند الله ، فيسلم ذلك ويرضى) - رواه ابن جرير .

وقال سعيد بن جببر: ﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ﴾ ، يعني: يسترجع ، يقول: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة: 156] .

والمقصود: من نزلت به مصيبة فصبّر واسترجع طمأن الله قلبه وعوضه خيراً منها . كما قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: 155 - 157] .

ومن كنوز السنة العطرة في آفاق هذه الآية أحاديث:

الحديث الأول: روى مسلم في صحيحه ، وأحمد في مسنده عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها] . قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة ، أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ؟ ثم إني قلتها ، فأخلف الله لي رسول الله ﷺ [1] .

الحديث الثاني: أخرج الدارمي وأحمد بسند صحيح عن صهيب قال: [بينما

(1) حديث صحيح . رواه مسلم (37/3) ، وأحمد (309/6) ، والبيهقي (4/65) .

رسول الله ﷺ قاعد مع أصحابه إذ ضحك ، فقال : ألا تسألوني مم أضحك؟ قالوا : يا رسول الله ! ومم تضحك؟ قال : عجبت لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، إن أصابه ما يحب حمد الله وكان له خير ، وإن أصابه ما يكره فصبر كان له خير ، وليس كل أحد أمره كله خير إلا المؤمن⁽¹⁾ .

الحديث الثالث : أخرج الطيالسي والبيهقي بسند صحيح عن سعد مرفوعاً : [عجبت للمسلم إذا أصابته مصيبة احتسب وصبر ، وإذا أصابه خير حمد الله وشكر ، إن المسلم يؤجر في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى فيه]⁽²⁾ .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ . أي : والله قد أحاط بكل شيء علماً ، بما كان ويكون وما هو كائن من قبل أن يكون ، وما لن يكون ولكن لو قدر وكان كيف يكون .

وقوله : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ . أُمِرُ بتعظيم الوحيين : القرآن والسنة المطهرة ، فإن في طاعة الله ورسوله النجاة والسعادة في الدارين .

وقوله : ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴾ . أي : فإن أعرضتم وأدبرتم عن طاعة الله وطاعة رسوله مستكبرين فإن واجب الرسول البلاغ ، والله سبحانه ولي الانتقام ممن عصاه ، وخالف أمره وركب هواه . قال الزهري : (من الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلىنا التسليم) .

وقوله : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ . أوله خبر عن التوحيد يفيد الطلب ، والتقدير : أفردوا الله تعالى بالعبادة والتعظيم ، وأحسنوا التوكل عليه فإنه هو ولي المؤمنين .

14 - 18 . قوله تعالى : ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن مِّنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ

عَدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعَفَّوْاْ وَتَصَفَّحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾
إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ

(1) أخرجه الدارمي (2/ 318) ، وأحمد (6/ 16) وسنده صحيح على شرط الإمام مسلم . وبنحوه روى مسلم في الصحيح (8/ 227) ، وله شواهد كثيرة .

(2) حديث صحيح . أخرجه الطيالسي (211) ، والبيهقي بسند صحيح . وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (147) ، وصحيح الجامع الصغير (3881) .

وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ تَقْرَضُوا أَلَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَأَلَّهٌ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ .

في هذه الآيات: تنبيه الله تعالى عباده المؤمنين إلى فتنة الأزواج والأولاد والأموال وما قد يشغل عن ذكره والجهد في سبيله ، والحث على التقوى والسمع والطاعة والإنفاق في سبيل الله لنصرة دينه .

فقلوه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِبْرَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ . تنبيه المؤمنين إلى مواطن من العداوة تصد عن طاعة الله وتلهي عن ذكر الله . فإن من الأزواج أزواجاً يعادين بعولتهن ويُبْطِئُنه عن العمل الصالح ، وربما حَمَلْنَهُم على بعض الأعمال المنكرات ، وكذلك فإن نحو هذه العداوة قد يتسبب بها الأولاد .

أخرج الترمذي بسند حسن عن ابن عباس ، وسأله رجل عن هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِبْرَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ . قال: [هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة ، وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوه ، أن يأتوا رسول الله ، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا في الدين هموا أن يعاقبوه ، فأنزل الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِبْرَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ الآية⁽¹⁾ . وفي رواية ابن أبي حاتم: (فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَلِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ أَلَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾) .

وعن مجاهد: (﴿إِبْرَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾ قال: يحمل الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه فلا يستطيع الرجل مع حُبِّه إلا أن يطيعه) . وقال ابن زيد: (﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾: يعني على دينكم) .

وفي التنزيل نحو ذلك:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ أَلَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: 9] .

(1) حسن صحيح . أخرجه الترمذي في السنن (3317) - كتاب التفسير - سورة التغابن . وانظر صحيح الترمذي (2642) . ورواه الطبري (34198) . ورواه الحاكم وابن أبي حاتم .

ومن كنوز السنة الصحيحة في ذلك أحاديث :

الحديث الأول: أخرج ابن ماجة بسند صحيح عن يعلى العامري أنه قال: جاء الحسن والحسين يسعيان إلى النبي ﷺ فضمهما إليه وقال: [إن الولد مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ] (1).

الحديث الثاني: أخرج الحاكم بسند صحيح من حديث الأسود بن خلف مرفوعاً: [إنَّ الولدَ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ مَجْهَلَةٌ مُحْزَنَةٌ] (2).

الحديث الثالث: أخرج أبو يعلى والبخاري بسند صحيح في الشواهد عن أبي سعيد مرفوعاً: [الولدُ ثمرة القلب ، وإنه مَجْبَنَةٌ ، مَبْخَلَةٌ ، مُحْزَنَةٌ] (3).

وقوله: ﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

قال النسفي: ﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا﴾ عنهم إذا اطلعت منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها ﴿وَتَصَفَّحُوا﴾ تعرضوا عن التوبيخ ﴿وَتَغْفِرُوا﴾ تستروا ذنوبهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم سيئاتكم).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

قال قتادة: ﴿فِتْنَةٌ﴾ يقول: بلاء ، ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وهي الجنة).

وفي التنزيل: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْأَفْئِذَةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ﴾ [آل عمران: 14].

وفي سنن أبي داود وابن ماجة بسند صحيح عن عبد الله بن بريدة ، أن أباه حدثه قال: [رأيت رسول الله ﷺ يخطب ، فأقبل حسن وحسين عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان ، فنزل النبي ﷺ فأخذهما فوضعهما في حجره ، فقال: صدق الله ورسوله ، ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾. رأيت هذين فلم أصبر ، ثم أخذ في خطبته] (4).

(1) حديث صحيح . أخرجه ابن ماجة (3666) - كتاب الأدب . انظر صحيح ابن ماجة (2957).

(2) حديث صحيح . أخرجه الحاكم من حديث الأسود بن خلف . والطبراني من حديث خولة بن حكيم . انظر تخريج المشكاة (4691 - 4692) ، وصحيح الجامع (1986).

(3) صحيح لغيره . أخرجه البخاري (1892) ، وأبو يعلى (1032) ، وانظر صحيح الجامع (7037).

(4) حديث صحيح . أخرجه أبو داود (1109) ، وابن ماجة (3600) ، والترمذي (3774) ، وأحمد (354/5) ، والحاكم (354/4) ، وابن حبان (6039).

وأخرج الإمام أحمد بسند حسن في الشواهد عن الشعبي قال: [حَدَّثَنَا الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَفْدٍ كِنْدَةَ ، فَقَالَ لِي: هَلْ لَكَ مِنْ وَلَدٍ؟ قُلْتُ: غُلَامٌ وُلِدَ لِي فِي مَخْرَجِي إِلَيْكَ مِنْ ابْنَةِ حَمْدَ ، وَلَوَدِدْتُ أَنْ بِمَكَانِهِ شَبَعَ الْقَوْمِ. قَالَ: لَا تَقُولَنَّ ذَلِكَ ، فَإِنْ فِيهِمْ قُرَّةٌ عَيْنٍ ، وَأَجْرًا إِذَا قُبِضُوا ، ثُمَّ قَالَ: وَلَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ إِنَّهُمْ لَمَجْبُونَةٌ مَحْزَنَةٌ ، إِنَّهُمْ لَمَجْبُونَةٌ مَحْزَنَةٌ] (1).

وقوله: ﴿فَأَقْضُوا لِلَّهِ مَا أَسْطَغْتُمْ﴾. أصل عظيم من أصول هذه الشريعة المطهرة ، وجواب من جوامع الكلم لكثير من المسائل الفقهية المستعصية. والمقصود: استوفوا جهدكم معشر المؤمنين في تقوى ربكم وابذلوا طاقتكم.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: [إِذَا أَمَرْتُمْ بِشَيْءٍ فَأَتَوْا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَإِذَا نَهَيْتُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعَوْهُ] (2).

وقوله: ﴿وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا﴾. قال ابن كثير: (أي: كونوا مُنْقَادِينَ لِمَا يَأْمُرُكُمُ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ ، لَا تَحِيدُوا عَنْهُ يَمَنَةً وَلَا يَسْرَةً ، وَلَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَلَا تَتَخَلَّفُوا عَمَّا أَمَرْتُمْ ، وَلَا تَرْكَبُوا مَا عَنْهُ زُجِرْتُمْ).

وقوله: ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِنَفْسِكُمْ﴾. قال ابن جرير: (يقول: وأنفقوا مالاً من أموالكم لأنفسكم تستنقذوها من عذاب الله. والخير في هذا الموضع المال). والمراد: بذل المال على الفقراء من الأرحام والقربات ، والمساكين من المسلمين ذوي الحاجات.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. أي: ومن يدافع السقوط فينصره الله على هوى نفسه وبخلها وشحها وحرصها وطمعها يصبح من المفلحين الناجين المدركين آمالهم عند ربهم.

وفي التنزيل:

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ ﴿٩﴾ فَسَيَكُونُ الْعَسْرَى ﴿١٠﴾ وَمَا يَفْنَى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾

[الليل: 8 - 11].

وفي صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: [اتقوا الظلم ، فإن الظلم

(1) حسن بشواهد. أخرجه أحمد (211/5) ، والحاكم (239/4) ، والطبراني (646).

(2) حديث صحيح. انظر صحيح مسلم (1337) ، وسنن النسائي (110/5) ، في أثناء حديث طويل.

ظلماتٌ يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم⁽¹⁾ .

وقوله : ﴿ إِن تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ﴾ الآية .

قال النسفي : (﴿ إِن تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ بنية وإخلاص ، وذكر القرض تلتطف في الاستدعاء ﴿ يُّضَعِفْهُ لَكُمْ ﴾ يكتب لكم بالواحدة عشرًا أو سبع مئة إلى ما شاء من الزيادة ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ ﴾ يقبل القليل ويعطي الجزيل ﴿ حَلِيمٌ ﴾ يقبل الجليل من ذنب البخيل ، أو يضعف الصدقة لدافعها ولا يعجل العقوبة لمانعها) .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : [ينزلُ الله تعالى في السماء الدنيا لِشَطْرِ الليل ، أو ثلث الليل الآخر ، فيقول : مَنْ يدعوني فأستجيب له! أو يسألني فأعطيَه! ثم يقول : مَنْ يُقْرِضْ غيرَ عديم ولا ظلوم]⁽²⁾ .

وقوله : ﴿ عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ . أي يعلم ما خفي من سرائر القلوب ، وما انتشر من ظواهر الأمور والخطوب .

وقوله : ﴿ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ . أي الذي قهر بعزته وكبريائه كل شيء ، والذي أتقن كل شيء فأحكم خلقه ، فهو الحكيم في أقواله وأفعاله وقدره وشرعه وتديبره .

تم تفسير سورة التغابن

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

عصر السبت 3 شوال 1426 هـ

الموافق 5/ تشرين الثاني/ 2005 م



(1) حديث صحيح . رواه مسلم في الصحيح (2578) - كتاب البر والصلة ، من حديث جابر .

(2) حديث صحيح . أخرجه مسلم (758) ح (171) - كتاب صلاة المسافرين . وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» ص (131) ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (496) . وأعدم الرجل - في لغة العرب - إذا افتقر ، فهو معدوم وعديم وعديم .

دروس ونتائج وأحكام

- 1- علم الله تعالى من يستحق الهداية ممن يستحق الضلال .
- 2- استبعد الكفار أن تكون هدايتهم على أيدي بشر مثلهم .
- 3- التغابن اسم من أسماء يوم القيامة ، عظمه الله وحذره عباده .
- 4- عجباً للمؤمن ، إن الله تعالى لا يقضي له قضاء إلا كان خيراً له .
- 5- من استسلم لقضاء الله هدى الله قلبه وعوّضه عما فاته .
- 6- الأزواج والأولاد والمال فتنة ، فإياكم أن تفتنوا بذلك عن دينكم .
- 7- الولد ثمرة القلب ، وإنه مَجْبَنَةٌ مَبْخَلَةٌ مَجْهَلَةٌ محزنة .
- 8- الصدقات على الله جزاؤها ونزلت منزلة القرض له .
- 9- اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم .
- 10 - الله تعالى يعلم ما خفي من سرائر القلوب ، وما انتشر من ظواهر الأمور والخطوب .

65



وهي سورة مدنية ، وعدد آياتها (12).

موضوع السورة

أحكام الطلاق والعدة

- منهاج السورة -

- 1 - بيان العدة التي تطلق لها النساء ، وتأکید حق السكنى للمطلقة مادام لزوجها عليها رجعة .
- 2 - الحث على تعظيم حدود الله ، والتحذير من تجاوز حدود الشريعة .
- 3 - الأمر بالإحسان للزوجات في الإمساك أو الفراق ، وبيان جائزة التقوى والحث على التوكل على الله فهو علامة الفلاح والسباق .
- 4 - بيان عدة الآيسة والصغار اللائي لم يحضن ، وتوضيح عدة الحامل .
- 5 - الأمر بالسكنى والنفقة للمطلقة حتى انقضاء عدتها ، والتحذير من التضييق عليها .
- 6 - الحامل ينفق عليها حتى تضع حملها ، وأجر الإرضاع على الآباء ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

7 - سنة الله تعالى في الانتقام من أهل القرى الظالمين ، وامتنان الله سبحانه بنعمة الوحي والهداية ونعيم الآخرة على المؤمنين .

8 - الإخبار عن قدرته تعالى وسلطانه العظيم ، وخلق سبع سماوات وسبع أرضين .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾

في هذه الآية: بيان العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء ، وتأکید حق السكنى للمطلقة مادام لزوجها عليها رجعة ، والحث على تعظيم حدود الله .
فقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ . قال القرطبي: (الخطاب للنبي ﷺ ، خوطب بلفظ الجماعة تعظيماً وتفخيماً) .

أخرج البخاري في كتاب التفسير من صحيحه ، عن ابن شهاب قال: أخبرني سالمٌ: [أنَّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أخبره: أنه طَلَّقَ امرأته وهي حائضٌ ، فَذَكَرَ عُمَرُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَتَعَيَّنَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: لِيُرَاجِعْهَا ثُمَّ يُمَسِّكُهَا حَتَّى تَطْهَرَ ، ثُمَّ تَحِيضُ فَتَطْهَرَ ، فَإِنْ بَدَأَ لَهُ أَنْ يُطَلِّقَهَا فَلْيُطَلِّقْهَا طَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَمَسَّهَا ، فَتِلْكَ الْعِدَّةُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ] (1) . ورواه مسلم وفيه: [فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء] .

وفي صحيح مسلم عن ابن جُرَيْجٍ قَالَ: [أخبرني أبو الزبير: أنه سَمِعَ عبد الرحمن بن أيمن مولى عَزَّةَ ، يَسْأَلُ ابْنَ عُمَرَ؟ وَأَبُو الزبير يسمع ذلك ، كيف ترى في رَجُلٍ طَلَّقَ امرأته حائضاً؟ فقال: طَلَّقَ ابْنُ عُمَرَ امرأته وهي حائضٌ على عهد رسول الله ﷺ ، فَسَأَلَ عُمَرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فقال: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ طَلَّقَ امرأته وهي

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري (4908) - كتاب التفسير . ورواه مسلم (1471) ح (1) .

حائِضٌ ، فقال له النبي ﷺ: «لِيُرَاجِعْهَا» ، فَرَدَّهَا ، وقال: «إِذَا طَهُرَتْ فَلْيُطَلِّقْ أَوْ لِيُؤْمِسْكَ»

قال ابن عمر: وقرأ النبي ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾⁽¹⁾.

ورواه أبو داود وفيه: [وقرأ النبي ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ في قُبُلٍ ، عدتهن].

وعن ابن عباس: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ قال: لا يُطَلِّقُها وهي حائِضٌ ولا في طهرٍ قد جامعها فيه ، ولكن: يتركها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقةً. وقال عكرمة: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ ، العِدَّة: الطهر ، والقُرء الحَيْضَة ، أن يُطَلِّقَها حُبْلَى مستبينةً حَمْلُها ، ولا يُطَلِّقَها وقد طاف عليها ، ولا يدري حُبْلَى هي أم لا).

قال ابن كثير: (ومن هاهنا أخذ الفقهاء أحكام الطلاق وقسموه إلى طلاق سُنَّة وطلاق بِدْعَة ، فطلاق السنة أن يُطَلِّقَها طاهراً من غير جِماع ، أو حاملاً قد استبان حَمْلُها ، والبِدْعِي: هو أن يُطَلِّقَها في حال الحيض ، أو في طهر قد جامعها فيه ، ولا يدري أَحَمَلَتْ أم لا؟ وطلاق ثالث لا سُنَّة فيه ولا بِدْعَة ، وهو طلاق الصغيرة والآيسَة ، وغير المدخول بها).

وقوله: ﴿وَاحْصُوا الْعِدَّةَ﴾. قال السدي: (احفظوا العدة). وقال النسفي: (اضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثة أقرأ مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن ، وخوِطَب الأزواج لغفلة النساء). والمقصود من ذلك: ضبط أول العدة ونهايتها لئلا تطول العدة على المرأة فتمتنع من الأزواج.

وقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾. أي وخافوا ربكم أيها الناس في ضبط تلك العدة واحذروا معصيته في أي أمر أو حدٍّ من حدود شرعه.

وقوله: ﴿لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾. قال ابن عباس: (هي المطلقة لا تخرج من بيتها ، مادام لزوجها عليها رجعة ، وكانت في عدة). فلها حق السكنى أثناء عدتها ، وليس لزوجها أن يخرجها كما ليس لها أن تخرج لأنها معتقلة لحق زوجها.

(1) حديث صحيح. أخرجه مسلم (1471) ح (14) - كتاب الطلاق. وأخرجه أبو داود (2185) ، والنسائي (139/6) ، وأحمد (80/2-81) ، والشافعي (33/2).

وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾. قال مجاهد: (إلا أن يزنين)، وقال الحسن: (الزنى، فتخرج ليقام عليها الحد). وقال قتادة: (إلا أن يطلقها على نشوز، فلها أن تحول من بيت زوجها). وقال ابن عباس: (والفاحشة: هي المعصية). وقال: (الفاحشة المبينة أن تبدؤ على أهلها).

والخلاصة من أقوال المفسرين في ذلك: لا يُخْرَجَنَّ من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة وهي: أ - الزنا. ب - إذا نشزت المرأة أو بدت على أهل الرجل وأذتهم في الكلام والفعال.

وقوله: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾. أي: شرائعه ومحارمه وما حدّ لخلقه من الأحكام.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾. قال الضحاك: (يقول: تلك طاعة الله فلا تعتدوها. من كان على غير هذه فقد ظلم نفسه). وقال ابن جرير: (يقول تعالى ذكره: ومن يتجاوز حدود الله التي حدّها لخلقه فقد ظلم نفسه، يقول: فقد أكسب نفسه وزراً، فصار بذلك لها ظالماً، وعليها متعدياً).

وقوله: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾. قال قتادة: (أي مراجعة). قال: (هذا في مراجعة الرجل امرأته). وقال مقاتل: (﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي بعد طلاقة أو طلقتين ﴿أَمْرًا﴾ أي المراجعة من غير خلاف). قال القرطبي: (الأمر الذي يحدثه الله أن يُقَلِّبَ قلبه من بغضها إلى محبتها، ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها، ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه، فيراجعها).

ومن هنا ذهب الإمام أحمد وطائفة من السلف إلى أن المبتوتة لا تجب لها السكنى ولا النفقة، وقد صحّ بذلك الخبر عن رسول الله ﷺ:

فقد أخرج النسائي في «الكبرى» والطبراني في «الأوسط» بسند حسن عن عامر الشعبي: [أنه دخل على فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس القرشي، وزوجها أبو عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي، فقالت: إن أبا عمرو بن حفص أرسل إليّ وهو مُنْطَلِقٌ في جيش إلى اليمن بطلاقي، فسألت أوليائه النفقة عليّ والسكنى، فقالوا: ما أرسل إلينا في ذلك شيئاً، ولا أوصانا به، فانطلقتُ إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله! إن أبا عمرو بن حفص أرسل إليّ بطلاقي، فطلبتُ السكنى والنفقة عليّ، فقال أوليائه: لم يُرسل إلينا في ذلك شيء. فقال رسول الله ﷺ: إنما السكنى

والنفقة للمرأة إذا كان لزوجها عليه رجعة ، فإذا كانت لا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره فلا نفقة لها ولا سكنى⁽¹⁾.

2 - 3. قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُم يُوعِظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝۳ ﴾ .

في هذه الآيات : أمر الله تعالى الرجال بالإحسان للزوجات في الإمساك أو الفراق ، وبيان جائزة التقوى والحث على صدق التوكل على الله ففي ذلك الفلاح والسباق .

فقوله : ﴿ فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ ﴾ . أي المعتدات ، إذا قاربن انقضاء العدة . قال ابن جرير : ﴿ أَجَلُهُنَّ ﴾ وذلك حين قرب انقضاء عددهن .

وقوله : ﴿ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ . قال الضحاك : (يقول : فراجع إن كنت تريد المراجعة قبل أن تنقضي العدة بإمساك بمعروف ، والمعروف أن تحسن صحبتها ﴿ أَوْ تَسْرِحْ بِإِحْسَنِ ﴾ والتسريح بإحسان : أن يدعها حتى تمضي عدتها ، ويعطيها مهراً إن كان لها عليه إذا طلقها) . وقال ابن كثير : ﴿ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ : أي محسناً إليها في صحبتها ، وإما أن يعزم على مفارقتها ﴿ بِمَعْرُوفٍ ﴾ أي : من غير مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف ، بل يُطْلَقُهَا عَلَى وَجْهِ جَمِيلٍ وَسَبِيلِ حَسَنٍ .

وقوله : ﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ ﴾ . هو على النذب لا على الوجوب ، سواء في الطلاق أو الرجعة ، كقوله تعالى : ﴿ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ [البقرة : 282] . وهو مذهب أبي حنيفة .

قلت : وإنما يتأكد في حق مَنْ عُرِفَ بالاستهتار في هذه الأمور وعدم المبالاة .

قال القرطبي : (وفائدة الإشهاد ألا يقع بينهما التجاحد ، وألا يَتَّهَمَ في إمساكها ،

(1) حديث حسن . أخرجه النسائي في «الكبرى» (5596) ، والطبراني في «الأوسط» (1164) ، وإسناده حسن ، وللحديث طرق وشواهد كثيرة .

ولثلا يموت أحدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث).

وفي سنن أبي داود بسند صحيح عن عمران بن حصين ، سئل عن الرجل يطلق امرأته ، ثم يقع بها ، ولم يشهد على طلاقها ، ولا على رجعتها ، فقال : [طَلَّقْتَ لغير سنة ، وراجعت لغير سنة : أشهد على طلاقها ، وعلى رجعتها ، ولا تعد⁽¹⁾].

وعن الحسن : ﴿ ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ قال : من المسلمين). وقال قتادة : (من أحراركم).

وقوله : ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾. قال النسفي : (لوجهه خالصاً ، وذلك أن يقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الأغراض سوى إقامة الحق ودفع الضرر).

وقوله : ﴿ ذَالِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾. أي : إنما ينتفع بهذه الأحكام والمواعظ من كان يؤمن بالله ويعظم شرعه ، ويخاف عقابه في الدار الآخرة .

وقوله : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾. أصل عظيم من أصول الشريعة المطهرة ، فإن التقوى هي مفتاح كل خير ، وكل فرج ومخرج من كل أمر عسير .

قال ابن عباس : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ يقول : نجاته من كل كرب في الدنيا والآخرة). وعن قتادة : ﴿ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ قال : من شبهات الأمور ، والكرب عند الموت). وقال الحسن : (مخرجاً مما نهى الله عنه). وقال أبو العالية : (مخرجاً من كل شدة). وقال الربيع بن خيثم : ﴿ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ من كل شيء ضاق على الناس). وقال الكلبي : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ ﴾ بالصبر عند المصيبة ﴿ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ من النار إلى الجنة). وقال الحسين بن الفضل : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ ﴾ في أداء الفرائض ، ﴿ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ من العقوبة).

وقال سهل بن عبد الله : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ ﴾ في اتباع السنة ﴿ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ من عقوبة أهل البدع ، ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب).

وقيل : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ ﴾ في الرزق بقطع العلائق يجعل له مخرجاً بالكفاية . وقال عمر بن عثمان الصّديقي : ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ ﴾ فيقف عند حدوده ويجتنب معاصيه يخرج به

(1) حديث صحيح . أخرجه أبو داود (2186) - تفرع أبواب الطلاق . باب الرجل يراجع ولا يشهد . وانظر صحيح سنن أبي داود (1915) .

من الحرام إلى الحلال ، ومن الضيق إلى السعة ، ومن النار إلى الجنة).

وقوله: ﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾. أي من جهة لا تخطر بباله. قال قتادة: (من حيث لا يرجو ولا يؤمل). وفي الأثر عن أبي ذر قال: (إني لأعلم آية لو أخذ بها الناس لكفتهم - تلا -: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ فما زال يكررها ويعيدها⁽¹⁾.

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: [إن الله لا يظلم مؤمناً حسنته، يعطى بها (وفي رواية: يثاب عليها الرزق في الدنيا) ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها]⁽²⁾.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾. أي: ومن يفوض أموره إلى الله، ويحسن الاعتماد عليه - سبحانه - فهو كافيه ما أهمه وما أغمه.

قال الإمام أحمد: (التوكل عمل القلب). وقال سهل: (التوكل الاسترسال مع الله مع ما يريد). وقيل: (هو علم القلب بكفاية الرب للعبد).

قلت: ولا يستقيم التوكل إلا من أهل العمل ومواجهة القدر بالقدر، وإلا كان عجزاً وكسلاً. وقد امتدح الله المؤمنين بهذه الصفة العالية فقال جل ثناؤه: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: 12]. وقال جل ذكره: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: 159].

ومن كنز السنة العطرة في آفاق ذلك أحاديث:

الحديث الأول: أخرج الترمذي وابن ماجة بسند صحيح عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: [لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكِّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصاً، وتروح بَطَاناً]⁽³⁾.

الحديث الثاني: أخرج أحمد وأبو داود والترمذي بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: [من نزلت به فاقة، فأنزلها بالناس، لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ،

(1) أخرجه الحاكم (492/2)، والبيهقي في «الشعب» (1330) مرفوعاً، ولا يصح رفعه كما قال الهيثمي (9130) ففيه انقطاع. والأشبه أن يكون موقوفاً.

(2) حديث صحيح. أخرجه مسلم (135/8)، وأحمد (125/3). وانظر السلسلة الصحيحة (53).

(3) حديث صحيح. أخرجه الترمذي (2344)، وابن ماجة (4164). انظر صحيح الترمذي (1911).

ومن نزلت به فاقه ، فأنزلها بالله ، فيوشك الله له برزق عاجل ، أو أجل^[1].

وفي لفظ : [من نزل به حاجة فأنزلها بالناس كأن قميناً ألا تسهل حاجته ، ومن أنزلها بالله أتاه الله برزق عاجل ، أو بموت أجل⁽¹⁾].

الحديث الثالث: أخرج البزار وابن أبي الدنيا بسند حسن عن ابن عمر مرفوعاً: [لو تعلمون قدر رحمة الله عز وجل ، لا تكلمتم عليها⁽²⁾].

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِي﴾. قال ابن كثير: (أي: مُنفِذُ قضاياه وأحكامه في خلقه بما يُريده ويشاؤه).

وقوله: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرًا﴾. قال مسروق: (أجلاً). أو قال: (منتهى). قال القرطبي: (أي لكل شيء من الشدة والرخاء أجلاً ينتهي إليه. وقيل: تقديره).

وفي التنزيل: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: 8].

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: [إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة. وكان عرشه على الماء⁽³⁾].

ورواه الترمذي بلفظ: [قدر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرضين بخمسين ألف سنة].

4 - 5. قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي بَيِّنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعَدَّيْنِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنَّ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ

(1) حديث صحيح. أخرجه أحمد (1/442) ح (4207) ورجاله ثقات ، وأخرجه الترمذي (2326) ، وأبو داود من حديث ابن مسعود. وانظر صحيح الجامع (6442).

(2) حديث حسن. أخرجه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن» (2/193) ، ورواه البزار بإسناد حسن كما قال الهيثمي (10/213). وانظر السلسلة الصحيحة (2167).

(3) حديث صحيح. أخرجه مسلم (8/51) - باب كتب المقادير قبل الخلق. وانظر مختصر صحيح مسلم (1841) بلفظ: (كتب الله مقادير الخلق...) ، وانظر صحيح سنن الترمذي (1750) - أبواب القدر ، ورواه أحمد.

لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَاللَّهُ يَكْفِرُ عَنْ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمُ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾ .

في هذ الآيات : بيان عدة الآيسة - وهي التي انقطع محيضها لكبرها - أنها ثلاثة أشهر عوضاً عن ثلاثة القروء في حق من تحيض ، وكذا الصغار اللائي لم يحضن بعدُ لصغرهن فعدتهن مثل عدة الآيسة ثلاثة أشهر ، وأما الحامل فعدتها تنتهي بوضع الحمل ، والفلاح كل الفلاح إنما هو بامثال التقوى والله عنده أجر عظيم .

فقوله : ﴿ وَالَّتِي بَيِّنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ ﴾ . قال القرطبي : (يعني قعدن عن المحيض) . وقوله : ﴿ إِنْ أَرَبْتُمْ ﴾ فيه قولان عند المفسرين يكمل أحدهما الآخر :

القول الأول : أي إن رأين دماً فشككتن أهو دم حيض أو استحاضة . وهو قول مجاهد وابن زيد .

القول الثاني : إن شككتن فلم تدروا ما الحكم فيهن ، فإن عدتهن ثلاثة أشهر .

قال النسفي : ﴿ إِنْ أَرَبْتُمْ ﴾ أي أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتدّن ﴿ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ ﴾ أي فهذا حكمهن) . وهو اختيار ابن جرير .

وقوله : ﴿ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ ﴾ . قال السدي : (الجواري) . قال ابن جرير : (يقول : وكذلك عدد اللائي لم يحضن من الجواري الصغار إذا طلقهن أزواجهن بعد الدخول) .

وقوله : ﴿ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ . قال ابن كثير : (يقول تعالى : ومن كانت حاملاً فَعِدَّتُهَا بوضعها ، ولو كان بعد الطلاق أو الموت بِفَوَاقِ نَاقَةٍ) .

وفي صحيح البخاري عن يحيى قال : أخبرني أبو سلمة قال : [جاء رجلٌ إلى ابن عباس - وأبو هريرة جالسٌ عنده - فقال : أَفْتَنِي فِي امْرَأَةٍ وَلَدَتْ بَعْدَ زَوْجِهَا بِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، فقال ابن عباس : آخِرُ الْأَجَلِينَ . قلت أنا : ﴿ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ قال أبو هريرة : أنا مع ابن أخي - يعني أبا سلمة - فأرسل ابنُ عباس غُلامَهُ كُرَيْباً إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ يَسْأَلُهَا فَقَالَتْ : قُتِلَ زَوْجُ سُبَيْعَةَ الْأَسْلَمِيَّةِ وَهِيَ حُبْلَى ، فَوَضَعَتْ بَعْدَ مَوْتِهِ بِأَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، فَخُطِبَتْ فَأَنكَحَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ أَبُو السَّنَابِلِ فِيمَنْ خَطَبَهَا ⁽¹⁾ .

وأخرج البخاري وأحمد والنسائي عن المسور بن مخرمة : [أَنَّ سُبَيْعَةَ الْأَسْلَمِيَّةِ تُوْفِي

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري (4909) - كتاب التفسير ، عند هذه الآية من سورة الطلاق .

عنها زوجها وهي حامل ، فلم تمكث إلا ليالي حتى وضعت ، فلما تعلت من نفاسها خُطِبَتْ ، فاستأذنت رسول الله ﷺ في النكاح ، فأذن لها أن تُنكِحَ ، فَنِكَحَتْ [1].

وفي صحيح مسلم عن ابن شهاب: حدثني عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، أن أباه كتب إلى عمر بن عبد الله بن الأرقم الرُّهري ، يأمره أن يَدْخُلَ على سُبَيْعَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ الْأَسْلَمِيَّةِ ، فيسألها عن حديثها وعمّا قال لها رسول الله ﷺ حين استفتته ، فكتب عمرُ بن عبد الله إلى عبد الله بن عُتْبَةَ يُخْبِرُهُ أن سُبَيْعَةَ أَخْبَرَتْهُ ، أنها كانت تحت سَعْدِ بْنِ خَوْلَةَ ، وهو في بني عامر بن لؤي ، وكان مِمَّنْ شهد بدرًا ، فتوفي عنها في حَجَّةِ الْوَدَاعِ وهي حاملٌ ، فَلَمْ تَنْشُبْ أَنْ وَضَعَتْ حَمْلَهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَلَمَّا تَعَلَّتْ مِنْ نِفَاسِهَا تَجَمَّلَتْ لِلْحُطَّابِ ، فدخلَ عليها أَبُو السَّنَابِلِ بْنُ بَعْكُكٍ - رجلٌ من بني عبد الدار - فقال لها مالي أراك مُتَجَمِّلَةً؟ لعلك تَرْجِينِ النِّكَاحَ ، إِنَّكَ وَاللَّهِ! ما أنتِ بناكِحٍ حتى تَمُرَّ عليك أربعة أشهرٍ وعَشْرٍ. قالت سُبَيْعَةُ: فلما قال لي ذلك ، جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي حين أُمْسَيْتُ ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فسألتُهُ عن ذلك؟ فأفتاني بأني قد حَلَلْتُ حين وَضَعْتُ حَمْلِي ، وَأَمَرَنِي بِالتَّزْوُجِ إنْ بدا لي [2]. قال ابن شهاب: (فلا أرى بأساً أن تَتَزَوَّجَ حين وَضَعْتَ ، وإنْ كانت في دِمَها ، غيرَ أنه لا يَقْرُبُها زوجها حتى تَطْهُرَ).

وقوله: ﴿وَمَنْ يَنْقُ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾. قال مقاتل: (ومن يتق الله في اجتناب معاصيه يجعل له من أمره يسراً في توفيقه للطاعة).

والمقصود: تأكيد أن تقوى الله بتعظيم أوامره واجتناب نواهيه مفتاح كل فرج وتيسير ، وكل مخرج من أمر عسير .

وقوله: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا﴾. أي هذا الذي ذُكِرَ من الأحكام الشرعية هو أمرُ الله أنزله إليكم من اللوح المحفوظ وبَيَّنَّه لكم ، لتكونوا على بصيرة في أمور دينكم .

وقوله: ﴿وَمَنْ يَنْقُ اللَّهُ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾. أي: ومن يخف الله فيعظم

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (5320) ، والنسائي (190/6) ، وأحمد (4/327) ، وابن ماجه (2029) ، والشافعي (2/52-53) ، والبيهقي (7/428) ، وغيرهم .

(2) حديث صحيح. أخرجه مسلم (1484) - كتاب الطلاق . باب انقضاء عدة المتوفى عنها وغيرها ، بوضع الحمل . وانظر صحيح البخاري (5319) ، وسنن أبي داود (2306) ، والنسائي (6/194) - (195) ، وابن ماجه (2028) ، والبيهقي (7/428).

أمر دينه حق التعظيم يمح عنه ذنوبه ويجزل له الثواب على التقوى والعمل الصالح ، ويدخله جنته وذلك أعظم الجزاء وأطيب النعيم .

6 - 7 . قوله تعالى : ﴿ أَسْكُنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَمْرُهُمْ بَيْنَكُمْ مَعْرُوفٌ وَإِنْ تَعَاَسَ رِئْصُكُمْ فَسَارِعُوا لَهُمْ أُخْرَى ۖ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۖ ﴾ .

في هذه الآيات : الأمر بالسكنى والنفقة للمطلقة حتى انقضاء عدتها ، والتحذير من التضيق عليها ، والحامل يُنفق عليها حتى تضع حملها ، وأجر الإرضاع على الآباء ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

فقوله : ﴿ أَسْكُنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ ﴾ . قال ابن عباس : (يقول : من سعتكم) . قال السدي : (المرأة يطلقها ، فعليه أن يسكنها ، وينفق عليها) . قال ابن كثير : (يقول تعالى أمراً عباده إذا طلق أحدُهم المرأة أن يسكنها في منزل حتى تنقضي عدتها ، فقال : ﴿ أَسْكُنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ ﴾ أي : عندكم) . وعن قتادة : (﴿ مِنْ وَجْدِكُمْ ﴾ قال : إن لم تجد إلا جَنِبَ بَيْتِكَ فأسكنها فيه) . وقال السدي : (﴿ مِنْ وَجْدِكُمْ ﴾ : من ملككم ، من مقدرتكم) .

وقوله : ﴿ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ﴾ . قال مجاهد : (في المسكن) . وقال سفيان : (ليس ينبغي له أن يضارها ويضيق عليها مكانها) . وقال مقاتل : (يعني يضاجرها لِتَفْتَدِيَ منه بمالها أو تخرج من مسكنه) . قال القاسمي : (﴿ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ ﴾ أي لا تستعملوا معهن الضرار ﴿ لِضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ ﴾ أي في المسكن ببعض الأسباب ، من إنزال من لا يوافقهن ، أو بشغل مكانهن ، أو غير ذلك ، حتى تضطروهن إلى الخروج أو الافتداء) .

وقوله : ﴿ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ . قال السدي : (ينفق على الحبلى إذا كانت حاملاً حتى تضع حملها) . قال ابن جرير : (يقول تعالى ذكره : وإن كان نساؤكم المطلقات أو لات حمل وكن بائنات منكم ، فأنفقوا عليهن في عدتهن منكم حتى يضعن حملهن) .

وقوله : ﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ . قال القرطبي : (﴿ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ ﴾ - يعني

المطلقات - أولادكم منهن فعلى الآباء أن يعطوهن أجره إرضاعهن).

وقوله: ﴿وَأْتِمُرُوا بِبَنِّكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾. قال النسفي: (أي تشاوروا على التراضي في الأجرة ، أو ليأمر بعضكم بعضاً ، والخطاب للآباء والأمهات ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بما يليق بالسنة ، ويحسن في المروءة ، فلا يماكس الأب ولا تعاسر الأم لأنه ولدهما ، وهما شريكان فيه وفي وجوب الإشفاق عليه). وقال القرطبي: (﴿وَأْتِمُرُوا بِبَنِّكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ هو خطاب للأزواج والزوجات ، أي وليقبل بعضكم من بعض ما أمره به من المعروف الجميل . والجميل منها إرضاع الولد من غير أجرة . والجميل منه توفير الأجرة عليها للإرضاع).

وقوله: ﴿وَلِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى﴾. قال السدي: (إن أبت الأم أن ترضع ولدها إذا طلقها أبوه التمس له مرضعة أخرى ، الأم أحق إذا رضيت من أجر الرضاع بما يرضى به غيرها ، فلا ينبغي له أن ينتزع منها).

وقوله: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾. قال سفيان: (يقول: من طاقته). أي: لينفق على المولود والدّه أو وليّه ، بحسب قدرته وعلى قدر وسعه).

وقوله: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا﴾. قال ابن زيد: (فرض لها من قدر ما يجد). وقال السدي: (﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا﴾ يقول: لا يكلف الفقير مثل ما يكلف الغني). وقال سفيان: (﴿إِلَّا مَاءً آتَاهَا﴾ يقول: إلا ما أطاقت). وهو كقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286].

وقوله: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾. قال سفيان: (بعد الشدة رخاء). قال ابن جرير: (﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ﴾ للمقل من المال المقدور عليه رزقه ﴿بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ يقول: من بعد شدة رخاء ، ومن بعد ضيق سعة ، ومن بعد فقر غنى).

قلت: والآية وعد من الله تعالى بالفرج على المعسر الممثل أمر الله في بذل وسعه بأنه سيجعل له بعد الضيق غنى ، وبعد الشدة سعة ، وبعد العسر يسراً.

وفي التنزيل: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: 5 - 6].

أخرج الخطيب في «التاريخ» بسند رجاله ثقات عن أنس مرفوعاً: [النَّصْرُ مَعَ الصَّبْرِ ، والفرج مع الكرب ، وإن مع العسر يسراً⁽¹⁾].

(1) حديث صحيح . أخرجه الخطيب في «التاريخ» (10/ 287) ، والديلمي (4/ 111 - 112).

8 - 11. قوله تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرِيْبَةٍ عَنَتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حَسَابًا شَدِيْدًا وَعَذَبْنَهَا عَذَابًا تُكْرًا﴾ (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرَهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيْدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَٰٓأُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَنْلُؤْا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ وَمَن يُّؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَكُمْ رِزْقًا ﴿١١﴾ .

في هذه الآيات: سُنَّةُ الله تعالى في الانتقام من أهل القرى إذا تكبروا على الحق وتمادوا على الرسل غير ما ينتظرهم في الآخرة من العقاب ، وامتنان الله سبحانه على المؤمنين بنعمة الوحي والهداية في الدنيا وما أعدَّ لهم في الآخرة من جزيل الثواب .

فقوله: ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرِيْبَةٍ عَنَتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾ . قال السدي: (غَيَّرَتْ وَعَصَتْ) . وقال ابن زيد: (العتوّ هاهنا الكفر والمعصية ، وعنت عن أمر ربها: تركته ولم تقبله) . والمقصود: كم من أهل قرية طغوا عن أمر ربهم وتمادوا في تكذيبهم الرسل ولجّوا في الكفر والفساد والمعصية .

وقوله: ﴿فَحَاسِبْنَهَا حَسَابًا شَدِيْدًا﴾ . أي جازيناها بالعذاب في الدنيا . قال ابن عباس: (يقول: لم نرحم) . قال القرطبي: (لما ذكر الأحكام ذكر وحذر مخالفة الأمر ، وذكر عتوّ قوم وحلول العذاب بهم) . وقيل: في الكلام تقديم وتأخير ، فعذبناها عذاباً نكراً في الدنيا بالجوع والقحط والسيْف والخسْف والمسخ وسائر المصائب ، وحاسبناها في الآخرة حساباً شديداً . والنكر: المنكر .

وقوله: ﴿وَعَذَبْنَهَا عَذَابًا تُكْرًا﴾ . أي في الآخرة ، عذبناها عذاباً منكراً فظيعاً .

وقوله: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ . أي فذاقت غِبَّ مخالفتها ، وتجرّعت نتيجة طغيانها . قال ابن زيد: (ذاقت عاقبة ما عملت من الشر . الوبال: العاقبة) .

وقوله: ﴿وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا خُسْرًا﴾ . أي هلاكاً في الدنيا وألوان العذاب ، وفي الآخرة في نار جهنم .

وقوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيْدًا﴾ . بيان لذلك الخسران أنه العذاب الشديد في نار الآخرة بعدما حلّ بهم من العذاب في الدنيا .

وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْعُقُولِ﴾. قال السدي: (يا أولي العقول). وقال ابن كثير: (أي: الأفهام المستقيمة ، لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم يا أولي الأبواب).
وقوله: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾. بدل من ﴿يَتَأُولَى الْآلِبِ﴾ ، أو نعت لهم. أي الذين آمنوا بالله وصدقوا رسله.

وقوله: ﴿قَدْ أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾. يعني القرآن. والمقصود: يا أولي العقول النيرة الذين آمنتم بالله وصدقتم رسوله ، اتقوا الله الذي أنزل عليكم القرآن ، فخافوه واعملوا بطاعته واحذروا معصيته.

وقوله: ﴿رَسُولًا﴾. قيل: قد نُصِبَ على أنه بدل اشتمال⁽¹⁾. وقيل: الرسول تفسير وترجمة عن الذكر - واختاره ابن جرير. وقال الزجاج: (إنزال الذكر دليل على إضمار أرسل ، أي أنزل إليكم قرآنًا وأرسل رسولًا). ويجوز أن ينتصب ﴿رَسُولًا﴾ على الإغراء ، والتقدير: اتبعوا رسولاً.

وقوله: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّخُرَاجِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾. أي: يقرأ عليكم آيات القرآن ، ويبين لكم ما تحتاجون إليه من الأحكام ، ليخرج المؤمنين به من ظلمات الجاهلية والكفر ، إلى نور العلم والإيمان.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾. أي: قد وسع الله عليه من ألوان الرزق والنعيم في الجنات. قال النسفي: (﴿قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمنين من الثواب).

12. قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

في هذه الآية: إخبار الله تعالى عن قدرته التامة وسلطانه العظيم ، في خلق سبع سماوات وسبع أرضين ، يتنزل الأمر بينهما بإذن الواحد القهار الحكيم ليكون ذلك باعثاً على تعظيم دينه القويم.

(1) أي لأن الرسول هو الذي بلغ الذكر. فيكون ﴿رَسُولًا﴾ بدل اشتمال وملاسة.

فقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾. قال ابن جرير: (لا ما يعبد المشركون من الآلهة والأوثان التي لا تقدر على خلق شيء).

وقوله: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾. أي: في الخلق والعدد. قال قتادة: (خلق سبع سماوات وسبع أرضين ، في كل سماء من سمائه وأرض من أرضه خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه).

قلت: وأما تفصيل توضع الأرضين السبع فالله أعلم به ، وإنما نسلم لقول الله تعالى في هذه الآية ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ ، وكذلك لما ثبت في السنة الصحيحة في آفاق ذلك من أحاديث ، منها:

الحديث الأول: أخرج الإمام مسلم في الصحيح عن سعيد بن زيد قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: [من أخذ شبراً من الأرض بغير حَقِّهِ ، طَوَّقَهُ فِي سَبْعِ أَرْضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] (1). وفي لفظ: [من اقتطع شبراً من الأرض ظُلماً ، طَوَّقَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ].

الحديث الثاني: خرَّج مسلم - كذلك - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: [لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ شِبْرًا مِنَ الْأَرْضِ بغير حَقِّهِ ، إِلَّا طَوَّقَهُ اللَّهُ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ]. (2)

الحديث الثالث: أخرج البخاري في «الأدب المفرد» ، وأحمد في المسند ، بسند صحيح من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً: [إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نوحاً ﷺ لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية ، أمرتك باثنتين وأنهاك عن اثنتين ، أمرك بـ «لا إله إلا الله» ، فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ، ووضعت «لا إله إلا الله» في كفة ، رجحت بهن «لا إله إلا الله» ، ولو أن السماوات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن «لا إله إلا الله». وسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء ، وبها يرزق الخلق. وأنهاك عن الشرك والكبر] (3).

(1) حديث صحيح. رواه مسلم (1610) - كتاب المساقاة. ح (137) ، (138). باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها. وللحديث قصة.

(2) حديث صحيح. أخرجه مسلم في الصحيح (1611) - كتاب المساقاة. الباب السابق.

(3) حديث صحيح. أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (548) ، وأحمد (2/ 169 - 170). والبيهقي في «الأسماء» (79). وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (134).

الحديث الرابع: أخرج النسائي وابن حبان بسند حسن عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه ، أَنَّ كعباً حلف بالذي فلق البحر لموسى : [أَنَّ صُهيياً حَدَّثَهُ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ لَمْ يَرِ قَرْيَةً يَرِيدُ دُخُولَهَا إِلَّا قَالَ حِينَ يَرَاهَا : «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ ، وَرَبَّ الْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ ، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ ، وَرَبَّ الرِّيَّاحِ وَمَا أَذْرَيْنَ ، إِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا»] (1).

فهذه الآية مع هذه الأحاديث تثبت وجود الأرضين السبع كما أثبت الوحي من قرآن وسنة وجود السماوات السبع ، ومن فسر الآية من المعاصرين بما يؤول إلى نفي المثلية في العدد اغتراراً بما وصل إليه علم الأوربيين والأمريكان وغيرهم من الرقي وأنهم لا يعلمون سبع أرضين فقد أبعد الثُّجَّةَ وأغرق في التَّزَعُ وخالف القرآن والحديث بلا مستند . وإنما يقال له : هل علم القوم حقيقة وجود سبع سماوات طباقاً؟! الجواب : لا ، وإنما هو خبر الله تعالى آمناً به وصدقناه وجاءت به جميع الكتب المنزلة على الرسل . ومن ثم يقال لهؤلاء : أفننكر كلام الله وكلام رسوله بجهل الأوربيين وأقرانهم ، مع اعترافهم أنهم كلما ازدادوا علماً بالكون ازدادوا علماً بجهلهم به ، وصدق الله العظيم القائل : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف : 76] ، والقائل : ﴿ وَمَا أَوْتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [الإسراء : 85] .

وقوله : ﴿ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ . قال مجاهد : (يتنزل الأمر من السماوات السبع إلى الأرضين السبع) . والأمر هنا الوحي أو القضاء والقدر .

وفي قوله تعالى : ﴿ بَيْنَهُنَّ ﴾ إشارة إلى ما بين الأرض السفلى التي هي أقصاها وبين السماء السابعة التي هي أعلاها . وقيل : ﴿ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ بحياة بعض وموت بعض وغنى قوم وفقير قوم . وقيل : هو ما يُدَبَّرُ فيهن من عجيب تدبيره ، فيُنْزَلُ المطر ويُخْرَجُ النبات ويأتي بالليل والنهار ، والصيف والشتاء ، ويخلق الحيوانات على اختلاف أنواعها وهيئاتها ، فينقلهم من حال إلى حال .

وقوله : ﴿ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ . قال القرطبي : (يعني أن من قدر على هذا الملك العظيم فهو على ما بينهما من خلقه أقدر ، ومن العفو والانتقام أمكن ، وإن استوى كل ذلك في مقدوره ومُكَنَّتْه) .

(1) حديث حسن . أخرجه النسائي في «الكبرى» (8826) ، (10377) ، وأخرجه ابن حبان (2709) ، وابن خزيمة (3565) ، والحاكم (446/1) ، والبيهقي (252/5) .

وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ . - علماً - نصب على المصدر المؤكد ، أو هو تمييز ، والتقدير: قد علم كل شيء علماً ، أو أحاط إحاطةً علماً. قال ابن جرير: (يقول جل ثناؤه: فخافوا أيها الناس المخالفون أمر ربكم عقوبته ، فإنه لا يمنعه من عقوبتكم مانع ، وهو على ذلك قادر ، ومحيط أيضاً بأعمالكم ، فلا يخفى عليه منها خاف ، وهو محصياها عليكم ، ليجازيكم بها ، يوم تجزى كل نفس ما كسبت).

تم تفسير سورة الطلاق

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

صبيحة الأربعاء 7 شوال 1426 هـ

الموافق 9/ تشرين الثاني / 2005 م



دروس ونتائج وأحكام

- 1- لا تطلق المرأة في الحيض ولا في طهر مَسَّها فيه .
- 2- يجب على المطلقة أن تقضي عدتها في بيت زوجها .
- 3- المطلقة المبتوتة ليس لها نفقة ولا سكنى .
- 4- الطلاق يقع بمجرد التلفظ به ولا يجب فيه إسهاد بل يستحب .
- 5- عدة المطلقة اليائسة والمطلقة غير البالغة ثلاثة أشهر .
- 6- عدة الحامل : المطلقة أو المتوفى عنها زوجها لحين وضعها .
- 7- النفقة على المطلقات الحاملات حين يلدن ولهن أجر الإرضاع .
- 8- التَّصَرُّع مع الصَّبْر ، والفرج مع الكرب ، وإن مع العُسرِ يُسرّاً .
- 9- إهلاك الله الأمم الكافرة من قبل عبرة كبيرة لهذه الأمة .
- 10 - لا يأخذ أَحَدٌ شَيْئاً من الأرض بغير حَقِّه ، إلا طَوَّقَهُ الله إلى سبع أرضين يوم القيامة .



66



وهي سورة مدنية ، وعدد آياتها (12).

موضوع السورة

تحريم النبي ﷺ على نفسه بعض الطيبات
والأمر بمجاهدة الكفار والتماس أعلى الدرجات والقربات

- منهاج السورة -

- 1 - عتاب لطيف من الله لرسوله في تحريمه على نفسه ما أحلَّ الله له ابتغاء مرضاة أزواجه والله غفور رحيم .
- 2 - تبيان تعالى كيفية تحليل اليمين وكفَّارته ، والله هو العليم الحكيم .
- 3 - عتابُ الله لزوجات رسوله ليقدموا له أهناً العيش وأطيبه ، وإلا جاء الاستبدال من الله لهن بمنَّ هنَّ أكثر حرصاً على التقوى والإيمان ، والعمل الصالح والإحسان .
- 4 - الأمر للمؤمنين بالاجتهاد في طاعة الله هم وذريتهم للنجاة من عذاب الله الأليم ، وتصوير مشهد الخزي والندامة يوم القيامة على الكافرين والمنافقين ، ومشهد النجاة والفرح والسرور للمؤمنين في جنات النعيم .
- 5 - أمرُ الله تعالى نبيه ﷺ بمجاهدة الكفار والمنافقين أصحاب الجحيم . وضربُه تعالى

المثل بامرأة نوح وامرأة لوط في خيانتهم منهاج النبوة لتكونا يوم القيامة في النار مع الداخلين .

6 - ضَرَبَ اللهُ المثل بامرأة فرعون للمؤمنين ، ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها وكانت من القانتين .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 5. قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ، وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ، قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِنْ نُنْوَآ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَتَّبِعُنَّ عِبَادَاتٍ سَدَّحَّتْ لُبَّاتٍ وَابْتَكَرًا (٥) .

في هذه الآيات: عتابٌ لطيف من الله تعالى لرسوله ﷺ في تحريمه على نفسه ما أحلَّ الله له ابتغاء مرضاة أزواجه والله غفور رحيم ، وقد أوضح الله تعالى له كيفية التحلل من ذلك وكفارة اليمين . وعتابٌ لطيف آخر لزوجاته ﷺ ليقدموا له أهناً العيش وأطيبيه وإلا جاء الاستبدال من الله العليم الحكيم .

أسباب نزول هذه الآيات :

لقد ورد ذكر سبب نزول هذه الآيات في أحاديث من السنة الصحيحة :

الحديث الأول: أخرج البخاري عن ابن جريج قال: [زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يقول: سمعت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب ابنة جحش ويشرب عندها عسلاً ، فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل إني لأجد منك ريح مغاير⁽¹⁾ ، أكلت مغاير ، فدخل على إحداها فقالت له ذلك ،

(1) مغاير: جمع مغفور ، وهو صمغ حُلُوٍّ له رائحة كريهة ينضجه شجر يسمى العُرْفُط كأن النحل وقف =

فقال: لا بأس ، شربت عسلاً عند زينب ابنة جحش ولن أعود له . فنزلت: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ لِمَ تَحْرُمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ إلى ﴿نُؤَبِّئُكَ إِلَى اللَّهِ﴾ لعائشة وحفصة ﴿وَيَذْأَسَرُ النَّبِيَّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ لقوله: بل شربت عسلاً⁽¹⁾.

وفي رواية: (قال: ولن أعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحداً).

الحديث الثاني: يروي النسائي بسند صحيح عن أنس رضي الله عنه: [أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها ، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى جعلها على نفسه حراماً ، فأنزل الله هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ لِمَ تَحْرُمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إلى آخر الآية]⁽²⁾.

الحديث الثالث: يروي البزار في مسنده بإسناد صحيح عن ابن عباس: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ لِمَ تَحْرُمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ قال: نزلت هذه في سُرِّيَّتِهِ⁽³⁾.

وذكر ابن جرير بإسناده من حديث زيد بن أسلم وعُبَيْدُ اللَّهِ بن عبد الله بن عباس: أن الآية نزلت في شأن مارية القبطية أم إبراهيم أصابها النبي ﷺ في بيت حفصة في نوبتها فوجدت حفصة في نفسها في ذلك.

فعن زيد بن أسلم: (أن رسول الله ﷺ أصاب أم إبراهيم في بيت بعض نسائه ، فقالت: أي رسول الله في بيتي وعلى فراشي؟).

وفي رواية ابن عباس: (قال: ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها؟ قالت: بلى . فحرمها . وقال لها: لا تذكرني ذلك لأحد ، فذكرته لعائشة).

ورواه الهيثم بن كليب في مسنده ، كما ذكر الحافظ ابن كثير ، وقال هذا إسناد صحيح ، عن ابن عمر: [قال النبي ﷺ لحفصة: لا تخبري أحداً وإن أم إبراهيم علي حرام . فقالت: أتحرّم ما أحلّ الله لك؟ قال: فو الله لا أقربها . قال: فلم يقربها ، حتى

= عليه ، وكان يكره عليه الصلاة والسلام أن يرى منه رائحة كريهة فحرمه على نفسه .

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري في صحيحه (5267) - كتاب الطلاق . وكذلك (6691).

(2) حديث صحيح . أخرجه النسائي في السنن (3959) ، وفي الكبرى (21) ، وفي «التفسير» (627) ، وأخرجه الحاكم (493/2) من طريقين ، وهو صحيح ، وله شواهد .

(3) حديث صحيح . أخرجه البزار (2274) ، (2275) «كشف» ، ورواه الطبراني - حديث رقم - (11130) وإسناده صحيح . وقال الهيثمي في «المجمع» (126/7): رجال البزار رجال الصحيح غير بشر بن آدم ، وهو ثقة .

أخبرت عائشة ، قال : فأنزل الله تعالى : ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾⁽¹⁾ .

قال الشوكاني : في تفسيره «ج 5/ ص 252» : (فهذان سببان صحيحان لنزول الآية ، والجمع ممكن بوقوع القصتين : قصة العسل وقصة مارية ، وأن القرآن نزل فيهما جميعاً وفي كل واحد منهما أنه أسرَّ الحديث إلى بعض أزواجه) .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ . أي غفور يا محمد ذنوب التائبين ، وقد غفر لك تحريمك على نفسك ما أحل لك .

وقوله : ﴿ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴾ . قال الشعبي : (عوتب في التحريم ، وجاءت الكفارة في اليمين) . أي : قد بين الله لكم تحلة أيمانكم ، وحدّها لكم أيها الناس ، فتحليل اليمين كفارتها . والتحلة : مصدر بمعنى التحليل . فشرع تحليل الأيمان بحل ما عقده بالكفارة .

وقوله : ﴿ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ ﴾ . قال القرطبي : (وليكم وناصركم بإزالة الحظر فيما تحرمونه على أنفسكم ، وبالترخيص لكم في تحليل أيمانكم بالكفارة ، وبالثواب على ما تخرجونه في الكفارة) .

وقوله : ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُمْ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴾ . أي : فلما أخبرت بالحديث الذي أسرَّ إليها رسول الله ﷺ صاحبته وأظهر الله نبيه محمداً ﷺ على أنها قد أنبأت بذلك صاحبته ﴿ عَرَفَ بَعْضُهُ ﴾ أي عَرَفَ النبي ﷺ حفصة بعض ذلك الحديث وأخبرها به وترك أن يخبرها ببعض .

وقوله : ﴿ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ . أي : قالت حفصة حين أنبأها ذلك : من أنبأك هذا الخبر وأخبرك به؟ قال النبي ﷺ : خبرني به ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بسرائر عبادته ﴿ الْخَبِيرُ ﴾ بأمورهم وأحوالهم ، لا يخفى عليه شيء .

وعن ابن زيد قال : (﴿ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا ﴾ ولم تشك أن صاحبته أخبرت عنها ﴿ قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾) .

وقوله : ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ . قال ابن عباس : (يقول : زاغت قلوبكما ، يقول : قد أثمت قلوبكما) . وقال قتادة : (أي مالت قلوبكما) . قال ابن جرير : (يقول تعالى ذكره : إن تتوبا إلى الله أيتها المرأتان فقد مالت قلوبكما إلى محبة

(1) إسناده صحيح . وصححه الحافظ ابن كثير . وانظر «الصحيح المسند من أسباب النزول» - الوادعي - سورة التحريم . وله شواهد .

ما كرهه رسول الله ﷺ من اجتنابه جاريته ، وتحريمها على نفسه ، أو تحريم ما كان له حلالاً مما حرّمه على نفسه بسبب حفصة).

وقال القرطبي: ﴿إِنْ نَوَّيْنَا إِلَى اللَّهِ﴾ يعني حفصة وعائشة ، حَتَّهْمَا عَلَى التَّوْبَةِ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمَا مِنَ الْمِيلِ إِلَى خِلَافِ مَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أي زَاغَتْ وَمَالَتْ عَنِ الْحَقِّ. وَهُوَ أَنَّهُمَا أَحَبَّتَا مَا كَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ اجْتِنَابِ جَارِيَتِهِ وَاجْتِنَابِ الْعَسَلِ ، وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُحِبُّ الْعَسَلَ وَالنِّسَاءَ.

وقوله: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾. أي تَظَاهَرَا عَلَى النَّبِيِّ وَتَعَاوَنَا عَلَيْهِ بِالْمَعْصِيَةِ وَالْإِيزَاءِ. قَالَ الضَّحَّاكُ: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ يَقُولُ: عَلَى مَعْصِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَذَاهُ. وَقَوْلُهُ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. أي: اللَّهُ وَلِيُّهُ وَنَاصِرُهُ ، فَلَا يَضُرُّهُ ذَلِكَ التَّظَاهَرُ مِنْهُمَا ، وَكَذَلِكَ جِبْرِيلُ وَلِيهِ ، وَكَذَلِكَ ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. قَالَ عِكْرِمَةُ: (أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ). فَقَدْ كَانَا عَوْنًا لَهُ عَلَيْهِمَا وَهُمَا أَبَوَا عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ. وَقِيلَ: خِيَارُ الْمُؤْمِنِينَ. وَقِيلَ الْأَنْبِيَاءُ. وَقَالَ السَّيِّدِي: (هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ). قُلْتُ: وَاللَّفْظُ يَعْمُ مِنْ صَلِّحُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِمَّنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا.

وقوله: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾. أي: وَالْمَلَائِكَةُ عَلَى تَكَثُّرِ عَدَدِهِمْ بَعْدَ نَصْرَةِ اللَّهِ وَجِبْرِيلَ وَصَالِحِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿ظَهِيرٌ﴾ فَوْجٌ مَظَاهِرٌ لَهُ ، أَعْوَانٌ عَلَى مَنْ أَذَاهُ ، وَأَرَادَ مُنْشَأَتَهُ ، فَمَا يَبْلُغُ تَظَاهَرَ امْرَأَتَيْنِ عَلَى مَنْ هُوَ لَازِمٌ لَهَا ظَهْرًا وَهُوَ. وَقَوْلُهُ: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِمَّنْ كَانَ﴾.

رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ سِمَاكِ أَبِي زُمَيْلٍ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: [لَمَّا اعْتَزَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا النَّاسُ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى وَيَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرَ بِالْحِجَابِ - قَالَ عُمَرُ - فَقُلْتُ: لَأَعْلَمَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ - قَالَ - : فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ ، فَقُلْتُ: يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ! أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكَ أَنْ تُؤْذِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: مَالِي وَمَالُكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ عَلَيْكَ بِعَيْتِكَ⁽¹⁾. قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ ، فَقُلْتُ لَهَا: يَا حَفْصَةُ! أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكَ أَنْ تُؤْذِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ وَاللَّهِ! لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يُحِبُّكَ ، وَلَوْلَا أَنَا لَطَلَّقَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَبَكَتْ أَشَدَّ الْبُكَاءِ ، فَقُلْتُ لَهَا: أَيْنَ

(1) المراد عليك بوعظ ابنتك حفصة. والعيبة في لغة العرب: وعاء يجعل الإنسان فيه أفضل ثيابه ونفيس متاعه ، فشبهت ابنته بها.

رسول الله ﷺ؟ قالت: هو في خزانته في المشربة، فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله ﷺ قاعداً على أُسْكُفَةِ المشربة، مُدَلَّ رِجْلِيهِ عَلَى نَقِيرٍ مِنْ خَشَبٍ، وَهُوَ جَذَعٌ يَرْقَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَيَتَحَدَّرُ، فنَادَيْتُ: يَا رِبَاحُ! اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَنَظَرَ رِبَاحٌ إِلَى الْغُرْفَةِ ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئاً، ثُمَّ رَفَعْتُ صَوْتِي فَقُلْتُ: يَا رِبَاحُ! اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ظَنَّ أَنِّي جِئْتُ مِنْ أَجْلِ حَفْصَةَ، وَاللَّهِ! لَئِنْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِضَرْبِ عُنُقِهَا لِأَضْرِبَنَّ عُنُقَهَا، وَرَفَعْتُ صَوْتِي، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ أَنْ أَزِقَهُ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ فَجَلَسْتُ، فَأَذِنَى عَلَيْهِ إِزَارَهُ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَظَنَرْتُ بِبَصْرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرِ نَحْوِ الصَّاعِ، وَمِثْلُهَا قَرَطاً⁽¹⁾ فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ، وَإِذَا أَفِيقُ⁽²⁾ مُعَلَّقٌ، - قَالَ: - فَاثْبَدَرْتُ عَيْنَايَ. قَالَ: «مَا يَبْكِيكَ؟ يَا ابْنَ الْخَطَابِ!» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! وَمَالِي لَا أَبْكِي؟ وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى، وَذَاكَ قِصْرُ وَكِسْرِي فِي الثَّمَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَصَفْوَتُهُ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ. فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَابِ! أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا؟» قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ حِينَ دَخَلْتُ وَأَنَا أَرَى فِي وَجْهِهِ الْغَضَبَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ؟ فَإِنْ كُنْتُ طَلَّقْتَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَكَ وَمَلَائِكَتُهُ وَجِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ، وَأَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَكَ، وَقَلَمًا تَكَلَّمْتُ - وَأَحْمَدُ اللَّهِ - بِكَلَامٍ إِلَّا رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ يُصَدِّقُ قَوْلِي الَّذِي أَقُولُ. وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ آيَةُ التَّخْيِيرِ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُٓ أَرْزُقًا خَيْرًا مِّمَّنْكَ﴾ [التَّحْرِيمُ: 5] ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التَّحْرِيمُ: 4]، وَكَانَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ وَحَفْصَةُ تَظَاهَرَانِ عَلَى سَائِرِ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَطَلَّقْتَهُنَّ؟ قَالَ: «لَا». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَالْمُسْلِمُونَ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى، يَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ، أَفَأَنْزِلُ فَأُخْبِرَهُمْ أَنَّكَ لَمْ تُطَلِّقْهُنَّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنْ شِئْتَ» فَلَمْ أَزَلْ أُحَدِّثُهُ حَتَّى تَحَسَّرَ الْغَضَبُ عَنْ وَجْهِهِ، وَحَتَّى كَثُرَ فَضْحِكُكَ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ثَغْرًا، ثُمَّ نَزَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَتَزَلَّتْ أَتَشَبَّثَ بِالْجَذَعِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّمَا يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا يَمَسُّهُ بِيَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّمَا كُنْتُ فِي الْغُرْفَةِ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ. قَالَ: «إِنَّ

(1) القرط: ورق السلم يديغ به.

(2) أفيق: هو الجلد الذي لم يتم دباغه، وجمعه أفق، كأديم وأدم.

الشهر يكون تسعاً وعشرين» فقامت على باب المسجد ، فنادتُ بأعلى صوتي : لَمْ يُطَلِّق رسول الله ﷺ نساءهُ ، ونزلت هذه الآية : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء : 83] فكنتُ أنا استنبطتُ ذلك الأمر ، وأنزل الله عز وجل آية التَّخْيِيرِ⁽¹⁾.

وفي جامع الترمذي عن عائشة قالت له : يا رسول الله ﷺ لا تخبر أزواجك أنني اخترتك ، فقال النبي ﷺ : [إنما بعثني الله مُبَلِّغاً ولم يبعثني مُتَعَتِّلاً]⁽²⁾.

وقوله : ﴿ مُسْلِمَتٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ . قال ابن جرير : ﴿ مُسْلِمَتٍ ﴾ يقول : خاضعات لله بالطاعة ﴿ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ يعني مصداقات بالله ورسوله.

وقوله : ﴿ قَنَاطٍ ﴾ . قال ابن زيد : (مطيعات) . وكذلك قال قتادة .

وقوله : ﴿ تَتَبَّعَتْ ﴾ . أي : راجعات إلى ما يحبّه الله منهن من طاعته عما يكرهه منهن .

وقوله : ﴿ عِدَاتٍ ﴾ . أي : متذللات لله بطاعته وطاعة رسوله ﷺ .

وقوله : ﴿ سَخِيحَةٍ ﴾ . قال ابن عباس : (صائمات) . وقال زيد بن أسلم : (مهاجرات) . والأول أرجح . وقد صح عند ابن جرير عن أبي هريرة موقوفاً : [﴿ السَّخِيحُونَ ﴾ هم الصائمون]⁽³⁾.

وكان بعض أهل العربية يرى أن الصائم إنما سمي سائحاً لأن السائح لا زاد معه ، وإنما يأكل حيث يجد الطعام ، فكأنه أُخِذَ من ذلك . حكاه ابن جرير وأثر عن الفراء والقُتَيْبِي وغيرهما .

وقوله : ﴿ ثِيَابٍ وَابْكَارًا ﴾ . قال ابن كثير : (أي : مِنْهُنَّ ثِيَابٌ ، ومنهن أبكاراً ، أي ليكون ذلك أشهى إلى النفوس ، فإن التنوع ييسط النفس).

وإنما سميت الثيب ثيباً لأنها ثابت إلى بيت أبيوها ، وأما الْبِكْرُ فهي العذراء ، سُمِّيَتْ بِكْرًا لأنها على أوّل حالتها التي خُلِقَتْ بها - حكاه القرطبي .

(1) حديث صحيح . أخرجه مسلم (1479) - كتاب الطلاق ، ح (30) ، وح (31) .

(2) حديث حسن . انظر صحيح سنن الترمذي (2644) ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (1516) .

(3) أخرجه الطبري (17302) - سورة التوبة ، آية (112) ، وهو صحيح موقوف .

6 - 8. قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاْ أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَنْذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُنْجِرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُؤَوُّوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾.

في هذه الآيات: أمر الله تعالى عباده المؤمنين الاجتهاد في طاعته هم وذريتهم للنجاة من عذابه الأليم ، وتصوير مشهد الخزي يوم القيامة على الكافرين والمنافقين ، ومشهد النجاة والسرور والفرح في دخول المؤمنين جنات النعيم .

فقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاْ أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ . قال سفيان ، عن منصور عن رجل ، عن علي بن أبي طالب قال: (يقول: أدبوهم ، علموهم) . - رواه ابن جرير .

وعن ابن عباس: ﴿فَوْاْ أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ يقول: اعملوا بطاعة الله ، واتقوا معاصي الله ، ومروا أهليكم بالذكر يُنجيكم الله من النار). وقال مجاهد: (اتقوا الله ، وأوصوا أهليكم بتقوى الله). وقال قتادة: (يقيهم أن يأمرهم بطاعة الله ، وينهاهم عن معصيته ، وأن يقوم عليهم بأمر الله يأمرهم به ويساعدهم عليه ، فإذا رأيت لله معصية ردعتهم عنها ، وزجرتهم عنها). وعن الضحاك: (حق على المسلم أن يُعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده ما فرض الله عليهم ، وما نهاهم الله عنه) .

وفي التنزيل نحو ذلك :

1 - قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه : 132] .

2 - وقال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء : 214] .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: [لما أنزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا فعمَّ وخصَّ ، فقال: يا بني كعب بن لؤي

أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَاةٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً ، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأُبْلُغُهَا بَيْلَالُهَا⁽¹⁾.

وفي سنن أبي داود عن سبرة قال: قال النبي ﷺ: [مُرُوا الصَّيِّ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ ، وَإِذَا بَلَغَ عَشْرَ سِنِينَ فَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا]⁽²⁾.

وله شاهد عنده من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ: [مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ]⁽³⁾.
قال ابن كثير: (قال الفقهاء: وهكذا في الصوم ، ليكون ذلك تمريناً له على العبادة لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية ، وترك المنكر ، والله الموفق).

وفي صحيح مسلم من حديث عائشة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أُوتِرَ يَقُولُ: [قَوْمِي فَأُوتِرِي يَا عَائِشَةُ]⁽⁴⁾.

وفي مسند أحمد وسنن أبي داود من حديث أبي هريرة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: [رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فِصْلَى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ . رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا ، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ]⁽⁵⁾.

وقوله: ﴿ وَفُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾. قال ابن جرير: (يقول: خطبها الذي يوقد على هذه النار بنو آدم وحجارة الكبريت). وعن مجاهد: (هي حجارة من كبريت ، أنتن من الجيفة).

وقوله: ﴿ عَلَيْهَا مَلَكِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ ﴾. قال القرطبي: (يعني الملائكة الزبانية غلاظ القلوب لا يرحمون إذا استرحموا ، خَلِقُوا مِنَ الْغَضَبِ ، وَحُبِّبَ إِلَيْهِمْ عَذَابُ الْخَلْقِ

(1) حديث صحيح. أخرجه مسلم (204) - كتاب الإيمان. وانظر صحيح البخاري (4771).

(2) حسن صحيح. أخرجه أبو داود (494) - كتاب الصلاة. باب متى يؤمر الغلام بالصلاة.

(3) حديث صحيح. أخرجه أبو داود (495) - كتاب الصلاة. انظر صحيح أبي داود (466).

(4) حديث صحيح. أخرجه مسلم (744) ، وأحمد (2/152) ، (2/205) من حديث عائشة.

(5) حديث صحيح. أخرجه أبو داود (1308) ، وأحمد (2/250) ، ، النسائي (3/205) وغيرهم.

كما حُبَّبَ لبني آدم أكل الطعام والشراب. ﴿شِدَادٌ﴾ أي: شداد الأبدان. وقيل: غلاظ الأقوال شداد الأفعال. وقيل: غلاظ في أخذهم أهل النار شداد عليهم). وقيل: ﴿غِلَاطٌ شِدَادٌ﴾ أي: طباعهم غليظة قد نزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله ﴿شِدَادٌ﴾ في تركيهم ومنظرهم المزعج الرهيب.

وقوله: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾. أي: لا يخالفون الله في أمره من زيادة أو نقصان ، ولا يتأخرون عن فعل ما يأمرهم طرفه عين ، بل يبادرون إلى الامتثال وتنفيذ الأمر بإتقان.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

أي: يقال للكفار يوم القيامة: إنه لا ينفعكم عذر اليوم فلا تعتذروا ، إنما توفون جزاء أعمالكم التي كنتم تعملونها في الدنيا. قال ابن جرير: (فلا تطلبوا المعاذير منها). وقال القرطبي: (﴿لَا تَعْذِرُوا الْيَوْمَ﴾ فإن عذركم لا ينفع. وهذا النهي لتحقيق اليأس).

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾. إرشاد من الله تعالى عباده المؤمنين للمبادرة إلى التوبة الصادقة قبل فوات الأوان.

يروى ابن جرير بسنده عن سماك ، عن النعمان بن بشير ، قال: سئل عمر عن التوبة النصوح ، قال: (التوبة النصوح: أن يتوب الرجل من العمل السيئ ، ثم لا يعود إليه أبداً). وقال ابن عباس: (﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ أن لا يعود صاحبها لذلك الذنب الذي يتوب منه ، ويقال: توبته أن لا يرجع إلى ذنب تركه). وقال قتادة: (هي الصادقة الناصحة). وقال ابن زيد: (التوبة النصوح الصادقة ، يعلم أنها صدق ندامة على خطيئته ، وحب الرجوع إلى طاعته ، فهذا النصوح).

وعن الحسن: (التوبة النصوح: أن تُبْعِضَ الذنب كما أحببته ، وتستغفر منه إذا ذكرته).

قلت: وشروط التوبة النصوح كما أحب تصنيفها خمسة:

أولاً: أن يكف عن الآثام وينقلع عن المحرمات.

ثانياً: أن يندم على ما فرط باجتراح السيئات.

ثالثاً: أن يعقد العزم ألا يعود إلى السقوط في هذه الآثام والزلات.

رابعاً: أن يؤدي الحقوق إلى أصحابها وكذلك الأمانات.

خامساً: أن يترك الصحبة الفاسدة التي تحمله على الموبقات. وأن يهاجر من الأرض والقرية التي يعمل أهلها المنكرات ، إلى القرى والبلاد التي يغلب على أهلها فعل الحسنات.

وأما ترتيب أدلتها من الكتاب والسنة:

1 - قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 201].

2 - أخرج أحمد وابن ماجة بسند حسن عن ابن معقل قال: [دخلت مع أبي على عبد الله ، فسمعتة يقول: قال رسول الله ﷺ: «النَّدَمُ توبة». فقال له أبي: أنت سمعت النبي ﷺ يقول: «الندم توبة»؟ قال: نعم] (1).

ورواه الطبراني من حديث أبي سعيد الأنصاري بلفظ: [الندم توبة ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له].

3 - قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَنْ يَكُنَّ فِي سَعَةِ اللَّهِ وَلَمْ يُبْصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 135].

4 - قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ [النساء: 58].

وفي مسند أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: [نفسُ المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه] (2).

5 - قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَيْتَ مَا وَنَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: 97].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري - في قصة الرجل قتل تسعة وتسعين نفساً ثم كمل بالراهب مئة ، فسأل عن أهل الأرض فدل على رجل عالم فنصحه فقال له -: [ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون

(1) حديث صحيح. أخرجه أحمد (33/1) ، وابن ماجة (4252). انظر صحيح ابن ماجة (3429).

ورواه الطبراني بسند حسن من حديث أبي سعيد الأنصاري. انظر صحيح الجامع (6679).

(2) حديث صحيح. رواه أحمد من حديث أبي هريرة. انظر تخريج: «مشكاة المصابيح» (2915).

الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء [الحديث⁽¹⁾].

وقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾. قال القرطبي: (﴿عَسَىٰ﴾ من الله واجبة). وقال النسفي: (هذا على ما جرت به عادة الملوك من الإجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت).
وقوله: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾. قال القاسمي: (أي لا يذلهم. تعريض لأعدائهم بالخزي والصغار).

وقوله: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾. قال ابن جرير: (يقول: يسعى نورهم أمامهم ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ يقول: وبأيمانهم كتابهم).
وقوله: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. قال مجاهد: (هذا يقوله المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طفي).

أخرج الإمام أحمد بسند حسن في الشواهد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة ، وأنا أول من يرفع رأسه ، فأنظر بين يدي ، فأعرف أمتي من بين الأمم ، ومن خلفي مثل ذلك ، وعن يميني مثل ذلك ، وعن شمالي مثل ذلك . فقال رجل : كيف تعرف أمتك يا رسول الله ﷺ من بين الأمم فيما بين نوح إلى أمتك؟ قال : هم غُرٌّ مُحَجَّلُونَ ، مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ ، ليس لأحد كذلك غيرهم ، وأعرفهم أنهم يُؤْتُونَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ ، وأعرفهم تسعى بين أيديهم ذُرِّيَّتُهُمْ⁽²⁾ . ورواه محمد بن نصر المروزي بنحوه وفي روايته : [غُرٌّ مُحَجَّلُونَ من أثر الوضوء ، ولا يكون أحدٌ من الأمم كذلك غيرهم ، وأعرفهم أنهم يُؤْتُونَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ ، وأعرفهم بسماهم في وجوههم من أثر السجود ، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم].

وأخرج الإمام أحمد بسند رجاله ثقات عن يحيى بن حسان ، عن رجل من بني كنانة قال: صليت خلف النبي ﷺ عام الفتح فسمعته يقول: [اللهم لا تخزني يوم القيامة]⁽³⁾.

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (373/6) ، (374/6) ، وأخرجه مسلم (2766).

(2) رواه أحمد ، وفي إسناده ابن لهيعة ، وهو حديث حسن في المتابعات. انظر صحيح الترغيب (175/1) - كتاب الطهارة ، الترغيب في الوضوء وإسباغه.

(3) أخرجه أحمد في المسند (234/4) ، ورجاله كلهم ثقات ، وجهالة الصحابي لا تضر.

9 - 10. قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ ﴿١٠﴾ .

في هذه الآيات: أمرُ الله تعالى نبيه ﷺ بمجاهدة الكفار والمنافقين أصحاب الجحيم ، وضربه تعالى المثل بامرأة نوح وامرأة لوط في خيانتهم منهاج النبوة لتكونا يوم القيامة في النار مع الداخلين .

فقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ . قال قتادة: (أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يجاهد الكفار بالسيف ، ويغلظ على المنافقين بالحدود). فجهاد الكفار بالسلاح والقتال ، وجهاد المنافقين بالوعيد واللسان وبإقامة الحدود عليهم .

وقوله: ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ . قال قتادة: (يقول: واشدد عليهم في ذات الله). وقوله: ﴿وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ﴾ . أي: ومكثهم جهنم ومستقرهم إلى النار ، وبئس القرار والموضع الذي يصيرون إليه نار السعير .

وقوله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ . قال ابن كثير: (أي: في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم ، أنَّ ذلك لا يُجدي عنهم شيئاً ، ولا ينفعهم عند الله ، إن لم يكن الإيمان حاصلًا في قلوبهم ، ثم ذكر المثل فقال: ﴿امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾ ، أي: نبين رسولين عندهما في صحبتهم ليلاً ونهاراً ، يؤاكلانهما ويضاجعانهما ويعاشرانهما أشدَّ العشرة والاختلاط).

وقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ ، أي في الدين ، لم يوافقاهما على الإيمان والرسالة . وليس المقصود الزنا أو الفاحشة ، فإن نساء الأنبياء معصومات عن ذلك لحرمة الأنبياء . قال ابن عباس: (ما بغت امرأة نبي قط . إنما كانت خيانتهم في الدين). وقال عكرمة: (وكانت خيانتهم أنهما كانتا مشركتين). وقال الضحاك: (كانتا مخالفتين دين النبي ﷺ كافرتين بالله).

يروى ابن جرير بإسناده عن سفيان عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان بن قيس ، عن ابن عباس: (قوله ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾: قال: كانت امرأة نوح تقول للناس: إنه مجنون .

وكانت امرأة لوط تدلّ على الضيف). أو قال: (أما امرأة نوح فكانت تُخبر أنه مجنون ، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدلّ قومها على أضيافه).

وقال العوفي، عن ابن عباس قال: (كانت خيانتُهما أنهما كانتا على غير دينهما، فكانت امرأة نوح تطلّع على سرِّ نوح ، فإذا آمن مع نوح أخذت الجبابة من قوم نوح به، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحداً أخبرته به أهل المدينة ممن يعمل السوء).

وقوله: ﴿ فَلَمْ يُقْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾. أي فما نفع هاتين المرأتين إذ عصتا الله أن أزواجهما أنبياء. قال قادة: (هاتان زوجتا نبيِّ الله ، لما عصتا ربهما لم يغن أزواجهما عنهما من الله شيئاً). وقال: (يقول الله: لم يغن صلاح هذين عن هاتين شيئاً ، وامرأة فرعون لم يضرّها كفر فرعون).

وقوله: ﴿ وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴾. قال ابن جرير: (قال الله لهما يوم القيامة: ادخلا أيها المرأتان نار جهنم مع الداخلين فيها).

11 - 12. قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ

قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرِيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَنَاتَيْنِ ﴿١٢﴾ ﴾.

في هذه الآيات: ذُكِرَ الصورة المقابلة من المثل ، فالذين آمنوا لا يضرهم مخالطة الكافرين إن ضاق الأمر عليهم أو حوصروا أو كانوا محتاجين إليهم ، فإن الله تعالى قضى أن لا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن لكل نفس ما كسبت ، وامرأة فرعون خير مثل في ذلك للمؤمنين ، وكذلك مريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها وصبرت على أمر ربها وكانت من القاتنتين.

فقوله: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾. قال قتادة: (كان فرعون أغنى أهل الأرض وأكفره ، فوالله ما ضرَّ امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربَّها لتعلموا أن الله تعالى حكّم عدل ، لا يؤخذ أحداً إلا بذنبه).

وقوله: ﴿ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾. قال العلماء: اختارت الجار قبل الدار. قال النسفي: (فكانها أرادت الدرجة العالية لأنه تعالى منزّه عن المكان ، فعبرت

عنها بقولها عندك). قال ابن جرير: (فاستجاب الله لها فبنى لها بيتاً في الجنة).
 وقوله: ﴿وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾. قال القرطبي: (تعني بالعمل الكفر. وقيل: من عمله من عذابه وظلمه وشماته. وقال ابن عباس: الجماع).
 وقوله: ﴿وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. قال مقاتل: (القبط). وقال الكلبي: (أهل مصر). قال ابن جرير: (تقول: وأخلصني وأنقذني من عمل القوم الكافرين بك، ومن عذابهم). وهذه المرأة هي آسية بنت مزاحم، رضي الله عنها.

أخرج أبو يعلى بسند صحيح عن أبي هريرة مرفوعاً: [إِنَّ فِرْعَوْنَ أُوْتِدَ لَامْرَأَتِهِ أَرْبَعَةُ أُوْتَادٍ فِي يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا، فَكَانَ إِذَا تَفَرَّقُوا عَنْهَا ظَلَمَتْهَا الْمَلَائِكَةُ، فَقَالَتْ: ﴿رَبِّ آتِنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، فكَشَفَ لَهَا عَنْ بَيْتِهَا فِي الْجَنَّةِ] (1).

وله شاهد عند الحاكم والطبري بسند على شرط الشيخين من حديث سلمان رضي الله عنه قال: [كانت امرأة فرعون تُعَذَّبُ بالشمس، فإذا انصرفوا عنها أظلمت الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة].

وشاهد عند البيهقي في «شعب الإيمان» عن ثابت عن أبي رافع قال: [وَتَدَّ فِرْعَوْنَ لَامْرَأَتَهُ أَرْبَعَةَ أُوْتَادٍ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَى بَطْنِهَا رَحَىً عَظِيمَةً حَتَّى مَاتَتْ] - وهو مرسل صحيح -.
 وقوله: ﴿وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾. قال ابن كثير: (أي: حَفِظَتْهُ وَصَانَتْهُ. الإحصان: هو العفاف والحُرمة. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾، أي: بواسطة المَلَكِ، وهو جبريل، فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ إِلَيْهَا فَتَمَثَّلَ لَهَا فِي صُورَةِ بَشَرٍ سَوِيٍّ، وَأَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَنْفُخَ فِيهِ فِي جَيْبِ دِرْعِهَا، فَتَزَلَّ النَّفْخَةُ فَوَلَجَتْ فِي فَرْجِهَا، فَكَانَ مِنْهُ الْحَمْلُ بَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام).

وقوله: ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ﴾. أي: بقدره وشرعه. قال قتادة: (يقول: آمنت بعيسى، وهو كلمة الله ﴿وَكُتِبَ﴾ يعني التوراة والإنجيل).
 وقوله: ﴿وَكَاَنَتْ مِنَ الْقَلْبَيْنِ﴾. أي: من المطيعين المخبتين. قال قتادة: (يقول: وكانت من القوم المطيعين).

(1) حديث صحيح. أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (4/ 1521 - 1522) وإسناده على شرط مسلم، وانظر للشاهد الأول تفسير الطبري (28/ 110)، والحاكم (2/ 492)، وهو موقوف إسناده صحيح. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (2508). وللشاهد الثاني «شعب الإيمان» (2/ 1638/244).

وقد حفلت السنة الصحيحة بأحاديث كثيرة في فضل آسية بنت مزاحم - امرأة فرعون - وفضل مريم بنت عمران عليهما السلام.

الحديث الأول: أخرج البخاري ومسلم عن علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: [خير نسائها مريم بنت عمران ، وخير نسائها خديجة بنت خويلد] (1).

الحديث الثاني: أخرج أحمد في المسند بسند على شرط الصحيح عن ابن عباس قال: [خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط ، وقال: أتدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله ﷺ: أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم ابنة عمران ، وآسية ابنة مزاحم امرأة فرعون] (2).

وله شاهد في المسند - أيضاً - من حديث أنس بلفظ: [خير نساء العالمين أربع: مريم بنت عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسية امرأة فرعون].

الحديث الثالث: أخرج البخاري ومسلم وأحمد عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: [كَمَلْ من الرجال كثير ، ولم يكْمَلْ من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران - زاد ابن مردويه: (وخديجة بنت خويلد) - وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام] (3).

تم تفسير سورة التحريم

بعون الله وتوفيقه ، وواسع مننه وكرمه

صبيحة الجمعة 9 شوال 1426 هـ

الموافق 11 / تشرين الثاني / 2005 م



- (1) حديث صحيح. أخرجه البخاري في الصحيح - حديث رقم - (3815) - كتاب مناقب الأنصار. ورواه مسلم برقم (2430) - كتاب فضائل الصحابة.
- (2) حديث صحيح. أخرجه أحمد في المسند (316/1) وإسناده على شرط الصحيح. وانظر للشاهد - بعده - صحيح الجامع (3323) ، وسنده صحيح.
- (3) حديث صحيح. أخرجه البخاري (3411) - كتاب أحاديث الأنبياء ، وكذلك (3769) ، (5418). وأخرجه مسلم (2431) - كتاب فضائل الصحابة ، ورواه أحمد ، وغيرهم.

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - حَرَّمَ الرسول ﷺ أمَّ ولده إبراهيم فعاتبه الله وأمره بإعادتها .
- 2 - التحريم ليس طلاقاً إلا بنية الطلاق ، وكفارة التحريم كفارة يمين .
- 3 - تحريم مارية وتحريم العسل واقعتان مستقلتان في أسباب نزول الآية .
- 4 - هَدَّدَ الله نساء نبيِّه أن يستقمن أو يزوجه خيراً منهن .
- 5 - المسلم مسؤول عن أهل بيته أمراً ونهياً وترغيباً وترهيباً .
- 6 - مُرُوا الصَّبِيَّ بالصلاة إذا بلغ سَبْعَ سنين ، وإذا بلغ عَشْرَ سنين فاضربوه عليها .
- 7 - المؤمن نوره يسعى بين يديه يوم القيامة والمنافق يطفأ نوره .
- 8 - الندم توبة ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له .
- 9 - نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء .
- 10 - رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة : اختارت الجار قبل الدار .
- 11 - أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنتُ خويلد ، وفاطمة بنتُ محمد ، ومريم ابنة عمران ، وآسية ابنةُ مزاحم امرأة فرعون .
- 12 - كمل من الرجال كثير ، ولم يكْمُلْ من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران . وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام .

67



وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (30) .

ذكر ما جاء في فضلها من أحاديث :

الحديث الأول: أخرج أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه بسند حسن عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال: [إنَّ سُورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ ، وَهِيَ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾] (1) .

وفي رواية: (شفعت لصاحبها حتى غُفر له) .

وفي رواية: [إن سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية ، شفعت لرجل فأخرجته من النار ، وأدخلته الجنة] .

الحديث الثاني: أخرج الطبراني في «الأوسط» بسند جيد عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: [سُورَةُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هِيَ إِلَّا ثَلَاثُونَ آيَةً خَاصَمَتْ عَنْ صَاحِبِهَا حَتَّى أَدْخَلْتَهُ الْجَنَّةَ ، وَهِيَ ﴿تَبَارَكَ﴾] (2) .

(1) حديث حسن صحيح . أخرجه أحمد (299/2) ، وأبو داود (1400) ، والترمذي (2891) ، والنسائي في «الكبرى» (710) ، وفي «التفسير» (632) ، وابن ماجه (3786) . وانظر للروايات المختلفة: تخريج الترغيب (222/2) ، وصحيح الجامع الصغير (2088) .

(2) حديث حسن . أخرجه الطبراني في «الأوسط» (3667) ، وإسناده قوي ، وله شواهد .

الحديث الثالث: أخرج الحاكم وأبو الشيخ بسند صحيح عن عبد الله مرفوعاً: [سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر]⁽¹⁾.

الحديث الرابع: أخرج الترمذي بسند صحيح عن جابر: [أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَنَام حَتَّى يَقْرَأَ ﴿الْمَ تَنَزَّلُ﴾ ، و﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾]⁽²⁾.

موضوع السورة

كمال الملك لله رب العالمين

- منهاج السورة -

- 1 - البدء بتمجيد الله تعالى خالق الموت والحياة ، جاعل الكواكب زينة للسموات ، والشهب رجوماً للشياطين .
- 2 - إعداد الله نار جهنم ليعذب بها الكافرين ، الذين كذبوا الرسل وعاندوا الوحي الكريم .
- 3 - تخصيص رفيع الأجر لأهل الخشية والخوف من الله العظيم ، الذي ذلل الأرض لعباده ليسعوا في منابكها ويكونوا من الشاكرين .
- 4 - تنبيه الله عباده أن لا يأمنوا عقابه إن اختاروا طريق المعصية والآثام ، ودعوتهم لرؤية بديع قدرته في حركة الطير فوقهم ما يمسكهم إلا الرحمان .
- 5 - تنبيه العباد أن النصر والرزق بيد الله العلي الكريم ، الذي إليه يرجع الخلق وتكون الندامة والخزي على الكافرين .
- 6 - الثناء على المؤمنين في توكلهم على العزيز الرحيم ، وتنبيه العباد إلى نعمة الماء الذي إن غار لا يأتيهم به إلا الرحمان الكريم .



(1) حديث صحيح . أخرجه الحاكم (2/ 498) ، وأبو الشيخ في «طبقات الأصهبانيين» (264) وهو صحيح الإسناد . وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (1140) .

(2) حديث صحيح . انظر صحيح سنن الترمذي (2316) - أبواب فضائل القرآن . باب ما جاء في سورة الملك ، من حديث جابر رضي الله عنه .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 5. قوله تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤) وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥).

في هذه الآيات: تمجيدُ الله تعالى نفسه فهو الخالق القادر العزيز الغفور ، الذي خلق الموت والحياة والسموات وزَيَّنَّها بالكواكب وجعل الشهب رجوماً للشياطين ، وأعدَّ عذاب السعير للكافرين .

فقوله: ﴿تَبَرَّكَ﴾. تفاعل من البركة. قال الحسن: (تقدَّس). وقال ابن جرير: (تعظيم وتعالى). فهو تمجيد من الله تعالى لنفسه الكريمة .

وقوله: ﴿الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾. قال ابن عباس: (بيده الملك يُعْزُّ من يشاء ويُذِلُّ من يشاء ، ويحيي ويميت ، ويُغني ويُفقر ، ويُعطي ويمنع). وقال محمد بن إسحاق: (له ملك النبوة التي أعزَّ بها من اتبعه وذلَّ بها من خالفه). والمقصود: بيده سبحانه مُلك الدنيا والآخرة وسلطانهما ، وأمره وقضاؤه نافذ فيهما ، فتعالى الله الملك القهار .

وقوله: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. قال القرطبي: (من إتمام وانتقام). والمعنى: أمره نافذ في كل شيء لكمال قهره وقدرته ، فلا يعجزه شيء .

وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾. قال قتادة: (أذلَّ الله ابن آدم بالموت ، وجعل الدنيا دار حياة ودار فناء ، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء). والمقصود: أوجد سبحانه الخلائق من العدم ليختبرهم أيهم أفضل عملاً. قال النسفي:

(والمعنى: خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليمتحانكم بأمره ونهيه فيما بين الموت الذي يعم الأمير والأسير والحياة التي لا تفي بعليل ولا طبيب ، فيظهر منكم ما علم أنه يكون منكم ، فيجازيكم على عملكم لا على علمه بكم).

وقدّم الموت على الحياة ، لأن الموت إلى القهر أقرب ، ولأن أقوى الناس داعياً إلى العمل من نَصَبَ موته بين عينيه ، وأكثر من ذكر هادِم اللذات الذي يسحبه إلى قبره مما في يديه .

وعن الفضيل بن عياض: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَنْتُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال: أخلصه وأصوبه. فإن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً ، لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً. والخالص أن يكون لله. والصواب: أن يكون على السنة).

وقال شيخ الإسلام: (وإذا كانت جميع الحسنات ، لا بد فيها من شيئين: أن يراد بها وجه الله ، وأن تكون موافقة للشريعة ، فهذا في الأقوال والأفعال. في الكلم الطيب ، والعمل الصالح ، في الأمور العلمية ، والأمور العملية العبادية).

أخرج الطبراني في «الكبير» بسند حسن عن عباد بن تميم عن عمه مرفوعاً: [يا نعايا العرب! يا نعايا العرب! يا نعايا العرب! إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافَ عَلَيْكُمْ الرِّياءَ والشَّهْوَةَ الْخَفِيَّةَ]⁽¹⁾.

وقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾. أي: وهو الغالب الذي لا يعجزه من عصاه ، الستور لمن تاب واستعتب والتمس رضاه.

وقوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾. قال ابن جرير: (طباقاً فوق طبق ، بعضها فوق بعض). قال القرطبي: (و﴿طِبَاقًا﴾ نعت لـ ﴿سَبْعَ﴾ فهو وصف بالمصدر).

وقوله: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾. قال قتادة: (ما ترى فيهم من اختلاف). وقال ابن كثير: ﴿﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾﴾ ، أي: بل هو مُصْطَحِبٌ مُسْتَوٍ ، ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة ، ولا نقص ولا عيب ولا خلل).

وقوله: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾. قال ابن عباس: (أي: شقوق). وفي

(1) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح. انظر «المجمع» (6/655). ورواه أبو نعيم في «الحلية» (7/122). والبيهقي في «الزهد» (2/37). وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة - حديث رقم - (508).

رواية: (أي: وهي). وقال السدي: ﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ أي: من خُرُوق. وقال قتادة: (أي هل ترى خللاً يا ابن آدم؟). والمقصود: اردد طرفك إلى السماء فقلّب البصر في أرجائها فانظر متأملاً هل ترى فيها عيباً أو نقصاً أو شقوقاً.

وقوله: ﴿ثُمَّ أَتِجْ أَبْصَرَ كَرَيْنٍ﴾. قال قتادة: (مرتين). أي رجعتين مرة بعد مرة. فإن النظرة الأولى قد لا تكشف العيب ، فانظر الثانية نظر الفاحص المستكشف .

وقوله: ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾. قال ابن عباس: (ذليلاً). وقال مجاهد: (صاغراً). فأخبر الله تعالى أنه وإن نظر في السماء مرة بعد مرة متفحصاً لا يرى فيها عيباً بل يتحير بالنظر إليها ، ويرجع البصر خاشعاً صاغراً متباعداً عن رؤية أي عيب أو نقص أو خلل . وفي لغة العرب: خَسَأَ البصر أي سَدِرَ - يعني لم يكد يبصر - من باب قَطَعَ وخَضَعَ . وخَسَأَتِ الْكَلْبُ أي أبعدته وطرده .

وقوله: ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾. الحسور: الإعياء . قال قتادة: ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ يقول: مُعْيٍ لم ير خللاً ولا تفاوتاً). والمقصود: عاد البصر بعد التأمل حسيراً - أي كليلاً - قد انقطع من الإعياء من كثرة التكرّر ولا يرى نقصاً ولا عيباً.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾. بيان لكمال زينة السماء وتمام خلقها وحسن تألئها بعد نفي النقص أو العيب في صرحها. والمصابيح: الكواكب التي وضعت فيها السيّارات والثوابت. قال النسفي: ﴿بِمَصَابِيحَ﴾ بكواكب مضيئة كإضاءة الصبح ، والمصابيح السرج ، فسميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم بإيقاد المصابيح ، فقيل: ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح ، أي بأي مصابيح لا توازيها مصابيحكم إضاءة).

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾. أي وجعلنا الشهب التي تصدر عن هذه المصابيح رجوماً لأعدائكم من الشياطين. والرجوم: جمع رجم ، وهو مصدر سُمِّيَ به ما يرمم به. قال قتادة: (خلق الله تعالى النجوم لثلاث: زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وعلامات يُهتدى بها في البر والبحر والأوقات. فمن تأوّل فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به ، وتعذّى وظلم).

أخرج البخاري عن ابن عباس قال: [انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين. فقالوا: مالكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء

وأرسلت علينا الشهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث ، فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء. قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر. فلما سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء⁽¹⁾.

فهؤلاء الشياطين ما عادوا يَحْطُونَ اليوم بخبر كامل من السماء كما كانوا قبل بعثة النبي ﷺ ، فربما استرقوا جزءاً من الخبر لا تكتمل معه قصة أو خبر قبل أن تحرقهم الشهب وتقطع عليهم السبيل.

قال شيخ الإسلام: (وقد أخبر سبحانه في كتابه من منافع النجوم ، فإنه يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، وأخبر أنها زينة للسماء الدنيا ، وأخبر أن الشياطين تُرجم بالنجوم).

قلت: وأما ما يربط به المنجمون بعض ما يحدث في الدنيا في حياة الناس من موت أحد مشاهيرهم ، أو ولادة مولود لبعضهم ، أو مما ينتظر بعضهم من أمانى وأحلام في المستقبل يزعمون أن الأفلاك توجهه ، فكل ذلك من الكذب على الله بغير علم.

قال محمد بن كعب: (والله ما لأحد من أهل الأرض في السماء نجم ، ولكنهم يتخذون الكهانة سبيلاً ويتخذون النجوم علة).

وقوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾. أي: وأعتدنا لهؤلاء الشياطين أشدّ الحريق مقابل ما تعاطوا به من السحر والكفر والكذب على الله ورسله.

6- 11. قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَسَاءَ الْمَصِيرُ﴾ ^(١) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ^(٢) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ^(٣) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (4921) - كتاب التفسير. ورواه مسلم والترمذي وغيرهما.

كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَسْحَقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ .

في هذه الآيات: إعدادُ الله نار جهنم ليعذب بها الكافرين ، الذين كذبوا الرسل وعاندوا الوحي الكريم ، ليدوقوا الخزي والندامة والألم في مستقرهم في الجحيم .
فقوله: ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ﴾ . أي أعدَّ الله لكل من كفر به من الشياطين وغيرهم عذاب النار في الآخرة .

وقوله: ﴿ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ ﴾ . أي: وبسَّ المرجع والمآل والمستقر والمنقلب .
وقوله: ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا ﴾ . قال ابن جريج: (يعني الصياح) . وقوله: ﴿ وَهِيَ تَفُورٌ ﴾ . قال مجاهد: (يقول: تغلي كما يغلي القدر) . وقوله: ﴿ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ . قال ابن عباس: (تكاد يفارق بعضها بعضاً وتنفطر) . وقال: (يقول: تتفرق) . قال ابن زيد: (التميز: التفرق من الغيظ على أهل معاصي الله غضباً لله ، وانتقاماً له) . والمقصود: تكاد جهنم ينفصل بعضها من بعض ، مِنْ شِدَّةِ غِيظِهَا عَلَى أَهْلِهَا وَحَقِّهَا بِهِمْ .

وقوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾ .

أي: كلما أُلقي فيها جماعة من الكفار سألهم خزنة جهنم - على جهة التوبيخ والتفريع -: ألم يأتكم رسول في الدنيا ينذركم لقاء يومكم هذا ويحذركم مآسيه؟! فأجابوا: ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ ﴾ حذرنا وأنذرنا فقابلناه بالتكذيب وقلنا: ﴿ مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ أي على ألسنتكم معشر الرسل ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾ أي: في ذهاب عن الحق بعيد .

وفي التنزيل نحو ذلك:

- 1 - قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: 15] .
- 2 - وقال تعالى: ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَهَا فَصَحَّتْ أَبْوُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر: 71] .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: [ليس أحدٌ

أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنْ اللَّهِ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَزَمَ الْفَوَاحِشَ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنْ اللَّهِ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ⁽¹⁾ .

وفي سنن أبي داود بسند صحيح عن أبي البختري الطائي قال: أخبرني من سمع النبي ﷺ أنه قال: [لَنْ يَهْلِكَ النَّاسَ حَتَّى يَعْذِرُوا ، أَوْ يُعْذِرُوا ، مِنْ أَنْفُسِهِمْ]⁽²⁾ .

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ .

إِخْبَارٌ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ وَقُوعِ الْكَافِرِينَ يَوْمَ الْحَسْرَةِ بِالنَّدَامَةِ ، وَرَجُوعِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْمَلَامَةِ . قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: (يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرَهُ: وَقَالَ الْفُجُجُ الَّذِي أُلْقِيَ فِي النَّارِ لِلْخِزْنَةِ ﴿لَوْ كُنَّا﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾ مِنَ النَّذْرِ مَا جَاءُونَا بِهِ مِنَ النَّصِيحَةِ ، أَوْ نَعْقِلُ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَنَا إِلَيْهِ ﴿مَا كُنَّا﴾ الْيَوْمَ ﴿فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ يَعْنِي أَهْلَ النَّارِ) . وَالْمَقْصُودُ: مَا كَانُوا يَسْمَعُونَ الْإِنْذَارَ سَمَاعَ طَالِبِ الْحَقِّ ، وَلَا يَعْقِلُونَ حُجَجَ الْوَحْيِ عَقْلَ الْمُتَأَمِّلِ الْمُتَدَبِّرِ ، وَهَذَا مَا وَرَّطَهُمْ فِي الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . قَالَ النَّسْفِيُّ: (وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَدَارَ التَّكْلِيفِ عَلَى أَدْلَةِ السَّمْعِ وَالْعَقْلِ وَأَنْهُمَا حُجَّتَانِ مُلْزِمَتَانِ) .

وقوله: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ . أَي: أَقْرَأُوا بِكَفْرِهِمْ فِي تَكْذِيبِ الرُّسُلِ وَمُعَانَدَةِ حُجَجِ الْوَحْيِ . وَوَحَّدَ الذَّنْبَ وَقَدْ أَضِيفَ إِلَى الْجَمْعِ لِأَنَّ فِيهِ مَعْنَى الْفِعْلِ ، فَالذَّنْبُ بِمَعْنَى الْجَمْعِ ، فَأَدَّى الْوَاحِدُ عَنِ الْجَمِيعِ ، كَمَا يَقَالُ: خَرَجَ عَطَاءُ النَّاسِ أَيِ اعْطَيْتَهُمْ .

وقوله: ﴿فَسَحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ . قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (يَقُولُ: بُعْدًا) . قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: (أَيِ فُبُعْدًا لَهُمْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ) .

12 - 15 . قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ

كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ ذَاتُ الْأُصْدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ

(1) حديث صحيح . أخرجه مسلم (2760) ح (35) - كتاب التوبة . باب غيرة الله تعالى ، وتحريم الفواحش . قال القاضي: (يَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ الْإِعْتِذَارَ ، أَيِ اعْتِذَارَ الْعِبَادِ إِلَيْهِ مِنْ تَقْصِيرِهِمْ ، وَتَوْبَتِهِمْ مِنْ مَعَاصِيهِمْ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾) . - يفسر «الْعُذْرُ» .

(2) حديث صحيح . أخرجه أبو داود في السنن (4347) ، بإسناد حسن ، وجهالة الصحابي لا تضر ، فالإسناد رجاله ثقات . وانظر صحيح سنن أبي داود (3653) .

اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ
الشُّورُ ﴿١٥﴾ .

في هذه الآيات: إثبات رفيع الأجر والثواب لأهل الخشية والخوف من الله العظيم ،
الذي يعلم السر وأخفى وهو اللطيف الخبير الكريم ، والذي ذلل الأرض لعباده ليسعوا
في مناكبها وليشكروه على نعمه وليستعدوا للقائه في يوم الحشر العظيم .
فقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ ﴾ . قال ابن جرير: (يخافون ربهم) بِالْغَيْبِ ﴿
يقول: وهم لم يروه).

قلت: بل الخشية أخص من الخوف ، فالخشية للعلماء بالله ، والخوف لعامة
المؤمنين . كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: 28] . وكما قال
نبيه ﷺ: [إني أتقاكم لله وأشدكم له خشية] - رواه مسلم .

وقوله: ﴿ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ . أي لهم عفو من الله عن ذنوبهم ، وثواب جزيل
على خشيتهم إياه - سبحانه - بالغيب .

وقوله: ﴿ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ ﴾ . اللفظ لفظ الأمر والمراد به الخبر . والتقدير:
سواء أخفيتم قولكم وكلامكم أيها الناس أو أعلنتموه فإن إسراكم وإجهاركم قد أحاط
به الله .

وقوله: ﴿ إِنَّمَا عَلِمْتَ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ . أي: إنه تعالى محيط بضمائر الصدور لا يخفى
عليه منها شيء ، فغيرها أخرى أن لا يخفى عليه .

وقوله تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ . أي: ألا يعلم السر من خلق
السر ، وهو ﴿ اللَّطِيفُ ﴾ بعباده ﴿ الْخَبِيرُ ﴾ بهم وبأعمالهم .

واللطيف اسم من أسماء الله تعالى . ومعناه: الذي يوصل إليك أربك في رفق .
وقيل: هو الذي لطف عن أن يدرك بالكيفية .

قال تعالى: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام:
103] .

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [الشورى: 19] .

والخبير: العالم العارف بما كان وما يكون . قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ
وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: 18] .

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾. أي: سهلة تستقرون عليها ، قد سهّلها لكم. والذلّول في كلام العرب المنقاد الذي يذلّ لك. والمصدر الذلّ وهو اللين والانقياد.

وقوله: ﴿فَاسْئَلُوا فِي مَنَازِلِهَا﴾. أي في أطرافها ونواحيها وأرجائها. قال ابن عباس: (يقول: امشوا في أطرافها). وقال مجاهد: (في طرقها وفجاجها).

قال ابن كثير: (أي: فسافروا حيث شئتم من أقطارها ، وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات ، واعلموا أن سعيكم لا يجدي عليكم شيئاً ، إلا أن ييسره الله لكم ، ولهذا قال: ﴿وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ - فالسعي في السبب لا ينافي التوكل).

وفي سنن ابن ماجه والترمذي بسند حسن عن عمر بن الخطاب يقول: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: [لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً وتروح بطاناً]⁽¹⁾.

وقوله: ﴿وَالِئِنَّهُ الشُّورُ﴾. أي: وإليه المرجع سبحانه يوم القيامة ، هو ينشركم من قبوركم للقيام بين يديه في أرض المحشر.

16 - 19. قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِلٌ وَيَقِظُنَّ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾.

في هذه الآيات: تنبيه الله تعالى عباده أن لا يأمنوا عقابه إن اختاروا طريق المعصية والآثام ، فلقد أهلك سبحانه من قبلهم من أهل الكفر والمكر والإجرام ، فهلا نظروا إلى بديع قدرته في حركة الطير فوقهم ما يمسكهن إلا الرحمن.


فقوله: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ﴾. أي: أأمنتم الله الذي استوى على العرش فوق سبع سماوات أن ينزل نقمته بأهل المعاصي والآثام. قال ابن عباس: (أأمنتم عذاب من في

(1) حديث حسن. أخرجه الترمذي (2344) ، وابن ماجه (4164) ، وأحمد (30/1) ، وغيرهم.

السماء إن عصيتموه). وقيل: تقديره أأمنت من في السمااء قدرته وسلطانه وعرشه ومملكته. قال القرطبي: (وخصَّ السمااء وإن عمَّ ملكه تنبيهاً على أن الإله الذي تنفذ قدرته في السمااء لا من يعظمونه في الأرض). وقال ابن جرير - شيخ المفسرين -: ﴿وَأَمْنُكُمْ مِّنَ فِي السَّمَاءِ﴾ وهو الله.

قلت: والآية دليل ساطع من أدلة العلو وأن الله تعالى في السمااء - أي: على السمااء - فإن ﴿فِي﴾ - في هذه الآية كما ذكر البيهقي والذهبي وأئمة السلف - تعني «على».

وفي التنزيل نحو ذلك:

- 1 - قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: 10].
- 2 - وقال تعالى: ﴿يُذِبرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: 5].
- 3 - وقال تعالى: ﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾  الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 4-5].

ومن كنوز صحيح السنة في آفاق ذلك أحاديث ، منها:

الحديث الأول: أخرج مسلم عن جابر: [- أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يوم عرفة -: ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. فجعل يرفع أصبعه إلى السمااء وينكتها إليهم ويقول: اللهم اشهد]. وفي رواية: [فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السمااء وينكتها إلى الناس ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، ثلاث مرات] (1).

الحديث الثاني: أخرج أبو داود والترمذي بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: [الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السمااء] (2).

الحديث الثالث: أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: [ألا تأمنوني وأنا أمين من في السمااء؟ يأتيني خبر السمااء صباحاً ومساءً] (3).

- (1) حديث صحيح. أخرجه مسلم (4/39-43). وانظر مختصر صحيح مسلم - حديث رقم - (707).
- (2) حديث صحيح. أخرجه أبو داود (4941)، والترمذي (350/1)، وأحمد (2/160)، وغيرهم.
- (3) حديث صحيح. انظر مختصر صحيح مسلم (514) ص (140)، وهو جزء من حديث طويل.

وقوله: ﴿أَنْ يَخْشِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾. أي كما خسف بقارون. ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ أي: تضطرب وتتحرك. والمَمُور: الاضطراب بالذهاب والمجيء.

وقوله: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنِ فِي السَّمَاءِ﴾ - وهو الله - ﴿أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾. قال ابن جرير: (وهو التراب فيه الحصباء الصغار). وقال القرطبي: (أي حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل. وقيل: ريح فيها حجارة وحصباء. وقيل: سحب فيه حجارة).

وقوله: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾. أي: فستعلمون كيف يكون إنذاري وعاقبة من كَذَّب به. قال النسفي: (أي إذا رأيتم المنذر به علمتم كيف إنذاري حين لا ينفعكم العلم).

وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾. أي: ولقد كَذَّب - يا محمد - الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الأمم السالفة والقرون الخالية رسلهم.

وقوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٌ﴾. قال ابن كثير: (أي: فكيف كان إنكاري عليهم ومعاقبتي لهم؟ أي: عظيماً شديداً أليماً).

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَتْ وَيَقِظْنَ﴾. قال مجاهد: (بَسْطُهُنَّ أَجْنَحَتَهُنَّ وقبضهنَّ). وقال قتادة: (﴿صَفَقَتْ﴾: الطير يصف جناحه كما رأيت ، ثم يقبضه). والمقصود: أولم ينظر هؤلاء القوم نظرة تأمل في جماعات الطير ، تارة يَصْفُفْنَ أَجْنَحَتَهُنَّ في الهواء ، وتارة تجمع جناحاً وتنتشر جناحاً.

وقوله: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾. أي: ما يمسك الطير في الجو فوقكم إلا الرحمن ، بما سَخَّرَ لهن من الهواء ، وبما دَبَّرَ لهن من بنية يتأتى منها الجري في الجو. كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: 79].

وقوله: ﴿إِنَّكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ بِصِيرٌ﴾. قال القاشاني: (أي فيعطيه ما يليق به ، وَيُسَوِّيه بحسب مشيئته ، ويودع فيه ما يريده بمقتضى حكمته ، ثم يهديه إليه بتوفيقه). وقال ابن جرير: (يقول: فلهم بذلك مذكر إن ذكروا ، ومعتبر إن اعتبروا ، يعلمون به أن ربهم واحد لا شريك له ﴿إِنَّكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ بِصِيرٌ﴾ يقول: إن الله بكل شيء ذو بصير وخبرة ، لا يدخل تدبيره خلل ، ولا يرى في خلقه تفاوت).

20 - 27. قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿أَمَّنْ يَمْشِي مِكْبًا عَلَىٰ وَجْهِهِ ۖ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ .

في هذه الآيات: تنبيه العباد أن النصر والرزق بيد الله العلي الكريم ، الذي خلق الأرض وبت فيها العباد وجعل لهم السمع والأبصار ليذكروهم وإليه المرجع يوم الحشر العظيم ، يوم يرسل الله الخزي والندامة والمذلة على الكافرين .

فقوله: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ . تبكيت وتقريع بالمشركين الذين عبدوا مع الله آلهة يبتغون بذلك النصر والرزق ، ويظنون أنها تقربهم إلى الله زلفى . قال ابن جرير: (يقول: من هذا الذي هو جند لكم أيها الكافرون به ينصركم من دون الرحمن إن أراد بكم سوءاً ، فيدفع عنكم ما أراد بكم من ذلك) .

وقوله: ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ . قال القرطبي: (من الشياطين ، تغرهم بأن لا عذاب ولا حساب) .

وقوله: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ . أي: أم من هذا الذي هو يطعمكم ويسقيكم ، ويأتي بأقواتكم ويغدق عليكم ويعطيكم حوائجكم ، إن قطع الله رزقه عنكم؟! .

وقوله: ﴿بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ . قال ابن عباس: (يقول: في ضلال) . وقال مجاهد: (﴿بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ قال: في كفور) . والمقصود: بل استمروا في طغيانهم وتماديهم وضلالهم وشرودهم عن الحق .

وقوله تعالى: ﴿أَفَنْ يَمْشِيَ مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِيَ سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ، فالكافر يمضي في ضلاله وتخطئه كالمنكس رأسه لا ينظر أمامه ولا يمينه ولا شماله ، فهو لا يأمن من العثور والانكباب على وجهه ، وأما المؤمن فهو يمضي في طريقه مطمئناً يستضيء بنور إيمانه و يقينه ، فهو كالذي يمشي سويّاً معتدلاً ناظراً ما بين يديه وعن يمينه وعن شماله ، يبصر العقبات ويحذر العثرات .

وقوله: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾. أي خلقكم ابتداء . قال القرطبي: (أمر نبيه أن يعرفهم قبح شركهم مع اعترافهم بأن الله خلقهم).

وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾. قال النسفي: (خصّها لأنها آلات العلم). فالسمع تسمعون به ، والأبصار تبصرون بها ، والأفئدة تعقلون بها .

وقوله: ﴿فَلَيْلًا تَشْكُرُونَ﴾. قال القاسمي: (أي باستعمالها فيما خلقت له).

وقوله: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾. قال ابن عباس: (أي خلقكم في الأرض). وقال ابن شجرة: (نشركم فيها وفرقكم على ظهرها).

وقوله: ﴿وَالْيَوْمَ تُحْشَرُونَ﴾. أي: وإليه تجمعون من قبوركم لمشهد الحساب ونيل الثواب والعقاب.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾. استهزاء من المشركين بيوم المعاد. أي يقولون: متى يوم القيامة! ومتى هذا العذاب الذي تعدوننا به إن كنتم صادقين في وعدكم! أعلمونا زمانه وميعاده!.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُهُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

أي: قل لهم يا محمد: إن وقت قيام الساعة موكل أمره وعلمه إلى الله ، فلا يشاركه في علمه غيره ، وإنما أنا ﴿نَذِيرٌ﴾ أي: مخوف ومعلم لكم ، ﴿مُبِينٌ﴾: أبين لكم الشرائع.

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾. أي قريباً. فهو مصدر بمعنى مُرْدَلَفًا. قال مجاهد: ﴿زُلْفَةً﴾: قد اقترب). وقال الحسن: (لما عاينوه).

وقوله: ﴿سَيَتَّ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾. قال قتادة: (لما رأوا عذاب الله زلفة ، يقول: سيئت وجوههم حين عاينوا من عذاب الله وخزيه ما عاينوا). وقال ابن زيد: (الزلفة حاضر قد حضرهم عذاب الله عز وجل).

وفي التنزيل: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الزمر: 47 - 48].

وقوله: ﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾. قال ابن زيد: (استعجالهم العذاب). أي: يقال لهم حينئذ على وجه التقريع والتوبيخ: هذا الذي كنتم تكذبون وتدعون من أجله الأباطيل والأحاديث، هذا هو العذاب الذي كنتم به تذكرون ربكم أن يعجله لكم وتمايلون مستهزئين.

28 - 30. قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ ﴿٣٠﴾.

في هذه الآيات: إثبات مرجع الأمر كله لله العلي العظيم، فهو الرحمان عليه يتوكل المؤمنون وسيعلم الكفار أنهم أهل الضلال المبين. مَنْ يَأْتِيكُمْ أيها الناس بالماء إن غار في أرضكم سوى الله الحكيم الكريم!

فقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا﴾. أي: قل يا محمد للمشركين من قومك أرايتم أيها الناس إن أماتني الله وأصحابي أو أخر آجالنا.

وقوله: ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. قال ابن كثير: (أي خلصوا أنفسكم، فإنه لا مُقَدَّذَ لكم من الله إلا التوبة والإنابة، والرجوع إلى دينه، ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنا من العذاب والنكال، فسواء عَذَّبَنَا الله أو رَحِمَنَا، فلا مناصَ لكم من نكاله وعذابه الأليم الواقع بكم).

وقوله: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾. قال النسفي: (أي الذي أدعوكم إليه الرحمان ﴿أَمَنَّا بِهِ﴾ صدقنا به ولم نكفر به كما كفرتم ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ فوضنا إليه أمورنا).

وقوله: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾. أي: فستعلمون معشر المشركين إذا نزل العذاب بكم ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ نحن أم أنتم، وسترون لمن تكون العاقبة في الدارين.

وقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾. الغائر: الداهب في الأرض وهو ضد النابع. أي: قل يا محمد - يا معشر قريش - ماذا لو غار ماء أباركم وينابيعكم فذهب في الأرض

لا تناله الدلاء ، ولا الفؤوس الحداد ، ولا السواعد الشداد. قال القرطبي: (وكان ماؤهم من بئرين: بئر زمزم وبئر ميمون).

وقوله: ﴿فَمَنْ يَأْتِكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾. إظهار بديع لرحمة الله في خلقه ، لعل المشركين يكفرون بالطواغيت ويعظمون أمره ، وينصرفون إلى امتثال شرعه!

قال ابن عباس: ﴿فَمَنْ يَأْتِكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ يقول: بماء عذب. وقال قتادة: (الماء المعين: الجاري). وقال سعيد بن جبير: (الظاهر). وفي رواية أخرى عن ابن عباس: ﴿بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ أي ظاهر تراه العيون).

وبناء على ذلك فإن ﴿مَعِينٍ﴾ أي ظاهر تراه العيون ، فهو مفعول ، أو هو من مَعَن الماء إذا كثر فهو على وزن فاعيل ، أي هو كثير جار ونابع وسائح على وجه الأرض.

والمقصود: لابد لهم أمام هذا القرع الرائع أن يقولوا إنما يأتينا به الله ، فقل لهم يا محمد: فلم تشركون به من لا يقدر على التحكم بمياهكم وأباركم وينابيعكم! وليس له أمر إجرائها في سائر أقطار البلاد ، حسب حاجة البهائم والعباد.

أخرج الحاكم على شرط الشيخين عن ابن عباس قال: [ما من عام بأكثر مطراً من عام ، ولكن الله يصرفه بين خلقه حيث يشاء ، ثم قرأ: ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا فَآبَةً أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كَفُورًا﴾ [الفرقان: 50]]⁽¹⁾.

وله شاهد عند البغوي عن ابن مسعود يرفعه: [ليس من سنة بأمراً من أخرى ، ولكن الله قسم هذه الأرزاق ، فجعلها في السماء الدنيا في هذا القطر ، ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم ، وإذا عمل قوم بالمعاصي حوّل الله ذلك إلى غيرهم ، فإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفياضي والبحار]⁽²⁾.

تم تفسير سورة الملك

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منّه وكرمه

عصر الأحد 11 شوال 1426 هـ

الموافق 13 / تشرين الثاني / 2005 م

(1) حديث صحيح. أخرجه الحاكم (403/2) ، وابن جرير في «التفسير» (15/19) ، وهو صحيح على شرط الشيخين. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (2461).

(2) صحيح مرفوع. أخرجه البغوي في «معالم التنزيل» (6/184 - منار). وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ج (5) ص (593). وقوله: «بأمراً» أي بأسوأ.

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر .
- 2 - كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ السجدة والملك .
- 3 - لن يُرى في خلق السماوات السبع من خلل مهما تكرر إمعان النظر .
- 4 - ندامة الكفار في جهنم حيث لا تنفع الندامة .
- 5 - الأجر والمغفرة للذين يخشون ربهم بالغيب .
- 6 - طلب الرزق لا ينافي التوكل . ولو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً .
- 7 - ذات الله تعالى فوق كل مخلوق ، ووسعت صفاته كل شيء .
- 8 - لا يرزق غير الله إن أمسك رزقه ، ولا يجير من عذاب الله أحد إن أنزل نقمته .
- 9 - من هذا الذي ينبع الماء إن أراد أن يجعله غائراً في الأرض !
- 10 - ما من عام بأكثر مطراً من عام ، ولكن الله يصرفه بين خلقه حيث يشاء .



68



وهي سورة مكية ، ويقال لها سورة نون ، وعدد آياتها (52) .

موضوع السورة

القلم أول ما خلق الله رب العالمين
وكتب فيه تقدير جميع ما في الدارين

- منهاج السورة -

- 1 - القسم بالقلم لتأكيد الله نبوة رسوله الكريم ، وإثبات الخلق جميعه لله العظيم .
- 2 - توعده الله تعالى المنافقين والكافرين ، والله تعالى هو أعلم بالضالين وبالمهتدين .
- 3 - الدعوة لإقامة منهج الولاء والبراء ، والتحذير الشديد من اتباع سبيل الأعداء .
- 4 - قصة أصحاب الجنة وانعكاس المكر السيئ على أهله الماكرين ، والشعور بالندم بعد نزول الانتقام من الله رب العالمين ، وبقاء الأمل بالله بعد التوبة فإن الفوز هو النجاة من عذاب الجحيم .
- 5 - التفريق بين المسلمين والمجرمين ، فالؤمنون في سرور ونعيم ، والكافرون هم وشركاؤهم في نار الجحيم .
- 6 - ظهور الساق يوم الحشر ككلمة السر بين المؤمنين وربهم ليخروا له ساجدين ، وحرمان الله المنافقين أن يكونوا مع الساجدين .

- 7- استدراج الله الكفار في الدنيا وكذلك المنافقين ، حتى يحيط بهم كيده المتين .
- 8- أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالصبر ، وكشف محاولات الكفار إصابته بالعين والسحر .
- 9- اتهام الكفار الرسول بالجنون ، وهذا الوحي ونبي الحق شرف للعالمين .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 7. قوله تعالى: ﴿تَّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتَبْصُرُ وَتُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ أَلْفَقْتُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ .

في هذه الآيات: قَسَمٌ من الله تعالى بالقلم يؤكد النبوة لنبيه الكريم ، ويثبت له الخلق العظيم ، ويتوعد المنافقين والكافرين ، والله تعالى هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين .

فقوله: ﴿تَّ﴾ - كقوله في أوائل السور المتقدمة التي تبدأ بمثل هذه الحروف المقطعة ، والراجع أن المراد الإعجاز ، أي: هذا القرآن مكون من مثل هذه الأحرف ، والخلق عاجزون عن معارضته بمثله .

وقوله: ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ . قسم من الله تعالى بالقلم ، والمراد جنس القلم الذي يكتب به ، كما قال جل ثناؤه: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ [العلق: 3 - 5] .

أخرج الإمام أحمد والترمذي بسند صحيح من حديث عبادة مرفوعاً: [إِنْ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ] (1) .

وفي رواية: [إِنْ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ ، قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدْرَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ] . وفي لفظ آخر: (اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة) .

وعن ابن عباس: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: يعني وما يكتبون). وقال أيضاً: (وما يَعْمَلُونَ) .

(1) حديث صحيح. أخرجه أحمد في المسند (317/5) ، والترمذي في التفسير (232/2) ، وانظر تخريج أحاديث «مشكاة المصابيح» (94) .

وقال السدي: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾: يعني الملائكة وما تكتب من عمل العباد). قال ابن كثير: ﴿وَالْقَلَمِ﴾. فهو قَسَمٌ منه تعالى ، وتنبيةٌ لِخَلْقِهِ على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها تُنالُ العلوم).

وقوله: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾. قال النسفي: (أي بإنعامه عليك بالنبوة وغيرها). وقال القرطبي: (والنعمة هاهنا الرحمة). وقيل: النعمة هاهنا قسم والتقدير: ما أنت ونعمة ربك بمجنون ، فالواو والباء من حروف القسم.

والمقصود: ما أنت - يا محمد - بما جئت به قومك من الوحي والهدى والحق بمجنون - كما نسبك الجهلة من قومك ظلماً إلى الجنون -.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾. أي: وإن لك يا محمد عند الله الثواب العظيم الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبسد ، مقابل حملك هذه الأمانة ، والصبر على أذى قومك في سبيلها. قال ابن جرير: ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾: غير منقوص ولا مقطوع). فهو من قولهم: مننت الحبل إذا قطعته. وحبل منين إذا كان غير متين. وعن مجاهد: ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾: غير محسوب). وقال الحسن: (غير مكدر بالمتن). وقال الضحاك: (أجراً بغير عمل). وعن الماوردي: (غير مقدّر وهو التفضل ، لأن الجزاء مقدّر والتفضل غير مقدّر). وجميعها أقوال متقاربة متكاملة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. قال ابن جرير: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإنك يا محمد لعلی أدب عظيم ، وذلك أدب القرآن الذي أدبه الله به ، وهو الإسلام وشرائعه).

قلت: «على» في لغة العرب حرف استعلاء ، فكأن الخلق العظيم في مقام أنت علوته يا محمد ، وسموت فوقه بتألق صفاتك وأخلاقك.

ومن كنوز السنة العطرة في وصف أخلاقه وشمائله - ﷺ - أحاديث:

الحديث الأول: روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة: [وقد سألتها رجل - يا أم المؤمنين! أنبئني عن خلق رسول الله ﷺ. قالت: ألسنت تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. قالت: فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن]⁽¹⁾.

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذا الحديث: (ومعنى هذا أنه - عليه الصلاة

(1) حديث صحيح. أخرجه مسلم (746) - كتاب صلاة المسافرين ، في أثناء حديث طويل.

والسلام - صارَ امتثالُ القرآن ، أمراً ونهياً ، سجيةً له وخُلُقاً تَطَبَّعَهُ ، وتركَ طَبْعَهُ الجبليَّ ، فمهما أمره القرآنُ فَعَلَهُ ، ومهما نهاه عنه تَرَكَه ، هذا مع ما جبله الله عليه من الخُلُقِ العظيم ، من الحياء والكرم ، والشجاعة ، والصَّفَح ، والحلم وكلِّ خلقٍ جميل). وقال القرطبي: (ولم يُذكر خُلُقٌ محمود إلا وكان للنبي ﷺ منه الحظُّ الأوفر).

الحديث الثاني: أخرج البخاري ومسلم عن أنس قال: [خَدَمْتُ رسولَ الله ﷺ عشر سنين فما قال لي «أف» قط ، ولا قال لشيء فعلته: لِمَ فَعَلْتَهُ؟ ولا لشيء لم أفعله: أَلَا فَعَلْتَهُ؟! وكان رسول الله ﷺ من أَحْسَنِ الناس خُلُقاً ، ولا مَسَسْتُ خَزْراً ولا حَريراً ولا شيئاً كان أَلْيَنَ من كفِّ رسول الله ﷺ ، ولا شَمَمْتُ مسكاً ولا عِطراً كان أَطْيَبَ من عَرَقِ رسول الله ﷺ] (1).

قلت: وهذا الحديث العظيم يدل أن الله تعالى قد جمع في شخص النبي ﷺ حسن الخُلُقِ والخُلُقِ ، فهو من أحسن الناس خُلُقاً وخُلُقاً.

الحديث الثالث: أخرج البخاري ومسلم والترمذي عن البراء قال: [كان رسول الله ﷺ أَحْسَنَ الناس وجهاً وأحسن الناس خُلُقاً ، ليس بالطويل ولا بالقصير] (2).

الحديث الرابع: أخرج أحمد على شرط الشيخين عن عائشة قالت: [ما ضَرَبَ رسول الله ﷺ بيده خادماً قط ، ولا امرأة ، ولا ضَرَبَ بيده شيئاً قط ، إلا أن يجاهد في سبيل الله. ولا خَيْرَ بين شيئين قط إلا كان أَحَبَّهُما إليه أيسرُهُما حتى يكون إثمًا ، فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس من الإثم ، ولا انتقم لنفسه من شيء يُؤْتَى إليه إلا أن تُتَنَهَكَ حُرُمات الله ، فيكون هو ينتقم لله عزَّ وجلَّ] (3).

الحديث الخامس: أخرج أحمد بسند حسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: [إنما بُعثت لأَتَمِّمَ صالح الأخلاق] (4).

الحديث السادس: أخرج الترمذي بسند صحيح من حديث أبي الدرداء ، أن

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (6038) ، ومسلم (2309) ، وأبو داود (4774) ، ورواه أحمد (255/3) ، وابن حبان (2894) من حديث أنس.

(2) حديث صحيح. أخرجه البخاري في الصحيح (3549) ، ومسلم (2337) ح (93) ، وأخرجه الترمذي في «الشمائل» (131) من حديث البراء.

(3) حديث صحيح. أخرجه أحمد (6/232) ، وإسناده على شرط البخاري ومسلم ، وله طرق.

(4) حديث حسن. أخرجه أحمد في المسند (381/2) ، وإسناده حسن.

النبي ﷺ قال: [ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن ، وإن الله تعالى لَيُبَغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ] (1).

الحديث السابع: أخرج الترمذي بإسناد حسن من حديث جابر ، أن رسول الله ﷺ قال: [إِنَّ مِنْ أَحْبَبِكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقاً - قَالَ - وَإِنْ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَاوُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيِّهُونَ. قالوا: يا رسول الله ، قد عَلِمْنَا الثَّرَاوُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ ، فما المتفهيون؟ قال: المتكبرون] (2).

والمتشدقون: المتوسعون في الكلام من غير احتياط واحتراز. وقيل: أراد بالمتشدد: المستهزئ بالناس يلوي شذقه بهم وعليهم.

وقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْهُ وَبِحَمْدِهِ﴾. قال الضحاك: (يقول: ترى ويرون). وقال ابن عباس: (ستعلم ويعلمون يوم القيامة). قال النسفي: (أي عن قريب ترى ويرون ، وهذا وعد له ووعد لهم).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾. أي: بأيكم الجنون. أهو في فريق الإيمان أم في فريق الكفر. قال مجاهد: ﴿يَا أَيُّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾: بأيكم المجنون). وقال قتادة: (بأيكم أولى الشيطان). والمقصود: ستعلم يا محمد ويعلم مخالفوك ومكذبوك قريباً من المفتون الذي افتتن عن الحق وضل عن سواء السبيل ، فهو متبوع للشيطان وأولى أن يوصف بالجنون.

وفي التنزيل: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَثِيرِ﴾ [القمر: 26].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

أي: إن ربك - يا محمد - هو أعلم بمن ضل عن طريق الحق الذي أمر به ، وهو أعلم بمن اهتدى إليه وإلى منهاج النجاة والسعادة في الدارين.

8 - 16. قوله تعالى: ﴿فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٨) وَدُّوا لَوْ تَدْرُفُهُمْ فَيَذَرُوهَا (٩) وَلَا

تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٠) هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنَمِيمٍ (١١) مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ

(1) حديث صحيح. أخرجه الترمذي في السنن (2002) ، وأبو داود (4799) - مختصراً.

(2) إسناده حسن. أخرجه الترمذي في السنن (2018) ، والخطيب في «تاريخ بغداد» (4/ 63).

زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالِكَ اسْطِيرَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ .

في هذه الآيات: دعوة من الله تعالى نبيه ﷺ إلى إقامة منهج الولاء والبراء ، والتحذير من اتباع سبيل الأعداء .

فلقد عرض المشركون على النبي ﷺ أن يترك بعض ما هو عليه مقابل أن يتركوا بعض ما هم عليه ، وأن يعبد آلهتهم عاماً ويعبدوا ربّه عاماً ، فقالوا له كما يروي ابن هشام: (لو قبلت آلهتنا نعبد إلهك) . فأنزل الله: ﴿فَلَا تُطِيع الْمُكْذِبِينَ﴾ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ نُفِذَهُنَّ فَيُدْهِنُونَ﴾ .

وقوله: ﴿نُدْهِنُ﴾ من الدُّهْن ، فشبه سبحانه التليين في القول بتليين الدُّهْن .

قال ابن عباس: (ودُّوا لو تكفر فيكفرون) . وفي رواية: (لو ترخص لهم فيرخصون) . وقال مجاهد: (لو تَرَكْن إلى آلهتهم ، وتترك ما أنت عليه من الحق فيماثلونك) . وقال قتادة: (ودُّوا يا محمد لو أدهنت عن هذا الأمر ، فأدهنوا معك) .

والآية تشبه قوله سبحانه في سورة الإسراء: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِيفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرٌ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خِيَلًا﴾ ﴿٧٦﴾ وَلَوْلَا أَنْ بُنِيتَ لَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ ﴿٧٧﴾ إِذَا لَا ذَنْبَ لَكَ ضَعْفَ الْحَيَوةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْهَا نَصِيرًا﴾ .

وكان الأخنس بن شريق الثقفي ممن ينال من رسول الله ﷺ ويطعن فيه ، فوصفه الله بتسع صفات ذميمة في القرآن ، فقال جل ذكره: ﴿وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ﴾ .

قال ابن عباس: (والمهين: الكذاب) . وقال مجاهد: (مهين: ضعيف) . وقال قتادة: (وهو المكثار في الشر) . وقال الحسن: (كل مكثار في الحلف مهين ضعيف) .

وقوله: ﴿هَمَازٍ﴾ . قال ابن عباس: (يعني الاغتيال) . وقال قتادة: (يأكل لحوم المسلمين) .

وقوله: ﴿مَسْلَمٍ يَنْمِيهِ﴾ . قال ابن عباس: (يمشي بالكذب) . وقال قتادة: (ينقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض) .

وقوله: ﴿مَنْعٍ لِلْخَيْرِ﴾ . أي بخيل بالمال والإنفاق والعطاء . ﴿مُعْتَدٍ﴾ على الناس ﴿أُثِيمٍ﴾ ذي إثم بربه ، فهو بخيل بالبذل وبالعامل ، كثير الفواحش والآثام ، متناول على حقوق الناس .

ثم وصفه بقوله: ﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْنِمٌ﴾. ليجمع بهذا الوصف ساقط الصفات وذميم الأخلاق، فإن العتل هو الجافي الشديد في كفره، وكل شديد قوي تسميه العرب عتلاً.

قال ابن عباس: (العتل: العاتل الشديد المنافق). وقال الحسن: (فاحش الخلق لئيم الضريبة).

وعن وهب الذماري قال: (تبكي السماء والأرض من رجل أتم الله خلقه، وأرحب جوفه، وأعطاه مَقْضِماً من الدنيا، ثم يكون ظلوماً للناس، فذلك العتل الزنيم).

والزنيم في كلام العرب هو الملتصق بالقوم وليس منهم. قال ابن عباس: (والزنيم الدعي). وقال عكرمة: (الزنيم الذي يعرف باللؤم كما تعرف الشاة بزئمتها). وقيل: كانت في أذن الأخنس زئمة يعرف بها.

وقد أخبر النبي ﷺ في حديثه أن مثل هذه الصفات هي صفات من أبغضه الله ووَعَدَهُ عَذَابَهُ ونيرانه.

فقد أخرج البخاري عن حارثة بن وهب الخزاعي قال: سمعت النبي ﷺ يقول: [ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِفٍ، لو أقسم على الله لأبره. ألا أخبركم بأهل النار؟ كُلُّ عَتِلٍ جَوَّازٍ مُسْتَكْبِرٍ] (1).

وروى البيهقي وابن حبان بسند جيد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: [إن الله يبغض كل جعظري جَوَّازٍ، سَخَّابٍ في الأسواق، جيفة بالليل، حمار بالنهار، عالم بأمر الدنيا، جاهل بأمر الآخرة] (2).

والجعظري هو الفظ الغليظ المتكبر، والجواظ هو الجموع المنوع الأكل.

وقوله تعالى: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾. أي: أفي مقابلة إنعام الله تعالى عليه بالمال والولد، أعلن الكفر وكذب بالوحي واتهم التنزيل أنه مأخوذ من أساطير الأولين؟!

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (6071) - كتاب الأدب. وانظر تفصيل البحث في كتابي: السيرة النبوية على منهج الوحيين (1/ 254 - 257).

(2) حديث صحيح. أخرجه البيهقي وابن حبان. انظر صحيح الجامع الصغير - حديث رقم - (1874)، والمرجع السابق (1/ 256).

وفي التنزيل نحو ذلك: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَنِينَ شُهُودًا ۖ وَمَهَدْتُ لَهُ نَهَيْدًا ۖ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۖ﴾ (١٧) ﴿كَلَّا ۚ إِنَّمَا كَانَ لَابِنْتًا عَيْنِيًا ۖ سَاءَ رِهْقُكُمْ صُغُورًا ۖ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۖ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ثُمَّ نَظَرَ ۖ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۖ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۖ فَفَالَ ۖ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۖ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۖ﴾. قال تعالى: ﴿سَاطِئِهِ سَفَرًا﴾ [المدرثر: 11 - 26].

وقوله تعالى: ﴿سَتَسِمُوهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾. أي: سنكويه على أنفه مهانة له ، بعلامة يعرف بها إذلالاً له ، ويبدو أن هذا الوعيد في الدنيا والآخرة.

فعن ابن عباس: ﴿سَتَسِمُوهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ فقاتل يوم بدر ، فخطم بالسيف في القتال). وعن قتادة قال: (سنسم على أنفه. قال: شين لا يفارقه آخر ما عليه).

قال الزمخشري: (الوجه أكرم موضع في الجسد ، والأنف أكرم موضع من الوجه ، لتقدمه له ، ولذلك جعلوه مكان العز والحمية ، واشتقوا منه «الأنفة» وقالوا: الأنف في الأنف ، وحمى أنفه ، وفلان شامخ العرين. وقالوا في الذليل: جدد أنفه ، ورغم أنفه. فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الإذلال والإهانة ، لأن السمة على الوجه شين وإذالة ، فكيف بها على أكرم موضع منه؟ قال: وفي لفظ ﴿الْخُرْطُومِ﴾ استخفاف به واستهانة ، لأن أصل الخرطوم للخنزير والفيل. وقيل: سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يبين بها عن سائر الكفرة ، كما عادى رسول الله ﷺ عداوة بان بها عنهم) انتهى.

33 - 17. قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۖ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ۖ فَطَافَ عَلَيْهِمَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمَا نَايِبُونَ ۖ فَأَصْبَحَتَا لَصْرِمٍ ۖ فَتَنَادَا مُصْبِحِينَ ۖ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۖ فَانْطَلَقَا وَهُمَا يَخْفَتُونَ ۖ أَن لَّا يَدْخُلْنَاهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمَا مُسْكِينٌ ۖ وَغَدَا عَلَىٰ حَرٍِّ قَدِيرٍ ۖ فَلَمَّا رَاوَاهَا قَالَا إِنَّا لَصَالَتُونَ ۖ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۖ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمَا لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۖ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۖ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَامَتُونَ ۖ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۖ عَسَىٰ رَبَّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ۖ كَذَلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۖ﴾.

في هذه الآيات: انعكاسُ المكر السيئ على أهله الماكرين ، والشعور بالندم بعد

نزول الانتقام من الله رب العالمين ، وبقاء الأمل بالله بعد التوبة من الظلم فإن العذاب الحقيقي هو عذاب الجحيم .

فقوله : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ الآية . قال ابن جرير : (أي بلونا مشركي قريش ، يقول : امتحناهم فاختبرناهم ، ﴿ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ يقول : كما امتحنا أصحاب البستان ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ يقول : إذ حلفوا ليصرمن ثمرها إذا أصبحوا) . وقال ابن كثير : (هذا مثل ضربه الله لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة ، وأعطاهم من النعم الجسيمة ، وهو بعثه محمد ﷺ ، فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ ﴾ ، أي : اختبرناهم ، ﴿ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ ، وهي البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه ، ﴿ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ ، أي : حلفوا فيما بينهم ليجدن ثمرها ليلاً ، لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل ، ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشيء) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴾ . قيل : ولا يقولون إن شاء الله . قلت : والأرجح أن يقال : ولا يستنون أحداً من الفقراء بل يحرمون الكل . فإنه لا معنى لمن يبت ذلك الاستثناء بقول : إن شاء الله .

وقوله تعالى : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ . قال ابن عباس : (طاف عليها أمر من الله وهم نائمون) . والمقصود : نزل بها بلاء أو آفة سماوية .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ . قال ابن عباس : (الصريم : الليل) . أي : فأصبحت كالليل الأسود . وقال الثوري والسدي : (مثل الزرع إذا حصد ، أي : هشيماً ييساً) . والصريم في لغة العرب : المجدود المقطوع ، كما يطلق على الليل المظلم لأنه يقطع بظلمته عن التصرف . والمقصود : احترقت الأرض واسودت كالليل المظلم ، أو صرم عنها الخير : أي قطع وهلك ثمرها وشجرها .

وقوله تعالى : ﴿ فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ ﴾ . أي : نادى بعضهم بعضاً عند الصباح ليذهبوا إلى الجذاذ . وقوله تعالى : ﴿ أَنْ أَغْدُوا عَلَى حَرِّكَوْا إِنْ كُنْتُمْ صَٰرِمِينَ ﴾ . أي : باكروا بالخروج إلى زرعكم إن كنتم تريدون الحصاد . قال القاسمي : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَٰرِمِينَ ﴾ أي قاصدين قطع ثمارها) . وقد قطعها البلاء من أصلها بالليل وهم لا يشعرون .

وقوله تعالى : ﴿ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ ﴾ . قال قتادة : (يُسِرُّون) . أي خرجوا بكرة وهم

يكتُمون ذهابهم ويتسارون فيما بينهم: ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾. أي: لا تمكثوا اليوم فقيراً من الدخول عليكم.

وقوله تعالى: ﴿وَعَدُوا عَلَىٰ حَرْبٍ قَدِيرٍ﴾. قال مجاهد: (على جدّ قادرين في أنفسهم). وقال عكرمة: ﴿عَلَىٰ حَرْبٍ﴾: (على غيظ). قلت: وفي لغة العرب: (حَرَدَ) أي: قصد. والحَرْدُ بالتحريك الغضب. والمقصود: أي غدوا على قصد وبقوة وشدة ﴿قَدِيرٍ﴾ أي في زعهم على ما أصرّوا عليه من الصرام وحرمان المساكين.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ﴾. قال قتادة: (أي أضللنا الطريق). والمقصود: فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها - وقد تغيرت حالها بما نزل بها من البلاء واستحالت نضارتها وزهرتها ووفرة ثمارها إلى أرض سوداء مدلهمة - أنكروها وشكّوا فيها هل هي جنتهم أم لا ، وظنوا أنهم قد أخطؤوا الطريق.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾. قال قتادة: (بل جوزينا فحرّمنا). قال ابن كثير: (ثم رجعوا عما كانوا فيه ، وتيقنوا أنها هي فقالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ ، أي: بل هي هذه ، ولكن نحن لا حظّ لنا ولا نصيب).

وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾. قال ابن عباس ومجاهد: ﴿أَوْسَطُهُمْ﴾: أي أعدلهم وخيرهم). والمقصود: قال أمثلهم وأعدلهم وأعقلهم حين رأوا الهلاك الذي نزل بأرضهم: هلا كنتم شكرتم الله على ما أعطاكم وتبتم إليه من فساد نيتكم. وعن مجاهد: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ قال: يقول: تستثنون ، فكان التسبيح فيهم الاستثناء). قال النحاس: (أصل التسبيح التنزيه لله عز وجل ، فجعل مجاهد التسبيح في موضع إن شاء الله ، لأن المعنى تنزيه الله عز وجل أن يكون شيء إلا بمشيئته).

قلت: والراجح ما ذكرناه ، فإن تسبيح الله يشتمل على شكره وإخلاص النية والقصد له ، ويدل على ذلك قولهم بعد ذلك: ﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾. قال ابن عباس: (أي نستغفر الله من ذنبنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ لأنفسنا في منعنا المساكين). قال القرطبي: ﴿قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا﴾ اعترفوا بالمعصية ونزهوا الله عن أن يكون ظالماً فيما فعل).

وقوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتْلَوْنَ﴾. قال ابن جرير: (يقول جل ثناؤه:

فأقبل بعضهم على بعض يلوم بعضهم بعضاً على تفريطهم فيما فرطوا فيه من الاستثناء ، وعزمهم على ما كانوا عليه من ترك إطعام المساكين من جنتهم).

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَتَوَلَّأَ إِنَّا كُنَّا طُغْيَانٌ ﴾. أي قال أصحاب الجنة: يا ويلنا إنا كنا عاصين بمنع حق الفقراء ، وتركنا الاستثناء .

وقوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾. قال القاسمي: ﴿ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا ﴾ أي بتوبتنا إليه ، وندمنا على خطأ فعلنا ، وعزمنا على عدم العود إلى مثله. ﴿ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ أي في العفو عما فرط منا ، والتعويض عما فاتنا).

وقوله: ﴿ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ﴾. قال ابن زيد: (عذاب الدنيا ، هلاك أموالهم: أي عقوبة الدنيا). والمقصود: كذلك يكون العذاب في الدنيا لمن خالف الرسل وكفر بالحق وبغى الفساد في الأرض .

وقوله: ﴿ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾. أي: ولعذاب الآخرة أعظم من عذاب الدنيا لو كان هؤلاء المشركون يفقهون. قال النسفي: ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ لما فعلوا ما يفضي إلى هذا العذاب). وقال ابن جرير: (يقول: لارتدعوا ، وتابوا وأنابوا ، ولكنهم بذلك جهال لا يعلمون).

34 - 41. قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴾

﴿ ٣٤ ﴾ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿ ٣٥ ﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿ ٣٦ ﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿ ٣٧ ﴾ إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَّا تَخْبِرُونَ ﴿ ٣٨ ﴾ أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنْ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿ ٣٩ ﴾ سَلِّمُوا لَهُمْ فِي ذَٰلِكَ رَءِيسٌ ﴿ ٤٠ ﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿ ٤١ ﴾ .

في هذه الآيات: ذكر مآل المتقين في روضات الجنات ، التي لا يعتربها ما يعترى بساتين الدنيا من الشوائب والآفات ، والتفريق بين المسلمين والمجرمين ، فالمؤمنون في سرور ونعيم ، والكافرون هم وشركاؤهم في نار الجحيم .

فقوله تعالى: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴾. قال القرطبي: (أي إن للمتقين في الآخرة جنات ليس فيها إلا التمتع الخالص ، لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا).

وقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾. استفهام إنكار. أي: أفنساوي بين أهل الكرامة والطاعة وأهل الشقوة والمعصية في الجزاء ، كلا لا يكون ذلك ورب الأرض والسماء .

وقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾. توبيخ على طريقة الالتفاف . قال النسفي: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الأعوج ، وهو التسوية بين المطيع والعاصي ، كأن أمر الجزاء مفوض إليكم حتى تحكموا بما شئتم).

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾. أي: أم بأيديكم كتاب منزل من السماء تدرسون وتحفظونه وتداولونه بنقل الخلف عن السلف ، متضمن حكماً مؤكداً كما تدعون - المطيع فيه كالعاصي - فأنتم تختارون منه كما تشتهون؟!

وقوله: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾. زيادة في التوبيخ. أي: أم لكم ﴿أَيْمَانٌ﴾ أي عهود ومواثيق ﴿عَلَيْنَا بَلِغَةٌ﴾ مؤكدة ، فأنتم استوثقتم بهذه العهود على الله تعالى في أن يدخلكم الجنة!! قال الشهاب: (بالغة: متناهية في التوكيد). وأصله بالغة أقصى ما يمكن ، فحذف منه اختصاراً. وقوله: ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ أي: إنه سيكون لكم ما تريدون وتأملون وتشتهون!! كلا ، ليس الأمر بهذه السذاجة كما تظنون وتحلمون .

وقوله تعالى: ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾. قال ابن عباس: (يقول: أيهم بذلك كفيل). والزعيم: الكفيل والضمين. والمقصود: سل يا محمد هؤلاء المتقولين من المشركين أيهم كفيل بما تقدم: من أن لهم من الخير ما للمسلمين ، أو أن لهم من العهود والمواثيق ما يحصل لهم به سعادة الدارين؟!

وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فُلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾. أي: أم لهم شركاء من الأصنام والأنداد والطواغيت فهم لهم شهداء ﴿فُلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ فليشهدوا لهم على ما زعموا ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ في دعواهم. قال القرطبي: (وقيل: أي فليأتوا بشركائهم إِنْ أمكنهم ، فهو أمر معناه التعجيز).

42- 47. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ﴿٤٢﴾

خَاصَّةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ يَهْدِ الْخَلْقَ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ

مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٧﴾ .

في هذه الآيات: ظهورُ الساق علامة لسجود المؤمنين في المحشر لرب العالمين ، وحرمان الله تعالى المنافقين أن يكونوا مع الساجدين ، واستدراج الله لهم قبل ذلك في دار الدنيا حتى يحيط بهم كيد المتين .

فقوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ .

أي: إنّ ذلك التكريم للمتقين في جنات النعيم ، والانتقام من المجرمين بصلي الجحيم ، هو يوم القيامة يوم تظهر كلمة السربين المؤمنين وربهم ، وهي «صفة الساق» لله العظيم ، فيخرون له ساجدين ، ويكشف الله حينئذ المنافقين .

وفي ذلك أحاديث:

الحديث الأول: أخرج البخاري ومسلم وأكثر أهل السنن وأحمد وابن حبان عن عطاء بن يسار ، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت النبي ﷺ يقول: [يُكْشَفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً ، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا⁽¹⁾].

الحديث الثاني: أخرج عبد الله بن أحمد في «السنن» بسند صحيح عن ابن مسعود ، أن النبي ﷺ قال: [يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة ، شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء ، وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي ، ثم ينادي مناد: أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً أن يولي كل ناس ما كان يتولى ويعبد في الدنيا؟ أليس ذلك عدلاً من ربكم؟ قالوا: بلى فينطلقون ، فيتمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون ، فمنهم من ينطلق إلى الشمس ، ومنهم من ينطلق إلى القمر ، وإلى الأوثان ، ويتمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى ، ولمن كان يعبد عزيزاً شيطان عزيز ، ويبقى محمد وأمه ، فيتمثل الرب عز وجل لهم فيأتيهم فيقول: مالكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟ فيقولون: بيننا وبينه علامة فإذا رأيناه عرفناه ، فيقول: ما هي؟ فيقولون:

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (4919) ، (7439) ، وهو جزء من حديث طويل. ورواه مسلم (183) ، والترمذي (2598) ، والنسائي (112/8) ، وابن ماجه (179) ، وأخرجه أحمد في المسند (16/3) ، وابن حبان في صحيحه (7377) .

﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾. فعند ذلك يكشف عن ساقه فيخرون ، ويبقى قومٌ ظهورهم كصيافي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون ، ثم يقول: ارفعوا رؤوسكم ، فيعطيتهم نورهم على قدر أعمالهم ، والرب عز وجل أمامهم⁽¹⁾.

الحديث الثالث: أخرج الدارمي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [إذا جمع الله العباد بصعيد واحد ، نادى مناد: يلحق كل قوم بما كانوا يعبدون. ويبقى الناس على حالهم ، فيأتيهم فيقول: ما بال الناس ذهبوا وأنتم هاهنا؟ فيقولون: ننتظر إلهاً. فيقول: هل تعرفونه؟ فيقولون: إذا تعرف إلينا عرفناه ، فيكشف لهم عن ساقه فيقعون سجداً وذلك قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾. ويبقى كل منافق فلا يستطيع أن يسجد ، ثم يقودهم إلى الجنة⁽²⁾.

قلت: فكان الإيمان بالأسماء والصفات سبباً للنجاة يوم القيامة ، لما اشتملت هذه الصفات على كلمة السر التي بين الله وبين المؤمنين وهي «الساق» التي هي صفة من صفاته ، وهي ساق تليق بجلاله وجماله وكماله ، فليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وقد فصلت هذه الأبحاث في كتابي: «أصل الدين والإيمان ، عند الصحابة والتابعين لهم بإحسان» ، فله الحمد والشكر وواسع الامتنان.

وأما ما ذهب إليه كثير من المفسرين إلى أن المقصود: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ أي عن شدة وكرب ، فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشدة. أو قيل عن ساق العرش ، أو غير ذلك من التكلف ، فيقال: أَبْعَدَ هذا البيان من الوحي العظيم ، يتلو تفسيره النبي الكريم ، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، يكون هناك بيان لعالم أو حكيم!!

كلا ، فإذا صحَّ الخبر عن رسول الله ﷺ مفسراً ما أشكل فهمه من القرآن ، فليس لأحد بعد ذلك مقال. وهذا هو المنهج الذي كان عليه علماء الصحابة والتابعون لهم من الراسخين في العلم.

(1) حديث صحيح. أخرجه بتمامه عبد الله بن أحمد في «السنّة» ص (177). وهو حديث صحيح كما أفاد الذهبي وأقرّه الألباني. انظر: «مختصر العلو» (69) ص (110).

(2) حديث صحيح. أخرجه الدارمي في السنن (326/2) ، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (584) وقال: (وهذا إسناد جيد رجاله ثقات رجال الصحيح).

وقوله: ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهْقُمُ ذَلَّةٌ﴾. ﴿خَشِيعَةً﴾ أي ذليلة ، وهي في محل نصب حال من الضمير في يدعون ، والتقدير: يدعون في حال خشوع أبصارهم ﴿تَرَهْقُمُ ذَلَّةٌ﴾ أي يعلوهم الصغار ويغشاهم.

وقوله: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾. أي: وقد كانوا يدعون في الدنيا إلى السجود لله وهم أصحاب سالمون مستطيعون. وعن إبراهيم التيمي: ﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾ قال: إلى الصلاة المكتوبة. وقال سعيد بن جبير: (يسمع المنادي إلى الصلاة المكتوبة فلا يجيبه). قال ابن عباس: (هم الكفار كانوا يدعون ﴿إِلَى السُّجُودِ﴾ في الدنيا وهم آمنون ، فاليوم يدعوهم وهم خائفون. ثم أخبر الله سبحانه أنه حال بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة ، فأما في الدنيا فإنه قال: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [هود: 20] ، وأما في الآخرة فإنه قال: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾).

وقوله: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾. قال السدي: (يعني القرآن). وقيل: يوم القيامة. والمعنى: أي دعني - يا محمد - وكل أمر هؤلاء المكذبين بالقرآن إلي. وفيه تهديد ووعد ، وتسلية للنبي ﷺ.

وقوله: ﴿سَتَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾. قال ابن عباس: (سنمكر بهم). أي سنملي لهم ونكيدهم من حيث لا يشعرون. وقال سفيان الثوري: (نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر). وقال الحسن: (كم مستدرج بالإحسان إليه ، وكم مفتون بالثناء عليه ، وكم مغرور بالستر عليه). وقال أبو روق: (أي كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار).

والاستدراج: ترك المعاجلة ، وأصله النقل من حال إلى حال كالتردج.

وفي التنزيل نحو ذلك:

1 - قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ سُورِعَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: 55 - 56].

2 - وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا شَاؤُوا مَادُّكُرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: 44].

أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن عقبة بن عامر مرفوعاً: [إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج. ثم تلا: ﴿فَلَمَّا شَاؤُوا مَادُّكُرُوا

بِهِ فَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿١﴾ .

وقوله: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ . أي أمهلهم وأؤخرهم وأنظرهم وأطيل لهم المدة . والمُلاوة: المدة من الدهر . والمقصود: إحقاق المكر والكيد بهم .

وفي الصحيحين وسنن الترمذي وابن ماجة عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِيَ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَقْلِتْهُ . قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرْقَ وَهُوَ ظَلِيمٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَكْبَرُ شَدِيدٌ﴾] (2) .

وقوله: ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ . قال النسفي: (قوي شديد ، فسَمِيَ إِحْسَانَهُ وَتَمَكِينَهُ كَيْدًا كَمَا سَمَّاهُ اسْتِدْرَاجًا لِكُونِهِ فِي صُورَةِ الْكَيْدِ حَيْثُ كَانَ سَبَبًا لِلْهَلَاكِ . والأصل أن معنى الكيد والمكر والاستدراج هو الأخذ من جهة الأمن ، ولا يجوز أن يسمى الله كائداً وماكراً ومستدرجاً) .

وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرُورٍ مُثْقَلُونَ﴾ . استفهام بمعنى النفي . أي: أم تسألهم - يا محمد - غرامة على تبليغ الرسالة ، فهم من غرامة ذلك ﴿مُثْقَلُونَ﴾ . أي: فهو يثقل عليهم لما فيه من بذل المال والكلفة .

وقوله تعالى: ﴿أَمْ عَنْدهُمْ أَلْفَبٌ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ . قال ابن عباس: (الغيب هنا اللوح المحفوظ) . قال ابن جرير: (يقول: أعندهم اللوح المحفوظ الذي فيه نبأ ما هو كائن ، فهم يكتبون منه ما فيه ، ويجادلونك به ، ويزعمون أنهم على كفرهم بربهم أفضل منزلة عند الله من أهل الإيمان به) . وقيل: ﴿يَكْتُبُونَ﴾: أي يحكمون لأنفسهم بما يريدون ويرغبون .

48 - 52 . قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ

مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَنْ نَدَارِكُ نِعْمَةً مِنْ رَبِّهِ لَتَبْدَأَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْنِبْهُ رَبُّهُ فَعَجَلَهُ مِنْ

(1) حديث صحيح . أخرجه أحمد (4/ 145) وإسناده قوي . وقال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (4/ 115): (رواه أحمد والطبراني والبيهقي في «الشعب» بسند حسن) .

(2) حديث صحيح . أخرجه البخاري (4686) - كتاب التفسير . وأخرجه مسلم (2583) ، والترمذي (3110) ، وابن ماجة (4018) ، وابن حبان (5175) ، والبيهقي (94/ 6) .

الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾ .

في هذه الآيات: أمرُ الله تعالى نبيه ﷺ بالصبر ، وكشف محاولات الكفار إصابته ﷺ بالعين والسحر ، واتهامه كذلك بالجنون ، وهذا الوحي ونبي الحق إنما هما شرف للعالمين .

فقوله: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ . تَخْفِيفٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَسْلِيَةٌ لَهُ . أي: اصبر يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم ، فإن الله سيحكمُ لك عليهم ، وامض في دعوتك ، وستكون العاقبة لك وللمؤمنين في الدارين .

وقوله: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ . أي الذي حبسه في بطنه ، وهو يونس بن متى عليه الصلاة والسلام . قال ابن جرير: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ فيعاقبك ربك على تركك تبليغ ذلك ، كما عاقبه فحبسه في بطنه) .

قال قتادة: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ يقول: لا تعجل كما عجل ، ولا تغضب كما غضب) .

وقوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ . قال ابن عباس: (يقول: مغموم) . وقال عطاء: (مكروب) . أي قد أثقله الكرب والغم وكظمه . قال النسفي: ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مملوء غيظاً ، من كظم السقاء إذا ملاه) .

وقوله: ﴿لَوْلَا أَن تَدْرَكَهُ يَمَةً مِّن رَّيْفِهِ﴾ . أي: لولا أن تداركه الله برحمته واستجاب دعاءه . ﴿لَنُذِيقَكَ الْعَذَابَ﴾ : أي لنبذ من بطن الحوت بالفضاء من الأرض . ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ أي: معاتب بذلته . قال ابن عباس: ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ يقول: وهو مليم) . وقال المعتمر عن أبيه عن أبي بكر: (وهو مذنب) .

وفي التنزيل نحو ذلك :

1 - قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصفات: 143 - 144] .

2 - وقال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: 87 - 88] .

وفي جامع الترمذي بسند صحيح عن إبراهيم بن محمد بن سعد ، عن أبيه سعد قال: قال رسول الله ﷺ: [دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾] [الأنبياء: 87]. فإنه لم يدعُ بها رجلٌ مُسلمٌ في شيء قط إلا استجاب الله له⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿فَلَجَبْنَهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. أي اصطفاه ربه واختاره وقبل دعاءه وعذره وجعله من المستكملين لصفات الصلاح. قال ابن عباس: (ردّ الله إليه الوحي ، وشفّعه في نفسه وفي قومه ، وقيل توبته ، وجعله من الصالحين بأن أرسله إلى مئة ألف أو يزيدون).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: [لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خيرٌ من يونس بن متى]⁽²⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾.

قال ابن عباس: (يقول: ينفذونك بأبصارهم من شدة النظر. قال: يقال للسهم: زهق السهم أو زلق). وفي رواية: (يقول: ليزهقونك بأبصارهم). وقال قتادة: (لينفذونك بأبصارهم ، معادة لكتاب الله ولذِكْر الله). وقال الضحاك: (يقول: ينفذونك بأبصارهم من العداوة والبغضاء). وقال الكلبي: (ليصرعونك).

وقرأها عامة قراء المدينة ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ بفتح الياء ، وأما عامة قراء الكوفة والبصرة فقرأوها ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ بضم الياء ، وكلاهما مشهور عند أهل العلم بالقراءات ، فإن العرب تقول لمن يحلق الرأس: أزلقه وزلقه.

وقال ابن جرير: (إنه عني بذلك: وإن يكاد الذين كفروا مما عانوك بأبصارهم ليرمون بك يا محمد ، ويصرعونك ، كما تقول العرب: كاد فلان يصرعني بشدة نظره إليّ. قالوا: وإنما كانت قریش عانوا رسول الله ﷺ ليصبيوه بالعين ، فنظروا إليه ليعينوه ، وقالوا: ما رأينا رجلاً مثله ، أو إنه لمجنون ، فقال الله لنبيه عند ذلك: (وإن يكاد الذين كفروا ليرمونك بأبصارهم).

قلت: والعجيب أن هؤلاء الجاهليين كانوا يؤمنون بإصابة العين وتأثيرها ،

(1) حديث صحيح. أخرجه الترمذي (3505). وانظر صحيح سنن الترمذي - حديث رقم - (2785).

(2) حديث صحيح. أخرجه البخاري (3416) ، (4631) ، ومسلم (2379) ، وأبو داود (4669) ، وابن حبان (6238). ورواه أحمد (390/1) من حديث عبد الله مرفوعاً.

ويعلمون صحة ذلك وصلته بالحسد ، في حين ترى كثيراً من الناس اليوم لا يكادون يفقهون معنى الحسد أو السحر أو العين ولا يؤمنون بشيء من هذا ، بل ينسبونه إلى الخرافة وإلى أساطير الأولين ، وكثير منهم واقع تحت نار السحر والعين والحسد من حيث لا يدري .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : (وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل).

قلت : وفي القرآن آيات تدل على تأثير العين ، منها هذه الآية في سورة القلم ، وآيتان في سورة يوسف :

1 - قال تعالى : ﴿ وَقَالَ يَبْنَئِ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَمُّهُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [يوسف : 67].

قال الضحاك : (خاف عليهم العين). وقال قتادة : (خشي نبي الله ﷺ العين على بنيه كانوا ذوي صورة وجمال). وفي رواية : (كانوا قد أوتوا صورة وجمالاً فخشي عليهم أنفس الناس). وقال السدي : (خاف يعقوب ﷺ على بنيه العين فقالوا : ﴿ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ ﴾ فيقال : هؤلاء لرجل واحد ! ولكن ادخلوا من أبواب متفرقة).

وكذلك قال ابن إسحاق : (لما أجمعوا الخروج ، خشي عليهم أعين الناس ، لهياتهم ، وأنهم لرجل واحد).

2 - قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف : 68].

قال مجاهد : ﴿ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ﴾ : خيفة العين على بنيه). وقال ابن جرير : (إلا أنهم قضوا وطراً ليعقوب بدخولهم ، لا من طريق واحد ، خوفاً من العين عليهم ، فاطمأنت نفسه أن يكونوا أتوا من قبل ذلك ، أو نالهم من أجله مكروه).

وأما السنة العطرة فقد أسهمت بقسط وافر في الدلالة على أثر العين وسبيل الوقاية والعلاج منها . ومن ذلك أحاديث :

الحديث الأول : يروي البخاري في صحيحه عن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ

رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال: [استرقوا لها فإن بها النظرة]⁽¹⁾.

الحديث الثاني: يروي مسلم في الصحيح عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: [العين حق ، ولو كان شيء سابقَ القدر سبقته العين ، وإذا استغسلتم فاغسلوا]⁽²⁾.

أي: متى عُرِفَ الحاسد ، يؤمَرُ بالوضوء أو الغسل ، ثم يُجْمَعُ ذلك الماء الذي تطهَّرَ به فيُغْسَلُ به المحسود فيشفى بإذن الله ، وهذا من الطب النبوي الذي يجهله كثير من الناس .

الحديث الثالث: أخرج ابن ماجة بسند صحيح: [أن أسماء بنت عميس قالت: يا رسول الله! إن ولد جعفر تسرع إليهم العين ، فأسترقني لهم؟ فقال: نعم ، فإنه لو كان شيء سابقَ القدر لسبقته العين]⁽³⁾.

الحديث الرابع: أخرج أحمد بسند حسن عن عائشة قالت: [دخل النبي ﷺ فسمع صوت صبي يبكي فقال: ما لصبيكم هذا يبكي؟ فهلا استرقيتم له من العين؟]⁽⁴⁾.

الحديث الخامس: أخرج ابن ماجة بسند صحيح عن عائشة أن النبي ﷺ قال: [استعيذوا بالله من العين ، فإن العين حق]⁽⁵⁾.

الحديث السادس: أخرج أحمد بسند صحيح عن أبي ذر مرفوعاً: [إن العين لتولع الرجل بإذن الله حتى يصعد حالقاً ثم يتردى منه]⁽⁶⁾.

وفي رواية: [إن العين لتوقع الرجل].

وله شاهد عنده وعند الطبراني بسند حسن من حديث ابن عباس بلفظ: [العين حق ، تستنزل الحالق]. أي للعين من الأثر بإذن الله أن تسقط الرجل من الجبل الشاهق المرتفع .

- (1) حديث صحيح . أخرجه البخاري في الصحيح (5739) ، كتاب الطب ، باب رُقْيَةِ العين .
- (2) حديث صحيح . أخرجه مسلم في الصحيح (2188) ، كتاب السلام ، باب الطب والمرض والرقى .
- (3) حديث صحيح . انظر صحيح ابن ماجة (2829) ، كتاب الطب ، باب من استرقى من العين .
- (4) حديث صحيح . أخرجه أحمد (72/6) . وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (1048) .
- (5) حديث صحيح . أخرجه ابن ماجة (356/2) ، والحاكم (215/4) ، والديلمي (48/1/1) .
- (6) حديث صحيح . أخرجه أحمد (146/5) . وانظر السلسلة الصحيحة (889) . والشاهد رواه أحمد (274/1) ، والحاكم (215/4) ، والطبراني كما في «المجمع» (107/5) .

الحديث السابع: أخرج أبو نعيم في «الحلية» بسند حسن عن جابر مرفوعاً: [العينُ تُدخِلُ الرجلَ القبرَ ، والجملَ القِدرَ]⁽¹⁾.

الحديث الثامن: يروي الطيالسي والبخاري بسند حسن عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: [أكثر من يموت من أمتي بعد قضاء الله وقدره بالعين]⁽²⁾.

وفي رواية: [أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالأنفس . يعني بالعين].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾. قال القاسمي: (أي عِظَة وحكمة وتذكير وتنبية لهم ، على ما في عقولهم وفطرهم من التوحيد . فكيف يُجَنَّنُ من جاء بمثله؟).

والمقصود: ما هذا القرآن الذي يعادونه ، ويعادون النبي ﷺ الذي نزل عليه ، فيرمونه بأبصارهم ويقولون ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ - لعدم تمالك أنفسهم من الحسد منه والتنفير عنه - ، إلا عِظَة من الله لهم لعلهم يرجعون وينزجرون ، ويدركون أن هذا النبي شرف للعالمين ، شرفوا باتباعه والإيمان به ﷺ.

تم تفسير سورة القلم

بعون الله توفيقه ، وواسع منّه وكرمه

عصر الخميس 15 شوال 1426 هـ

الموافق 17 / تشرين الثاني / 2005 م

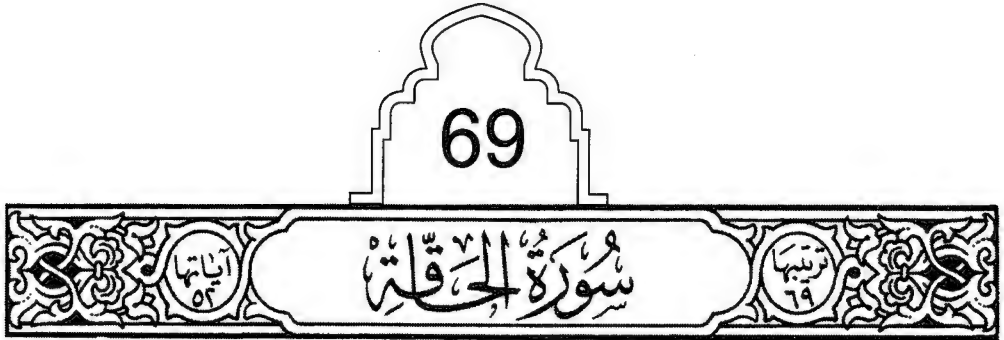


(1) حديث حسن . أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (7/ 90) ، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (1249).

(2) حديث حسن . رواه البخاري والطيالسي والبخاري في «التاريخ» من حديث جابر . انظر صحيح الجامع الصغير - حديث رقم - (1217).

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - يقسم الله تعالى بالقلم تنبيهاً لشرف العلم وتدوينه .
- 2 - أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة .
- 3 - كان خلقه ﷺ القرآن ، ووصفه ربه تعالى بأنه على خلق عظيم .
- 4 - كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً وخلقاً .
- 5 - لا يدخل الجنة نمام ، والله يبغض كل جعظري جَوَّاز ، سَخَّاب في الأسواق ، جيفة بالليل ، حمار بالنهار ، عالم بأمر الدنيا ، جاهل بأمر الآخرة .
- 6 - مانعو الزكاة حرموا من مالهم في الدنيا والآخرة .
- 7 - أرادوا أن يحرموا المساكين حقهم ، فحُرموا الشجر والثمر وحق المساكين .
- 8 - يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى كل منافق فلا يستطيع أن يسجد ، بل يعود ظهره طبقاً واحداً .
- 9 - إذا رأى الله تعالى يعطي العبد على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج .
- 10 - العين حق ، ولو كان شيءٌ سابق القدر لسبقته العين .



وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (52) .

موضوع السورة
الحاقة وأهوال القيامة والحساب

- منهاج السورة -

- 1 - التنبيه ليوم القيامة بصيغة التفخيم ، ولفت الانتباه إلى طغيان الأمم السابقة ونزول العذاب العظيم .
- 2 - ذكر الأحداث الرهيبة لبدء القيامة والحساب ، من النفخ في الصور وحركة الأرض والجبال وانشقاق السماء ليبدأ بعد ذلك العرض ثم الثواب والعقاب .
- 3 - توزيع الكتب يوم القيامة ، فالفرحة العظيمة لأصحاب اليمين ، والخزي والندامة لأصحاب الشمال في نار الجحيم .
- 4 - تأكيد الوحي والنبوة بإقسام الله بعالمي الغيب والشهادة ، والقرآن كتاب الله الذي تفرد إليه سبحانه الطاعة والعبادة .
- 5 - المبالغة بوصف العقاب لو افترى الرسول هذا الكتاب ، وهذا القرآن فيه تذكرة للمتقين ، ويحمل الحسرة والندامة للكافرين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 12. قوله تعالى: ﴿ الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣ كَذَبَتْ ثُمُودُ ۝٤ وَعَادُ بِالْقَارِعَةِ ۝٥ فَأَمَّا ثُمُودُ فَأَهْلِكُوا ۝٦ وَبِطَاغِيَّةٍ ۝٧ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا ۝٨ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ۝٩ عَاتِيَةٍ ۝١٠ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ۝١١ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ ۝١٢ أَعْمَارُ نَحْلِ خَاوِيَةٍ ۝١٣ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۝١٤ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ ۝١٥ بِالْحَاطِطَةِ ۝١٦ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ۝١٧ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْبَارِيَةِ ۝١٨ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أَذُنٌ وَعِيَةٌ ۝١٩ ﴾ .

في هذه الآيات: التنبيه ليوم القيامة بصيغة التفخيم ، وَلَفْتُ الانتباه إلى طغيان الأمم السابقة ونزول العذاب العظيم ، والله تعالى يجعل في ذلك الذكرى وهو العزيز الحكيم .
فقوله تعالى: ﴿ الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ ﴾ . قال ابن عباس: ﴿ الْحَاقَّةُ ۝٢ ﴾ : من أسماء يوم القيامة ، عظمه الله ، وحذره عباده . وقال عكرمة: (الحاقة : القيامة) . وقال قتادة: ﴿ الْحَاقَّةُ ۝٢ ﴾ يعني الساعة ، أحقت لكل عامل عمله) . أو قال: (أحقت لكل قوم أعمالهم) .

والمقصود: ﴿ الْحَاقَّةُ ۝٢ ﴾ اسم من أسماء يوم القيامة كالصّاحّة والطّامة والقارعة والواقعة . وسميت بذلك لأن الأمور تُحَقَّقُ فيها ، وفيها يتحقق الوعد والوعيد .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣ ﴾ . استفهام يفيد شدّ الانتباه وتعظيم شأن المُسْتَفْهِم عنه . قال قتادة: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣ ﴾ : تعظيماً ليوم القيامة كما تسمعون) . وقال سفيان بن عُيينة: (كل شيء قال فيه: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ ۝٣ ﴾ فإنه أخبر به ، وكل شيء قال فيه: «وما يُدْرِيكَ» فإنه لم يُخبر به) .

قال القرطبي: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣ ﴾ أي: أي شيء أعلمك ما ذلك اليوم . والنبي ﷺ

كان عالماً بالقيامة ولكن بالصفة . فقليل تفخيماً لشأنها : وما أدراك ما هي ؟ كأنك لست تعلمها إذ لم تعينها).

وقوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثُمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴾ . القارعة : اسم من أسماء القيامة . قال ابن جرير : (يقول تعالى ذكره : كَذَّبَتْ ثُمُودُ قوم صالح ، وعاد قوم هود بالساعة التي تفرع قلوب العباد فيها بهجومها عليهم).

وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ثُمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾ . قال قتادة : (الطاغية الصيحة) . وقال مجاهد : (الطاغية الذنوب) . وقال ابن زيد : (إنها طغيان ، وقرأ : ﴿ كَذَّبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَنِهَا ﴾ [الشمس : 11]). وقال السدي : (﴿ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾ : يعني عاقر الناقة).

قلت : والراجح أنها الصيحة التي زلزلتهم ، وأسكتتهم وأهدتهم . يدل على ذلك قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ . فدل أن المراد أسلوب الهلاك .

قال ابن عباس : (قوله : ﴿ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ يقول : بريح مهلكة باردة ، عنت عليهم بغير رحمة ولا بركة ، دائمة لا تفتُر) . وقال قتادة : (والصرصر الباردة ، عنت عليهم حتى نقبت عن أفئدتهم) . وقال الثوري : (﴿ عَاتِيَةٍ ﴾ أي : شديدة الهبوب).

وقوله : ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ . أي : سلطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام كوامل متتابعات مشائيم . قال ابن عباس : (﴿ حُسُومًا ﴾ : تباعاً) . وقال مجاهد : (متتابعة) . وقال قتادة : (متتابعة ليس لها فترة).

وعن سفيان : (﴿ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ قال : متتابعة ، و﴿ أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ ﴾ [فصلت : 16] قال : مشائيم) . وقال ابن زيد : (﴿ حُسُومًا ﴾ حسمتهم لم يُبقِ منهم أحداً).

وقوله : ﴿ فَفَرَّقَ الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ . قال ابن عباس : (خربة).

أي : فترى - يا محمد - قوم عاد بعد الرياح العاتية التي سلطت عليهم كأنهم أصول نخل قد خوت . وقال أبو الطفيل : (﴿ خَاوِيَةٍ ﴾ أي بالية) . وقيل : (خاوية : ساقطة).

قال القاسمي : (أي ساقطة مجتثة من أصولها كآية : ﴿ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ [القمر : 20]). قال القرطبي : (يحتمل أنهم شُبَّهوا بالنخل التي صرعت من أصلها ، وهو إخبار عن عظم أجسامهم . ويحتمل أن يكون المراد به الأصول دون الجذوع ، أي

إن الريح قد قطعتهم حتى صاروا كأصول النخل خاوية . أي الريح كانت تدخل أجوافهم فتصرعهم كالنخلة الخاوية الجوف) .

وقال ابن كثير: (أي: جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخز مَيِّتاً على أُمِّ رَأْسِهِ ، فينشدحُ رأسه وتبقى جُثَّتُهُ كأنها قائمة النخلة إذا خَرَّتْ بلا أغصان) .
أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: [نُصِرْتُ بالصَّبَا ، وَأُهْلِكْتُ عَادٌ بِالذَّبُورِ]⁽¹⁾ .

وقوله تعالى: ﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴾ . أي فهل ترى يا محمد لعاد قوم هود من بقاء أو بقية . لقد بادوا عن آخرهم ، ولم يبق الله لهم خلفاً .

وقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴾ . أي بالفعللة الخاطئة . قال الربيع: (أي: بالمعصية) . وقال مجاهد: (بالخطايا) . والمؤتفكات: قرى قوم لوط اثتفكت - أي انقلبت - بهم .

والمقصود: جاء فرعون ومن قبله من الأمم المكذبة كقوم نوح وعاد وشمود ﴿ وَالْمُؤْتَفِكَتُ ﴾ وهي قرى قوم لوط ﴿ بِالْخَاطِئَةِ ﴾ أي بالفعللة الخاطئة ، وهي التكذيب بما أنزل الله والإصرار على الكفر والظلم .

وقوله: ﴿ فَصَوَّرَ رَسُولَ رَبِّهِمْ ﴾ . قال ابن كثير: (وهذا جنس ، أي: كُلُّ كَذَبَ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ . كما قال تعالى: ﴿ كُلُّ كَذَبَ الرُّسُلِ حَقٌّ وَعِيدٌ ﴾ [ق: 14] . ومن كَذَبَ برسولٍ فقد كَذَبَ بالجميع ، كما قال تعالى: ﴿ كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ، ﴿ كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ، ﴿ كَذَبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: 105 ، 123 ، 141] . وإنما جاء إلى كل أمة رسولٌ واحد) .

وقوله: ﴿ فَأَخَذَهُم أَخَذَةً رَّابِيَةً ﴾ . قال ابن عباس: (يعني أخذة شديدة) . وقال السدي: (مهلكة) .

قال القرطبي: ﴿ فَأَخَذَهُم أَخَذَةً رَّابِيَةً ﴾ أي عالية زائدة على الأخذات وعلى عذاب الأمم . ومنه الرِّبَا إذا أخذ في الذهب والفضة أكثر مما أعطى . يقال: ربا الشيء يربو أي زاد وتضاعف . وقال مجاهد: شديدة . كأنه أراد زائدة في الشدة) .

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ . طغا الماء: أي: ارتفع وعلا . قال

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري (3205) ، كتاب بدء الخلق . وكذلك (1035) ، ورواه مسلم .

ابن عباس: (يعني كثر الماء ليالي غرق الله قوم نوح). والجارية: السفينة.

والمقصود: لما أصرّ قوم نوح على الكفر وتكذيب الوحي والنبوة أرسل الله عليهم ماء السماء فكثر حتى تجاوز حده المعروف فكان الطوفان وغرق القوم الكافرين ، ونجّى الله بسفينة نوح المؤمنين .

وفي الآية زجر لهذه الأمة عن الاقتداء بهم في معصية الرسول . وفيه امتنان من الله عليهم أن جعلهم ذرية من نجا من الغرق بقوله: ﴿حَمَلْنَاكَ﴾ أي حملنا آباءكم وأنتم في أصلاهم ، ومن ثم فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته .

وقوله: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ . قال النسفي: (أي الفعلة ، وهي إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ عبرة وعظة). وقال ابن كثير: (﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ ، عاد الضمير على الجنس للدلالة المعنى عليه ، أي وأبقينا لكم من جنسها ما تركبون على تيار الماء في البحار ، كما قال: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ مِنْ أَفْئِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ ﴿١٧﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: 13]. وقال تعالى: ﴿وَأَيُّ لَكُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ [يس: 41].

وقيل: أبقى الله السفينة حتى أدركها أوائل هذه الأمة . ذكره قتادة .

قلت: والراجح من السياق أن المراد قصة النجاة في سفينة الحق التي حملت نبي الله نوحاً ﷺ والذين آمنوا منه ، فهي التي تحمل العبرة والذكرى للأجيال المؤمنة التي ستعقب هذا الحدث إلى يوم القيامة ، ويدل على ذلك ختام الآية ، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَبِيحًا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ . أي: وتفهم هذه الآية العظيمة والمعجزة الإيمانية أذن عقلت عن الله مراده فانتفعت بما سمعت من آيات كتابه .

وعن ابن عباس: (﴿وَقَبِيحًا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ يقول: حافظة). أو قال: (يقول: سامعة ، وذلك الإعلان). وقال قتادة: (﴿وَقَبِيحًا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ قال: أذن عقلت عن الله ، فانتفعت بما سمعت من كتاب الله). وقال الضحّاك: (سمعتها أذن ووعت).

13 - 18. قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ ﴿١٥﴾ وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ

عَلَىٰ أَرْجَائِهِنَّ وَيَسْفُتُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ نَّٰمِنَةٌ ﴿٧٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ حَافِيَةٌ ﴿٧٨﴾ .

في هذه الآيات: ذِكْرُ الأحداث الرهيبة لبدء القيامة والحساب ، من النفخ في الصور وحركة الأرض والجبال وانشقاق السماء ليبدأ بعد ذلك العرض ثم الثواب والعقاب .
فقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ . قال القاسمي: (أي: لخراب العالم) .
قال أبو السعود: (هذا شروع في بيان نفس الحاقة ، وكيفية وقوعها ، إثر بيان عظم شأنها بإهلاك مكذبيها) .

وعن ابن عباس: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ قال: هي النفخة الأولى لقيام الساعة ، فلم يبق أحد إلا مات). وقال الربيع: (هي النفخة الأخيرة) .

قلت: والراجح أنها النفخة الأولى - نفخة الفزع - التي تعقبها نفخة الصعق ثم نفخة القيام لله رب العالمين . ودليل ذلك الآية بعدها: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ ، وهذا منسجم مع آية سورة النمل: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوٍّ ذَاخِرِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالُ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: 87 - 88] .

قال ابن كثير: (وقد أكدها هاهنا بأنها ﴿وَاحِدَةٌ﴾ ، لأن أمر الله لا يخالف ولا يُمَانَع ، ولا يحتاجُ إلى تكرار وتأکید) .

وقوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ . قال النسفي: (رفعنا عن موضعهما ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ دقتا وكسرتا ، أي ضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيباً مهيلاً وهباء منبثاً) .

والمقصود: تبدلت الأرض غير الأرض ، ونسفت الجبال فكانت هباء منبثاً ، لا ابتداء أمور القيامة من الحشر والحساب . وفي قوله: ﴿فَدُكَّتَا﴾ دليل على إدماج الجبال كلها جملة واحدة لتدك مع الأرض .

وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ . أي: فحينئذ نزلت النازلة وهي القيامة .

وقوله: ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ . أي: وانصدعت السماء وتفطرت فهي يومئذ ضعيفة متصدعة . كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ وَيُزَلُّ الْمَلَكُكَةُ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان: 25] . وعن ابن عباس: ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾: يعني متمزقة ضعيفة) .

وقوله: ﴿وَالْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾. أي: على ما استدق من السماء ينظرون إلى أهل الأرض. قال ابن عباس: (يقول: والملك على حافات السماء حين تشقق). وقال قتادة: (على نواحيها). وقال سعيد بن المسيب: (الأرجاء حافات السماء).
وقوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾. أي: ويحمل عرش الرحمن يوم القيامة ثمانية من الملائكة العظام.

أخرج الطبراني بسند جيد عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ رَجُلَهُ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى وَعَلَى قَرْنِهِ الْعَرْشُ، وَبَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعَاتِقِهِ خَفْقَانِ الطَّيْرِ سَبْعَ مِائَةٍ عَامٍ، يَقُولُ ذَلِكَ الْمَلِكُ: سُبْحَانَكَ حَيْثُ كُنْتُ] (1).

وأخرج أبو داود بسند صحيح من حديث جابر بن عبد الله: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: [أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ تَعَالَى حَمَلَةِ الْعَرْشِ، مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ سَنَةٍ] (2).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾.

أي: يومئذ تعرضون على ربكم للحساب والجزاء، لا تخفى منكم سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله. قال النسفي: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ للحساب والسؤال، شُبِّهَ ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف أحواله.

وقد قال ابن أبي الدنيا: أخبرنا إسحاق بن إسماعيل، أخبرنا سفيان بن عُيينة، عن جعفر بن بُرْقَانَ، عن ثابت بن الحجاج قال: قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحَاسَبُوا، وزنوا أنفسكم قبل أن تُوزَنُوا، فإنه أخفُ عليكم في الحساب غداً أن تُحَاسَبُوا أنفسكم اليوم، وتزَيَّنُوا للعرض الأكبر: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾).

19 - 24. قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَكَ كُنُوبَهُ يَمِينَهُ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ نَارُؤُا كُتَيْبَةٌ

إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبِيَّةٌ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾

(1) حديث صحيح. أخرجه الطبراني بسند جيد من حديث أنس. انظر صحيح الجامع الصغير (866).

(2) حديث صحيح. أخرجه أبو داود في السنن (4727). وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (151).

كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ .

في هذه الآيات: وَصَفُ الفرحة العظيمة لمن استقبل كتابه بيمينه يوم الدين ، فهو في عيشة ناعمة في الملذات في جنات النعيم .
فقوله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوَفِّي كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ . فيه بدء تفصيل العرض . وإعطاء الكتاب باليمين دليل على النجاة .

وقوله: ﴿ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِي ﴾ . قال القرطبي: (أي يقول ذلك ثقة بالإسلام وسروراً بنجاته ، لأن اليمين عند العرب من دلائل الفرح ، والشمال من دلائل الغم) .
وعن ابن زيد: (﴿ هَؤُلَاءِ ﴾ أي: تعالوا) . وقال مقاتل: (هَلُمَّ) . وقيل: أي خذوا ، ومنه الخبر في الربا «إلا هاء وهاء» أي يقول كل واحد لصاحبه: خذ . قال القتيبي: (والأصل هاكم فأبدلت الهمزة من الكاف) . وقال ابن السكيت والكسائي: (العرب تقول هاء يا رجل اقرأ ، وللاثنين هأوما يا رجلان ، وهأوم يا رجال ، وللمرأة هاء وهأوما وهأومن) .

وأما الهاء في قوله: ﴿ كِتَابِي ﴾ فهي للسكت ، لا ضمير غيبة .
وقوله تعالى: ﴿ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبِي ﴾ . قال ابن عباس: (يقول: أيقنت) .
وقال قتادة: (ظَنَّ ظناً يقيناً ، فنفعه الله بظنه) . والمعنى: إني علمت أنني ملاق جزائي وتكريمي يوم القيامة فأعددت له عدته من الإيمان والعمل الصالح .
وقوله تعالى: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ . قال الفراء: (﴿ رَاضِيَةٍ ﴾ أي مرضية) .
وقيل: ذات رضا ، أي يرضى بها صاحبها .

والمقصود: فهو في عيش هنيء يرضاه لا ينغصه مكروه .
وقوله تعالى: ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ . قال ابن جرير: (يقول: في بستان عال رفيع) .
وقال النسفي: (﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ رفيعة المكان أو رفيعة الدرجات أو رفيعة المباني والقصور ، وهو خبر بعد خبر) . والمعنى: في جنة عظيمة في النفوس ، فوق الطموح والآمال في رفعتها ودرجاتها وقصورها ونعيمها وملأها .

وقوله تعالى: ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ . أي ثمارها قريبة متناولة ، ينالها راغبها وهو على حاله من القيام أو القعود أو الاضطجاع . قال قتادة: (دنت فلا يرد أيديهم عنها بعد

ولا شك). وعن أبي إسحاق قال: سمعت البراء يقول في هذه الآية: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ قال: يتناول الرجل من فواكهها وهو نائم).

والقُطُوف: جمع قُطْف ، وهو ما يُقْطَفُ من الثمار. والقُطْف بالفتح المصدر ، والقُطاف وقت القطف.

وقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْفَالِغَةِ﴾.

أي: ويقال لهم تكريماً: كلوا واشربوا أكلاً وشرَباً ﴿هَنِيئًا﴾ لا مكروه فيه ولا تكدير ولا تنغيص ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾: أي بما قدمتم في أيام دنياكم من الأعمال الصالحة.

وفي التنزيل نحو هذه الآيات ، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْلِبُؤَيْمِينَ﴾ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَنَقْلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: 7 - 9].

وفي الصحيحين عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: [إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كفه⁽¹⁾] ويستره فيقول: أتعرفُ ذنبَ كذا؟ أتعرفُ ذنبَ كذا؟ فيقول: نعم أي رب ، حتى قرَّره بذنوبه ، ورأى في نفسه أنه قد هلك ، قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ، فيعطى كتاب حسناته. وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: 18][⁽²⁾].

25 - 37. قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْلِبُؤَيْمِينَ﴾ فيقولُ يَلَيْتَنِي لَمَ أَوْفَىٰ كَيْلِبُؤَيْمِينَ ﴿٢٥﴾

وَلَمَ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةٌ يَلَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ ﴿٢٨﴾ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾ خَذُوهُ فَعْلُوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُمْ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُرُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غَسْلِينَ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾.

في هذه الآيات: وَصَفُ مشهد الندم والخزي لمن أوتي كتابه بشماله يوم الدين ، فهو اليوم في السلاسل والحميم وطعام الغسلين في نار الجحيم.

(1) أي: حفظه وستره.

(2) حديث صحيح. أخرجه البخاري (2441) ، ومسلم (2768) ، وأحمد (74/2).

فقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْقَ كَيْبَهُ بِإِثْمَالِهِ، فَيَقُولُ يَلَيِّنِي لَرَأُوتَ كَيْبَةٍ﴾.

إخبار عن حال أهل الشقوة حين توزع عليهم كتبهم في أرض المحشر بشمائلهم ، فيجدون فيها حصائد أعمالهم ، فيندمون غاية الندم ، فيقول قائلهم: ﴿يَلَيِّنِي لَرَأُوتَ كَيْبَةٍ﴾. قال النسفي: (لما يرى فيها من الفضائح).

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ آدِرْ مَا حِسَابِيَّةٍ﴾. أي: يتمنى أن لم يكن أعطي الكتاب ، ولم يدر ما الحساب .

وقوله تعالى: ﴿يَلَيَّتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَّةُ﴾. قال الضحاك: (أي مودة لاحياة بعدها).

وقال قتادة: (تمنى الموت ، ولم يكن في الدنيا شيء أكره عنده من الموت).

وقوله تعالى: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي﴾ ﴿هَلَّاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾. أي لم يدفع عني مالي ولا جاهي العذاب ، فأصبحت أسير عملي ، فلا ناصر ولا مجير ولا معين .

وعن ابن عباس: ﴿هَلَّاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ يقول: ضلّ عني كل بينة فلم تغن عني شيئاً). وقال عكرمة: ﴿هَلَّاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ قال: حجتى). وقال ابن زيد: (سلطان الدنيا).

وقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾. أي: فعند ذلك يأمر الله تعالى ملائكته من خُزَّانِ جهنم بسجبه من أرض المحشر ووضع الأغلال في عنقه ثم بإلقائه في نار جهنم ليصلى فيها ، ولتغمره بسعيرها .

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾.

قال القاسمي: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ﴾ أي حلقة منتظمة بأخرى ، وهي بثالثة ، وهلمّ جرا. ﴿ذَرْعُهَا﴾ أي: مقدارها ﴿سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ فأدخلوه فيها. أي: لفّوه بها ، بحيث يكون فيما بين حلقتها مرهقاً ، لا يقدر على حركة).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾. تعليل استحقاقه ذلك الخزي والعذاب . فلقد كان لا يوقن بالله العظيم المستحق للعظمة وحده ، بل كان يشرك معه الأنداد والطواغيت ، فيصرف لهم من العبادة والتعظيم ما لا ينبغي إلا لله الواحد القهار .

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾. قال القرطبي: (بيّن أنه عُدّب على ترك الإطعام وعلى الأمر بالبخل ، كما عُدّب بسبب الكفر . والحض: التحريض والحث).

والمقصود: إنه قد جمع إلى الكفر ، الشح والبخل ، والدعوة إلى ذلك .

وقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ﴾. أي: فليس له اليوم قريب تأخذه الحمية له كما كان له في الدنيا مما يأنس به عند النائبات والشدائد.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ﴾. قال ابن عباس: (صديد أهل النار). أو قال: (ما يخرج من لحومهم). وقال قتادة: (شر الطعام وأخبثه وأبشعه). قلت: والغسلين: فغسلين من الغسل، والمقصود: من غسالة أبدان أهل النار وصديدهم. وقوله تعالى: ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِثُونَ﴾. أي: الآثمون، أصحاب الإصرار على الخطايا والآثام.

قال ابن جرير: (يقول: لا يأكل الطعام الذي من غسلين إلا الخاطئون، وهم المذنبون الذين ذنوبهم كفر بالله).

38 - 43. قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَآهِنٍ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾.

في هذه الآيات: تأكيد الوحي والنبوة بإقسام الله تعالى بعالمي الغيب والشهادة، فهو الكتاب الحق كلام الله تعالى الذي تفرد إليه العبادة.

فقوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾. أي: ما الأمر كما تكذبون معشر المشركين. بل أقسم بجميع الأشياء مما ترون ومما لا ترون أن هذا القرآن قول الرسول الكريم، أوحاه إليه رب العالمين. قال ابن زيد: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ قال: أقسم بالأشياء، حتى أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾. قال النسفي: ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي إن القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أي محمد ﷺ أو جبريل عليه السلام، أي يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾. أي: وما هذا القرآن بقول شاعر، فمحمد ﷺ لا يحسن قيل الشعر. قال قتادة: (طهره الله من ذلك وعصمه). إنكم قليلاً ما تصدقون أنتم - معشر المشركين من قريش - بما ظهر صدقه وبيانه، ووضح برهانه، ظلماً وعناداً وعتواً.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَقُولُ كَآهِنٍ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ﴾. قال قتادة: (طهره من الكهانة،

وعصمه منها). قال القاسمي: ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ﴾ أي كما تدعون أخرى بأنه من سجع الكهان ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي تتعظون وتعتبرون).

فنفي عنهم الإيمان أولاً ثم الذكري ثانياً: لأن اتهام القرآن بالشعر بالغة من الكذب ، فهم أهل الفصاحة والعلم بصناعة العرب والشعراء . ثم إن الكهان يأخذون جُعلاً ، ويتكلفون السجع والكذب ، وإدخال الأخبار ببعضها ، فأين الذكري لهم في ذلك !

وقوله تعالى: ﴿نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾. أي: وإنما هذا القرآن تنزيل من ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: الذي رباهم بصنوف نعمه ، وما خلقهم عبثاً ولا تركهم للضياع ، بل أكرمهم بالوحي والنبوة ، ليوصلهم إلى سبل السعادة ومناهج الفلاح .

44 - 52. قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾.

في هذه الآيات: المبالغة بوصف العقاب لو افترى الرسول هذا الكتاب ، وإنما هو كلام الله العظيم ، فيه تذكرة للمتقين ، ويحمل الحسرة والندامة للكافرين .

فقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾. قال ابن كثير: (يقول تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا﴾ أي: محمد ﷺ أو كان كما يزعمون مفترياً علينا ، فزاد في الرسالة أو نقص منها ، أو قال شيئاً من عنده فنسبه إلينا ، وليس كذلك ، لعاجلناه بالعقوبة . ولهذا قال تعالى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ، قيل: معناه: لا نتقمن منه باليمين ، لأنها أشدُّ في البطش . وقيل: لأخذنا بيمينه).

قلت: فهناك تأويلان متكاملان لقوله تعالى: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾:

التأويل الأول: أي لأخذنا منه بالقوة منا والقدرة . ذكره ابن جرير واختاره .

التأويل الثاني: أي لأخذنا منه باليد اليمنى من يديه . فهو كقول السلطان إذا أراد الاستخفاف ببعض من بين يديه لبعض أعوانه: خذ بيده ، فأقمه ، وافعل به كذا وكذا ، والمقصود الإهانة . قال الزمخشري: (المعنى لو ادعى علينا شيئاً لم نقله لقتلناه صبراً ،

كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم ، معاجلة بالسخط والانتقام . فصوّر قتل الصبر بصورته ليكون أهول . وهو أن يؤخذ بيده ، وتضرب رقبته . وخصّ اليمين عن اليسار ، لأن القتال إذا أراد أن يوقع الضرب في قفاه أخذ بيساره ، وإذا أراد أن يوقعه في جيده ، وأن يكفحه بالسيف ، وهو أشد على المصبور ، لنظره إلى السيف ، أخذ بيمينه) .

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَقَطْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ . قال ابن عباس : (وهو نياط القلب ، وهو العرق الذي القلب معلق فيه) . وقال مجاهد : (الوتين : حبل القلب الذي في الظهر) . وقال الضحاك : (وتين القلب : وهو عرق يكون في القلب ، فإذا قطع مات الإنسان) .

وقوله تعالى: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِيزٌ﴾ . أي : فما منكم أيها الناس من أحد يحجزنا عن محمد ومعاقبته لو تقول علينا بعض الأقاويل .

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَنذَكِّرُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ . قال قتادة : (القرآن) . أي : وإنّ هذا القرآن عظة يتعظ به أهل الإيمان والتقوى ، لئلا يندرجوا مع أهل الكفر والشقوة .

وقوله تعالى: ﴿وَأِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ﴾ . قال الربيع : (بالقرآن) . أي : وإنا لنعلم أنه مع هذا البيان والإعجاز لهذا القرآن فإن منكم من يكذب به ، إثارةً للعجز والجهل .
وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ . أي : وإنه لتحسر وندم سيلحق بالكافرين بهذا القرآن يوم القيامة .

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ . قال ابن جرير : (يقول : وإنه للحق اليقين الذي لا شك فيه أنه من عند الله ، لم يتقوله محمد ﷺ) .

وقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ . قال ابن عباس : (أي فصلّ لربك) . وقيل : أي نزه الله عن السوء والنقائص .

تم تفسير سورة الحاقة

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منّه وكرمه

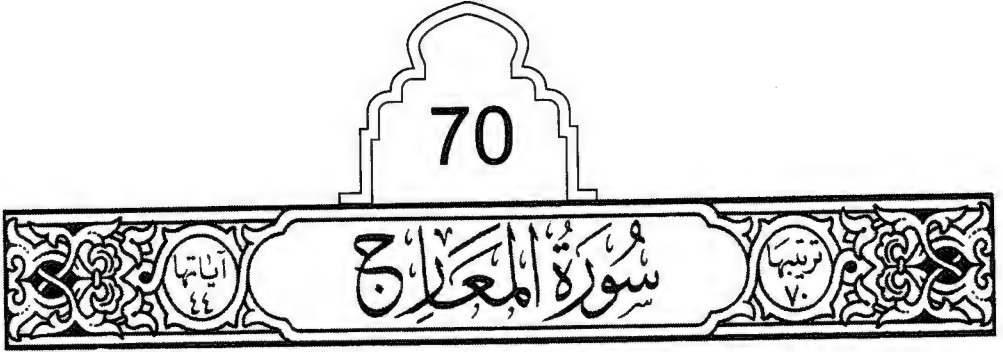
عصر السبت 17 شوال 1426 هـ

الموافق 19 / تشرين الثاني / 2005 م

دروس ونتائج وأحكام

- 1- الحاقة من أسماء يوم القيامة ، عظمه الله ، وحذره عباده .
- 2- هلكت ثمود بالصيحة وعادّ بريح صرصر وكفار قوم نوح بالغرق والمؤمنون حُمِلوا في الجارية .
- 3- يُعطى أصحاب اليمين كتبهم بأيمانهم ، ويسعى نورهم من بين أيديهم .
- 4- يُعطى أصحاب الشمال كتبهم بشمائلهم من وراء ظهورهم .
- 5- يُسلسل الكفار بالأغلال ، ويساق المتكبرون إلى سجن في جهنم يسمى بولس ، تعلوهم نار الأنيار ، يسقون من عصارة أهل النار: طينة الخبال .





وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (44).

موضوع السورة

تأكيد عذاب الله - ذي المعارج - على أهل الكفر والسيئات
وتحذير المؤمنين من سَيِّئِ الأخلاق والعادات

- منهاج السورة -

- 1 - سؤال بعض الكافرين عن عذاب الله وهو لا محالة واقع ، وليس له من دون الله ذي المعارج دافع .
- 2 - حث الله تعالى نبيه ﷺ على الصبر ، فإن النصر لا بد قريب .
- 3 - وَصَفُ الأحوال التي تسبق القيامة ، ومشهد الذل في المحشر على المجرمين والندامة .
- 4 - إخبار الله عن الإنسان وما فيه من سَيِّئِ العادات ، وثناء على المصلين المزكين في أرفع الصفات ، وتخصيص الله تعالى لهم في الجنة أرفع الدرجات .
- 5 - استنكار على المشركين نفورهم عن الحق وبديع الآيات ، وتوبيخ لهم في طمعهم بالجنة وهم قائمون على الشرك والموبقات .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 7. قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَرَأَوْهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾.

في هذه الآيات: سؤال بعض الكفار عن عذاب الله وهو لا محالة واقع ، على الكافرين وليس له من دون الله ذي المعارج دافع ، فاصبر يا محمد فكل آت قريب والصبر نافع .

فقوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ . قال ابن عباس : (ذاك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع). وقال مجاهد: (دعا داع ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ قال: يقع في الآخرة). وقال قتادة: (سأل عذاب الله أقوام ، فبين الله على من يقع على الكافرين).

وفي التنزيل نحو ذلك:

1 - قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِّنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِّنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: 32].

2 - وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج: 47].

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال: [قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو آتتنا بعذاب أليم. فنزلت: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (٣٣) وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴿٣٤﴾ الآية] (١).

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (4649) - كتاب التفسير من صحيحه - سورة الأنفال.

وقوله تعالى: ﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ﴾. قال ابن جرير: (يقول تعالى ذكره: ليس للعذاب الواقع على الكافرين من الله دافع يدفعه عنهم).

وقوله تعالى: ﴿مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾. قال الرازي: (المعارج جمع معرج ، وهو المصعد). قال ابن عباس: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ يقول: العلو والفواضل). أو قال: (ذي الدرجات).

وقال قتادة: (ذي الفواضل والنعم). وقال مجاهد: ﴿مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ قال: (معارج السماء). وقيل: هي معارج الملائكة ، لأنها تعرج إلى السماء فوصف نفسه بذلك.

وقيل: المعارج هي الدرجات التي يعطيها سبحانه أوليائه في الجنة.

وقوله تعالى: ﴿تَرْجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ يَوْمَ كَانَ مِقْدَارُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

أي: تصعد إليه الملائكة ﴿وَالرُّوحُ﴾ - وهو جبريل عليه السلام أو روح المؤمن عند الموت - فيكون مقدار صعودهم ذلك في يوم لغيرهم من الخلق خمسين ألف سنة.

قال ابن كثير: (وأما ﴿وَالرُّوحُ﴾: يحتمل أن يكون المراد به جبريل ، ويكون من باب عطف الخاص على العام. ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم فإنها إذا قُبِضَتْ يُصْعَدُ بها إلى السماء).

قلت: وكلا المعنيين حق ، فصعود الروح جبريل وكذلك أرواح المؤمنين ثابت في السنة الصحيحة:

ففي المسند وسنن أبي داود ومستدرک الحاكم بسند صحيح من حديث البراء مرفوعاً: [فيصعدون بها - أي روح المؤمن - فلا يمرون بها على ملائ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم ، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها ، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة] الحديث⁽¹⁾.

وعن مجاهد: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾. قال: منتهى أمره من أسفل

(1) حديث صحيح. وهو جزء من حديث طويل. أخرجه أحمد (4/287) (4/295) ، وأخرجه أبو داود (2/281) ، والحاكم (1/37 - 40) ، والطيالسي (رقم 753).

الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السماوات والأرض مقدار خمسين ألف سنة ، ويوم كان مقداره ألف سنة ، يعني بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض ، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد ، فذلك مقداره ألف سنة ، لأن ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمس مئة عام).

قلت : والآية دليل واضح من أدلة العلو لله تعالى فوق جميع خلقه ، فوق السماوات السبع فوق العرش العظيم .

ففي التنزيل :

1 - قوله تعالى : ﴿ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة : 5] .

2 - وقوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر : 10] .

3 - وقوله تعالى : ﴿ ءَأَمِنُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ [الملك : 16] .

ومن كنوز السنة العطرة في آفاق ذلك أحاديث ، منها :

الحديث الأول : أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : [الملائكة يتعاقبون فيكم ، ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج إليه الذي باتوا فيكم فيسألهم ، وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون : أتيناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهو يصلون] (1) .

الحديث الثاني : أخرج أحمد في المسند بسند جيد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : [كان ملك الموت يأتي الناس عياناً ، فأتى موسى عليه السلام فلطمه ، فذهب بعينه ، فعرج إلى ربه عز وجل فقال : يا رب بعثني إلى موسى فلطمني فذهب بعيني ، ولولا كرامته عليك لشققت عليه . قال : ارجع إلى عبدي فقل له : فليضع يده على ثور ، فله بكل شعرة وارت كفه سنة يعيشها] الحديث (2) .

الحديث الثالث : حديث المعراج - في الصحيحين وغيرهما - عن أنس وفيه : [ثم

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري (555) ، ومسلم (632) ، ورواه أحمد (312/2) .

(2) حديث صحيح . أخرجه أحمد ، وأصله وشاهده في الصحيحين . انظر : «مختصر العلو» (86) .

عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل [الحديث (1)].

وقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾. أي: فاصبر يا محمد على أذى قومك صبراً لا جزع فيه ، ولا يثنيك ما تلقى منهم من الأذى عن تبليغ رسالة ربك ، فإن النصر مع الصبر ، وإن مع العسر يسراً.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ وَرَأَيْنَاهُ قَرِيبًا﴾. قال النسفي: ﴿إِنَّهُمْ﴾ إن الكفار ﴿يَرَوْنَهُ﴾ أي العذاب أو يوم القيامة ﴿بَعِيدًا﴾ مستحيلاً ﴿وَرَأَيْنَاهُ قَرِيبًا﴾ كائناً لا محالة ، فالمراد بالبعيد البعيد من الإمكان ، وبالقريب القريب منه).

8 - 18. قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ ۖ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۖ وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا ۚ يُبْصَرُونَ يَوْمَ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ بَنِيهِ ۖ وَصَحْبَتَهُ ۖ وَأَخِيهِ ۖ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَكَّلُ ۚ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۖ كَلَّا ۚ إِنَّهَا لَظَنَى ۚ نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى ۖ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ۖ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ۖ﴾.

في هذه الآيات: نَعَتْ الأهوال التي تسبق القيامة ، ومشهد الذل في أرض المحشر على المجرمين والندامة ، ونار جهنم قد أعدت لاستقبال الطغاة لتقلعهم من الفرحة إلى السامة.

فقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ﴾. يعني: كالشيء المذاب. قال مجاهد: (كَعَكْرِ الزيت). وقال قتادة: (تتحول يومئذ لونا آخر إلى الحمرة).

وقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾. يعني: كالصوف المنفوش. وهو كقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: 5]. وعن مجاهد: ﴿كَالْعِهْنِ﴾ قال: كالصوف).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا﴾. أي: ولا يسأل قريب قريبه عن شأنه أو حاله لانشغاله بشأن نفسه. قال قتادة: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حِمِيمٌ حَمِيمًا﴾ يشغل كل إنسان بنفسه عن الناس).

(1) حديث صحيح. انظر صحيح البخاري (فتح الباري 7/ 201 - 202) ، (6/ 477) ، وصحيح مسلم (1/ 148) ، (1/ 156 - 157) ، من حديث الإسراء والمعراج.

وقوله: ﴿يُبْصِرُونَهُمْ﴾ فيه أكثر من تأويل:

التأويل الأول: المقصود الأقرباء يعرف بعضهم بعضاً ، ثم ينشغل كل بنفسه عن غيره.

قال ابن عباس: ﴿يُبْصِرُونَهُمْ﴾: يعرف بعضهم بعضاً ، ويتعارفون بينهم ، ثم يفر بعضهم من بعض ، يقول: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: 37].

وقال قتادة: ﴿يُبْصِرُونَهُمْ﴾ يعرفونهم يعلمون ، والله ليعرفن قوم قوماً ، وأناس أناساً).

التأويل الثاني: المؤمنون يبصرون الكفار. قال مجاهد: ﴿يُبْصِرُونَهُمْ﴾ المؤمنون يبصرون الكافرين).

التأويل الثالث: الكفار الاتباع يعرفون المتبوعين الرؤساء في النار.

قال ابن زيد: ﴿يُبْصِرُونَهُمْ﴾: يبصرون الذين أضلّوهم في الدنيا في النار).

والتأويل الأول هو الأنسب للسياق ، وهو اختيار ابن جرير. قال: (معنى ذلك: ولا يسأل حميم حميماً عن شأنه ، ولكنهم يبصرونهم فيعرفونهم ، ثم يفر بعضهم من بعض). وبنحوه ذكر الحافظ ابن كثير حيث قال: (أي: لا يسأل القريب عن حاله ، وهو يراه في أسوأ الأحوال ، فتشغله نفسه عن غيره).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ بَيْنِهِ ۖ وَصَاحِبَتُهُ وَأَخِيهِ ۖ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَبُّ ۖ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾.

أي: يتمنى الكافر لو يفتدي يومئذ من عذاب جهنم بأعز من كان عليه في الدنيا: الولد والزوجة والأخ والعشيرة ، بل وكل أهل الأرض ليحظى بالنجاة ولكن هيهات !! وعن قتادة: ﴿يَوْمَئِذٍ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ بَيْنِهِ ۖ وَصَاحِبَتُهُ وَأَخِيهِ ۖ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَبُّ﴾. الأحب فالأحب ، والأقرب فالأقرب من أهله وعشيرته لشدايد ذلك اليوم).

وعن مجاهد: ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَبُّ﴾ قال: قبيلته). وقال ابن زيد: ﴿وَصَاحِبَتُهُ﴾ قال: صاحبة الزوجة ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَبُّ﴾ قال: فصيلته: عشيرته).

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْلَى﴾. أي: لا سبيل له إلى ذلك ، فإنه لا يقبل منه فداءً ولو جاء بأهل الأرض وبأعز ما يجده من المال ولو بملء الأرض ذهباً لو استطاع إلى

ذلك سبيلاً ، فإن ﴿لَطَى﴾ - وهي جهنم - له بالمرصاد .

قال القرطبي: ﴿كَلَّا﴾: تكون بمعنى حقاً ، وبمعنى لا . وهي هنا تحتل الأمرين ، فإذا كانت بمعنى حقاً كان تمام الكلام ﴿يُنْجِيهِ﴾ . وإذا كانت بمعنى لا كان تمام الكلام عليها ، أي ليس ينجيه من عذاب الله الافتداء ثم قال: ﴿إِنَّمَا لَطَى﴾ أي هي جهنم ، أي تتلظى نيرانها).

و﴿لَطَى﴾ اسم من أسماء جهنم ، واشتقاق ﴿لَطَى﴾ من التلظى . والتلظى النار التهابها ، وتلظىها تلظىها ، كما قال تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ [الليل: 14] أي تتهلب .

وقوله تعالى: ﴿نَزَاعَةٌ لِّلشَّوَى﴾ . قرأ أبو جعفر وشيبة ونافع ، وعاصم - في رواية أبي بكر عنه - «نَزَاعَةٌ» بالرفع . وقرأها عاصم في رواية أبي عمرو عنه ﴿نَزَاعَةٌ﴾ بالنصب . فبالرفع هي خبر لمبتدأ محذوف تقديره «هي» ، أو خبر آخر لأن ، أو بدل من لظى . وبالنصب تكون حالاً مؤكدة ، أو تُنْصَبُ على معنى أنها تتلظى نزاعة ، أي في حال نزاعها للشوى . وقيل غير ذلك .

والشوى في لغة العرب: جمع شواة وهي جلدة الرأس . والشوى: البدان والرجلان والرأس من الآدميين ، وكل ما ليس مقتلاً . يقال: رماه فأشواه إذا لم يصب المقتل .

وعن ابن عباس: ﴿نَزَاعَةٌ لِّلشَّوَى﴾ قال: تنزع أم الرأس . وفي رواية: (يعني الجلود والهام) . وقال مجاهد: ﴿نَزَاعَةٌ لِّلشَّوَى﴾ قال: لجلود الرأس . وقال أبو صالح: (نزاعة اللحم الساقين) . وقال قتادة: (أي نزاعة لهامته ومكارم خلقه وأطرافه) . وقال الضحاك: (تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئاً) . وقال ابن زيد: (الشوى: الآراب العظام) .

فقوله تعالى: ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ . قال مجاهد: (عن الحق) . وقال قتادة: ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ﴾ عن طاعة الله ﴿وَتَوَلَّى﴾ قال: عن كتابه ، وعن حقه . وقال ابن زيد: (ليس لها سلطان إلا على هوانٍ مَنْ كَفَرَ وتولى وأدبر عن الله ، فأما من آمن بالله ورسوله ، فليس لها عليه سلطان) . قال ابن كثير: (أي: تَدْعُوا النَّارُ إِلَيْهَا أبناءها الذين خلقهم الله لها ، وقَدَّرَ لهم أنَّهم في الدار الدنيا يعملون عملها ، فتدعوهم يوم القيامة بلسانٍ طَلَقَ ذَلَّتِي ، ثم تَلْتَقِطُهُمْ من بين أهل المحشر كما يَلْتَقِطُ الطَّيْرُ الْحَبَّ ، وذلك أنهم كما قال الله - عزَّ وجلَّ - كانوا ممن ﴿أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ ، أي: كَذَّبَ بقلبه ، وترك العمل بجوارحه) .

وقوله تعالى: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ . قال مجاهد: (جمع المال) . وقال قتادة: (كان

جَمُوعاً قَمُوماً لِلخَبِيثِ). قال ابن جرير: (يقول: وجمع مالا فجعله في وعاء ، ومنع حق الله منه ، فلم يرك ولم ينفق فيما أوجب الله عليه إنفاقه فيه).

19 - 35. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الَّذِينَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

في هذه الآيات: إخبار من الله تعالى عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الصفات والأخلاق الدنيئة الواجب مدافعتها ، وثناء على المصلين المزكين المشفقين من عذاب الله الحافظين فروجهم والموفون بعهودهم والمؤدون الأمانات إلى أهلها ، ووعد لهم مع البشري بدخول الجنان والاستقرار في روضاتها.

فقلوه: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾. الهلع: شدة الجزع مع شدة الحرص والضرر. والهلع: الجزوع الحريص. قال سعيد بن جبیر: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ قال: شحيحاً جزوعاً. وقال عكرمة: (ضجوراً). وقال الضحاك: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ يعني الكافر ﴿خُلِقَ هَلُوعًا﴾ يقول: هو بخيل منوع للخير ، جزوع إذا نزل به البلاء ، فهذا (الهلع). وقال شعبة: (الهلع: الحريص).

أخرج أبو داود بسند صحيح عن أبي هريرة ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [شراً ما في رجلٍ شحّ هالِعٌ ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ] (1).

وقوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾. تفسير لآفاق ذلك الهلع: قال ابن كثير: (أي:

(1) حديث صحيح. أخرجه أبو داود في السنن - حديث رقم - (2511). كتاب الجهاد. باب في الجرأة والجبن. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وانظر صحيح سنن أبي داود (2192) ، ومسند أحمد (302/2) ، وصحيح ابن حبان (3250).

إذا أصابه الضُّرُّ فَرَجَ وَجَزَعَ وانخَلَعَ قلبُهُ من شدة الرُّعب ، وأيسَ أن يحصلَ له بعد ذلك خير).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾. قال النسفي: (وإذا ناله خير بخل به ومنعه الناس ، وهذا طبعه وهو مأمور بمخالفة طبعه وموافقته شرعه. والشر: الضر والفقر. والخير: السعة والغنى. (أو المرض والصحة)).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: [ما مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فيه ، إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما: اللهم ! أعْطِ مُتَّقًا خَلَفًا ، ويقول الآخر: اللهم ! أعْطِ مُمَسِّكًا تَلَفًا⁽¹⁾].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾. قال القرطبي: (دلّ على أن ما قبله في الكفار ، فالإنسان اسم جنس بدليل الاستثناء الذي يعقبه ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [العصر: 2 - 3]. وقال ابن كثير: (أي: الإنسان من حيث هو مُتَّصِفٌ بصفات الذم إلا من عصمه الله ووفَّقه ، وهده إلى الخير ويسَّرَ له أسبابه ، وهم المصلون).

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾. يشمل في مفهومه المحافظة على أوقاتها وأركانها وواجباتها ، وسكونها وخشوعها جزء من ذلك. وعن إبراهيم النخعي: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ قال: الصلوات الخمس). أو قال: (المكتوبة).

وعن ابن مسعود قال: (الذين يصلونها لوقتها ، فأما تركها فكفر). وقال عقبة بن عامر: (هم الذين إذا صلوا لم يلتفتوا خلفهم ، ولا عن أيمانهم ، ولا عن شمائلهم). رواه بسنده ابن جرير. كما روى عن قتادة قوله: (ذُكر لنا أن دانيال نعت أمة محمد ﷺ قال: يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما غرقوا ، أو عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم ، أو ثمود ما أخذتهم الصيحة ، فعليكم بالصلاة فإنها خلُقَ للمؤمنين حسن).

وقال ابن جريج والحسن: (هم الذين يكثرون فعل التطوع منها).

وقيل: المراد بالدوام السكون والخشوع ، ومنه الماء الدائم ، أي: الساكن الراكد.

(1) حديث صحيح. أخرجه مسلم في الصحيح (1010) ، كتاب الزكاة ، باب في المنفق والممسك.

ولا شك أن الطمأنينة ركن من أركان الصلاة .

ففي التنزيل :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون : 1 - 2] .

وفي صحيح السنة المطهرة في آفاق ذلك أحاديث :

الحديث الأول : أخرج الترمذي بسند صحيح عن الحارث الأشعري - من وصايا يحيى بن زكريا عليه السلام كما ذكر لنا رسول الله ﷺ : - [وإن الله أمركم بالصلاة ، فإذا صليتم فلا تلتفتوا ، فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت] ⁽¹⁾ .

الحديث الثاني : أخرج أبو داود بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : سألت رسول الله ﷺ عن التفات الرجل في الصلاة ؟ فقال : [هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد] ⁽²⁾ .

والاختلاس : هو الاختطاف بسرعة على غفلة . قال العلامة الطيبي طيب الله ثراه : (سمي اختلاصاً تصويراً لقبيح تلك الفعلة بالمختلس ، لأن المصلي يقبل عليه الرب سبحانه وتعالى والشيطان مرتصد له ينتظر فوات ذلك عليه ، فإذا التفت اغتنم الشيطان الفرصة فسلبه تلك الحالة) . والله أعلم .

الحديث الثالث : أخرج النسائي والترمذي - واللفظ للنسائي - من حديث رفاع بن رافع - حديث المسيء صلاته - قال له النبي ﷺ : [إنه لا تتم صلاة أحدكم حتى يُسَبِّحَ الوضوء كما أمره الله تعالى ، ويغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ، ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين ، ثم يكبر الله ، ويحمده ، ويُمَجِّدُهُ ، ويقرأ من القرآن ما أذن الله له فيه وتيسر ، ثم يكبر ويركع ، فيضع كفيه على ركبتيه حتى تطمئن مفاصله وتسترخي ، ثم يقول : سمع الله لمن حمده ، ويستوي قائماً حتى يأخذ كل عظم مأخذه ، ويقيم صلبه ، ثم يكبر ، فيسجد ، ويُمَكِّنُ جبهته من الأرض ، حتى تطمئن مفاصله وتسترخي ، ثم يكبر فيرفع رأسه ، ويستوي قاعداً على مقعدته ويقيم صلبه (فوصف الصلاة هكذا حتى فرغ ثم قال :) لا تتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك] ⁽³⁾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢١﴾ لِلنَّسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ . قال قتادة : (الحق

(1) حديث صحيح . وهو جزء من حديث طويل . انظر صحيح سنن الترمذي (2298) ، أبواب الإمثال .

(2) حديث صحيح . أخرجه أبو داود (910) ، في الصلاة . باب الالتفات في الصلاة . ورواه البخاري .

(3) رواه النسائي وهذا لفظه ، والترمذي وقال : «حديث حسن» . انظر صحيح الترغيب (1/537) .

المعلوم: الزكاة). أو قال: (الزكاة المفروضة). وقال ابن عباس: (يقول: هو سوى الصدقة يصل بها رحمه ، أو يقري بها ضيفاً ، أو يحمل بها كلاً ، أو يُعين بها محروماً).

قال ابن جرير: (يقول تعالى ذكره: وإلا الذين في أموالهم حقّ مؤقت ، وهو الزكاة للسائل الذي يسأله من ماله ، والمحروم الذي قد حرم الغنى ، فهو فقير لا يسأل).

قلت: والزكاة أشبه بالحق المعلوم ، وسوى الزكاة ليس بمعلوم ، إنما هو واجب على قدر الحاجة ، فيكون بعد الزكاة المعلومة في أنصبتها ومقاديرها ، كما قال الشعبي: (إن في المال حقاً سوى الزكاة).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصَّدَقُونَ يَوْمَ الدِّينِ﴾. أي: وإلا المؤمنون باليوم الآخر ، فهم يقرون بالبعث والحساب ، ويعملون لما يكون فيه الفوز بالجنة والنجاة من العقاب.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ﴾. أي: والذين هم في الدنيا من عذاب الآخرة خائفون وجلون ، فهم راجون رحمة ربهم لا يضيعون له فرضاً ، ولا يتعدّون له حدّاً ، وهم له خاشعون.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾. قال النسفي: (أي لا ينبغي لأحد وإن بالغ في الاجتهاد والطاعة أن يأمنه ، وينبغي أن يكون مترجحاً بين الخوف والرجاء).

أخرج أبو نعيم في «الحلية» بسند حسن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: [قال الله تعالى: وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي أمينين ولا خوفين ، إن هو أمني في الدنيا أخفته يوم أجمع عبادي ، وإن هو خافني في الدنيا أمنتّه يوم أجمع عبادي]⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَعْتَابِهِمْ حَافِظُونَ﴾. أي: والذين هم حافظون فروجهم عن الحرام ، فهم يمنعونها أن توضع في غير ما أذن الله .

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ غَيْرُ مُلْمِئِينَ﴾. أي: ويستثنى مما سبق الأزواج والإماء ، فهن حلال لمن ملكهن بكلمة الله وضوابط الشرع .

أخرج أبو داود بسند حسن عن حكيم ، عن أبيه ، قال: قلت: يا رسول الله !

(1) حديث حسن . أخرجه أبو نعيم والبخاري بسند حسن . انظر صحيح الجامع الصغير (4208).

عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: [احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك] الحديث⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿فَنِ ابْنِى وَرَّةَ ذَاكَ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾. أي: فمن التمس لفرجه منكحاً سوى زوجته أو ما ملكت يمينه فهو بذلك متعد حدود الله ، ماض في طريق معصيته .

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾. قال ابن جرير: (يقول تعالى ذكره: وإلا الذين هم لأمانات الله التي ائتمنهم عليها من فرائضه وأمانات عباده التي أوئمنوا عليها ، وعهوده التي أخذها عليهم بطاعته فيما أمرهم به ونهاهم ، وعهود عباده التي أعطاهم على ما عقده لهم على نفسه راعون ، يرقبون ذلك ، ويحفظونه فلا يضيعونه ، ولكنهم يؤدونها ويتعاهدونها على ما ألزمهم الله وأوجب عليهم حفظها).

وفي التنزيل نحو ذلك :

1 - قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب : 58].

2 - وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء : 34].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: [مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا ، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا]⁽²⁾.

وفي الصحيحين من حديث أنس قال: قال النبي ﷺ: [لكل غادر لواء يوم القيامة ، يقال: هذه غدره فلان]⁽³⁾.

وفي جامع الترمذي بسند صحيح من حديث أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال: [المسلم أخو المسلم ، لا يخنؤه ، ولا يكذبه ، ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام ، عرضه وماله ودمه]⁽⁴⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَشْهَدَتُهُمْ قَائِمُونَ﴾. أي: والذين لا يكتُمون الشهادة التي استشهدوا عليها ، بل يؤدونها صحيحة غير مبدلة ولا معدلة.

(1) حديث حسن . أخرجه أبو داود في السنن (4017) ، كتاب الحمام . باب ما جاء في التعري . ورواه ابن ماجه (1920) . وانظر صحيح سنن أبي داود (3391) .

(2) حديث صحيح . أخرجه مسلم (101) ، كتاب الإيمان . وانظر كذلك الحديث (100) ، (102) .

(3) حديث صحيح . أخرجه البخاري (464/10) ، (299/12) ، وأخرجه مسلم (1735) .

(4) حديث صحيح . انظر صحيح سنن الترمذي (1572) ، وكذلك (1152) من حديث ابن عمر .

قال القرطبي: ﴿قَائِمُونَ﴾ على من كانت عليه من قريب أو بعيد ، يقومون بها عند الحاكم ولا يكتُمونها ولا يغيرونها).

وفي التنزيل: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِثْمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: 283].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾. قال قتادة: (على وضوئها وركوعها وسجودها). وقيل: على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها. وقيل: الدوام عليها الاستكثار منها ، والمحافظة عليها أن لا تضع عن مواقيتها.

قلت: الدوام يشمل المحافظة على أدائها وعدم الانشغال عنها. وأما المحافظة عليها فيضم مراعاة إسباغ الوضوء لها وإقامتها في مواقيتها بأركانها وواجباتها ومستحباتها وآدابها. وقد افتتح الكلام بذكر الدوام على الصلاة واختتمه بذكر المحافظة عليها ، ليدل على مكانتها في الإسلام وشرفها وعلو قدر صاحبها.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّةٍ مُكْرَمُونَ﴾. أي: هؤلاء الموصوفون بهذه الصفات والنعوت الرفيعة هم أهل الكرامة وحسن التكریم في الآخرة ، ينعمون بأنواع الملاذ ، وصنوف المسار ، وألوان الكرامات.

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: [يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشَبُّوا فَلَا تَهْرُمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنَعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا⁽¹⁾].

36 - 44. قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا بِكَ مُهَاطِينَ﴾ عَنِ اليمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ

عَزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيْطَعَ كُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَى نُصْبِ يَوْمُضُونَ ﴿٤٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾.

في هذه الآيات: استنكار على المشركين نفورهم من الحق وقد رأوا أمامهم تأييد الله نبيه بالنصر والمعجزات ، وتوبيخ لهم في طمعهم بالجنان وهم باقون على الشرك

(1) حديث صحيح. أخرجه مسلم (2837)، كتاب الجنة ونعيمها. باب في دوام نعيم أهل الجنة.

والموبقات ، كلا فإن مآلهم إلى نار الجحيم والحميم والدركات .

فقوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ . قال قتادة: (عامدين) . وقال ابن زيد: (المهطع: الذي لا يطرف . وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول: معناه: مسرعين) .

وعن الحسن: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ قال: منطلقين) . والمعنى: فمال هؤلاء الكفار من قومك - يا محمد - مسرعين نافرين منك وهم مشاهدون لما أيدك الله به من الآيات والمعجزات . كما قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ﴾ ﴿١٩﴾ كَانَهُمْ حُمُومٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ﴿٢٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَمَ﴾ [المدثر: 49 - 51] .

وقوله تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ . أي متفرقين ، واحدها عِزَةٌ .

قال ابن عباس: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ قال: قبلك ينظرون ، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ . قال: العزین: العَصَبُ من الناس ، عن يمين وشمال مُعْرِضِينَ يستهزئون به) . وعن الحسن: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ متفرقين ، يأخذون يميناً وشمالاً يقولون: ما قال هذا الرجل ؟) . وقال قتادة: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ أي: فِرْقاً حول النبي ﷺ لا يرغبون في كتاب الله ، ولا في نبیہ ﷺ) .

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة: [أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم حلقٌ ، فقال: «مالي أراكم عِزِينَ؟»] (1) .

وقوله تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ ﴿٣٨﴾ كَلَّا﴾ . قال ابن كثير (أي: أَيْطَمَعُ هؤلاء ، والحالة هذه من فرارهم عن الرسول ونفارهم عن الحق أن يدخلوا جنات النعيم ؟ بل مأواهم نار الجحيم) .

وقوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ . قال قتادة: (إنما خُلِقَتْ من قَدَرٍ يا ابن آدم ، فاتق الله) . قال ابن جرير: (يقول جلّ وعزّ: إنا خلقناهم من مني قدر ، وإنما يستوجب دخول الجنة من يستوجه منهم بالطاعة ، لا بأنه مخلوق ، فكيف يطمعون في دخول الجنة وهم عصاة كفره) .

(1) حديث صحيح . أخرجه مسلم (430/119) ، وأبو داود (4823) ، والنسائي في «التفسير» (642) ، وأخرجه الطبري (34965) . وفيه حث على الاجتماع ، ونهي عن الفرقة .

وفي التنزيل نحو ذلك :

1 - قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ [المرسلات : 20].

2 - وقال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُمْ قُوَّةٌ وَلَا نَاصِرٌ﴾ [الطارق : 5 - 10].

ومن كنوز صحيح السنة حديث رائع في ذكر هذه الآيات موضع التفسير :

فقد أخرج الحاكم في المستدرک ، وأحمد في المسند ، وابن ماجة مختصراً ، بإسناد صحيح - واللفظ للحاكم - عن جبير بن نفير ، عن بسر بن جحاش القرشي قال : [تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا بِكَ مُهَاطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ اليمينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عَزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّنا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ ، ثم بزق رسول الله ﷺ على كفه فقال : يقول الله : يا ابن آدم أتني تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه ، حتى إذا سَوَيْتُكَ وعدلتك مشيت بين بردتين ولأرض منك وئيد - يعني شكوى - فجمعت ومنعت ، حتى إذا بلغت التراقي قلت : أتصدق ، وأني أوان الصدقة ؟! (1) .

وقوله تعالى: ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ ﴿٤١﴾ عَلَّ أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ . قال القرطبي : (﴿فَلَا أَقِيمُ﴾ أي أقسم . و«لا» صلة . ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ هي مشارق الشمس ومغاربها . ﴿إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾ عَلَّ أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ يقول : نقدر على إهلاكهم والذهاب بهم ، والمجيء بخير منهم في الفضل والطوع والمال . ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي لا يفوتنا شيء ولا يعجزنا أمر نريده .

وقوله تعالى: ﴿فَدَرَهُمْ خَوْضًا وُلَعُوا حَتَّى يَلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ . تهديد ووعد .

أي : فاتركهم - يا محمد - يخوضوا في باطلهم ولهوهم وغرورهم ، وانشغل أنت بما أمرت به من البلاغ وإقامة الدين الحق ، فإن لهم يوماً يحاصرهم فيه العذاب ويدفعون ثمن الكبر والاستهتار غالباً .

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ يَرَاءًا كَانَتْهُمْ إِنْ تَنْصِبُ يَوْضُونَ﴾ .

(1) حديث صحيح . أخرجه الحاكم (502/2) ، (323/2) ، وأحمد (210/4) ، وابن سعد (427/7) ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي ، وقال البوصيري في «الزوائد» (ق 1/168) : «إسناده صحيح ، ورجاله ثقات» . وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (1143) : (وهو كما قالوا) .

أي: إنه اليوم الذي يخرجون فيه من قبورهم مسرعين ، وذلك حين يسمعون الصيحة الآخرة إلى إجابة الداعي كأنهم إلى عَلم أو غاية يستبقون .

﴿يَوْمَ﴾ بدل من «يَوْمَهُم» الذي قبله ، والأجداث: القبور ، وهي: جمع جدث .
 ﴿سِرَاعًا﴾: أي مسرعين . وعن ابن عباس: ﴿إِلَى نَصْبٍ﴾ إلى غاية ، وهي التي تنصب إليها بصرك . وهناك قراءة مشهورة بفتح النون ، أي: «نَصْبٍ» . قال الكلبي: (إلى شيء منصوب ، عَلم أو راية) .

والإيفاض الإسراع ، فقلوه: ﴿يُوفُضُونَ﴾ . أي: يُسرعون . قال قتادة: ﴿كَانَتْهُمْ إِلَى نَصْبٍ يُوفُضُونَ﴾ قال: إلى عَلم يسعون) . وقال أبو العالية: (إلى علامات يستبقون) .

وقوله: ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ . قال ابن جرير: (يقول: خاضعة أبصارهم للذي هم فيه من الخزي والهوان ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يقول: تغشاهم ذلة) . والرَهَقُ: الغشيان . قال قتادة: (هو سواد الوجه) .

والمقصود: ذليلة أبصارهم في ذلك اليوم لما يتوقعونه من الخزي والهوان والعذاب .

وقوله: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ . أي: ذلك هو اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا أنهم ملاقوه ، وأنه سيكون يوم شؤم عليهم ، لما ينتظرهم فيه من العذاب والقصاص والنكال .

تم تفسير سورة المعارج

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

مساء يوم الثلاثاء 20 - شوال - 1426 هـ

الموافق 22 - تشرين الثاني - 2005 م

دروس ونتائج وأحكام

- 1- عذاب الله لا شك واقع بالكافرين .
- 2- الملائكة يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج إلى الله الذين باتوا فيكم لیسألهم عن حالكم .
- 3- لظى: اسم من أسماء جهنم ، وأصله من التلظى وهو التلهب .
- 4- ويل لمانع الزكاة: كنزه صفائح نار وتدوسه بقره وإبله وغنمه غداً .
- 5- تدعو النار أهلها بلسان فصيح ، وتلتقطهم كما يلتقط الطير الحب .
- 6- الإنسان هلوع جزوع منوع إلا المصلين المزكين العفيفين .
- 7- ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما: اللهم أعط مُنفقاً خلفاً ، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً .
- 8- احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك ، وغطّ فخذك فإن الفخذ عورة .
- 9- لكل غادر لواء يوم القيامة ، يقال: هذه غدرَةُ فلان .
- 10- الأمناء والقائمون بالقسط والمقيمون الصلاة والحافظون فروجهم أولئك في جنات النعيم ، وأهل الكفر والكبر والعناد في نار الجحيم .



71



وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (28).

موضوع السورة

خبر نوح عليه الصلاة والسلام
وقصة إغراق الله أهل الكفر والإجرام

- منهاج السورة -

- 1 - إرسال الله نبيه نوحاً عليه الصلاة والسلام ، لينذر قومه مغبة الشرك بالله وتعظيم الشهوات والآثام.
- 2 - صَبَّرَ نوح ﷺ على أذى قومه اللثام ، وهو يدعوهم إلى تعظيم الله وعبادته وشكره على جميل الإنعام ، ونتائج ذلك عليهم برغد العيش وحياة الكرام.
- 3 - بثَّ نوح الشكوى إلى الله العظيم ، عما يلقاه من تمرد قومه واتباعهم سبل الشياطين.
- 4 - إغراق الله قوم نوح الكافرين ، ودعاء نوح ربه إهلاك من في الأرض من المجرمين ، والمغفرة له ولوالديه ولجميع المؤمنين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 4. قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ .

في هذه الآيات: إخبار الله تعالى عن إرساله نبيه نوحاً ﷺ إلى قومه لينذرهم بأسه - جلّت عظمته - قبل حلوله ، فإن تداركوا أنفسهم بالتوبة والإنابة وإفراده تعالى بالتعظيم ورسوله بالمتابعة رفع عنهم سخطه وكفر عنهم سيئاتهم ومدّ في أعمارهم بالراحة والهناءة في العيش ، ليوافقوا الأجل المسمى لهم في أم الكتاب .

فقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ . نوح ﷺ هو أول رسول إلى أهل الأرض .

ففي الصحيحين والمسند من حديث أبي هريرة - حديث الشفاعة - مرفوعاً: [فيقول آدم عليه السلام: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي ، نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح . فيأتون نوحاً ﷺ فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسمّاك الله عبداً شكوراً فاشفع لنا إلى ربك . . .] الحديث (1) .

وقوله: ﴿أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾ . أي بأن أنذر قومك ، فموضع ﴿أَنْ﴾ نصب بإسقاط الخافض . ويجوز ﴿أَنْ﴾ بمعنى المفسرة فلا محل لها من الإعراب . - حكاه القرطبي .
وقوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ . قال ابن عباس: (يعني عذاب النار في الآخرة) .

وقال الكلبي: (هو ما نزل عليهم من الطوفان) . وقيل: أي أنذرهم العذاب الأليم على الجملة إن لم يؤمنوا .

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري في صحيحه - حديث رقم - (3340) ، كتاب أحاديث الأنبياء ، وأخرجه مسلم (1/ 127 - 129) . ورواه أحمد .

وقوله تعالى: ﴿قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾. أي مخوف بين النذارة ، ظاهر الأمر واضح ، ومظهره بلسانكم الذي تعرفونه .

وقوله تعالى: ﴿إِنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾. قال قتادة: (أرسل الله المرسلين بأن يُعبد الله وحده ، وأن تتقى محارمه ، وأن يطاع أمره).

وقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾. أي: إن أثبتتم لله تعالى وحده التعظيم ، فأفردتموه بالعبادة وأفردتم رسوله بالمتابعة فيما جاءكم به من الوحي الكريم ، غفر الله لكم ذنوبكم .

وفي ﴿مِنْ﴾ أكثر من تأويل عند المفسرين :

التأويل الأول: ﴿مِنْ﴾ صلة زائدة . والتقدير: يغفر لكم ذنوبكم . قاله السدي .

التأويل الثاني: ﴿مِنْ﴾ للتبويض . والتقدير: يغفر لكم بعض ذنوبكم ، وهو ما لا يتعلق بحقوق المخلوقين . قال ابن كثير: (وقيل: إنها للتبويض ، أي: يغفر لكم الذنوب العظام التي وعدكم على ارتكابكم إياها الانتقام) .

التأويل الثالث: ﴿مِنْ﴾ بمعنى «عن» . والتقدير: يصفح لكم عن ذنوبكم . واختاره ابن جرير . وقال زيد بن أسلم: (المعنى يخرجكم من ذنوبكم) . وقال ابن شجرة: (يغفر لكم من ذنوبكم ما استغفرتموه منها) .

وقوله: ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾. فيه أقوال متكاملة .

1 - قال ابن عباس: (أي ينسى في أعماركم) . ومفهومه: أن الله تعالى كان قد قضى قبل خلقهم أنهم إن آمنوا بارك في أعمارهم ، وإن لو يؤمنوا عوجلوا بالعذاب . - حكاه القرطبي .

2 - قال مقاتل: (يؤخركم إلى منتهى آجالكم في عافية ، فلا يعاقبكم بالقحط وغيره) . ومفهومه: يؤخركم الله بذلك من العقوبات والشدائد إلى آجالكم .

3 - قال الزجاج: (أي يؤخركم عن العذاب فتموتوا غير موة المستأصلين بالعذاب) . وعن الفراء: ﴿(أَجَلٍ مُّسَمًّى)﴾ عندكم تعرفونه ، لا يميتمكم غرقاً ولا حرقاً ولا قتلاً) .

قلت: وزيادة العمر في الطاعة والبر وصلة الرحم زيادة حقيقية ، وهي في علم الله تعالى ومكتوبة في اللوح المحفوظ ، وقد ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة .

الحديث الأول: أخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال: [مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ] ⁽¹⁾.

وفي رواية: [مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ] ⁽²⁾.

قال الألباني رحمه الله: (هذا الحديث نص في أن صلة الرحم سبب للزيادة في الرزق وطول العمر ، ولا ينافية أن الرزق والعمر مقدران ، فإنهما مقدران بأسبابهما. ألا ترى أن دخول الجنة أو النار مقدر أيضاً ، ومع ذلك فدخلولهما مربوط بالسبب من الإيمان أو الكفر. قال: فإذا قلنا طال عمره حقيقة بصلته للرحم فهو كما لو قلنا: دخل الجنة بإيمانه ولا فرق).

الحديث الثاني: أخرج الإمام أحمد بإسناد صحيح عن عائشة ، أن النبي ﷺ قال لها: [إِنَّهُ مَنْ أَعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ ، فَقَدْ أَعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَصَلَةِ الرَّحِمِ ، وَحَسَنِ الْخَلْقِ وَحَسَنِ الْجَوَارِ ، يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ] ⁽³⁾.

الحديث الثالث: أخرج الطبراني بسند حسن عن أنس ، عن النبي ﷺ قال: [صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ ، وَصَدَقَةُ السَّرِّ تَطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ ، وَصَلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ] ⁽⁴⁾.

وقوله: ﴿إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. قال ابن كثير: (أي: بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة ، فإنه إذا أَمَرَ تَعَالَى بِكَوْنِ ذَلِكَ لَا يُرَدُّ وَلَا يُمَانَعُ ، فإنه العظيم الذي فَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ ، العزيز الذي دانت لِعِزَّتِهِ جميع المخلوقات).

5 - 20. قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِيءَآذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (5986) ، كتاب الأدب. وأخرجه مسلم (8/8).

(2) حديث صحيح. أخرجه البخاري (2067) ، كتاب البيوع. باب من أحب السُّنْطَ في الرزق. وانظر مختصر صحيح مسلم (1762) - تحقيق الألباني. وكذلك التعقيب عليه ص (470).

(3) حديث صحيح. أخرجه أحمد (159/6) ورجاله ثقات. وله شاهد رواه الترمذي (362/1).

(4) حديث حسن. انظر تخريج «الترغيب» (31/2) ، وصحيح الجامع الصغير (3691). وسنده حسن.

فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ
وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ
أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ
السَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ
جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ .

في هذه الآيات: إخبارُ الله تعالى عن صبر نبيِّه - نوح ﷺ - على دعوة قومه وأذاهم في تلك المدة الطويلة التي هي ألف سنة إلا خمسين عاماً وهو يدعوهم ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً ، فلم يزدادوا إلا اعتوّاً ونفوراً واستكباراً ، وأنه دعاهم إلى تعظيم الله واستغفاره وشكره الذي ينعكس عليهم رزقاً وخيراً وأنهاراً ، ومع ذلك أصروا على الكفر والمنكر وتناسوا النعم فهم لا يرجون لله وقاراً .

فقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ . قال النسفي: (دائماً بلا فتور) .

والمقصود: واصلت لهم الدعاء ودأبت في ذلك بالليل والنهار حرصاً على نجاتهم .

وقوله تعالى: ﴿ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴾ . قال القرطبي: (أي تباعداً من الإيمان) .

وقال ابن جرير: (يقول: إلا إداراً عنه⁽¹⁾ وهرباً منه وإعراضاً عنه) .

وقوله: ﴿ وَإِنِّي كَلِمًا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغِيَهُمْ فِي أَعَانِهِمْ ﴾ . أي: لثلاث يسمعون

دعائي . قال ابن كثير: (أي سَدُّوا أذانهم لثلاث يسمعون ما أدعوهم إليه . كما أخبر تعالى عن كفار قريش: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت: 26] .

وقوله تعالى: ﴿ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ﴾ . قال ابن عباس: (تنكروا له لثلاث يعرفهم) .

وقال سعيد بن جبیر: (غطوا رؤوسهم لثلاث يسمعون ما يقول) .

وقوله: ﴿ وَأَصْرُوا ﴾ . أي: ركبوا رؤوسهم بالاستمرار على ما هم عليه من الكفر والشر فلم يتوبوا . والإصرار على الذنوب من أكبر الكبائر وفيه الوعيد الشديد .

فقد أخرج البخاري في «الأدب المفرد» ، وأحمد في المسند ، بإسناد صحيح ، عن

(1) أي عن الحق الذي دعاهم إليه .

عبد الله بن عمرو مرفوعاً: [ارْحَمُوا تُرْحَمُوا ، وَاغْفِرُوا يُغْفَرَ لَكُمْ ، وَوَيْلٌ لِّلْقَمَاعِ الْقَوْلِ ، وَوَيْلٌ لِّلْمَصْرِينَ الَّذِينَ يَصْرُونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ] (1).

قال الزمخشري: (من المجاز: «ويل لأقماع القول» وهم الذين يستمعون ولا يعون).

والمقصود: تشبيه الذين يستمعون القول فلا يعونه ولا يعملون به بالأقماع - جمع قَمْع ، وهو الإناء الذي يجعل في رأس الظرف ليملأ بالمائع - لا تعي شيئاً مما يفرغ فيها ، فكأنه يمر عليها مجتازاً كما يمر الشراب في القمع.

وقوله: ﴿وَأَسْتَكَبرُوا اسْتَكْبَارًا﴾. ﴿أَسْتَكَبَارًا﴾ تفخيم. قال ابن جرير: (يقول: وتكبروا فتعاضموا عن الإذعان للحق ، وقبول ما دعوتهم إليه من النصيحة).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا﴾. أي جهرة بين الناس. قال مجاهد: (الجهار الكلام المعلن به).

وقوله: ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾. أي صرخت لهم ورفعت صوتي بإنذارهم.

قال مجاهد: (﴿أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾ يقول: صحت بهم).

وقوله: ﴿وَأَشْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾. قال مجاهد: (فيما بيني وبينهم).

أي: أخفيت دعوتي بيني وبين بعضهم ، وأتيتهم في منازلهم ، فتَوَعَّت في أساليب تلطفي لهم ، لقبول دعوتي حرصاً على نجاتهم.

وقوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كَانَتْ عَفَاةً﴾. أي: فقلت لهم: سلوا الله المغفرة من ذنوبكم السالفة وما اجترحتم من الآثام ، بإخلاصكم إليه التقرب والتوسل بصحيح الإيمان ، إنه سبحانه هو السَّيِّر الغفار صاحب الغفران.

قال الفضيل: (يقول العبد: أستغفر الله. وتفسيرها أَلْفَنِي).

وقوله تعالى: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾. قال البخاري: قال ابن عباس: (﴿مِدْرَارًا﴾: يتبع بعضها بعضاً). أي: إنكم إن أخلصتم التعظيم والعبادة لله العظيم ،

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (380) ، وأحمد (2/165) ، (2/219) ، وأخرجه عبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (1/42). وإسناده صحيح رجاله كلهم ثقات. وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة - حديث رقم - (482).

وأحسنتم الاستغفار والإنابة إليه سقاكم من غيث كثير متتابع إنه هو البرّ الرحيم. وقال النسفي: ﴿مَذَرَارًا﴾ كثيرة الدّور).

يروى ابن جرير بإسناده عن الشعبي قال: (خرج عمر بن الخطاب يستسقي ، فما زاد على الاستغفار ، ثم رجع فقالوا: يا أمير المؤمنين ما رأيك استسقيت ، فقال: لقد طلبت المطر بمجاديع⁽¹⁾ السماء التي يستنزل بها المطر ، ثم قرأ: ﴿أَسْتَغْفِرُكَ رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝﴾ ، وقرأ الآية التي في سورة هود حتى بلغ: ﴿وَزَيْدَ كُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: 52].

وقال الأوزاعي: (خرج الناس يستسقون ، فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: اللهم إنا سمعناك تقول: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [التوبة: 91] وقد أقرنا بالإساءة ، فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا؟! اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا! فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا).

وقوله تعالى: ﴿وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾.

قال قتادة: (علم نبي الله ﷺ أنهم أهل حرص على الدنيا فقال: هلموا إلى طاعة الله ، فإن في طاعة الله درك الدنيا والآخرة).

وقال ابن صبيح: (شكا رجل إلى الحسن الجدوبة فقال له: استغفر الله. وشكا آخر إليه الفقر فقال له: استغفر الله. وقال له آخر: ادع الله أن يرزقني ولداً ، فقال له: استغفر الله. وشكا إليه آخر جفاف بستانه ، فقال له: استغفر الله. فقلنا له في ذلك؟ فقال: ما قلت من عندي شيئاً ، إن الله تعالى يقول في سورة «نوح»: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾).

قال ابن كثير: (أي: إذا تُبْنِم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه كَثُرَ الرزقُ عليكم ، وأسقاكم من بَرَكَاتِ السماء ، وأُنبت لكم من بركات الأرض ، وأُنبت لكم الزرع ، وأدّر لكم الضرع ، وأمدّكم بأموال وبنين ، أي: أعطاكم الأموال والأولاد ، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار ، وخلّلها بالأنهار الجارية بينها).

وقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾. ترهيب بعد ترغيب. وفيه أقوال متقاربة:

(1) المجدح: نجم من النجوم ، وهو عند العرب من الأنواء الدالة على المطر ، فجعل الاستغفار مشبهاً بالأنواء مخاطبة بما يعرفونه لا قولاً بالأنواء. اهـ ابن الأثير.

1 - قال ابن عباس: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ يقول: عظمة). وقال مجاهد: (لا تبالون لله عظمة). أو قال: (لا تبالون عظمة ربكم. قال: والرجاء: الطمع والمخافة).

2 - قال سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس : (ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته).

3 - قال ابن عباس في رواية أخرى: (ما لكم لا تعلمون لله عظمة).

4 - قال قتادة: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ : لا ترجون لله عاقبة).

5 - قال ابن زيد: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ قال: الوقار الطاعة).

والخلاصة: عدل القرآن بهم من دعوتهم بمقام الترغيب إلى دعوتهم بمقام التهيب من الله وبأسه ونقمته وجبروته.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾. أي: وقد خلقكم سبحانه حالاً بعد حال ، طوراً نطفة ، وطوراً علقه ، وطوراً مضغة. قال ابن عباس: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾. يقول: نطفة ، ثم علقه ، ثم مضغة). قال مجاهد: (من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من علقه ، ثم ما ذكر حتى يتم خلقه). وقال قتادة: (طوراً نطفة ، وطوراً علقه ، وطوراً عظماً ، ثم كسا العظام لحماً ، ثم أنشأ خلقاً آخر ، أنبت به الشعر ، فتبارك الله أحسن الخالقين).

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾. هو دليل آخر يقرع الله به آذان وأبصار المشركين: أنَّ الذي قدَّر هذا التركيب العلوي العجيب يجب أن يُعبد. وعن ابن عباس: ﴿طِبَاقًا﴾. بعضها فوق بعض ، كل سماء مطبقة على الأخرى كالقباب). قال القرطبي: (وقوله ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ على جهة الإخبار لا المعاينة. قال: ﴿طِبَاقًا﴾ نصب على أنه مصدر ، أي مطابقة طباقاً. أو حال بمعنى ذات طباق ، فحذف ذات وأقام طباقاً مقامه).

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾. هو كقوله جلت عظمته: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمَاتُ أَكْبَادٌ وَمَا يَشْكُرُ الْإِنْسَانُ﴾. [يونس: 5].

قال ابن كثير: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾. أي: فاوت بينهما في الاستنارة ، فجعل كلاً منهما أنموذجاً على حدة ، ليُعَرَفَ الليل والنهار بمطلع الشمس

وَمَغِيْبِهَا ، وَقَدَّرَ الْقَمَرَ مَنَازِلَ وَبُرُوجًا ، وَفَاوَتْ نَوْرَهُ ، فَتَارَةً يَزْدَادُ حَتَّى يَتَنَاهَى ثُمَّ يَشْرَعُ فِي النِّقْصِ حَتَّى يَسْتَسِرَّ ، لِيَدُلَّ عَلَى مَضِيِّ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ).

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾. قال ابن جريج: (يعني آدم عليه السلام خلقه من أديم الأرض كلها). وقال النسفي: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أنشأكم ، استعير الإنبات للإنشاء ﴿نَبَاتًا﴾ فنبتم نباتاً). وقال ابن جريج: (أنبتهم في الأرض بالكبر بعد الصغر وبالطول بعد القصر).

قلت: وقد ثبت في السنة الصحيحة أن الله تبارك وتعالى قبض قبضة من جميع ترب الأرض فخلق منها آدم ، فجاء نسله متفاوتاً حسب طبيعة تلك الترب ، فأشبهه خلق الإنسان خلق النبات وترعرعه .

فقد أخرج الترمذي بسند صحيح عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: [إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قُبْضَةٍ قَبْضُهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدَرِ الْأَرْضِ ، فَجَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ ، وَالْأَبْيَضُ ، وَالْأَسْوَدُ ، وَبَيْنَ ذَلِكَ ، وَالسَّهْلُ ، وَالْحَزْنُ ، وَالْخَبِيثُ ، وَالطَّيِّبُ] (1).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾. أي: ثم يعيدكم في الأرض عند موتكم فتدفنون فيها ، إلى أن يخرجكم من قبوركم بالنشور للبعث يوم القيامة .

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾. أي مبسوطة تستقرون عليها ، فقد مهّدها لكم لتصلح لانتشاركم في معاشكم ، وقَرَّرها وثَبَّتَها بالجبال الراسيات والشمم الشامخات .

وقوله تعالى: ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾. قال ابن عباس: (يقول: طرقاً مختلفة).

وقال قتادة: (طرقاً وأعلاماً). والفجاج: جمع فجّ: وهو الطريق. والمعنى: يقول نوح لقومه - في معرض تذكيرهم نعم ربه عليهم -: إن الله تعالى قد مهّد لكم هذه الأرض وبسطها لتستقروا عليها ، ولتسلكوا منها طرقاً صعباً متفرقة في أرجائها وأطرافها ونواحيها لالتماس مصالحكم. فجمع لكم بذلك بين تسخير المنشآت العلوية والسفلية ، لتناولوا من الفوائد والمنافع السماوية والأرضية. أفلا يحملكم هذا على إفراذه تعالى بالعبادة والتعظيم ، فتعبدوه ولا تشركوا به شيئاً؟!

(1) حديث صحيح. أخرجه أحمد والترمذي من حديث أبي موسى. انظر صحيح سنن الترمذي - حديث رقم - (2355) ، أبواب تفسير القرآن. والسلسلة الصحيحة (1630).

21 - 24. قوله تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا نَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾﴾.

في هذه الآيات: بثُّ نوح - عليه السلام - الشكوى إلى الله العظيم ، عما يلقاه من عصيان قومه واتباعهم الهوى وتعظيم الأصنام وما يملئ لهم الشيطان الرجيم ، وأهل الدنيا والشهوات وَمَنْ مُتَّعَ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ .

فقوله تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمْ عَصَوْنِي﴾ . قال القرطبي: (شكاهم إلى الله تعالى ، وأنهم عصوه ولم يتبعوه فيما أمرهم به من الإيمان).

وقوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ . أي واتبعوا ساداتهم وأغنياءهم وكبراءهم من أبناء الدنيا والشهوات ممن لم يزدهم كفرهم وأموالهم وأولادهم إلا ضلالاً في الدنيا وهلاكاً في الآخرة .

وقوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا كَبِيرًا﴾ . قال مجاهد: (عظيماً) . وقال ابن زيد: (كثيراً) .

قال المبرد: ﴿كَبِيرًا﴾ بالتشديد للمبالغة⁽¹⁾ .

والمقصود: مكروا مكرًا كبيراً عظيماً ، في إصرارهم على الكفر والكبر ، وتحريشهم السفلة على قتل نوح ومحاصرة دعوته .

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ .

أي: وقال الرؤساء لسفلتهم حافظوا على آلِهَتكم ولا تتركوا هذه الأنصاب وعظموها .

قال البخاري: حدثنا إبراهيم بن موسى: أخبرنا هشامٌ عن ابنِ جُرَيْجٍ . وقال عطاءٌ عن ابن عباس رضي الله عنهما: [صارَت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ ، أَمَّا وَدٌّ: فكانت لِكَلْبٍ بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ ، وأما سُوَاعٌ: فكانت لِهُذَيْلٍ ، وأما يَغُوثٌ:

(1) وفي لغة العرب: أمر عَجِيبٌ وَعُجَابٌ وَعُجَابٌ ، ورجل طَوِيلٌ وطُوالٌ وطُوالٌ ، وشاب حسن وحُسْنانٌ ، وجميلٌ وجَمالٌ ، ونحو ذلك بالتخفيف والتشديد ، بمعنى واحد .

فكانت لِمُرَادٍ ثُمَّ لِبَنِي غُطَيْفٍ ، بِالْجُزْفِ عِنْدَ سَيِّئٍ ، وَأَمَّا يَعْقُوبُ: فكانت لِهَمْدَانَ ، وَأَمَّا نَسْرُ: فكانت لِحَمِيرٍ ، لَالِ ذِي الْكَلَاعِ ، أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ أَنْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَاباً وَسَمَّوْهَا بِأَسْمَائِهِمْ ، فَفَعَلُوا ، فَلَمْ تُعْبَدْ ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أَوْلَايْكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ⁽¹⁾ .

وقال ابن جرير: حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، حَدَّثَنَا مِهْرَانُ ، عَنْ سَفْيَانَ ، عَنْ مُوسَى ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسٍ ﴿وَيَعْقُوبَ وَنَسْرًا﴾ قَالَ: (كَانُوا قَوْمًا صَالِحِينَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ . وَكَانَ لَهُمْ أَتْبَاعٌ يَقْتَدُونَ بِهِمْ ، فَلَمَّا مَاتُوا قَالَ أَصْحَابُهُمُ الَّذِينَ كَانُوا يَقْتَدُونَ بِهِمْ: لَوْ صَوَّرْنَاهُمْ كَانُوا أَشْوَاقَ لَنَا إِلَى الْعِبَادَةِ إِذَا ذَكَرْنَاهُمْ . فَصَوَّرُوهُمْ ، فَلَمَّا مَاتُوا وَجَاءَ آخَرُونَ دَبَّ إِلَيْهِمْ إِبْلِيسُ فَقَالَ: إِنَّمَا كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ وَبِهِمْ يُسْقَوْنَ الْمَطَرُ . فَعَبَدُوهُمْ) .

والخلاصة: هذه كانت أكبر أصنامهم التي صَوَّرُوها وَأَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَيْهِمْ فَنَصَبُوا لَهَا أَنْصَاباً وَعَبَدُوهَا . فَوَدَّ صَنَمٌ عَلَى صُورَةِ رَجُلٍ ، وَسَوَاعٌ عَلَى صُورَةِ امْرَأَةٍ ، وَيَغُوثٌ عَلَى صُورَةِ أَسَدٍ ، وَيَعْقُوبُ عَلَى صُورَةِ فَرَسٍ ، وَنَسْرٌ عَلَى صُورَةِ نَسْرٍ . وَقَدْ انْتَقَلَتْ هَذِهِ الْأَصْنَامُ عَنْ قَوْمِ نُوحٍ إِلَى الْعَرَبِ ، فَكَانَ وَدٌّ لِكَلْبٍ ، وَسَوَاعٌ لِهَمْدَانَ ، وَيَغُوثٌ لِمَذْحِجٍ ، وَيَعْقُوبُ لِمُرَادٍ ، وَنَسْرٌ لِحَمِيرٍ .

وقوله: ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ . أَي: وَقَدْ ضَلَّ بِعِبَادَةِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، فَاسْتَمَرَّتْ عِبَادَتُهَا فِي الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ إِلَى الْأَزْمَنَةِ الَّتِي بَعْدَهَا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا .

قال ابن جرير: (فَنَسِبَ الضَّلَالِ إِذْ ضَلَّ بِهَا عَابِدُوهَا إِلَى أَنَّهَا الْمُضِلَّةُ) .

وقد قال الخليل عليه السلام في دعائه: ﴿وَأَجْبِنِي وَيَقْنِ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۖ رَبِّ إِنِّي نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَالَّةً﴾ . قال ابن كثير: (دَعَاءٌ مِنْهُ عَلَى قَوْمِهِ لِمُتَرَدِّهِمْ وَكُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ ، كَمَا دَعَا مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِئِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيْنَا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْدِّدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: 88] . وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ لِكُلِّ مِنَ النَّبِيِّينَ فِي قَوْمِهِ ، وَأَغْرَقَ أُمَّتَهُ بِتَكْذِيبِهِمْ لَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ) .

وقوله: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَالَّةً﴾ . قال ابن كثير: (دَعَاءٌ مِنْهُ عَلَى قَوْمِهِ لِمُتَرَدِّهِمْ وَكُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ ، كَمَا دَعَا مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - عَلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِئِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيْنَا أَمْوَالَهُمْ وَأَشْدِّدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [يونس: 88] . وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ لِكُلِّ مِنَ النَّبِيِّينَ فِي قَوْمِهِ ، وَأَغْرَقَ أُمَّتَهُ بِتَكْذِيبِهِمْ لَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ) .

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري في الصحيح (4920) ، كتاب التفسير . سورة نوح ، آية (23) .

25 - 28. قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ۖ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ۝٢٧ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَارًا ۝٢٨﴾ .

في هذه الآيات: إغراقُ الله قوم نوح الكافرين بالطوفان ، ليدخلوا بعد ذلك عذاب نار القبر ضريبة الآثام . ودعاء نوح ربه إهلاك مَنْ في الأرض مِنَ الكافرين ، والمغفرة له ولوالديه ولجميع المؤمنين .

فقوله: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَارًا﴾ . أي: فمن إصرارهم على الكفر ومخالفة رسولهم أغرقوا بالطوفان ثم أدخلوا في النيران . قال سفيان: (﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾ قال: بخطيئاتهم أغرقوا) . وقال الفراء: (المعنى: من أجل خطاياهم) . وقال القرطبي: (﴿مَا﴾ صلة مؤكدة ، والمعنى من خطاياهم . ﴿فَأَذْخَلُوا نَارًا﴾ أي بعد إغراقهم) .

قال القشيري: (وهذا يدل على عذاب القبر) . وقال ابن كثير: (﴿أُغْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَارًا﴾ ، أي: نُفِلُوا من تيار البحار إلى حرارة النار) . قلت: والقول بأنه عذاب القبر قبل عذاب جهنم قول شديد .

وفي التنزيل نحو ذلك:

1 - قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: 46] .

2 - وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ مَنْ يُسُوِّمُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: 167] .

وفي سنن أبي داود ومستدرک الحاكم بسند صحيح من حديث البراء: [فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري ، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري ، فينادي مناد من السماء: أن كذب ، فافرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرّها وسمومها ويضيق عليه قبره ، حتى تختلف أضلاعه ..] الحديث⁽¹⁾ .

(1) حديث صحيح . وهو جزء من حديث طويل . أخرجه أبو داود (281/2) ، والحاكم (37/1 - 40) . =

وقوله: ﴿ فَلَمْ يَحْذَرُوا لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴾ . قال ابن جرير: (تقتص لهم ممن فعل ذلك بهم ، ولا تحول بينهم وبين ما فعل بهم).

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ . هو دعاء نوح ﷺ على قومه حين يؤس من اتباعهم إياه . قال قتادة: (دعا عليهم بعد أن أوحى الله إليه) . وقال السدي: ﴿ دَيَّارًا ﴾ : أي من يسكن الديار) . وقال الضحاك: (واحدًا) .

وأصل ﴿ دَيَّارًا ﴾ الذي يدور في الأرض فيذهب ويجيء ، وهو فيعال من الدوران ديواراً ، فاجتمعت الياء والواو فأدغمت الواو فيها وصيرتا ياء مشددة ، كما قيل: الحَيّ القيام من قمت ، وإنما هو قيوام . ذكره ابن جرير ثم قال: (والعرب تقول ما بها ديار ولا عريب ، ولا دوي ، ولا صافر ، ولا نافخ ضرمة ، يعني بذلك كله: ما بها أحد) . وقال القُتَيْبِيُّ: (أصله من الدار ، أي نازل بالدار . يقال: ما بالدار ديار ، أي أحد) .

وفي صحيح مسلم - كان من دعاء النبي ﷺ على الأحزاب يوم الخندق -: [اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم] ⁽¹⁾ .

وقوله: ﴿ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ ﴾ . أي: إن تركتهم ولم تهلكهم يضلوا عبادك الذين قد آمنوا بك ، وَمَنْ سِجِيءٌ بعدهم .

وقوله: ﴿ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا ﴾ . أي: ولا يكون في عقبهم ونسلهم ﴿ إِلَّا فِاجِرًا ﴾ في دينك ﴿ كَفَّارًا ﴾ لنعمتك . قال النسفي: ﴿ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِاجِرًا كَفَّارًا ﴾ إلا من إذا بلغ فجر وكفر ، وإنما قال ذلك لأن الله تعالى أخبره بقوله: لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن).

وقوله: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ ﴾ . قال القرطبي: (دعا لنفسه ولوالديه وكانا مؤمنين .

وهما: لملك بن مُثَوِّلِخ ، وشمخى بنت أنوش ، ذكره القشيري والثعلبي) .

وقيل: ﴿ وَلِوَلَدَيَّ ﴾ : آدم وحواء) . والأول أقرب ، والله أعلم .

وقوله: ﴿ وَلَمَن دَخَلَ بَيْتُكَ مُؤْمِنًا ﴾ . قال الضحاك: (يعني مسجدي) . وظاهر الآية يشمل كل من دخل منزله وهو مؤمن ، فهو داخل في دعوته .

وفي سنن أبي داود والترمذي بسند حسن عن أبي سعيد: أنه سمع رسول الله ﷺ

= والطيب السلي (753) ، وأحمد (287/4 - 288) ، وروى النسائي (282/1) نحوه .

(1) حديث صحيح . أخرجه مسلم (3/1363) . وانظر كتابي: السيرة النبوية (2/919) لتفصيل ذلك .

يقول: [لَا تَصْحَبْ إِلَّا مُؤْمِنًا ، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا] ⁽¹⁾.

وقوله: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ . دعوة تشمل كل مؤمن ومؤمنة.

قال الضحاك: (عامّة إلى يوم القيامة). وقال ابن كثير: (دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات ، وذلك يَعْمُ الأحياء منهم والأموات ، ولهذا يُسْتَحَبُّ مثلُ هذا في الدعاء ، اقتداء بنوح عليه السلام ، وبما جاء في الآثار والأدعية المشروعة).

قلت: ومن ذلك ما أخرج الطبراني بسند حسن عن عبادة ، عن النبي ﷺ قال: [من استغفر للمؤمنين وللمؤمنات ، كتب الله له بكلِّ مؤمن ومؤمنة حسنة] ⁽²⁾.

وقوله: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا بُرْءًا﴾ . قال مجاهد: (إلا خساراً). وقال السُّدِّي: (إلا هلاكاً). والتبار: الهلاك والدمار.

والمقصود: دعا نوح عليه الصلاة والسلام على الكافرين أن لا يزدادوا في إصرارهم على كفرهم إلا دماراً وهلاكاً وخساراً في الدنيا والآخرة ، وهي دعوة تشمل كل كافر ومشرِك إلى يوم القيامة.

تم تفسير سورة نوح

بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ ، وَوَاسِعَ مِنْهُ وَكْرَمِهِ

صَبِيحَةَ يَوْمِ الْجُمُعَةِ 23 - شَوَّال - 1426 هـ

الموافق 25 - تشرين الثاني - 2005 م



(1) حديث حسن. أخرجه أبو داود في السنن (4832) ، والترمذي (2395) ، ورواه أحمد (38/3).

(2) حديث حسن. أخرجه الطبراني بسند حسن من حديث عبادة مرفوعاً. انظر: «مجمع الزوائد» (210/10) وقال: «وإسناده جيد». وصحيح الجامع الصغير (5902).

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - أمر الله نوحاً ﷺ أن ينذر قومه بأس الله قبل حلوله .
- 2 - لم تزد دعوة نوح ﷺ لقومه إلا فراراً من رسالته .
- 3 - مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبَسِّطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُسَأَّلَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ .
- 4 - صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات والهلكات ، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة .
- 5 - نَوْعُ نُوحٍ ﷺ لقومه أسباب الترغيب والترهيب بلا فائدة .
- 6 - أصنام قوم نوح هي تماثيل لرجال صالحين سابقين .
- 7 - عذاب القبر حق ، والكافر يفرش له في قبره من النار .
- 8 - لا تصحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقي .
- 9 - دعاء نوح ﷺ باستئصال الكافرين والمغفرة للمؤمنين خلّده القرآن الكريم .
- 10 - من استغفر للمؤمنين والمؤمنات ، كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة .



72



وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (28).

قال المهايمي: (سميت بها لاشتغالها على تفاصيل أقوالهم في تحسين الإيمان ، وتقبيح الكفر ، مع كون أقوالهم أشد تأثيراً في قلوب العامة ، لتعظيمهم إياهم).

أسباب النزول: أخرج البخاري ومسلم والترمذي عن ابن عباس قال: [انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين. فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث؟! فانطلقوا فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء. قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن سمعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنّا به ولن نشرك بربنا أحداً. وأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ (1).

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (في الصحيح 773) ، ومسلم (149/449) ، والترمذي في السنن (3323) ، ورواه أحمد في المسند (252/1) ، والبيهقي في «الدلائل» (226/2).

موضوع السورة
استماع الجن للقرآن الكريم
وافتراق أقوامهم إلى صالحين وفاسقين

- منهاج السورة -

- 1 - إخبار الله تعالى عن استماع نفر من الجن هذا القرآن ، وإعلان إيمانهم به وتكذيب زعيمهم الشيطان ، وأتباعه من شياطين الإنس والجان .
- 2 - اعتراف الجن بالشهب الحارقة تمنعهم خبر السماء ، وأن أهل الأرض يذوقون بسبب ذنوبهم الشقاء .
- 3 - انقسام الجن إلى فريقين : مؤمنين وفاسقين . فأهل الإيمان آمنون في جنات النعيم ، وأهل الفسق خالدون مع إبليس في نار الجحيم .
- 4 - إثبات المساجد لله فلا يعبد فيها إلا الله العظيم ، وما على الرسول إلا البلاغ المبين ، ومن أصر على الشرك والمعصية صار يوم القيامة إلى الجحيم .
- 5 - إثبات علم الغيب وأمر الوعد والوعيد لله العلي العظيم ، فهو سبحانه قد أرسل الرسل وعَلِمَ أعمالهم وأحصى كل شيء في كتاب مبين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 7. قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾ .

في هذه الآيات: إخبار الله تعالى عن استماع نفر من الجن هذا القرآن ، وإعلان إيمانهم به وكذب زعيمهم الشيطان ، وكذلك أتباعه من شياطين الإنس والجان .

فقوله: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ . أي: قل يا محمد مخبراً قومك: أوحى الله إلي أن نفراً من الجن استمعوا هذا القرآن . والنفر جماعة من الثلاثة إلى العشرة . وقوله: ﴿مِّنَ الْجِنِّ﴾ أي: جن نصيبين .

وقوله: ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ . قال النسفي: ﴿فَقَالُوا﴾ لقومهم حين رجعوا إليهم من استماع قراءة النبي ﷺ في صلاة الفجر ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ عجباً بديعاً مبيناً لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة معانيه ، والعجب ما يكون خارجاً عن العادة ، وهو مصدر وضع موضع العجيب) .

وقوله: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾: أي إلى السداد والنجاة والفلاح . وهو منهج التوحيد والحق والإيمان .

وقوله: ﴿فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ . أي: فصدقناه ولم نشرك بربنا أحداً من خلقه .

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا﴾ . الجدّ في لغة العرب: العظمة والجلال . أي: تعالت عظمته وتقدس أمره وفضله جل جلاله . قال ابن عباس: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي: فعله وأمره

وقدرته). وقال أيضاً: (جَدُّ الله: آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه). وقال مجاهد: ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾: جلال ربنا). وقال قتادة: (تعالى جلَّاله وعظمته وأمره). وقال السُّدِّي: (تعالى أمر ربنا). وقال سعيد بن جبیر: (تعالى ربُّنا).

وفي الصحيحين من حديث المغيرة مرفوعاً: [ولا ينفع ذا الجد منك الجد]⁽¹⁾. قال أبو عبيدة والخليل: (أي ذا الغنى، منك الغنى، إنما تنفعه الطاعة).

وقوله: ﴿مَا أَخَذَ صَحْبَةً وَلَا وَلَدًا﴾. هو تنزيه من مؤمني الجن - حين أسلموا وآمنوا بالقرآن - لله تعالى أمره وجلت قدرته، عن اتخاذ الصاحبة والولد.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ كَأَنْتُمْ يَقُولُ سَفِينًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾. أي: وأنه كان يقول إبليس على الله جوراً وظلماً، وباطلاً وزوراً. قال مجاهد: ﴿سَفِينًا﴾ يعنون إبليس). وقال السُّدِّي، عن أبي مالك: ﴿شَطَطًا﴾، أي: جوراً. وقال ابن زيد: (ظُلماً كبيراً). قال ابن كثير: (ويحتمل أن يكون المراد بقولهم: ﴿سَفِينًا﴾: اسم جنس لكل من زعم أن الله صاحبة أو ولداً. ولهذا قالوا: ﴿وَأَنْتُمْ كَأَنْتُمْ يَقُولُ سَفِينًا﴾، أي: قبل إسلامه ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾، أي: باطلاً وزوراً).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾.

قال القرطبي: ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا﴾ أي حسبنا ﴿أَنْ لَنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فلذلك صدقناهم في أن الله صاحبة وولداً، حتى سمعنا القرآن وتبيننا به الحق).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ كَأَنْتُمْ يَقُولُ سَفِينًا﴾. أي: ترهب من التعامل مع الجن، كالاستعاذة بهم أو استخدامهم في السحر والإضلال.

قال السُّدِّي: (كان الرجل يخرج بأهله فيأتي الأرض فينزلها فيقول: أعوذُ بسيّد هذا الوادي من الجن أن أضُرَّ أنا فيه أو مالي أو ولدي أو ماشيتي، قال: فإذا عاذ بهم من دون الله رهقهم الجن الأذى عند ذلك).

وقال عكرمة: (كان الجن يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد، فكان الإنس إذا نزلوا وادياً هرب الجن، فيقول سيّد القوم: نعوذُ بسيّد أهل هذا الوادي. فقال الجن: نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم. فدنوا من الإنس فأصابوهم بالخبيل).

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (6330)، ومسلم (593) من حديث المغيرة في أثناء حديث.

والجُنُونِ ، فذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَأَنْتُمْ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْإِنِّ فَرَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ . رواه ابن أبي حاتم .

وقال قتادة : ﴿ فَرَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ ، أي إثمًا ، وازدادت الجنُّ عليهم جَرَاءَةً .

وقال أبو العالية : ﴿ رَهَقًا ﴾ ، أي : خوفًا . وقال مجاهد : (زاد الكفار طغيانًا) .

والمقصود : لما رأت الجن التماس بعض الإنس الفرج منهم تسلطوا عليهم بمزيد من الخوف والإرهاب والذعر والطغيان ، حتى أوقعوهم في الشرك الأكبر والموبقات والظلم والآثام .

وفي التنزيل نحو ذلك : قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرُ الْإِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوٍ لَّكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام : 128 - 129] .

قال ابن عباس : ﴿ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ الْإِنْسِ ﴾ يعني أضللتهم منهم كثيرا . وقال مجاهد : (كثر من أغويتم) . فحكى الله إجابتهم بقوله : ﴿ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾ . والتقدير في العربية : استمتع بعضنا بعضاً .

قال ابن جريج : (كان الرجل في الجاهلية ينزل الأرض فيقول : أعوذ بكبير هذا الوادي ، فذلك استمتاعهم ، فاعتذروا يوم القيامة) .

وقال القرطبي : (فاستمتع الجن من الإنس أن تلذذوا بطاعة الإنس إياهم ، وتلذذ الإنس بقبولهم من الجن حتى زناوا وشربوا الخمر بإغواء الجن إياهم) .

وقيل : وأما استمتاع الجن بالإنس فيما كانوا يلقون إليهم من الأراجيف والكهانة والسحر . وقيل : استمتع الجن بالإنس أنهم يعترفون أن الجن يقدر أن يدفعوا عنهم ما يحذرون .

وعن ابن زيد : ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا ﴾ : ظالمي الجن وظالمي الإنس ، وقرأ : ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف : 36] ، قال : نسلط ظلمة الجن على ظلمة الإنس .

قلت : فهذا التسليط من الله تعالى لظلمة الجن على ظلمة الإنس داخل في مفهوم قوله جلَّتْ عَظَمَتُهُ : ﴿ وَأَنْتُمْ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْإِنِّ فَرَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾.

إخبار من الله سبحانه عن قيل هؤلاء النفر من الجن: عن ظنهم أن لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولا يدعوهم إلى التوحيد ويصحح له المسار ، كما ظن بعض رجال الإنس. قال الكلبي: (ظن كفار الجن كما ظن كفرة الإنس أن لن يبعث الله رسولا). واختاره ابن جرير.

ويجوز أن يكون المعنى أن الجن ظنوا كما ظننتم يا أهل مكة أنه لا بعث بعد الموت. قال النسفي: (أي إن الجن كانوا ينكرون البعث كإنكاركم ، ثم بسماع القرآن اهتدوا وأقروا بالبعث فهلا أقررتهم كما أقروا).

8 - 10. قوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِثَتْ حَرَسًا شَدِيدًا

وَشُهَبًا ۖ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدُ اللَّسَمِ ۖ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَحْدِثْ لَكُمْ شُهَابًا رَّصَدًا ۖ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۖ﴾.

في هذه الآيات: اعتراف الجن بالشهب الحارقة التي أصبحت تمنعهم خبر السماء ، وحسن أدبهم في نسب إرادة الرشد لربهم وأنه يذوق أهل الأرض بسبب ذنوبهم الشقاء. فقلوه: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾. قال النسفي: (طلبنا بلوغ السماء واستماع أهلها. واللمس: المس ، فاستعير للطلب لأن الماس طالب متعرف).

وقوله: ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِثَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾. قال ابن جرير: (يعني حفظة).

والمقصود: فوجدنا جمعا أقوىاء من الملائكة يحرسون ويمنعون الجن من الاقتراب.

وقوله: ﴿وَشُهَبًا﴾. جمع شهاب ، وهي النجوم التي كانت تُرجم بها الشياطين.

والمقصود: أن الشياطين كانت تسترق السمع من السماء مما تتكلم به الملائكة مما قضى الله به في الأرض ، فيلقونه إلى الكهنة والسحرة ليضلوا الناس عن الدين الحق ، فلما بُعث النبي ﷺ حفظ الله السماء بالحرس الشديد والشهب الحارقة ، فطردت الشياطين عن مقاعدها ، وهذا من لطف الله بخلقه ، وحفظه لكتابه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدُ اللَّسَمِ ۖ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَحْدِثْ لَكُمْ شُهَابًا رَّصَدًا ۖ﴾.

قال قتادة: (كانت الجن تسمع سمع السماء ، فلما بعث الله نبيّه ، حُرست السماء ، وُمنعوا ذلك ، فتفقدت الجنّ ذلك من أنفسها).

والرَّصَد: الحافظ للشيء والجمع أرصاد ، وقيل: الرصد هو الشهاب ، أي شهاباً قد أرصد له ليرجم به .

أخرج البخاري في صحيحه عن عكرمة قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: [إن نبيّ الله ﷺ قال: إذا قضى الله تعالى الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاعاً لقوله كأنه سلسلة على صفوان⁽¹⁾ ، فإذا فُزَّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير ، فيسمعها مسترق السمع ، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ، فيسمع الكلمة فيلقها إلى من تحته ، ثم يلقها الآخر إلى من تحته حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مئة كذبة ، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا ، كذا وكذا ، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء]⁽²⁾.

وأخرج الترمذي بسند صحيح عن ابن عباس قال: [كان الجن يصعدون إلى السماء يستمعون الوحي فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعاً. فأما الكلمة فتكون حقاً ، وأما ما زادوه فيكون باطلاً. فلما بعث رسول الله ﷺ منعوا مقاعدهم ، فذكروا ذلك لإبليس ، ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك ، فقال لهم إبليس: ما هذا إلا من أمر قد حدث في الأرض ، فبعث جنوده فوجدوا رسول الله ﷺ قائماً يصلي بين جبلين - أراه قال بمكة - فلقوه فأخبروه هذا الحدث الذي حدث في الأرض]⁽³⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ يَمَنُ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾.

قال ابن كثير: (أي لا ندري أشر أريد بأهل الأرض أم رشد ، وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل ، والخير أضافوه إلى الله عز وجل). وقال ابن القيم: (قول مؤمني الجن: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ يَمَنُ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ فأتوا بالفعل المبني للمجهول تأدباً ولم يقولوا أَرَادَهُ رَبُّهُمْ. وكذلك قول الخضر في السفينة: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: 79] ولم يقل فأراد ربك أن أعيبها بينما قال في الغلام:

(1) أي تجر على حجر أملس.

(2) حديث صحيح. أخرجه البخاري في الصحيح (4710) ، كتاب التفسير ، وقد مضى بتمامه.

(3) حديث صحيح. انظر صحيح سنن الترمذي - حديث رقم - (2648) ، كتاب التفسير ، سورة الجن.

﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ﴾ [الكهف: 82].

وقال في موضع آخر: (ومن ذلك الأدب الرفيع قول إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ﴾ عطفاً على قوله: ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ [الشعراء: 78 - 79]. فنسب كل الخير لله سبحانه ، وتأدب مع الله فقال: ﴿ وَإِذَا مَرَضْتُ ﴾ ولم يقل وإذا أمرضني ، مع أن الخلق كله لله ، ولكن ما أصابه من مرض ينسبه إلى سبب من الذنب أو التقصير في حق الله تبارك وتعالى. ومثله قول موسى عليه السلام لما تمتع بالقوة وأذهش من حوله أمام البئر قال متأدباً متواضعاً لله: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: 24]. ومثله قول أيوب: ﴿ أَنِّي مَسْنِيَ الضَّرَّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ [الأنبياء: 83]. فهو غاية في الأدب مع الله نسب الضر وإصابته له لتقصير منه فمسه ، ولم يقل فعافني واشفني بل قال متواضعاً مخبتاً مستسلماً لله: ﴿ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾. وكذلك قال آدم من قبل: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: 23] ولم يحتج بالقضاء والقدر⁽¹⁾.

قلت: وهذا الأدب الرفيع قد ورد في السنة الصحيحة في أحاديث ، منها:

الحديث الأول: روى مسلم في صحيحه من حديث علي بن أبي طالب - في استفتاح النبي ﷺ في صلاة الليل -: [أنت ربي وأنا عبدك ، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، واهدني لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيئها ، لا يصرف عني سيئها إلا أنت ، لبيك وسعديك ، والخير كله في يديك ، والشر ليس إليك ، أنا بك وإليك] الحديث⁽²⁾.

فقوله: «والشر ليس إليك» يمثل تأدباً رفيعاً مع الله سبحانه ، فهو ينسب الذنب والتقصير والمصائب لنفسه مع أن الكل من خلق الله وتقديره .

الحديث الثاني: أخرج البخاري في صحيحه عن شداد بن أوس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: [سَيِّدُ الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . من قالها من النهار موقناً بها ، فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل

(1) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين . وانظر كتابي: «أصل الدين والإيمان» (307/1 - 308).

(2) حديث صحيح . رواه مسلم (771) ، كتاب صلاة المسافرين . وهو جزء من حديث أطول .

وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة⁽¹⁾.

فهذا الحديث هو سيد الاستغفار ، فقد جمع من أبلغ الأدب وأرفع الخصال ، فلفظة «أبوء» تعني أقرُّ وأعترف فيها من الأدب الكثير ، فرتب الله على صاحبها الجزاء الكبير .

11 - 17. قوله تعالى: ﴿وَأَنَا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَادُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَارِيقَ قَدَدًا ۝۱۱ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نَّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ۝۱۲ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدْيَ ءَامَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ۖ فَلَا يَخَافُ بَحْسَ وَلَا رَهَقًا ۝۱۳ وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْفَاسِطُونَ ۖ فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۝۱۴ وَأَمَّا الْفَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝۱۵ وَالْوَلَوِ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ۝۱۶ لِنَفْنِئَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝۱۷﴾ .

في هذه الآيات: انقسام الجن إلى فريقين: مؤمنين وفاسقين ، فأهل الإيمان آمنون في جنات النعيم ، ومن فسق عن أمر الله كان مع إبليس في نار الجحيم .

فقوله تعالى: ﴿وَأَنَا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَادُونَ ذَلِكَ﴾ . أي: منا المسلمون العاملون بطاعة الله ، ومنا غير ذلك . قال ابن عباس: (منا المسلم ، ومنا المشرک).

وقوله: ﴿كُنَّا طَارِيقَ قَدَدًا﴾ . قال عكرمة: (يقول: أهواء مختلفة) . وقال قتادة: (كان القوم على أهواء شتى) . وقال مجاهد: ﴿كُنَّا طَارِيقَ قَدَدًا﴾ قال: مسلمين وكافرين) . وقال ابن زيد: (صالح وكافر) .

والطرائق: جمع طريقة ، والمقصود طريقة الرجل ومذهبه . والقِدَد: جمع قِدَّة ، وهي الضروب والأجناس المختلفة . قال الرازي: (و«القِدَّة» - بالكسر - الطريقة والفرقة من الناس ، إذا كان هوى كُلِّ واحدٍ على حِدَةٍ ، يقال: ﴿كُنَّا طَارِيقَ قَدَدًا﴾) . قال ابن جرير: ﴿كُنَّا طَارِيقَ قَدَدًا﴾ يقول: وأنا كنا أهواء مختلفة ، وفِرَقًا شتى ، منا المؤمن والكافر) .

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري في الصحيح (6306) ، كتاب الدعوات . باب أفضل الاستغفار .

وقوله: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾. أي: وأنا علمنا أننا لن نعجز الله في الأرض إن أراد بنا سوءاً. قال النسفي: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا﴾ أيقنا ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ﴾ لن نفوته ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ حال ، أي لن نعجزه كائنين في الأرض أينما كنا فيها).

وقوله: ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾. قال القرطبي: (أي علمنا بالاستدلال والتفكر في آيات الله: أنا في قبضته وسلطانه ، لن نفوته بهرب ولا غيره. و﴿هَرَبًا﴾ مصدر في موضع الحال أي هاربين).

وقوله: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ﴾. فَهُمْ يَفْتَخِرُونَ بذلك ، وهو مَفْخَرٌ لهم بحق ، وشرف رفيع. أي: وأنا لما سمعنا القرآن آمنا به وبالله ، وصدقنا محمداً ﷺ على رسالته. قال الحسن: (بعث الله محمداً ﷺ إلى الإنس والجن ، ولم يبعث الله تعالى قط رسولاً من الجن ، ولا من أهل البادية ، ولا من النساء ، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ [يوسف: 109]).

وفي صحيح مسلم من حديث جابر مرفوعاً: [بعثت إلى الأحمر والأسود]. قال مجاهد: (يعني الإنس والجن). فهو صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى جميع الثقلين: الإنس والجن ، مُبْلَغاً لهم عن الله تعالى ما أوحاه إليه من هذا الكتاب العزيز.

وقوله: ﴿فَمَن يُّؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾. البخس: النقصان. والرهق: العدوان. قال ابن عباس: (فلا يخاف أن يُنْقَصَ من حسناته أو يحمل عليه غيرُ سيئاته ، كما قال تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: 112]).

وقوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَلَيْسُوتُونَ﴾. القاسط: الجائر ، لأنه عادل عن الحق ، والمُقْسِطُ: العادل ، لأنه عادل إلى الحق. والعرب تقول: قَسَطَ فلان: أي جار ، وأقسط: إذا عدل. والمعنى: وأنا منا المسلمون الذين خضعوا لله بالطاعة ﴿وَمِنَّا الْقَلَيْسُوتُونَ﴾ الجائرون عن الإسلام وقصد السبيل. قال ابن عباس: ﴿وَمِنَّا الْقَلَيْسُوتُونَ﴾: العادلون عن الحق. وقال مجاهد: (الظالمون). وقال قتادة: (الجائرون).

وقوله: ﴿فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾. أي: فمن استقام على الحق وخضع لله بالطاعة فأولئك ترجوا رشداً في دينهم والتمسوا سبيل النجاة والفلاح.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَلَيْسُوتُونَ فَكَأَنَّهُمْ لِيَجْهَنَّمَ حَطَبًا﴾. أي: وأما الجائرون عن الإسلام الملتمسون غير سبيل المؤمنين ﴿فَكَأَنَّهُمْ لِيَجْهَنَّمَ حَطَبًا﴾ أي وقوداً توقد بهم.

وقوله تعالى: ﴿وَالْوِاسْطَقُمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾.

قال ابن عباس: (يعني بالاستقامة: الطاعة. فأما الغدق فالماء الطاهر الكثير).

وقال مجاهد: ﴿وَالْوِاسْطَقُمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ طريقة الإسلام ﴿لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ قال: نافعاً كثيراً، لأعطيناهم مائلاً كثيراً. والعرب تقول: غِدَقْتُ العينُ تغدق، فهي غِدْقَةٌ، إذا كثر ماؤها. والمقصود بالآية أن الاستقامة على الدين الحق سبب في سعة الرزق وإقبال الدنيا. قال قتادة: (يقول: لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا). وقال: (لو اتقوا لوسّع عليهم في الرزق). وقال الربيع: ﴿مَاءً غَدَقًا﴾: عيشاً رغداً.

وفي التنزيل نحو ذلك:

1 - قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:

3 - 2].

2 - وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِنْحِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أُنُجُلِهِمْ﴾ [المائدة: 66].

3 - وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 96].

ومن كنوز السنة العطرة في آفاق هذه الآية أحاديث:

الحديث الأول: أخرج الترمذي في السنن بسند صحيح عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: [لو أنكم كنتم تؤكلون على الله حقَّ توكله لُرزقتم كما تُرزق الطيرُ، تَغْدُو خِمَاصاً، وتروح بطاناً]⁽¹⁾.

الحديث الثاني: أخرج أحمد والترمذي بإسناد صحيح عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: [إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسُدَّ فقرك، وإن لا تفعل ملأت يديك شغلاً ولم أسدَّ فقرك]⁽²⁾.

الحديث الثالث: أخرج الترمذي في الجامع بسند صحيح عن أنس، عن النبي ﷺ

(1) حديث صحيح. أخرجه ابن ماجه في السنن (4164)، وأحمد في المسند، والترمذي في الجامع. انظر صحيح سنن الترمذي (1911).

(2) حديث صحيح. أخرجه الترمذي (308/3)، وأحمد (358/2)، وابن ماجه (525/2)، وابن حبان (2477). وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (1359).

قال: [من كانت الآخرة همّةً ، جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة . ومن كانت الدنيا همّةً ، جعل الله فقره بين عينيه ، وفرّق عليه شمله ، ولم يأتيه من الدنيا إلا ما قُدِّرَ له] (1).

وقوله: ﴿لَنْفَنَّهُمْ فِيهِ﴾. أي لنختبرهم فيه . قال قتادة: (لنبتليهم فيه). وقال زيد بن أسلم: (لنبتليهم من يستمرّ على الهداية ممّن يرتد إلى الغواية).

والمقصود: أنّ الاستقامة على الحق والهدى يغدق الله بها على أهلها الرزق الوفير والسعة في الدنيا ، وهذا الإغداق بحد ذاته موضع امتحان للعباد واختبار لهم ، وكثير من الناس يضعف شكره لله عند انفتاح الدنيا وزينتها .

أخرج ابن ماجة بسند حسن عن أبي الدرداء قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نذكر الفقر ونتخوفه . فقال: [الْفَقْرُ تخافون؟ والذي نفسي بيده لَتَصَبَّرَنَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبْرًا حَتَّى لَا يُرِيعَ قَلْبُ أَحَدِكُمْ إِزَاعَةَ إِلَهِيَةٍ. وَإِنَّمَا اللَّهُ لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ] (2).

وبعض المفسرين ذهب إلى تأويل قوله تعالى: ﴿وَالْوِاسْتِقَامُ عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ قال طريقة الضلالة ، والراجع ما ذكرناه ، وهو المناسب للسياق ، والله تعالى أعلم .

وقوله: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾. أي: ومن يعرض عن هذا القرآن ، ومتابعة النبي عليه الصلاة والسلام ، يسلكه الله عذاباً صعباً شاقاً شديداً.

قال ابن عباس: (﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ يقول: مشقة من العذاب يصعد فيها). وقال أيضاً: (﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ قال: جبل في جهنم). وقال قتادة: (عذاباً لا راحة فيه). أو قال: (صعوداً من عذاب الله لا راحة فيه). وقال ابن زيد: (الصعد: العذاب المنصب).

18 - 24. قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١٨﴾ وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا

(1) حديث صحيح . أخرجه الترمذي (76/2) ، وله شاهد عند ابن ماجة (2/524) ، وكذلك عند ابن حبان (72) من حديث زيد بن ثابت مرفوعاً ، وإسناده صحيح .

(2) حديث حسن . أخرجه ابن ماجة في السنن - حديث رقم - (5). باب اتباع سنة رسول الله ﷺ .

بَلَّغْنَا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَتِهِ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْئَلُهُمْ مَنْ أَعْصَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ .

في هذه الآيات: إثبات المساجد لله فلا يعبد فيها غير الله الواحد الأحد العلي العظيم ، وأنه ما على الرسول إلا البلاغ المبين ، وَمَنْ أَصْرَّ عَلَى الشُّرْكَ بِاللَّهِ وَعَصِيَانَهُ كَانَ فِي الْآخِرَةِ مِنْ أَهْلِ الْجَحِيمِ .

فقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ . أي: وقل أوحى إلي أن المساجد لله . وقال الخليل: (أي ولأن المساجد لله) . وقال عكرمة: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ﴾ قال: المساجد كلها) . وقال قتادة: (كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله ، فأمر الله نبيه أن يوحد الله وحده) .

قال القرطبي: (قوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ ﴾ إضافة تشريف وتكريم ، ثم خص بالذكر منها البيت العتيق فقال: ﴿ وَطَهَّرَ بَيْتِي ﴾ [الحج: 26] .

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنْتُمْ لِمَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ . فيه تأويلان:

الأول: أي لما قام محمد ﷺ يدعوهم إلى الله تبارك وتعالى كادت العرب يجتمعون ضده ويزدحمون على حربه وإطفاء النور الذي جاء به .

الثاني: أي لما قام محمد ﷺ يصلي اجتمع أصحابه عليه يصلون بصلاته ويسجدون بسجوده . وكلا المعنيين حق .

و ﴿ لِبَدًا ﴾ أي جماعات ، من تلبَّد الشيء على الشيء أي تجمع ، ومنه اللَّبْدُ الذي يفرش لتراكم صوفه ، وكل شيء ألصقته إلصاقاً شديداً فقد لبَّده . قال الرازي: (ويقال: الناس لبَّدُ أيضاً أي مُجْتَمِعُونَ) .

وعن مجاهد: ﴿ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ قال: جميعاً) . وقال ابن زيد: (واللبد: الشيء الذي يعضه فوق بعض ، قال: تظاهروا عليه بعضهم على بعض ، تظاهروا على رسول الله ﷺ) . وقال قتادة: (تلبدت الإنس والجن على هذا الأمر ليطفئوه ، فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ، ويظهره على من ناوأه) .

وفي جامع الترمذي بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: [قول الجن لقومهم: ﴿ لِمَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ قال: لما رأوه يصلي وأصحابه يصلون بصلاته

ويسجدون بسجوده قال: تعجبوا من طوعية أصحابه له قالوا لقومهم: لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدًا⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾. قال ابن كثير: (أي: قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه، ليُبطِلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته: ﴿إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾، أي: أعبدُ ربي وحده لا شريك له، وأستجيرُ به وأتوكلُ عليه، ﴿وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾. أي: قل لهم يا محمد: إن ما جئتمكم به هو الحق، ولا أملك أمر هدايتكم أو غوايتكم، فالقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل يقلبها كيف يشاء، ومن ثمَّ فالهداية أو الإضلال إنما شأن ذلك إليه جلت عظمتة وقدرته.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾.

قال قتادة: (أي: لا نصير ولا ملجأ). وقال أيضاً: (لا ولي ولا موئل). وقال مجاهد: (﴿مُلْتَحَدًا﴾: ملجأ). وقال السدي: (حِزْزاً).

قال القرطبي: (﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾ أي لا يدفع عذابه عني أحد إن استحقفته. ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ أي ملتجأ ألبأ إليه).

وقوله: ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَةً﴾. قال الحسن: (فإن فيه الأمان والنجاة). فهو استثناء من قوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾. أي: لا يخلصني من بأس الله إلا إخلاص إبلاغ الرسالة والدعوة إلى سبيله عز وجل. كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: 67].

ويجوز أن يكون مستثنى من قوله تعالى - في الآية السابقة -: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾.

قال قتادة: (فذلك الذي أملكه بتوفيق الله، فأما الكفر والإيمان فلا أملكهما). والتقدير: لا أملك لكم إلا أن أبلغكم. قلت: وكلا المعنيين حق، وفي كل منهما انسجام مع سياق الآيات والبيان والإعجاز.

(1) صحيح الإسناد. أخرجه الترمذي بإسناد صحيح عن ابن عباس. انظر صحيح سنن الترمذي - حديث رقم - (2647)، كتاب التفسير، عند هذه الآية.

وقوله: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنْ لَّهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.

قال ابن جرير: (يقول تعالى ذكره: ومن يعص الله فيما أمره ونهاه ويكذب به ، ورسوله ، فجحد رسالاته ، فإن له نار جهنم يصلها ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ يقول: ما كثرين فيها أبداً إلى غير نهاية).

ونصب: ﴿خَالِدِينَ﴾ على الحال ، وُجُمِعَ لأن المقصود وصف مصير كل من فعل ذلك . فَوُحِدَ أولاً للفظ «مَنْ» ثم جمع للمعنى.

وقوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ . قيل: ﴿حَتَّىٰ﴾ هنا مبتدأ . والتقدير: حتى إذا رأوا عذاب الآخرة الذي يوعدون ، أو عذاب الدنيا قبله من القتل يوم بدر والخزي ، هنالك سيعلمون . - حكاة القرطبي .

وقيل: ﴿حَتَّىٰ﴾ متعلق بمحذوف دلت عليه الحال . والتقدير: لا يزالون على ما هم عليه حتى ﴿إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ . حكاة النسفي .

وقوله: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَّاصِرًا وَأَقْلٌ عَدَدًا﴾ . أي: فسيعلمون عند حلول العذاب بهم ﴿مَنْ أَضَعُفٌ نَّاصِرًا وَأَقْلٌ عَدَدًا﴾: أهم أم المؤمنون المخلصون التوحيد والتعظيم لله عز وجل . أي: بل المشركون في حال خزي تام ومذلة يومئذ لا ناصر لهم بالكلية ، وهم أقل عدداً من جنود الله عز وجل التي ستحيط بهم وتحاصرهم إلى أشد العذاب .

25 - 28. قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لِي رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَلِيمٌ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾ .

في هذه الآيات: إثبات علم الغيب وأمر الوعد والوعيد لله العلي العظيم ، فهو سبحانه قد أرسل الرسل وعلم أعمالهم وأحصى كل شيء في كتاب مبين .

فقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لِي رَبِّي أَمَدًا﴾ .

قال القرطبي: (يعني قيام الساعة . وقيل: عذاب الدنيا ، أي لا أدري ، ف ﴿إِنْ﴾ بمعنى «ما» أو «لا» . أي لا يعرف وقت نزول العذاب ووقت قيام الساعة إلا الله).

وقوله: ﴿أَمَدًا﴾ - أي غاية وأجلًا. قال النسفي: ﴿أَمَدًا﴾ غاية بعيدة ، يعني أنكم تعذبون قطعاً ، ولكن لا أدري أهو حال أم مؤجل).

وقوله: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ﴾. أي هو عالم الغيب ، والغيب ما غاب عن العباد.
وقوله: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ. قال ابن عباس: (فأعلم الله سبحانه الرسل من الغيب الوحي وأظهرهم عليه بما أوحى إليهم من غيبه ، وما يحكم الله ، فإنه لا يعلم ذلك غيره).

وعن قتادة: ﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ فإنه يصطفاهم ، ويطلعهم على ما يشاء من الغيب). وقال ابن زيد: (ينزل من غيبه ما شاء على الأنبياء ، أنزل على رسول الله ﷺ الغيب القرآن ، قال: وحدثنا فيه بالغيب بما يكون يوم القيامة).
وقوله: ﴿فَإِنَّهُمْ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾. قال قتادة: (الملائكة).

وقال ابن عباس: (هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي ﷺ من الشيطان حتى يتبين الذي أرسل به إليهم ، وذلك حين يقول: ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم).
وقال إبراهيم النخعي: (الملائكة رصد من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من الجن).
وغاية المعنى أن يقال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يَخْتَصُّ رَسُولَهُ بِمَزِيدٍ مِنْ مُعَقَّبَاتٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يحفظونه من أمر الله ، ويعصمونه من الشياطين ووساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ الوحي).

وقوله: ﴿لَيَعْلَمَنَّ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾. فيه تفاسير ، حسب عودة الضمير:
1 - قيل: ﴿لَيَعْلَمَنَّ﴾ عائذ على النبي ﷺ. قال سعيد بن جبیر: (ليعلم محمد ﷺ).
وقال قتادة: (ليعلم نبي الله أن الرسل قد بلغت عن الله ، وأن الملائكة حفظتها ودفعت عنها). - واختاره ابن جرير.

2 - قيل: ﴿لَيَعْلَمَنَّ﴾ - عائذ على من كذب الرسل. قال العوفي عن ابن عباس: ﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُمْ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ ، قال: هي مُعَقَّبَاتٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ يحفظون النبي من الشيطان ، حتى يتبين الذي أرسل إليهم ، وذلك حين يقول: ليعلم أهل الشرك أن قد أبلغوا رسالات ربهم).

وقال مجاهد: (ليعلم من كذب الرسل أن قد أبلغوا رسالات ربهم).

3 - قيل: ﴿لَيَعْلَمَنَّ﴾ - عائذ على الله عز وجل. قال النسفي: (أي ليعلم الله ذلك

موجوداً حال وجوده ، كما كان يعلم ذلك قبل وجوده أنه يوجد).

قلت: وكل ذلك من التأويل المنسجم مع السياق القرآني والإعجاز البياني.

وقوله: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾. قال سعيد بن جبیر: (ليعلم الرسل أن ربهم أحاط بهم ، فبلغوا رسالاتهم). قال ابن جریر: (يقول: وعلم بكل ما عندهم ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ يقول: علم عدد الأشياء كلها ، فلم يخف عليه منها شيء). و﴿عَدَدًا﴾ منصوب على الحال ، أي: وعلم كل شيء معدوداً محصوراً. وقيل: بل هو مصدر في معنى إحصاء ، والله تعالى أعلم.

تم تفسير سورة الجن

بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ ، وَوَاسِعَ مِنْهُ وَكْرَمِهِ

ظَهَرَ الْأَحَدَ 25 شَوَّالَ 1426 هـ

الموافق 27 - تشرين الثاني - 2005 م



دروس ونتائج وأحكام

- 1 - اشتراك الجن في بلاغ رسول الله ﷺ ، واستماعهم إليه وهو يقرأ القرآن ، وإيمانهم به وبرسالته .
- 2 - كانت الجن تسمع سمع السماء ، فلما بعث الله نبيّه ، حُرست السماء ، ومُنِعوا ذلك .
- 3 - أرسل إبليس سبعة من الجن ليكتشفوا له الخبر فرجعوا مسلمين .
- 4 - الجن فريقان : مسلمون وفاسقون . فمن أسلم نجا ، ومن تمرد هلك .
- 5 - المساجد لله تعالى فلا تدعوا مع الله أحداً .
- 6 - الله يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته .
- 7 - علم الله الأشياء قبل وقوعها ، وأحاط بها ، وأحصاها عدداً .





وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (20) .

موضوع السورة

توجيه المزمل عليه الصلاة والسلام
إلى قيام الليل وحمل الأمانة وجهاد الكفار اللثام

- منهاج السورة -

- 1 - توجيه الوحي الكريم نبي الله والمؤمنين ، إلى توثيق الصلة بالله أيام الشدة عن طريق قيام الليل وذكر الله العظيم .
- 2 - أمر الله نبيه بالصبر على أذى أهل الجحيم ، وله في صبر موسى على أذى فرعون وجنده أسوة حتى يأتي النصر المبين .
- 3 - هذه السورة من القرآن فيها تذكرة لأولي الألباب ، وتسلية للنبي ﷺ والأصحاب .
- 4 - كان قيام الله فريضة أول الإسلام ، ثم خفف على أمة هذا النبي عليه الصلاة والسلام .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 9. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ﴿١﴾ قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ تَصَفَّهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْفُرْقَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ .

في هذه الآيات: توجيه الوحي الكريم ، نبي الله ﷺ والمؤمنين - أيام التعذيب والاضطهاد في مكة من الطغاة على أوائل المسلمين - إلى توثيق الصلة بالله عز وجل عن طريق قيام الليل وذكر الله العظيم .

فقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ﴾ . قال الضحاك: (يا أيها النائم) . وقال قتادة: (يا أيها المزمل في ثيابه) . وقال ابن عباس: (يا محمد زملت القرآن) .

وقوله تعالى: ﴿قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ . أمرٌ من الله سبحانه رسوله ﷺ أن يترك التَّزْمُلَ ، وهو التَّغَطِّي في الليل ، وينهض إلى قيام الليل ، فكان واجباً عليه وحده .

وكان هذا بعد مجيء الأمر العام بصلاة ركعتين أول النهار وآخره . قال مقاتل بن سليمان: (فرض الله في أول الإسلام الصلاة ، ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي لقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر: 55]) . ثم جاء الأمر بتمكين العزيمة في صلاة الليل ، وتفصيل ذلك في أحاديث:

الحديث الأول: أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: [فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة ، فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم ، وأمسك الله خاتمتها في السماء اثني عشر شهراً ، ثم أنزل الله

التخفيف في آخر هذه السورة ، فصار قيام الليل تطوعاً مِنْ بَعْدِ فريضة⁽¹⁾ .

الحديث الثاني: أخرج أبو داود بسند جيد عن ابن عباس قال: [لما نزلت أول المزمل كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل آخرها ، وكان بين أولها وآخرها سنة]⁽²⁾ .

الحديث الثالث: أخرج ابن جرير في «التفسير» بسنده عن أبي عبد الرحمن قال: [لما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ﴾ قاموا حولاً حتى ورمت أقدامهم وسوقهم ، حتى نزلت: ﴿فَاقْرَءْ وَامَّا يَتَسَّرَ مِنْهُ﴾ فاستراح الناس]⁽³⁾ .

وأما قوله: ﴿إِلَّا قَلِيلاً﴾ . فهو استثناء من الليل . قال القرطبي: (أي صلّ الليل كله إلا يسيراً منه ، لأن قيام جميعه على الدوام غير ممكن ، فاستثنى منه القليل لراحة الجسد . والقليل من الشيء ما دون النصف) .

وقوله تعالى: ﴿يَصْفَهُ أَوْ أَنْصَفَ مِنْهُ قَلِيلاً﴾ . قال ابن كثير: ﴿يَصْفَهُ﴾: بَدَلٌ مِنَ اللَّيْلِ ، ﴿أَوْ أَنْصَفَ مِنْهُ قَلِيلاً﴾ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ ، أي: أمرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل ، لا حَرَجَ عليك في ذلك) .

قلت: وقد جاء الأمر بالتخفيف في آخر هذه السورة رحمة من الله بنبيه ﷺ والمؤمنين .

فقد أخرج أبو داود بسند حسن عن ابن عباس: [قال في المزمل: ﴿قُرْآنٌ لَيْلٌ إِلَّا قَلِيلاً﴾ ^(٢) يَصْفَهُ نَسَخَتْهَا الْآيَةُ الَّتِي فِيهَا: ﴿عَلِمَ أَنْ تُخْصَوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ ^(٤) [المزمل: 20]]⁽⁴⁾ .

وقوله: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ . الترتيل: التنضيد والتنسيق وحسن النظام .

والمقصود: لا تعجل - يا محمد - بقراءة القرآن ، بل اقرأه في تمهل وتعقل وبيان ، وتدبر للمعاني والعبر والأحكام .

(1) حديث صحيح . أخرجه أحمد في المسند (6/ 53 - 54) . وانظر صحيح مسلم (746) ، كتاب صلاة المسافرين . باب جامع صلاة الليل ، ومن نام عنه أو مرض .

(2) حديث صحيح . أخرجه أبو داود في السنن (1305) ، كتاب الصلاة . أبواب قيام الليل . باب نسخ قيام الليل . وانظر صحيح سنن أبي داود (1157) .

(3) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (35177) . وانظر كتابي: السيرة النبوية (1/ 226) لتفصيل البحث .

(4) حديث حسن . أخرجه أبو داود (1304) ، أبواب قيام الليل . باب نسخ قيام الليل .

قال قتادة: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾. قال: بيّنه بياناً. وقال مجاهد: (بعضه على أثر بعض ، على تؤدة). وقال أيضاً: (ترسل فيه ترسلًا). وقال الحسن: (اقرأه قراءة بينة). ومن كنوز السنة العطرة في آفاق هذه الآية أحاديث:

الحديث الأول: أخرج البخاري في صحيحه عن قتادة قال: سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ فقال: [كَانَ يَمُدُّ مَدًّا] (1).

الحديث الثاني: أخرج البخاري عن قتادة قال: [سُئِلَ أَنَسٌ: كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَقَالَ: كَانَتْ مَدًّا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿يَسْمِ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ يَمُدُّ بِإِسْمِ اللَّهِ، وَيُمَدُّ بِالرَّحْمَنِ، وَيُمَدُّ بِالرَّحِيمِ] (2).

الحديث الثالث: أخرج أحمد وأبو داود والترمذي عن أم سلمة: أَنَّهَا سُئِلَتْ عَنْ قِرَاءَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: [كَانَ يَقْطَعُ قِرَاءَتَهُ آيَةً آيَةً، ﴿يَسْمِ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾] (3).

الحديث الرابع: أخرج أحمد وأبو داود والترمذي بسند حسن عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي ﷺ قال: [يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْقُ وَرَتَّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنْ مَزَلَتْكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُوهَا] (4).

الحديث الخامس: أخرج أبو داود والنسائي بسند صحيح عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: [زَيِّتُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ] (5).

الحديث السادس: أخرج أبو داود بسند صحيح عن سعد بن أبي وقاص ، أو سعيد بن أبي سعيد ، قال: قال رسول الله ﷺ: [لَيْسَ مِنْ مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ] (6).

- (1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (5045)، كتاب فضائل القرآن. باب مدّ القراءة.
- (2) حديث صحيح. أخرجه البخاري (5046)، الباب السابق. وأخرجه ابن حبان (6317).
- (3) حديث صحيح. أخرجه أحمد (302/6)، وأبو داود (1466)، والترمذي (2927). وانظر: «صفة صلاة النبي ﷺ» ص (77). والإرواء (343)، وله شواهد.
- (4) حديث حسن. أخرجه أبو داود (1464)، والترمذي (2914)، وأحمد (192/2).
- (5) حديث صحيح. أخرجه أبو داود (1468)، والنسائي (179/2)، وابن ماجه (1342)، وأحمد (296/4)، وابن حبان (749)، وعبد الرزاق (4176).
- (6) حديث صحيح. أخرجه أبو داود (1469) في الصلاة. باب استحباب الترتيل في القراءة.

الحديث السابع: أخرج ابن ماجة بإسناد صحيح عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: [إِنَّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ، الَّذِي إِذَا سَمِعْتُمُوهُ يَقْرَأُ، حَسِبْتُمُوهُ يَخْشَى اللَّهَ] (1).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾. أي: إنا سنوحى إليك هذا القرآن، وهو قول ثقیل یثقل حملة والعمل بشرائعه. قال قتادة: (ثقیل والله فرائضه وحدوده). وقال مجاهد: (حلاله وحرامه). وقال الحسن: (العمل به). وقال أبو العالية: (ثقیلاً بالوعد والوعيد والحلال والحرام). وقال محمد بن كعب: (ثقیلاً على المنافقين).

وقيل: على الكفار، لما فيه من الاحتجاج عليهم، والبيان لضلالتهم وسب آلهتهم، والكشف عما حرّفه أهل الكتاب. حكاه القرطبي.

وقال الحسين بن الفضل: (ثقیلاً لا یحملة إلا قلب مؤيد بالتوفيق، ونفس مزينة بالتوحيد). وقال ابن زيد: (هو والله ثقیل مبارك، كما ثقل في الدنيا یثقل في الميزان يوم القيامة).

قلت: والخلاصة أن هذا القرآن العظيم ثقیل في تنزیله، ثقیل في أحكامه وعبره وآياته، ثقیل في امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ثقیل في ميزان من عظمه وقام بما فيه يوم القيامة.

فقد أخرج البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت قال: [أنزل الله على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي، فثقلت عليّ، حتى خفت أن ترضّ فخذي] (2).

وفي صحيح البخاري - أيضاً - عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: [أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله! كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال. وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول. قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً] (3).

- (1) حديث صحيح. أخرجه ابن ماجة (1339) في الصلاة. باب في حسن الصوت بالقرآن.
- (2) حديث صحيح. أخرجه البخاري (182/5). وانظر تفصيل البحث في كتابي: السيرة النبوية على منهج الوحيين (1/ 158 - 172). البحث التاسع: أقسام الوحي وأنواعه.
- (3) حديث صحيح. أخرجه البخاري في مقدمة الصحيح. حديث (2)، كتاب بدء الوحي.

وفي المسند ومستدرک الحاكم بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: [الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة. يقول الصيام: أي ربّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفَعْنِي فِيهِ. يقول القرآن: ربّ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفَعْنِي فِيهِ ، فَيُشَفَّعَانِ] (1).
وقوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾.

يقال نشأ: إذا قام من الليل. قال مجاهد: (إنما الناشئة القيام بالليل بعد النوم). وفي الصحاح: (ناشئة الليل أول ساعاته ، وقيل ما ينشأ فيه من الطاعات) ذكره الرازي. وعن قتادة: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً﴾: أي أثبت في الخير ، وأحفظ في الحفظ). وقال مجاهد: (يوأطئ سمعك وبصرك وقلبك بعضه بعضاً). وفي سنن أبي داود بسند حسن عن ابن عباس قال: [و﴿نَاشِئَةُ اللَّيْلِ﴾ أوله ، وكانت صلاتهم لأول الليل. يقول: هو أجدر أن تحسبوا ما فرض الله عليكم من قيام الليل ، وذلك أن الإنسان إذا نام لم يدر متى يستيقظ ، وقوله: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ هو أجدر أن يفقه في القرآن] (2).
وعن ابن زيد: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾: أقوم قراءة لفراغه من الدنيا).

قلت: والمقصود بناشئة الليل ساعاته وأوقاته التي ينهض بها العبد للقيام بين يدي الله عز وجل ، فهي ﴿أَشَدُّ وَطْأً﴾ أي أشد مواطأة بين القلب واللسان وأجمع على التلاوة. فقم بها - يا محمد - وأمر قومك ليقوموا فيها ، فإن السكينة والقوة ستنزل على قلوبهم وستصقل بها نفوسهم وعقولهم.
وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾. أي تصرّفاً في حوائجك ، وإقبالاً وإدباراً وذهاباً ومجيئاً. قال مجاهد: ﴿سَبْحًا طَوِيلًا﴾: متاعاً طويلاً).

والسَّحْبُ: الجري والدوران ، ومنه السابح في الماء ، لتقلبه بيديه ورجليه.

وقيل: السبح الفراغ. أي إن لك فراغاً للحاجات بالنهار.

ففي سنن أبي داود بسند حسن عن ابن عباس قال: [وقوله: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ يقول: فراغاً طويلاً] (3).

- (1) حديث صحيح. أخرجه أحمد والطبراني والحاكم. انظر تخريج المشكاة (1963) ، والترغيب (60/2) ، ورواه البيهقي. انظر صحيح الجامع الصغير (3776).
- (2) حديث حسن. أخرجه أبو داود في السنن - حديث رقم - (1304) ، أبواب قيام الليل. انظر: صحيح سنن أبي داود - حديث رقم - (1156).
- (3) حديث حسن. انظر صحيح سنن أبي داود - حديث رقم - (1156) ، أبواب قيام الليل. باب نسخ قيام الليل. وهو خاتمة حديث قد مضى أوله.

قلت: والراجع في المعنى: إن - لك يا محمد - في النهار وقتاً لحوائجك وأمور حياتك ، فأفرغ الليل واملأ القلب من القرآن والناس نيام .

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ .

أي: واذكر ربك يا محمد ، وأكثر من ذكره ، وانقطع إليه ، وتفرغ لعبادته .

والتبتل: الانقطاع إلى عبادة الله عز وجل . وفي لغة العرب: بتلت الشيء أي قطعته .

والمقصود: انقطع بعبادتك إلى الله ولا تشرك به غيره .

وعن ابن عباس: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ قال: أخلص له إخلاصاً . وقال مجاهد: (أخلص إليه المسألة والدعاء) . وقال الحسن: (تبتل نفسك واجتهد) .

وقال قتادة: (أخلص له العبادة والدعوة) . وقال ابن زيد: (أي تفرغ لعبادته) .

وفي التنزيل نحو ذلك: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: 7 - 8] .

وفي المسند وجامع الترمذي بإسناد صحيح عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال: [إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك ، وإن لا تفعل ملأت يديك شغلاً ولم أسد فقرك]⁽¹⁾ .

وقوله تعالى: ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ .

أي: هو رب المشارق والمغارب المتفرد بالملك والجبروت فلا يستحق العبادة غيره ، فأفرده بالتعظيم والتأليه والتوكل . قال القرطبي: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ أي قائماً بأمورك . وقيل: كفيلاً بما وعدك) .

وفي التنزيل نحو ذلك:

1- قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: 123] .

2- وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5] .

وقد كان من دعائه ﷺ: [اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، اللهم إني أعوذ بعزتك ، لا إله إلا أنت ، أن تضلني ،

(1) حديث صحيح . أخرجه أحمد (2/ 358) ، والترمذي (3/ 308) ، وابن ماجه (2/ 525) ، وأخرجه ابن حبان (2477) . وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (1359) .

أنت الحي الذي لا يموت ، والجن والإنس يموتون⁽¹⁾.

10 - 18. قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنْفِطِرَةٌ بِئْسَ عَذَابُهُمْ فَفَعُولًا﴾ ﴿١٨﴾.

في هذه الآيات: أَمُرُ الله تعالى نبيه ﷺ بالصبر على ما يقوله المكذبون من سفهاء قومه وهجرهم الهجر الجميل الذي لا عتاب معه فإن الله أعد للمجرمين عذاب الجحيم ، وقد أرسل إلى فرعون موسى من قبل فاستكبر هو وجنوده حتى نزل بهم العذاب الأليم.

فقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾. قال القرطبي: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي من الأذى والسب والاستهزاء ، ولا تجزع من قولهم ، ولا تمتنع من دعائهم. ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ أي لا تتعرض لهم ، ولا تشتغل بمكافأتهم ، فإن في ذلك ترك الدعاء إلى الله ، وكان هذا قبل الأمر بالقتال ، ثم أمر بعد بقتالهم وقتلهم. وقال قتادة: (قوله: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ براءة نسخت ماها هنا ، أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، لا يقبل منهم غيرها).

وقال أبو الدرداء: (إنا لنكثير في وجوه أقوام ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتقلبهم أو لتلعنهم).

وقوله: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ﴾. قال ابن كثير: (أي: دعني والمكذبين

(1) حديث صحيح. أخرجه أحمد في المسند (1/302)، ورواه مسلم في الصحيح، كتاب الذكر، ورواه البخاري مختصراً في كتاب التوحيد. من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

المُتَرَفِّينَ أَصْحَابَ الْأَمْوَالِ ، فَإِنَّهُمْ أَقْدَرُ عَلَى الطَّاعَةِ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَهُمْ يَطْلُبُونَ مِنَ الْحَقِّوْقِ بِمَا لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ).

وقوله: ﴿وَمَهْلَهٗمْ قَلِيْلًا﴾. يعني رويداً. أي إلى مدّة آجالهم. وقيل: إلى مدة الدنيا.

قال قتادة: (إن الله فيهم طَلِبَةٌ وَحَاجَةٌ). قالت عائشة: (لما نزلت هذه الآية لم يكن إلا يسير حتى كانت وقعة بدر). رواه ابن جرير بسنده إلى عبد الله بن الزبير عن عائشة.

وفي التنزيل: ﴿تَمْنَعُهُمْ قَلِيْلًا ثُمَّ نَضَضَتْهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: 24].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمَامًا﴾. قال ابن عباس وعكرمة: ﴿أَنْكَالًا﴾: قيوداً).

وقال مجاهد: (الأنكال: القيود). وواحدها نِكْل ، وهو ما منع الإنسان من الحركة.

وقيل: سَمِي نِكْلًا ، لأنه يُنْكَلُ به. والجحيم: السعير المضطربة.

وقوله: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾. أي: طعاماً يُغْصُ به آكله فلا هو سالك ولا خارج.

قال ابن عباس: (يَنْشَبُ فِي الْحَلْقِ فَلَا يَدْخُلُ وَلَا يَخْرُجُ).

وقوله: ﴿وَعَذَابًا أَلِيْمًا﴾. أي: وعذاباً مؤلماً موجعاً.

وقوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾. أي: تُزَلْزَلُ فتتحرك وتضطرب بمن عليها.

ونصب ﴿يَوْمَ﴾ على الظرفية ، والتقدير: ينكل بهم ويعذبون ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ﴾.

وقيل: بنزع الخافض ، والتقدير: هذه العقوبة في يوم ترجف الأرض والجبال.

وقوله: ﴿وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَيْحَيَا مَهْيَلًا﴾. قال مجاهد: (ينهل). وقال ابن عباس: (الكثيب

المهيل: الرمل السائل. أو قال: اللين الذي إذا مسسته تتابع).

وفي لغة العرب: هلت الرمل إذا حُرِّكَ أسفله. والمهيل: الذي يمرّ تحت الأرجل.

والمعنى: تصوير الجبال يومئذ ككثبان الرمل بعدما كانت حجارة صماء.

ثم إنها تُنْسَفُ نَسْفًا لَا يَبْقَى لَهَا أَثَرٌ ، حَتَّى تَصِيرَ الْأَرْضُ ﴿فَاعَا صَفْصَفًا﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا [طه: 106 - 107] أي: وادياً ، ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ أي رابية.

وقوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ﴾. الخطاب لقريش ، والمراد سائر

الناس. قال ابن جرير: ﴿رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ بإجابة من أجاب منكم دعوتي ، وامتناع

من امتنع منكم من الإجابة ، يوم تلقوني في القيامة).

وقوله: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۖ ﴾. أي: هو كإرسالنا موسى رسولاً إلى فرعون وقومه من قبل ، لإقامة حجة الوحي والنبوة.

وقوله تعالى: ﴿ فَصْنَىٰ فِرْعَوْنُ الرُّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۖ ﴾. قال ابن عباس: (شديداً).

قال ابن زيد: (الوبيل: الشر ، والعرب تقول لمن تتابع عليه الشر: لقد أوبل عليه).

وقال الزجاج: ﴿ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾ أي ثقيلاً غليظاً. ومنه قيل للمطر وابل⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ تَنْقُونُ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۖ ﴾. توبيخ وتقريع.

أي: كيف تقون أنفسكم إن بقيتم على كفركم عذاب يوم يصير فيه الأطفال الصغار شيباً أي يبض الشعور لشدة هوله. وهذا كناية عن شدة الخوف.

أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ قال: [يقول الله تعالى يا آدم ! فيقول: لبيك وسعديك والخير كله في يديك. فيقول: أخرج بعث النار ، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مئة وتسعة وتسعين. فعندها يشيب الصغير وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ] [الحج: 2]⁽²⁾.

وفي رواية: [فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد].

وقوله: ﴿ أَلَسَمَاءٌ مُنْقَطِرُ بِهِ ۖ ﴾. أي: متشقة بذلك اليوم لشدة وعظيم هوله ، وانفطارها لنزول الملائكة. وقال ابن عباس: (تشقق السماء حين ينزل الرحمن جل وعز). وقال مجاهد: ﴿ مُنْقَطِرُ بِهِ ۖ ﴾: مثقلة به). قال النسفي: ﴿ أَلَسَمَاءٌ مُنْقَطِرُ بِهِ ۖ ﴾ وصف لليوم بالشدة أيضاً. أي السماء على عظمها وإحكامها تنفطر به أي تنشق ، فما ظنك بغيرها من الخلائق).

وقوله: ﴿ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ۖ ﴾. أي: كان وعد الله بالقيامة والحساب والجزاء كائناً لا شك فيه ولا خُلف. وقال مقاتل: (كان وعده بأن يظهر دينه على الدين كله).

19 - 20. قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۖ ﴾

(1) مطر وابل: أي مطر شديد.

(2) حديث صحيح. أخرجه البخاري (4741) ، كتاب التفسير. ورواه مسلم (1/ 139 - 140).

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن تَخِصُّوه فَنَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقِلُّونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَءُوا اللَّهَ قُرْآنًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

في هذه الآيات: يخبر جل ذكره أن هذه السورة من القرآن فيها تذكرة يتذكر بها أولو الألباب ، وأن قيام الليل كان فريضة أول الإسلام ثم خفف الله ذلك على النبي والأصحاب .

فقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾. يعني هذه السورة . وقال قتادة: (يعني القرآن) .

وقوله: ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ . قال قتادة: (بطاعة الله) . قال النسفي: (أي فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلاً إلى الله بالتقوى والخشية) .

ولاشك أن هذه المشيئة مقهورة بمشيئة الله ، فهو أعلم من يستحق الهداية والفضل . كما قال جل ثناؤه: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الدهر: 30] .

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ .

أي: إن ربك يا محمد يعلم أنك تقوم أقل من ثلثي الليل مصلياً ، ونصفه وثلثه أحياناً . ويقوم ذلك القدر معك طائفة من أصحابك ، وذلك حين فرض عليهم قيام الليل .

وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ . أي: يعلم مقادير الليل والنهار على حقائقها ، فيعلم القدر الذي تقومونه من الليل ، وإنما تعلمون أنتم قدر قيامكم بالتحري والاجتهاد .

وقوله: ﴿عَلِمَ أَن تَخِصُّوه﴾ . قال الحسن: (لن تطيقوه) . وقال قتادة: (قيام الليل كتب عليكم) . قال القرطبي: (أي علم أنكم لن تحصوه ، لأنكم إن زدتهم ثقل عليكم ، واحتجتم إلى تكليف ما ليس فرضاً ، وإن نقصتم شق ذلك عليكم) .

وقوله: ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ . أي: فعاد عليكم بالعفو ، ورجع من تثقيل إلى تخفيف ،

ومن عُسِّرَ إلى يسر ، فصفح عن التقصير فيما أمرتم به ، وأسقط عنكم فرض قيام الليل .

وقوله : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا يَتَرَمَّ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ . قال ابن جرير : (يقول : فاقروا من الليل ما تيسر لكم من القرآن في صلاتكم ، وهذا تخفيف من الله عز وجل عن عباده فرضه الذي كان فرض عليهم بقوله : ﴿ قُرْآنٌ لَّيْلًا قَلِيلًا ۖ يُصَفِّهُ ۖ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴾) .

أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث سعد بن هشام بن عامر - أنه قال لعائشة رضي الله عنها - أنبئني عن قيام رسول الله ﷺ . فقالت : أَلَسْتُ تَقْرَأُ : ﴿ يَأَيُّهَا الْمَرْمُلُ ﴾ ؟ قُلْتُ : بلى . قالت : [فإنَّ الله عزَّ وجلَّ افترضَ قيامَ الليل في أوَّل هذه السورة ، فقام نبيُّ الله ﷺ وأصحابه حولاً ، وأمسك الله خاتِمَها اثني عشر شهراً في السماء ، حتى أنزل الله ، في آخر هذه السورة ، التخفيف ، فصار قيامُ الليل تطوعاً بعدَ فريضة⁽¹⁾ .

وقوله : ﴿ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقِيلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ .

أي : علم الله أن سيكون في هذه الأمة أصحاب أعذار في ترك قيام الليل : كالمرضى ، والمسافرين في مكاسبهم ومتاجرهم ، والمنشغلين بما هو أعظم من ذلك وهو أمر الغزو والجهاد لإعلاء كلمة الله في الأرض .

وقوله : ﴿ فَاقْرَءُوا مَا يَتَرَمَّ مِنْهُ ﴾ . أي فاقروا إن تيسر عليكم ذلك ، وصلوا من الليل ما استطعتم . قال ابن كثير : (أي : قوموا بما تيسر عليكم منه) .

وقوله : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ . أي : وأقيموا الصلاة المفروضة عليكم ، وأدوا الزكاة الواجبة في أموالكم . والآية مكية ، والمراد الصلاة التي فرضت بمكة أول الإسلام ، وكذلك الزكاة العامة قبل أن تحدد أنصبته في المدينة .

وقوله : ﴿ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ فَرَضًا حَسَنًا ﴾ . يعني من الصدقات . قال : عمر بن الخطاب : (هو النفقة في سبيل الله) . وقال زيد بن أسلم : (القرض الحسن النفقة على الأهل) . وقال ابن زيد : (القرض : النوافل سوى الزكاة) . قال القرطبي : (القرض الحسن ما قصد به وجه الله تعالى خالصاً من المال الطيب) .

(1) حديث صحيح . أخرجه مسلم في الصحيح - حديث رقم - (746) ، كتاب صلاة المسافرين ، باب جامع صلاة الليل ، ومن نام عنه أو مرض . وهو جزء من حديث طويل .

وفي التنزيل :

1 - قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافًا كثيرة﴾ [البقرة: 245].

2 - وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: 18].

قال النسفي: (القرض لغة: القطع ، فالمقرض يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه إلى غيره ، وكذا المتصدق يقطع ذلك القدر من ماله فيجعله لله تعالى ، وإنما أضافه إلى نفسه لثلاث يَمُنُّ على الفقير فيما تصدق به عليه ، وهذا لأن الفقير معاون له في تلك القربة فلا يكون له عليه منة ، بل المنّة للفقير عليه ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ من الحلال بالإخلاص).

قلت: وقد جاء النص بتحريم القرض الذي يجزّ نفعاً ، فهو مخالف للقرض الحسن الذي رضىه الله لعباده ورغبه بهم .

فقد أخرج أحمد وأصحاب السنن عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص: أن رسول الله ﷺ بعث عتاب بن أسيد إلى مكة فقال: [أتدري إلى أين أبعثك؟ إلى أهل الله ، وهم أهل مكة ، فانهم عن أربع: عن بيع وسلف ، وعن شرطين في بيع ، وربح ما لم يضمن ، وبيع ما ليس عندك]⁽¹⁾.

فقوله: «بيع وسلف» فسره ابن الأثير بقوله: (هو مثل أن يقول: بعثك العبد بألف على أن تسلفني في متاع ، أو على أن تقرضني ألفاً ، لأنه إنما يقرضه ليحاييه في الثمن ، فيدخل في حدّ الجهالة ، ولأن كل قرض جرّ منفعة فهو رباً).

وقوله: ﴿وَمَا تَقْدِمُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾.

«خَيْرًا» مفعول به ثان لتجدوه. و﴿أَجْرًا﴾ تمييز. والمعنى: كل ما تقدموه من الصدقات والنفقات في سبيل الله هو خير مما أبقيتموه لأنفسكم في الدنيا.

ففي صحيح البخاري عن عبد الله: [قال النبي ﷺ: أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ

(1) حديث صحيح. أخرجه أحمد وأصحاب السنن ، والحاكم (2/ 17) ، والبيهقي (5/ 313).

ماله ؟ قالوا: يا رسول الله ، ما مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ . قال : فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ ، ومَالَ وارثه ما أَخَّرَ⁽¹⁾ .

وقوله : ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ . أي وسلوا الله المغفرة لذنوبكم فإنه تعالى غفور رحيم . قال سعيد بن جبیر : (﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾) لما كان قبل التوبة ﴿رَحِيمٌ﴾ لكم بعدها).

تم تفسير سورة المُرْمَل
بِعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه
عصر الثلاثاء 27 شوال 1426 هـ
29 / تشرين الثاني / 2005 م



(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري في الصحيح (6442) ، كتاب الرقاق . باب ما قَدَّمَ من ماله فهو له .

دروس ونتائج وأحكام

- 1- أمر الله رسوله بقيام الليل وترتيل القرآن .
- 2- عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة إلى ربكم ، ومنهاة عن الإثم ، وتكفير للسيئات .
- 3- كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته آية آية ، وكان يمدّ مدّاً .
- 4- إنّ من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، الذي إذا سمعتموه يقرأ ، حسبتُموه يخشى الله .
- 5- قيام الليل كان فريضة سنّة ، ثم خفّفه الله إلى تطوع .
- 6- من يعص الرسول يأخذه الله أخذاً وبيلاً .
- 7- الصدقة تُطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار .
- 8- أفضل أعمالكم ، وأرفعها في درجاتكم ، وأزكاها عند مليككم : ذكر الله تعالى .

74



وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (56) .

موضوع السورة

توجيه المدثر عليه الصلاة والسلام
إلى حياة الصبر والجهاد وتبليغ الدعوة للأمم

- منهاج السورة -

- 1 - أمر الله رسوله بالإنذار ، وتطهير العمل والثياب ، والصبر لله العزيز الحكيم .
- 2 - النفخ في الصور أمر عظيم ، وَوَقَّعُ ذَلِكَ اليوم على الكافرين أليم .
- 3 - توَعَّدُ الله تعالى الوليد بن المغيرة العذاب المهيّن ، لا تهامه بالسحر كلام الله العظيم .
- 4 - تهديد الله تعالى الكفار بملائكة العذاب تقهرهم في نار الجحيم ، وَعِدَّة هؤلاء الملائكة الزبانية الشداد تسعة عشر كما هو مكتوب في كتب أهل الكتابين .
- 5 - إقسام الله تعالى بالقمر والليل والصبح أن جهنم إحدى الكبّر ، جعلها سبحانه نذيراً للبشر .
- 6 - ارتهان كل نفس بكسبها ، ونجاة أصحاب اليمين ، وخزي المجرمين في نار الجحيم .
- 7 - هذا القرآن تذكرة للمتقين ، وما يذكرون إلا بمشيئة الله رب العالمين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 10. قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝٢ وَرَبِّكَ فَكَذِبٌ ۝٣ وَيَأْبَاكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُوتَ وَتَسْأَلُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَأَصْبِرْ ۝٧ فَاِذَا نُفِخَ فِي الْنَّافُورِ ۝٨ فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾.

في هذه الآيات: أمر الله تعالى نبيه ﷺ بإنذار قومه وتعظيم الله العلي العظيم ، وتطهير الثياب والعمل من الشرك والصبر لله العزيز الحكيم ، فإنه إذا نفخ في الصور فذلك يوم على الكافرين أليم .

فقوله: ﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ . نزل ذلك بعد قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ .

فلقد علم النبي ﷺ يقيناً أنه أصبح نبياً بعدما فجئه الملك بغار حراء ، وأدرك أن جبريل سفير الوحي الذي ينقل الخبر إليه من الله في السماء ، ولكن الوحي فتر أياماً بعد ذلك - كما يروي ابن سعد عن ابن عباس - قبل أن يعاود المجيء والنداء ، وكان ذلك قد أهم النبي ﷺ .

قال ابن حجر في «الفتح»: (وكان ذلك ليذهب ما كان ﷺ وجده من الروع ، وليحصل له التشوف إلى العود).

وفي الصحيحين واللفظ للإمام مسلم عن أبي سلمة قال: [أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي . فقال في حديثه: فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجثيت منه (وفي رواية للبخاري: فرُعبت منه) حتى هويت إلى الأرض فجثت إلى أهلي فقلت: زملوني زملوني ، فأنزل الله: ﴿يَأْتِيهَا

الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَيَبَاكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالْجَزْأَ فَاھْجُرْ ﴿٥﴾ . قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان. ثم حمي الوحي وتتابع⁽¹⁾.

وكذلك في الصحيحين عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن؟ قال: يا أيها المدثر. قلت: يقولون اقرأ باسم ربك الذي خلق. فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت، فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ. قال: [جَاوَزْتُ بحراء فلما قضيت جوارى هَبَطْتُ فاستبطنت الوادي فنويت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت أمامي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً، (وفي رواية: فإذا هو على العرش في الهواء، يعني جبريل عليه السلام، فأخذتني رجفة شديدة)، (وفي رواية: فإذا هو جالس على كرسي بين السماء والأرض)، (وفي رواية: على عرش بين السماء والأرض) فأتيت خديجة فقلت: دثروني وصبوا عليّ ماء بارداً. قال: فدثروني وصبوا عليّ ماء بارداً. قال: فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَيَبَاكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾⁽²⁾.

وفي التحقيق أن ﴿أَقْرَأْ﴾ نزلت قبل ﴿الْمُدَّثِّرُ﴾ لأسباب ذكرها ابن القيم رحمه الله:

الأول: أن قوله: «ما أنا بقارئ» صريح أنه لم يقرأ قبل ذلك شيئاً.

الثاني: أن الأمر بالقراءة هو في الترتيب قبل الأمر بالإنذار.

الثالث: أن اجتهاد جابر غير تحديث عائشة عن النبي ﷺ وخبره عن نفسه.

الرابع: أنه جاء في حديث جابر ما يشير إلى أن ﴿أَقْرَأْ﴾ نزلت أولاً، وهو قوله عليه السلام: «رفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء...» أي يوم نزل عليه أول مرة بـ ﴿أَقْرَأْ﴾.

فتكون هذه الآيات هي ثاني ما نزل من القرآن على النبي ﷺ، وهي: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَيَبَاكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالْجَزْأَ فَاھْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾».

والمدثر في لغة العرب: من دثر وتدثر أي تلفف في الدثار، وهو كل ما كان من

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (3238)، ومسلم (161) ح (256)، وأحمد (3/325).

(2) حديث صحيح. أخرجه البخاري (4922)، ورواه مسلم (161)، ح (257)، كتاب الإيمان.

الثياب فوق الشعار . حكاه الرازي . وله في التفاسير أكثر من تأويل :

التأويل الأول : قيل المراد : (يا أيها المتدثر بثيابه عند نومه) .

قال ابن عباس : (قوله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الْمَدَرُّ ﴾ قال : يا أيها النائم) . وقال قتادة : (يقول المتدثر في ثيابه) . وقال ابن جرير : (وذكر أن نبي الله ﷺ قيل له ذلك وهو متدثر بقطيفة) . ثم روى عن إبراهيم - من التابعين - قوله : (كان متدثراً في قطيفة) .

التأويل الثاني : قيل بل المعنى : يا أيها المتدثر النبوة وأثقالها .

قال عكرمة : (دُثِّرَتْ هذا الأمر فقم به) . فيكون المعنى : يا مَنْ حُمِّلَتْ أعباء النبوة ، وحُفِظَتْ وعُطِّيتْ بأمانة الوحي ، قم فأنذر الناس عذاب الله الشديد ، وانهض إلى الأمة فأنقذها من مغبة الاسترسال بالشرك وتعظيم الشهوات وتجاهل الآخرة .

فقوله تعالى : ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ . أي : قم من نومك فأنذر قومك عذاب الله الذي أشركوا به وعبدوا غيره . قال قتادة : (أي أنذر عذاب الله ووقائعه في الأمم وشدة نِقْمَتِهِ) .

وقوله تعالى : ﴿ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴾ . أي : وربك فَعَظِّمْ دون غيره من الآلهة والأنداد والطواغيت .

وقوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ . قال ابن عباس : (لا تلبسها على معصية ولا على غدره . قال : وثيابك فَطَهِّرْ من الإثم . قال : نَقَّ الثياب في كلام العرب) .

وقال : (لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طائب) . وقال مجاهد : (عملك فأصلح) .

فيكون المعنى : أي نَقَّ سريرتك وَصَفَّها لله ، وَأَطْبَ كسبك ومطعمك ، وطهر الداخل والخارج .

وقوله تعالى : ﴿ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ . قال مجاهد : (الأوثان) . وقال الضحاك : (يقول : اهجر المعصية) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴾ . قال ابن عباس : (لا تعط عطية تلتمس بها أفضل منها) . وقال الحسن : (لا تمنن تستكثر عملك الصالح) . أي لا يكثر عملك في عينك فتمنن على ربك ، فإنما هو فضله ومنه عليك .

وقوله تعالى : ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ . قال ابن زيد : (حمل أمراً عظيماً محاربة العرب ثم العجم من بعد العرب في الله) .

قلت: وقد اشتملت هذه الآيات التي كانت في أول ما نزل من القرآن على منهاج الإسلام كله ، فرسمت محاور هذا الدين وأعمدة هذا البنيان ، وأوضحت معالم هذا الدين بشكل مجمل . ففي مضمونها:

أولاً: تعظيم الله وحده وتصغير الشرك والطغاة والطواغيت .

وقد ضُمنَ هذا المعنى بقوله: ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ ، ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ . فهي دعوة التوحيد دعوة الرسل عليهم السلام .

أخرج أحمد وأبو داود بسند صحيح عن أبي تيممة عن رجل من قومه ، أنه أتى رسول الله ﷺ ، أو قال: شهدت رسول الله ﷺ وأتاه رجل فقال: أنت رسول الله - أو قال: أنت محمد ؟ - فقال: نعم . قال: فإلامَ تدعو ؟ قال: [أدعو إلى ربك الذي إن مسَّكَ ضر فدعوته كشفَ عنكَ ، والذي إن أضلَّكَ بأرضٍ كفر فدعوته ردَّ عليك ، والذي إن أصابكَ سنة فدعوته أنبت لك] (1) .

ثانياً: تزكية النفس .

وقد تضمن هذا المفهوم في قوله سبحانه: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ ، ﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ﴾ .

ويكون هذا بلزوم عبادات وشرائع شرعها ، وأخلاق ومعالي رغب ودعا إليها ، وبترك قبائح وفواحش حذر من مغبتها .

ولقد وقع في رواية أخرى للحديث السابق تفصيلاً آخر يربط هذه الأخلاق مع أعلاها ، ويوضح نسبها إلى أرفعها وأرقاها ، وهو تعظيم الله جل ذكره وإفراده بكل معاني العبادة .

فقد أخرج أبو داود والترمذي عن أبي جري جابر بن سليم قال: [رأيت رجلاً يصدر الناس عن رأيه ، لا يقول شيئاً إلا صدروا عنه ، قلت: من هذا ؟ قالوا: هذا رسول الله ﷺ ، قلت: عليك السلام يا رسول الله ، مرتين ، قال: «لا تقل عليك السلام ، فإن عليك السلام تحية الميت ، قل: السلام عليك» . قال: قلت: أنت رسول الله ﷺ ؟ قال: «أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك ، وإن أصابك عام سنة فدعوته أنبتك لك ، وإذا كنت بأرض فقراء أو فلاة فصلت راحلتك

(1) حديث صحيح . أخرجه أبو داود (4084) ، كتاب اللباس . باب ما جاء في إسبال الإزار . انظر صحيح سنن أبي داود (3442) ، ورواه أحمد . انظر صحيح الجامع (242) .

فَذَعَوْتَهُ رَدَّهَا عَلَيْكَ». قلت: اعهدي إلي ، قال: «لَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا» قال: فما سَبَّيْتُ بعده حراً ولا عبداً ولا بعيراً ولا شاة ، قال: «وَلَا تَحْفَرَنَّ شَيْئاً مِنَ الْمَعْرُوفِ ، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ ، وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَلِإِي الكعبيين ، وإيّاك وإسبالَ الإزار فإنها من المخيلة ، وإن الله لا يحب المخيلة ، وإن امرؤ شتمَكَ وَغَيَّرَكَ بما يعلم فيكَ فلا تغيِّره بما تعلم فيه فإنما وبال ذلك عليه»⁽¹⁾.

ثالثاً: حفظ الجماعة المؤمنة ، بالدعوة إلى بنائها وتوثيق أواصر التعاون والأخوة فيما بينها.

فقد قال جل ذكره في أول ما نزل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ ﴿٦٧﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٦٨﴾﴾. أي قم يا محمد إلى الجماعة فاحفظها ، وإلى الأمة فأنذرهم ، فإن القوة والحفظ متعلقة ببناء الجماعة وحفظ كيانها وحماية صرحها ، فليعطف غنيها على فقيرها ، وليرحم قويها ضعيفها ، وليشد بعضها أزر بعض.

وقد قال الله في أواخر السورة نفسها: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٢٧٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٢٧٩﴾ جَنَّاتٍ يَدْخُلُونَ ﴿٢٨٠﴾ مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٨١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٢٨٢﴾ قَالُوا لَوْ نَكُنَّ مِنَ الْمُصْلِينَ ﴿٢٨٣﴾ وَلَمْ نَكُنْ نَطْعُمُ الْمُسْكِينِ ﴿٢٨٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْفَاضِلِينَ ﴿٢٨٥﴾ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٢٨٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٢٨٧﴾ فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٢٨٨﴾﴾.

أخرج عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند ، بإسناد حسن عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ ، والتحدث بنعمة الله شُكْرٌ ، وتركها كفرٌ ، والجماعة رحمة ، والفرقة عذاب]⁽²⁾.

رابعاً: الصبر على الأذى.

وهو داخل في قوله سبحانه: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٣٥﴾﴾. قال ابن زيد: (حمل أمراً عظيماً محاربة العرب ثم العجم من بعد العرب في الله). وبنحوه قال الله في سورة الأحقاف لنبِيِّهِ ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف: 35].

(1) حديث صحيح. أخرجه أبو داود (4084) ، والترمذي (2877). انظر صحيح أبي داود (3442).

(2) حديث صحيح. انظر مسند أحمد (5/ 211) ، (5/ 212) ، وصحيح الجامع (6417). وله شاهد عند البخاري في الأدب المفرد (33) ، وعند أبي داود (290/ 2) وابن حبان (2070).

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: [ما يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكِّهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ] (1). والنصب: التعب والوصب: المرض.

خامساً: التحذير من الدار الآخرة.

وهو داخل في قوله تعالى: ﴿قُرْآنُذَرٌ﴾. وينحوه قوله جل ذكره في سورة مريم: ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: 39].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَفَرُوا فِي النَّاقُورِ﴾. قال ابن عباس: (الناقور: الصور). وقال مجاهد: (وهو كهيئة القرن). والمقصود: ذِكرُ أول شدائد القيامة، وهو النفخ في الصور.

وفي جامع الترمذي بسند صحيح عن أبي سعيد قال: [قال رسول الله ﷺ: «وَكَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدْ التَّعَمَّ الْقَرْنَ وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ». فكان ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ، فقال لهم: «قولوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، على الله توكلنا» (2).

وقوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾. قال ابن عباس: (يقول: شديد).

وقوله تعالى: ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَذَابٌ عَسِيرٌ﴾. قال قتادة: (فبين الله على من يقع).

قال النسفي: (وأكد بقوله: ﴿عَذَابٌ عَسِيرٌ﴾ ليؤذن بأنه يسير على المؤمنين. أو ﴿عَسِيرٌ﴾ لا يرجى أن يرجع يسيراً كما يرجى تيسير العسير من أمور الدنيا).

11 - 30. قوله تعالى: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ

وَبَنِينَ شُهُودًا ۖ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ۖ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۖ ۝١٥ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۖ ۝١٦ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ۖ إِنَّهُ فَكَرَ وَفَدَّرَ ۖ ۝١٧ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ۝١٨ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ۝١٩ ثُمَّ نَظَرَ ۖ ۝٢٠ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۖ ۝٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۖ ۝٢٢ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۖ ۝٢٣ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۖ ۝٢٤

(1) حديث صحيح. أخرجه مسلم في الصحيح (2573)، كتاب الأدب، ورواه البخاري وغيره.

(2) حديث صحيح. انظر صحيح سنن الترمذي (1980)، أبواب صفة القيامة. باب ما جاء في الصور.

سَاطُطِهِ سَقَرٌ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرُ ﴿٢٨﴾ لَوْحَةٌ لِلْبَشْرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ .

في هذه الآيات: توَعَّد الله سبحانه الوليد بن المغيرة العذاب الأليم ، لاتهامه القرآن بالسحر وافتراء الكذب على كلام الله العظيم .

فإنه ما إن أتى موسم الحج عقب الأمر بالجهر بالدعوة ، إلا وخشيت قريش ماذا تقول للعرب في شأن محمد ، فاجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة وكان من أعلمهم بالفصاحة والشعر ولسان العرب ، وكلموه في الأمر عسى أن يجدوا له حلاً ومخرجاً .

يروى البيهقي والحاكم على شرط البخاري عن عكرمة عن ابن عباس: [أن الوليد بن المغيرة جاء رسول الله ﷺ فقرأ عليه القرآن فكانه رَقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم! إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا. قال: لم؟ قال: ليعطوكه فأنت أتيت محمداً لتعرض ما قبله. قال: قد علمت قريش أنني من أكثرها مالا ، قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له. قال: وماذا أقول؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا. ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ولا يُعلى ، وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: قف عني حتى أفكر فيه ، فلما فُكِّر قال: إن هذا إلا سحر يؤثر بأثره عن غيره ، فنزلت: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَيْنَ شُهُودًا ﴾ [الآيات] (1) .

قال ابن عباس: (أنزل الله في الوليد بن المغيرة قوله: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾) .

وقوله: ﴿ وَحِيدًا ﴾ . قال مجاهد: (خلقته وحده ليس معه مال ولا ولد). وقال قتادة: (وهو الوليد بن المغيرة ، أخرجه الله من بطن أمه وحيداً لا مال له ولا ولد ، فرزقه الله المال والولد ، والثروة والنماء) .

وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴾ . قال مجاهد: (كان ماله ألف دينار) .

(1) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (1/556) ، والحاكم في المستدرک (2/507) ، وانظر: «الصحيح المسند في أسباب النزول» - الوادعي - سورة المدثر ، الآيات (11 - 30) .

وقال سفيان: (بلغني أنه أربعة آلاف دينار). وقال ابن جرير: (وهو الكثير الممدود عدده أو مساحته) - إشارة إلى الأراضي والمال.

وقوله تعالى: ﴿وَبَيْنَ شُهُودًا﴾. قال مجاهد: (كان بنوه عشرة ، وقوله: ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُمْ تَهْيِدًا﴾ قال: من المال والولد). أي: وبسطت له في العيش بسطاً.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾. أي: ثم يأمل ويطمح أن أزيده مالاً وثروة وولداً فوق ما أعطيته. كلا ليس الأمر كذلك كما يرجو ، فإنه كان لآياتنا وحججنا جاحداً معانداً. قال الحارث: (معانداً عنها ، مجانباً لها).

وعن قتادة: ﴿كَلَّا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَأَعْيُنًا عَنِي﴾ قال: كفوراً بآيات الله جحوداً بها).

وقوله تعالى: ﴿سَأَرْهَقُهُمْ ضَعْفًا﴾. قال مجاهد: (مشقة من العذاب). وقيل: هو جبل في جهنم يصعد بها يوم القيامة ثم يهوي إرهاباً وتعباً من العذاب.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾. أي: فَكَّرَ في شأن النبي ﷺ والقرآن و﴿وَقَدَّرَ﴾ أي: هيأ الكلام في نفسه. قال قتادة: (زعموا أنه قال: والله لقد نظرت فيما قال هذا الرجل ، فإذا هو ليس له بشعر ، وإنَّ له لحلاوة ، وإنَّ عليه لطلاوة ، وإنه ليعلو وما يعلى ، وما أشك أنه سحر ، فأنزل الله فيه: ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرَهُ﴾ ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرَهُ﴾ ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾: قبض ما بين عينيه وكلح).

وقوله تعالى: ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرَهُ﴾. أي: لُعِنَ. وقيل: فَقْهَرُ وَعُلْبَ ، وكل مُذَلَّلٌ مُقَتَّلٌ. وقال الزهري: (عُدْبٌ ، وهو من باب الدعاء). وقال ناسٌ: ﴿كَيْفَ﴾ تعجيب ، والمقصود: العجب كل العجب مما صدر منه في شأن القرآن بعد فكر وروية!؟

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرَهُ﴾. قال القرطبي: ﴿ثُمَّ قِيلَ﴾ أي: لُعِنَ لعناً بعد لعن. وقيل: فقتل بضرب من العقوبة ، ثم قتل بضرب آخر من العقوبة ﴿كَيْفَ قَدَرَهُ﴾ أي: على أي حال قدر).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾. أي: بأي شيء يرد الحق ويدفعه. وإنما هو المكر والكذب.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾. أي: قبض بين عينيه وقطَّب. ﴿وَبَسَرَ﴾ أي: كلح وكره. قال النسفي: ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ قطب وجهه ﴿وَبَسَرَ﴾ زاد في التقبض والكلوح).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾. قيل: ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ﴾ أي: وَلَّى وأعرض ذاهباً إلى أهله

﴿وَأَسْتَكْبِرُ﴾ أي تعظم عن أن يؤمن . وقيل : أدبر عن الإيمان واستكبر حين دُعي إليه .

والمقصود : ركبه الشيطان وعلا رأسه وفكره فأدبر واستكبر .

وقوله تعالى : ﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ . قال أبو رزين : (يأخذه عن غيره) . أو يأثره عن غيره .

والمقصود : نطق بكلمة الكذب في شأن الحق فجحدته واتهمه ورماه بالسحر بعد التثبت من أنه أعلى وأجل . فما أسهل اتهام الحق بالسحر للهروب من تكاليفه وتبعاته .

ثم قال سبحانه متوعداً إياه إثر هذه المحاولة الماكرة لطمس الحق : ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ قيل : وهو باب من أبواب جهنم .

والمقصود : سأغمره في جهنم كي يضل حُرَّها . قال القرطبي : (وإنما سُميت سقر من سَقَرْتُهُ الشمس : إذا أذابته ولوحتة ، وأحرقت جلدة وجهه) .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا أَزِدْكَ مَاسَقَرُ﴾ . تهويل لأمرها ، ومبالغة في وصفها . أي : وأي شيء سقر يا محمد ؟ فهي كلمة تعظيم .

وقوله تعالى : ﴿لَا تَبْقَىٰ وَلا تُدْرُ﴾ . أي : لا تبقي من فيها حيّاً ، ولا تذر من فيها ميتاً ، بل تحرقهم كلماً جدد خلقهم . قال مجاهد : (لا تميت ولا تحيي) . وقال مرثد : (لا تبقي منهم شيئاً أن تأكلهم ، فإذا خلقوا لها لا تذرهم حتى تأخذهم فتأكلهم) . وقال السدي : (لا تبقي لهم لحماً ولا تذر لهم عظماً) . قال الزمخشري : (أي لا تبقي شيئاً يلقى فيها إلا أهلكته ، وإذا هلك لم تذر هالكاً حتى يعاد . أو لا تبقي على شيء ، ولا تدعه من الهلاك ، بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة) .

وقوله تعالى : ﴿لَوَاحٌ لِّلْبَشَرِ﴾ . لَوَاحٌ : أي محرقة للجلود . قال قتادة : (حرقة للجلد) . فهو من «لوحته الشمس» إذا سوّدت ظاهره وأطرافه . والبشر : جمع بشرة ، وهي ظاهر الجلد .

قال أبو رزين : (تلفح الجلد لفحة ، فتدعه أشد سواداً من الليل) . وروي عن ابن عباس : (تحرق بشرة الإنسان) . فهي تغير البشر أي الجلد وتحرقه .

وقيل : بل «البشر» اسم جنس بمعنى الناس . فيجوز أن يكون المعنى : لائحة للناس ، من «لاح» ، بمعنى ظهر ، والبشر بمعنى الناس . حكاه القاسمي .

وقوله تعالى : ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ . أي من الخزنة المتولّين أمرها ، والتسلط على

أهلها. قال ابن كثير: ﴿عَلَيْهَا سِتْعَةُ عَشْرَ﴾ أي: من مُقَدَّمِي الزبانية ، عَظِيمُ خَلْقُهُمْ ، غَلِيظُ خُلُقُهُمْ).

فتوعد الله سبحانه الوليد بن المغيرة مقابل هذا الكذب والنفاق والمراوغة في تعامله مع الوحي والحق أن يصلبه سقر ، بعد أن أعطاه في الدنيا من المال والولد ما كان ينبغي أن يستعين به على طاعة الله وشكره ، إذ كان أولاده جميعاً حاضرين أمامه يستأجرون في تجارتهم ولا يسافرون فيجهدون ، وأعقد عليه من الأرض والثروة والخير الكثير ، الذي سينقلب عليه في الآخرة نقمة أن كفر بالله وبرسوله .

31 - 37. قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَشْفَرُ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾ .

في هذه الآيات: تهديد الله تعالى الكفار بملائكة العذاب تقهرهم وتغلبهم في نار الجحيم ، وعدة هؤلاء الملائكة الزبانية الشداد تسعة عشر كما هي في كتب أهل الكتابين. وقد أقسم الله تعالى بالقمر والليل والصبح أن جهنم إحدى الكبر ، جعلها سبحانه نذيراً للبشر ، لمن شاء أن يتقدم في الطاعة أو يتأخر .

فقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ . أي: وما جعلنا خزنة النار ﴿إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ أي: إلا زبانية غلاظاً شداداً. قال ابن كثير: (وذلك ردُّ على مشركي قريش حين ذكروا عدد الخزنة ، فقال أبو جهل: يا معشر قريش ، أما يستطيع كلُّ عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم ؟ فقال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ ، أي شديدي الخلق لا يُقَاوِمُونَ ولا يُغَالِبُونَ. وقد قيل: إن أبا الأشدين - واسمُه: كَلْدَةُ بن أَسِيد بن خَلْف - قال: يا معشر قريش ! اكفوني منهم اثنين وأنا أكفيكم سبعة عشر ، إعجاباً منه بنفسه ، وكان قد بلغ من القوة - فيما يزعمون - أنه كان يقف على جلد البقر ويُجاذبه عشرة لينتزعه من تحت قدميه ، فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه. قال السهيلي: وهو الذي

دعا رسول الله ﷺ إلى مُصارعته وقال: **إِنْ صَرَعْتَنِي آمَنْتُ بِكَ**. فَصَرَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ مراراً فلم يؤمن).

وقال القرطبي: **(﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾** أي لم نجعلهم رجالاً فتعاطون مغالبتهم).

والمقصود: فمن يطيق الملائكة ومن يغلبهم ، وهم أقوم خلق الله بحقه ، والغضب له ، وأشدّهم بأساً ، وأقواهم بطشاً ؟

وقوله: **(﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾**. قال قتادة: (إلا بلاء). وروي عن ابن عباس من غير وجه قال: (ضلالة للذين كفروا ، يريد أبا جهل وذويه).

وقيل: (إلا عذاباً). أي جعلنا ذلك سبب كفرهم وسبب العذاب.

والمقصود: إنما جعلنا عدد الملائكة الزبانية الشداد **(﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾** إضلالاً ومحنة للكافرين ، حتى قالوا ما قالوا مستهزئين ، ليتضاعف عذابهم ويكثر غضب الله عليهم ، قال العجائبي: (المراد من الفتنة تشديد التعبد ليستدلوا ويعرفوا أنه تعالى قادر على أن يقوّي هؤلاء التسعة عشر على ما لا يقوى عليه مئة ألف ملك أقوياء). وقال الكعبي: (المراد من الفتنة الامتحان ، حتى يفوّض المؤمنون حكمة التخصيص بالعدد المعين إلى علم الخالق سبحانه. قال: وهذا من المتشابه الذي أمروا بالإيمان به).

وقوله: **(﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾**. قال ابن عباس: (وإنها في التوراة والإنجيل تسعة عشر ، فأراد الله أن يستيقن أهل الكتاب ، ويزداد الذين آمنوا إيماناً). وقال مجاهد: (يجدونه مكتوباً عندهم عدّة خزنة أهل النار).

وقال قتادة: (يصدق القرآن الكتب التي كانت قبله فيها كلها ، التوراة والإنجيل ، أن خزنة النار تسعة عشر). وقال أيضاً: (ليستيقن أهل الكتاب حين وافق عدّة خزنة النار ما في كتبهم). وقال ابن زيد: **(﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾** أنك رسول الله).

وقوله: **(﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾**. أي: إلى إيمانهم ، وذلك بما يشهدون من صدق إخبار نبيهم محمد ﷺ.

وقوله: **(﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾**. قال ابن جرير: (يقول: ولا يشكّ أهل التوراة والإنجيل في حقيقة ذلك والمؤمنون بالله من أمة محمد ﷺ).

وقوله: **(﴿وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾**. أي: وليقول المنافقون

والمشركون ما الحكمة من ذكر هذا هاهنا ؟ . قال ابن زيد : (يقول : حتى يخوفنا بهؤلاء التسعة عشر).

وقوله : ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ . قال ابن كثير : (أي : مِنْ مِثْلِ هَذَا وَأَشْبَاهِهِ يَتَأَكَّدُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِ أَقْوَامٍ ، وَيتَنَزَّلُ عِنْدَ آخَرِينَ ، وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ ، وَالْحَبَّةُ الدَّامِغَةُ).

وقوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ . قال قتادة : (أي من كثرتهم).

قال الزمخشري : (أي وما يعلم ما عليه كل جند من العدد الخاص ، من كون بعضها على عقد كامل ، وبعضها على عدد ناقص ، وما في اختصاص كل جند بعدده ، من الحكمة إلا هو . ولا سبيل لأحد إلى معرفة ذلك ، كما لا يعرف الحكمة في أعداد السماوات والأرضين وأمثالها . أو وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها إلا هو ، فلا يعزُّ عليه الزيادة على عدد الخزنة المذكور ، ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها).

ومن كنوز السنة العطرة في آفاق ذلك أحاديث :

الحديث الأول : روى مسلم في صحيحه من حديث أنس - حديث الإسراء - أن رسول الله ﷺ قال : [ثم عرج بنا إلى السماء السابعة . . . ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، لا يعودون إليه]⁽¹⁾.

وله شاهد في المسند عنه مرفوعاً بلفظ : [البيت المعمور في السماء السابعة ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ثم لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة].

الحديث الثاني : أخرج الترمذي وابن ماجة بسند حسن من حديث أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : [إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون ، أطلت السماء وحق لها أن تئيط ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجداً] الحديث⁽²⁾.

الحديث الثالث : أخرج الطيالسي في «مسنده» ، وابن خزيمة في «صحيحه» بإسناد

(1) حديث صحيح . أخرجه مسلم في صحيحه (1/ 148) . ورواه البخاري . وانظر للشاهد بعده : صحيح الجامع (2888) . رواه أحمد وغيره .

(2) حديث حسن . أخرجه ابن ماجة (4190) - كتاب الزهد - باب الحزن والبكاء ، والترمذي في أبواب الزهد . انظر صحيح سنن الترمذي (1882) ، وصحيح سنن ابن ماجة (3378) .

حسن عن أبي هريرة مرفوعاً: [ليلةُ القَدْرِ ليلةٌ سابعةٌ أو تاسعةٌ وعِشرين ، إِنَّ الملائكةَ تلكَ الليلةَ في الأرضِ أكثرُ من عددِ الحصى⁽¹⁾].

وقوله: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾. قال مجاهد: (النار). والمعنى: ما هذه النار الموصوفة بما ذكر إلا تذكرة ذكر الله تعالى بها البشر - وهم بنو آدم -.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ﴾. قال القاسمي: ﴿كَلَّا﴾ ردع لمن أنكر العدة أو سقر أو الآيات ، أو إنكار لأن تكون لهم ذكرى لأنهم لا يتذكرون).

ثم أقسم سبحانه بالقمر وبما بعده ، فقال: ﴿وَالَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾. أي: ولي. قال ابن عباس: (دبوره: إظلامه).

وقوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَشْفَرُ﴾. أي أشرق. قال قتادة: (إذا أضاء وأقبل).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبَرِ﴾. قال مجاهد: (يعني: جهنم).

والمقصود: إن جهنم لإحدى الكبر ، أي الأمور العظام.

وقوله تعالى: ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾. أي إنذاراً لهم. قال قتادة: (قال الحسن: والله ما أنذر الناسُ بشيء أدهى منها ، أو بدهية هي أدهى منها).

وقوله تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنْكُمُ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾. قال ابن عباس: (من شاء اتبع طاعة الله ، ومن شاء تأخر عنها). وقال قتادة: (يتقدم في طاعة الله ، أو يتأخر في معصيته).

وفي الآية إثبات مشيئة العبد في اختيار الطريق ، وهي مشيئة مقهورة بمشيئة الله عز وجل ، كما قال جل ذكره: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: 30]. فله الأمر سبحانه وله الحكمة والحجة البالغة.

38- 56. قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ ^(٢٨) ^(٢٩) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ^(٣٩) فِي جَنَّتٍ

يَسَّاءُلُونَ ^(٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ ^(٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ^(٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ^(٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ ^(٤٤) وَكُنَّا نَحْوُكُمْ مَعَ الْخَاطِئِينَ ^(٤٥) وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ^(٤٦) حَتَّى أَتَانَا

(1) إسناده حسن. أخرجه الطيالسي في «مسنده» (2545)، وعنه أحمد (519/2)، وأخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (223/2). وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة - حديث رقم - (2205). وقال الألباني: وهذا إسناد حسن.

الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا نَفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَتْهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةٌ ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرُوهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّفْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ .

في هذه الآيات: ارتهان كل نفس بكسبها ، ونجاة أصحاب اليمين ، وخزي المجرمين في نار الجحيم ، وهذا القرآن تذكرة للمتقين ، وما يذكرون إلا بمشيئة الله رب العالمين .

فقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ ۖ ﴾ . أي: مرهونة ومحبوسة بكسبها ، معتقلة بعملها يوم القيامة . قال ابن عباس: (يقول: مأخوذة بعملها) .

وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾ . قال ابن زيد: (أصحاب اليمين لا يرتهنون بذنوبهم ، ولكن يغفرها الله لهم ، وقرأ قول الله: ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [الصفات: 40] قال: لا يؤاخذهم الله بِسَيِّئِ أَعْمَالِهِمْ ، ولكن يغفرها الله لهم ، ويتجاوز عنهم كما وعدهم) .

قال القاسمي: (﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾ أي فإنهم فكوا رقابهم بما أطابوه من كسبهم ، كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق) .

وقوله تعالى: ﴿ فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ .

قال ابن جرير: (يقول: أصحاب اليمين في بساتين يتساءلون عن المجرمين الذين سلكوا في سقر ، أي شيء سلككم في سقر ؟) .

قال ابن كثير: (أي: يسألون المجرمين وهم في الغرفات وأولئك في الدركات قائلين لهم: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾) .

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا لَرَّ نَكَ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿١٣﴾ وَلَرَّ نَكَ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ ﴾ . أي: ما قمنا بحق الله تعالى ، ولا بحق عباده الواجب علينا . فما عبدنا الله ولا أحسنّا إلى خلقه المحتاجين .

وقوله: ﴿ وَكُنَّا نَحْوُكُمْ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾ . أي: وكنا نخوض في الباطل وفيما لا نعلم . قال قتادة: (يقولون: كلما غوى غاوى غوينا معه) .

وقوله تعالى: ﴿وَكَاذِبٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾. أي: وكنا نكذب بيوم الحساب ، يوم الثواب والعقاب.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ أَتَنَّا الْيَقِينَ﴾. أي: حتى أتانا الموت الموقن به. وهو كقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 99].

وفي صحيح البخاري من حديث أم العلاء مرفوعاً: [أما هو - يعني عثمان بن مظعون - فقد جاءه اليقين من ربه]⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾. قال النسفي: (من الملائكة والنبیین والصالحين ، لأنها للمؤمنين دون الكافرين. وفيه دليل ثبوت الشفاعة للمؤمنين).

وفي سنن ابن ماجة بإسناد صحيح عن عبد الله بن قيس قال: كنت عند أبي بردة ذات ليلة. فدخل علينا الحارث بن أقيش. فحدثنا الحارث ليلتئذ ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: [إنَّ من أمتي مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِهِ أَكْثَرُ مِنْ مُضَرٍ. وَإِنَّ مِنْ أمتي مَنْ يَعْظُمُ لِلنَّارِ حَتَّىٰ يَكُونَ أَحَدَ زَوَايَاهَا]⁽²⁾.

وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ مُعْرِضِينَ﴾. قال قتادة: (أي عن هذا القرآن).

أي: فما لهؤلاء المشركين الذين قَبِلَك - يا محمد - لا يستمعون لهذه الذكري من الوحي ، فيعرضون ولا يعتبرون ولا يتعظون !؟

وقوله تعالى: ﴿كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾. أي فهم يُؤَلَّوْنَ تولية الحمر لفرارها من الصيد. قال ابن عباس: (أراد الحمر الوحشية). وقرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء ، أي مُنْفَرَةٌ مذعورة. والباقون بالكسر ، أي نافرة. وهما قراءتان مشهورتان.

وقوله تعالى: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾. أي نفرت وهربت من رُماة يرمونها ، أو من أسد يريد اقتراسها. قال ابن عباس: ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ قال: الرماة. أو قال: (رجال القنص). وقال زيد بن أسلم: (هو الأسد). وقال حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن ماهك ، عن ابن عباس: (الأسد بالعربية ، ويقال له بالحبشية قَسْوَرَةٌ ، وبالفارسية شِيرٌ ، وبالنبطية أوياء).

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (3929) من حديث أم العلاء ، وله قصة. واليقين: الموت.

(2) حديث صحيح. أخرجه ابن ماجة (4323) ، كتاب الزهد. باب صفة النار. وانظر صحيح سنن ابن ماجة (3490). والحديث فيه إثبات الشفاعة للمؤمنين.

والمقصود: كان هؤلاء المشركين في نفارهم عن الحق وإعراضهم عنه كحمر الوحش وهي تشتد هاربة من الأسد أو الرماة يريدون صيدها.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾. أي: كتباً مفتوحة موجهة إليهم من رب العالمين ، يقال لهم فيها: إني قد أرسلت إليكم محمداً ﷺ فاتبعوه.

قال مجاهد: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾ قال: إلى فلان من رب العالمين).

وقال قتادة: (قد قال قائلون من الناس: يا محمد إن سرّك أن نتبعك فائتنا بكتاب خاصة إلى فلان وفلان ، نؤمر فيه باتباعك. قال قتادة: يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل). أو المعنى: يريد كل واحد منهم أن ينزل عليه كتاب كما أنزل على النبي ﷺ ، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ مَائِدَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: 124]. وكقوله تعالى: ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقَيْبِكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُكُمْ﴾ [الإسراء: 93].

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾. قال قتادة: (إنما أفسدهم أنهم كانوا لا يصدقون بالآخرة ، ولا يخافونها ، هو الذي أفسدهم). قال القاسمي: ﴿كَلَّا﴾ أي لا يكون مرادهم ، ولا يتبع الحق أهواءهم. أو ليس إرادتهم تلك للرجعة في الإيمان ، فقد جاءهم ما يكفيهم عن اقتراح غيره ، وإنما هم مردة الداء ، ولذا قال: ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي لا يؤمنون بالبعث والجزاء ، ولا يخشون العقاب ، لإيثارهم العاجلة).

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. قال قتادة: (أي القرآن). أي حقاً إن القرآن تذكرة وعظة.

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾. أي: فمن شاء اتعظ وعمل بما فيه من أمر الله ونهيه ، واستعد للقاء ربه.

وقوله: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾. ترويحٌ لقلب النبي ﷺ مما كان يخامرهُ من إعراضهم ، وتسليّة له عما يلقاه من كبرهم وعنادهم وهو يحرص على إيمانهم.

والمعنى: ليس يقدرّون على الاتعاظ والتذكير إلا بمشيئة الله لهم. وهو كقوله سبحانه: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: 30].

وقوله: ﴿هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ﴾. قال قتادة: (ربنا محقوق أن تتقى محارمه ،

وهو أهل المغفرة يغفر الذنوب). أو قال: (أهل أن تتقى محارمه ، وأهل المغفرة: أهل أن يغفر الذنوب).

والمقصود: الله تعالى أهل أن يُخاف منه ، وهو أهل أن يغفر ذنوب من تاب إليه وأناب.

تم تفسير سورة المدثر

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

عصر الخميس 1 / ذي القعدة / 1426 هـ

الموافق 1 / كانون الأول / 2005 م



دروس ونتائج وأحكام

- 1- نزول المدثر لم يكن أول القرآن ، إنما كان بعد فترة الوحي .
- 2- اشتمال سورة المدثر على منهاج الإسلام : تعظيم الرب ، وتطهير القلب والثياب ، وهجر المعصية ، والصبر على الأذى .
- 3- أثر الصاحب السَّيِّ في حياة ومصير صاحبه ، فقد كاد الوليد بن المغيرة أن يسلم لولا مكر أبي جهل به لعهما الله .
- 4- ذكر عدد ملائكة النار ليستيقن أهل الكتاب بصدق رسالة محمد ﷺ .
- 5- اليقين الموت ، وليس المعرفة كما يدعي أهل الحلول والاتحاد ووحدة الوجود .



75



وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (40) .

قال المهايمي : (سميت به لتضمنها غاية تعظيم ذلك اليوم ، من لا يتناهى ثوابه وعقابه ، بحيث تتحسّر فيه كل نفس من تقصيرها ، وإن عملت ما عملت) .

موضوع السورة

أحوال الناس عند الاحتضار
وأحوال القيامة والحساب والانتظار

- منهاج السورة -

- 1 - إثبات الله تعالى المعاد ، وتأکید بعث الأجساد .
- 2 - ذكر أحوال القيامة قبل الحساب ، ومعرفة الإنسان بنفسه واستحقاقه الثواب أو العقاب .
- 3 - تكفّل الله تعالى تثبيت القرآن في قلب نبيه عليه الصلاة والسلام ، والناس في لهو وغفلة عن هول يوم الزحام .
- 4 - الوجوه يوم القيامة إما ناضرة وهي وجوه المؤمنين ، أو باسرة وهي وجوه الكافرين .
- 5 - الإخبار عن حالة الإنسان عند الاحتضار ، وما يرافق ذلك من تقلب الأحوال ، وإلى الله المرجع في النهاية والمآل .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 15. قوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۖ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۖ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامُهُ ۚ بَلَىٰ قَدْ رَيْنَ عَلَىٰ أَنْ سُؤْيَ بَنَانُهُ ۚ بَلْ يَرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۚ يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ۚ فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ ۚ وَحَسَفَ الْقَمَرُ ۚ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَتَى الْمَفْرَ ۚ كَلَّا لَا وَزَرَ ۚ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۚ يُبْنُوا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ مِمَّا قَدَّمْ وَأَخَّرَ ۚ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۚ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِرُهُ ۚ﴾.

في هذه الآيات: إثبات الله تعالى المعاد ، وتأکید بعث الأجساد ، وذِكْرُ أهوال القيامة قبل الحساب ، ومعرفة الإنسان بنفسه وأعماله واستحقاقه الثواب أو العقاب .
فقوله: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾. قيل: ﴿لَا﴾ صلة ، وقيل: ﴿لَا﴾ تأكيد للكلام:
أ - قال سعيد بن جبیر: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ قال: أقسم بيوم القيامة).
ب - قال أبو بكر بن عیاش: (قوله ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ تأكيد للقسم ، كقوله لا والله).

والمقصود: إثبات المعاد ، والردّ على منكري بعث الأجساد.

وقوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾. قال الحسن: (أقسم بيوم القيامة ، ولم يقسم بالنفس اللوامة). وقال قتادة: (بل أقسم بهما جميعاً). قلت: والصحيح أنه أقسم بهما تعالى جميعاً ، وهو اختيار شيخ المفسرين الإمام ابن جرير رحمه الله .

وعن سعيد بن جبیر: ﴿لَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ قال: تلوم على الخير والشر). وقال مجاهد: (تندّم على ما فات وتلوم عليه). وقال الحسن البصري: (إن المؤمن - والله - ما نراه إلا يلوّم نفسه: ما أردت بكلمتي؟ وما أردت بأكلتي؟ ما أردت بحديث نفسي؟ وإن الفاجر يمضي قدماً ما يعاتب نفسه).

قال القاشاني: (جمع بين القيامة والنفس اللوامة ، في القسم بهما ، تعظيماً لشأنهما ، وتناسباً بينهما . إذ النفس اللوامة ، هي المصدقة بها ، المقرّة بوقوعها ، المهيتة لأسبابها ، لأنها تلوم نفسها أبداً في التقصير ، والتقاعد عن الخيرات ، وإن أحسنت ، لحرصها على الزيادة في الخير ، وأعمال البر ، تيقناً بالجزاء ، فكيف بها إن أخطأت وفرطت وبدرت منها بادرة غفلة ونسيان).

وقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ . قال ابن جرير: (يقول تعالى ذكره: أَيُظُنُّ ابن آدم أن لن نقدر على جمع عظامه بعد تفرّقها ؟).

وقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ﴾ . البنان: الأصابع ، واحداها بنانة . أي: بلَى قادرين على ما هو أعظم من ذلك: أن نسوي أصابع يديه ورجليه لتصبح شيئاً واحداً كخفّ البعير أو حافر الحمار ، فإذا هو يأكل فيه كسائر البهائم . قال ابن عباس: ﴿بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ﴾ قال: لو شاء لجعله خفاً أو حافراً . وقال الحسن: (جعلها يداً ، وجعلها أصابع يقبضهنّ ويبسطهنّ ، ولو شاء لجمعهنّ ، فاتقيت الأرض بفيك ، ولكن سواك خلقاً حسناً).

و﴿قَدَرِينَ﴾ حال من الفاعل المضمر في الفعل المحذوف . قال سيبويه: (على معنى نجمعها قادرين). وقيل: بل المعنى نقدر قادرين ، أو نقوى قادرين - حكاة الفراء .

وقوله تعالى: ﴿بَلْ يُبْذَرُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرُ أُمَامَهُ﴾ . فيه أقوال متقاربة:

1 - قال ابن عباس: (يعني الأمل ، يقول الإنسان: أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة . ويقال: هو الكفر بالحق بين يدي القيامة). وقال: ﴿لِيَفْجَرُ أُمَامَهُ﴾ قال: يمضي قدماً . وقال سعيد بن جبیر: ﴿لِيَفْجَرُ أُمَامَهُ﴾ قال: سوف أتوب).

2 - وقال عبد الرحمن بن زيد: (يعني الكافر يكذب بما أمامه من البعث والحساب).

3 - وقال مجاهد: ﴿لِيَفْجَرُ أُمَامَهُ﴾: يمضي أمامه ركباً رأسه). وقال الحسن: (لا تلقى ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قدماً قدماً ، إلا من قد عصم الله). وقال: (قدماً في المعاصي). وقال عكرمة: (قدماً لا ينزع عن فجور).

4 - وقال الضحاك: (هو الأمل ، يؤمل الإنسان: أعيش وأصيب من الدنيا كذا ، وأصيب كذا ، ولا يذكر الموت).

وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. أي يسأل: متى يوم القيامة؟ سؤال استبعاد واستهزاء، أو تسويفاً منه للتوبة.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾. قال ابن عباس ومجاهد: (هذا عند الموت).

وقال الحسن: (هذا يوم القيامة). وقرأ نافع وأبان عن عاصم: «بَرَقَ» والمعنى: لمع البصر من شدة شخوصه، فتراه لا يطرف. وقرأ الباقر بالكسر «بَرَقَ» والمعنى: تحير فلم يطرف. قال الفراء والخليل: (بَرَقَ: فرغ وبُهِتَ وتحير).

قلت: والمقصود تنبيه المستبعد للقيامة إلى معالم حدوثها: إنه انبهار الأبصار ولمعها وتحيرها من شدة الشخوص للموت أو للبعث.

وقوله تعالى: ﴿وَحُفَّتِ السَّمَاءُ﴾. قال قتادة: (ذهب ضوؤه فلا ضوء له).

والمقصود: ذهب ضوؤه كله ولا يعود كما يعود إذا خسف في الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾. قال مجاهد: (كُوراً يوم القيامة).

والمقصود: ذهب ضوؤهما جميعاً، فتجمع الشمس والقمر فلا يكون هناك تعاقب ليل ونهار.

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَقَرُّ﴾. قال ابن كثير: (أي: إذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيامة حينئذ يريد أن يفتر ويقول: أين المَقَرُّ؟ أي: هل من ملجأ أو موئل؟).

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾. قال ابن عباس: (يقول: لا حرز). وقال أيضاً: (يعني: لا حصن، ولا ملجأ). وقال الحسن: (يقول: لا جبل). والوزر في لغة العرب: ما يلجأ إليه من حصن أو جبل أو غيرهما. قال السدي: (كانوا في الدنيا إذا فزعوا تحصنوا في الجبال، فقال الله لهم: لا وزر يعصمكم يومئذ مني).

والمقصود: ليس يومئذ فرار ينفع صاحبه، ولا شيء يلجأ إليه من حصن ولا جبل ولا معقل.

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾. قال قتادة: (أي المنتهى).

والمقصود: إلى ربك أيها الإنسان يومئذ المرجع والمنتهى والاستقرار، وهو الذي يقر جميع خلقه مقرهم.

وقوله تعالى: ﴿يُبْنِئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ مِمَّا قَدَّمَ وَآخَرَ﴾. قال ابن عباس: (يقول: ما عمل قبل

موته ، وما سنّ فعل به بعد موته). وقال أيضاً: (يقول: بما قدّم من المعصية ، وآخر من الطاعة ، فنبأ بذلك). وقال مجاهد: (بأول عمله وآخره).

وقال قتادة: ﴿يُبَوِّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ﴾ من طاعة الله ﴿وَأَخَّرَ﴾ مما ضيّع من حق الله). أو قال: (بما قدّم من طاعته ، وآخر من حقوق الله).

والمقصود: يخبّر العبد يومئذ بجميع أعماله قديمها وحديثها ، أولها وآخرها ، صغيرها وكبيرها ، مقطوعها ومستمرها ، كما قال سبحانه: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: 49].

وقوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۖ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ﴾.

أي: بل الإنسان يعرف ما هو عليه من إيمان أو كفر ، وطاعة أو معصية ، واستقامة أو اعوجاج ، ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم ينفعه ذلك ، فعليه من يكذب عذره ، وجوارحه ستكون عليه شاهدة يوم الحساب .

فعن ابن عباس: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ يقول: الإنسان شاهد على نفسه وحده). وقال قتادة: (شاهد عليها بعملها). وقال سعيد بن جبير: (شاهد على نفسه ولو اعتذر). وعن مجاهد: (قوله: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ﴾ قال: ولو جادل عنها ، فهو بصير عليها). وقال السدي: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ﴾ ولو أرخى الستور ، وأغلق الأبواب). وقال الحسن: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ﴾ لم تقبل معاذيره).

وفي التنزيل:

1- قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: 14].

2- وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: 24].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: [ثم يلقي الثالث فيقول له مثل ذلك⁽¹⁾ ، فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك ، وصليت وصُمتُ وتصدّقتُ ، ويُنّني بخير ما استطاع ، قال: فيقول: ها هنا إذن. قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهداً عليك ، ويتفكّر في نفسه من ذا الذي يشهد عليّ؟ فيختم على فيه ، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي ، فتنتطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله ، وذلك ليُعذر من نفسه ،

(1) أي يسأله الله كما سأل رجلين قبله: «ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذكرك ترأس وتربع؟» وكانا أقراً بذلك وأنكرا البعث ولقاء الله. فقال لكل منهما: اليوم أنساك كما نسيتني.

وذلك المنافق ، وذلك الذي يَسْخَطُ الله عليه⁽¹⁾.

16 - 25. قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ^(١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ^(١٧) فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحَ قُرْآنُهُ ^(١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ^(١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ^(٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ^(٢١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ^(٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ^(٢٣) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرٍ ^(٢٤) تَطُنُّ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ^(٢٥).

في هذه الآيات: تكفلُ الله تعالى تثبيت القرآن في قلب نبيه عليه الصلاة والسلام ، والناس في لهو وغفلة عن يوم الزحام ، والوجوه يومئذ إما ناضرة وهي وجوه المؤمنين ، أو باسرة وهي وجوه الكافرين .

فقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ . قال سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس: (أن النبي ﷺ كان إذا نزل عليه القرآن تعجل يريد حفظه). قال سعيد: (يحرك شفثيه ليحفظه). وقال ابن عباس: (كان يحرك به لسانه وشفثيه ، فيشتد عليه ، فكان يعرف ذلك فيه). وقال قتادة: (كان النبي ﷺ يحرك به لسانه مخافة النسيان ، فأنزل الله ما تسمع). وقال الحسن: (كان رسول الله ﷺ يحرك به لسانه ليستذكره ، فقال الله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ إنا سنحفظه عليك).

وفي الصحيحين والمسند وجامع الترمذي عن سعيد بن جبیر: [عن ابن عباس ، في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة ، وكان مما يحرك شفثيه ، فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله ﷺ يحركهما. وقال سعيد: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما ، فحرك شفثيه ، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ^(١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ^(١٧). قال: جَمَعَهُ في صدرك ثم تقرأه. ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَنبَحَ قُرْآنُهُ﴾. قال: فاستمع وأنصت. ثم إن علينا أن تقرأه ، قال: فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع ، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما أقرأه⁽²⁾.

(1) حديث صحيح. أخرجه مسلم (216/8) ، كتاب التوبة وقبولها وسعة رحمة الله وغير ذلك. باب: تقرير النعم يوم القيامة على الكافر والمنافق. وانظر مختصر صحيح مسلم (1932).

(2) حديث صحيح. أخرجه البخاري (4927) ، (5044) ، (7524) ، ومسلم (147/448) ، وأحمد (343/1) وإسناده على شرطهما. ورواه الترمذي (3329) ، والنسائي في «التفسير» (654).

وروى البخاري في كتاب التفسير من صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: [كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي حَرَكَ به لسانه يُريد أن يحفظه ، فَأَنْزَلَ الله: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾⁽¹⁾ . وفي رواية: [فَقِيلَ لَهُ: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ ﴾ - يخشى أن يتفلت منه].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ . قال البخاري: قال ابن عباس: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ ﴾: أن نجْمعَه في صدرك ﴿ وَقُرْآنَهُ ﴾ أن تَقْرَاهُ⁽²⁾ .
وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصِتْ لَهُ قُرْآنَهُ ﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ . قال ابن عباس: ﴿ قَرَأْتَهُ ﴾: بَيَّناه . ﴿ فَانصِتْ لَهُ ﴾: اعمل به . ذكره البخاري في «كتاب التفسير» عند هذه الآية أول الباب .

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانصِتْ لَهُ قُرْآنَهُ ﴾: فإذا أنزلناه فاستمع ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ علينا أن نبينه بلسانك . قال: فكان إذا أتاه جبريل أطرق ، فإذا ذهب قرأه كما وعد الله⁽³⁾ .

وقوله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴾ . قال قتادة: (اختار أكثر الناس العاجلة ، إلا من رحم الله وعصم) . قال النسفي: ﴿ كَلَّا ﴾ ردع عن إنكار البعث أو ردع لرسول الله ﷺ عن العجلة وإنكار لها عليه ، وأكده بقوله: ﴿ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ كأنه قيل: بل أنتم يا بني آدم لأنكم خلقتُم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ، ومن ثم تحبون العاجلة الدنيا وشهواتها ﴿ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴾ الدار الآخرة ونعيمها فلا تعملون لها) .

وقوله تعالى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ . أي: ناعمة غضة حسنة مشرقة . قال مجاهد: (مسرورة) . وقال: (الوجوه الحسنة . نضرة الوجوه: حُسْنُهَا . من السرور والنعيم والغبطة) .

وقال ابن زيد: (الناضرة: الناعمة) . قلت: والنَّضْرَةُ في لغة العرب: الحُسْنُ والِرَّوْتَقُ .

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري في الصحيح (4927) ، كتاب التفسير ، سورة القيامة (آية: 16) . وانظر كذلك الحديث (4928) - عند الآية (17) .

(2) حديث صحيح . أخرجه البخاري في الصحيح (4928) ، كتاب التفسير ، عند هذه الآية .

(3) حديث صحيح . أخرجه البخاري في الصحيح (4929) ، كتاب التفسير ، في ختام حديث في تفسير هذه الآيات من سورة القيامة: (16 - 19) . وانظر مسند أحمد (1/ 343) نحوه .

وفي الحديث: [نَصَرَ الله امرأ سمع مقالتي فوعاها]: أي دعاء لوجهه بالنضارة. أي: نَعْمَةٌ وَحَسَنَةٌ وزاده نوراً وإشراقاً وبهاءً وجمالاً.

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: تنظر إلى ربها نظراً. قاله عكرمة. وكان الحسن يقول: (نضرت وجوههم ونظروا إلى ربهم). والآية في إثبات رؤية المؤمنين لله عز وجل يوم القيامة ، وأما الكفار فيحرمهم ربهم من هذه النعمة العظيمة فلا يبصرون إلا ما يخزيهم.

وفي التنزيل نحو ذلك:

1 - قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوءُونَ﴾ [المطففين: 15].

قال الحاكم: حدثنا الأصم حدثنا الربيع بن سليمان قال: [حضرت محمد بن إدريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوءُونَ﴾؟ فقال الشافعي: لما أن حُجِبَ هؤلاء في السخط ، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى]. وفي رواية: (ما حجب الفجار إلا وقد عَلِمَ أن الأبرار يرونه عز وجل).

2 - وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: 26]. فالحسنى هي الجنة ، والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم.

ففي صحيح مسلم عن صهيب ، عن النبي ﷺ قال: [إذا دخل أهل الجنة الجنة ، يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار! قال: فيرفعُ الحجاب فينظرون إلى وجه الله ، فما أعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم ، ثم تلا: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾⁽¹⁾.

ومن كنوز السنة الصحيحة في مفهوم هذه الآية كذلك أحاديث:

الحديث الأول: أخرج البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: [إنكم سترون ربكم عياناً. وفي رواية: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ، ثم قرأ:

﴿وَسَيَحْمَدُ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: 39] (1).

الحديث الثاني: أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: [أَنَّ أَنَسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ. هَلْ تَضَارُونَ فِي رُؤْيَا الشَّمْسِ بِالظَّهْرِ صَحْوَاً لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تَضَارُونَ فِي رُؤْيَا الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوَاً لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: مَا تَضَارُونَ فِي رُؤْيَا اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تَضَارُونَ فِي رُؤْيَا أَحَدَهُمَا..] الحديث (2).

الحديث الثالث: أخرج أحمد والشيخان من حديث أبي موسى الأشعري، عن النبي ﷺ قال: [جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم جلّ وعزّ إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن] (3).

وفي أفراد مسلم، عن جابر في حديثه: [إِنَّ اللَّهَ يَتَجَلَّى لِلْمُؤْمِنِينَ يَضْحَكُ] (4).

يعني في عرصات القيامة. فالمؤمنون ينظرون إلى ربهم عز وجل في العرصات، ثم في روضات الجنات.

وقوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾. قال مجاهد: (كاشرة). وقال قتادة: (أي كالحة). وقال ابن زيد: (عابسة). وقال السدي: (تُغَيَّرُ ألوانها).

وفي كلام العرب: بَسَرَ الرجل وجهه، أي: كَلَحَ، ويقال: عَبَسَ وَبَسَرَ.

والمقصود: تكون وجوه الفجار يوم القيامة مسودة كالحة متغيرة الألوان من هول ما توقن أنها قادمة عليه.

وقوله تعالى: ﴿تَنْظُرُونَ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقَةٌ﴾. الفاقرة: الداهية والأمر العظيم. أي: توقن

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (554)، كتاب مواقيت الصلاة، وأخرجه كذلك (4851)، (7434)، وأخرجه مسلم (633)، وأبو داود (4729)، والترمذي (2551)، وابن ماجه (177)، ورواه أحمد (360/4)، وكذلك ابن حبان (7442).

(2) حديث صحيح. أخرجه البخاري (7437)، وأخرجه مسلم (182). وأخرجه أحمد (293/2 - 294)، وأخرجه ابن حبان (7429) من حديث أبي هريرة.

(3) حديث صحيح. أخرجه البخاري (4878)، (4880)، ومسلم (180)، وأحمد (411/4).

(4) حديث صحيح. أخرجه مسلم (191) في أثناء حديث مطول. وانظر تفصيل البحث في كتابي: «أصل الدين والإيمان» - رؤية الله يوم القيامة - بحث (10) ص (206).

وتعلم أنها هالكة خاسرة ، وفي الداهية والشر العظيم مقحمة ماضية .

قال مجاهد : ﴿ تَنْظُرُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ قال : داهية) . وقال قتادة : (أي شر) .

وقال ابن زيد : (تنظر أنه ستدخل النار ، قال : تلك الفاقة ، وأصل الفاقة : الوسم الذي يفقر به على الأنف) . وقال الأصمعي : (أصلها الوسم على أنف البعير بحديدة أو نار حتى يخلص إلى العظم) . فنعوذ بالله من حال ومستقبل الكفار والفجار .

وفي التنزيل نحو ذلك :

1 - وقال تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۖ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۖ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَٰبِرَةٌ ۖ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ [عبس : 38 - 42] .

2 - وقال تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۚ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۖ تَصَلَّىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ - إلى قوله - : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۚ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۖ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ [الغاشية : 2 - 10] .

3 - وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران : 106] .

قال ابن عباس : (تبيض وجوه أهل السنة والجماعة ، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة) .

26 - 40 . قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ۖ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۖ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ۖ

وَاللَّفَتِ الْسَاقُ بِالْسَاقِ ۖ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ۖ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ ۖ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۖ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ۖ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۖ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۖ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ۖ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُعْنَىٰ ۖ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۖ فَعَلَّ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۖ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۖ ﴾ .

في هذه الآيات : إخبار الله سبحانه عن حالة الاحتضار ، وما يرافق ذلك من الأحوال والأهوال ، والمرجع إلى الله سبحانه والمعاد والمآل .

فقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ . كَلَّا : رَدُّعٌ وَزَجْرٌ . قال ابن جرير : (يقول تعالى ذكره : ليس الأمر كما يظن هؤلاء المشركون من أنهم لا يعاقبون على شركهم ومعصيتهم ربهم ، بل إذا بلغت نفس أحدهم التراقي عند مماته وحشرج بها) .

وقال ابن زيد : ﴿ التَّرَاقِيَ ﴾ : نفسه) . قال القرطبي : (وقيل : ﴿ كَلَّا ﴾ معناه حقاً ، أي

حقاً أن المساق لله ﴿إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ أَهْلَ الْتَرَاقِي﴾ أي إذا ارتقت النفس إلى التراقي).

والترقي: جمع تَرْقُوة ، وهي العظام المكتنفة لِئُفْرِة النَّحْرِ - بين ثُغرة النحر والعاتق - ، وهو مقدّم الحلق من أعلى الصدر ، موضع الحَشْرَجَة . وقد يكنى عن الإشفاء على الموت ببلوغ النفس التراقي ، والمقصود: تذكيرهم شدة الحال عند نزول الموت .

وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ . - هو على وجه الاستبعاد واليأس - قال ابن عباس: (أي: هل من راق يرقى). وقال أبو قلابة: (هل من طبيب شاف). وقال ابن زيد: (وقال أهله: من ذا يرقيه ليشفيه مما قد نزل به ؟ وطلبوا له الأطباء والمداوين ، فلم يغنوا عنه من أمر الله الذي قد نزل به شيئاً).

وقيل: بل المعنى: من رَقِيَ يَرْقَى ، إذا صَعِدَ . قال أبو الجوزاء ، عن ابن عباس: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ قال قيل: مَنْ يَرْقَى بروجِه ، ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؟).

وعلى هذا فإنه يكون من كلام الملائكة . وكلا المعنيين وارد منسجم مع السياق والإعجاز .

وقد أظهر عاصم وقوم النون في قوله تعالى: ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ واللام في قوله: ﴿بَلْ رَانَ﴾ [المطففين: 14] لثلاث يشبه مَرَّاق وهو بائع المَرْقَة ، وَبَرَّان في ثنية البر . قال القرطبي: (والصحيح ترك الإظهار ، وكسرة القاف في ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ وفتحة النون في ﴿بَلْ رَانَ﴾ تكفي في زوال اللبس).

قلت: وكلام القرطبي مناسب في هذا المقام ، لثلاث يفهم قوم وجوب مثل هذا الوقف .

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَنَّهُ الْفَرَّاقُ﴾ . أي: وأيقن الإنسان حين عاين الملائكة أنه مفارق الدنيا والأهل والمال والولد .

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ . فيه أقوال متقاربة ومتكاملة:

1 - قال ابن عباس: (التفت عليه الدنيا والآخرة . يقول: آخر يوم من أيام الدنيا ، وأول يوم من أيام الآخرة ، فتلتقي الشدة بالشدة إلا من رحم الله).

2 - وقال عكرمة: ﴿وَاللَّفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ : الأمر العظيم بالأمر العظيم).

وقال مجاهد: (بلاء ببلاء . يقول: تتابعت عليه الشدائد). قال الضحاك: (اجتمع

عليه أمران: الناس يجهزون جسده ، والملائكة يجهزون روحه).

3- وقال الشعبي: (المعنى التفت ساقا الإنسان عند الموت من شدة الكرب). وقال قتادة: (أما رأيته إذا أشرف على الموت يضرب إحدى رجله على الأخرى).

4- وقال سعيد بن المسيب والحسن: (هما ساقا الإنسان إذا التفتا في الكفن). وقال زيد بن أسلم: (التفت ساق الكفن بساق الميت). وقال الحسن أيضاً: (ماتت رجلاه ويبست ساقاه فلم تحملاه ، ولقد كان عليهما جوالاً).

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾. أي المرجع والمآب. والمساق: المصدر من ساق يسوق ، وذلك أن الملائكة ترفع الروح فتسوقها عبر السماوات إلى السماء التي فيها الله تعالى. - هذا إن كان الميت من أهل الإيمان -. وأما الكافر أو الفاجر فتساق روحه إلى السماء الدنيا فقط ولا يفتح لها ثم يقول الله تعالى في الحالتين: [أعيدوا عبدي إلى الأرض ، فأني وعدتهم أنني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى] الحديث⁽¹⁾.

وفي التنزيل نحو ذلك: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: 61 - 62].

وفي سنن ابن ماجه - في احتضار الكافر - من حديث أبي هريرة مرفوعاً:

[فيقال: لا مَرَجاً بالنفس الخبيثة ، كانت في الجسد الخبيث. ارجعي ذميمة ، فإنها لا تُفْتَحُ لك أبواب السماء ، فيُرْسَلُ بها من السماء ، ثم تصيرُ إلى القبر]⁽²⁾.

وأخرج الحاكم وابن ماجه وابن أبي عاصم بإسناد رجاله ثقات عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي ﷺ قال: [إذا كان أجل أحدكم بأرض ، أُوْبِنَتْ إليها الحاجة. (وفي رواية: أثبت الله له إليها حاجة) فإذا بلغ أقصى أثره ، قبضه الله سبحانه. فنقول الأرض يوم القيامة: رب ! هذا ما استودعني]⁽³⁾.

(1) حديث صحيح. وهو جزء من حديث طويل. أخرجه أحمد (288/4) ، وأبو داود (281/2) ،

والحاكم (37/1 - 40) ، والنسائي (282/1) مختصراً ، من حديث البراء.

(2) حديث صحيح. أخرجه ابن ماجه في السنن (4262) ، كتاب الزهد. باب ذكر الموت والاستعداد له. وإسناده صحيح. انظر صحيح سنن ابن ماجه (3437).

(3) حديث صحيح. أخرجه ابن ماجه (566/2) ، والحاكم (41/1 - 42) ، وابن أبي عاصم في =

وقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ۖ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾. إخبار عن الكافر كان في الدنيا مكذباً بالحق معرضاً عن الإيمان والعمل الصالح. قال قتادة: (لا صدق بكتاب الله ولا صلى لله) ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ كذب بكتاب الله ، وتولى عن طاعة الله).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمُطُّ﴾. قال ابن عباس: (يختال). وقال زيد بن أسلم: (يتبخر).

قال النسفي: (وأصله يتمط أي يتمدد ، لأن المتبخر يمرد خطاه ، فأبدلت الطاء ياء لاجتماع ثلاثة أحرف متماثلة).

والمقصود: ثم انصرف إلى أهله مختلاً يتبخر ، فهو يتمطط - يتمدد - من التكتل والتثاقل عن داعي الحق.

وفي جامع الترمذي ودلائل البيهقي بسند حسن عن ابن عمر مرفوعاً: [إذا مشت أمتي المَطيَّاء وخدمتهم فارس والروم كان بأسهم بينهم]⁽¹⁾.

والمُطيَّاء: التبخر ومدّ اليدين في المشي. قال ابن الأثير: (وهي من المصغرات التي لم يُستعمل لها مكبر).

وقوله تعالى: ﴿أَوَّلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ۖ ثُمَّ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾. تهديد بعد تهديد ، ووعيد بعد وعيد ، لذلك الكافر المتبخر.

أخرج النسائي في «التفسير» ، والطبراني في «المعجم» والحاكم في «المستدرک» بإسناد صحيح عن سعيد بن جبیر قال: [قلت لابن عباس: ﴿أَوَّلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾ ثُمَّ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ قال: قاله رسول الله ﷺ لأبي جهل ، ثم أنزله الله عز وجل]⁽²⁾.

- = «السنة» (346) ، والطبراني في «الكبير» (1/76/3). وقال البوصيري في «الزوائد» (ق 2/263): «هذا إسناد صحيح ، رجاله ثقات». وانظر «الصحيحة» (1222).
- (1) حديث حسن في الشواهد. أخرجه الترمذي في السنن - حديث رقم - (2261) ، والبيهقي في «الدلائل» (525/6) ، والبغوي (4200) من حديث ابن عمر. وأخرجه ابن المبارك في الزهد من رواية نعيم بن حماد برقم (187) ، وكذلك ابن عدي (335/6).
- (2) حديث صحيح. أخرجه النسائي في «التفسير» (658) ، والطبراني (12298) ، والحاكم (510/2) وصححه. ووافقه الذهبي. وانظر: «الصحيح المسند من أسباب النزول» - الوادعي - سورة القيامة. آية (34 - 35). وله شواهد.

و ﴿أَوَّلًا لَكَ﴾ بمعنى 'ويل لك' (1)، وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره ولاء متكرراً مضاعفاً ، فَكُرِّرَ للتأكيد . كأنه قيل : ويل لك فويل لك ، ثم ويل لك فويل لك .

وقيل : ويل لك يوم الموت ، وويل لك في القبر ، وويل لك حين البعث ، وويل لك في النار . حكاة النسفي .

وقيل : المعنى بُعْداً لك . فبعداً في أمر دنيائك ، وبعداً لك فبعداً في أمر أخراك - حكاة الرازي عن القاضي . ثم قال : قال القفال : (هذا يحتمل وجوهاً : أحدها - أنه وعيد مبتدأ من الله للكافر .

والثاني : أنه شيء قاله النبي ﷺ لعدوه - يعني أبا جهل - فاستنكره عدو الله لعزته عند نفسه ، فأنزل الله تعالى مثل ذلك .

والثالث : أن يكون ذلك أمراً من الله لنبيه بأن يقولها لعدو الله ، فيكون المعنى : ثم ذهب إلى أهله يتمطى ، فقل له يا محمد : أولى لك فأولى ، أي احذر ، فقد قرب منك ما لا قبل لك به من المكروه) .

وقيل : الأحسن أنه أفعل تفضيل خبر لمبتدأ يقدر كما يليق بمقامه . فالتقدير هنا : النار أولى لك . يعني : أنت أحق بها ، وأهل لها - حكاة الزمخشري .

قلت : وكل ما سبق من وجوه الإعجاز البلاغي الذي يظهر وجوه الإعجاز القرآني ، والله تعالى أعلم .

وقوله تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ . قال ابن عباس : (يقول : هملاً) .

وقال مجاهد : (لا يؤمر ، ولا يُنهى) . وقال السدي : (يعني لا يبعث) .

وقال ابن كثير : (والظاهر أن الآية تعمّ الحالين ، أي : ليس يترك في هذه الدنيا مُهْمَلًا لا يؤمر ولا يُنهى ، ولا يُترك في قبره سُدًى لا يُبعث ، بل هو مأمورٌ منهى في الدنيا ، محشورٌ إلى الله في الدار الآخرة . والمقصود هنا إثبات المعاد ، والردّ على من أنكره من أهل الزَّيغ والجهل والعناد) .

(1) قال الشهاب : (هو محصل معناه المراد منه ، فإنه مثله ، فيرد للدعاء عليه ، أو للتهديد والوعيد) . وعن الأصمعي : (أنها تكون للتحسر على أمر فات) . وقيل : (أولى : اسم وزنه «أفعل» من الويل . وقيل بل هو فعل ماضٍ دعائي من (الولي) واللام مزيدة . أي أولاك الله ما تكرهه . أو غير مزيدة ، أي أدنى الهلاك لك) .

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُتَمَّى﴾. استدلال على الإعادة بالبداة.

أي: ألم يكن الإنسان ماء مهيناً في قطرة تمنى في الرحم. والنطفة: الماء القليل، من نطف الماء: إذا قطر. و﴿يُتَمَّى﴾ أي يراق من الأصلاب فيصب في الأرحام.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى﴾. أي: ثم كان دماً بعد النطفة فقَدَّر الرحمن الخلق فسواه تسوية، وعدَّله تعديلاً، بجعل الروح فيه، فجعله ناطقاً سميعاً بصيراً.

وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾. قال ابن جرير: (يقول تعالى ذكره: فجعل من هذا الإنسان بعد ما سواه خلقاً سوياً أولاداً له، ذكوراً وإناثاً).

وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾. أي: أليس الذي أنشأ هذا الخلق البديع، فبدأ خلق الإنسان من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم صيره إنساناً، له أولاد ذكور وإناث، ﴿يَقْدِرُ﴾ أن يعيد الأجسام بالبعث كما كانت عليه في الدنيا؟ فإن الإعادة أهون من الابتداء.

أخرج أبو داود بسند صحيح عن موسى ابن أبي عائشة قال: [كان رجل يُصَلِّي فوق بيته وكان إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَيَّ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ قال: سبحانك، فبلى، فسألوه عن ذلك فقال: سمعته من رسول الله ﷺ⁽¹⁾.

قال أبو داود: قال أحمد: (يعجبني في الفريضة، أن يدعو بما في القرآن).

تم تفسير سورة القيامة

بعون الله وتوفيقه، وواسع منه وكرمه

غروب شمس يوم السبت 3 / ذي القعدة / 1426 هـ

الموافق 3 / كانون الأول / 2005 م



(1) حديث صحيح. أخرجه أبو داود (884) ورجاله رجال البخاري ومسلم، وجهالة الصحابي لا تضر.

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - «لا» التي تسبق القسم هي نفي لمزاعم الكفار ، ثم يأتي القسم .
- 2 - الذي يخلق يعيد ، ولا مفرّ للمكذب بالبعث من النار .
- 3 - نَضَرَ الله امرأ سمع حديث المصطفى ﷺ فنقله ورواه بأمانة ، فإنه رب مُبْلَغٍ أَوْعَى من سامع ، ورب حامل فقه ليس بفقيه .
- 4 - إن الله تعالى يتجلى للمؤمنين يوم القيامة يضحك .
- 5 - حُقَّ لوجوه المؤمنين أن تنضر وهي تنظر إلى خالقها عز وجل .
- 6 - حُقَّ لوجوه الكفار أن تكون باسرة ، ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّ ﴾ .
- 7 - كان رسول الله ﷺ إذا قرأ : ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ قال : سبحانك ، فبلى .



76



وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (31).

قال البخاري في كتاب الجمعة: حدثنا أبو نعيم ، حدثنا سفيان ، عن سعد بن إبراهيم ، عن عبد الرحمن بن هُرْمُزٍ الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: [كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة: ﴿الْأَنسَ﴾ تَنْزِيلُ ﴿السَّجْدَةِ﴾ ، وَ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾] (1).

موضوع السورة

قصة الإنسان في الدارين

- منهاج السورة -

- 1 - خَلَقَ اللهُ الإنسان من نطفة فجعله سميعاً بصيراً ، وهدهُ لاختيار أحد السبيلين ليكون إما شاكراً وإما كفوراً.
- 2 - نَعَتْ حَال الكافرين في السلاسل والجحيم ، وَنَعَتْ حَال المتقين في جنات النعيم.
- 3 - ذَكَرَ ما في الجنة لأهلها من النعيم والفضل العميم ، وهو تَكْرِمَةٌ لهم من الله العلي الكريم.
- 4 - اَمْتَنانَ الرحمن عز وجل على نبيه الكريم ، بهذا التنزيل العظيم ، ودعوته للاستعانة بالصبر والصلاة على مكر المجرمين ، الذين توعدهم الله سوء العذاب في نار الجحيم.

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري (891) ، ورواه مسلم (880) من حديث سفيان الثوري به .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1- 3. قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝۱ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝۲ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝۳ ﴾ .

في هذه الآيات : خلقُ الله تعالى الإنسان من نطفة فجعله سميعاً بصيراً ، وتوضيح السبيلين له ليختار لنفسه أن يكون شاكراً أو كفوراً .

فقوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝۱ ﴾ .

قال سيبويه : ﴿ هَلْ ﴾ بمعنى (قد) . وقال الفراء : «هل» تكون جحداً ، وتكون خبراً ، فهذا من الخبر) . فهو كما تقول : هل أعطيتك ؟ تُقرّره بأنك أعطيته . والجحد أن تقول : هل يقدر أحد على مثل هذا؟ . وقيل : (هي بمنزلة الاستفهام ، والمعنى أتى) . قلت : هل - في لغة العرب - للاستفهام ، وقد تُصرف مجازاً إلى معاني أخرى ، والأنسب للسياق هنا التقرير . قال الشهاب : (أي الحمل على الإقرار بما دخلت عليه ، والمقرر به من ينكر البعث) .

والمرادُ بالإنسان جنس بني آدم . قال ابن كثير : (يقول تعالى مخبراً عن الإنسان أنه أوجدُه بعد أن لم يكن شيئاً يُذكر ، لحقارته وضعفه) .

وقد علم الله تعالى أن جواب القوم : نعم ، قد مضى دهر طويل لا إنسان فيه . فيقال لهم : فالذي أوجدهم بعد أن لم يكونوا ، كيف يمتنع عليه إحيائهم بعد موتهم؟ حكاة القاسمي .

وقوله : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ .

بيان وتفصيل لبدء ذلك الإيجاد والكون بعد عدم . وقوله : ﴿ أَمْشَاجٍ ﴾ يعني أخلاط ، واحدها مِشْج ومَشِيج . ويقال : مشجْتُ هذا بهذا أي خلطته ، فهو مَمْشُوج

ومشيح ، أي مخلوط وخليط . قال ابن عباس : (ماء المرأة وماء الرجل يمشجان) .
وقال عكرمة : (ماء الرجل وماء المرأة يختلطان) .

وقال الربيع : (الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة) .

وعن قتادة قال : (الأمشاج : اختلط الماء والدم ، ثم كان علقه ، ثم كان مضغة) .

وقال أيضاً : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ﴾ أطوار الخلق ، طوراً نطفة ، وطوراً علقه ، وطوراً مضغة ، وطوراً عظاماً ، ثم كسى الله العظام لحماً ، ثم أنشأه خلقاً آخر ، أنبت له الشعر) .

والمقصود : خلق الله تعالى الإنسان من اختلاط ماء الرجل بماء المرأة ، ثم نقله بعد ذلك من طور إلى طور ، وحال إلى حال ، ولون إلى لون .

وقوله : ﴿ نَبِّئْهِ ﴾ . هو سرّ وغاية الخلق . أي نخبره ونمتحنه ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك : 2] .

وقوله : ﴿ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ . أي : فجعلنا له سمعاً وبصراً يساعده على طاعة الله أو معصيته .

وقوله : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴾ . قال مجاهد : (أي بينا له السبيل إلى الشقاء والسعادة) . وقال عكرمة : (بيننا له طريق الخير وطريق الشر) .

وقال النسفي : (بيننا له طريق الهدى بأدلة العقل والسمع) .

وفي التنزيل نحو ذلك :

1 - قال تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد : 10] .

2 - وقال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ [فصلت : 17] .

3 - وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : 52] .

فهذه الهداية المذكورة في قوله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴾ والآيات السابقة بعدها هداية الدلالة والإرشاد - هداية الرسل وإقامة حجة الله على عباده - وهي المرتبة الثانية من مراتب الهداية كما وردت في الكتاب والسنة . فمراتب الهداية :

أ - الهداية العامة لجميع الخلق لمصالحهم .

ب - هداية الدلالة والإرشاد .

ج - هداية التوفيق والإلهام .

ء - الهداية إلى الجنة يوم القيامة .

وقد فصلت هذا البحث في كتابي : «أصل الدين والإيمان ، عند الصحابة والتابعين لهم بإحسان» ، فله الحمد والمنة .

فهذا السبيل هنا هي بيان طريق النجاة والسعادة في الدارين ، وقد قام بذلك الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على أكمل وجه .

ففي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو ، عن النبي ﷺ قال : [إنه لم يكن نبياً قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم ...] الحديث (1) .

وقوله : ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ . قال قتادة : (إما شاكرًا للنعم وإما كفورًا لها) .

قال ابن جرير : (فيكون قوله : ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ حالاً من الهاء التي في هديناه ، فيكون معنى الكلام إذا وجه ذلك إلى هذا التأويل : إنا هديناه السبيل ، إما شقياً وإما سعيداً) . وقيل التأويل : إنا بينا له طريق الجنة ، وعرفناه سبيله ، إن شكر ، أو كفر .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : [والقرآن حُجَّةٌ لك أو عليك ، كُلُّ الناس يغدو ، فبايع نفسه ، فمعتقها ، أو موبقها] (2) .

قال القرطبي : (وجمع بين الشاكر والكفور ، ولم يجمع بين الشكور والكفور مع اجتماعهما في معنى المبالغة ، نفيًا للمبالغة في الشكر ، وإثباتاً لها في الكفر ، لأن شكر الله تعالى لا يؤدي ، فانتفت عنه المبالغة ، ولم تنتف عن الكفر المبالغة) .

والمقصود : لما كان الشكر قلّ من يتصف به قال : ﴿شَاكِرًا﴾ ، ولما كان الكفر كثيراً

(1) حديث صحيح . أخرجه مسلم في الصحيح (6/ 18) ، كتاب الإمارة . وانظر مختصر صحيح مسلم (1199) ، ورواه أحمد (2/ 161) ، (2/ 191) .

(2) حديث صحيح . أخرجه مسلم (223) ، كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء ، في ختام حديث .

من يتصف به ويكثر وقوعه من الإنسان بخلاف الشكر قال: ﴿كَفُورًا﴾ بصيغة المبالغة ، والله تعالى أعلم .

4 - 12 . قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ ٤ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَوْنَ مِنْ نَارٍ كَأْسٍ كَانَتْ مِرَاجُهَا كَافُورًا ٥ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ٦ يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ٧ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ وَاسِعَتْنَا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطْعِمُهُمْ لِيُوجِبَهُ اللَّهُ إِلَيْنَا وَلَا نُكَبِّرُ عَنْكَ أَجْرًا ٩ إِنَّا تَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غُوبًا ١٠ فَخَطَرْنَا أَنَّ نَفْخَهُمُ النَّارَ بِشَرِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَفَتَهُمْ نَصْرَةٌ وَسُرُورًا ١١ وَجَزَيْنَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ١٢ .

في هذه الآيات: وَصَفُ حال الكافرين في السلاسل والجحيم ، وَنَعْتُ حال المتقين في الملذات والسرور والنعيم ، فإنهم كانوا قبل ذلك محسنين ، يعظمون أوامر ربهم ويخشون يوم الحشر العظيم .

فقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ .

السلاسل: القيود في جهنم طول كل سلسلة سبعون ذراعاً كما مضى في «الحاقة» . والأغلال جمع غُلٍّ . قال ابن جرير: (يقول تعالى ذكره: إِنَّا أَعْتَدْنَا لِمَنْ كَفَرَ نَعْمَتَنَا وَخَالَفَ أَمْرَنَا سَلَاسِلَ يُسْتَوْتَقُّ بِهَا مِنْهُمْ شِدَادٌ فِي الْجَحِيمِ ﴿وَأَغْلَالًا﴾ يقول: وتشدد بالأغلال فيها أيديهم إلى أعناقهم . وقوله: ﴿وَسَعِيرًا﴾ يقول: ونار تُسعر عليهم فتوقد) .

وعن جبير بن نفير ، عن أبي الدرداء كان يقول: (ارفعوا هذه الأيدي إلى الله جل ثناؤه قبل أن تُغَلَّ بالأغلال) . وقال الحسن: (إن الأغلال لم تجعل في أعناق أهل النار ، لأنهم أعجزوا الرب سبحانه ولكن إذلالاً) .

وفي جامع الترمذي ومسنند أحمد بسند حسن عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي ﷺ قال: [يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ ، يَغْشَاهُمُ الذَّلُّ مِنْ كُلِّ

مكان ، يُساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس ، تعلوهم نار الأنيار ، يُسقون من عُصَاة أهل النار ، طينة الخبال⁽¹⁾ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۖ ﴾ .

الأبرار : أهل الصدق والوفاء بامثال ما أمر الله تعالى . واحد هم بَرٌّ . والكأس : كل إناء كان فيه شراب . والكافور : مزاج يجمع بين التبريد والرائحة الطيبة .

وقال ابن عباس : ﴿ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ ﴾ يريد الخمر . فنفس الخمر تسمى كأساً ، وقيل : كأس الزجاج إذا كان فيها خمر . قال قتادة : (تمزج لهم بالكافور وتُختَم بالمسك) . وقال الحسن : (بَرْدُ الكافور في طيب الزنجبيل) .

وقوله : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ . فيه أكثر من تأويل حسب إعراب ﴿ عَيْنًا ﴾ :

1 - قيل : يشربون عيناً . قال الزجاج : (المعنى من عين) .

2 - وقيل : ﴿ عَيْنًا ﴾ بدل من كافور . قال الفراء : (إن الكافور اسم لعين ماء في الجنة) .

3 - وقيل : ﴿ عَيْنًا ﴾ بدل من كأس على الموضع .

4 - وقيل : ﴿ عَيْنًا ﴾ حال من المضمَر في مزاجها .

5 - وقيل : نصب على المدح . قلت : وكل ما سبق يقتضيه الإعجاز لهذا القرآن العظيم . والمقصود : أن الأبرار يشربون في الجنة من عين نضاجة بشراب ممزوج بالكافور ، وقد جمع بين التبريد والرائحة الطيبة واللذاعة الرائعة .

وقوله : ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ . قال مجاهد : (يقودونها حيث شاؤوا) . وقال قتادة : (مستقيد ماؤها لهم يفجرونها حيث شاؤوا) . وقال الثوري : (يُصَرِّفونها حيث شاؤوا) . قال النسفي : ﴿ يُفَجِّرُونَهَا ﴾ يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم ﴿ تَفْجِيرًا ﴾ سهلاً لا يمتنع عليهم) .

وقوله : ﴿ يُؤْفُونَ بِالَّذِينَ ﴾ . قال قتادة : (بطاعة الله ، وبالصلاة ، وبالحج ، وبالعمره) .

قال ابن جرير : (يقول تعالى ذكره : إن الأبرار الذين يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً ، برؤا بوفائهم لله بالندور التي كانوا يندرونها في طاعة الله) .

(1) حديث حسن . أخرجه أحمد والترمذي . انظر صحيح سنن الترمذي - حديث رقم - (2025) ، وصحيح الجامع الصغير (7896) .

وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: [مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلَا يَعْصِه] (1).

وفي سنن النسائي بسند صحيح عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: [النَّذْرُ نَذْرَان ، فما كان من نَذْرٍ في طاعة الله فذلك لله ، وفيه الوفاء . وما كان من نذر في معصية الله ، فذلك للشيطان ، ولا وفاء فيه . ويكفره ما يكفر اليمين] (2).

وقوله: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَتْ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾. أي: ممتداً طويلاً فاشياً. قال ابن عباس: ﴿مُسْتَطِيرًا﴾: فاشياً).

وقال قتادة: (استطار - والله - شرُّ ذلك اليوم حتى ملأ السماوات والأرض).

والمعنى كما قال ابن كثير: (ويتركون المحرّمات التي نهاهم عنها خيفةً من سوء الحساب يوم المعاد ، وهو اليوم الذي شرّه مستطيرٌ ، أي: منتشرٌ عام على الناس إلا من رحم الله).

وقوله: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَطْعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾. الضمير في ﴿حُبِّهِ﴾ يعود على الطعام. قال مجاهد: ﴿وَيُطْعَمُونَ أَطْعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ قال: وهم يشتهونه). وقال سليمان بن قيس: (على حبهم للطعام).

والمقصود: وكذلك من صفات هؤلاء الأبرار التي برّوا بها أنهم يطعمون المحتاجين الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له.

وفي التنزيل نحو ذلك:

1- قال تعالى: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ [البقرة: 177].

2- وقال تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾ [آل عمران: 92].

وفي صحيح مسلم عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة قال: [أتى رسول الله ﷺ رجلٌ

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (6696)، (6700)، وأبو داود (3289)، والترمذي (1526)، والنسائي (1717)، ومالك في الموطأ (476/2)، وأحمد (36/6).

(2) حديث صحيح. انظر صحيح سنن النسائي (3599)، وتخريج «الإرواء» (217/8).

فقال: يا رسول الله! أي الصدقة أعظم؟ فقال: أن تصدق وأنت صحيح شحيح، تخشى الفقر وتأمل الغنى[الحديث (1).

والمراد: أن خير الصدقة ما كان حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه، وهو مفهوم قوله ﷺ: (وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى).

وبعض المفسرين أعاد الضمير في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ على الله عز وجل، أي على حب الله، والأول أرجح وأنسب للمعنى ولنظيره من الآيات والأحاديث كما سبق بيانه، والله تعالى أعلم.

وقوله: ﴿مَسْكِينًا وَيتِيمًا وَأَسِيرًا﴾. المسكين هو الفقير ذو الحاجة لا يجد ما يكفيه. واليتيم هو مَنْ فقد أبويه أو أحدهما في حال صغره. والأسير المحبوس. قال مجاهد: (الأسير: المسجون). أو قال: (المحبوس).

وقال قتادة: (لقد أمر الله بالأسراء أن يحسن إليهم، وإن أسراهم يومئذ لأهل الشرك). وقال: (كان أسراهم يومئذ المشرك، وأخوك المسلم أحق أن تطعمه). وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُبْدِ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾. قال مجاهد: (أما إنهم ما تكلموا به، ولكن علمه الله من قلوبهم، فأثنى به عليهم ليرغب في ذلك راغب).

والمقصود: إنما يطعم هؤلاء الأبرار الفقراء واليتامى والأسارى لوجه الله، فهم لا يتوقعون المكافأة، ولا يريدون ثناء الناس عليهم بذلك، علمه الله من قلوبهم فأثنى عليهم بذلك.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾. قال ابن عباس: ﴿عَبُوسًا﴾ ضيقاً، ﴿قَتَطِيرًا﴾: طويلاً. وقال مجاهد: ﴿عَبُوسًا﴾، العابس الشفتين: ﴿قَتَطِيرًا﴾، قال: تقبيض الوجه بالأسور). وقال قتادة: (تعبس فيه الوجوه من الهول، ﴿قَتَطِيرًا﴾: تقليص الجبين وما بين العينين، من الهول). وقال ابن زيد: (العَبُوس: الشر، والقمطير: الشديد).

قلت: والعرب تقول اقمطر اليوم فهو مُقْمَطَرٌ إذا كان صعباً شديداً. ويوم عبوس أي تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته. فيكون المعنى: إنا نخاف يوماً ذا عبوس - لكثرة

(1) حديث صحيح. أخرجه مسلم في الصحيح - حديث رقم - (1032)، كتاب الزكاة. باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح.

عبوس الكفار فيه - ، ﴿قَطَرِيْرًا﴾ صعباً شديداً الأهوال .

وقوله تعالى : ﴿فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ .

أي : فأمنهم الله بلطفه ورحمته من شدائد ذلك اليوم ، ومنحهم حسناً وبهاءً في وجوههم ، وسروراً في قلوبهم . قال الحسن : ﴿وَلَقَّهْمُ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ قال : نضرة في الوجوه ، وسروراً في القلوب . فإن القلب إذا سُرَّ استنار الوجه .

وفي النضرة ثلاثة أوجه : قال الضحاك : (البياض والنقاء) . وقال سعيد بن جبیر : (الحسن والبهاء) . وقال ابن زيد : (أثر النعمة) . قال : ﴿وَلَقَّهْمُ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ قال : نعمة وسروراً .

وفي التنزيل نحو ذلك : ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۖ ضَآحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس : 38 - 39] .

وفي الصحيحين والمسند من حديث كعب بن مالك - حين تاب الله عليه بعد التخلف عن تبوك - قال : [فلما سَلَّمْتُ على رسول الله ﷺ قال : وهو يَبْرُقُ وجهه من السرور : أبشر بخير يوم مرَّ عليك منذ وَلَدْتُكَ أُمُّكَ . . قال : وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر ، حتى يُعْرَفَ ذلك منه] (1) .

وقوله تعالى : ﴿وَجَزَّهَمَ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةَ وَحَرِيرًا﴾ . قال قتادة : (يقول : وجزاهم بما صبروا على طاعة الله ، وصبروا عن معصيته ومحارمه ، جنة وحريراً) .

والمقصود : أورثهم سبحانه بصبرهم على إقامة الدين الحق خير منزل وأرغد عيش وأحسن لباس .

13 - 22 . قوله تعالى : ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۖ

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا ۚ﴾ ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَنَاتٍ مِّنْ فَضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ۖ

قَوَارِيرًا مِّنْ فَضَّةٍ قَدَرُوهَا نَقْدِيرًا ۖ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۖ عَيْنَا فِيهَا تُسَمَّى

سَلْسِيلًا ۖ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنشُورًا ۖ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ

نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۚ﴾ ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُورٌ أَسْوَدٌ مِّنْ فَضَّةٍ وَسَقَنَهُمُ رَبُّهُمْ

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري (4418) ، ومسلم (2769) ، والترمذي (3102) ، وأحمد

(38716) ، والنسائي في «ال تفسير» (252) ، وابن حبان (3370) ، وهو جزء من حديث طويل .

شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ .

في هذه الآيات: ذُكِرَ ما فيه أهل الجنة من الفضل العميم ، وروائع النعيم المقيم ، وما ذاك إلا تكريمة لهم من الله العلي الكريم .

فقوله تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴾ .

الأرائك: جمع أريكة . قال ابن عباس: (يعني الحِجال) . وقال قتادة: (كنا نُحَدِّثُ أنها الحجال في الأسرة) . ونصب ﴿ مُتَّكِئِينَ ﴾ على الحال . والزمهرير: البرد الشديد . قال مرة الهمداني: (الزمهرير: البرد القاطع) .

والمقصود: جزاءهم ربهم جنة متكئين فيها على الأسرة التي عليها الكلل ، ولا يرون حرَّ الشمس ولا برد الزمهرير ، بل أعذب المناخ وأروع المجلس .

وقوله: ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا ﴾ . قال ابن جرير: (وقُرُبَتْ منهم ظلالُ أشجارها) .

وقوله: ﴿ وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلُّلاً ﴾ . قال قتادة: (لا يردُّ أيديهم عنها بعد ولا شوك) .

وقال مجاهد: (إذا قام ارتفعت بقدره ، وإن قعد تدلَّت حتى ينالها ، وإن اضطجع تدلَّت حتى ينالها ، فذلك تذليلها) .

والمقصود: دُلِّلَ لهم اجتناء ثمر شجرها ، فقد دنت منهم أغصانها ، كما قال جل ثناؤه: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴾ [الرحمن: 54] ، وكما قال جلَّت عظمته: ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة: 23] . قال ابن زيد: (الدانية: التي قد دنت عليهم ثمارها) . وقال ابن كثير: (أي متى تعاطاه دنا القِطْفُ إليه وتدلَّى من أعلى عُصْنِهِ ، كأنه سامع طائع) .

وقوله: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِانِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ ﴾ . أي: وتدور عليهم الخدم إذا أرادوا الشرب بآنية من فضة وكؤوس الفضة . والأكواب: جمع كوب . وهو كوز لا أذن له ، أو إبريق لا عروة له .

وقوله: ﴿ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴾ . قال النسفي: (كان تامة ، أي كونت فكانت قوارير بتكوين الله ، نصب على الحال) . وقيل: ﴿ قَوَارِيرًا ﴾ في محل نصب خبر كان . وقال ابن جرير: (يقول: كانت هذه الأواني والأكواب قوارير ، فحوَّلها الله فضة . وقيل: إنما قيل: ويطاف عليهم بآنية من فضة ، ليدلَّ بذلك على أن أرض الجنة فضة ، لأن كل آنية تُتَّخَذُ ، فإنما تُتَّخَذُ من تربة الأرض التي فيها ، فدلَّ جلَّ ثناؤه بوصفه الآنية متى يطاف

بها على أهل الجنة أنها من فضة ، ليعلم عباده أن تربة أرض الجنة فضة).

وقوله: ﴿قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ﴾. قال الحسن: (صفاء القوارير في بياض الفضة). وقال مجاهد: (فيها رقة القوارير في صفاء الفضة). ونصب ﴿قَوَارِيرًا﴾ هنا على البدلية أو «تمييزاً» لبيان الله له بقوله: ﴿قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ﴾. والمقصود: هذه القوارير الموصوفة تجمع بين صفاء الزجاج وبياض الفضة ، والقوارير لا تكون عادة إلا من زجاج ، فجعلها الله من فضة شفافة يرى ما في باطنها من ظاهرها مما لا نظير له في الدنيا.

وقوله: ﴿قَدَرُوهَا نَقِيرًا﴾. أي مصنوعة في حجوم على قدر ريّ طالبيها من أهل الجنة ، وهو أبلغ في الاعتناء والتشريف والتكريم وحسن الضيافة. قال الحسن: (قُدِّرَت لريّ القوم). وقال سعيد: (قدر ريّهم). وقال مجاهد: (لا تنقص ولا تفيض).

وقال ابن جرير: (قَدَّرَها لهم السُّقاة يطوفون بها عليهم).

وقوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾. قال مجاهد: (يَأْتُرُ لَهُمْ مَا كَانُوا يشربون في الدنيا فيحبُّه إليهم). وقال قتادة: (تمزج بالزنجبيل).

والمقصود: يسقون - أي الأبرار - في الجنة ﴿كَأْسًا﴾ أي: خمراً مزجت بالزنجبيل. قال القاسمي: (أي ما يشبهه في الطعم. وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به). وقال ابن كثير: (فتارة يُمَزَّجُ لهم الشراب بالكافور وهو بارد ، وتارة بالزنجبيل وهو حار ، ليعتدل الأمر ، وهؤلاء يُمَزَّجُ لهم من هذا تارة ومن هذا تارة. وأما المقربون فإنهم يشربون من كلِّ منهما صِرْفاً ، كما قال قتادة وغير واحد).

وقوله تعالى: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾. السلسبيل في لغة العرب: اسم لماء في غاية السلاسة ، حديد الجرية ، يسوغ في الحلق. قال عكرمة: (اسم عين في الجنة). وقال مجاهد: (سميت بذلك لسلاسة سيلها وجدة جريها).

وقوله: ﴿عَيْنًا﴾ بدل من ﴿زَنْجَبِيلًا﴾ ، فسميت العين زنجبيلاً لطعم الزنجبيل فيها. والعرب تستلذه وتستطيبه ، وقد جمع بين سلاسة الانحدار وسهولة المساغ والمذاق الطيب.

وقوله: ﴿وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانِ مُخَلَّدُونَ﴾. أي: ويطوف على أهل الجنة غلمانٌ ينشئهم الله لخدمة المؤمنين ، أو ولدان الكفرة يجعلهم الله تعالى قائمين على خدمة أصحاب النعيم ، وهم ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ أي: على حالة واحدة وسن واحدة لا يتغيرون عنها. وقال قتادة: (﴿مُخَلَّدُونَ﴾ أي لا يموتون). والمعنى الأول أرجح.

قال القرطبي: ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ أي باقون على ما هم عليه من الشباب والغضاضة والحسن ، لا يَهْرَمُونَ ولا يتغيرون ، ويكونون على سن واحدة على مر الأزمنة . وقيل : مخلدون لا يموتون . وقيل : مُسَوَّرُونَ مَقَرَّطُونَ ، أي مُحَلَّوْنَ والتخليد التحلية).

أخرج أبو نعيم في «الحلية» ، والطبراني في «الأوسط» ، بسند حسن في الشواهد عن أنس بن مالك قال : [سألت رسول الله ﷺ عن ذراري المشركين لم يكن لهم ذنوب يعاقبون بها فيدخلون النار ، ولم تكن لهم حسنة يجازون بها فيكونون من ملوك الجنة؟ فقال النبي ﷺ : هم خدام أهل الجنة]⁽¹⁾.

وله شاهد عند ابن مندة في «المعرفة» عن سنان بن سعد عن أبي مالك قال : سئل النبي ﷺ عن أطفال المشركين؟ قال : [أطفال المشركين هم خَدَمُ أهل الجنة]⁽²⁾.

وقوله: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَبِطْتُمْ تُلُوْا مَثُوْرًا﴾. أي : وإذا نظرت إليهم في حسنهم وكثرتهم وصفاء ألوانهم وسرعة انتشارهم في قضاء حوائج السادة ظننتهم لؤلؤاً مفرقاً منشوراً. وأما الحور العين فشبههن باللؤلؤ المكنون المخزون لأنهن لا يُمتَهَنَّ بالخدمة.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نِعْمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾.

﴿ثُمَّ﴾ ظرف مكان. والمقصود: وإذا رأيت هناك في الجنة - يا محمد - ورميت بطرفك في أرجائها رأيت مملكة الله عظيمة وسلطاناً باهراً وكرامة لهؤلاء الأبرار في الكسوة والطعام والشراب وألوان الملذات وروعة الخدمة.

وفي صحيح مسلم ومسند أحمد من حديث أبي سعيد مرفوعاً: [إن أدنى أهل الجنة منزلاً رجلٌ صرفَ الله وجهه عن النار قِلَّ الجنة . . . فيقول: أي رب أدخلني الجنة ، فيدخلُ الجنة ، فإذا دخلَ الجنة قال: هذا لي؟ فيقول الله له: تمنّ ، فيتمنى ، ويذكره الله عزّ وجلّ: سَلْ مِنْ كَذَا وكذا ، حتى إذا انقطعت به الأمانى ، قال الله: هو لك وعشرة أمثاله ، ثم يدخله الله الجنة ، فيدخلُ عليه زوجته من الحور العين ، فيقولان: الحمدُ

(1) صحيح لغيره. أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (6/ 308) من طريق الطبراني. وأخرج الجملة الأخيرة منه أبو يعلى في «مسنده» (1011 - 1012) ، ويشهد له أيضاً ما أخرجه البزار في مسنده (232). وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة - حديث رقم - (1468).

(2) رواه ابن مندة في «المعرفة» (2/ 1/ 261) ، ويشهد له ما قبله. انظر صحيح الجامع الصغير (1035) ، والسلسلة الصحيحة (1468) ، والحديث صحيح في الشواهد.

الله الذي أحياك لنا ، وأحيانا لك . فيقول : ما أعطي أحدٌ مثل ما أعطيتُ [الحديث⁽¹⁾].
وقوله : ﴿ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾ .

السندس : ما رقّ من الديباج ، والإستبرق : ما غلظ منه . قال الزجاج : (هما نوعان من الحرير) . وقوله : ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ يفيد أن ذلك اللباس ظاهر بارز للزينة والجمال .
فالرفيع منه كالقمصان مما يلي الأبدان ، والنوع الأغلظ على الظاهر وله البريق واللمعان . و﴿ خُضْرٌ ﴾ نعت للثياب .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : [مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ ، وَلَا تَبْلَى ثِيَابُهُ ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ ، فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أَذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ]⁽²⁾ .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال : [أَهْدَى أَكِيدِرُ⁽³⁾ دُومَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ جَبَّةً مِنْ سُنْدُسٍ ، فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ حَسَنَتِهَا . فَقَالَ : «لِمَنَادِيلِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا»]⁽⁴⁾ .

وفيهما من حديث البراء قال : [أَهْدَى لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُوبَ حَرِيرٍ فَجَعَلُوا يَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا؟ لِمَنَادِيلِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ فِي الْجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا]⁽⁵⁾ . وفي رواية : (خير منها وألين) .

وقوله : ﴿ وَحُلُوتًا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴾ . أي : وحلّاهم ربهم أساور - جمع أسورة - من فضة . والمقصود بذلك : حلية الأبرار . وأما المقربون فتميزوا عنهم كما قال جل ذكره : ﴿ يُحَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ [الحج : 23] .

وقوله : ﴿ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ . قال أبو قلابة وإبراهيم النخعي : (يؤتون بالطعام ، فإذا كان آخره أثوا بالشراب الطهور ، فيشربون ، فتضمّر بطونهم من ذلك ويفيض عرق من أبدانهم مثل ريح المسك) . قال ابن جرير : ﴿ وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ . يقول تعالى ذكره : وسقى هؤلاء الأبرار ربهم شراباً طهوراً ، ومن طهره أنه

(1) حديث صحيح . أخرجه مسلم في الصحيح (1/120) ، (1/135) ، وأخرجه أحمد (3/27) .

(2) حديث صحيح . أخرجه مسلم في الصحيح (2836) ، كتاب الجنة ونعيمها . وانظر كذلك (2824) .

(3) أكيدر دومة : أي أميرها .

(4) حديث صحيح . انظر صحيح البخاري (2615) ، (3248) ، وصحيح مسلم (2469) .

(5) حديث صحيح . أخرجه البخاري (3802) ، (5836) ، وأخرجه مسلم (2468) عن البراء .

لا يصير بولاً نجساً ، ولكنه يصير رشحاً من أبدانهم كرشح المسك).

وقال النسفي: ﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾ ليس برجس كخمر الدنيا لأن كونها رجساً بالشرع لا بالعقل ولا تكليف ثم ، أو لأنه لم يعصر فتمسه الأيدي الوضرة وتدوسه الأقدام الدنسة).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾. قال قتادة: (لقد شكر الله سعيًا قليلاً. قال: غفر لهم الذنب وشكر لهم الحسنى). وقال مجاهد: ﴿مَشْكُورًا﴾ أي مقبولاً. قال القرطبي: (والمعنى متقارب ، فإنه سبحانه إذا قبل العمل شكره ، فإذا شكره أثاب عليه بالجزيل ، إذ هو سبحانه ذو الفضل العظيم).

والمقصود: يقال لأهل الجنة تكريماً لهم وإحساناً إليهم: إن هذا النعيم الذي وردتموه إنما كان جزاء لأعمالكم ، وكان سعيكم محموداً ومقبولاً ومرضياً. وفي التنزيل نحو ذلك:

1 - قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: 24].

2 - وقال تعالى: ﴿وَتُودُّوْا أَنْ تَلَکُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: [ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً. وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً ، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَتُودُّوْا أَنْ تَلَکُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾] (1).

23 - 31. قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ ﴿٢٣﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا

تَطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْرَوْنَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ تَذَكَّرُ فَمَنْ شَاءَ اخْتِذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾

(1) حديث صحيح. أخرجه مسلم (2837) ، كتاب الجنة ونعيمها. باب في دوام نعيم أهل الجنة.

يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ .

في هذه الآيات: امتنانُ الرحمن عز وجل على نبيه الكريم ، بما نزل عليه من هذا التنزيل العظيم ، ودعوته للاستعانة بالصبر والصلاة على مكر المجرمين ، الذين توعدهم الله سوء العذاب يوم الدين .

فقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴾ . قال ابن عباس : (أنزل القرآن متفرقاً : آية بعد آية ، ولم ينزل جملة واحدة ، فلذلك قال : ﴿ نَزَّلْنَاهُ ﴾) .

قال النسفي : (﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴾ تكرير الضمير بعد إيقاعه اسماً لأن تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليستقر في نفس النبي ﷺ أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله مفزقاً إلا حكمة وصواباً ومن الحكمة الأمر بالمصابرة) .

وقوله : ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ . قال ابن عباس : (اصبر على أذى المشركين ، هكذا قضيت) .

قال ابن كثير : (أي : كما أكرمتك بما أنزلت عليك فاصبر على قضائه وقدره ، واعلم أنه سيُدبَّرُكَ بِحُسْنِ تدبيره) .

وقوله : ﴿ وَلَا تَطْعَمْهُمْ إِنَّمَا أَزْكَوٰهُمْ ﴾ . الآثم الفاجر في أفعاله ، والكفور : الكافر بقلبه . قال ابن جرير : (يقول : ولا تطعم في معصية الله من مشركي قومك آثماً يريدُ بركوبه معاصيه ، أو كفوراً : يعني جحوداً لنعمه عنده ، وآلائه قبله ، فهو يكفر به ، ويعبد غيره) .

وقوله : ﴿ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ . أي : واذكر - يا محمد - ربك فادعه بكرة في صلاة الصبح ، وعشياً في صلاة الظهر والعصر . قال ابن زيد : (بكرة : صلاة الصبح . وأصيلًا : صلاة الظهر الأصيل) . وقيل : هو الذكر المطلق سواء كان في الصلاة أو في غيرها .

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾ . قال ابن عباس : (يعني الصلاة والتسبيح) . قال القرطبي : (﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ ﴾ يعني صلاة المغرب والعشاء الآخرة . ﴿ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾ يعني التطوع في الليل ، قاله ابن حبيب) .

وقوله : ﴿ إِنَّكَ هَؤُلَاءِ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴾ . توبيخ وتقريع لكفار مكة الذين آثروا العاجلة وهي الدنيا الفانية على الآخرة الباقية ، فهم يحبون البقاء فيها وتعجبهم زينتها .

وقوله: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾. أي: ويدعون بين أيديهم يوماً عسيراً شديداً هم قادمون عليه ، قد أثقلته المصائب والأحوال .

وقوله: ﴿تَحْنُ خَلْقَنَّهُمْ وَشَدَدْنَا آسْرَهُمْ﴾. قال ابن عباس: (يقول: شددنا خلقهم). والمقصود: خلقناهم ابتداء ، وشددنا أوصالهم بعضاً إلى بعض بالعروق والعصب .

وقوله: ﴿وَإِذَا شَتْنَا بَدَلْنَا أَمْلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾. أي: لو شتينا لأهلكناهم وجئنا بأطوع الله منهم .

وقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾. قال قتادة: (إن هذه السورة تذكرة). أي: لمن تذكر واتعظ واعتبر .

وقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾. أي: فمن شاء أيها الناس اتخذ طاعة الله واتباع رسوله سبيلاً له ، فإن في ذلك النجاة كل النجاة ، والسعادة في الدارين .

وقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾. أي: وما اتخاذكم السبيل إلى ربكم أيها الناس إلا بمشيئته جلّت عظمته ، فإنه لا يطاع سبحانه إلا بإذنه ، كما لا يعصى إلا بإذنه ، فمشيئته قاهرة لكل مشيئة ، وهو الحكيم في أقواله وأفعاله وقدره وشرعه ، العليم بمن يستحق الهداية والنجاة ، ولذلك ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ .

أخرج الإمام أحمد في المسند ، وابن أبي عاصم في «السنة» ، بإسناد صحيح على شرط الشيخين عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: [لا تعجبوا بعمل أحد حتى تنظروا بما يختم له ، فإن العامل يعمل زماناً من دهره ، أو برهة من دهره بعمل صالح لو مات عليه دخل الجنة ، ثم يتحول فيعمل عملاً سيئاً. وإن العبد ليعمل زماناً من دهره بعمل سيئ لو مات عليه دخل النار ، ثم يتحول فيعمل عملاً صالحاً. وإذا أراد الله بعبد خيراً استعمله قبل موته فوفقه لعمل صالح ، ثم يقبضه عليه] (1).

وقوله: ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾. قال أبو السعود: (بيان لإحكام مشيئته تعالى المترتبة على علمه وحكمته).

وقوله: ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. أي: وأعد الله للظالمين الذين صرفوا مشيئتهم

(1) حديث صحيح. أخرجه أحمد (120/3 ، 123)، (230/3 ، 257)، وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (347 ، 353)، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (1334).

إلى معصيته عذاباً في نار جهنم مؤلماً موجعاً.

تم تفسير سورة الإنسان
بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه
صبيحة يوم الثلاثاء 6 / ذي القعدة / 1426 هـ
الموافق 6 / كانون الأول / 2005 م

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - خلق الله الإنسان ودلّه على طريقَي الخير والشر .
- 2 - مراتب الهداية :
 - أ - الهداية العامة للخلق .
 - ب - هداية الدلالة والإرشاد .
 - ج - هداية التوفيق والإلهام .
 - ء - الهداية إلى الجنة يوم القيامة .
- 3 - الأبرار في الدنيا في الطاعات والقيام بالواجبات ، ووفاء بالنذر وإطعام المساكين واليتيم والأسير والقربات .
- 4 - الأبرار في الجنة في النعيم المقيم ، تكرمة لهم من الله رب العالمين .
- 5 - في الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .
- 6 - هذه السورة تذكرة لمن شاء أن يسلك طريق الحق .
- 7 - إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله قبل موته فوفقه لعمل صالح ، ثم يقبضه عليه .

77

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

آياتها
٥٠ترتيبها
٧٧

وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (50).

الأحاديث الواردة في ذكرها :

الحديث الأول: أخرج الترمذي بسند صحيح عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد ثبت. قال: [شَيْئَنِي هُوَ] ، والواقعة ، والمرسلات ، وعمّ يتساءلون ، وإذا الشمس كورت⁽¹⁾.

الحديث الثاني: أخرج البخاري ومسلم عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال: [بينما نحن مع النبي ﷺ ، في غار بمنى ، إذ نزلت عليه: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ﴾ ، فإنه لیتلوها وإني لأتلقأها من فيه ، وإنّ فاه لَرَطْبٌ بها ، إذ وثبت علينا حيّة ، فقال النبي ﷺ: «اقتلوها». فابتدرناها فذهبت. فقال النبي ﷺ: «وُقِيتَ شَرَكُم كَمَا وُقِيتَ شَرُّهَا»⁽²⁾. قال عمر: حَفِظْتُهُ مِنْ أَبِي فِي غَارِ بَمْنَى).

الحديث الثالث: أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال: [إنّ أُمَّ الْفَضْلِ سَمِعَتْهُ وهو يقرأ: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ فقالت: والله يا بُنَيَّ لقد ذكّرْتَنِي

(1) حديث صحيح. أخرجه الترمذي (3297) ، كتاب التفسير. وانظر صحيح سنن الترمذي (2627).

(2) حديث صحيح. أخرجه البخاري (1830) ، (4934) ، ومسلم (2234) ، (2235) ، وأخرجه أحمد (428/1) ، والحاكم (453/1) ، وابن حبان (708).

بقراءتك هذه السورة ، إِنَّهَا لَأَخِرُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، يقرأُ بها في المغرب⁽¹⁾ .

الحديث الرابع : أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن عُبيد الله ، عن ابن عباس ، عن أمِّه : [أنها سمعت النبي ﷺ يقرأُ في المغرب بالمرسلات عُرفاً⁽²⁾] .

موضوع السورة

الإقسام بالملائكة المرسلات

على نيل المؤمنين أرفع الدرجات

واستقرار المشركين في النار أسفل الدرجات

- منهاج السورة -

- 1 - قسم الله تعالى بالملائكة الكرام ، يرسلها بالوحي إلى أنبيائه خير الأنام .
- 2 - ذكر أهوال القيامة للوقوف للحساب ، ووزن الأعمال والفصل بالثواب أو العقاب .
- 3 - إهلاك الله الكافرين ، وخلقهم تعالى الإنسان من ماء مهين ، وجعله الأرض كفاتاً والجبال أوتاداً والماء فراتاً رحمة للعالمين ، فويل يومئذ للمكذبين .
- 4 - توجيه الكفار يوم القيامة إلى نار العذاب ، فقد استحقوا بجرائمهم أشد العقاب .
- 5 - وَصَفُ حال المتقين يوم الدين في جنات النعيم ، وتوَعْدُ المجرمين المكذبين نار الجحيم ، جزاء بما كانوا يعملون .

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري (763) ، كتاب الأذان . باب القراءة في المغرب . وأخرجه كذلك برقم (4429) ، وأخرجه مسلم (173/462) ، ورواه أصحاب السنن .

(2) حديث صحيح . أخرجه أحمد في المسند (6/338) ، وإسناده على شرط البخاري ومسلم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 15. قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١ فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا ۝٢ وَالنَّشْرِتِ نَشْرًا ۝٣ فَالْفَرْقَتِ فَرَقًا ۝٤ فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا ۝٥ عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ۝٦ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفْعٍ ۝٧ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا السَّمَاءُ فُجِجَتْ ۝٩ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ ۝١٠ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَتْ ۝١١ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۝١٣ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۝١٤ وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾.

في هذه الآيات: يقسم الله تعالى بالملائكة يرسلها بالوحي إلى أنبيائه. تعصف لسرعة طيرانها وتنشر أجنحتها آتية بما يفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام، حتى توصل الوحي إلى الأنبياء، إعداراً من الله إلى خلقه، وإنذاراً من عذابه، وعذراً للمحقين ونذراً للمبطلين. فإذا النجوم محي نورها وذهب ضوءها، وإذا السماء فتحت وشقت، ونسفت الجبال فقلعت من مكانها وطارت في الجو هباءً فاستوى مكانها بالأرض، وإذا جعل للرسول وقت للفصل والقضاء بينهم وبين الأمم، إنه يوم عظيم يعجب العباد منه لشدته ومزيد أهواله ضُربَ الأجل للرسول لجمعهم، يحضرون فيه للشهادة على أممهم. إنه يوم الفصل الذي يفصل فيه بين الناس بأعمالهم فيفترقون إلى الجنة والنار، وما أعلمك بيوم الفصل؟! إنه أمر هائل لا يقادر قدره، ويل يومئذ للمكذبين من عذاب الله الذي أعدَّ لهم.

فقوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾. إقسام من الله بالملائكة ترسل بالمعروف.

روى مسروق عن عبد الله قال: (هي الملائكة أرسلت بالمعروف من أمر الله تعالى ونهيه والخبر والوحي). وهو قول أبي هريرة ومقاتل وأبي صالح وغيرهم. وعن ابن عباس وابن مسعود: (إنها الرياح) - أرسلت متتابعة - ﴿عُرْفًا﴾: أي يتبع بعضها بعضاً كعرف الفرس.

والخلاف قائم بين المفسرين من الصحابة والتابعين وغيرهم في توجيه الآيات إلى الرياح أو الملائكة. قيل. المرسلات والعاصفات والناشرات هي الرياح. والفارقات

والمليكات هي الملائكة ، ومنهم من قال إنها جميعاً الملائكة .

قلت : والراجح أنها الملائكة في جميع الآيات لوجوه :⁽¹⁾

1 - لا مناسبة بين الريح والملائكة في موضوع القسم .

2 - ليس هناك من فارق يفصل الصفات الثلاثة الأولى عن الصفتين الأخيرتين ليعلم أنهما لموصوفين .

3 - توالي فاءات التعقيب يدل على أن الموصوف شيء واحد .

4 - السياق يفيد أن كل صفة موضحة لما قبلها .

5 - هذه الصفات بمجموعها تنسجم مع كون الموصوف الملائكة .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَلْمِصَّتْ عَصْفًا ۖ وَالنَّشْرِتْ نَشْرًا ۖ فَأَلْفَرَقَتْ فَرْقًا ۖ فَأَلْمَلَيْتْ ذِكْرًا ۖ ﴾ .

هي الملائكة . قال أبو صالح : (الملائكة تنشر الكتب) .

وقال قتادة : ﴿ فَأَلْمَلَيْتْ ذِكْرًا ۖ ﴾ : هي الملائكة تلقي الذكر على الرسل وتبلغه) .

قال النسفي : (أقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن في مضيئهن ، وبطوائف منهم نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي ، أو نشرن الشرائع في الأرض ، أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ، ففرقن بين الحق والباطل ، فألقين ذكراً إلى الأنبياء عليهم السلام) .

وقوله تعالى : ﴿ عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ۖ ﴾ . قال ابن عباس : (يعني الملائكة) . وقال قتادة : (عذراً من الله ، ونذراً منه إلى خلقه) . أو قال : (عذراً لله على خلقه ، ونذراً للمؤمنين ينتفعون به ، ويأخذون به) . والمقصود : إرسال الملائكة إعدازاً من الله إلى الخلق ، وإنذاراً لهم عقابه إن خالفوا أمره .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفِّعُ ۖ ﴾ . هو جواب القسم . قال ابن كثير : (هذا هو الْمُقْسَمُ عليه بهذه الأقسام ، أي : ما وُعدْتُمْ به من قيام الساعة ، والنفخ في الصور ، وَبَعَثِ الأجساد ، وجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ، ومجازاة كل عامل بعمله ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، إن هذا كله ﴿ لَوَفِّعُ ۖ ﴾ ، أي : لكائن لا محالة) .

(1) انظر بعض هذه الوجوه في مختصر تفسير ابن كثير - نسيب الرفاعي - سورة المرسلات .

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾. قال ابن جرير: (يقول: فإذا النجوم ذهب ضياؤها ، فلم يكن لها نور ولا ضوء).

وفي التنزيل نحو ذلك:

1 - قال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوير: 2].

2 - قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ [الانفطار: 2].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُزِّجَتْ﴾. أي: شققت وصدعت وتدلت أرجاؤها ، ووهت أطرافها. قال ابن عباس: (فرجت للطّي). وقيل: فتحت: كقوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [النبا: 19].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّفَتْ﴾. قال ابن عباس: (سُوّيت بالأرض). وقال القرطبي: (أي ذهب بها كلها بسرعة).

وفي التنزيل:

1 - قال تعالى: ﴿وَسَنُلَوِّنَاكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: 105 - 107].

2 - وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسِيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: 47].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتْ﴾. قال ابن عباس: (يقول: جُمعت).

وقال مجاهد: (أُجِّلَتْ). وقال الثوري ، عن منصور ، عن إبراهيم: ﴿أُقْنَتْ﴾: أُوعِدَتْ. قال ابن جرير: (يقول تعالى ذكره: وإذا الرسل أُجِّلَتْ للاجتماع لوقتها يوم القيامة).

وقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا يَوْمَ أُجِّلَتْ﴾. أي ليوم عظيم يعجب العباد منه لشِدَّتِهِ ومزيد أهواله ضُربَ الأجل للرسل لجمعهم ، يحضرون فيه للشهادة على أممهم.

قال النسفي: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا يَوْمَ أُجِّلَتْ﴾: أخرت وأمهلت ، وفيه تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ، والتأجيل من الأجل ، كالتوقيف من الوقت).

وقوله تعالى: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾. بيان ليوم التأجيل ، وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الناس بأعمالهم ، فيفرّقون إلى فريقين ، فريق في الجنة وفريق في السعير.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾. أي: وما أعلمك بيوم الفصل؟ فهو تعجيب آخر وتعظيم لأمر ذلك اليوم.

وقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾. وعيد أكيد، وتهديد شديد، يحمل في مفهومه ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليهم. قال القرطبي: (أي عذاب وخزي لمن كذب بالله وبرسله وكتبه وبيوم الفصل فهو وعيد. وكرره في هذه السورة عند كل آية لمن كذب، لأنه قسمه بينهم على قدر تكذيبهم).

16 - 28. قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِهَاتَا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رُوسًا شَمِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

في هذه الآيات: يقول تعالى ذكره: ألم نهلك الكفار من الأمم الماضية من لدن آدم إلى محمد ﷺ - يعني - بالعذاب في الدنيا حين كذبوا رسلهم، ثم نتبعهم الآخرين ممن جاؤوا بعدهم ممن أشبههم في عنادهم وتكذيبهم؟! ألم نخلقكم - أيها الناس - من ماء مهين، ثم سويناكم فقدرنا فنعم القادرون؟! ألم نجعل الأرض تضم الأحياء على ظهرها، والأموات في بطنها، والرواسي فوقها؟! ألم نسقكم الماء من ينابيعها وأنهارها؟! فويل يومئذ للمكذبين.

فقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾. قال النسفي: (الأمم الخالية المكذبة).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾. وعيد لأهل مكة، أي ثم نسلك بأمثالهم من الآخرين المكذبين ما فعلنا بالأولين لما كذبوا الحق وعاندوا الرسل.

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾. قال القاسمي: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي مثل ذلك الأخذ العظيم ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ أي بكل من أجرم وطغى وبغى).

وقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾. قال ابن جرير: (بأخبار الله التي ذكرناها في هذه الآية، الجاحدين قدرته على ما يشاء).

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾. قال ابن عباس: (يعني بالمهين: الضعيف).

والآية امتنان من الله تعالى على خلقه ، واحتجاج على الإعادة بالبده.

أخرج ابن ماجة بسند حسن عن بسر بن جحّاش القرشي قال: [بَرَقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي كَفِّهِ. ثُمَّ وَضَعَ أَصْبَعَهُ السَّبَابَةَ وَقَالَ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَتَى تُعْجِزُنِي، ابْنُ آدَمَ! وَقَدْ خَلَقْتِكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ. فَإِذَا بَلَغْتَ نَفْسُكَ هَذِهِ (وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ) قُلْتَ: أَتُصَدِّقُ. وَأَتَى أَوْأَنُ الصَّدَقَةِ؟] (1).

وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾. قال مجاهد: (الرحم). قال ابن كثير: (يعني: جَمَعْنَاهُ فِي الرَّحْمِ ، وهو قرار الماء من الرجل والمرأة ، والرحم مُعَدُّ لذلك ، حَافِظٌ لِمَا أُوْدِعَ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ قَدَرٌ مَعْلُومٌ﴾. وهو مدة الحمل ، وهي في جنس البشر بين ستة أشهر إلى تسعة أشهر.

وقوله تعالى: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾. أي: فقدّرنا على ذلك ، فنعم القادرون عليه نحن. وهو المعنى إذا قرئ ﴿فَقَدَرْنَا﴾ بالتخفيف - قراءة أهل الكوفة والبصرة.

وأما إذا قرئ: «فَقَدَرْنَا» بالتشديد - قراءة أهل المدينة - فيكون المعنى: فقدّرنا ذلك الخلق تقديرًا: الأعضاء والصفات ، وجعلنا كل حال من أحوال ذلك التخلق على الصفة التي أردنا ، فنعم المقدّر الله.

وقوله تعالى: ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾. قال ابن جرير: (يقول جلّ ثناؤه: ويل يومئذ للمكذّبين بأن الله خلقهم من ماء مهين). قلت: والأشمل من ذلك أن يقال: ويل يومئذ للمكذّبين بنعمة الفطرة والعناية من الله بأطوار النشوء والتكوين واستواء الخلق.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾. قال ابن عباس: (يقول: كِتَاً). وقال أبو عبيدة: (كفاتا: أوعية). قال القرطبي: (أي: ضامّة تضم الأحياء على ظهورها والأموات في بطنها).

قلت: وأصلها في لغة العرب من كفت: أي ضَمَّ. قال الرازي: (والكِفَات: الموضع الذي يُكْفَتُ فيه شيء أي يُضَمُّ ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾). وقوله تعالى: ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾. قال الشعبي: (بطنها لأمواتكم ، وظهرها

(1) حديث حسن. أخرجه ابن ماجة (2707) ، كتاب الوصايا. وانظر صحيح ابن ماجة (2188).

لأحيائكم). وقال مجاهد: ﴿كَفَاتَا﴾ تكفت أذاهم وما يخرج منهم ، ﴿أَحْيَاءُ﴾
تواريه ، ﴿وَأَمْوَاتَا﴾ يدفنون: تكفتهم).

وقال الحارث: (يغيبون فيها ما أرادوا).

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رُوسً شَيْخَتٍ﴾. قال قتادة: (يعني الجبال).

وقال ابن عباس: (يقول: جبالاً مشرفات). والمقصود: أرسى الله تعالى الأرض
بالجبال لثلاث تميد وتضطرب. فهو امتنان منه سبحانه على عباده في معرض ذكر النعم
الكبيرة المنسية.

وقوله: ﴿وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾. قال ابن عباس: (يقول: عذبا). أي من السحاب أو
العيون.

وقوله تعالى: ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾. أي: بهذا السيل العظيم من النعم.

29 - 40. قوله تعالى: ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي
ثُلُثِ شَعْبٍ ﴿٣٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرَى بِشَكْرِ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جُمُلَةٌ
صَفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ وَبَلَّ
يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمٌ أَلْفَصَلِّ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَبَلَّ
يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾.

في هذه الآيات: توجيه الكفار يوم القيامة إلى نار العذاب ، فقد استحقوا بجرائمهم
وكفرهم وصدهم عن سبيل الله أشد العقاب.

فقوله تعالى: ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾. قال ابن جرير: (يقول تعالى ذكره
لهؤلاء المكذبين بهذه النعم ، والحبج التي احتج بها عليهم يوم القيامة: ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا
كُنْتُمْ بِهِ﴾ في الدنيا ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ من عذاب الله لأهل الكفر به).

وقوله تعالى: ﴿أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثُلُثِ شَعْبٍ﴾. المراد لهب النار إذا ارتفع وصعد معه
دخان فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب. قال مجاهد: (قوله ﴿إِلَى ظِلِّ ذِي ثُلُثِ شَعْبٍ﴾
قال: دخان جهنم). وقال قتادة: (هو كقوله: ﴿فَارَا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: 29]).
قال: والسرادق: دخان النار ، فأحاط بهم سرادقها ، ثم تفرق ، فكان ثلاث شعب ،

فقال: انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب: شعبة هاهنا ، وشعبة هاهنا ، وشعبة هاهنا).
 وقوله تعالى: ﴿لَا ظِلِّيلٌ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾. أي: ثم إن ظل الدخان لا يغني بنفسه من
 اللهب ، فهو لا يظلمهم من حرها ، ولا يَكُفُّهم من لهبها. قال القرطبي: ﴿لَا ظِلِّيلٌ﴾
 أي: ليس كالظل الذي يقي حرَّ الشمس ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ أي لا يدفع من لهب جهنم
 شيئاً. واللهب ما يعلو على النار إذا اضطربت ، من أحمر وأصفر وأخضر).
 وقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾. أي: وإنما يتطاير الشرر من لهبها
 كالقصر. قال ابن مسعود: (كالحصون). وقال ابن عباس ومجاهد: (يعني أصول
 الشجر). والشرر جمع شررة ، والشرار جمع شرارة ، وهو ما تطاير من النار من كل
 جهة ، وأصله عند العرب من شَرَّتْ الثوب إذا بسطته للشمس ليحف. والمقصود:
 يتطاير شرر نار جهنم كالقصر - وهو البناء العالي - في العظم ، أو كارتفاع الغليظ من
 الشجر (جمع قصرة).

وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُلٌ صَفَرٌ﴾. فيه أكثر من تأويل:

التأويل الأول: قيل المراد به الإبل السود ، ذكره الحسن وقتادة واختاره ابن جرير.
 التأويل الثاني: قيل بل المراد قطع النحاس. وذكره ابن عباس.
 التأويل الثالث: قيل بل المراد به حبال السفن ، ذكره مجاهد.

وقال البخاري: (حدثنا عمرو بن علي: حدثنا يحيى: أخبرنا سفيان: حدثني عبد
 الرحمن بن عابس قال: [سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: ﴿تَرْمِي بِشَرَرٍ
 كَالْقَصْرِ﴾ قال: كُنَّا نَعْمِدُ إِلَى الخَشَبَةِ ثَلَاثَةَ أَذْرُعَ وفوق ذلك ، فَنَرَفَعُهُ للشتاء فنسميه
 الْقَصْرَ ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُلٌ صَفَرٌ﴾: حِبَالُ السُّفُنِ تُجَمَّعُ حَتَّى تَكُونَ كَأَوْسَاطِ الرِّجَالِ] (1).

قلت: وخلاصة القول - فإن شدة اللهب المنبعث من سعي جهنم يتطاير شرره في
 السماء بشدة وسرعة ، حتى ينشطر ثلاثة فروع ، كل واحد منهم كحبل السفينة المفتول
 والعياذ بالله.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيْلٌ يُمِيدُ لِلْكَذِبِينَ﴾. أي: فويل يومئذ للمكذبين بهذا الوعيد الذي
 توعدده الله المكذبين ، للوحي والمرسلين.

وقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾. أي: لا يتكلمون. وسئل ابن عباس رضي الله

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (4933) ، كتاب التفسير ، سورة المرسلات. وانظر (4932).

عنهما عن هذه الآية ، وعن قوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِمُونَ ﴾ [الزمر: 31] فقال : (في ذلك اليوم مواقف ، في بعضها يختصمون ، وفي بعضها لا ينطقون) . أو المعنى لا ينطقون بما ينفعهم فجعل نطقهم كلا نطق - حكاة النسفي .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ . أي : ولا يسمح لهم في الاعتذار والتنصل ، فقد قامت عليهم حجة الله البالغة ، وفاتهم قطار الاعتذار والتوبة .

وقوله تعالى : ﴿ وَبَلِّغُوا يَوْمَ الْمَكَذِبِينَ ﴾ . أي : بهذه الحقائق والمشاهد من الخزي يوم القيامة .

وقوله : ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴾ . أي : ويقال لهم يوم يبعثون : هذا اليوم هو يوم يفصل الله فيه بين عباده ، فيتبين المحق من المبطل . والخطاب لهؤلاء المكذبين بالبعث .

وقوله : ﴿ جَمَعْتَكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴾ . قال ابن عباس : (جمع الذين كذبوا محمداً والذين كذبوا النبيين من قبله) .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴾ . قال الضحاك ، عن ابن عباس : (أي قدرتم على حرب : «فكيدوني» أي حاربوني) . وقال القرطبي : ﴿ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ ﴾ أي حيلة في الخلاص من الهلاك ﴿ فَكِيدُونِ ﴾ أي فاحتالوا لأنفسكم وقاؤوني⁽¹⁾ ولن تجدوا (ذلك) . وهو تهديد شديد ووعد أكيد ، مفاده أنهم سيكونون يومئذ في قبضة حكمه سبحانه فيهم ، فلا مفر ولا خلاص ولا نجاة .

وفي التنزيل نحو ذلك :

1 - قال تعالى : ﴿ يَمْشُرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾ [الرحمن : 33] .

2 - وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئاً إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِظٌ ﴾ [هود : 57] .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي ذر مرفوعاً إلى النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل : [يا عبادي ! إنكم لن تبغوا ضري فتضروني ، ولن تبغوا نفعي فتتفعوني]⁽²⁾ .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

(1) في القاموس : النقاوي : تزايد الشركاء .

(2) حديث صحيح . أخرجه مسلم في الصحيح (8/17) ، وأحمد في المسند (5/160) في أثناء حديث طويل .

[يقبضُ الله الأرضَ ويطوي السماوات بيمينه ، ثم يقول: أنا الملك ، أين ملوك الأرض؟] ⁽¹⁾.

وفي لفظ عند الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمر: [يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك ، أين الجبارون ، أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين يأخذهن بيده الأخرى ثم يقول: أنا الملك ، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟].

وقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾. أي: بالبعث والجزاء ونوال الثواب ونكال العقاب.

41 - 50. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ﴾ ^(٤١) وَفَوْكَه مِمَّا يَشْتَهُونَ ^(٤٢) كُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ^(٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْحَسَنِينَ ^(٤٤) وَيَلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ^(٤٥) كُلُّوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ ^(٤٦) وَيَلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ^(٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ^(٤٨) وَيَلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ^(٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ^(٥٠).

في هذه الآيات: نَعْتُ حال المتقين يوم الدين ، فهم في الملذات في جنات النعيم ، وتوَعْدُ المجرمين المكذبين نار الجحيم ، جزاء بما كانوا يعملون.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ﴾. قال ابن جرير: (يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه في الدنيا ، واجتناب معاصيه ﴿فِي ظِلِّ﴾ ظليلة ، وكنّ كنين ، لا يصيبهم أذى حر ولا قرّ ، إذ كان الكافرون بالله في ظل ذي ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغني من اللهب. ﴿وَعُيُونٍ﴾ أنهار تجري خلال أشجار جناتهم).

وقوله تعالى: ﴿وَفَوْكَه مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾. أي: ويأكلون من سائر أنواع الثمار ، من كل ما اشتهاوا وتمنوا من صنوف الفاكهة وثمار الأشجار.

وقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. أي: ويقال لهم على سبيل الإحسان إليهم وحسن الاستقبال والضيافة: كلوا من هذه الفواكه واشربوا من هذه

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (48/2) ، كتاب التفسير ، وكذلك (6519) ، (7382) ، و(7413). وانظر للشاهد بعده: مختصر صحيح مسلم (1946).

العيون ، فلا تكدير عليكم ولا تنغيص ، ولا أذى يلحق أبدانكم ، بل سرور وهناء وعافية مقابل صبركم وحسن أعمالكم .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ . أي : إنا كذلك نثيب الذين أحسنوا الإيمان وأخلصوا العمل .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَلْزَمُهُمُ لَوْمَاتُكَذِبِينَ ﴾ . أي : بتكريم الله المتقين ، وحسن مستقر الأبرار والصالحين .

وقوله تعالى : ﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ ﴾ . تهديد شديد ، ووعيد أكيد .

قال ابن زيد : (عني به أهل الكفر) . والمقصود : كلوا معشر الكفرة في بقية آجالكم ، وتمتعوا ببقية أعمالكم ، فإنه مسنون بكم سنة الله في من سبقكم من المجرمين ، خزي وعذاب في الدنيا ثم جحيم وسعير في الآخرة .
وفي التنزيل نحو ذلك :

1 - قال تعالى : ﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [لقمان : 24] .

2 - وقال تعالى : ﴿ مَتَّعْ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ [يونس : 70] .

3 - وقال تعالى : ﴿ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [الحجر : 3] .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَلْزَمُهُمُ لَوْمَاتُكَذِبِينَ ﴾ . أي : الذين كذبوا بما أخبر الله جلّت عظمتُهُ أنه فاعل بالمجرمين المستكبرين .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴾ . قال ابن كثير : (أي : إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه . ولهذا قال تعالى : ﴿ وَيَلْزَمُهُمُ لَوْمَاتُكَذِبِينَ ﴾) .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّا حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ . أي : فبأي حديث غير هذا القرآن المعجز يصدقون إذا لم يؤمنوا به ؟ وهو توبيخ للمشركين واستخفاف بعقولهم .

تم تفسير سورة المرسلات

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

عصر يوم الأربعاء 7 / ذي القعدة / 1426 هـ

الموافق 7 / كانون الأول / 2005 م

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - «المرسلات» من أخوات «هود». شَيِّتَ نبينا محمداً ﷺ قبل المشيب .
- 2 - ويل للمكذبين من عذاب الله يوم القيامة .
- 3 - يقول الله عز وجل : أَنَّىٰ تعجزني ابن آدم! وقد خلقتك من مثل هذه . فإذا بلغت نفسك هذه (وأشار إلى خلقه) قلت : أتصدق . وَأَنَّىٰ أوان الصدقة؟
- 4 - يقبض الله الأرض ويطوي السماوات بيمينه ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟
- 5 - ويل يومئذ للمكذبين بقدرة الله بعد هذا البيان .
- 6 - العباد المتقون خالدون في جنات النعيم ، والمجرمون خالدون في نار الجحيم .





وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (40).

أخرج الترمذي بسند صحيح عن ابن عباس قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شئت! قال: [شَيْئَنِي هُوَ] ، والواقعة ، والمرسلات ، وعمّ يتساءلون ، وإذا الشمس كُوِّرَتْ⁽¹⁾.

موضوع السورة النبأ العظيم وأحوال الناس في الآخرة

- منهاج السورة -

- 1- تقرير المشركين في إنكارهم المعاد ، وبعث الأجساد ، عن طريق الاستفهام .
- 2- تقرير الله تعالى آياته الكبيرة ، ونعمه على العباد الجليلة .
- 3- تأكيد يوم الفصل للجزاء والحساب ، يوم ينفخ في الصور ويحشر الناس ويبدأ وزن الأعمال لنيل الثواب ونكال العقاب .
- 4- نَعَتْ أحوال جهنم وأحوال سكانها في العذاب ، فقد كانوا على الكفر والتكذيب بالحساب .

(1) حديث صحيح . أخرجه الترمذي (3297) ، كتاب التفسير . انظر صحيح سنن الترمذي (2627) .

- 5- نَعَتْ أحوال أهل السعادة في جنات النعيم ، فهم في الحقائق مع الكواعب والشراب والملذات وألوان التكريم .
- 6- رهبة الموقف في أرض المحشر وإنصات الجميع لقرار الله العظيم ، فلا يملك أحد التكلم بالشفاعة إلا بإذن الله الرحيم .
- 7- حث العباد على الاستعداد لذلك اليوم العظيم ، الذي يتمنى فيه الكافر لو صار تراباً وتخلص من العذاب الأليم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

16 - 1. قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْتَنَاهُ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ .

في هذه الآيات: تقرُّعُ الله تعالى المشركين في إنكارهم المعاد وبعث الأجساد ، وتقرير آياته تعالى الكبيرة ونعمه الجليلة على العباد ، فقد جعل الله الأرض مهداً والجبال كالأوتاد ، وخلق الأزواج والنوم والليل والنهار وجعل سبع سماوات شداد ، وجعل الشمس كالسراج الوهاج ، وأنزل من السحاب الماء الثجاج ، ليحيي به الأرض وثمرات وجنات البلاد .

فقوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ﴾ . إنكار من الله على المشركين إنكارهم وقوع القيامة . قال قتادة: (النبا العظيم: البعث بعد الموت). قال القاسمي: (والاستفهام للتفخيم أو للتبكي). وسمَّاه سبحانه النبا العظيم لأن أمر القيامة يحمل الهول الكبير ، والحدث المفزع الباهر .

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ . قال قتادة: (فصار الناس فيه فريقين: مصدق ومكذب ، فأما الموت فقد أقروا به لمعاينتهم إياه ، واختلفوا في البعث بعد الموت) .

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ . تهديد شديد ، ووعد أكيد . قال النسفي: ﴿كَلَّا﴾ ردع عن الاختلاف أو التساؤل هزواً ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون عياناً أن ما يتساءلون عنه حق . ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ كرر الردع للتشديد ، و﴿ثُمَّ﴾ يشعر بأن الثاني أبلغ من الأول وأشد .

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾. أي: ألم نجعل الأرض ممهدة لكم تمتهدونها وتفتروشونها ، فهي ساكنة قارة بأهلها ثابتة. قال قتادة: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾: أي بساطاً).

وقوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا﴾. قال قتادة: (والجبال للأرض أوتاداً أن تميد بكم).

قال القرطبي: (أي: لتسكن ولا تتكفأ ولا تميل بأهلها).

وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾. قال ابن كثير: (يعني: ذكراً وأنثى ، يستمتع كل منهما بالآخر ، ويحصل التناسل بذلك ، كقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: 21]).

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾. السبت والسبات هو السكون. قال الرازي: (و«السبات» النوم ، وأصله الراحة ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾).

وقيل: إنما سمي السبت سبتاً ، لأنه يوم راحة ودعة.

والمقصود: امتناناً من الله سبحانه على عباده أن جعل نومهم راحة لهم ودعة ، يسكنون فيه من عناء العمل والحركة في النهار ، ويهدؤون خلاله كأنهم أموات ولم تفارقهم الأرواح.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لَيْسًا﴾. قال قتادة: (سكناً).

وقال النسفي: ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لَيْسًا﴾ سترأ يستركم عن العيون إذا أردتم إخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه). وقال ابن جرير: ﴿وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لَيْسًا﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا الليل لكم غشاء يغشاكم سواده ، وتغطيكم ظلمته ، كما يغطي الثوب لابسه ، لتسكنوا فيه عن التصرف لما كنتم تتصرفون له نهاراً).

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾. أي: وجعلنا النهار مشرقاً مضيئاً ، ليناسب انتشاركم في طلب التكسب والمعاش ، والتصرف بمصالح دنياكم ، والتقلب في متاجركم وحوائجكم. قال مجاهد: (قوله: ﴿النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ قال: يبتغون فيه من فضل الله).

وقوله تعالى: ﴿وَبَيَّنَّا فَوْقَكُمْ سَبْعَ شِدَادًا﴾. شداداً: جمع شديدة ، أي محكمة قوية. وقيل غلاظاً ، غلظ كل واحدة مسيرة خمس مئة عام. والمقصود: سقفنا فوقكم سبع

سماوات محكمة البنيان ، لا صدوع فيهن ولا فطور ، ولا يبليهن مرّ الليالي والأيام ، وزَيَّنَّاهَا بالكواكب الحسان .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ . يعني بالسراج : الشمس . وقوله : ﴿ وَهَّاجًا ﴾ أي وَقَادًا مضيئًا . قال ابن عباس : ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ يقول : مضيئًا . وفي رواية قال : (يقول سراجاً منيراً) . وقال مجاهد : ﴿ سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾ قال : يتلألاً .

وقال سفيان : (يتلألاً ضوءه) . والمقصود : وجعل سبحانه الشمس من رحمته وَهَّاجَةً تتلألاً بالضياء والنور ، ويتوهج ضوءها لأهل الأرض كلهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾ .

المعصرات : السحاب . قال ابن عباس : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ ﴾ أي : مِنْ السحاب .

وقال الفراء : (هي السحاب التي تتحلَّب بالمطر ولم تُمطر بعد ، كما يُقال : امرأة مُعْصِرٌ : إذا دنا حيضها ولم تحض) . وقال ابن عباس في رواية أخرى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ ﴾ قال : (الرياح) . وكأن المقصود أنها تستدِرُّ المطر من السحاب .

والقول الأول أرجح : أن المعصرات هي السحاب ، واختاره ابن جرير وابن كثير وغيرهما .

وفي التنزيل ما يؤيد ذلك ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَبَجَعَلُهُمْ كَسَفَا فَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ [الروم : 48] .

وقوله : ﴿ ثَجَّاجًا ﴾ . قال مجاهد : (مُنْصَبًّا) . وقال الثوري : (مُتَّابِعًا) .

وقال ابن زيد : (كثيراً) . قلت : وفي لغة العرب : ثَجَّ الماء سَيْلَهُ . ومطرٌ ثَجَّاج : أي مُنْصَبٌّ جداً . فيكون الثَجُّ هو الصبُّ المتتابع الكثير .

وفي الحديث : [أفضل الحجِّ العَجَّ والثَّجَّ]⁽¹⁾ . والعَجَّ : هو رفع الصوت بالتلبية . والثَّجَّ : سيلان دماء الهدي والأضاحي ، أو صبُّ دماء البُذُن .

وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح من حديث حمنة بنت جحش . قالت : [يا رسول الله ، إني امرأة أستحاض حيضة كثيرة شديدة ، فما ترى فيها ، قد منعني الصلاة والصوم ؟ فقال : أَنْعَتْ لِكَ الْكَرْسُفَ فَإِنَّهُ يُذْهِبُ الدَّمَ] . قالت : هو أكثر من ذلك ، قال :

(1) حديث حسن . أخرجه الترمذي في الجامع من حديث ابن عمر . انظر صحيح الجامع (1112) .

فاتخذي ثوباً. فقالت: هو أكثر من ذلك ، إنما أُنِجُ ثَجاً الحديث⁽¹⁾.

وقد أورده الحافظ ابن كثير مستدلاً منه أن استعمال الثَج إنما هو في الصب المتتابع الكثير.

وقوله تعالى: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾. أي: لنخرج بذلك الماء حباً كالحنطة والشعير وما يُدْخِر للأناسي والأنعام ، و﴿وَنَبَاتًا﴾ كالكلأ والخضر الذي تأكله الدواب أو الزرع الذي يؤكل رطباً.

وقوله تعالى: ﴿وَجَنَّتٍ أَلْفَافًا﴾. أي: وبساتين ملتفة الأشجار. قال ابن عباس: ﴿وَجَنَّتٍ أَلْفَافًا﴾ قال: مجتمعة. وقال مجاهد: (ملتفة). وقال قتادة: (التف بعضها إلى بعض). والمقصود: تشعبت أغصان أشجار تلك البساتين والحدائق فأصبحت ملتفة بعضها ببعض.

قال الرازي: (قدّم الحب لأنه الأصل في الغذاء. وثنى بالنبات لاحتياج الحيوانات إليه. وأخر الجنات لأن الحاجة إلى الفواكه ليست بضرورية).

17 - 30. قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا﴾ ﴿٧٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿٧٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿٧٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٨٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٨١﴾ لِلطَّالِعِينَ مَتَابًا ﴿٨٢﴾ لِّلَّذِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٨٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٨٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٨٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٨٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٨٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٨٨﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٨٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٩٠﴾.

في هذه الآيات: تأكيد الله تعالى يوم الفصل ميقاتاً للحساب ، يوم ينفخ في الصور ويحشر الناس لنيل الثواب ونكال العقاب ، وتفتح السماء وتسير الجبال كالسراب ، وتحضر جهنم ليصلها الطغاة والمجرمون ويلقون سوء العذاب.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا﴾. يوم الفصل: يوم القيامة ، سمي كذلك لأن الله تعالى يفصل فيه بين خلقه. قال قتادة: (هو يوم عظمه الله ، يفصل الله فيه بين الأولين والآخرين بأعمالهم).

(1) حديث حسن. أخرجه أبو داود في السنن (287). وانظر صحيح سنن أبي داود (267).

قال النسفي: ﴿كَانَ مِيقَتَنَا﴾ وقتاً محدداً ومنتهى معلوماً لوقوع الجزاء ، أو ميعاداً للثواب والعقاب).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾. الصور: قَرْن. قال مجاهد: ﴿أَفْوَاجًا﴾: زمراً زمراً. والمقصود ابتداء يوم الفصل بالنفخ في الصور فإذا جميع الخلائق من الجن والإنس يجيئون زمراً زمراً ، وجماعة جماعة. قال ابن جرير: (وإنما قيل: ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ لأن كل أمة أرسل الله إليها رسولا تأتي مع الذي أرسل إليها ، كما قال: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْعَانِهِمْ﴾ [الإسراء: 71]).

أخرج الترمذي بسند حسن عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: [كيف أنعم وصاحبُ الصور قد التقمه وأصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر بالنفخ؟ فقالوا: يا رسول الله! وما تأمرنا؟ قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل] (1).

وأخرج البخاري في كتاب التفسير من صحيحه عند هذه الآية: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ قال: حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ: أَخْبَرَنَا أَبُو معاوية عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: [قال رسول الله ﷺ: «ما بين النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ». قال: أَرْبَعُونَ يوماً؟ قال: أَيْبْتُ. قال: أَرْبَعُونَ شهراً؟ قال: أَيْبْتُ ، قال: أَرْبَعُونَ سنة؟ قال: أَيْبْتُ. قال: ثم يُنْزِلُ الله من السماء ماءً فَيَنْبُتُونَ كما يَنْبُتُ الْبَقْلُ ، ليس من الإنسان شيء إلا يَبْلَى ، إلا عَظْماً واحداً وهو عَجْبُ الذَّنْبِ ، وَمِنْهُ يَرْكَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] (2).

وقوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾. قال القرطبي: (أي لنزول الملائكة ، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِأَلْفَمٍ وَنُزُلِ الْمَلَائِكَةِ تَنْزِيلًا﴾ [الفرقان: 25]. وقيل: تقطعت ، فكانت قطعاً كالأبواب). والمقصود: تتصدع السماء يومئذ وتتشقق بعد أن كانت من قبل شداداً لا فطور فيها ولا صدوع. وتصير ذات أبواب كثيرة لنزول الملائكة.

وقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾. أي: وتُجَتَّتُ الجبال يومئذ من أصولها ، فتصير هباءً منبثاً ، كالسراب يحسبه من يراه من بعيد ماءً ، وإنما هو هباء.

(1) حديث حسن. أخرجه الترمذي في السنن - حديث رقم - (2431) ، (3243) من حديث أبي سعيد الخدري ، وإسناده حسن.

(2) حديث صحيح. أخرجه البخاري في الصحيح - حديث رقم - (4935) ، كتاب التفسير ، وكذلك - حديث رقم - (4814) من حديث أبي هريرة.

وفي التنزيل نحو ذلك :

1 - قال تعالى : ﴿ وَرَى الْجِبَالِ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾ [النمل : 88].

2 - وقال تعالى : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ [القارعة : 5].

3 - وقال تعالى : ﴿ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٩﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١١٠﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ [طه : 105 - 107].

4 - وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ [الكهف : 47].

قال القاسمي : ﴿ وَسَيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ أي رفعت من أماكنها في الهواء . وذلك إنما يكون بعد تفتيتها وجعلها أجزاء متصاعدة كالهباء . وفي الآية تشبيه بليغ . والجامع أن كلا منهما يرى على شكل شيء ، وليس به . فالسراب يرى كأنه بحر وليس كذلك . والجبال إذا فتتت وارتفعت في الهواء ، ترى كأنها جبال وليست بجبال . بل غبار غليظ متراكم ، يرى من بعيد كأنه جبل .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴾ . أي مُرْصَدَةً مُهَيَّاةً مُعَدَّةً مُجَهَّزَةً . و﴿ مِرْصَادًا ﴾ مفعول من الرصد ، والرصد : كل شيء كان أمامك .

قال القرطبي : (فجهم مُعَدَّةً مترصدة ، مُتَفَعِّلٌ من الرصد وهو الترقب ، أي هي متطلعة لمن يأتي . والمرصاد مفعول من أبنية المبالغة كالمِعْطَار والمِغْيَار ، فكأنه يكثر من جهنم انتظار الكفار) .

وقوله تعالى : ﴿ لِّلطَّغْيِينَ مَنَآبَا ﴾ . قال قتادة : (مأوى ومنزلاً) . والمقصود : أن جهنم ستكون منزل الطاغين ممن طغى في دينه بالكفر ، أو في دنياه بالظلم .

وقوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾ . «أحقاباً» جمع حُقْب ، وهو الدهر أو المدة من الزمان ، ولا عدد يحصره ، بل كلما مضى حقب تبعه آخر ، ويستعمل عند قصد تتابع الأزمنة ، والمعنى : (ماكثين في النار ما دامت الدهور تتعاقب) .

وقوله تعالى : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴾ [٢١] إِلَّا حِيمًا وَعَسَاقًا ﴾ . أي : لا يجدون فيها برداً يبرد لهيب النار عنهم ، إلا الغساق . ولا شراباً يرويههم من شدة العطش إلا الحميم .

وللمفسرين أقوالٌ في ذلك .

أ - قوله تعالى : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴾ .

1 - قال ابن عباس: (البَرْد ، النوم ، والشراب : الماء). وقال أيضاً: (البرد: برد الشراب).

2- قال الزجاج: (أي لا يذوقون فيها برد ريح ، ولا ظل ، ولا نوم).

3- وقال الحسن وعطاء وابن زيد: ﴿بَرْدًا﴾: أي رَوْحاً وراحةً.

ب- قوله تعالى: ﴿إِلَّا حِمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾.

1 - قال أبو عبيدة: (الحميم: الماء الحار). وقال النحاس: (أصل الحميم: الماء الحار ، ومنه اشتق الحَمَام ، ومنه الحمَى ، ومنه ﴿وَطَلَّ يَنْ يَحْمُورُ﴾ [الواقعة: 43] إنما يراد به النهاية في الحر).

2 - وقال ابن زيد: (الحميم: دموع أعينهم ، تجمع في حياض ثم يُسْقُونَهُ. والغساق: الصديد الذي يخرج من جلودهم ، مما تصهرهم النار في حياض يجتمع فيها فيسقونه). وقال إبراهيم: (الغساق: ما يقطر من جلودهم ، وما يسيل من نبتهم). وقيل: الغساق الزمهرير ، والأرجح أن يكون صديد أهل النار وقيحهم.

وقوله تعالى: ﴿جَزَاءً وَفَاءً﴾. الوفاق بمعنى الموافقة. قال ابن عباس: (يقول: وافق أعمالهم). وقال قتادة: (وافق الجزاء أعمال القوم أعمال السوء). و﴿جَزَاءً﴾ نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ ، والتقدير: جازيناهم جزاء وافق أعمالهم. قال الحسن: (كانت أعمالهم سيئة ، فأناهم بما يسوءهم).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾. قال قتادة: (أي لا يخافون حساباً). والمقصود: أن هؤلاء الكفار لم يكونوا يؤمنون أن ثَمَّ دَاراً يُقَاضُونَ فِيهَا عَلَى أَعْمَالِهِمْ ، ويحاسبون على جرائمهم وكفرهم.

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾. أي: وكذب هؤلاء الكفار بالوحي والنبوة تكذيباً كبيراً. قال الفراء: (هي لغة يمانية فصيحة ، يقولون: كَذَّبْتُ بِهِ كِذَابًا ، وخرقت القميص خِرَاقًا ، وكل فِعْلٌ فِي وَزْنِ «فَعَلٌ» فمصدره «فِعَالٌ» مشدّد في لغتهم).

وقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾. «كُلُّ» نُصِبَ بِفِعْلِ مُحذُوفٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾. والتقدير: وأحصينا كل شيء أحصيناه كتاباً. ونُصِبَ ﴿كِتَابًا﴾ عَلَى الْمَصْدَرِ. قال القرطبي: (لأن معنى أحصينا: كتبنا ، أي كتبناه كتاباً).

قال ابن كثير: (أي: وقد عَلِمْنَا أَعْمَالَ الْعِبَادِ كُلِّهِمْ ، وكتبناها عليهم ، وسنجزئهم

على ذلك ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر).

وقوله تعالى: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾. هو من أشد ما نزل في القرآن في خزي الكفار. قال قتادة: عن أبي أيوب الأزدي ، عن عبد الله بن عمرو ، قال: (لم تنزل على أهل النار آية أشد من هذه ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قال فهم في مزيد من العذاب أبداً). رواه بسنده ابن جرير.

وفي التنزيل نحو ذلك:

1 - قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 56].

2 - وقال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقْلِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الحج: 19 - 22].

3 - وقال تعالى: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: 97].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: [أما أهل النار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون]⁽¹⁾.

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: [ناركم جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنم. قيل: يا رسول الله ، إن كانت لكافية. قال: فُضِّلَتْ عليهن بتسعة وستين جزءاً كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا]⁽²⁾.

31 - 36. قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَزْوَاجًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِمَّنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾.

في هذه الآيات: إخبارُ الله تعالى عن أحوال أهل السعادة والتكريم ، أهل الخلود في جنات النعيم ، فهم في الحقائق مع الكواعب والشراب والملذات والترفيه والتنعيم.

(1) حديث صحيح. أخرجه مسلم (1/ 118). وانظر تفصيل البحث في كتابي: أصل الدين والإيمان ، عند الصحابة والتابعين لهم بإحسان. بحث «النار: صفتها وصفة أهلها» (2/ 760).
(2) حديث صحيح. أخرجه البخاري في صحيحه - حديث رقم - (3265) ، كتاب بدء الخلق. وانظر مختصر صحيح مسلم - حديث رقم - (1976).

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾. المفاز من الفوز: وهو النجاة والظفر بالخير. والمفازة: واحدة المفاوز، وهي الفلاة إذا قل مأوها. قال الأصمعي: (سُمِّيَتْ بِذَلِكَ تَفَاوُلًا بِالسَّلَامَةِ وَالْفَوْزِ).

وعن مجاهد: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ قال: فازوا بأن نجوا من النار. وقال قتادة: (أي والله مفازا من النار إلى الجنة، ومن عذاب الله إلى رحمته).

وعن ابن عباس: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ قال: مُنْتَزَهًا. قلت: ولا تعارض بين القولين، فإن الفوز بالنجاة من العذاب إلى رضوان الله ورحمته هو غاية المتعة والتنزه. وقوله تعالى: ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابَ﴾. قال ابن جرير: (الحدائق ترجمة وبيان عن المفاز).

والحدائق: جمع حديقة، وهي البستان المحوَّط عليه. والأعناب: جمع عنب، أي كروم أعناب. والمعنى: إن المتقين يوم القيامة يتنزهون في حدائق الجنان، وكروم الأعناب، وهم في غاية المتعة والسرور، والأمن والراحة والحبور.

وقوله تعالى: ﴿وَكَوَاعِبَ أُنْرَابًا﴾. الكواعب: النواهد. جمع كاعب. والأتراب: الأقران في السن، جمع تَرَب.

قال ابن زيد: (الكواعب: التي قد نهدت وكعب ثديها). والمقصود: وهوراً نواهد، أي: ثديهن نواهد لم يتدلَّجن لأنهن أبكار عُرب أتراب، أي في سنٍّ واحدة. قال القاسمي: ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ أي بنات فلكت ثديهن، أي استدارت مع ارتفاع يسير ﴿أُنْرَابًا﴾ أي متساويات في السن).

وقوله تعالى: ﴿وَكُأْسًا دِهَاقًا﴾. قال ابن عباس: (مملوءة متتابعة). وقال عكرمة: (صافية). وقال الحسن: (مُترعة مملوءة). وفي لغة العرب يقال: أَدَهَقْتُ الكَأْسَ: أي ملأتها، وكَأْسٌ دِهَاقٌ أي ممتلئة. والمقصود: وَيَقْدَّمُ لهؤلاء الأبرار المتقين في الجنة كأس ملائ من خمير لذة للشاربين، ليجتمع عليهم بذلك جمال الحدائق والكواعب ولذة الشراب.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذْبًا﴾. اللغو: الباطل. قال القرطبي: (هو ما يُلغى من الكلام ويُطرح. قال: وذلك أن أهل الجنة إذا شربوا لم تتغير عقولهم، ولم يتكلموا بلغو، بخلاف أهل الدنيا). و﴿كِذْبًا﴾ أي مكاذبة. أي لا يَكْذِبُ بعضهم بعضاً ولا يسمعون كذباً. قال بعض العلماء: (اللغو والتكذيب مما تألم له أنفس الصادقين، بل هو من أشد الأذى لقلوبهم. فأراد الله إزاحة ذلك عنهم).

وقوله تعالى: ﴿جَزَاءٌ مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾. قال النسفي: ﴿جَزَاءٌ﴾ مصدر ، أي جزاءهم جزاء ﴿مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ﴾ مصدر ، أو بدل من جزاء ﴿حِسَابًا﴾ صفة ، يعني كافياً ، أو على حسب أعمالهم). وفي لغة العرب: أعطاني فلاناً فأحسبني أي: كفاني. ومنه ﴿حَسِبَ اللَّهُ﴾ أي: الله كافٍ. والمقصود: كُلُّ ما سبق ذكره من ألوان السرور والنعيم ، إنما جازى الله به المتقين ، فأعطاهم عطاء كافياً وافراً شاملاً كثيراً ، مقابل ما قدّموا من العطاء لهذا الدين وجاهدوا في سبيل الله جهاداً كبيراً.

37 - 40. قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مَعَهُ خِطَابًا﴾ ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾.

في هذه الآيات: إخبار الله تعالى عن نفسه أنه رب السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما ، رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما ، ولا يملك أحد أن يتكلم يوم الحشر إلا بإذنه الكريم ، فهو يوم رهيب يتمنى الكافر فيه لو صار تراباً وتخلص من العذاب المهيمن الأليم.

فقوله: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾. إخبار من الله تعالى عن عظمته وجبروته ورحمته. وقرأ ابن مسعود ونافع وأبو عمرو ﴿رَبُّ﴾ بالرفع على الاستئناف ، «الرحمن» خبره. أو بمعنى هو رب السماوات ، ويكون «الرحمن» مبتدأ ثانياً.

وقرأ ابن عامر وبعض أهل البصرة والكوفة ﴿رَبُّ﴾ بالخفض ، نعتاً لقوله: ﴿جَزَاءٌ مِّن رَّبِّكَ﴾. والتقدير: جزاء من ربك رب السماوات الرحمن. وهذه القراءة بالخفض هي الأشهر بين القراء.

وقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مَعَهُ خِطَابًا﴾. قال مجاهد: (كلاماً). وقال ابن زيد: (لا يملكون أن يخاطبوا الله. والمخاطب: المخاصم الذي يخاصم صاحبه). والمقصود: لا يملك أحد في ذلك اليوم الرهيب ابتداء مخاطبته سبحانه إلا بإذنه.

وفي التنزيل نحو ذلك:

1 - قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: 105].

2- وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 255].

وفي الصحيحين والمسند من حديث أبي هريرة مرفوعاً: [يجمع الله عز وجل الأولين والآخرين في صعيد واحد ، يُسْمِعُهُم الداعي وينفذهم البصر] الحديث⁽¹⁾.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾. يوم: نصب على الظرفية ، والتقدير: يوم لا يملكون منه خطاباً يوم يقوم الروح. والروح: جبريل عند الجمهور ، ويؤيده قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: 193]. وهناك أقوال غريبة عجيبة عند المفسرين في تفسير الروح لا دليل عليها. قلت: وإنما خصه الله سبحانه بالإنفراد بالذكر من بين سائر الملائكة لشرفه فيهم.

والمقصود: يقف جبريل عليه السلام والملائكة الكرام في ذلك المشهد المهيّب مصطفىين صامتين لا يتكلمون.

وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَدْنَىٰ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾. أي: إلا من أذن له الرحمن بالشفاعة.

أو لا يتكلمون إلا في حق من أذن له الرحمن ، وكان ذلك الشخص ممن قال صواباً في الدنيا: أي شهد بالتوحيد. فالضمير في ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ يرجع إلى الملائكة. وقيل: بل هو أعم ، فلا يتكلم أحد يومئذ إلا بإذنه.

فعن ابن عباس: ﴿إِلَّا مَنْ أَدْنَىٰ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ يقول: إلا من أذن له الرب بشهادة أن لا إله إلا الله ، وهي منتهى الصواب. وقال مجاهد: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ قال حقاً في الدنيا ، وعمل به. وقال أبو صالح: (قال: لا إله إلا الله).

وفي التنزيل نحو ذلك:

1- قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: 255].

2- وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [هود: 105].

قال الزمخشري: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَدْنَىٰ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ هما شريطان: أن يكون المتكلم منهم مأذوناً له في الكلام ، وأن يتكلم بالصواب ، فلا يشفع لغير مرتضى ، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: 28].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً: [يُضْرَبُ الصراط بين ظَهْرَانِي

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري في صحيحه - حديث رقم - (3340) ، كتاب أحاديث الأنبياء. وأخرجه مسلم في الصحيح (1/ 127 - 129).

جَهَنَّمَ ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ ، وَدَعَايُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ : اللَّهُمَّ ! سَلِّمْ ، سَلِّمْ !⁽¹⁾ .

وفي صحيح مسلم - أيضاً - من حديث أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ :
[ثم يضرب الجسر على جهنم ، وتحل الشفاعة ، ويقولون : اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ . فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب ، فجاج مُسَلَّمٌ⁽²⁾ ، ومخدوش مرسل⁽³⁾ ، ومكدوس في نار جهنم⁽⁴⁾ ، حتى إذا خلاص المؤمنون من النار ، فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشدَّ مناشدة في الحق - قد تبين لكم - من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار . يقولون : ربنا ! كانوا يصومون معنا ، ويصلون ويحجّون ، فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً] الحديث⁽⁵⁾ .

وقوله : ﴿ ذَلِكِ الْيَوْمُ الْحَقُّ ﴾ . أي الكائن الواقع لا محالة . يعني يوم القيامة .

وقوله : ﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴾ . قال قتادة : (سيلاً) . قال : اتخذوا إلى الله مآباً بطاعته ، وما يقربهم إليه) . وقال سفيان : (مرجعاً منزلاً) .

والمقصود : فمن أراد النجاة اتخذ مرجعاً وطريقاً إلى الله سبحانه ، بالتقرب إليه بالإيمان والعمل الصالح .

وقوله : ﴿ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴾ . قال ابن جرير : (يقول : إنا حذرناكم أيها الناس عذاباً قد دنا منكم وقرب) . قال ابن كثير : (يعني يوم القيامة ، لتأكّد وقوعه صار قريباً ، لِأَنَّ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ) .

وقوله : ﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾ . أي : ذلك العذاب يوم يعرض على الإنسان جميع أعماله أولها وآخرها ، قديمها وحديثها ، خيرها وشرها .

(1) حديث صحيح . أخرجه مسلم (182) ، كتاب الإيمان . باب معرفة طريق الرؤية ، في أثناء حديث .

(2) أي : نجاة وسلامة .

(3) أي : خدش ، ولكن صاحبه ينطلق ويصل مع الإرهاق .

(4) أي : متراكم بعضه فوق بعض في جهنم .

(5) حديث صحيح . رواه مسلم (1/118) . وانظر تفصيل البحث في كتابي : أصل الدين والإيمان - عند

الصحابه والتابعين لهم بإحسان - بحث : الصراط على جهنم والشفاعة (2/752) .

وفي التنزيل نحو ذلك :

- 1 - قال تعالى : ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ﴾ [الكهف : 49].
- 2 - وقال تعالى : ﴿ يَبْشُرُوا الْإِنْسَانَ يَوْمَ قَدَمٍ وَآخِرٍ ﴾ [القيامة : 13].
- 3 - وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُتَحَضِّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ ﴾ [آل عمران : 30].

وأخرج البخاري ومسلم عن عدي بن حاتم قال : قال رسول الله ﷺ : [ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه ، ليس بينه وبينه ترجمان ، ولا حجابٌ يحجبُه ، فينظرُ أيمنَ منه فلا يرى إلا ما قدَّم من عمله ، وينظرُ أشأمَ منه فلا يرى إلا ما قدَّم ، وينظرُ بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشقِّ تمرَةٍ] ⁽¹⁾.

وقوله : ﴿ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ . وذلك حين يرى القصاص بين البهائم ، ثم يسمع قول الله لها : كوني تراباً ، فعندئذ يتقطع قلبه ندامة وحسرة ، ويقول : ﴿ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ . فقد ارتسمت أمامه جرائمه التي أجمعَ فيها الحياة الدنيا ، وتخيل لحظات القصاص اليوم ، وأيقن أن لا فرار من أمر الله ولا نهاية لعذابه ونكاله ، وعلم أنَّ البهائم قد اقتصت من بعضها ولكنها سعدت إذ انتهت ، وأما من كفر بالله من الثقيلين فلا سبيل اليوم إلى الفرار أو الخلاص .

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً : [لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء] ⁽²⁾ . والجلحاء : التي لا قرن لها .

وله شاهد عند الإمام أحمد عنه مرفوعاً بلفظ : [يقتصن الخلق بعضهم من بعض ، حتى الجماء من القرناء ، وحتى الذرة من الذرة] ⁽³⁾ . والجماء : التي لا قرن لها .

ومن طريق أبي حنيفة عنه مرفوعاً بلفظ : [ألا والذي نفسي بيده ، ليختصمن كل شيء يوم القيامة حتى الشاتان فيما انتطحتا] ⁽⁴⁾ .

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري (6539) ، كتاب الرقاق . وأخرجه مسلم (1016) ، كتاب الزكاة .

(2) حديث صحيح . أخرجه مسلم في الصحيح (8/18 - 19) كتاب الظلم . باب القصاص وأداء الحقوق يوم القيامة ، من حديث أبي هريرة .

(3) حديث صحيح . أخرجه أحمد في المسند (2/363) . وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (1967) .

(4) حديث صحيح . أخرجه أحمد في المسند (2/290) . وانظر «الصحيحة» ج (3) ص (609) .

وفي مسند أحمد والطيالسي بسند صحيح عن أبي ذر قال: [رأى رسول الله ﷺ شاتين تنتطحان ، فقال: يا أبا ذر! أتدري فيمَ تنتطحان؟ قلت: لا. قال: ولكن ربك يدري ، وسيقضي بينهما يوم القيامة]⁽¹⁾.

وفي التفاسير عن ابن عمر (ونحوه عن عبد الله بن عمرو وأبي هريرة) قال: (إذا كان يوم القيامة مُدَّتْ الأرضُ مَدَّ الأديم ، وحشر الدواب والبهائم والوحوش ، ثم يوضع القصاص بين البهائم ، حتى يُقْتَصَّ للشاة الجماء من الشاة القرناء بنطحتها ، فإذا فرغ من القصاص بينها قيل لها: كوني تراباً ، فعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾). وعن سفيان قال: (إذ قيل للبهائم: كونوا تراباً ، يقول الكافر يا ليتني كنتُ تراباً).

تم تفسير سورة النبأ

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

عصر يوم السبت 10 / ذي القعدة / 1426 هـ

الموافق 10 / 12 / 2005 م.

(1) حديث صحيح. أخرجه أحمد في المسند (5/ 162). وانظر تفصيل البحث في كتابي: أصل الدين والإيمان - عند الصحابة والتابعين لهم بإحسان (2/ 741).

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - النبأ العظيم هو أمر القيامة ، سمي بذلك لأنه يحمل الهول الكبير ، والحدث المفزع المثير .
- 2 - ليس من شيء من الإنسان إلا يَبْلَى إلا عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة .
- 3 - ﴿مِرْصَادًا﴾ أي مرصدة معدة مجهزة ، فكأنه يُكْثَر من جهنم انتظار الكفار .
- 4 - ﴿جَزَاءً وَفَاءً﴾ من الموافقة ، أي جازيناهم جزاء وافق أعمالهم .
- 5 - ناركم التي توقدون منها جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم ، فَضِّلَتْ عليهن بتسعة وستين جزءاً كلهن مثلاً حَرَّها .
- 6 - الكواعِبُ: النواهد ، جمع كاعِب . والأتراب: الأقران في السن ، جمع تَرَب .
- 7 - يقف جبريل عليه السلام والملائكة الكرام في ذلك المشهد المهيّب مصطفىين صامتين لا يتكلمون .
- 8 - يقتص الخلق بعضهم من بعض ، حتى الجماء من القرناء ، وحتى الذرة من الذرة .



79

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

آياتها
٧٩ترتيبها
٧٩

وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (46) .

موضوع السورة

نزع النازعات أرواح العباد

وتقريع المشركين وتفصيل الحياة في دار المعاد

- منهاج السورة -

- 1 - قسم الله تعالى بالملائكة النازعات أرواح العباد ، الناشطات السابحات السابقات المدبرات الأمر من السماء إلى الأرض ، على وقوع المعاد .
- 2 - القلوب يومئذ خائفة ، والأبصار خاشعة ، والمنكرون للحساب في حالة خاسرة .
- 3 - ذكر قصة موسى مع الطاغية فرعون للاعتبار ، ليتعظ بها كفار قريش ويدعوا الاستكبار .
- 4 - إظهار بدائع قدرة الله العظيم ، في السماء والأرض والليل والنهار والجبال مما فيه تقريع للمشركين ، الذين يشركون بعبادة الله المنعم الرحمان الرحيم .
- 5 - وقوع الإنسان في شباك كسبه وعمله يوم الدين ، وبروز جهنم أمام الخلق لتكون مثوى للمتكبرين ، ومن أثر طاعة الله ونهى النفس عن الهوى فالماوى جنات النعيم .
- 6 - أمر الساعة أمر مباغت لا يعلمه إلا رب العالمين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 14. قوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝۱ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ۝۲ وَالسَّيْحَاتِ سَبْحًا ۝۳ فَالسَّيْحَاتِ سَبْقًا ۝۴ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝۵ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝۶ تَتَّبِعُنَّ الرَّادِفَةَ ۝۷ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝۸ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ۝۹ يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝۱۰ أَيْنَا كُنَّا عِظْمًا خَيْرَةً ۝۱۱ قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّ خَاسِرَةٌ ۝۱۲ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝۱۳ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۝۱۴﴾ .

في هذه الآيات: يقسم سبحانه بالملائكة التي تنزع أرواح العباد من أجسادهم كما ينزع النازع في القوس فيبلغ بها غاية المدّ، ﴿غَرْقًا﴾ أي: إغراقاً في النزاع من أقاصي الأجساد، كما يقسم سبحانه بالملائكة الناشطات السابحات السابقات المدبرات على وقوع المعاد، والقلوب يومئذ خائفة، والأبصار خاشعة، والمنكرون للحساب في حالة خاسرة.

فقوله تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾. قال ابن عباس ومجاهد: (هي الملائكة تنزع نفوس بني آدم). وقال علي وابن مسعود رضي الله عنهما: (النازعات: الملائكة التي تنزع أرواح الكفار). قلت: والمقصود بالإغراق المبالغة في النزاع، وهو حال أرواح الكفار عند نزعها.

ففي حديث أحمد وأبي داود عن البراء - في نزاع روح الكافر أو الفاجر - قال رسول الله ﷺ: [وإنَّ العبد الكافر (وفي رواية: الفاجر) إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة غلاظ شداد، سود الوجوه، معهم المسوح من النار، فيجلسون منه مدّ البصر، ثم يعيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرّق في

جسده ، فينتزعها كما يُنتزع السَّفُود الكثير الشعب من الصوف المبلول ، فتقطع معها العروق والعصب⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَالنَّشِيطَاتِ تَنَشُّطًا﴾. قال ابن عباس: (يعني الملائكة تنشط نفس المؤمن ، فتقبضها كما يُنشط العقال من يد البعير: إذا حُلَّ عنه). وقال أيضاً: (هي أنفس المؤمنين عند الموت تَنَشُّطُ للخروج ، وذلك أنه ما من مؤمن يحضره الموت إلا وتُعرض عليه الجنة قبل أن يموت ، فيرى فيها ما أعد الله له من أزواجه وأهله من الحور العين ، فهم يدعونه إليها ، فنفسه إليهم نشطة أن تخرج فتأتيهم).

قلت: والمقصود الملائكة حين تأخذ أرواح المؤمنين عند الاحتضار فتجذبها برفق. فالنزع جذب بشدة و﴿وَاللَّزِيعَاتِ﴾ للكافرين. والنشط جذب برفق ﴿وَالنَّشِيطَاتِ﴾ للمؤمنين.

وفي حديث البراء السابق: [إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء ، بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مدّ البصر ، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة ، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء ، فيأخذها] الحديث.

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا﴾. قال علي رضي الله عنه: (هي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين). وقال مجاهد: (هي الملائكة ينزلون من السماء مسرعين لأمر الله ، كما يقال للفرس الجواد سابح: إذا أسرع في جريه). وعن مجاهد أيضاً: (الملائكة تسبح في نزولها وصعودها).

والمقصود: هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين لأمر الله ، يسبحون في الهواء كما يسبح الغواص في الماء.

وقوله تعالى: ﴿فَالسَّيِّغَاتِ سَبْقًا﴾. قال علي رضي الله عنه: (هي الملائكة تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء عليهم السلام). وقال مجاهد: (هي الملائكة تسبق ابن آدم بالخير والعمل الصالح). وقيل: تسبق ابن آدم إلى العمل الصالح فتكتبه.

(1) حديث صحيح. أخرجه أحمد (4/ 287 - 288) ، وأبو داود (2/ 281) ، والحاكم (1/ 37 - 40).

والمقصود: هي الملائكة تسبق إلى تنفيذ أمر الله ، كما تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة.

وقوله تعالى: ﴿فَالْمُدْرَاتِ أَمْرًا﴾. قال القشيري: (أجمعوا على أن المراد الملائكة). قال الحسن: (تدبر الأمر من السماء إلى الأرض). والمقصود: تدبير الملائكة للأمر وهو نزولها بالحلال والحرام وتفصيلهما ، وبقضاء الله إلى أهل الأرض في الرياح والأمطار والنوازل وغير ذلك. قال النسفي: (وجواب القسم محذوف ، وهو لتبعثن ، لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۖ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾. الرجف: شدة الحركة. والردف المتابعة.

يروى البخاري عن ابن عباس: [الراجعة النفخة الأولى. والرادفة: الثانية]⁽¹⁾.

والمقصود: وصفت النفخة الأولى وهي ﴿الرَّاجِفَةُ﴾ بما يحدث بحدوثها من رجف تضطرب به الأرض حتى يموت كل من عليها ، ثم تجيء النفخة الثانية وهي ﴿الرَّادِفَةُ﴾ التي تردف ﴿الرَّاجِفَةَ﴾ والتي يكون عندها البعث.

وقوله تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾. قال ابن عباس: (يعني خائفة). وقال السدي: (زائلة عن أماكنها). وقال المؤرج: (قلقة مُسْتَوْفِزة ، مرتكضة⁽²⁾ غير ساكنة). وفي لغة العرب: وجف القلب يجف وجيفا إذا خفق. والمقصود: القلوب يوم الحشر خائفة وجلة مضطربة تخفق من هول الموقف.

وقوله تعالى: ﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةً﴾. أي: أبصار أصحابها منكسرة ذليلة من معاينة هذا الحدث الجلل. وهو كقوله تعالى: ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ رَهَقَهُمْ ذُلٌّ﴾ [القلم: 43].

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾. استفهام بمعنى الإنكار ، والحافرة: القبور. وقيل: الحالة الأولى. قال ابن كثير: (يعني مشركي قريش ومن قال بقولهم في إنكار المعاد ، يستبعدون وقوع البعث بعد المصير إلى الحافرة ، وهي القبور ، قاله مجاهد. وبعد تمزق أجسادهم وتفنت عظامهم ونحورها). وقال النسفي: (أي أنرد بعد موتنا إلى أول الأمر فنعود أحياء كما كنا ، والحافرة الحالة الأولى ، يقال لمن كان في

(1) حديث صحيح. رواه البخاري في ترجمة باب. وانظر كتابي: أصل الدين والإيمان (725) لتفصيل البحث.

(2) مرتكضة: مضطربة.

أمر فخرج منه ثم عاد إليه رجع إلى حافرتة ، أي إلى حالته الأولى . ويقال النقد عند الحافرة ، أي عند الحالة الأولى وهي الصفة) .

وقوله تعالى : ﴿ أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا تَخِرَّةً ﴾ . قال ابن عباس ومجاهد : (أي بالية) . وقال ابن عباس : (وهو العظم إذا بلي ودخلت الريح فيه) . وفي لغة العرب : نَخِرَ العظم : أي بلي وتفتت . والمقصود : استبعاد المشركين البعث بعد الموت وقد صارت العظام بالية متفتتة .

وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾ .

قال محمد بن كعب : (قالت قريش : لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرن) . والمقصود : قال منكرو البعث : لئن رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا مما يقوله محمد .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ . قال مجاهد : (صيحة واحدة) . وقال الحسن البصري : (زَجْرَةٌ من الغَضْب) . وقال إبراهيم التيمي : (أشدُّ ما يكون الربُّ غَضَباً على خلقه يوم يبعثهم) . وقال الربيع بن أنس : (زَجْرَةٌ واحدة : هي النفخة الآخرة) .

والمقصود : وإنما هو - معشر المنكرين للمعاد والحساب - أمرٌ واحد من الواحد القهار لا مثنوية فيه ولا تأكيد ، فإذا جميع الناس قيام ينظرون . وذلك حين يأمر الجبار إسرافيل لينفخ نفخة البعث .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ . الساهرة في كلام العرب : وجه الأرض . قال مجاهد : (كانوا بأسفلها ، فأخرجوا إلى أعلاها) . وقال قتادة : (لما تباعد البعث في أعين القوم ، قال الله : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ ١٦ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ يقول : فإذا هم بأعلى الأرض ، بعدما كانوا في جوفها) . وقال أيضاً : (فإذا هم يخرجون من قبورهم فوق الأرض) .

15 - 26 . قوله تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ ١٥ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ

طُوًى ﴿ ١٦ ﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿ ١٧ ﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبَ ﴿ ١٨ ﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿ ١٩ ﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿ ٢٠ ﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿ ٢١ ﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴿ ٢٢ ﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿ ٢٣ ﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ

الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٢٦﴾ .

في هذه الآيات: ذكر قصة موسى مع فرعون الطاغية للاعتبار ، ليتعظ بذلك كفار قريش ومن مضى على سبيلهم بالكفر والاستهتار ، فقد أهلك الله الطاغية وجنوده وكان للنبوة الظفر والانتصار .

فقوله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ . تسلية للنبي ﷺ عما يلقيه من أذى قومه وتكذيبهم . قيل: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ ﴾ أي قد جاءك وبلغك ﴿ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ . قال القرطبي: (أي إن فرعون كان أقوى من كفار عصرك ، ثم أخذناه ، وكذلك هؤلاء) . وقيل: «هل» بمعنى «ما» أي ما أتاك ، ولكن أخبرت به ، فإن فيه عبرة لمن يخشى . وقال النسفي: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ استفهام يتضمن التنبيه على أن هذا مما يجب أن يشيع ، والتشريف للمخاطب به)

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِأَلْوَادِ الْمَقْدِسِ طُوًى ﴾ . أي: حين ناجاه ربه بالوادي المطهر الذي اسمه ﴿ طُوًى ﴾ . قال ابن جرير: (يعني بالمقدس: المطهر المبارك) . وعن مجاهد: (قوله ﴿ طُوًى ﴾ اسم الوادي) . قال الفراء: (طوى: واد بين المدينة ومصر . قال: وهو معدول عن طاو ، كما عدل عمر عن عامر) . وفي الصحاح: (طوى: بضم الطاء وكسرهما اسم موضع بالشام يُصْرَفُ ولا يُصْرَفُ: فمن صَرَفَه جعله اسم وادٍ ومكانٍ وجَعَلَه نكرة . ومن لم يَصْرِفْه جعله بلدةً وبُقْعَةً وجعله معرفة) . قال الرازي: (وقال بعضهم: طوى هو الشيء المثنى ، وقال في قوله تعالى: ﴿ الْمَقْدِسِ طُوًى ﴾ طوي مرتين أي قُدْسَ مرتين) . وقال الحسن: (ثَبَّتَ فيه البركة والتقدیس مرتين) .

وقوله تعالى: ﴿ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ . أي: ناداه ربه أن اذهب إلى فرعون فقد عتا وتجاوز حدّه في العدوان ، والتكبر على ربه .

وقوله تعالى: ﴿ فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَنَا تَزَكَّى ﴾ . قال ابن عباس: (هل لك أن تشهد أن لا إله إلا الله) . وقال ابن زيد: (إلى أن تسلم) . قال النسفي: ﴿ فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَنَا تَزَكَّى ﴾ هل لك ميل إلى أن تتطهر من الشرك والعصيان بالطاعة والإيمان) . والمقصود: دعا موسى فرعون ليكون زكياً مؤمناً .

وقوله تعالى: ﴿ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَخْشَى ﴾ . أي: وأرشدك إلى تعظيم ربك والتزام طاعته فتخافه وتتقيه . قال ابن كثير: (أي: أدلك إلى عبادة ربك ، ﴿ فَخْشَى ﴾ ، أي: فيصير قلبك خاضعاً له مطيعاً خاشعاً بعد ما كان قاسياً خبيثاً بعيداً من الخير) .

وقوله تعالى: ﴿فَأَرَبُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾. قال الحسن: (يده وعصاه). وقال ابن زيد: (العصا والحية). والمقصود: أظهر له موسى حجة بالغة تدل على صدق النبوة.

وقوله تعالى: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾. أي فكذب بالآيات والنبوة ، وعصى ربه عز وجل .
وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى﴾. أي: ثم ولَّى معرضاً عن الحق الذي أظهر له ، ومضى يسعى في معصية الله وفيما يسخطه عليه . قال مجاهد: ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى﴾ قال: يعمل بالفساد). وقيل: مضى في مقابلة الحق بالباطل ، فجمع السحرة ليقابلوا معجزة موسى الباهرة .

وقوله تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَادَى﴾ ﴿١٢﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾. قال ابن زيد: (صرخ وحشر قومه ، فنادى فيهم ، فلما اجتمعوا قال: أنا ربكم الأعلى ، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى). وقيل: جمع جنوده للقتال والمحاربة ، والسحرة للمعارضة . وقيل: حشر الناس للحضور فقال لهم بصوت عال ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ أي لا رب لكم فوقي ، يحاول تثبيت اهتزاز سلطانه . قال القاضي: (وقد كان الأليق به ، بعد ظهور خزيه عند انقلاب العصا حية ، أن لا يقول هذا القول . لأن ، عند ظهور الذلة والعجز كيف يليق أن يقول ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾؟ فدلّت هذه الآية على أنه في ذلك الوقت صار كالمعتوه الذي لا يدري ما يقول).

وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾. أي: فعاقبه الله وانتقم منه انتقاماً جعله به عبرة ونكالاً لأمثاله من الطغاة والمتمردين في الدنيا ، وإماماً إلى النار يوم القيامة .

وفي التنزيل نحو ذلك :

- 1 - قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعَنَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَتَسَّ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هود: 99].
- 2 - وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكْذُوبُونَ إِلَى النِّكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [القصص: 41].

فيكون قوله: ﴿نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ يعني الدنيا والآخرة . وقيل المراد بذلك كلمته الأولى والثانية . وقيل: كفره وعصيانه . والراجح الأول ، لدلالة الآيات السابقة على ذلك ، فهو ملعون في الدنيا والآخرة .

أخرج الترمذي بسند صحيح عن شعبة قال: أخبرني عدي بن ثابت ، وعطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، ذكر أحدهما عن النبي ﷺ: [أَنَّهُ ذَكَرَ

أَنَّ جِبْرِئِيلَ جَعَلَ يَدُسُّ فِي فِي فرعون الطَّيْنِ ، خَشْيَةً أَنْ يَقُولَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَرْحَمَهُ اللَّهُ ، أَوْ خَشْيَةً أَنْ يَرْحَمَهُ⁽¹⁾ .

وروى الترمذي - كذلك - عن ابن عباس ، أن النبي ﷺ قال : [لما أغرق الله فرعون قال : آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بنو إسرائيل . فقال جبرئيلُ : يا محمدُ لو رأيتني وأنا آخذُ من حالِ البحرِ وأُدُسُّهُ فِيهِ مَخَافَةً أَنْ تَدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ]⁽²⁾ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴾ . أي إن في ذلك الخزي والعقاب لفرعون وجنده اعتباراً وعظة لمن يخاف الله عز وجل ويخشى عقابه .

27 - 33 . قوله تعالى : ﴿ ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ أَلْسَمَاءُ بَنَاهَا ﴾ ﴿ ٢٧ ﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿ ٢٨ ﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿ ٢٩ ﴾ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿ ٣٠ ﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿ ٣١ ﴾ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ﴿ ٣٢ ﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمَكُمُ ﴿ ٣٣ ﴾ .

في هذه الآيات : إظهارُ بدائع قدرة الله العظيم ، وتقريعُ بذلك وتوبيخ للمشركين ، الذين يغفلون عن آلاء ونعم الرحمان الرحيم .

فقوله تعالى : ﴿ ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ أَلْسَمَاءُ بَنَاهَا ﴾ . تقريع وتوبيخ للمشركين . قال القرطبي : (يريد أهل مكة ، أي أخلقكم بعد الموت أشد في تقديركم ﴿ أَمْ أَلْسَمَاءُ ﴾ فمن قدر على السماء قدر على الإعادة ، كقوله تعالى : ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ [غافر : 57] وقوله تعالى : ﴿ أَوْلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ [يس : 81] . قال : ثم وصف السماء فقال : ﴿ بَنَاهَا ﴾ أي رفعها فوقكم كالبناء) .

قلت : وقد أثبت التقدم العلمي والكشوف العلمية الحديثة أن أجرام السماء كأحجار في بناء واحد يشد بعضها بعضاً ، ويقوم كل على الآخر في انسجام وتناسق عجيب ، فإذا اختل النظام في جرم أو أجرام اختل البناء كله .

وقوله تعالى : ﴿ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴾ . قال ابن عباس : ﴿ رَفَعَ سَمَكَهَا ﴾ يقول بُيَانَهَا) .

(1) صحيح الإسناد . أخرجه الترمذي في السنن (3108) . انظر صحيح سنن الترمذي (2484) .

(2) صحيح بما قبله . أخرجه الترمذي (3107) - كتاب التفسير - سورة يونس . وانظر كذلك : صحيح سنن الترمذي - حديث رقم - (2483) .

وقال مجاهد: ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيَهَا﴾: رفع بناءها بغير عمد). وقال قتادة: (يقول: رفع بناءها فسواها).

قلت: ومن الإعجاز العلمي المعاصر الذي تعكسه دقة هذه الألفاظ القرآنية: أنَّ الإنسان لم يعرف مقدار ارتفاع السماء إلا بعد كشف العلم عن مواقع بعض النجوم ، فعرفنا أن السماء مرتفعة وليست قريبة كما يظن بالنظر المجرد ، فسبحان الله الذي ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيَهَا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾. أي أظلم ليلها ونور نهارها. قال ابن عباس: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ يقول: أظلم ليلها). وهو من غَطِشَ الليل أي ظلم ، والغَطِشُ والغَشُّ الظلمة. وعن قتادة: ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ يقول: نور ضياءها). وقال الضحاك: ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ قال: نهارها). وقال ابن زيد: (ضوء النهار).

ويؤكد الباحثون المعاصرون أن الأرض والشمس والنجوم كانت جميعاً شيئاً واحداً لا يتميز عليه ليل أو نهار ، فلما حدث الانفصال وأخذت بعض الكواكب تبرد وتدور حول نفسها فبرودتها أصبحت معتمة ، وبدورانها أمام الشمس والنجوم المضئية تميز عليها النهار ، كما تميز الليل. وهكذا تبين لنا دقة هذا التعبير القرآني المعجز: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾. أي بسطها. من دَحَوْتُ الشيء دحواً: إذا بسطته. قال القاسمي: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي بعد تسوية السماء على الوجه السابق ، وإبراز الأضواء ﴿دَحَاهَا﴾ أي بسطها ومهداها لسكنى أهلها ، وتقلبهم في أقطارها).

يقول الشيخ عبد المجيد الزنداني في كتابه «توحيد الخالق» (ص 355): (دحاها: أي بسطها لتكون صالحة للإنبات ونفع الإنسان. ومن معاني الأدحية: البيض ، ومن معاني دحا: دحرج. ويظهر أن الأرض عند انفصالها أخذت تدور وتندرج في مسارها ولا تزال تندرج وتقلب وهي تجري في فلكها ومسارها ، فهل تلقى هذه الحقيقة العلمية أوضح معنى من قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾).

وقوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾. قال ابن عباس: (ودحيتها أن أخرج منها الماء والمرعى ، وشقق فيها الأنهار ، وجعل فيها الجبال والرّمال والسُّبُل والآكام). وقال الضحاك: ﴿وَمَرْعَاهَا﴾: ما خلق الله فيها من النبات ، و﴿مَاءَهَا﴾: ما فجر فيها من الأنهار). قال الفُتَيْي: (دَلَّ بشيئين على جميع ما أخرج من الأرض قوتاً ومتاعاً

للأنام من العشب والشجر والحب والتمر والعصف والحطب واللباس والنار والملح ، لأن النار من العيدان والملح من الماء). وقال القرطبي: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا﴾ أي أخرج من الأرض ﴿مَاءَهَا﴾ أي العيون المتفجرة بالماء ﴿وَمَرَعَهَا﴾ أي النبات الذي يُرعى).

ومن آفاق العلم الحديث أن الأرض يخرج منها ماء المطر ، ولا يزال بعض الناس يظنون أن ماء المطر يسكب من خزانات في السماء. وماء البحار الأول كان جزءاً من الأرض نتج عن التفاعلات الكيماوية أثناء تصلب القشرة الأرضية. ولقد كانت هذه التفاعلات بقدر معلوم لتنتج ماء بقدر مناسب⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ أَرْسُنَهَا﴾. قال قتادة: (أي أثبتها لا تميد بأهلها). وتقدير الكلام: والجبال أرساها فيها ، أي قرّرها وأثبتها وأكدها في أماكنها.

وقوله تعالى: ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنفُسِكُمْ﴾. قال ابن كثير: (أي: دَحَا الأرض فأُنبِعَ عُيُونُهَا ، وأظهرَ مكنونها ، وأجرى أنهارها ، وأُنْبِتَ زُرُوعُهَا وأشجارها وثمرها ، وَثَبَّتَ جِبَالَهَا لتستقر بأهلها ويقرّر قراؤها ، كل ذلك متاعاً لخلقها ولما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ويركّبونها مدة احتياجهم إليها في هذه الدار إلى أن ينتهي الأمد ، وَيَنْقُضِيَ الأجل).

34 - 46. قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَنًا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوَّنَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ﴿٤٦﴾﴾.

في هذه الآيات: وقوع الإنسان في شباك كسبه وعمله يوم الدين ، وقد أظهرت أمام الخلق نار الجحيم ، فأما من أثر طاعة ربه ورضاه فهو في روضات النعيم ، وأما من أثر طاعة الشيطان واتباع الشهوات فهو في العذاب الأليم ، وأمر الساعة أمر مباغت لا يعلمه إلا رب العالمين.

(1) انظر تفصيل البحث في: «كتاب توحيد الخالق» - عبد المجيد الزنداني - ص (350 - 355).

فقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾. أي: الداهية العظمى. قال ابن عباس: (من أسماء يوم القيامة، عظمه الله وحذره عباده). وسميت كذلك لأنها تطم على كل هائلة من الأمور، فتغمر ما سواها بعظيم هولها. كما قال تعالى: ﴿وَالسَّاعَةُ أَدهَى وَأَمْرٌ﴾ [القمر: 46]. وجواب «إذا» محذوف يدل عليه التقسيم بعده. والتقدير: ظهرت الأعمال. أو انقسم الناس قسمين.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾. أي: وحينئذ يتذكر الإنسان جميع أعماله، مما عمل من خير أو شر، وذلك بعرضه عليه. كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ [الفجر: 23].

وقوله تعالى: ﴿وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾. أي: وأظهرت نار الله للناظرين فرآها الناس بياناً.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾. قال مجاهد: ﴿طَغَى﴾: عصى. قال ابن جرير: (يقول تعالى ذكره: فأما من عتا على ربه، وعصاه واستكبر عن عبادته).

وقوله تعالى: ﴿وَمَآءٌ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾. أي: وقدّم متاع الحياة الدنيا وشهواتها، على كرامة الآخرة ونعيمها، فعمل لدنياه، على حساب دينه وأخراه.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾. أي: فإن المنزل والمقام في الآخرة في الجحيم، حيث طعام الزقوم، وشراب الحميم.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾. قال ابن كثير: (أي: خاف القيام بين يدي الله - عز وجل - وخاف حكم الله فيه، ونهى نفسه عن هواها، وردّها إلى طاعة مولاه).

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾. أي: فإن المنزل والمقام يوم القيامة في جنة الشُّرور والنَّعيم، حيث الحفاوة والتكريم، والخلود في نعيم مقيم.

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِيهَا﴾. قال القاسمي: (أي إقامتها. أي متى يقيمها الله ويكونها. قال الناصر: وفيه إشعار بثقل اليوم كقوله: ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ [الإنسان: 27]، ألا تراهم لا يستعملون الإرساء إلا فيما له ثقل، كمرسى السفينة وإرساء الجبال). وقال الفراء: (رُسُوها قيامها كرسو السفينة). وقال أبو عبيدة: (أي منتهاها، ومرسى السفينة حيث تنتهي). وقال الربيع بن أنس: (متى زمانها)، والمعنى متقارب.

وقوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ ﴿٣٤﴾ إِلَى رَبِّكَ مُنْهَهَا﴾.

أخرج الحاكم في المستدرك بسند صحيح على شرط الشيخين عن عائشة قالت: [لم يزل النبي ﷺ يسأل عن الساعة حتى أنزل الله عز وجل: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ ﴿٣٤﴾ إِلَى رَبِّكَ مُنْهَهَا﴾] (1).

وأخرج البزار ورجاله رجال الصحيح عن طارق بن شهاب قال: [كان النبي ﷺ لا يزال يذكر شأن الساعة حتى نزلت: ﴿يَتْلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَهَا﴾ إلى قوله: ﴿مَنْ يَخْشَاهَا﴾] (2).

قال القرطبي: (ويجوز أن يكون إنكاراً على المشركين في مسألتهم له ، أي فيم أنت من ذلك حتى يسألك بيانه ، ولست ممن يعلمه . روي معناه عن ابن عباس . والذكرى بمعنى الذكر . ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْهَهَا﴾ أي منتهى علمها ، فلا يوجد عند غيره علم الساعة).

وفي التنزيل نحو ذلك :

1 - قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان : 34].

2 - وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ [الأعراف : 187].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: [قال - جبريل - يا رسول الله! متى تقوم الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل] (3).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا﴾. قال النسفي: (أي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة وإنما بعثت لتنذر من أهوالها من يخاف شدائدھا).

وقوله تعالى: ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوَّنَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى﴾. قال قتادة: (وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة).

والمعنى: كأن هؤلاء المكذبين بها ، وبما فيها من الجزاء والحساب ، يوم

(1) حديث صحيح. أخرجه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما ، وأقره الذهبي. وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (3492) عن عروة به. وانظر: «الصحيح المسند من أسباب النزول» - الوادعي - سورة النازعات ، الآيات (41 - 45). وأخرجه الطبري (36314).

(2) حديث صحيح. أخرجه البزار (2279) ، والطبري (36315) - عن طارق بن شهاب مرسلًا.

(3) حديث صحيح. أخرجه مسلم في الصحيح - حديث رقم - (10) - كتاب الإيمان. باب: الإسلام ما هو وبينان خصاله ، من حديث أبي هريرة.

يشاهدون وقوعها ، ويعانون عظيم هولها ، يستقصرون مدة لبثهم في دنياهم وفي قبورهم ، إلى ساعة من نهار ، بمقدار عشية أو ضحاها .

قال الفراء : (يقول القائل : وهل للعشية ضحاً؟ وإنما الضحا لصدر النهار ، ولكن أضيف الضحى إلى العشية ، وهو اليوم الذي يكون فيه على عادة العرب ، يقولون : آتيك الغداة أو عشيتها ، وآتيك العشية أو غداتها ، فتكون العشية في معنى آخر النهار ، والغداة في معنى أول النهار) .

قال النسفي : (وإنما صحت إضافة الضحا إلى العشية للملاسة بينهما لاجتماعهما في نهار واحد ، والمراد أن مدة لبثهم لم تبلغ يوماً كاملاً ولكن أحد طرفي النهار ، عشيته أو ضحاها ، والله أعلم) .

تم تفسير سورة النازعات

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

عصر يوم الاثنين 12 / ذي القعدة / 1426 هـ

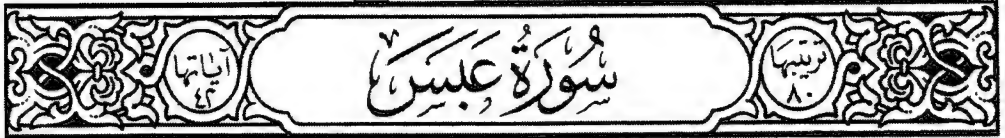
الموافق 12 / كانون الأول / 2005 م

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - الراجفة: النفخة الأولى ، والرادفة: النفخة الثانية .
- 2 - أشدُّ ما يكون الرب غضباً يوم يبعث العباد ، ويقف بين يديه الطغاة .
- 3 - جعل جبريل يدسُّ الطين في في فرعون عند الغرق خشية أن تدركه الرحمة .
- 4 - الطامة الكبرى: الداهية العظمى ، من أسماء يوم القيامة ، عظمه الله وحذره عباده ، سميت بالطامة لأنها تطمّ على كل هائلة بهولها .
- 5 - وقت الدنيا في أعين المكذبين بالآخرة كأحد طرفي النهار ، عشيته أو ضحاها .



80



وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (42).

سبب نزول السورة:

أخرج الترمذي بإسناد صحيح عن عائشة قال: [أنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى ، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني . وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين ، فجعل رسول الله ﷺ يُعرض عنه ، ويقبل على الآخر ويقول: «أترى بما أقولُ بأساً؟» فيقول: لا ، ففي هذا أنزل⁽¹⁾. وفي رواية ابن جرير: [ففي هذا أنزلت ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾].

موضوع السورة

المعاقبة على العبس في وجه بعض المؤمنين
وامتنان الله على العباد بالنعم العظيمة وتفصيل المصير يوم الدين

- منهاج السورة -

1- العتاب اللطيف من الله سبحانه لنبيه الكريم ، لانشغاله ببعض المشركين عن ابن أم مكتوم.

(1) صحيح الإسناد. أخرجه الترمذي (3331) - كتاب التفسير. سورة عبس. وقال الحافظ العراقي في تخريج «الإحياء»: (رجاله رجال الصحيح). ورواه ابن حبان ، والحاكم (514/2) ، وأبو يعلى (4848) ، والطبري (76318) وإسناده على شرط البخاري ومسلم .

لأن جاءه الأعمى ، وهو ابن أم مكتوم رضي الله عنه الذي لا يبصر بعينه .

أخرج أبو يعلى في المسند ، بإسناد حسن ، عن قتادة ، عن أنس قال : [جاء ابن أم مكتوم إلى النبي ﷺ وهو يَكَلِّمُ أَبِي بن خَلَفٍ ، فأعرض عنه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ۚ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ ﴾ ، فكان النبي ﷺ بعد ذلك يُكْرِمُهُ⁽¹⁾ . قال قتادة : (وأخبرني أنس بن مالك قال : رأيته يوم القادسيّة وعليه دُرْعٌ ومعه راية سوداء ، يعني ابن أم مكتوم) .

قلت : فكان العتاب اللطيف من الله سبحانه ، لأن ابن أم مكتوم يرجح في ميزان الحق على المئات من أمثال أبي بن خلف وأمثاله من المشركين .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَذْرِبُكَ لَعَلُّهُ يَزْكِي ۚ ﴾ . أي : وما يدريك يا محمد ، لعل هذا الأعمى المؤمن الذي عبست في وجهه يزكى : أي يتطهر من ذنوبه ، ويرتفع في إيمانه .

وقوله تعالى : ﴿ أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعُهُ الذِّكْرَى ۚ ﴾ . أي : أو يعتبر ويتعظ فينفعه الانتعاض والاعتبار ، ويشد ذلك من عزيمته ليثبت على سبيل الأخيار .

وقوله : «فتنفعه» نصبه عاصم جواباً لِلْعَلِّ ، ورفع غير - «فتنفعه» - عطفاً على «يذكر» ، وهما قراءتان مشهورتان في الأمصار .

وقوله تعالى : ﴿ أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَى ۚ ﴾ فَانْتَ لَمْ تَصْدَى ۚ . قال النسفي : (أي من كان غنياً بالمال ﴿ فَانْتَ لَمْ تَصْدَى ۚ ﴾ تتعرض بالإقبال عليه حرصاً على إيمانه) . والتصدّي : الإصغاء . وأصله في كلام العرب من الصّدّد : القرب . يقال : دارِي صَدَدَ دارِهِ أي قُبَالَتِهَا ، وهو نَصَبٌ على الظرف . وقراءة عامة القراء «تصدّي» بالتخفيف ، على طرح التاء الثانية تخفيفاً .

والمقصود : إنك تقبل - يا محمد - عليه بوجهك وحديثك ، وهو يظهر الاستغناء عنك والإعراض عما جئت به ، غرّه ماله وجاهه وسلطانه .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبَ ۚ ﴾ . أي : وما أنت - يا محمد - بمطالب بهذا الكافر إذا لم يؤمن ويرشد ويتطهر ، فإنما أنت رسول ، وما عليك إلا البلاغ . قال مجاهد : (يقول : وأي شيء عليك أن لا يتطهر من كفره فيسلم ؟) .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۚ ﴾ وَهُوَ يَخْشَى ۚ فَانْتَ عَنْهُ لَلَّهِ ۚ .

قال مجاهد : (يقول : وأما هذا الأعمى الذي جاءك سعيّاً ، وهو يخشى الله ويتقيه ،

(1) حديث صحيح . أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (3123) ، وإسناده حسن ، رجاله ثقات .

﴿فَأَنْتَ عَنْهُ لَلْغَى﴾ يقول: فأنت عنه تعرض ، وتشاغلُ عنه بغيره وتغافلُ).

وأصل ﴿لَلْغَى﴾ تلهى ، جاءت مخففة . والتلهى: التغافل . ولَهَيْتُ عن الشيء أي تشاغلته عنه . ولَهَيْتُ عنه وتَلَهَيْتُ: بمعنى .

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ . - كَلَّا - كلمة ردع وزجر . قال ابن جرير: (يقول تعالى ذكره: «كَلَّا» ما الأمر كما تفعل يا محمد ، من أن تعبس في وجه من جاءك يسعى وهو يخشى ، وتتصدى لمن استغنى ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ يقول: إن هذه العظة وهذه السورة تذكرة ، يقول: عظة وعبرة).

قال ابن كثير: (ومن هنا أمر الله - عز وجل - رسوله ﷺ ألا يَخُصَّ بالإنذار أحداً ، بل يُساوي فيه بين الشريف والضعيف ، والفقر والغني ، والسَّادة والعبيد ، والرجال والنساء ، والصغار والكبار . ثم الله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ، له الحكمة والحُجَّة . قال: وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ ، أي: هذه السورة ، أو الوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم).

وقوله تعالى: ﴿فَنَ شَاءَ ذَكْرُهُ﴾ . أي حفظه ، فالذكر خلاف النسيان . أو اتعظ به ، فيكون من «التذكير» . وفي الآية إثبات مشيئة خلقها الله تعالى للإنسان ، لو أحسن استعمالها لنجا وأدرك السعادة في الدارين .

قال الزمخشري: (وذَكَرَ الضمير لأن التذكرة في معنى الذكر والوعظ . وقيل: الضمير للمقرآن ، والكلام استطراد).

وقوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ . أي: إنها تذكرة كائنة في صحف مكرمة عند الله ، لما فيها من العلم والحكمة ، أو لأنها نازلة من اللوح المحفوظ .

وقوله: ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ . قال يحيى بن سلام: (مرفوعة في السماء السابعة). وقال الطبري: (مرفوعة الذكر والقدر). وقيل: مرفوعة عن الشُّبْهِ والتناقض . والمقصود: إنها رفيعة القدر عند الله ، ومرفوعة عنده تبارك وتعالى .

وقوله: ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ . قال الحسن: (من كل دنس). وقيل: مصانة عن أن ينالها الكفار . وهو معنى قول السُّدِّيِّ . وعن الحسن أيضاً: (مطهرة من أن تنزل على المشركين). والمقصود: إنها في صحف مكرمة مرفوعة ، منزهة لا يمسها إلا المطهرون ، مصونة عن الشياطين والكفار .

وقوله تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ . السفرة هنا الملائكة ، سَمُّوا كذلك لأنهم يسفرون

بالوحي بين الله ورسوله ، من السفارة ، وهي السعي بين القوم . وعن مجاهد : ﴿ بِأَيِّ سَفَرٍ ﴾ قال كَتَبَ . وقال ابن زيد : (السفرة الذين يحصون الأعمال) . والمعنى الأول أنسب ، فهم الملائكة يسفرون بين الله ورسوله بالوحي ، واختاره ابن جرير .

وقوله تعالى : ﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ . قال ابن عباس : (يعني الملائكة) . والبررة : جمع بار ، والمقصود : ملائكة كرام على ربهم ، أتقياء مطيعون لربهم ، صادقون في إيمانهم .

وفي الصحيحين والمسند من حديث عائشة ، عن النبي ﷺ قال : [مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَّةِ ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ] (1) .

17 - 32. قوله تعالى : ﴿ قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ ﴾ (١٧) مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿ ١٨ ﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿ ١٩ ﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ ﴿ ٢٠ ﴾ ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿ ٢١ ﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴿ ٢٢ ﴾ كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُوهُ ﴿ ٢٣ ﴾ فَلِنَظَرِ الْإِنْسَانِ إِلَى طَعَامِهِ ﴿ ٢٤ ﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿ ٢٥ ﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿ ٢٦ ﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿ ٢٧ ﴾ وَعَبًّا وَقَضْبًا ﴿ ٢٨ ﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿ ٢٩ ﴾ وَحَدَائِقِ غُلَبًا ﴿ ٣٠ ﴾ وَفَيْكِهَ وَابْنًا ﴿ ٣١ ﴾ مَتَّعًا لَكُمْ وَلِنَعْمِكُمْ ﴿ ٣٢ ﴾ .

في هذه الآيات : تَعَجُّبٌ من كفر الإنسان مع إحسان الله إليه ، وقد خلقه وأعطاه وأمانته وأقبره ثم سيقف بين يديه ، وقد ضيع العمر وتجاهل النعم الجليلة التي لا تحصى من الطعام والماء والنبات والفواكه والثمار والحدائق له ولأنعامه التي سخَّرها إليه .

فقوله تعالى : ﴿ قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ ﴾ . قال سفيان : (بلغني أنه الكافر) . قال ابن جرير : (يقول تعالى ذكره : لعن الإنسان الكافر ما أكفره ! . وفي قوله ﴿ مَا أَكْفَرُ ﴾ وجهان : أحدهما : التعجب من كفره ، مع إحسان الله إليه ، وأياديه عنده . والآخر : ما الذي أكفره ، أي : أي شيء أكفره؟) .

وقوله تعالى : ﴿ مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿ ١٨ ﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴾ .

بيانٌ لحقارة الشيء الذي خلقه الله منه ، ثم هو يتكبر ويتعظم عن طاعة ربه والإقرار بتوحيده والرجوع إليه يوم المعاد .

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري (4937) - عند تفسير هذه الآية - كتاب التفسير - سورة عبس . وأخرجه مسلم (798) ، وأحمد (48/6) ، والترمذي (2904) ، وأبو داود (1454) ، وابن ماجه (3779) ، والدارمي (444/2) ، وابن أبي شيبة (490/10) ، وغيرهم .

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرِرُ﴾. قال ابن عباس: (يعني بذلك خروجه من بطن أمه يسره له). وقال مجاهد: (هو كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: 3]). وقال الحسن: (سبيل الخير). وقال ابن زيد: (هده للإسلام الذي يسره له ، وأعلمه به ، والسبيل سبيل الإسلام).

قلت: وقول مجاهد والحسن وابن زيد أنسب لسياق الآيات ، الخلق فإقامة الحجة فالموت فالبعث والحساب ، والله تعالى أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَّا لَهُ فَاقْبَرُ﴾. يعني: ثم قبض روحه في نهاية أجله ، فأماته بعد ذلك ، فوضعه في حفرة وصيره ذا قبر. قال أبو عبيدة: ﴿فَاقْبَرُ﴾: جعل له قبراً ، وأمر أن يُقْبَر. وعن الفراء: (أي جعل له قبراً يوارى فيه إكراماً ، ولم يجعله مما يُلقى على وجه الأرض تأكله الطير والعوافي⁽¹⁾).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرُهُ﴾. أي: أحياء بعد موته. ومنه يقال البعث والنشور. وفي الصحاح: نَشَرَ المِيتَ فهو نَاشِرٌ: عاش بعد الموت. وأنشره الله تعالى: أحياء.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ﴾. - كلاً - ردع للإنسان عن الكفر. وعن مجاهد: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ﴾ قال: لا يقضي أحد أبداً ما افترض عليه ، أو كل ما افترض عليه. وقال النسفي: (لم يفعل هذا الكافر ما أمره الله به من الإيمان). قال ابن جرير: (يقول تعالى ذكره: كلاً ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر ، من أنه قد أدى حق الله عليه ، في نفسه وماله ، لَمَّا يَقِضْ ما أمره ، لم يؤدِّ ما فرض عليه من الفرائض ربُّه).

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾. قال مجاهد: (وشرا به. قال: إلى مأكله ومشربه. آية لهم). قال ابن كثير: (فيه امتنان وفيه استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة على إحياء الأجسام بعد ما كانت عظاماً بالية وتُراباً مُتَمَزَقاً).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾. أي أنزلنا المطر من السماء إنزالاً ، وصببناه على الأرض صَبًّا.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾. أي: ثم تخلل الماء في الأرض ودخل في تخومها ، ولامس الحب المودع فيها ، ففتقنا الأرض عن الحب أول ما نبت ، لصغره وضعفه عن شققها ، حتى نبت وارتفع وظهر على وجه الأرض.

(1) العوافي: كل طالب فضل أو رزق.

وقوله تعالى: ﴿فَأَبْتَلْنَا فِيهَا حَبًّا﴾. يعني حبّ الزرع ، ويشمل جميع ما يُذكر من الحبوب ، كالحنطة والشعير وغير ذلك من قوت الناس . والمقصود: أن النبات لا يزال ينمو ويتزايد إلى أن يصير حباً في حالة الانتفاع والغذاء .

وقوله تعالى: ﴿وَعَنَبًا وَقَضْبًا﴾ . - ﴿وَعَنَبًا﴾ أي : وكرم عنب . والقضب : القثّ الرطب الذي تعلف به الدواب . قال الحسن : (القضب : العلف) . وقال قتادة : (القضب : الفصافص) . وعن ابن عباس : ﴿وَقَضْبًا﴾ يقول : الفصفصة . وهي التي تأكلها الدواب رطبة وتدعى القثّ . وسمي «قَضْبًا» لأنه يقضب ، أي يقطع مرة بعد أخرى .

وقوله: ﴿وَزَيْتُونًا﴾ . أي شجرة الزيتون التي يستخرج من نتاجها الزيت ، وهو أَدَمٌ وعصيره أَدَمٌ ، ويُدَّهن به ويستصبح به .

أخرج ابن ماجة بسند صحيح عن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : [ائْتَدِمُوا بِالزَّيْتِ وَادَّهِنُوا بِهِ ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ] ⁽¹⁾ .

وفي رواية : [كلوا الزيت وادهنوا به ، فإنه من شجرة مباركة] .

وفضل الزيت وارد في القرآن الكريم ، في قوله تعالى في سورة «النور» : ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ .

قال ابن القيم في «زاد المعاد» : (الزيت حار رطب في الأولى ، وغلط من قال : يابس ، والزيت بحسب زيتونه ، فالمعتصر من النضيج أعدله وأجوده ، ومن الفج فيه برودة ويؤوسة ، ومن الزيتون الأحمر متوسط بين الزيتين ، ومن الأسود يُسخن ويرطب باعتدال ، وينفع من السموم ، ويطلق البطن ، ويخرج الدود ، والعتيق منه أشد تسخيناً وتحليلاً ، وما استُخرج منه بالماء فهو أقل حرارة ، وألطف وأبلغ في النفع ، وجميع أصنافه مليئة للبشرة ، وتطهى الشيب . قال : وماء الزيتون المالح يمنع من تنفّط حرق النار ، ويشد اللثة ، وورقه ينفع من الحمرة والتملة ، والقروح الوسخة ، والشرى ، ويمنع العرق ، ومنافعه أضعاف ما ذكرنا) .

وقوله: ﴿وَنَخْلًا﴾ - يعني النخيل . قال ابن كثير : (يُؤْكَلُ بِلَحًا بُسْرًا وَزَطَبًا ، وَتَمْرًا ، وَنَيْئًا ، وَمَطْبُوحًا ، وَيُعْتَصَرُ مِنْهُ رُبٌّ وَخَلٌّ) .

(1) حديث صحيح . أخرجه ابن ماجة (3319) - كتاب الأطعمة . باب الزيت . وانظر صحيح سنن ابن ماجة (2682) ، ومختصر الشمائل (133 - 134) . وانظر للرواية الأخرى جامع الترمذي (340/1) ، ومستدرک الحاكم (2/122) .

وقوله تعالى: ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾. أي: وبساتين غلاظ الأشجار جمع غلباء ، بديعة المنظر ويستظل بظلها. قال ابن عباس: ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ قال: الحدائق: ما التف (واجتمع). وقال ابن زيد: ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾: عظام النخل العظيمة الجذع. قال: والغُلْبُ من الرجال: العظام الرقاب ، يقال: هو أغلب الرقبة: عظيمها). وقال ابن عباس أيضاً: ﴿غُلْبًا﴾ أي طوال. قال: الشجر الذي يستظل به). وقال عكرمة: ﴿غُلْبًا﴾ أي غلاظ الأوساط. وفي رواية: غلاظ الرقاب).

وقوله تعالى: ﴿وَفِكَهَةً وَأَبًا﴾. الفاكهة ما يتفكه به من الثمار. والأب: الكلاء والمرعى ، فهو ما أنبتته الأرض مما يخصّ الدواب. قال ابن عباس: (الفاكهة كُلُّ ما أكلَ رُطْبًا. والأبُّ ما أنبتت الأرض مما تأكله الدوابُّ ولا يأكله الناس). وفي رواية عنه: (هو الحشيش للبهائم). وقال مجاهد: (الأبُّ: الكلاء). وقال عطاء: (كُلُّ شيء نبتَ على وجه الأرض فهو أبُّ).

وقوله تعالى: ﴿مَنْعًا لَّكُمْ وَلِأَنْفُسِكُمْ﴾. امتنان من الله سبحانه على عباده ، فإن إنبات هذه الأشياء إمتاع للناس ولبهائمهم المسخرة لهم. ونصب ﴿مَنْعًا﴾ على المصدر المؤكّد.

والخلاصة: يرزق الله تعالى العباد من النباتات والأشجار ، التي تصنع الطعام من الماء ، والتراب ، والهواء ، ويُسخّرُ الله الشمس للنبات ، لإتمام صنْعِ الغذاء الذي يحتاجه الإنسان ، والحيوان ، وما كان للغذاء أن يُوفَّرَ ، لولا أن الله يسوق الماء العذب ، ويُهَيِّئُ التربة الصالحة للزراعة ، ويوجد الجوّ ، والظروف المناسبة ، لإنتاج الغذاء من النباتات ، عيشة لكم أيها الناس ولأنعامكم في هذه الدار إلى يوم القيامة.

33 - 42. قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ﴾ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ

وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَلْبَتِيهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وَوُجُوهُ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهُ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾.

في هذه الآيات: التهديد بقدوم الصّاحّة وهي القيامة ، يوم يطلب المرء النجاة ويفر من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وجميع خلائه ، والوجوه يومئذ إما ضاحكة مستبشرة

وهي وجوه الكرام البررة ، أو عليها غبرة وترهقها قفرة وهي وجوه الكفرة الفجرة .

فقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ ﴾ . قال ابن عباس : ﴿ الصَّلَاةُ ﴾ : اسمٌ من أسماء القيامة ، عَظَمَهُ الله ، وَحَدَّرَهُ عباده . قال البغوي : ﴿ الصَّلَاةُ ﴾ : يعني صيحة القيامة ، سُمِّيَتْ بذلك لأنها تَصُحُّ الأسماع ، أي تُبَالِغُ في إسماعها حتى تكاد تُصِئُهَا . وفي الصحاح : ﴿ الصَّلَاةُ ﴾ الصَّيْحَةُ تُصِمُّ لِشِدَّتِهَا تقول : صَحَّ الصوتُ الأذنُ من باب ردٍّ . قال الرازي : (ومنه سميت القيامة ﴿ الصَّلَاةُ ﴾) . واختار القرطبي أنها النفخة الثانية ، فهي التي تَصُحُّ الأسماع ، أي تُصِئُهَا فلا تسمع إلا ما يُدْعَى به للأحياء . وذكر نحوه ابن جرير .

وفي سنن أبي داود بسند صحيح من حديث أبي هريرة مرفوعاً : [ما من دابة إلا وهي مُصِیْحَةٌ يومَ الجمعة من حينٍ تُصْبِحُ حتى تَطْلُعَ الشمسُ شفقاً من الساعة إلا الجن والإنس] (1) .

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣١﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٢﴾ وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ ﴾ .

أي : تجيء الصاخة في اليوم الذي يهرب الإنسان من ألصق الناس به وأعزهم عليه لانشغاله بنفسه . قال قتادة : (الأحبُّ فالأحبُّ ، والأقرب فالأقرب ، من هول ذلك اليوم) .

قال ابن جرير : (ويعني بقوله يفر من أخيه : يفر عن أخيه . ﴿ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴾ وَصَاحِبِهِ) يعني زوجته التي كانت في الدنيا ﴿ وَبَنِيهِ ﴾ حذاراً من مطالبتهم إياه بما بينه وبينهم من التبعات والمظالم) .

وقوله تعالى : ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ . أي : كل امرئ يومئذ هو في شغل شاغله عن غيره ، فهو يشغله حتى عن الأقرباء ويصرفه عنهم ، ويفرّ عنهم حذاراً من مطالبتهم إياه بما بينهم ، ولئلا يروا ما هو فيه من الشدة . وعن قتادة : ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ أفضى إلى كل إنسان ما يشغله عن الناس) .

أخرج الترمذي بسند صحيح عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ قال : [«تَحْشَرُونَ حُفَاةً

(1) حديث صحيح . أخرجه أبو داود (1046) - تفريع أبواب الجمعة . باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة . انظر صحيح أبي داود (924) ، والإصاخة : الإنصات والاستماع . وأخرجه ابن حبان (2770) ، ومالك (108/1 - 110) ، والحاكم (1/278) ، وأحمد (2/486) بآثم منه .

عُرَاةٌ غُرُلًا». فقالت امرأة: أيبصر أو يرى بعضنا عورة بعض؟ قال: يا فلانة ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَ ذَٰلِكَ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾⁽¹⁾.

وأخرج النسائي بإسناد صحيح عن عروة: [عن عائشة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرُلًا». فقالت عائشة: يا رسول الله! فكيف بالعورات؟ فقال: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَ ذَٰلِكَ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾⁽²⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَ ذَٰلِكَ مُسْفِرَةٌ﴾. أي: مشرقة مستنيرة مضيئة، وهي وجوه المؤمنين الذين نالوا رضوان الله. وفي لغة العرب: أسفر وجه فلان: إذا حسن وأشرق، وأسفر الصبح: إذا أضاء. وعن ابن عباس: (قوله ﴿مُسْفِرَةٌ﴾ يقول: مشرقة).

وقوله تعالى: ﴿ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾. قال ابن زيد: (هؤلاء أهل الجنة). أي: وجوه أهل السعادة يومئذ ﴿ضَاحِكَةٌ﴾ أي مسرورة فرحة. ﴿مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ أي: قد ظهر البشر عليها بما آتاها الله من الكرامة.

وقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَ ذَٰلِكَ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾. أي غبار ودخان وكدورة.

وقوله تعالى: ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾. أي: يغشاها سواد وكسوف وشدة. قال ابن عباس: ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ يقول: تغشاها ذلة. وقال: (يغشاها سواد الوجه). والقتر في كلام العرب: الغبار. قال زيد بن أسلم: (القتر: ما ارتفعت إلى السماء. والغبرة: ما انحطت إلى الأرض، والغبار والغبرة: واحد).

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾. أي هؤلاء الموصوفون بهذا الخزي هم الكفرة قلوبهم، الفجرة في أعمالهم، فجوزوا بخبث نياتهم وبسوء أعمالهم.

تم تفسير سورة عبس

بعون الله وتوفيقه، وواسع منّه وكرمه

عصر يوم الثلاثاء 13/ ذي القعدة/ 1426 هـ

الموافق 13/ كانون الأول/ 2005 م

(1) حسن صحيح. أخرجه الترمذي (3332) - كتاب التفسير. انظر صحيح سنن الترمذي (2652).

(2) حديث صحيح. أخرجه النسائي في «التفسير» (668)، وفي «السنن» (2083)، وأخرجه الحاكم في «مستدرکه» (564/4)، وإسناده صحيح.

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - ابن أم مكتوم الأعمى يرجح في ميزان الحق على المئات من أمثال أبي بن خلف .
- 2 - يتساوى في الإنذار الشريف والضعيف ، والفقر والغني ، والسادة والعبيد ، والرجال والنساء ، والصغار والكبار ، ثم الله تعالى يهدي من يشاء .
- 3 - مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظٌ له مع السَّفرة الكرام البررة ، ومثل الذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران .
- 4 - ائتموا بالزيت وادّهنوا به ، فإنه يخرج من شجرة مباركة .
- 5 - الأبّ: ما أنبت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس ، فهو يشمل الكلاء والحشيش للبهائم وما نبت على وجه الأرض .
- 6 - يحشر الناس حفاة عراة غرلاً ، ﴿ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ .
- 7 - وجوه المؤمنين يوم الحشر مشرقة مستنيرة ناعمة ، ووجوه المشركين يومئذ عليها غبار وسواد وكدورة .



81

سُورَةُ التَّكْوِيْدِ

آياتها
٢٩ترتيبها
٨١

وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (29) .
ما ورد في ذكرها :

أخرج الترمذي بسند صحيح عن ابن عباس قال : قال أبو بكر : يا رسول الله قد شبت ! قال : [شَيْبَتْنِي هُوْدٌ ، وَالْوَاقِعَةُ ، وَالْمَرْسَلَاتُ ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ] (1) .

وأخرج أحمد والترمذي والحاكم بإسناد حسن عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : [مَنْ سَرَّه أَنْ يَنْظَرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ و ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴾ و ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّت ﴾] (2) .

وأخرج النسائي بسند صحيح عن عمرو بن حريث قال : [سمعت النبي ﷺ يقرأ في الفجر : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾] (3) .

موضوع السورة

تكوير الشمس وأحوال الحشر يوم الدين
والانتصار للنبي وهذا الوحي العظيم

- (1) حديث صحيح . أخرجه الترمذي (3297) - كتاب التفسير . انظر صحيح سنن الترمذي (2627) .
- (2) حديث حسن . أخرجه أحمد (27 / 2 - 36 - 100) ، والترمذي (3333) ، والحاكم (515 / 2) وإسناده حسن . وانظر صحيح سنن الترمذي (2653) .
- (3) حديث صحيح . أخرجه النسائي في السنن من حديث عمرو بن حريث - انظر : صحيح سنن النسائي (911) - وأخرج ابن ماجة في السنن (817) نحوه .

- منهاج السورة -

- 1 - وصف الأحداث الرهيبة التي تسبق قيام الساعة .
- 2 - بدء الحشر وحضور جميع الخلق بين يدي الله العظيم ، ودنو الجنة وبروز الجحيم ، وقد علمت كل نفس ما استحققت من الثواب أو العذاب الأليم .
- 3 - قسم الله تعالى بالكواكب والليل والصبح أن القرآن قول رسول عن الله كريم على الله الكريم ، ذو قدرة ومكانة رفيعة وقد رآه نبينا في صورته بالأفق المبين .
- 4 - ما يضمن محمد ﷺ بالخبر اليقين ، وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم .
- 5 - أين تسلكون معشر المكذبين وتتركون هذا الذكر الحكيم ، وما تشاؤون الاستقامة إلا أن يشاء الله رب العالمين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 14 . قوله تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْجِبَالُ سَيْرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝٥ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ۝١٤ ۞ .

في هذه الآيات : وَصَفُ الأحداث الرهيبة التي تسبق يوم القيامة العظيم ، وبدء الحشر وحضور جميع الخلق بين يدي العزيز الحكيم ، ودنو الجنة وبروز نار الجحيم ، وقد علمت كل نفس ما يقودها عملها إلى الثواب أو العذاب الأليم .

فقوله تعالى : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ ۞ . أي : جُعِلَتْ مثل شكل الكرة ، تلفت فتجمع فيرمى بها . وفي التفاسير أقوال كثيرة في مفهوم هذه الآية ، منها :

- 1 - قال ابن عباس : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ ۞ ، يعني : أظلمت . وفي رواية : (ذهبت) .

- 2 - وقال مجاهد: (اضْمَحَلَّتْ وَذَهَبَتْ). وقال قتادة: (ذهب ضوءها).
- 3 - وقال سعيد بن جبیر: ﴿كُوِّرَتْ﴾: غُوِّرَتْ. وقال أبو صالح: (نُكِّسَتْ).
- 4 - وقال الربيع بن خثیم: ﴿كُوِّرَتْ﴾ يعني: رُمِيَ بها. وقال أبو صالح أيضاً: (أُلْقِيَتْ). وقال زيد بن أسلم: (تقع في الأرض).

قال ابن جرير: (والصواب من القول عندنا في ذلك أن التكوير جَمْعُ الشيء بعضه على بعض ، ومنه تكوير العِمَامَةِ وهو لَفُّها على الرأس ، وكتكوير الكارة وهو جمع الثياب بعضها إلى بعض ولفّها ، وكذلك قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ إنما معناه: جمع بعضها إلى بعض ، ثم لُفَّت فرمي بها ، وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوءها).

قلت: وقد ثبت في السنة الصحيحة أن الشمس والقمر ثوران مُكَوَّران في النار يوم القيامة.

فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: [الشمسُ والقمرُ مُكَوَّران يوم القيامة] (1).

وأخرج الإمام الطحاوي في «مشكل الآثار» بإسناد صحيح على شرط البخاري عن عبد الله بن الداناج (2) قال: شهدت أبا سلمة بن عبد الرحمن جلس في مسجد في زمن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، قال: فجاء الحسن فجلس إليه فتحدثا ، فقال أبو سلمة: حدثنا أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: [الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة]. فقال الحسن: ما ذنبهما؟! فقال: إنما أحدثك عن رسول الله ﷺ ، فسكت الحسن (3).

قال الإسماعيلي: (لا يلزم من جعلهما في النار تعذيبهما ، فإن الله في النار ملائكة وحجارة وغيرها لتكون لأهل النار عذاباً وآلة من آلات العذاب ، وما شاء الله من ذلك فلا تكون هي معذبة).

وقال الخطابي: (ليس المراد بكونهما في النار تعذيبهما بذلك ، ولكنه تبكيت لمن

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (3200) - كتاب بدء الخلق. باب صفة الشمس والقمر.

(2) بفتح الدال والنون معناه العالم ، معرب (دانا) ، كما في «اللباب» وغيره.

(3) حديث صحيح. أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» (1/ 66 - 67) ، ورواه البيهقي في كتاب «البعث والنشور» ، وكذا البزار والإسماعيلي والخطابي ، وإسناده صحيح على شرط البخاري كما ذكر الألباني في السلسلة الصحيحة (124).

كان يعبدهما في الدنيا ليعلموا أن عبادتهم لهما كانت باطلاً).

ومن ثمّ فليس المراد من الحديث ما تبادل لذهن الحسن البصري أن الشمس والقمر يعذبان عقوبة لهما ، كلا ، فالله تعالى لا يعذب من أطاعه من خلقه وسجد له ، والشمس والقمر كانا على ذلك السجود والتعظيم ، كما قال جلّت عظمتة: ﴿الْقُرْآنُ وَاللَّهُ يَسْجُدُ لَهُمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج: 18]. وإنما يكوران ويلقيان في النار يوم القيامة تبكيتاً لعبادهما ، والله تعالى أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾. أي: تهافت وتناثرت فتساقطت. قال ابن عباس: (تساقطت). وقال مجاهد: (تناثرت). وقال أبو صالح: (انتثرت). وعن ابن عباس أيضاً: ﴿انْكَدَرَتْ﴾: تغيرت فلم يبق لها ضوء لزوالها عن أماكنها. قال القرطبي: (ويحتمل أن يكون انكدارها طمسُ آثارها. وسميت النجوم نجوماً لظهورها في السماء بضوئها).

قلت: وأصل الانكدار في كلام العرب: الانقضاض والانصباب بسرعة. قال الرازي: ((انكدر) أي أسرع وانقضّ ، ومنه انكدرت النجوم). وقال أبو عبيدة: ﴿انْكَدَرَتْ﴾ انصبّت كما تنصب العُقاب إذا انكسرت).

والمقصود: وإذا النجوم تساقطت وتناثرت مغادرة أماكنها تنصب بسرعة كما أمرها ربّها. وفي التنزيل نحو ذلك: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: 2].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾. قال مجاهد: (ذهبت). قال النسفي: (سُيِّرَتْ عن وجه الأرض وأبعدت ، أو سيرت في الجو تسيير السحاب). والمقصود: وإذا الجبال نسفت فزالت عن أماكنها ، وتركت الأرض قاعاً صفصفاً.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾. العشار: النوق الحوامل التي في بطونها أولادها⁽¹⁾. ومعنى ﴿عُطِّلَتْ﴾ أي تركت هملًا بلا راع ، وذلك لما شاهدوا من الهول العظيم. وخصّ العشار لأنها أنفس أموال العرب ، وموضع رعايتهم المتميزة. فمنعت أهوال القيامة استمرار رعايتها والعناية بها.

وعن مجاهد: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ قال: سُبِّت ، تركت). قال الضحّاك:

(1) والواحدة: عُشْرَاء. وقيل هي التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر فلا يزال ذلك اسمها حتى تضع ، وبعدما تضع أيضاً. على عادة العرب في تسمية الشيء باسمه المتقدم.

(يقول: لا راعي لها). وقال الحسن: (سَيِّبَهَا أَهْلُهَا فَلَمْ تُصَرَّ ، وَلَمْ تُحْلَبْ . وَلَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا مَالٌ أَعْجَبَ إِلَيْهِمْ مِنْهَا).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أي: بعثت حتى يقتص بعضها من بعض . وقيل: حشرها موتها. قال ابن عباس: (حشر البهائم: موتها ، وحشر كل شيء: الموت ، غير الجن والإنس ، فإنهما يوقفان يوم القيامة). وقال قتادة: (إن هذه الخلائق موافية يوم القيامة ، فيقضي الله فيها ما شاء).

قلت: ولا تعارض بين المعنيين ، فإن البهائم تحشر أولاً أمام الخلق يوم القيامة ، حتى إذا اقتص بعضها من بعض قضى الله عليها الموت فقال: كوني تراباً ، وعند ذلك يقول الكافر: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾.

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: [لتؤدّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء]⁽¹⁾.

وله شاهد عند الإمام أحمد عنه مرفوعاً بلفظ: [يقتص الخلق بعضهم من بعض ، حتى الجماء من القرناء ، وحتى الذرة من الذرة]⁽²⁾.

ومن طريق أبي حنيفة عنه مرفوعاً بلفظ: [ألا والذي نفسي بيده ، ليختصمن كل شيء يوم القيامة ، حتى الشاتان فيما انتطحتا]⁽³⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾. أي: أوقدت فصارت ناراً تضطرم. قال مجاهد: (﴿سُجِّرَتْ﴾: أوقدت). وقال الضحاك: (فُجِّرَتْ). وقيل: غاض ماؤها ، وقيل: فاضت. قلت: والراجع الأول ، فإنه في لغة العرب: سَجَرَ التَّنَوَّرَ أَحْمَاهُ ، وَالسَّجُورُ: مَا يُسَجَّرُ بِهِ التَّنَوَّرُ. ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: 6]. والمقصود: يوقد الله هذه البحار بالنار قبيل قيام الساعة فيفجرها تفجيراً ، كما قال جلّت عظمتة في سورة الانفطار: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾. أي: قرنت النفوس بأمثالها. فيقرن الرجل

(1) حديث صحيح. أخرجه مسلم في الصحيح (8/ 18 - 19) - كتاب الظلم. باب القصاص وأداء الحقوق يوم القيامة ، من حديث أبي هريرة.

(2) حديث صحيح. أخرجه أحمد في المسند (2/ 363). وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (1967).

(3) حديث صحيح. أخرجه أحمد في المسند (2/ 290) من طريق أبي حنيفة عن أبي هريرة. وانظر «السلسلة الصحيحة» (3) ص (609).

الصالح مع الرجل الصالح في الجنة ، والطالح مع الطالح في النار . أو تقرن الأرواح بالأجساد أو بكتبها وأعمالها ، أو تقرن نفوس المؤمنين بالحوار العين ، ونفوس الكافرين بالشياطين .

ومن أقوال أئمة التفسير في ذلك :

1 - قال الحسن : (ألحق كل امرئ بشيعته : اليهود باليهود ، والنصارى بالنصارى ، والمجوس بالمجوس ، والمنافقون بالمنافقين . ويلحق المؤمنون بالمؤمنين) .

2 - قال مجاهد : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ ، قال : الأمثال من الناس جُمع بينهم) .

3 - وروى ابن أبي حاتم بسنده عن سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ ، عن النعمان بن بشير ، أنَّ عُمَرَ خَطَبَ النَّاسَ فَقَرَأَ : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ ، فقال : (تَزَوَّجُهَا أَنْ تُؤَلَّفَ كُلُّ شِيعَةٍ إِلَى شِيعَتِهِمْ) . وفي رواية : (هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة أو النار) . وفي رواية عن النعمان قال : سُئِلَ عُمَرُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ فَقَالَ : (يُقَرَّنُ بَيْنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مَعَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ ، وَيُقَرَّنُ بَيْنَ الرَّجُلِ السَّوِّءِ مَعَ الرَّجُلِ السَّوِّءِ فِي النَّارِ ، فَذَلِكَ تَزْوِيجُ الْأَنْفُسِ) . وفي رواية عن النعمان : أنَّ عُمَرَ قَالَ لِلنَّاسِ : مَا تَقُولُونَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ فَسَكَتُوا . قَالَ : (وَلَكِنْ أَعْلَمُهُ هُوَ الرَّجُلُ يَرْوِّجُ نَظِيرَهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَالرَّجُلُ يَرْوِّجُ نَظِيرَهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ ﴾ [الصافات : 22]) .

4 - وقيل : زُوِّجَ الْمُؤْمِنُونَ بِالْحَوَارِ الْعَيْنِ ، وَزُوِّجَ الْكَافِرُونَ بِالشَّيَاطِينِ . حكاها القرطبي في «التذكرة» .

قلت : وجميع ما سبق يفيد المعنى ، وهو جمع كل شكل بنظيره يوم القيامة ، فيضمّ المبرز في الطاعة مع السابقين ، والمتوسط مع أمثاله من أصحاب اليمين ، وأهل المعصية والكفر مع أمثالهم من أصحاب الشمال وأهل الجحيم ، والله تعالى أعلم .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴾ ﴿ أَيَّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ . توبيخ لقاتلها وتهديد له فيما أقدم عليه . فقد كانت العرب إذا ولدت لأحدهم بنت دفنها حية مخافة العار أو الحاجة . فيوم القيامة تُسأل الموءدة على أيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ، ليكون ذلك تهديداً لقاتلها . قال ابن كثير : (فإنه إذا سُئِلَ المظلوم فما ظنُّ الظالم إذن؟) .

قال قتادة : (كان أهل الجاهلية يقتل أحدهم ابنته ، ويغذو كلبه ، فعاب الله ذلك

عليهم). وقال: (هي في بعض القراءات: «سَأَلْتُ. بَأَي ذَنْبٍ قُتِلْتُ» لا بذنب). وكذا قال ابن عباس وأبو الضحا «سَأَلْتُ» أي: طلبت بدمها.

وفي صحيح مسلم عن عائشة، عن جُدَامَةَ بِنْتِ وَهَبٍ، أُخْتِ عُرَاثَةَ قَالَتْ: [حَضَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي أَنَاسٍ، وَهُوَ يَقُولُ: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَنْهَى عَنِ الْغِيلَةِ، فَظَنَرْتُ فِي الرُّومِ وَفَارِسَ، فَإِذَا هُمْ يُغِيلُونَ أَوْلَادَهُمْ، فَلَا يَضُرُّ أَوْلَادَهُمْ ذَلِكَ شَيْئاً. ثُمَّ سَأَلُوهُ عَنِ الْعَزْلِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ الْوَادُ الْخَفِيُّ». وفي رواية: وهي: ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ﴾⁽¹⁾.

وفي مسند أحمد ومعجم الطبراني بسند صحيح عن سلمة بن يزيد الجعفي قال: [انطلقت أنا وأخي إلى رسول الله ﷺ فقلنا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنْ أَمَّنَا مُلَيْكَةً كَانَتْ تَصِلُ الرَّجِمَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ. هَلَكْتَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَهَلْ ذَلِكَ نَافِعُهَا شَيْئاً؟ قَالَ: لَا. قُلْنَا: فَإِنَّهَا كَانَتْ وَادَّتْ أُخْتاً لَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَهَلْ ذَلِكَ نَافِعُهَا شَيْئاً؟ قَالَ: الْوَادَّةُ وَالْمَوْءِدَةُ فِي النَّارِ، إِلَّا أَنْ يُدْرِكَ الْوَادَّةُ الْإِسْلَامُ، فَيَعْفُو اللَّهُ عَنْهَا]⁽²⁾.

قلت: والمقصود أن الموءودة إن كانت كبيرة تعقل ورضيت بفعل أبيها وأمها بوأدها فتشترك معهم في الإثم وعذاب النار، والله تعالى أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾. أي كتب الأعمال إذا نشرت للحساب. قال الضحاك: (أُعْطِيَ كُلُّ إِنْسَانٍ صَحِيفَتَهُ بِيَمِينِهِ أَوْ بِشِمَالِهِ). وقال قتادة: (صحيفتك يا ابن آدم، تُمْلَى فِيهَا، ثُمَّ تُطَوَّى، ثُمَّ تُنْشَرُ عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَظَنَرَ رَجُلٌ مَاذَا يُمْلَى فِي صَحِيفَتِهِ).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾. أي: تشققت وأزيلت. وعن مجاهد: ﴿كُشِطَتْ﴾ قال: اجتذبت. وقال السُّدِّي: (كُشِفَتْ). وقال الضحاك: (تنكشط فتذهب). وقال الزجاج: (قلعت كما يقلع السقف).

قلت: وأصل الكشط في لغة العرب: قَلَعَ عَنْ شِدَّةِ التَّرَاقُ، وانكشط: أي ذهب، والمقصود: تُنْزَعُ السَّمَاءُ مِنْ مَكَانِهَا كَمَا يَنْزَعُ الْغِطَاءُ عَنِ الشَّيْءِ فَتَطْوَى، كما قال جلت

(1) حديث صحيح. أخرجه مسلم (1442) ح (141)، (142) - كتاب النكاح، وأخرجه الترمذي (2076)، وابن ماجه (2011)، والنسائي (106/6 - 107)، وأحمد (434/6).

(2) حديث صحيح. أخرجه أحمد (478/3)، والنسائي في «التفسير» (669)، وأخرجه الطبراني (6319)، وإسناده على شرطهما.

عظمته: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: 104].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾. أي: وإذا الجحيم أوقد عليها فأحمرت. قال قتادة: (سعرها غضب الله ، وخطايا بني آدم).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ﴾. أي: وإذا الجنة قربت وأدنت. قال الضحاك وقتادة والربيع بن خثيم: (أي قربت إلى أهلها).

وقوله تعالى: ﴿عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾. جواب ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وما بعدها.

والمقصود: علمت كل نفس ما أحضرته عند نشر الصحف ، من خير أو شر.

وفي التنزيل نحو ذلك:

1 - قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: 30].

2 - وقال تعالى: ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: 13].

أخرج الحاكم بإسناد صحيح من حديث معاذ بن جبل مرفوعاً: [تعلمون المعاد إلى الله ، ثم إلى الجنة أو إلى النار ، وإقامة لا ظعن فيه ، وخلود لا موت ، في أجساد لا تموت]⁽¹⁾.

وروى ابن أبي حاتم بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: (نزلت: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ، قال عمر: لما بلغ ﴿عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ قال: لهذا أُجري الحديث). والمقصود: إذا الشمس كورت وكانت هذه الأشياء والأحوال التي ذكرت ، عملت نفس حينئذ ما أحضرت من عملها وما أعدت لمستقبلها.

15 - 29. قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ﴿١٦﴾ وَالْيَلِّ إِذَا عَسَّسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَن تَذَهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ

(1) حديث صحيح. أخرجه الحاكم (83/1). وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (1668).

مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَفِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ .

في هذه الآيات: يقسم تعالى بالكواكب التي تخنسُ بالنهار فتختفي وتظهر بالليل ، كما يقسم سبحانه بالليل إذا نشأ وأقبل بظلامه ، والصبح إذا أضاء وامتد بنوره ونسائه ، إنَّ هذا القرآن لقول رسول عن الله كريم على الله ، ذي قدرة عالية ، ومكانة رفيعة مكيئة ، رآه نبينا ﷺ في صورته بالأفق المبين ، وما يضمن محمد ﷺ بالخبر اليقين ، وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم ، فأين تسلكون وتركون هذا الذكر الحكيم ، وما تشاؤون الاستقامة إلا أن يشاء الله رب العالمين .

فقوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾ . أي أقسم ، و«لا» زائدة . والخُنُسُ: هي النجوم تخنسُ بالنهار فتختفي تحت ضوء الشمس ولا ترى . قال علي: (هي النجوم تخنسُ بالنهار ، وتُظْهَرُ بالليل) . رواه بإسناده ابن جرير .

وفي الصَّحاح: (و«الخُنُسُ» الكواكب كلها . لأنها تخنسُ في المغيب ، أو لأنها تخنسُ نهاراً) . وخَنَسَ عنه: أي تأخَّر . و«أَخْنَسَهُ» غيَّره أي خَلَفَهُ ومضى عنه . والخُنُسُ: جمع خَانِسٍ وخَانِسَةٍ .

وقوله تعالى: ﴿الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾ . أي ﴿الْجَوَارِ﴾ تجري في أفلاكها ﴿الْكُنُوسِ﴾ تختفي في وقت غروبها .

يروى ابن جرير بسنده عن سماك بن حرب ، قال: سمعت خالد بن عرعة ، قال: سمعت علياً عليه السلام ، وسئل عن ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾ ﴿الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾ قال: (هي النجوم تخنسُ بالنهار ، وتكنس بالليل) .

قلت: والجواري: جمع جارية من جرى يجري . والْكُنُوسُ: جمع كانس وكانسة . وأصل الْكُنُوسِ من الْكِناس ، وهو المكان الذي يختفي فيه الوحش ، من غزالٍ أو غيره . وقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ . أي: والليل إذا نشأ وأقبل بظلامه ، أو أدبر وانتهت ظلمته . فالآية تحتمل التأويلين:

1 - قال مجاهد: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾: أظلم . وقال سعيد بن جبیر: (إذا نشأ) . وقال الحسن البصري: (إذا غشي الناس) .

2 - وقال ابن عباس: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ إذا أدبر . وقال ابن زيد: (عسعس: تولى) . وروى أبو داود الطيالسي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: (خرج علينا عليٌّ - رضي الله

عنه - حينَ ثَوْبِ الْمُتَوَبِّ بِصَلَاةِ الصَّبْحِ⁽¹⁾ فقال: أين السائلون عن الوترِ: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ۝١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ ۝١٨﴾ ، هذا حينٌ وترٍ حَسَنٌ).

قلت: والإعجاز القرآني يحتمل الوجهين ، فإن لفظة ﴿عَسَسَ﴾ تستعمل في الإقبال والإدبار ، والسياق يدل على ذلك أيضاً ، فإن قوله تعالى في الآية بعدها: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ﴾ أي طلع وأضاء وأقبل . فتكون المقابلة بين الآيتين: والليل إذا أدبر ، والصبح إذا أقبل . أو والليل إذا أظلم ، والصبح إذا أشرق - والله تعالى أعلم .

وقوله تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ﴾ . أي: أقبل بروح ونسيم ، وأضاء بنور عظيم . قال الضحاك: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ﴾ ، قال: إذا طلع). وقال قتادة: (إذا أضاء وأقبل). وقال سعيد بن جبير: (إذا نشأ).

وفي لغة العرب: تنفس الصبح تبّلع ، والتنفس: خروج النسيم من الجوف . وقيل للنهار إذا زاد: تنفس ، والمقصود: والصبح إذا امتد بنسيمه وضياؤه حتى يصير نهراً واضحاً .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ . هذا جواب القسم . والرسول الكريم: جبريل عليه السلام . والمعنى: إن هذا القرآن لقول رسول عن الله كريم على الله . قال ابن عباس وقتادة: (يعني جبريل). قال ابن كثير: (يعني: إن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم ، أي: ملك شريف حسن الخلق ، بهي المنظر ، وهو جبريل عليه الصلاة والسلام).

وقوله تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ . أي: هو ذو قدرة عالية ، ومكانة مكيّنة رفيعة ، عند الله جلّت عظمته .

وفي التنزيل نحو ذلك: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ۝١٩﴾ ذُو مِرَّةٍ ﴿النجم: 5 - 6﴾ .

قال النسفي: ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ قدرة على ما يكلف لا يعجز عنه ولا يضعف ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ عند الله ﴿مَكِينٍ﴾ ذي جاه ومنزلة ، ولما كانت حال المكانة على حسب حال المكين قال: عند ذي العرش ، ليدل على عظم منزلته ومكانته).

وقوله تعالى: ﴿مُطَاعٌ ثَمَّ أَمِينٌ﴾ . أي مطاع هناك بين الملائكة يرجعون إليه ويطيعونه ، مؤتمن على الوحي وغيره . يعني جبريل عليه السلام . قال قتادة: ﴿مُطَاعٌ ثَمَّ﴾ ، أي في

(1) ورواه ابن جرير بلفظ: (بعدما أذن المؤذن بالصبح). وفي آخره: (نعم ساعة الوتر هذه).

السماءات ، يعني: ليس هو من أفناء الملائكة ، بل هو من السادة والأشراف ، مُعْتَنَى به ، انتخب لهذه الرسالة العظيمة).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾. تزكية من الله تعالى لعبده ورسوله البشري محمد ﷺ ، بعد تزكية عبده ورسوله الملكي جبريل بوصفه بالأمانة.

وعن ميمون بن مهران: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ قال: ذاكم محمد ﷺ. وذكر الله محمداً ﷺ بوصف الصحبة للإشعار بأنهم عالمون بأمره ، وبأنه أعقل الناس وأكملهم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾. أي: قد رأى محمد جبريل في صورته ، له ست مئة جناح. قال مجاهد: (رآه نحو أجياد ، وهو مشرق مكة).

والأفق المبين: أي البين. قال القرطبي: (لأن هذا الأفق إذا كان منه تطلع الشمس فهو مبين. أي من جهته تُرى الأشياء).

وفي التنزيل نحو ذلك. قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ ﴿وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾ ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: 5 - 10].

فهذه هي الرؤيا الأولى التي كانت بالبطحاء ، وهي المشار إليها هنا في سورة التكويد ، والتي يبدو أنها نزلت قبل ليلة الإسراء ، لأن الرؤيا الثانية عند سدرة المنتهى لم تذكر فيها ، وإنما ذكرت في سورة النجم: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ [النجم: 13 - 15] ، والتي نزلت بعد الإسراء. أفاده الحافظ ابن كثير.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَىٰ الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾. أي: وما محمد ﷺ بخبر السماء بياخل ، فإنه لا يبخل بالوحي ، ولا يقصر في التبليغ ، بل يعلم الخلق كلام الله وأحكامه. قال مجاهد: (ما يضمن عليكم بما يعلم). وقد قرأته عامة قراء المدينة والكوفة ﴿بِضَنِينٍ﴾ - والضنين: البخيل - ، والمقصود ما سبق ، إنه غير بخيل عليهم بتعليمهم ما علمه الله من الوحي وأحكام الشرع. وأما بعض قراء مكة والبصرة فالقراءة عندهم «بظنين» - والظنين: المتهم - ، والمقصود: إنه غير متهم فيما يخبرهم عن الله من الأنباء. وكلاهما قراءتان مشهورتان في الأمصار.

يروى ابن جرير بسنده عن سفيان ، عن عاصم ، عن زر: ((وما هو على الغيب بظنين)) قال: الظنين: المتهم. وفي قراءتك «بضنين» والضنين: البخيل ، والغيب:

القرآن). قال قتادة: (إن هذا القرآن غيب ، فأعطاه الله محمداً ، فبذله وعلمه ودعا إليه ، والله ما ضنَّ به رسول الله ﷺ).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾. أي: وما هذا القرآن بقول شيطان من الشياطين المسترقة للسمع المرجومة بالشهب ، بل هو كلام الله ووحيه. كما قال تعالى: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ ﴿٢١٦﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ﴾ [الشعراء: 210 - 212].

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ تَذَهُبُونَ﴾. أي: فأى طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بينت لكم ، وأين تذهب بكم عقولكم في التكذيب بهذا الوحي الذي يسطع بحججه كالشمس. قال قتادة: (يقول: فأين تعدلون عن كتابي وطاعتي).

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾. - ﴿إِنْ﴾ بمعنى ما - أي: وما القرآن إلا موعظة للخلق أجمعين وتذكير لهم. وقيل: ما محمد إلا ذكر. والأول أرجح للدلالة السياق عليه.

وقوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾. قال مجاهد: (يتبع الحق). قال ابن جرير: (معنى الكلام: إن هو إلا ذكر لمن شاء منكم أن يستقيم على سبيل الحق فيتبعه ويؤمن به). وقال القاسمي: (وقوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ بدل من ﴿الْعَالَمِينَ﴾. أي إنه ذكرى لمن أراد الاستقامة على الطريق الحق ، بصرف إرادته وميله إليه والثبات عليه. أما من أعرض ونأى ، فمن أين تنفعه الذكرى ، وقد زاده الران عمى؟).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. إثبات لافتقار مشيئة العباد إلى مشيئة القهار سبحانه ، فكل مشيئة في هذا الكون مقهورة بمشيئته تعالى. قال الحسن: (والله ما شئت العرب الإسلام حتى شاء الله لها). والمقصود: وما تشاؤون الاستقامة أيها القوم ولا تقدرون على ذلك إلا بمشيئة الله وتوفيقه

تم تفسير سورة التكويد

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

عصر يوم الخميس 15 / ذي القعدة / 1426 هـ

الموافق 15 / كانون الأول / 2005 م

- دروس ونتائج وأحكام -

- 1 - سورة التكوين ، شَيِّتُ نَبِينَا ﷺ مع أخوات هود قبل المشيب .
- 2 - الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة .
- 3 - العشار : النوق الحوامل التي في بطونها أولادها ، والواحدة : عُشراء .
- 4 - لتؤذن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء .
- 5 - العزل هو الوأد الخفي ، والوائدة - والموؤدة الراضية بالوَأد - في النار .
- 6 - تعلمون المعاد إلى الله ، ثم إلى الجنة أو إلى النار ، وإقامة لا ظعن فيه ، وخلود لا موت ، في أجساد لا تموت .
- 7 - الجواري الكُئُوسُ : هي التي تجري في أفلاكها وتختفي وقت غروبها .
- 8 - لفظة «عسعس» تستعمل في الإقبال والإدبار .
- 9 - إثبات مشيئة العبد بقوله تعالى : ﴿لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ .
- 10 - إثبات افتقار مشيئة العباد إلى مشيئة الواحد القهار ، فإن العون والمدد والتوفيق كله من الله .

82



وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (19) .

أخرج النسائي في «التفسير» بإسناد صحيح عن جابر قال : [قام معاذٌ فصلَّى العشاء الآخرة فطوّل ، فقال النبي ﷺ : أَفْتَانُ يا معاذ؟ أَفْتَانُ يا معاذ؟! أين كُنْتَ عن ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ، ﴿وَالضُّحَى﴾ ، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾] ⁽¹⁾ .

وأخرج أحمد والترمذي والحاكم بإسناد حسن عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : [مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنَ فُلَيْقَرَأَ : ﴿إِذَا السَّمَاءُ كُورَتْ﴾ ، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ ، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾] ⁽²⁾ .

موضوع السورة

انفطار السماء وأهوال يوم الحساب
وأحوال الناس في الثواب أو العقاب

- (1) أخرجه النسائي في «التفسير» (672) ، وفي «السنن» (831) ، (984) وإسناده صحيح . وهو من أفراد النسائي ، وأصل الحديث مخرج في الصحيحين دون ذكر ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ .
- (2) حديث حسن . أخرجه أحمد (27 / 2 - 36 - 100) ، والترمذي (3333) ، والحاكم (515 / 2) ، وإسناده حسن . وانظر صحيح سنن الترمذي (2653) .

- منهاج السورة -

- 1 - انفطار السماء لنزول الملائكة وتساقط الكواكب وتفجر البحار وتبعثر القبور لمشهد الحساب ، ونيل الثواب ونكال العقاب .
- 2 - تقسيم المآل بحسب الأعمال ، فأهل الإيمان في جنات النعيم ، وأهل الكفر في نار الجحيم .
- 3 - يوم الدين هو يوم الجزاء والحساب ، وحصول العبد على نتائج كسبه من الثواب أو العقاب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 12. قوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ۝ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ۝ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ (٣) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ (٤) عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝ (٥) يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ۝ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝ (٨) كَلَّا بَلْ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ ۝ (٩) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ (١٠) كِرَامًا كَنِينِينَ ۝ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝ (١٢) ۞ .

في هذه الآيات : تشقُّق السماء لنزول الملائكة يوم القيامة ، وتساقط الكواكب وتفجر البحار وتبعثر القبور لخروج الموتى لمشهد الفرح أو الندامة .

فقوله تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ۝ . أي : تشققت لنزول الملائكة . كما قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ ۖ وَتُزَلُّ الْمَلَائِكَةُ تَزِيلًا ۝ [الفرقان : 25] . وقيل : تفتطرت لهيئة الله تعالى . كقوله جلّت عظمتة : ﴿ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۝ [المزمل : 18] . والفتطر : الشَّقُّ ، وَتَفَطَّرَ الشَّيْءُ : شَقَّقَ .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ۝ . أي : تساقطت متفرقة .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝ . قال ابن عباس : (فَجَّرَ الله بعضها في بعض) . أي فصارت بحراً واحداً - أو انفجارها كأنفجار البراكين ، وهذا قبيل قيام الساعة .

وقال البخاري: (قال الربيع بن خثيم: «فُجِّرَتْ»: فاضت).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾. أي قُلِبَ ترابها ، وأخرج الموتى منها. قال ابن عباس: (بُحِّثَتْ). وقال السُّدِّي: (تُبْعَثَرُ: تُحْرَكُ فيخرج مَنْ فيها).

وقوله تعالى: ﴿عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾. أي: علمت حينئذ عند نشر الصحف ما قدَّمت من عمل خير أو شر ، وما أخَّرت من حسنة أو سيئة. كما قال تعالى: ﴿يُنَبِّئُكَ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: 13].

والمقصود: إذا كانت هذه الحوادث الرهيبة قامت القيامة ، فحوسبت كل نفس بما عملت ، وأوتيت كتابها بيمينها أو بشمالها. قال القاسمي: (﴿عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ﴾ أي لذلك اليوم من عمل صالح أو سيِّئ ﴿وَأَخَّرَتْ﴾ أي تركت من خير أو شر. أو المعنى: ما قدَّمت من عمل طيب لم تقصر فيه ، وما أخَّرت أي قصرت فيه. والمراد بالعلم بالتقديم والتأخير ، وجدان الجزاء عليهما ، وتحقيق مصداق الوعد عليهما).

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾. تهديد لمن تمادى في العصيان ، وغرَّه عفو الرحمان ، إذ لم يعاجله بالعقاب والانتقام. قال ابن عمر: (غرَّه - والله - جهله). وقال قتادة: (غرَّ ابن آدم هذا العدو الشيطان). وقال الفضيل بن عياض: (لو قال لي: «ما غرَّك بي» ، لقلت: سُتُورُكَ الْمُزْحَاة). قال ابن كثير: (إنما أتى باسمه ﴿الْكَرِيمِ﴾ لِئِنَّهُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَقَابَلَ الْكَرِيمَ بِالْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ ، وَأَعْمَالِ السُّوءِ).

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ﴾. قال البخاري: (وقرأ الأعمش وعاصم «فَعَدَّلَكَ» بالتخفيف ، وقرأه أهل الحجاز بالتشديد ، وأراد مُعْتَدِلَ الْخَلْق ، ومن خَفَّفَ يَعْنِي: في أي صورة شاء: إمَّا حَسَنٌ ، وإمَّا قَبِيحٌ ، أو طَوِيلٌ أو قَصِيرٌ).

والمقصود: خلقتك ربك أيها الإنسان من نطفة ولم تك شيئاً «فَسَوَّاكَ» رجلاً تسمع وتبصر وتعقل ﴿فَعَدَّلَكَ﴾ جعلك معتدلاً قائماً حسن الصورة ، وجعل أعضائك متعادلة متناسبة ، في أحسن الهيئات والأشكال.

أخرج ابن ماجه وأحمد وابن سعد بسند حسن عن جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ ، عن بُسْرِ بْنِ جَحَّاشٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بصق يوماً على كَفِّهِ ، ووضع عليها إصبعه ثم قال: [يقول الله تعالى: يا ابن آدم! أتى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه ، حتى إذا سَوَّيْتُكَ وَعَدَّلْتُكَ مَشَيْتَ بَيْنَ بَرْدَيْنِ وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ ، فجمعت ومَنَعَتْ ، حتى إذا بَلَغْتَ

نفسك هذه - وأشار إلى حلقه - «وفي رواية: حتى إذا بلغت التراقي» قلت: أتصدق ، وأنتى أو أن التصديق؟! [1].

وقوله تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾. أي: ركبك سبحانه في الصورة التي شاءها من الصور المختلفة ، وأنت لم تختَر صورة نفسك. قال مجاهد: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾: في أي شبه أب أو أم أو خالٍ أو عم). وقال مكحول: (إن شاء ذكراً ، وإن شاء أنثى). وقال عكرمة: (إن شاء في صورة إنسان ، وإن شاء في صورة حمار ، وإن شاء في صورة قرد ، وإن شاء في صورة خنزير). قال قتادة: (قادر - الله - ربنا على ذلك). - والمقصود هنا: ولكنه بلطفه وحلمه اختار لك سبحانه أنسب شكل وأحسن منظر ، وكَرَّمك على سائر المخلوقات في أحسن تقويم -.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾. - كلاً - للردع والزجر عن الاغترار بكرم الله وجعله ذريعة إلى الكفر به. والدين: الجزاء. قال النسفي: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ ردع عن الغفلة عن الله تعالى ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ أصلاً ، وهو الجزاء ، أو دين الإسلام فلا تصدقون ثواباً ولا عقاباً).

وعن مجاهد: ﴿تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ قال: بالحساب). أو قال: (يوم الحساب). وقال قتادة: (قوله ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ قال: يوم شدة ، يوم يدين الله العباد بأعمالهم).

وقوله تعالى: ﴿وَلَنْ عَلَيْكُمْ لحَفِظِينَ﴾ كِرَامًا كَنِينٍ. يعني: وإن عليكم لملائكة رقباء حفظة يحفظون أعمالكم ، ويحصونها عليكم ، كراماً على الله كاتبين ، يكتبون ما يصدر عنكم. والمقصود: فاحرصوا على أعمال الإيمان والطاعة لتكتب لكم ، واجتنبوا الشرك والقبائح والآثام أن تسطر في صحائفكم.

وقوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ مَا تَعْمَلُونَ﴾. أي من خير أو شر. قال القاسمي: (أي يحصونه عليكم ، فلا يغفلون ولا ينسون).

قال الرازي: (إن الله تعالى أجرى أموره مع عباده على ما يتعاملون به فيما بينهم. لأن ذلك أبلغ في تقرير المعنى عندهم. ولما كان الأبلغ عندهم في المحاسبة إخراج كتاب بشهود ، خوطبوا بمثل هذا فيما يحاسبون به يوم القيامة. فيخرج لهم كتب

(1) إسناده حسن. أخرجه ابن ماجة (2/ 159) ، وأحمد (4/ 210) ، وابن سعد في «الطبقات» (427/ 7). وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (1099).

منشورة ، ويحضر هناك ملائكة يشهدون عليهم ، كما يشهد عدول السلطان على من يعصيه ويخالف أمره).

13 - 19. قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾ .

في هذه الآيات : تقسيم المال بحسب الأعمال ، فأهل الإيمان والبر في نعيم الجنان ، وأهل الكفر والعصيان في صليّ النيران ، إنه يوم الدين والحساب ، يوم نيل الثواب ونكال العقاب .

فقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ . قال ابن جرير : (يقول جل ثناؤه : إنّ الذين برّوا بأداء فرائض الله ، واجتناب معاصيه ، لفي نعيم الجنان ينعمون فيها). والأبرار جمع «برّ» وهو المتصف بالبرّ - أي الطاعة .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ . أي : وإن الذين فجروا عن أمر الله - أي انشقوا عنه وخالفوه - سيصيرون إلى الجحيم .

وقوله تعالى : ﴿ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾ . أي يصلى هؤلاء الفجار الجحيم يوم القيامة ، يوم يُدان العباد بالأعمال ، فيجازون بها . قال ابن عباس : (﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ من أسماء يوم القيامة ، عظّمه الله ، وحذّره عباده).

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴾ . أي : لا يفارق أصحاب الجحيم النار أبداً ، ولا يغيبون عنها ، ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة ، ولو يوماً واحداً ، بل هم فيها أبد الآبدين . كما قال تعالى : ﴿ وَمَاهُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر : 48] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾ . قال قتادة : (تعظيماً ليوم القيامة ، يوم تدان فيه الناس بأعمالهم).

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴾ . تأكيد لعظم ذلك اليوم عن طريق التكرار ، وتفخيم لأهواله التي تحمل الفضيحة والخزي على الكفرة والمجرمين والفجار .

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ . تفسير لما يكون في

ذلك اليوم الرهيب ، حيث لا تغني نفس عن نفس شيئاً ، وتنتهي فيه الرياسات ، والممالك والقرارات ، والأمر يومئذ للعبار ، الواحد القهار . وعن قتادة : ﴿ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ قال : ليس ثم أحد يومئذ يقضي شيئاً ولا يصنع شيئاً إلا رب العالمين . وقال أيضاً : (والأمر والله اليوم لله ، ولكنه يومئذ لا ينازعه أحد) .

وفي التنزيل نحو ذلك :

1 - قال تعالى : ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾ [الفرقان : 26] .

2 - وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [غافر : 16] .

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال : [قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عز وجل : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : 214] . قال : يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد سليمان من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً⁽¹⁾ .

تم تفسير سورة الانفطار

بعون الله وتوفيقه ، وواسع مننه وكرمه

عشاء الخميس 15 / ذي القعدة / 1426 هـ

الموافق 15 / كانون الأول / 2005 م

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري في الصحيح - حديث رقم - (4771) - كتاب التفسير . وانظر صحيح مسلم - حديث رقم - (204) - كتاب الإيمان .

- دروس ونتائج وأحكام -

- 1 - انفطار السماء تشققها لنزول الملائكة ، والفطر: الشَّق .
- 2 - يوم الدين : يوم يدين الله العباد بأعمالهم ، وهو يوم شدة على الناس .
- 3 - الأبرار: جمع بَرّ ، وهو المتصف بالبرّ ، أي الطاعة .
- 4 - الأمر دوماً لله ، ولكنه يوم القيامة لا ينازعه فيه أحد .



83

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

وهي سورة مدنية ، وعدد آياتها (36).

ما ورد في ذكرها:

أخرج ابن ماجة والنسائي بسند حسن عن ابن عباس : [لما قدم النبي ﷺ المدينة ، كانوا من أَحَبِّ الناس كيلاً . فأنزل الله سبحانه : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ، فأحسنوا الكيل بعد ذلك] (1).

وأخرج البخاري في «التاريخ الصغير» ، وأحمد وابن حبان والبخاري ، بسند صحيح ، عن أبي هريرة قال : [خَرَجَ ﷺ إلى خيبر حين استخلف سباع بن عرفة على المدينة ، قال أبو هريرة : قدمت المدينة مهاجراً فصليتُ الصبحَ وراء سباع ، فقرأ في الركعة الأولى ﴿كَهَيَّعَ﴾ ، وقرأ في الركعة الثانية ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ، قال أبو هريرة : فأقول في الصلاة : ويلٌ لأبي فلان ! له مكيالان ، إذا اکتال اکتال بالوافي ، وإذا كَال كَال بالناقص ، فلما فرغنا من صلاتنا أتينا سباعاً فزودنا شيئاً حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وقد افتتح خيبر ، فكلّم المسلمين ، فأشركونا في سهمانهم] (2).

موضوع السورة

تهديد المطففين وخزي المجرمين يوم الدين
ونعتُ حال السعداء الأتقياء المؤمنين

(1) حديث حسن . أخرجه ابن ماجة (2223) ، كتاب التجارات ، باب التوقي في الكيل والوزن .

(2) حديث صحيح . أخرجه البخاري في «التاريخ الصغير» (ص 11 - 12) ، وأحمد (345/2) ،

(346/2) ، وابن حبان (467) ، والبخاري (2281/79/3) ، وأخرجه الحاكم (36/3) ، وقال :

«صحيح» ووافقه الذهبي ، وأقرّه الألباني في «الصحيحة» (2965).

- منهاج السورة -

- 1- تهديد الله تعالى المطففين ، الذي يعبثون بالكيل والميزان ولا يوفون .
- 2- تثبت كتاب الفجار في سجين ، في سجل أهل النار أسفل الأرضين .
- 3- طبع الله على قلوب المكذبين ، وحجبهم عن ربهم يوم الدين ، ثم مصيرهم إلى الجحيم .
- 4- تثبت كتاب الأبرار في عليين ، وهم يوم القيامة في النضارة والنعيم .
- 5- نعت حال المجرمين في الدنيا وهم بالمؤمنين يسخرون ، وانعكاس هذه الحال ليصبح المؤمنون يوم القيامة هم من الكفار يضحكون .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- 1 - 6. قوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۚ ۝١ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾ .

في هذه الآيات : التحذير الشديد والوعيد الأكيد للمطففين ، الذين يعبثون بالكيل والميزان ويسلكون سبيل المنافقين ، فالخزي والفضيحة والقصاص والعذاب يوم الدين ، يوم يقوم الناس لرب العالمين .

فقوله تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ . التطفيف : النقص من الكيل أو الوزن شيئاً طفيفاً ، أي نزرأ حقيراً . وربما كان لأحدهم صاعان يكيل للناس بأحدهما ويكتال لنفسه بالآخر . قال الزجاج : (إنما قيل للفاعل من هذا مُطَفَّفٌ ، لأنه لا يكاد يسرق من المكيال والميزان إلا الشيء الطفيف الخفيف ، وإنما أخذ من طَفَّ الشيء وهو جانبه) .

قال القرطبي: ﴿وَبَلِّغْ﴾ أي شدة عذاب في الآخرة) - ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾. وقال ابن عباس: (إنه وإد في جهنم يسيل فيه صديد أهل النار ، فهو قوله تعالى: ﴿وَبَلِّغْ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ أي الذين ينقصون مكاييلهم وموازينهم).

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾. يعني الذين إذا اشتروا لأنفسهم استوفوا في الكيل والوزن. قال الفراء: ﴿أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾: أي من الناس ، يقال: اكملت منك: أي استوفيت منك ، ويقال اكملت ما عليك: أي أخذت ما عليك). وقال الزجاج: (أي إذا اكतालوا من الناس استوفوا عليهم الكيل). والمقصود: الذين إذا استوفوا أخذوا الزيادة ، وإذا أوفوا أو وزنوا لغيرهم نقصوا ، فلا يرضون للناس ما يرضون لأنفسهم. - ذكره القرطبي.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾. أي: وإذا كالوا لغيرهم من الناس ينقصون الكيل ، وإذا وزنوا لغيرهم من الناس ينقصون الوزن.

قلت: والآيات في موضع التوبيخ الشديد ، وتَحْمِيلُ التهديد والوعيد الأكيد ، فإن الأصل الوفاء في الكيل والميزان ، وقد أهلك الله تعالى قوم شعيب عبر الزمان ، لما كانوا يبخسون الناس في المكيال والميزان.

ففي التنزيل:

1 - قال تعالى: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 85].

2 - وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الِّمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: 35].

3 - وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام: 152].

4 - وقال تعالى: ﴿وَأَقِمْوْا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: 9].

ومن كنوز صحيح السنة في آفاق ذلك أحاديث:

الحديث الأول: أخرج ابن ماجة بسند صحيح عن سويد بن قيس قال: [جلبتُ أنا ومخرقة العبدي بَرًّا من هَجْر... فجاءنا رسول الله ﷺ فساومنا سراويل. وعندنا وَرَّان

يزن بالأجر . فقال له النبي ﷺ : يَا وَرَّانُ ! زِنْ وَأَرْجِحْ [1].

الحديث الثاني : أخرج ابن ماجة - كذلك - في الباب عن سِمَاك بن حرب قال : سمعت مالكا ، أبا صفوان بن عُمَيْرَة ، قال : [بعت من رسول الله ﷺ رجُلَ سراويل قبل الهجرة . فوزن لي . فأرجح لي] [2].

الحديث الثالث : أخرج ابن ماجة في الباب - أيضاً - بإسناد صحيح عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : [إِذَا وَزَنْتُمْ فَأَرْجِحُوا] [3].

الحديث الرابع : أخرج أبو داود بسند صحيح عن أبي هريرة : [أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، مَرَّ بِرَجُلٍ يَبِيعُ طَعَامًا ، فَسَأَلَهُ : كَيْفَ تَبِيعَ ؟ فَأَخْبَرَهُ ، فَأَوْحَى إِلَيْهِ : أَنْ أَدْخَلَ يَدَكَ فِيهِ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهِ ، فَإِذَا هُوَ مَبْلُولٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَيْسَ مِنَّا مَنْ عَشَّ] [4].

وقوله تعالى : ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴾ [يَوْمَ عَظِيمٍ] . قال ابن جرير : (يقول تعالى ذكره : ألا يظن هؤلاء المطففون الناس في مكاييلهم وموازينهم ، أنهم مبعوثون من قبورهم بعد مماتهم ، ليوم عظيم شأنه ، هائل أمره ، فطيع هوله) .

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ . أي يوم يقوم الناس واقفين منتظرين لأمر رب العالمين ، أو لجزائه ، أو لحسابه . وفي الآية دلالة على عظم ذنب التطفيف ، ومزيد إثمه وفظاعة عقابه .

وفي السنة الصحيحة من ذكر آفاق هذه الآية أحاديث :

الحديث الأول : أخرج البخاري ومسلم ومالك ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : [أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ : حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أَذُنَيْهِ] [5] . وفي رواية : [يقوم أحدهم في رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أَذُنَيْهِ] .

(1) حديث صحيح . أخرجه ابن ماجة (2220) - كتاب التجارات . باب الرجحان في الوزن .

(2) حديث صحيح . أخرجه ابن ماجة (2221) - الباب السابق . انظر صحيح سنن ابن ماجة (1806) .

(3) أخرجه ابن ماجة في السنن (2222) - الباب السابق . وانظر صحيح سنن ابن ماجة (1807) .

(4) حديث صحيح . أخرجه أبو داود (3452) - كتاب الإجازة . باب في النهي عن العَشِّ . انظر صحيح سنن أبي داود (2946) ، ونحوه في صحيح ابن ماجة (1809) . وأصله في صحيح مسلم .

(5) حديث صحيح . أخرجه البخاري (4938) - كتاب التفسير ، عند هذه الآية . وكذلك أخرجه برقم (6531) - كتاب الرقاق . وأخرجه مسلم (2862) ح (60) ، والترمذي (2422) ، و(3336) ، والنسائي في «التفسير» (677) ، وابن ماجة (4278) .

الحديث الثاني: أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن نافع ، عن ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ] : لعظمة الرحمن - عز وجل - يوم القيامة ، حتى إِنَّ العَرَقَ لَيُلْجِمُ الرِّجَالَ إِلَى أَنْصَافِ آذَانِهِمْ⁽¹⁾.

الحديث الثالث: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رسول الله ﷺ قال: [يَعْرِقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَفُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعاً ، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ]⁽²⁾.

وله شاهد في صحيح مسلم من حديث المقداد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذْنِيتُ الشَّمْسِ مِنَ الْعِبَادِ ، حَتَّى تَكُونَ قَيْدَ مَيْلٍ أَوْ مَيْلَيْنِ . قَالَ: فَتَصْهَرُهُمُ الشَّمْسُ ، فَيَكُونُونَ فِي الْعَرَقِ كَقَدَرِ أَعْمَالِهِمْ ، وَفِي رَوَايَةٍ: (فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ) . فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَاماً . قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ]⁽³⁾.

الحديث الرابع: أخرج أبو داود بسند صحيح عن عاصم بن حميد قال: سألت عائشة: بأي شيء كان يفتح رسول الله ﷺ قِيَامَ اللَّيْلِ؟ فقالت: [لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ ، كَانَ إِذَا قَامَ كَبَّرَ عَشْرًا ، وَحَمْدُ اللَّهِ عَشْرًا ، وَسَبَّحَ عَشْرًا ، وَهَلَّلَ عَشْرًا ، وَاسْتَغْفَرَ عَشْرًا ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ، وَاهْدِنِي ، وَارْزُقْنِي ، وَعَافِنِي» وَيتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة]⁽⁴⁾.

7 - 17 . قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا سِجِّينٍ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١١﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا نُنَادَى عَلَيْهِ

- (1) حديث صحيح. أخرجه أحمد في المسند (31/2) ، والطبري في «التفسير» (36582). وقوله: «لعظمة الرحمن» مدرج غالباً.
- (2) حديث صحيح. أخرجه البخاري في الصحيح (6532) - كتاب الرقاق. عند تفسير هذه الآيات.
- (3) حديث صحيح. أخرجه مسلم (2864) - كتاب الجنة ونعيمها. باب في صفة يوم القيامة. وأخرجه أحمد (3/6 - 4) ، والبخاري (4317) ، وابن حبان (7330) ، وغيرهم.
- (4) حسن صحيح. أخرجه أبو داود في السنن (766) ، والنسائي (3/208 - 209) ، وأحمد في المسند (6/143) ، وابن ماجه في السنن (1356) ، وابن حبان في صحيحه (2602) ، وإسناده حسن ، ورجاله ثقات. وانظر صحيح سنن أبي داود (693).

إِنَّمَا قَالَ أَطِيعُوا أَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ .

في هذه الآيات: تثبیت کتاب الفجار في سجين ، في سجل أهل النار أسفل الأرضين ، الذين يكذبون بيوم الدين ، وقد طبع الله على قلوبهم وهم عن ربهم يوم القيامة من المحجوبين ، ثم مصيرهم ومستقرهم إلى نار الجحيم .

فقوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينَ ﴾ . قال قتادة: (في أسفل الأرض السابعة). وقال الضحاك: (يقول: في الأرض السفلى). وسجّين: فعيلٌ من السّجن ، وهو الضيق ، كما يقال: فسّيق وسكّير . والمقصود: حقاً إن كتاب أعمال الفجار مكتوب في سجل أهل النار في الأرض السفلى ليناسب سفالة نياتهم وتوجهاتهم .

وفي حديث البراء - في خروج روح الكافر والفاجر لا تفتح لها أبواب السماء - فيقول الله عز وجل: [اكتبوا كتابه في سجين ، في الأرض السفلى] (1) .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينَ ﴾ . تعظيم لأمر سجين ، وتهويل لمصير أهله .

وقوله تعالى: ﴿ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴾ . قال قتادة: (كتاب مكتوب). قال النسفي: (وفسر سجيناً بكتاب مرقوم ، فكأنه قيل: إن كتابهم في كتاب مرقوم فما معناه! قلت: سجين كتاب جامع هو ديوان الشرّ دون الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الجن والإنس ، وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة ، أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه ، من رقم الثياب علامتها ، والمعنى أنّ ما كتب من أعمال الفجار مثبت في ذلك الديوان ، وسمي سجيناً فعياً من السجن ، وهو الحبس والتضييق ، لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم ، أو لأنه مطروح تحت الأرض السابعة في مكان وحش مظلم).

وقوله تعالى: ﴿ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ . أي: الهلاك والدمار للمكذبين ، يوم يخرج المكتوب ، وتصدر النتائج ، ويحين وقت النكال والقصاص .

وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴾ . أي: الذين يكذبون بيوم الحساب والمجازاة. قال ابن زيد: (أهل الشرك يكذبون بالدين).

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴾ . أي: فاجر جائر متجاوز في الإثم منهمك في أسبابه . قال قتادة: ﴿ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ ﴾ : أي بيوم الدين ، إلا كل معتد في

(1) حديث صحيح . أخرجه أحمد (4/ 287 - 288) ، وأبو داود (2/ 281) ، والحاكم (1/ 37 - 40) .

قوله ، أثيم بربه). وقال ابن كثير: (أي: مُعْتَدٍ في أفعاله ، من تعاطي الحرام والمجاوزة في تناول المُباح ، والأثيم في أقواله إِنْ حَدَّثَ كَذِبَ ، وَإِنْ وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِنْ خَاصَمَ فَجَرَ).

وقوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾. أي: إذا تتلى عليه آياتنا المنزلة على محمد ﷺ قال: هذا ما سطره الأولون فكتبوه في كتبهم ، من أحاديثهم وأباطيلهم وخرافاتهم.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. - كَلَّا - رَدُّعٌ وزجر ، أي ليس الأمر كما يصف ذلك المعتدي الأثيم ، وإنما هي المعاصي والذنوب والآثام ، تراحمت وتكاثرت فأحاطت بقلوبهم حتى غطاها الران.

أخرج الترمذي بسند حسن عن أبي هريرة ، عن رسول الله ﷺ قال: [إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُّكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ ، فَإِذَا نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ صُقِلَ قَلْبُهُ ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَغْلُو قَلْبُهُ ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾] ⁽¹⁾. قال ابن عباس: (طبع على قلوبهم ما كسبوا).

وعن الحسن: (﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ قال: الذنب على الذنب ، حتى يعمى القلب فيموت). وقال مجاهد: (العبد يعمل بالذنوب ، فتحيط بالقلب ، ثم ترتفع ، حتى تغشى القلب). وقال أيضاً: (انبت على قلبه الخطايا حتى غمرته). وقال الضحاك: (الرين موت القلب). وعن أبي سليمان: (الرين والقسوة زماما الغفلة). وقيل: الرين يعتري قلوب الكافرين ، والغيم للأبرار ، والغين للمقرئين.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾. أي: بل هم ممنوعون عن رؤيته تعالى يوم القيامة. قال قتادة: (هو لا ينظر إليهم ، ولا يزيكهم ، ولهم عذاب أليم). وقال الحسين بن الفضل: (كما حَجَبَهُمْ في الدنيا عن توحيده حَجَبَهُمْ في العقبي عن رؤيته). وقال الزجاج: (في الآية دليل على أن المؤمنين يرون ربهم ، وإلا لا يكون التخصيص مفيداً). وقال مالك بن أنس: (لما حجب أعداءه فلم يروه تجلّى لأوليائه حتى رأوه).

قلت: و﴿كَلَّا﴾ رَدُّعٌ عن الكسب الرائن على القلب ، فهو الذي منعهم من رؤية

(1) حديث حسن. أخرجه الترمذي (3334) ، والنسائي في «التفسير» (678) ، وفي «السنن» (418) ، ورواه ابن ماجة (4244) ، والطبري (36623). وانظر صحيح سنن الترمذي (2654).

وجهه سبحانه يوم الحساب . وإلا فالمؤمنون ينعمون بلذة النظر إلى وجهه الكريم .

وفي التنزيل نحو ذلك :

1 - قال تعالى : ﴿ وَجْهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرٌ ۚ ﴿٢٦﴾ إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرٌ ۚ ﴾ [القيامة : 22 - 23] .

2 - وقال تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۚ ﴾ [يونس : 26] . فالحسنى : الجنة ، والزيادة : النظر إلى وجه الله العظيم .

3 - وقال تعالى هنا - في شأن الكفار - : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُونَ ﴾ [المطففين : 15] .

قال الحاكم : حدثنا الأصم حدثنا الربيع بن سليمان قال : [حضرت محمد بن إدريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها : ما تقول في قول الله عز وجل : ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحُجُونَ ﴾ ؟ فقال الشافعي : لما أن حُجب هؤلاء في السخط ، كان في هذا دليل على أن أوليائه يرونه في الرضى] . وفي رواية : [ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل] (1) .

وفي صحيح مسلم ومسند أحمد وجامع الترمذي عن صهيب ، عن النبي ﷺ قال : [إذا دخل أهل الجنة الجنة ، يقول الله تعالى : تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار! قال : فيرفعُ الحجاب ، فينظرون إلى وجه الله ، فما أعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم ، ثم تلا : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۚ ﴾] (2) .

وفي أفراد مسلم عن جابر في حديثه : [إن الله يتجلى للمؤمنين يضحك] (3) - يعني في عرصات القيامة - مما يدل أن المؤمنين ينظرون إليه سبحانه في العرصات وفي روضات الجنات .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴾ . أي : ثم إنهم مع هذا الحرمان ، عن رؤية وجه الرحيم المَتَّان ، لواردو الجحيم فمشويون في النيران ، ليجمعوا بذلك بين تعاسة النفس وعذاب الأبدان .

(1) انظر كتابي : أصل الدين والإيمان (206 / 1) - البحث العاشر - رؤية الله يوم القيامة .

(2) حديث صحيح . أخرجه مسلم في الصحيح (181) ، والترمذي (2552) ، ورواه أحمد (4 / 333) .

(3) حديث صحيح . أخرجه مسلم في صحيحه - حديث رقم - (191) - في أثناء حديث مطول .

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾. أي: ثم يقال لهم على وجه التقرير والتوبيخ، والتصغير والتحقيق: هذا التكذيب للرسل في الدنيا أوصلكم إلى عذاب السعير.

18 - 28. قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَمُهُمْ مِنْهُ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِرَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

في هذه الآيات: تثبيت كتاب الأبرار في عليين، وإثبات نضارة وجوههم يوم الدين، فهم في الملذات في جنات النعيم.

فقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾. أي حقاً إن كتاب الأبرار مختلف عن كتاب الفجار، فهؤلاء كتابهم في عليين، وأولئك كتابهم في سجين. والأبرار: جمع برّ، وهم الذين بروا الله بأداء فرائضه، واجتناب محارمه. و﴿عليون﴾ معناه علو في علو مضاعف، كأنه لا غاية له. قال النسفي: (هو علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين، منقول من جمع عليّ، فعّيل من العلو، سمي به لأنه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنة، أو لأنه مرفوع في السماء السابعة).

يروى ابن جرير بسنده عن هلال بن يساف، قال: سأل ابن عباس كعباً وأنا حاضر عن العليين، فقال كعب: (هي السماء السابعة، وفيها أرواح المؤمنين). وقال قتادة: (في السماء العليا). وقال الضحاك: ﴿لَفِي عِلِّيَّينَ﴾: في السماء عند الله.

وفي سنن أبي داود ومسنّد أحمد من حديث البراء مرفوعاً - في ارتفاع روح المؤمن بعد نزوعها إلى طبقات السماء -: [فيشيعه من كل سماء مقربوها، إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُرْسَلُونَ﴾، فيكتب كتابه في عليين] (1).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾. أي: وما أعلمك يا محمد أي شيء عليون؟

(1) حديث صحيح. وهو جزء من حديث رواه أبو داود (281/2)، وأحمد (287/4 - 288)، والحاكم (37/1 - 40)، والطيالسي (753)، وقد مضى، وإسناده صحيح.

على جهة التفخيم والتعظيم لعليين في المنزلة العالية .

أخرج ابن ماجة والترمذي بسند صحيح عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : [إن أهل الدرجات العُلا ليراهم من تحتهُم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء ، وإنَّ أبا بكرٍ وعُمَرُ منهم وأنعمًا] (1) .

وقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ مَرْقُومٌ ﴾ . أي : الكتاب الذي فيه أسماء الأبرار كتاب مسطور .
وقوله تعالى : ﴿ يَشْهَدُهُ الْمُرُّونُ ﴾ . قال قتادة : (وهم الملائكة) . وقال العوفي ، عن ابن عباس : (يشهده من كلِّ سماء مقرَّبوها) . والمقصود : أن الملائكة يحضرون ذلك الكتاب المرقوم ويرونه . وقيل : يشهدون بما فيه يوم القيامة .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْآبِرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ ﴿ ٢٢ ﴾ عَلَى الْأَرْكَانِ يُنْظَرُونَ ﴾ . الأرائك : الأسيرة التي في الحجال ، وهي الكِلل . قيل : ينظرون إلى ما أعدَّ الله لهم من الكرامات . وقيل : ينظرون إلى وجهه جل جلاله .

وقوله تعالى : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ . قال ابن كثير : (أي : تعرِّف إذا نظرت إليهم في وجوههم نضرة النعيم ، أي : صفة الترافة والحشمة والسرور والدعة والرياسة ، مما هم فيه من النعيم العظيم) .

وقوله تعالى : ﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴾ . أي : يُسْقَوْنَ من خمر من الجنة . قال ابن عباس : (يعني بالرحيق : الخمر) . قلت : والرحيق من أسماء الخمر ، وهو من الخمر ما لا غش فيه ولا شيء يفسده (2) . والمختوم الذي له ختام ، فهو ممنوع من أن تمسه يد إلى أن يفك ختمه للأبرار .

وقوله : ﴿ خِتْمُهُمُ مِسْكٌ ﴾ . قال ابن مسعود : (أي : خلطه مسك) . وقال ابن عباس : (طيب الله لهم الخمر ، فكان آخر شيء جُعِلَ فيها مسكٌ ، خُتِمَ بِمِسْكِ) . وقال الحسن : ﴿ خِتْمُهُمُ مِسْكٌ ﴾ ، أي : عاقبته مسك) . وقال مجاهد : (طيبه مسك) .

والمقصود : أنَّ آخر طعمه ربح المسك ، فإذا رفع الشارب فاه من آخر شرابه وجد ريحه كريح المسك . وقيل : مختومة أوعيته بمسك ، ليجمع بذلك بين الرائحة العطرة والمذاق اللذيذ .

(1) حديث صحيح . أخرجه ابن ماجة (96) ، والترمذي (3658) . وانظر صحيح الترمذي (2892) .

(2) وفي الصحاح : (الرحيق : صَفْوَةُ الْخَمْرِ) ، وهو من رَحَقَ - حكاه الرازي .

وقوله: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾. أي: وفي ذلك فليرغب الراغبون. والتنافس: التنارع في الشيء والتشاجر عليه، فيريده كل واحد لنفسه، وينفس به على غيره: أي يضنّ به. وهو مأخوذ من الشيء النفيس، والذي تحرص عليه نفوس الناس وتطلبه وتشتته. قال القرطبي: (وقيل: الفاء⁽¹⁾ بمعنى إلى، أي: وإلى ذلك فليتبادر المتبادرون في العمل، نظيره: ﴿لِيُثِلَّ هَذَا فَيَعْمَلَ الْعَمَلُونَ﴾ [الصفات: 61]).

والمقصود: التنافس بالمسارعة إلى الخيرات والانتهاز عن السيئات، فهو التسابق المحمود إلى طاعة الله ونييل رضاه.

وقوله تعالى: ﴿وَمَزَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾. أي: ويمزج ذلك الرحيق من تسنيم، وهو شراب ينصبّ عليهم من علو، وهو أشرف شراب الجنة. فعن مجاهد: ﴿تَسْنِيمٍ﴾ قال: تسنيم، يعلو. وعن معمر، عن الكلبي قال: (تسنيم ينصب عليهم من فوقهم، وهو شراب المقربين).

والتسنيم مصدر سنّمه إذا رفعه. قال ابن جرير: (والتسنيم: التفعيل من قول القائل: سنمتهم العين تسنيمًا: إذا أجريتها عليهم من فوقهم، فكان معناه في هذا الموضع: ومزاجه من ماء ينزل عليهم من فوقهم فينحدر عليهم).

والخلاصة: ومزاج ذلك الرحيق من ﴿تَسْنِيمٍ﴾ وهو علم لعين بعينها، سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنّمه إذا رفعه، لأنها أرفع شراب في الجنة، أو لأنها تأتيهم من فوق وتنصب في أوانهم - ذكره النسفي.

وقوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾. عَيْنًا: حال، أو نصب على المدح. والمعنى: يسقون الرحيق من عين التسنيم يمزجون بها كؤوسهم. قال ابن عباس وابن مسعود: (عين في الجنة يشربها المقربون صرفاً، وتمزج لأصحاب اليمين).

29 - 36. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا أُنْقِلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ اُنْقَلَبُوا فِي كِهَيْنَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَأَلْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَىٰ

(1) أي في قوله: ﴿فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.

الْأَرَايِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُوبَ الْكَافِرُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ .

في هذه الآيات: نَعَتْ حال المجرمين في دار الدنيا وهم بالمؤمنين يسخرون ، وإذا مروا بهم يتغامزون ويلمزون ، ثم انعكاس هذه الحال ليصبح المؤمنون يوم القيامة هم من أعدائهم يضحكون ، على الأرائك ينظرون ، وقد نزل بالكفار سخط الله ونالوا نكال ما كانوا يفعلون .

فقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ . قال قتادة: (في الدنيا ، يقولون: والله إن هؤلاء لكذبة ، وما هم على شيء ، استهزاء بهم) .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾ . أي: وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم ، بقصد احتقارهم . وهو من الغمز: الإشارة بالجفون والحواجب ، فهم يعيرونهم بالإسلام ويعيرونهم به .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴾ . أي: وإذا رجع الكفار إلى أهلهم من مجالسهم رجعوا معجبين بما هم فيه متلذذين به ، يتفكهون بالطعن في المؤمنين ، والاستهزاء بهم . قال ابن عباس: (فاكهين: معجبين) . وقال ابن زيد: (انقلب ناعماً ، هذا في الدنيا ، ثم أعقب النار في الآخرة) . قال ابن كثير: (أي: وإذا انقلب ، أي: رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم ، انقلبوا إليها فاكهين ، أي: مهما طلبوا وجدوا ، ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم ، بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحتقرونها ويحسدونها) .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾ . أي: لكونهم على غير دينهم . قال النسفي: ﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ ﴾ وإذا رأى الكافرون المؤمنين ﴿ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾ أي خدع محمد هؤلاء فضلوا وتركوا اللذات لما يرجونه في الآخرة من الكرامات ، فقد تركوا الحقيقة بالخيال ، وهذا هو عين الضلال) .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴾ . أي: ولم يرسل هؤلاء الكفار على المسلمين من جهة الله موكلين بهم يحفظون عليهم ما يصدر من أعمالهم وأقوالهم ، وإنما كُلفوا بالإيمان بالله والعمل بطاعته ، ولم يجعلوا رقباء على غيرهم .

وفي التنزيل نحو ذلك :

قال تعالى: ﴿ قَالَ أَحْسِرْ فِيهَا وَلَا تَكْمُنْ ﴾ ﴿١١٠﴾ إِنَّكَ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١١﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرَاءً حَتَّىٰ أَسْوَكَمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ

تَضَحَّكُونَ ﴿١١١﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿١١٠﴾ [المؤمنون: 108 - 111].

وقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾. أي: ففي ذلك اليوم يضحك المؤمنون من الكفار حين يرونهم أذلاء مغلوبين ، كما ضحك الكفار منهم في الدنيا ، فقلب الله الصورة وحق المكر بأهله ، فعزّ المؤمنين وأخزى الكافرين .

وقوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ﴾. أي: ينظرون إلى وجه ربهم وهم على سررهم ، وإلى خزي وعذاب الكافرين . قال النسفي: ﴿عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ﴾ حال ، أي يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ما هم فيه من الهوان والصغار ، بعد العزة والاستكبار ، وهم على الأرائك آمنون). وقال ابن كثير: ﴿عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ﴾ ، أي: إلى الله - عزّ وجل - في مُقَابَلَةٍ من زَعَمَ فيهم أنهم ضالّون ، وليسوا بضالّين ، بل هم أولياء الله الْمُقَرَّبِينَ ، ينظرون إلى ربهم في دار كرامته).

وقوله تعالى: ﴿هَلْ تُؤْثَبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾. قيل معنى ﴿هَلْ﴾ التقرير . والتقدير: قد وقع الجزاء للكفار بما كان يقع منهم في الدنيا من الضحك من المؤمنين والاستهزاء بهم . وقيل: هو إضمار على القول . قال القرطبي: (والمعنى ، يقول بعض المؤمنين لبعض ﴿هَلْ تُؤْثَبَ الْكُفَّارُ﴾ أي أثيب وجُوزي . وهو من ثاب يثوب أي رجع ، فالثواب ما يرجع على العبد في مقابلة عمله ، ويستعمل في الخير والشر).

وخلاصة القول: هل جوزي الكفار على استهزائهم بالحق والمؤمنين؟! نعم ، قد جوزوا أتم الجزاء وأكملته ، وقوبلوا في الآخرة بنقيض مسلكهم ، وحصدوا نتاج زرعهم: البكاء بعد الضحك ، والندم بعد الفرح ، والحصار في عذاب النار ، بعد الانطلاق بالفساد والإفساد في دار الاختيار .

تم تفسير سورة المطففين

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منّه وكرمه

صبيحة يوم السبت 17 / ذي القعدة / 1426 هـ

الموافق 17 / كانون الأول / 2005 م

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - إذا وزنتم فأرجحوا. وليس منا من غشّ ، والمكر والخداع في النار.
- 2 - إن العَرَقَ ليلجُمُ الرجال يوم القيامة إلى أنصاف آذانهم ، وتفاوت الناس يومئذ في العَرَقِ بحسب أعمالهم.
- 3 - إذا أخطأ العبد خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء ، فإذا نزع واستغفر وتاب صُقِلَ قلبه ، وإن عاد زيدَ فيها حتى تعلو قلبه ، وذلك هو الران.
- 4 - كما حجب الله الكفار في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته.
- 5 - الرحيق من أسماء الخمر ، وهو من الخمر ما لا غش فيه ولا شيء يفسده.
- 6 - جزاء الكفار يوم الحساب: البكاء بعد الضحك ، والندم بعد الفرح ، والعذاب في النار ، بعد الانطلاق في الفساد والإفساد في دار الاختيار.

84

سُورَةُ الْإِنْشِقَاقِ

آياتها
٢٥ترتيبها
٨٤

وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (25) .

الأحاديث الواردة في ذكرها:

الحديث الأول: أخرج أحمد والترمذي والحاكم بإسناد حسن عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: [مَنْ سَرَّه أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾] (1).

الحديث الثاني: أخرج البخاري ومسلم عن أبي رافع قال: [صَلَّيْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ الْعَتَمَةَ فَقَرَأَ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾ فَسَجَدَ ، فَقُلْتُ: مَا هَذِهِ؟ قَالَ: سَجَدْتُ بِهَا خَلْفَ أَبِي الْقَاسِمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَلَا أَزَالُ أَسْجُدُ فِيهَا حَتَّى أَلْقَاهُ] (2).

الحديث الثالث: روى مسلم في صحيحه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن: [أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَرَأَ لَهُمْ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾ . فَسَجَدَ فِيهَا . فَلَمَّا انْصَرَفَ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: سَجَدَ فِيهَا] (3).

الحديث الرابع: أخرج مسلم وأصحاب السنن عن عطاء بن ميناء ، عن أبي هريرة

(1) حديث حسن . أخرجه أحمد (27/2 - 36 - 100) ، والترمذي (3333) ، والحاكم (515/2) .

(2) حديث صحيح . أخرجه البخاري (1078) - كتاب سجود القرآن ، وأخرجه مسلم (578) ح (11) ، وأخرجه أبو داود (1408) ، والنسائي (161/2) .

(3) حديث صحيح . أخرجه مسلم (578) - كتاب المساجد - ح (107) ، وأخرجه النسائي في «التفسير» (680) ، وفي «السنن» (961) .

قال: [سَجَدْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾. و﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾]⁽¹⁾. وفي رواية قال: [سجد رسول الله ﷺ: فِي: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾. و﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾].

موضوع السورة

انشقاق السماء ومد الأرض يوم الدين
وسعادة المؤمنين وشقاء الكافرين

- منهاج السورة -

- 1 - تشقق السماء ودكّ الجبال وبسط الأرض وإخراج الأموات من بطنها لمشهد الحشر.
- 2 - كل ما يلقي الإنسان في هذه الدنيا من العناء والجهد في سبيل الله يلقي ثوابه عند ربه الكريم.
- 3 - من أوتي كتاب أعماله بيمينه فقد ظفر بالفوز العظيم ، ومن أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يصلى نار الجحيم .
- 4 - قَسَمُ الله بالشفق ، والليل وما جمع ، والقمر إذا استوى واجتمع ، أن العباد مدعوون لتتابع في الأحوال: من الغنى والفقر والموت والبعث ثم العرض ، فما لأكثرهم لا يؤمنون .
- 5 - الكفار موعدهم إلى نار الجحيم ، والمؤمنون مستقرهم في جنات النعيم .

(1) حديث صحيح. أخرجه مسلم (578) ح (108 - 109) ، وأخرجه أبو داود (1407) ، والنسائي (162/2) ، والترمذي (573) ، وابن ماجه (1058) ، وأخرجه ابن حبان (2767).

ما في بطنها من الموتى ، وتخلت ممن على ظهرها من الأحياء). وقال النسفي: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾: ورمت ما في جوفها من الكنوز والموتى. ﴿وَتَخَلَّتْ﴾: وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلو).

وقوله تعالى: ﴿وَأَذَنْتَ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾. قال ابن جرير: (يقول: وسمعت الأرض في إلقائها ما في بطنها من الموتى إلى ظهرها أحياء ، أمر ربها وأطاعت ﴿وَحُقَّتْ﴾ يقول: وَحَقَّقَهَا الله للاستماع لأمره في ذلك ، والانتهاى إلى طاعته). وقال القاسمي: ﴿وَأَذَنْتَ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أي انقادت له في التخلية ، وحق لها ذلك ، وإعادة الآية للتنبيه على أن ذلك تحت سلطان الجلال الإلهي وقهره ومشئته. وجواب ﴿وَإِذَا﴾ محذوف للتهويل بالإبهام. أي: كان ما كان مما لا يفى به البيان. أو لاقى الإنسان كدحه ، كما قال).

وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾. هو خلاصة هذه الحياة. والمراد جنس الإنسان ، فيشمل المؤمن والكافر. والمعنى: إنك أيها الإنسان ساع إلى ربك سعيًا ، وعاملٌ عملاً ، وسوف تلاقي ربك بعملك.

قال ابن عباس: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ يقول: تعمل عملاً تلقى الله به خيراً كان أو شراً). فالضمير في ﴿فَمُلَاقِيهِ﴾ يعود على ﴿رَبِّكَ﴾ أي: فملاق ربك ، أو يعود على الكدح والعمل ، وكلا المعنيين متلازم.

أخرج الحاكم والطيالسي بسند حسن عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: [قال جبريل: يا محمد! عَشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ ، وَأَحْبَبُ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ ، وَاَعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَلَاقِيهِ]⁽¹⁾.

قلت: والآية تنبيه للعاقل أن يلتمس في كدحه طاعة الله ويجتنب ما يسخطه. كما قال قتادة: (إِنْ كَدَحَكَ - يا ابن آدم - لضعيف ، فمن استطاع أن يكون كدحُه في طاعة الله فليفعَلْ ، ولا قوة إلا بالله).

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْلَهِ بِيَمِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾.

أي: من أعطي كتاب أعماله بيمينه ، تعرض عليه سيئاته ، ثم يغفرها الله من غير أن يناقشه الحساب.

(1) حديث حسن. أخرجه الحاكم (325/4) ، والطيالسي (1755) ، والبيهقي في «الشعب» (10540) من حديث جابر بن عبد الله ، وإسناده حسن.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: [قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ» ، قالت: قلت: يا رسول الله ، جعلني الله فداءك ، أليس يقول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قال: ذاك العَرْضُ يُعْرَضُونَ ، ومن نوقش الحساب هلك] (1).

وفي رواية: [ليس ذاك بالحساب ، ولكن ذلك العرض ، مَنْ نوقش الحساب يوم القيامة عذَّب]. وفي لفظ: [ذاك العرض ، ولكن من نوقش المحاسبة هلك].

وأخرج الترمذي بسند صحيح عن أنس ، عن النبي ﷺ قال: [مَنْ حُوسِبَ عَذَّب] (2).

وأخرج أحمد والطبري بسند صحيح عن عائشة قالت: [سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته: «اللهم حاسبني حساباً يسيراً». فلما انصرف قلت: يا رسول الله! ما الحساب اليسير؟ قال: أَنْ يُنْظَرَ فِي كِتَابِهِ فَيُتَجَاوَزَ لَهُ عَنْهُ ، إنه من نوقش الحساب - يا عائشة - يومئذ هلك] (3).

وقوله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ إِلَىٰ آهْلِهِ مَسْرُورًا﴾. أي: وينصرف إلى أهله في الجنة ﴿مَسْرُورًا﴾ أي: مغتبطاً قير العين. قال قتادة: (إلى أهل أعد الله له في الجنة).

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾. أي بشماله من وراء ظهره. قال مجاهد: (يجعل يده من وراء ظهره). وقال ابن كثير: (تُثْنَى يَدُهُ إِلَى وَرَائِهِ وَيُعْطَى كِتَابُهُ بِهَا كَذَلِكَ).

وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾. قال الضحاك: (يدعو بالهلاك). قال ابن جرير: (يقول: فسوف ينادي بالهلاك ، وهو أن يقول: واثبورا! واويلاه! وهو من قولهم: دعا فلان لهفه: إذا قال: والهفاه).

وقوله تعالى: ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾. أي: يدخلها ويقاسي حرَّ نارها.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ كَانُمْ فِي آهْلِهِ مَسْرُورًا﴾. أي: إنه كان فرحاً باتباع هواه وركوب

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (4939) - كتاب التفسير ، عند هذه الآيات. وأخرجه مسلم

(2876) ح (80) - كتاب الجنة ونعيمها. باب إثبات الحساب.

(2) حسن صحيح. أخرجه الترمذي (3338) - كتاب التفسير. انظر صحيح سنن الترمذي (2658).

(3) حديث صحيح. أخرجه أحمد من حديث عباد بن عبد الله بن الزبير بإسناد صحيح على شرط مسلم. ورواه ابن جرير في «التفسير» (36734).

شهوته ، بطراً أشراً لعدم خطور الآخرة بباله .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴾ . أي : إنه ظن أنه لا يرجع إلى الله للحساب . قال قتادة : (﴿ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴾ قال : أن لن ينقلب . يقول : أن لن يبعث) . وقال أيضاً : (أن لا معاد له ولا رجعة) . وقال مجاهد : (أن لا يرجع إلينا) .

والحور : هو الرجوع : من حارَ يحور إذا رجع ، قال ابن عباس : (ما كنت أدري : ما يحور ؟ حتى سمعت أعرابية تدعو بنية لها : حوري ، أي ارجعي إلي) .

وفي صحيح مسلم ومسند أحمد من حديث عبد الله بن سرجس قال : [كان رسول الله ﷺ إذا سافر ، يتعوذ من وعاء السفر ، وكآبة المُنقلب ، والحور بعد الكون - وفي رواية : بعد الكور - ، ودعوة المظلوم ، وسوء المنظر في الأهل والمال] (1) . فهو يتعوذ من الحور بعد الكور : يعني من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة ، فأصل الحور الرجوع .

وقوله تعالى : ﴿ بَلَى إِنْ رَيْتُمْ كَانَ يَهْ بِصِيرًا ﴾ . أي : ليس الأمر كما يظن أن لا رجعة ولا حساب ، بل إنه سيحور إلى ربه ويرجع ، إن ربه عالم به قبل أن يخلقه ، وقضى له الرجوع إليه ، والوقوف للجزاء بين يديه ، وقد علم بما سبق له في أي الفريقين يستقر : في أهل السعادة أم أهل الشقاء .

قال النسفي : (﴿ بَلَى ﴾ إيجاب لما بعد النفي في ﴿ لَنْ يَحُورَ ﴾ أي بلى ليحورن ﴿ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ يَهْ ﴾ وبأعماله ﴿ بِصِيرًا ﴾ لا يخفى عليه ، فلا بد أن يرجعه ويجازيه عليها) .

16 - 25 . قوله تعالى : ﴿ فَلَا أَقْسَمُ بِالْشفقِ ﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿ ١٧ ﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا

أَسْفَقَ ﴿ ١٨ ﴾ لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴿ ١٩ ﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ ٢٠ ﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿ ٢١ ﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿ ٢٢ ﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿ ٢٣ ﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿ ٢٤ ﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿ ٢٥ ﴾ .

في هذه الآيات : قَسَمَ الله تعالى بالشفق والليل وما جمع ، والقمر إذا استوى واجتمع ، أن عباده مَدْعُوْنَ إلى أحوال ومنازل تتابع ، من الغنى والفقر والموت

(1) حديث صحيح . أخرجه مسلم (1343) - كتاب الحج ، وأخرجه أحمد (83/5) ، والترمذي (3435) ، والنسائي (272/8) ، وابن ماجة (3888) .

والبعث والعرض الرهيب ، فما لأكثرهم لا يؤمنون ولا يستعدون لذلك المشهد المهيب ، فالكفار موعدهم نار الجحيم ، والمؤمنون مستقرهم في جنات النعيم .

فقوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾ . أي : فأقسم ، و«لا» صلة . والشفق : الحمرة التي تكون عند مغيب الشمس حتى تأتي صلاة العشاء الآخرة . قال مالك : (الشَّفَقُ الحمرة التي في المغرب ، فإذا ذهبت الحمرة فقد خرجت من وقت المغرب ووجبت صلاة العشاء) . وقال الجوهري في الصحاح : (الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى قريب من العَتَمَة) . وأصل الكلمة من رقة الشيء ، يقال : شيء شَفِقَ أي لا تماسك له لرقته ، والمقصود : هنا رقة ضوء الشمس عند الغروب .

وفي صحيح الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً : [وقت صلاة المغرب إذا غابت الشمس ، ما لم يسقط الشَّفَقُ] ⁽¹⁾ .

وفيه أيضاً من حديث بريدة مرفوعاً : [وَصَلَّى الْمَغْرِبَ قَبْلَ أَنْ يَغِيبَ الشَّفَقُ] ⁽²⁾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ . أي : والليل وما جَمَعَ وَحَمَلَ ، فإنه جمع وضم ما كان منتشراً بالنهار في تصرفه ، وذلك أَنَّ الليل إذا أقبل أوى كل شيء إلى مأواه . قال ابن عباس : ﴿ وَمَا وَسَقَ ﴾ : وما جمع . وقال قتادة : (وما جمع من نجم ودابة) ، وكأنه - تعالى - أقسم بالضياء والظلام .

قال ابن جرير : (أقسم الله بالنهار مدبراً ، وبالليل مقبلاً) . وقال عكرمة : ﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ ، يقول : ما ساق من ظلمة ، إذا كان الليل ذهب كل شيء إلى مأواه) .

قلت : وأصل الوَسَق في لغة العرب : من وَسَقَ الشيء إذا جَمَعَهُ وحمله وضمّه . وأوسق البعير أي : حَمَلَهُ حمله . ومنه قيل للطعام الكثير المجتمع : وَسَقٌ ، وهو ستون صاعاً . قال الرازي : (ومنه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴾ فإذا جَلَلَّ الليلُ الجبال والأشجار والبحار والأرض فاجتمعت له فقد وَسَقَهَا) .

وقوله تعالى : ﴿ وَالْقَمَرَ إِذَا آتَسَقَ ﴾ . أي : والقمر إذا تَمَّ واجتمع واستوى وتكامل في منتصف الشهر القمري . قال ابن عباس : ﴿ وَالْقَمَرَ إِذَا آتَسَقَ ﴾ : إذا اجتمع واستوى) . وقال الحسن : (اتسق : أي امتلأ واجتمع) . وقال قتادة : (إذا استدار) . والاتساق افتعال

(1) حديث صحيح . أخرجه مسلم في الصحيح - حديث رقم - (612) - كتاب المساجد - ح (174) . في أثناء حديث طويل .

(2) حديث صحيح . أخرجه مسلم (613) - كتاب المساجد - من حديث سليمان بن بريدة عن أبيه .

من الوسق الذي هو الجمع ، يقال : وسقته فاتسق . ويقال : أمر فلان متسق : أي مجتمع على الصلاح منتظم . والمقصود في الآية : أنه يقسم تعالى بالقمر إذا تكامل نوره وأبدَرَ ، فجعله مقابلاً لليل وما وسق .

وقوله تعالى : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ . اللام واقعة في جواب القسم . والمعنى : لتركن أيها الناس حالاً بعد حال ، من الغنى والفقر ، والموت والحياة ، ودخول الجنة أو النار . قال ابن عباس : (الشدائد والأهوال : الموت ، ثم البعث ، ثم العَرْض) .

وأخرج البخاري في «كتاب التفسير» من صحيحه ، عند هذه الآية عن مجاهد قال : قال ابن عباس : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ : حالاً بعدَ حالٍ . قال هذا نبيكم ﷺ⁽¹⁾ .

والطبق واحد الأطباق ، وطبقات الناس مراتبهم . قال الرازي : (و«الطَبَقُ» الحال)⁽²⁾ .

ومن أقوال أئمة المفسرين في تفصيل ذلك :

1 - قال الحسن : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ : أمراً بعد أمر ، رخاء بعد شدة ، وشدة بعد رخاء ، وغنى بعد فقر ، وفقر بعد غنى ، وصحة بعد سُقم ، وسقماً بعد صحة) .

2 - وقال سعيد بن جبیر : (منزلة بعد منزلة ، قومٌ كانوا في الدنيا متضعين فارتفعوا في الآخرة ، وقوم كانوا في الدنيا مرتفعين فاتضعوا في الآخرة) .

3 - وقال ابن زيد : (ولتصيرُن من طبقِ الدنيا إلى طبقِ الآخرة) . قال القاسمي : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ أي حالاً بعد حال . والمعنيّ بالحال الأولى البعث للجزاء على الأعمال . وبالثانية الحياة الأولى . وفيه تنبيه على مطابقة كل واحدة لأختها . فإن الحياة الثانية تماثل الأولى وتطابقها من حيث الحسن والإدراك والألم واللذة ، وإن خفي اكتناهاها . وجوز أن يكون ﴿طَبَقًا﴾ جمع طبقة وهي المرتبة . أي لتركن مراتب شديدة مجاوزة عن مراتب وطبقات ، وأطواراً مرتبة بالموت وما بعده من مواطن البعث والنشور . قال الشهاب : الطبق معناه ما طابق غيره مطلقاً في الأصل ، ثم إنه خص بما ذكر ، وهو الحال المطابقة أو مراتب الشدة المتعاقبة) .

وقوله تعالى : ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿١٩﴾ .

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري (4940) - كتاب التفسير ، سورة الانشقاق ، آية (19) .

(2) والعرب تقول لمن وقع في أمر شديد : وقع في بناتِ طبقٍ ، وإحدى بناتِ طبقٍ ، ومنه قيل للدهية الشديدة : أم طبق ، وإحدى بناتِ طبقٍ : وأصلها من الحَيَات ، إذ يقال للحية أم طبق لتحويتها . - حكاه القرطبي .

أي: فمالهم لا يؤمنون بالله ورسوله واليوم الآخر وهذا الوحي مع وجود موجبات الإيمان! وما يمنعهم من السجود إذا تليت عليهم آيات الرحمان؟! قال ابن زيد: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ قال: بهذا الحديث ، وبهذا الأمر). وهذا استفهام إنكار. وقيل: بل هو تعجب ، والمعنى: اعجبوا منهم في تركهم الإيمان مع هذه الحجج والآيات ، وتركهم السجود إذا تليت عليهم آيات القرآن إعظاماً وإكراماً واحتراماً؟!

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: [سجدنا مع النبي ﷺ في ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ و﴿اقْرَأْ بِأَسْمَاءِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾] (1).

وقوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ﴾. قال ابن كثير: (أي: من سَجَّيْتَهُم التَّكْذِيب والعناد والمخالفة للحق).

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾. قال مجاهد وقتادة: (يكتُمون في صدورهم). وهو مأخوذ من الوعاء الذي يَجْمَع ما فيه. والعرب تقول: أوعيت الزاد والمتاع: إذا جعلته في الوعاء. والمقصود: والله أعلم بما يضمرونه في صدورهم من المكر والتكذيب.

وقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. أي: فبشر يا محمد هؤلاء المكذبين بعذاب موجه أعدّه الله لهم. وقد جعله بشارة تهكّماً بهم.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾. قال ابن عباس: (غير منقوص). وقال مجاهد: (غير محسوب). والاستثناء هنا منقطع ، والتقدير: لكن الذين آمنوا حق الإيمان بقلوبهم ، وصدّقوا ذلك بأقوالهم وأعمالهم ، لهم أجر عند الله غير منقوص ولا مقطوع (2) ، كما قال تعالى: ﴿عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُورٍ﴾ [هود: 108].

تم تفسير سورة الانشقاق

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

صبيحة الأحد 18 / ذي القعدة / 1426 هـ

الموافق 18 / كانون الأول / 2005 م

(1) حديث صحيح. أخرجه مسلم (578) ح (108 - 109). وأخرجه أبو داود (1407) ، وقد مضى.

(2) والعرب تقول: مَنَنْتُ الحبل: إذا قطعته. وقيل المعنى: لا يُمنُّ عليهم به ، والأول أرجح ، لأن الله تعالى له المنة على أهل الجنة في ما آتاهم ورزقهم ، فقد دخلوها بِمَنِّهِ ورحمته وكرمه. والله تعالى أعلم.

دروس ونتائج وأحكام

- 1- من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾.
- 2- ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك ، فمن نوقش الحساب عُدَّ.
- 3- أصل الحَوْر الرجوع . من حار يحور إذا رجع .
- 4- ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ : أي حالاً بعد حال .
- 5- سجد النبي في ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ ، وسجد معه أصحابه .



85

سُورَةُ الْبُرُوجِ

آياتها
٢٢ترتيبها
٨٥

وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (22) .

وثبت في السنة الصحيحة أن رسول الله ﷺ كان يجعل الركعتين الأخيرتين من صلاة الظهر أقصر من الأوليين ، و[كان - أحياناً - يقرأ بـ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ وبـ ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ ونحوهما من السور]⁽¹⁾ .

وأخرج النسائي بسند صحيح عن جابر بن سمرة: [أَنَّ النبي ﷺ ، كان يقرأ في الظهر والعصر ، بـ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ ، ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ ونحوهما]⁽²⁾ .

موضوع السورة

القسم بالسماء ذات البروج وأيام الجمعة وعرفة والقيامة أن العذاب واقع بالمجرمين ، وأن المؤمنين أهل البر والعمل الصالح مُسْتَقَرُّهُمْ في جنات النعيم .

- منهج السورة -

1 - قسم الله تعالى بالسماء ويوم القيامة ويوم الجمعة ويوم عرفة ، أن أصحاب الأخدود الذين فتنوا المؤمنين سيلقون عذابه وسخطه .

(1) انظر صحيح مسلم - كتاب المساجد ، ومسند الطيالسي . وتفصيل ذلك في «صفة صلاة النبي» - الألباني - ما كان يقرؤه ﷺ في الصلوات - ص (94 - 95) .

(2) حسن صحيح . أخرجه النسائي في السنن «صحيح النسائي» - 936 كتاب الافتتاح ، باب القراءة في الركعتين الأوليين من صلاة العصر . وانظر صحيح سنن الترمذي (252) .

- 2 - البشري' للمؤمنين أهل الصالحات والقربات بجنات النعيم ، والوعيد الشديد على الطغاة أمثال فرعون بنار الجحيم .
- 3 - هذا القرآن مجيد عزيز ليس بالسحر ولا بالشعر كما يقولون ، وهو مكتوب في اللوح المحفوظ لو كانوا يعلمون .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 10 . قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ الَّذِينَ فَنَوُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْحَرِيقِ ۝١٠﴾ .

في هذه الآيات : يقسم الله تعالى بالسماء ذات النجوم العظام ، وباليوم الموعود يوم القيامة الذي فيه يكون الثواب أو الانتقام ، وبالشاهد يوم الجمعة أعظم الأيام ، وبالمشهود يوم عرفة يوم حج أهل الإسلام ، أنه قد لعن الطغاة أصحاب الأخدود وأمثالهم ، الذين قهروا المؤمنين وفتنهم عن دينهم .

فقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ . أي : النجوم العظام . قال ابن عباس : (البروج : النجوم) . وفي التنزيل نحو ذلك ، قال تعالى: ﴿سُبَّارِكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان : 61] .

وقوله تعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ . قسم آخر من الله تبارك وتعالى باليوم الموعود - وهو القيامة - ، وبالشاهد - وهو يوم الجمعة - ، وبالمشهود - وهو يوم عرفة .

فقد أخرج الترمذي بسند حسن - عند تفسير هذه الآيات - عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : [اليوم الموعود يوم القيامة ، واليوم المشهود يوم عرفة ، والشاهد يوم

الجمعة. قال: وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه ، فيه ساعة لا يوافقها عبدٌ مؤمنٌ يدعو الله بخير إلا استجاب الله له ، ولا يستعبد من شيء إلا أعاده الله منه⁽¹⁾.

وله شاهد عند الطبراني بسند حسن لغيره عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: [اليوم الموعود يوم القيامة ، وإن الشاهد يوم الجمعة ، وإن المشهود يوم عرفة ، ويوم الجمعة ذخره الله لنا ، وصلاة الوسطى صلاة العصر]⁽²⁾.

قلت: فاليوم الموعود هو اليوم الذي وعد به الخلائق للحشر والحساب ، والشاهد يوم الجمعة وفيه تقوم الساعة ويشهد محمد ﷺ وأمه على الأمم ، واليوم المشهود يوم عرفة تشهده الملائكة ، والله تعالى أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴾. هذا جواب القسم. أي لعن الطغاة أصحاب الأخدود.

قال ابن عباس: (كل شيء في القرآن ﴿ قُلْ ﴾ فهو لعن). والأخدود: الحفير في الأرض. قال البخاري: (قال مجاهد: ﴿ الْأَخْدُودِ ﴾: شق في الأرض).

والآية خبرٌ من الله تعالى عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين فقهرهم ليرجعوا عن دينهم ، فلما أبوا ، عمدوا إلى تأجيج النار في أحاديث حفرها فدفنوها فيها وهم ينظرون إليهم.

وهو قوله تعالى: ﴿ النَّارِ ذَاتِ الْوُوقُودِ ۖ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۖ ﴾.

النار: بدل اشتغال من الخدود.

والوقود: الحطب الذي توقد به. وقوله: ﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴾. أي: لعنوا حين أهدقوا بالنار قاعدين على الكراسي عند الأخدود ﴿ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ من عرض المؤمنين على النار ليرجعوا عن دينهم ﴿ شُهُودٌ ﴾ أي حضور ، وهم كذلك يشهدون على أنفسهم بما فعلوا يوم القيامة ، ثم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم. وعن قتادة: ﴿ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾ يعني بذلك الكفار. والمراد بهذا التأويل: حضور ، أي

(1) حديث حسن. أخرجه الترمذي (3339) ، كتاب التفسير. انظر صحيح سنن الترمذي (2659).

(2) حسن لغيره. أخرجه الطبراني (3458). وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ج (4) ص (5) عقب الحديث (1502). وانظر صحيح الجامع الصغير (8056) - (8057).

كانوا يعرضون الكفر على المؤمنين ، فمن أبى ألقوه في النار وهم شهود لذلك التعذيب . فبالتأويل الأول ﴿ عَلَى ﴾ بمعنى «مع» أي : وهم : مع ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وبالتأويل الثاني : وهم على ما فعلوه بالمؤمنين في الدنيا شهود على أنفسهم يوم القيامة . وكلا التأويلين صحيح .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ .

أي : وما وجد هؤلاء الكفار - الذين فتنوا المؤمنين - على المؤمنين والمؤمنات إلا أنهم أخلصوا الإيمان بالله ﴿ الْعَزِيزِ ﴾ أي الغالب الشديد في انتقامه من أعدائه ﴿ الْحَمِيدِ ﴾ . أي : المحمود بإحسانه إلى خلقه ، والمحمود في كل حال .

وفي السنة الصحيحة حديثان في آفاق هذه الآيات :

الحديث الأول : روى مسلم في الصحيح ، والنسائي في السنن وال تفسير ، وأحمد في المسند ، عن ضُهَيْب ، أن رسول الله ﷺ قال : [كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ ، فَلَمَّا كَبُرَ قَالَ لِلْمَلِكِ : إِنِّي قَدْ كَبُرْتُ فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلَمُهُ السَّحْرَ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ ، إِذَا سَلَكَ ، رَاهِبٌ ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ ، فَأَعْجَبَهُ ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرًّا بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ ، فَقَالَ : إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ : حَبَسَنِي أَهْلِي ، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ : حَبَسَنِي السَّاحِرُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَائَةِ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ ، فَقَالَ : الْيَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحِرَ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ : اللَّهُمَّ ! إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا ، وَمَضَى النَّاسُ ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ : أَيُّ بُنَيَّ ! أَنْتَ ، الْيَوْمَ ، أَفْضَلُ مِنِّي ، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى ، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى ، فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلْ عَلَيَّ ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ ، فَأَتَاهُ بِهِدَايَا كَثِيرَةٍ ، فَقَالَ : مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا ، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ ، فَأَمَّنَ بِاللَّهِ ، فَشَفَاهُ اللَّهُ ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ ؟ قَالَ : رَبِّي ، قَالَ : أَوْلَكَ رَبٌّ غَيْرِي ؟ قَالَ : رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ ، فَجِئَ بِالْغُلَامِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَيُّ بُنَيَّ ! قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا ، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ ، فَجِئَ بِالرَّاهِبِ ،

فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، فَأَبَى فِدْعَا بِالْمِثْشَارِ ، فَوَضَعَ الْمِثْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقْقَاهُ ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى ، فَوَضَعَ الْمِثْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقْقَاهُ ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، فَأَبَى ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا وَكَذَا ، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ ! اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ ، فَارْجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا ، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرُقُورٍ⁽¹⁾ ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ ، فَذَهَبُوا بِهِ ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ ! اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ ، فَاثْكَفَاتَ بِهِمُ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا ، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟ فَقَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ ، قَالَ: وَمَا هُوَ ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جَذَعٍ ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ، ثُمَّ وَضِعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ ، رَبِّ الْغُلَامِ ، ثُمَّ ارْمِنِي ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي ، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، وَصَلَبَهُ عَلَى جَذَعٍ ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ ، رَبِّ الْغُلَامِ ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَضَعَ السَّهْمَ فِي صُدْغِهِ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ ، فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ ؟ قَدْ ، وَاللَّهِ ! نَزَلَ بِكَ حَذْرُكَ ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ بِأَفْوَاهِ السَّكَّ⁽²⁾ فَخُدَّتْ وَأَصْرَمَ النَّيْرَانُ ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَخْمُوهُ فِيهَا ، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا ، فَتَقَاعَسَتْ⁽³⁾ أَنْ تَقَعَ فِيهَا ، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهُ اضْبِرِّي ، فَإِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ⁽⁴⁾.

الحديث الثاني: أخرج الترمذي في السنن بإسناد على شرط البخاري ومسلم عن

- (1) القرقور: السفينة الصغيرة.
- (2) أفواه السكك: أي أبواب الطرق.
- (3) أي توقفت ولزمت موضعها وكرهت الدخول في النار.
- (4) حديث صحيح. أخرجه مسلم في الصحيح (3005) كتاب الزهد. وأخرجه النسائي في «التفسير» (681)، وفي «السنن» (614)، وأخرجه أحمد في المسند (17/6).

صهيب قال: [كان رسول الله ﷺ، إذا صلى العصر همس، - والهمس في قول بعضهم: تحرك شفثيه كأنه يتكلم - ف قيل له: إنك يا رسول الله إذا صليت العصر همست. قال: «إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ أُعْجِبَ بِأَمَّتِهِ فَقَالَ: مَنْ يَقُومُ لَهْؤَلاءِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ خَيَّرَهُمْ بَيْنَ أَنْ أَنْتَقِمَ مِنْهُمْ وَبَيْنَ أَنْ أَسْلَطَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ؟ فَاخْتَارُوا النَّقْمَةَ، فَسَلَّطَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ، فَمَاتَ مِنْهُمْ فِي يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفًا».

قال: وكانَ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْآخَرَ.

عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: «كَانَ مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ، وَكَانَ لَدَيْكَ الْمَلِكُ كَاهِنٌ يَكْهَنُ لَهُ، فَقَالَ الْكَاهِنُ: انظُرُوا إِلَيَّ غُلَامًا فَهَمًّا أَوْ قَالَ: فَطَنًا لَقْنَا فَأَعْلَمَهُ عِلْمِي هَذَا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ أَمُوتَ فَيَنْقُطَعَ مِنْكُمْ هَذَا الْعِلْمُ وَلَا يَكُونَ فِيكُمْ مَنْ يَعْلَمُهُ. قَالَ: فَانظُرُوا لَهُ عَلَى مَا وَصَفَ فَأَمَرُوهُ أَنْ يَحْضُرَ ذَلِكَ الْكَاهِنَ وَأَنْ يَخْتَلِفَ إِلَيْهِ. فَجَعَلَ يَخْتَلِفُ إِلَيْهِ وَكَانَ عَلَى طَرِيقِ الْغُلَامِ رَاهِبٌ فِي صَوْمَعَةٍ... فَذَكَرَ الْقِصَّةَ السَّابِقَةَ بِتَمَامِهَا إِلَى أَنْ قَالَ: فَوَضَعَ الْغُلَامُ يَدَهُ عَلَى صُدْغِهِ حِينَ رُمِيَ ثُمَّ مَاتَ، فَقَالَ أَنَاسٌ: لَقَدْ عَلِمَ هَذَا الْغُلَامُ عِلْمًا مَا عَلِمَهُ أَحَدٌ فَإِنَّا نُؤْمِنُ بِرَبِّ هَذَا الْغُلَامِ، قَالَ: فَقِيلَ لِلْمَلِكِ أَجَزِعْتَ أَنْ خَالَفَكَ ثَلَاثَةً فَبُذِلَ الْعَالَمُ كُلُّهُمْ قَدْ خَالَفُوكَ، قَالَ: فَخَذَّ أَخْدُودًا ثُمَّ أَلْقَى فِيهَا الْحَطَبَ وَالنَّارَ ثُمَّ جَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ: مَنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ تَرَكْنَاهُ وَمَنْ لَمْ يَرْجَعْ أَلْقَيْنَاهُ فِي هَذِهِ النَّارِ، فَجَعَلَ يُلْقِيهِمْ فِي تِلْكَ الْأَخْدُودِ. قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿١﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ﴾ قَالَ: فَأَمَّا الْغُلَامُ فَإِنَّهُ دُفِنَ، قَالَ: فَيُذَكَّرُ أَنَّهُ أُخْرِجَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَإِضْبَعُهُ عَلَى صُدْغِهِ كَمَا وَضَعَهَا حِينَ قُتِلَ» [١].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

أي: وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله الذي له ملك السماوات والأرض، فكل من فيهما تحقق عليه عبادته والخشوع له. قال النسفي: (لأن ما نقموا منهم هو الحق الذي لا ينقمه إلا مبطل، وأن الناقمين أهل لانتقام الله منهم بعذاب عظيم ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ وَعِيدٌ لَهُمْ، يعني أنه علم ما فعلوه وهو مجازيهم عليه). وقيل: وهو وعيدٌ خير - كذلك - لمن عذبه على دينه من أولئك المؤمنين.

(1) حديث صحيح. أخرجه الترمذي في السنن (3340)، وإسناده على شرط البخاري ومسلم. وانظر صحيح سنن الترمذي (2660) - (2661)، كتاب التفسير، سورة البروج.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾. قال ابن عباس: (حَرَقُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ). وقال مجاهد: (عَذَّبُوا).

وقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾. أي: ثم لم يتوبوا من كفرهم ، ويقلَعُوا عن فعلهم بالمؤمنين والمؤمنات ما فعلوا ، ويندموا على ما أسلفوا. قال الحسن البصري: (انظروا إلى هذا الكرم والجود ، قتلوا أولياءه وهو يدعوه إلى التوبة والمغفرة).

وقوله: ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَكُمَّ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾. أي لهم عذابان منوعان: عذاب على كفرهم ، وعذاب على فتنتهم المؤمنين وحرقتهم ، فإن الجزء من جنس العمل ، فيضاعف لهم العذاب.

وقيل هما واحد ، أو من باب عطف الخاص على العام للمبالغة فيه .

قال القاسمي: (والأظهر أنهما واحد ، وإنه من عطف التفسير والتوضيح).

قلت: والأول أرجح ، فإن تضاعف العذاب على أئمة الكفر والإجرام ثابت في القرآن والسنة .

ففي التنزيل:

1 - قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ ^(١٩) **أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ** [هود: 19 - 20].

2 - وقال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلِيسَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ [النحل: 25].

3 - وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَذَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِهِمْ لِيَأْخُذَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَتَأْتِهِمْ عَذَابٌ أَصْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: 38].

أخرج الإمام أحمد في المسند ، والطبراني في «المعجم الكبير» بإسناد صحيح من حديث خالد بن الوليد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة أشدهم عذاباً للناس في الدنيا]⁽¹⁾.

(1) حديث صحيح. أخرجه أحمد في المسند (4/90) ، والحميدي (562) ، والطبراني في «المعجم الكبير» (2/190/1) ، وإسناده صحيح. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة - حديث رقم (1442) ، وصحيح الجامع الصغير (1009).

وفي رواية: [أشدُّ الناس عذاباً للناس في الدنيا ، أشدُّ الناس عذاباً عند الله يوم القيامة].

11 - 22. قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُمْ هُوَ يُبَدِّلُ وَيُبَدِّلُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قَرِآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

في هذه الآيات: البشرى للمؤمنين أهل الصالحات والقربات بجنات النعيم ، والتهديد والوعيد على الطغاة أمثال فرعون وثمود بصلي الجحيم ، وهذا القرآن مجيد عزيز ليس بالسحر أو الشعر كما يقولون ، مكتوب في اللوح المحفوظ لو كانوا يعلمون .

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ .

تسلية للمؤمنين الصابرين ، على جرائم الطغاة الماكرين ، فإن لهم البشرى والإقامة في جنات النعيم ، في حين يقيم الكافرون في عذاب الحريق ولهيب الجحيم .

وقوله: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ . قال القرطبي: (أي العظيم ، الذي لا فوز يشبهه) .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ . أي: إن أخذه تعالى للجبابرة والطغاة والظلمة أليم شديد ، كما قال جلت عظمتة: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102] .

وفي صحيح البخاري عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [إِنَّ اللَّهَ لِيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ . قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾] (1) .

وقال المبرد: (﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ جواب القسم) . والتقدير عنده: والسماء ذات

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري في كتاب التفسير (4686) ، سورة هود ، آية (102) .

البروج إن بطش ربك ، وما بينهما مُعترض مؤكّد للقسم ، والله تعالى أعلم .
 وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَبُئِيُّ ﴾ . قال الضحاك: (يعني الخلق). وقال ابن زيد:
 (بدئ الخلق حين خلقه ، ويعيده يوم القيامة). فهو دلالة على كمال قدرته وقوته جلّت
 عظمته ، وفيه تهديد ووعد للطغاة المجرمين ، على ما يفعلون بالمؤمنين ويحاربون
 الدين .

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴾ . قال البخاري: (وقال ابن عباس: ﴿ الْوَدُودُ ﴾:
 الحبيب). والمعنى: إنه تعالى بالغ المغفرة لذنوب عباده المؤمنين لا يفضحهم بها ،
 بالغ المحبة للمطيعين من أوليائه . وقال ابن زيد: (﴿ الْوَدُودُ ﴾: الرحيم).
 قلت: والودود: فعولٌ بمعنى مفعول ، من الودّ ، فالله تعالى مودود ، أي:
 محبوب في قلوب أوليائه ، أو هو فعولٌ بمعنى: فاعل ، أي: أن الله تعالى يودّ عباده
 الصالحين ، بمعنى: يرضى عنهم .

وفي التنزيل نحو ذلك :

1 - قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبِّ رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود: 90].

2 - وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾
 [مريم: 96].

وفي جامع الترمذي بسند صحيح عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال: [إِذَا أَحَبَّ
 اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلُ: إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ فَلَانًا فَأَحْبَبَهُ . قال: فينادي في السماء ، ثم تُنَزَّلُ لَهُ
 الْمَحَبَّةُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ ، فذلك قولُ الله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ
 لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾] الحديث (1).

وقوله تعالى: ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾ . قال ابن عباس: (يقول: الكريم).
 والمقصود: أي صاحب العرش الكريم ، أو صاحب العرش المُعَظَّم العالي على
 جميع الخلائق .

فالمجيد فيه قراءتان: الرفع على أنه صفة للرب سبحانه . وهذه قراءة أهل مكة
 والمدينة والبصرة . والجرُّ على أنه صفة للعرش . وهذه قراءة أهل الكوفة .
 قلت: وهما قراءتان مشهورتان في الأمصار ، وإن كنت أفضّل القراءة بالرفع

(1) حديث صحيح . أخرجه الترمذي (3161) ، كتاب التفسير . سورة مريم ، آية (96).

لانسجامها أكثر مع السياق ، فالله هو الغفور الودود المجيد الفعال لما يريد ، فالآيات في موضع الثناء والمدح لله تعالى .

والمجيد: هو الواسع الكرم ، وقيل: هو الشريف . قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود: 73].

وفي سنن النسائي بإسناد صحيح عن أبي ليلي قال: [قال لي كعب بن عُجرة: ألا أهدي لك هدية ؟ قلنا: يا رسول الله ، قد عرفنا كيف السلام عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ قال: قولوا: اللهم صلّ على محمد ، وآل محمد ، كما صليت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد . اللهم بارك على محمد وآل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد] ⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿ فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴾ . أي: لا يمتنع عليه شيء يريد ، فمهما أراد فعله ، لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل ، لكمال جبروته وعلمه وحكمته .

قال الزمخشري: ﴿ فَعَالَ ﴾ خبر ابتداء محذوف . وإنما قيل: «فعال» لأن ما يريد ويفعل في غاية الكثرة .

وقال الفراء: (هو رفع على التكرير والاستئناف ، لأنه نكرة محضة) .

وعن أبي السّفر - سعيد بن محمد الهمداني - قال: (دخل ناس من أصحاب النبي ﷺ على أبي بكر رضي الله عنه يعودونه فقالوا: ألا نأتيك بطبيب ؟ قال: قد رأي ! قالوا: فما قال لك ؟ قال: قال: إني فعّال لما أريد) .

وفي التنزيل نحو ذلك :

1 - قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة: 1] .

2 - وقال تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: 253] .

وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد ، عن النبي ﷺ قال: [إذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء] ⁽²⁾ .

وقوله تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ۖ فِرْعَوْنٌ وَثَمُودَ ﴾ . استفهام بمعنى التقرير . أي:

(1) حديث صحيح . انظر صحيح سنن النسائي (1221 - 1222 - 1223) ص (267 - 277) ، وأصل الحديث في الصحيحين ، وله روايات كثيرة مشهورة .

(2) حديث صحيح . أخرجه مسلم في الصحيح (1438) ح (133) ، كتاب النكاح ، في أثناء حديث .

قد أتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائهم ، التي تجمع لهم الأجناد لقتالهم ، وكيف أحل الله بأسه ونقمته بهم . وفيه تسلية للنبي ﷺ عما يلقيه من تكذيب قومه وأذاهم .

وقوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ . أي: بل هؤلاء المشركون من العرب في تكذيب شديد لك - يا محمد - ، ولما جئت به من الوحي ، ولم يعتبروا بما حلّ بالأمم المكذبة قبلهم من الهلاك والمصائب والدمار .

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ . أي: والله تعالى قادر عليهم ، قاهرٌ لهم ، لا يفوتونه ولا يعجزونه ، قد أحاط بأعمالهم وآجالهم ومصائرهم .

وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ . قال قتادة: (يقول: قرآن كريم) .

أي: بل هو قرآن عظيم متناه في الشرف والكرم والبركة ، وليس كما يقولون إنه شعر وسحر وكهانة .

قوله تعالى: ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ . قال مجاهد: (في أم الكتاب) . قال قتادة: (عند الله) .

قال ابن كثير: (أي: هو في الملاء الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل) .

وقال القرطبي: (أي مكتوب في لوح . وهو محفوظ عند الله تعالى من وصول الشياطين إليه . وقيل: هو أم الكتاب ، ومنه انتسخ القرآن والكتب) .

تم تفسير سورة البروج

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

عصر الاثنين 19 - ذي القعدة - 1426 هـ

الموافق 19 / كانون الأول / 2005 م

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - اليوم الموعود يوم القيامة ، واليوم المشهود يوم عرفة ، والشاهد يوم الجمعة .
- 2 - الابتلاء حق ، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم ، ومن يرد الله به خيراً يصب منه .
- 3 - أشد الناس عذاباً للناس في الدنيا ، أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة .
- 4 - إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته .
- 5 - إذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء .



86



وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (17) .

أخرج الترمذي والنسائي بإسناد صحيح عن جابر بن سمرة: [أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الظَّهْرِ وَالْعَصْرِ ، بـ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ و﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ ونحوهما] ⁽¹⁾ .

موضوع السورة

القسم بالسماء والطارق أن كل نفس عليها حفظة من الملائكة الأبرار
وفي القيامة تبلى السرائر ويتميز الأخيار من الأشرار

- منهاج السورة -

- ١ - قَسَمُ اللَّهِ تَعَالَى بِالسَّمَاءِ وَنَجْمِهَا وَكَوَاكِبِهَا أَنَّ كُلَّ نَفْسٍ عَلَيْهَا حَفْظَةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ .
- 2 - تَنْبِيهُ اللَّهِ تَعَالَى الْإِنْسَانَ لِلنَّظَرِ فِي تَرْكِيبِ خَلْقِهِ لِيُؤْمِنَ بِرَجُوعِهِ إِلَى رَبِّهِ .
- 3 - فِي الْقِيَامَةِ تَبْلَى السَّرَائِرُ ، وَلَا مَنَقَذَ يَدْفَعُ عَنِ الْإِنْسَانِ وَلَا نَاصِرَ .
- 4 - قَسَمُ اللَّهِ تَعَالَى بِالسَّمَاءِ ذَاتِ النِّعَمِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُهُ الَّذِي يَفْصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وَمَا هُوَ بِالْكَلامِ الْهَازِلِ .
- 5 - مَكْرُ الْكَفَّارِ بِدِينِ اللَّهِ وَأَوْلِيَائِهِ سِيرَجٌ عَلَيْهِمُ الْبُوبَالُ وَالنِّكَالُ .

(1) حسن صحيح . انظر صحيح سنن الترمذي (252) ، وصحيح سنن النسائي (936) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 10. قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۚ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۚ إِنَّ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۚ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۚ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۚ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۚ إِنَّهُمْ عَلَى رَجْعِهِ لِقَادِرٌ ۚ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۚ فَمَا لَهُمْ قُوَّةٌ وَلَا نَاصِرٌ ۚ﴾.

في هذه الآيات: يُقسم الله سبحانه بالسماء وما جعل فيها من النجوم والكواكب النيرة المضيئة ، وتعظيم القسم بالسماء متعلق بعظم قدر السماء في أعين الخلق لكونها معدن رزقهم ، ومسكن الملائكة ، وفيها خلق الجنة ، فأقسم بها وبالطارق - والمراد جنس النجوم - التي يرجم بها لعظم منفعتها ، ثم فسره بالنجم الثاقب أي المضيء ، أن كل نفس عليها حفظة من الملائكة ، فحري بالإنسان أن ينظر إلى تركيب خلقه ، ليؤمن برجوعه إلى ربه ، يوم تبلى السرائر ، فماله من منقذ يدفع عنه يومئذ ولا ناصر .

فقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقَ ۚ﴾. قال البخاري: (هو النجم ، وما أتاك ليلاً فهو طارق). وقال قتادة: (إنما سُمِّيَ النجم طارقاً لأنه إنما يُرى بالليل ويختفي بالنهار).

ويؤيد ذلك ما في الصحيحين والمسند من حديث جابر بن عبد الله قال: [كان النبي ﷺ يكره أن يأتي الرجل أهله طروقاً]⁽¹⁾. أي: يأتيهم فجأة بالليل .

وفي رواية: [إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرق أهله ليلاً].

ورواه الحاكم من حديث ابن رواحة ، والطبراني من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال: [لا تطرقوا النساء ليلاً]⁽²⁾.

وفي المسند ومعجم الطبراني بسند جيد من حديث أبي التياح في تعوذ النبي ﷺ

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (5243) - (5244) ، كتاب النكاح ، وأخرجه مسلم (1528) ، وأحمد (3/ 299) ، وأبو داود (2776) ، وابن حبان (4182) .

(2) حديث صحيح. أخرجه الحاكم (4/ 293) ، والطبراني . وانظر صحيح الجامع الصغير (7239) .

الذي علّمه جبريل عليه السلام: [وَمِنْ شَرِّ فِتْنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ ، إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَانُ !] (1).

قال الشهاب: (الطارق من «الطَرَق» ، وأصل معناه الضرب بوقع وشدة يسمع لها صوت. ومنه المطرقة والطريق ، لأن السابلة تطرقها. ثم صار في عرف اللغة اسماً لسالك الطريق ، لتصور أنه يطرقها بقدمه. واشتهر فيه حتى صار حقيقة. وتسمية الآتي ليلاً «طارقاً» لأنه في الأكثر يجد الأبواب مغلقة فيطرقها).

وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾. تأكيد لأهمية المُقسَم به ، لِيُنْتَبَهَ بعد ذلك إلى ما يقع في جواب هذا القسم.

وقوله تعالى: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾. تفسير للمبهم بعد تفخيم شأنه ، وتنبيه على الاعتبار والاستدلال به. والمراد بالنجم جنس النجوم. وكذلك الطارق والثاقب اسم جنس أريد به العموم. قال البخاري: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾: (المضيء).

وقال مجاهد: (الثاقب: المتوهج). وقال السدي: (يثقب الشياطين إذا أرسل عليها). وقال عكرمة: (هو مضيء مُحْرِقٌ للشيطان). ومنه قوله تعالى: ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصفات: 10].

قيل: وسمي بالثاقب لأنه يخترق بشدة ظلمة الليل. قال النسفي: (كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه).

وقوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾. هو جواب القسم. أي ما كل نفس إلا عليها حافظ ، وهم الحفظة من الملائكة الذين يحفظون على كل نفس قولها وفعلها ، ويحصون ما تكسب من خير وشر ، ويحرسونها من المصائب والآفات بإذن الله.

قال قتادة: (حفظة يحفظون عليك رزقك وعملك وأجلك).

وقال أيضاً: (قَرِينُهُ يحفظ عليه عمله ، من خير أو شر).

وفي التنزيل نحو ذلك:

1 - قال تعالى: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18].

2 - وقال تعالى: ﴿لَكُمْ مَعْقَبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: 11].

(1) إسناده جيد. أخرجه أحمد (419/3) ، وأبو يعلى (6844) ، ورجاله رجال الصحيح.

3 - وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافَظِينَ ﴿١٦﴾ كِرَامًا كَبِيرِينَ ﴿١٧﴾ يَعْمُونَ مَا مَنَعُلُونَ﴾ [الانفطار: 10 - 12].

وفي معجم الطبراني بسند صحيح عن أبي أمامة ، عن النبي ﷺ قال: [إن صاحب الشمال ليرفع القلم ستَّ ساعات عن العبد المسلم المخطئ ، فإن ندم واستغفر الله منها ألغاه ، وإلا كتبت واحدة]⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾. استفهام للتنبيه ، أي لينظر ابن آدم من أي شيء خلق ؟ قال القرطبي: (وجه الاتصال بما قبله توصية الإنسان بالنظر في أول أمره وسنته الأولى ، حتى يعلم أن من أنشأه قادر على إعادته وجزائه ، فيعمل ليوم الإعادة والجزاء ، ولا يُملِي على حافظه إلا ما يسره في عاقبة أمره).

وقوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾. أي: مصبوب في الرحم. وهو ماء الرجل وماء المرأة ، لأن الإنسان مخلوق منهما ، لكن جعلهما ماء واحداً لامتزاجهما ، وهو يخرج منهما دفقاً.

وقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾. يعني صلب الرجل وترائب المرأة ، وهو صدرها. قال الرازي: (و«التريبة» واحدة «الترائب» وهي عظام الصدر).

وعن ابن عباس: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ قال: صلب الرجل وترائب المرأة ، أصغر رقيق ، لا يكون الولد إلا منهما). وقال الضحاك عن ابن عباس: (تريبة المرأة موضع القلادة). وقال سعيد بن جبيرة عنه: (الترائب: بين الثديين).

وعن مجاهد: (الترائب ما بين المنكبين إلى الصدر). وقال أيضاً: (الترائب أسفل من التراقي). وقال سفيان الثوري: (فوق الثديين).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾. فيه قولان عند المفسرين:

القول الأول: إنه تعالى على رجوع هذا الماء الدافق إلى مقره الذي خرج منه لقادر.

قال عكرمة: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ قال: إنه على رده في صلبه لقادر. وقال مجاهد: (على أن يرد الماء في الإحليل). أو قال: (على رد النطفة في الإحليل).

القول الثاني: إنه على بعث هذا الإنسان - المخلوق من ماء دافق - لقادر ، لأن من

(1) حديث حسن. أخرجه الطبراني في «الكبير» (ق 2/25 مجموع 6) ، والبيهقي في «الشعب» (1/349/2) ، وأبو نعيم في «الحلية» (6/124). وانظر: «الصحيحة» (1209).

قَدَّرَ عَلَى الْبِدْءِ قَدَّرَ عَلَى الْإِعَادَةِ. قَالَ قَتَادَةُ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ عَلَى بَعْثِهِ وَإِعَادَتِهِ قَادِرٌ).

قلت: والقول الثاني أنسب للسياق ، لورود الآية بعده: ﴿يَوْمَ بُكِّي السَّرَائِرُ﴾ ، وهو اختيار شيخ المفسرين - الإمام ابن جرير - رحمه الله .

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ بُكِّي السَّرَائِرُ﴾. قال سفيان: (تختبر). وقال قتادة: (إن هذه السرائر مختبرة ، فأسرؤوا خيراً وأعلنوه إن استطعتم ، ولا قوة إلا بالله).

وقال عطاء بن أبي رباح: ﴿يَوْمَ بُكِّي السَّرَائِرُ﴾ قال: ذلك الصوم والصلاة وغسل الجنابة ، وهو السرائر ، ولو شاء أن يقول قد صمت وليس بصائم ، وقد صليت ولم يصل ، وقد اغتسلت ولم يغتسل).

والمقصود: في ذلك اليوم تختبر وتعرف سرائر القلوب ونيات الأعمال ، فيصبح السر علانية والمكنون مشهوراً ، ويتميز الصدق من النفاق ، والحسن من القبيح .

وفي التنزيل نحو ذلك:

1 - قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تَخْشَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَنْ تُبْدُوهُ يَعْزَمَهُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 29].

2 - وقال تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: 30].

ومن كنوز صحيح السنة في آفاق ذلك أحاديث ، منها:

الحديث الأول: أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ قال: [إِنَّ الْغَادِرَ يُنْصَبُ لَهُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فيقال: هذه غَدْرَةُ فلان بن فلان]⁽¹⁾.

الحديث الثاني: أخرج ابن ماجة والترمذي بسند صحيح عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: [مَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ ، وَمَنْ يُسْمَعُ يُسْمَعُ اللَّهُ بِهِ]⁽²⁾.

الحديث الثالث: أخرج الترمذي بسند صحيح عن أبي هريرة قال: حدثني رسول الله ﷺ: [أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ كَثِيرٌ

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (6178) ، كتاب الأدب ، وأخرجه مسلم (1735) ح (10).

(2) حديث صحيح. أخرجه ابن ماجة (4206) ، وأخرجه الترمذي (2381). وانظر: صحيح سنن الترمذي (1940) - أبواب الزهد - باب ما جاء في الرياء والسمعة .

المال . فيقول الله للقارئ: أَلَمْ أَعْلَمَكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عَمِلْتَ فيما عَمِلْتَ؟ قال: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آثَاءَ اللَّيْلِ وَآثَاءَ النَّهَارِ ، فيقول الله له: كَذَبْتَ ، وتقول الملائكة: كَذَبْتَ ، ويقول الله له: بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ قَارِئٌ ، فقد قِيلَ ذَلِكَ .

ويؤتى بصاحب المال ، فيقول الله: أَلَمْ أَوْسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدْعَكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عَمِلْتَ فيما آتَيْتَكَ؟ قال: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ ، فيقول الله له: كَذَبْتَ ، وتقول الملائكة له: كَذَبْتَ ، ويقول الله بلْ أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ ، وقد قِيلَ ذَلِكَ .

ويؤتى بالذي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فيقول الله له: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فيقول: أَمَرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ . فيقول الله له: كَذَبْتَ ، وتقول له الملائكة: كَذَبْتَ ، ويقول الله ، بَلْ أَرَدْتُ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ ، فقد قِيلَ ذَلِكَ . ثم ضرب رسول الله ﷺ عَلَى رُكْبَتَيْ فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ: أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ⁽¹⁾ .

وقوله تعالى: ﴿فَالْمُؤْمِنُ قُوَّةٌ وَلَا نَاصِرٌ﴾ . أي: فما للإنسان يومئذ من قوة في نفسه يمتنع بها من عذاب الله وأليم نكاله ، ولا ناصر ينقذه مما نزل به من ألم ومكره ومصيبة .

قال قتادة: ﴿﴿فَالْمُؤْمِنُ قُوَّةٌ وَلَا نَاصِرٌ﴾﴾ قال: ينصره من الله . وقال: (من قوة يمتنع بها ، ولا ناصر ينصره من الله) . وقال سفيان الثوري: (القوة: العشيرة ، والناصر: الحليف) .

والمقصود: لا ينجيه يومئذ إلا صدق السريرة وصحة العمل ، نسأل الله السداد والتوفيق والسلامة في الدنيا والآخرة .

11 - 17 . قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۖ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّعِ ۖ إِنَّهُمْ لَقَوْلٌ

فَصَلِّ ۖ وَمَا هُوَ إِلَّا هَزِيلٌ ۖ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۖ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۖ فِئْهُمُ الْكَاذِبِينَ ۖ أَهْلُهُمْ رُؤُوسًا ۖ﴾ .

في هذه الآيات: قَسَمٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى بِالسَّمَاءِ ذَاتِ النِّفْعِ وَالْمَطَرِ ، وَبِالْأَرْضِ ذَاتِ

(1) حديث صحيح . أخرجه الترمذي في الباب السابق . انظر صحيح سنن الترمذي (1942) ، وأصله في صحيح مسلم . وانظر: تخريج الترغيب (20/1) ص (13 - 15) .

التصدّع عن الثمار والنبات والشجر ، أن القرآن كلام الله يفصل بين الحق والباطل ، وما هو بالكلام الهازل ، وما لكيد الكفار في رجوعه عليهم من حائل .

فقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ . قال ابن عباس: (الرَّجْعُ: المطر). وقال أيضاً: (السحاب فيه المطر). وقال مجاهد: (السحاب يمطر ، ثم يرجع بالمطر). وقال قتادة: (ترجع بأرزاق العباد كل عام ، لولا ذلك هلكوا ، وهلك مواشيهم).

قلت: والرَّجْعُ في كلام العرب المطر ، سُمِّيَ بذلك لأنه يجيء ويرجع ويتكرر ، فأقسم الله تعالى بالسماوات ذات النفع والمطر المتكرر .

وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّنِيعِ﴾ . قَسَمَ آخر. قال ابن عباس: (صَدَعُهَا إخراج النبات في كل عام).

وقال عكرمة: (هذه تصدع عن الرزق). وقال قتادة: (تصدع عن الثمار وعن النبات ، كما رأيت).

فالمقصود: هو ما تتصدع عنه الأرض من النبات والثمار والشجر .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ . هو جواب القسم . أي: إن القرآن لقول يفصل بين الحق والباطل .

وعن ابن عباس: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ قال: حق. وقال آخر: (حُكْمٌ عَدْلٌ).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ﴾ . أي وما هو باللعب ولا باللهو ولا الباطل .

قال ابن عباس: ﴿وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ﴾ يقول: بالباطل). وقال مجاهد: (باللعب).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ . أي إن أعداء الله يمكرون في إبطال ما جاء به رسول الله ﷺ من الدين الحق .

وقوله تعالى: ﴿وَإِكِيدُ كَيْدًا﴾ . قال ابن جرير: (يقول: وأمكر مكرًا ، ومكرُهُ جل ثناؤه بهم: إملاؤه إياهم على معصيتهم وكفرهم به). قلت: وقد حاق بهم يوم بدر من ذلك المكر ، فأوقع الله في صفوفهم القتل والأسر ، وكان ذلك استدراجاً لهم مقابل كيدهم برسول الله ﷺ والمؤمنين ، فإن من صفاته سبحانه المكر والكيد بالكافرين .

وفي التنزيل نحو ذلك :

1 - قال تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ [الرعد: 13] .

2 - وقال تعالى: ﴿وَمَكْرُؤٌ مَكْرًا وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: 50] .

3- وقال تعالى: ﴿وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيْنَ﴾ [آل عمران: 54].

وفي الصحيحين عن أبي موسى ، عن النبي ﷺ قال: [إن الله تعالى ليُملي للظالم ، حتى إذا أخذه لم يفلته]⁽¹⁾.

وفي جامع الترمذي بسند صحيح عن أنس ، عن النبي ﷺ قال: [إذا أراد الله بعبده الخير عَجَلَ له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يُوافي به يوم القيامة]⁽²⁾.

وقوله: ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ﴾. أي: أنظرهم ولا تستعجل لهم. قال القرطبي: ﴿فَهَلْ الْكَافِرِينَ﴾ أي أخرهم ، ولا تسأل الله تعجيل إهلاكهم ، وارض بما يدبره في أمورهم. ثم نسخت بآية السيف: ﴿فَأَقْضُوا الشَّرْكَاءَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: 5].

وقوله: ﴿أَمَلَهُمْ﴾ تأكيد. قال النسفي: ﴿أَمَلَهُمْ﴾ أنظرهم ، فكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين والتصيير).

وقوله: ﴿رُؤْيَا﴾. قال ابن عباس: (أي قريباً). وقال قتادة: (قليلاً).

والمقصود: أمهلهم إمهالاً قريباً أو قليلاً. و﴿رُؤْيَا﴾: مفعول مطلق نائب عن المصدر لأنه مرادف له في المعنى. والعرب تقول: رادت الريح تروداً إذا تحركت حركة ضعيفة.

وفي الآية وعيد شديد للكفار بأن ما يصيبهم قريب ، سواء كان في الحياة الدنيا أو فيما بعد الموت. ثم فيه تسلية للنبي ﷺ ولكل داع إلى الحق الذي جاء به ، بأن الصبر على حمل هذه الأمانة يعقبه الفرج ، وبأن الله لا يضيع أجر المحسنين ، وبأن المناوئين لهذا الدين في الأخسرين.

تم تفسير سورة الطارق

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منّه وكرمه

عصر الثلاثاء 20 - ذي القعدة - 1426 هـ

الموافق 21/ كانون الأول/ 2005 م

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (4686) كتاب التفسير. وأخرجه مسلم (2583) كتاب البر والصلة ، ورواه ابن ماجة والترمذي. انظر صحيح الجامع (1818).

(2) حديث صحيح. انظر صحيح سنن الترمذي (1953) ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (1220).

دروس ونتائج وأحكام

- 1- الطارق النجم ، وما أذاك ليلاً فهو طارق .
- 2 - لا تطرقوا النساء ليلاً ، فقد كان النبي ﷺ يكره أن يأتي الرجل أهله طروقاً - أي يأتيهم فجأة بالليل - .
- 3 - إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ ، فإن ندم واستغفر الله منها ألقاها ، وإلا كتبت واحدة .
- 4 - ترائب المرأة صدرها ، والماء الذي يكون منه الولد يخرج من صلب الرجل وترائب المرأة .
- 5 - لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدرته ، ويقال : هذه غدره فلان بن فلان .
- 6 - الرّجّع : المطر ، سمي بذلك لأنه يجيء ويرجع ويتكرر .
- 7 - إن الله تعالى ليملي للظالم ، حتى إذا أخذه لم يفلته .



87



وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (19) .

فضائلها وما ورد في ذكرها :

لقد جاء ذكر هذه السورة الكريمة في أحاديث كثيرة :

الحديث الأول: أخرج البخاري في مواضع من صحيحه عن البراء بن عازب قال: [أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مُضْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ، فَجَعَلَا يَقْرَأَانَا الْقُرْآنَ . ثُمَّ جَاءَ عَمَّارُ وَبِلَالٌ وَسَعْدٌ . ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عَشْرِينَ . ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرَحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهِ ، حَتَّى رَأَيْتُ الْوَلَدَيْنِ وَالصَّبِيَّانِ يَقُولُونَ : هَذَا رَسُولُ اللَّهِ قَدْ جَاءَ ، فَمَا جَاءَ حَتَّى قَرَأْتُ : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ فِي سُورٍ مِثْلَهَا]⁽¹⁾ .

الحديث الثاني: أخرج البخاري ومسلم - واللفظ للبخاري - عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: [أَقْبَلَ رَجُلٌ بِنَاصِحِينَ وَقَدْ جَنَعَ اللَّيْلُ ، فَوَافَقَ مُعَاذًا يُصَلِّي ، فَبَرَّكَ نَاصِحُهُ وَأَقْبَلَ إِلَى مُعَاذٍ ، فَقَرَأَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ أَوْ النَّسَاءِ فَاَنْطَلَقَ الرَّجُلُ ، وَبَلَغَهُ أَنَّ مُعَاذًا نَالَ مِنْهُ ، فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ فَشَكَا إِلَيْهِ مُعَاذًا ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : يَا مُعَاذُ ، أَفَتَأَنَّ أَنْتَ ؟ أَوْ أَفَاتِنَّ أَنْتَ ؟ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - فَلَوْلَا صَلَّيْتُ بِ : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ ، ﴿ وَالشَّمْسِ

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (4941) ، (3924) ، (3925) ، (4995) ، وقد استدل الحافظ ابن كثير بهذا الحديث أن السورة مكية ، وهو كذلك ، وهو قول الجمهور .

وَضَعُهَا ، ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا بَغَتْ ﴾ ، فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة [1].

وفي رواية النسائي : [قام معاذُ فصلَّى العشاء الآخرة فَطَوَّلَ ، فقال النبي ﷺ : أَفْتَانُ يا معاذ ؟ أَفْتَانُ يا معاذ ؟! أين كُنْتَ عن ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ ، ﴿ وَالصُّحَى ﴾ ، و﴿ إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ ﴾] [2].

الحديث الثالث: أخرج مسلم في الصحيح عن جابر بن سمرة : [أَنَّ النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر بـ ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ ، وفي الصُّبْحِ بأطولَ من ذلك] [3].

الحديث الرابع: أخرج مسلم وأصحاب السنن عن النعمان بن بشير قال : [كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين ، وفي الجمعة ، بـ ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ و﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَلَشِيَّةِ ﴾ . قال : وإذا اجتمع العيد والجمعة ، في يومٍ واحدٍ ، يقرأ بهما أيضاً في الصلاتين] [4].

الحديث الخامس: أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن النعمان بن بشير : [أَنَّ رسول الله ﷺ قرأ في العيدين : ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ ، و﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَلَشِيَّةِ ﴾ ، وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعاً] [5].

الحديث السادس: أخرج أحمد وأبو داود والحاكم بسند صحيح عن أبي بن كعب : [أَنَّ رسول الله ﷺ كان يقرأ في الوتر بـ ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ و﴿ قُلْ يَتَابِعُهَا الْكَافِرُونَ ﴾ و﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾] [6]. وفي رواية لأبي داود عن عائشة أم المؤمنين فيها زيادة : [والمعوذتين].

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري (705) ، كتاب الأذان ، وأخرجه مسلم (465) ح (179).

(2) حديث صحيح . أخرجه النسائي في «التفسير» (672) ، وفي «السنن» (831) ، (984) من حديث جابر ، وإسناده صحيح . وهو من أفراد النسائي ، وقد مضى .

(3) حديث صحيح . أخرجه مسلم في الصحيح (460) ، كتاب الصلاة . باب القراءة في الصبح .

(4) حديث صحيح . أخرجه مسلم في الصحيح (878) ، كتاب الجمعة ، وأخرجه أبو داود في السنن (1122) ، والترمذي (533) ، والنسائي في «التفسير» (685) ، وفي «السنن» (1424) ، (1568) ، (1590) ، وأخرجه ابن ماجه (1281) .

(5) حديث صحيح . أخرجه أحمد في المسند (4/277) ، وإسناده على شرط الصحيح . وانظر ما قبله .

(6) حديث صحيح . أخرجه أحمد (5/123) ، وأبو داود (1423) ، (1424) ، والحاكم (1/305) .

موضوع السورة

تنزيه الله الأعلى ، وانتفاع المؤمن بالذكرى
وشقاء الكافر في النار الكبرى

- منهاج السورة -

- 1- الأمر بتسبيح الله تعالى الذي خلق وقدر وهدى وأخرج المرعى.
- 2- البشرى لنبينا ﷺ أن يتلقى الوحي فيحفظه ولا ينسى ، وما عليه إلا الذكرى.
- 3- انتفاع المؤمن بالذكرى ، وركوب الشقي الهوى ، ليصلى النار الكبرى.
- 4- تأكيد الفلاح لمن تطهر من الشرك وتزكى ، وعظم أمر ربه وصلى.
- 5- أكثر الناس يؤثرون الحياة الدنيا ، والآخرة خير لهم وأبقى.
- 6- هذا البيان في القرآن كما هو في الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 13. قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝۱ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝۲ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝۳ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۝۴ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ۝۵ سَنَقِرُ لَكَ فَلَا تَنْسَى ۝۶ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُمْ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ۝۷ وَيُخَوِّفُ لِّلْمُتَّعِ ۝۸ فَذِكْرٌ لَّكَ الْكُبْرَى ۝۹ سَيَذَكِّرُكَ مِّنْ يَّخْشَى ۝۱۰ وَيَنْجَنِبُهَا الْأَشْقَى ۝۱۱ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ۝۱۲ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۝۱۳﴾ .

في هذه الآيات: الأمر بتنزيه الله تعالى الذي أحسن كل شيء خلقه ثم هدى ، والذي أخرج المرعى فجعله هشيماً أحوى ، والبشرى لنبينا محمد ﷺ أن يتلقى الوحي فيحفظه ولا ينسى ، وما عليه إلا الذكرى ، فهي تنفع من صلى وتزكى ، وتكون حسرة على مستحق النار لا يموت فيها ولا يحيا .

فقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾. أي: نزهه عن كل ما لا يليق به بقولك: «سبحان ربي الأعلى». قال ابن عباس والسدي: (معنى ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ أي عظم ربك الأعلى).

أخرج أحمد وأبو داود بسند صحيح عن ابن عباس: [أن النبي ﷺ كان إذا قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال: «سبحان ربي الأعلى»]⁽¹⁾.

قلت: وقوله جلّت عظمته ﴿الْأَعْلَى﴾ دليل صريح على علوه تعالى على جميع خلقه ، وقد فطر سبحانه عباده على ذلك ، فالقلوب تتوجه بذلك إليه ، والأيدي ترفع عند الدعاء إلى السماء رجاء إجابته وإنزاله الفرج .

وفي التنزيل نحو ذلك :

1 - قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل : 50].

2 - وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج : 7].

3 - وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك : 16].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: [ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ؟ يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً]⁽²⁾.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوْى﴾. أي خلق الخليقة والأشياء ، وسوّى كل مخلوق في أحسن الهيئات . والتسوية التعديل . قال ابن عباس: (حسن ما خلق).

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾. يعني الهداية العامة لجميع الخلق ، وهي أول مراتب الهداية . والمعنى: قدّر أجناس الأشياء ، وأنواعها ، وصفاتها ، وأفعالها ، وأقوالها ، وأجالها ، فهدى كل واحد منها إلى ما يصدر عنه وينبغي له .

قال مجاهد: (قدّر الشقاوة والسعادة ، وهدى للرشد والضلالة). وعنه قال: (هدى الإنسان للسعادة والشقاوة ، وهدى الأنعام لمراعيتها). وقيل: قدّر لكل حيوان ما يصلحه ، فهداه إليه ، وعرفه وجه الانتفاع به .

(1) حديث صحيح . أخرجه أحمد (232/1) ، وأبو داود (883) . وانظر صحيح سنن أبي داود (785) .

(2) حديث صحيح . وهو جزء من حديث طويل . انظر مختصر صحيح مسلم (514) ، ورواه البخاري .

وفي التنزيل نحو ذلك :

1 - قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ۖ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ۚ ﴾ [طه : 49 - 50].

2 - وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۖ ﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿ [السجدة : 6 - 7].

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: [إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ. وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ] (1).

ورواه الترمذي عنه بلفظ: [قَدَّرَ اللَّهُ الْمَقَادِيرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ] (2).

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي أَخْرَجَ الرَّعَىٰ ۖ ﴾. قال قتادة: (نبت كما رأيتم ، بين أصفر وأحمر وأبيض). قال ابن جرير: (يقول: والذي أخرج من الأرض مرعى الأنعام ، من صنوف النبات وأنواع الحشيش).

وقوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَا غُثَاءَ أَحْوَىٰ ۖ ﴾. قال ابن عباس: (هشيماً مُتَغَيِّراً). وقال مجاهد: (غُثَاءُ السَّيْلِ أَحْوَى ، قال: أسود). وقال قتادة: (يعود يبساً بعد خضرة).

وقال ابن زيد: (كان بقلأً ونباتاً أخضر ، ثم هاج فيبس ، فصار غُثَاءُ أَحْوَى ، تذهب به الرياح والسيول).

قلت: والغُثَاءُ: ما يقذف به السيل على جوانب الوادي من الحشيش والنبات وفئات الأشياء. فإذا يبس قيل له غُثَاءُ. قال الفراء: (الغُثَاءُ: اليبس). والأحْوَى: المسود من القِدَم. قال الرازي: (وبعير أحْوَى: إذا خالط خُضْرَتَهُ سَوَادٌ وَصَفْرَةٌ). وقال الأصمعي: (الْحَوَّةُ حُمْرَةٌ تضرب إلى السواد).

فيكون المعنى: فجعله - تعالى - بعد أن كان أخضر - غُثَاءً ، أي: هشيماً جافاً ﴿ أَحْوَى ۖ ﴾ أي: أسود بعد اخضراره ، وذلك أن الكَلَأَ إذا يبس اسود ، والله تعالى أعلم.

(1) حديث صحيح. أخرجه مسلم (51/8) في القدر: باب كتب المقادير قبل الخلق ، وانظر مختصر

صحيح مسلم (1841). وفي لفظ «قَدَّرَ» بدل «كتب».

(2) حديث صحيح. أخرجه الترمذي وأحمد. انظر صحيح سنن الترمذي (1750) ، أبواب القدر.

وقوله تعالى: ﴿سُنْقِرْتُكَ فَلَا تَنْسَى﴾. فيه تأويلان:

التأويل الأول: أي: سنقرئك يا محمد هذا القرآن فتحفظ ولا تنسى ما تقرأه. قال القرطبي: (وهذه بُشْرَى من الله تعالى، بشره بأن أعطاه آية بينة، وهي أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحي، وهو أُمِّي لا يكتب ولا يقرأ، فيحفظه ولا ينساه).

التأويل الثاني: قيل بل قوله ﴿فَلَا تَنْسَى﴾ طلب. أي لا تنسى ما يُتلى عليك.

وقال الجنيد: ﴿فَلَا تَنْسَى﴾ العمل به).

وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾. فيه تأويلان حسب مفهوم الآية قبله:

التأويل الأول: قال قتادة: (كان رسول الله ﷺ لا ينسى شيئاً إلا ما شاء الله).

قيل: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن ينسخه، فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته.

التأويل الثاني: قال النسفي: (وقيل: قوله: ﴿فَلَا تَنْسَى﴾ على النهي والألف مزيدة للفاصلة، كقوله السيلا. أي فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه إلا ما شاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته).

وقوله: ﴿إِنَّكُمْ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾. أي: إنه تعالى يعلم ما ظهر وما بطن، فلا يخفى عليه شيء من أقوال العباد وأعمالهم. قال ابن عباس: ﴿وَمَا يَخْفَى﴾: ما في قلبك ونفسك. وقيل: الجهر ما حفظته من القرآن في صدرك، ﴿وَمَا يَخْفَى﴾ هو ما نسخ من صدرك.

وقوله تعالى: ﴿وَيُنِيرُكَ لِلْيُسْرَى﴾. أي نهون عليك عمل الجنة حتى تبلغها.

قال ابن عباس: (نيسرك لأن تعمل خيراً). وعن ابن مسعود: ﴿لِلْيُسْرَى﴾ أي للجنة). وعن الضحاك: (نوفقك للشرعية اليسرى، وهي الحنيفية السمحة السهلة).

وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾. أي: فعظ يا محمد الناس بهذا الوحي ما كانت الموعظة نافعة والذكرى مجدية. قال ابن كثير: (ومن ها هنا يُؤْخَذُ الأدب في نشر العلم، فلا يضعه عند غير أهله، كما قال أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه -: ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم. وقال: حَدَّثَ الناس بما يَعْرِفُونَ، أتحبون أن يُكَذَّبَ الله ورسوله؟).

وقوله تعالى: ﴿سَيَذَكِّرْ مَنْ يَخْشَى﴾. أي: سيتعظ بوعظك من يخاف الله ويخشى عقابه، فهذا الذي يزداد بالتذكير خشية وسداداً.

وقوله تعالى: ﴿وَيَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾. أي: ويتجنب الذكرى ويبعد عنها الشقي في علم الله. قال قتادة: (فلا والله لا يَتَنَكَّبُ عبد هذا الذكر زهداً فيه وبغضاً لأهله ، إلا شقيُّ بَيْنُ الشَّقَاءِ). قال النسفي: ﴿الْأَشْقَى﴾ الكافر ، أو الذي هو أشقى الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله ﷺ).

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى﴾. أي الذي يدخل النار العظمى ، وهي نار جهنم ، وأما النار الصغرى فنار الدنيا.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾. أي: لا يموت فيها فيستريح مما هو فيه من العذاب ﴿وَلَا يَحْيَى﴾ حياة ينتفع بها.

أخرج الإمام مسلم في الصحيح عن أبي سعيد ، قال: قال رسول الله ﷺ: [أما أهل النار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم فأما موتهم إماتة ، حتى إذا كانوا فحماً أُذِنَ بالشفاعة ، فجيء بهم ضبائر ضبائر ، فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم ، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل]⁽¹⁾.

وأخرج الإمام أحمد في المسند على شرط الشيخين عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: [«أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون ولا يحيون ، وأما أناسٌ يُريد الله بهم الرحمة فيميتهم في النار فيدخل عليهم الشفعا ، فيأخذ الرجل الضبارة فينبتهم - أو قال: ينبتون - في نهر الحياء - أو قال: الحياة - أو قال: الحيوان - أو قال: نهر الجنة ، فينبتون - نبات الحبة في حميل السيل». قال: وقال النبي ﷺ: «أما تَرَوْنَ الشجرة تكون خضراء ، ثم تكون صفراء ، أو قال: تكون صفراء ثم تكون خضراء؟». قال: فقال بعضهم: كأن النبي ﷺ كان بالبادية]⁽²⁾.

14 - 19. قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٩﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ

(1) حديث صحيح. أخرجه مسلم (185) ، وابن ماجه (4309) ، وأحمد (11/3) ، وغيرهم.

(2) حديث صحيح. أخرجه أحمد في المسند (5/3) ، وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾ .

في هذه الآيات: إقرار الفلاح لمن تزكى من الشرك وعظم أمر ربه وصلّى ، وأكثر الناس يؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير لهم وأبقى ، وتقرير هذا في القرآن كما هو في الصحف الأولى ، صحف إبراهيم وموسى .

فقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ . قال ابن عباس: (يقول: مَنْ تزكى من الشرك).

وقال الحسن: (من كان عمله زاكياً). وقال قتادة: (يعمل ورعاً). وقال: (تزكى رجل من ماله ، وأرضى خالقه).

والمقصود: يجمع كل ما سبق: أي قد نجح وأدرك أمله مَنْ تَطَهَّرَ من الكفر والآثام ، وعمل بطاعة الرحمان .

وقوله تعالى: ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ . أي ذكر اسم ربه بلسانه ، وأقام الصلوات المفروضة وذكر الله فيها بتحميده ودعائه . قال القاسمي: ﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ أي تذكّر جلال ربه وعظمته ، فخشع وأشفق وقام بما له وما عليه ، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال: 2] . وجوز أن يحمل ﴿ تَزَكَّى ﴾ على إيتاء الزكاة و﴿ صَلَّى ﴾ على إقامة الصلاة ، كآية: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه: 14] ، لما عهد في كلامه تعالى من الجمع بينهما في عدة آيات ، لأنهما مبدأ كل خير وعنوان السعادة).

وقوله تعالى: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ . قال ابن كثير: (أي: تُقَدِّمُونَهَا على أمر الآخرة ، وتُبَدِّلُونَهَا على ما فيه نفْعُكم وصلاَحُكم في معاشكم ومعادكم).

وقوله تعالى: ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ . قال قتادة: (خير في الخير ، وأبقى في البقاء).

قال ابن جرير: (يقول: وزينة الآخرة خير لكم أيها الناس وأبقى بقاء ، لأن الحياة الدنيا فانية ، والآخرة باقية ، لا تنفذ ولا تفتنى).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ . قال أبو العالية: (قصة هذه السورة لفي الصحف الأولى). وقال قتادة: (تتابع كتب الله كما تسمعون ، أن الآخرة خير وأبقى).

والمقصود: أن ما تقدم من مضمون هذه السورة ، وتعريف منهاج الفلاح في الدنيا والآخرة ، وارد في تلك الصحف المكرمة .

وقوله تعالى: ﴿صُحُفٌ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ . بدل من الصحف الأولى . قال ابن زيد: (في الصحف التي أنزلها الله على إبراهيم وموسى: أن الآخرة خير من الأولى) .

قال ابن جرير: (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال: إن قوله ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ و﴿ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾: لفي الصحف الأولى ، صحف إبراهيم خليل الرحمن ، وصحف موسى بن عمران) .

تم تفسير سورة الأعلى

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

غروب شمس يوم الأربعاء 21 - ذي القعدة - 1426 هـ

الموافق 21/كانون الأول/ 2005 م

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - كان رسول الله ﷺ يقرأ في الظهر بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ . وكان يقرأ في العيدين والجمعة بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ و ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْفَلَسِيَّةِ﴾ .
- 2 - كان رسول الله ﷺ إذا قرأ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قال: سبحان ربي الأعلى .
- 3 - قدر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرضين بخمسين ألف سنة .
- 4 - أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولا يهلك على الله إلا هالك .
- 5 - في هذه السورة إثبات صفة العلو لله تعالى .

88



وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (26) .

فضائلها وما ورد في ذكرها :

لقد جاء ذكر هذه السورة الكريمة في أحاديث من السنة العطرة :

الحديث الأول: أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن النعمان بن بشير قال: [كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين ، وفي الجمعة ، بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ، و ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ . قال: وإذا اجتمع العيد والجمعة ، في يوم واحد ، يقرأ بهما أيضاً في الصلاتين] (1) .

الحديث الثاني: أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن النعمان بن بشير: [أن رسول الله ﷺ قرأ في العيدين: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ، و ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ ، وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعاً] (2) .

الحديث الثالث: أخرج الإمام مسلم في الصحيح عن عبيد الله بن عبد الله قال: [كتب الضحاك بن قيس إلى النعمان بن بشير: يسأله: أي شيء قرأ رسول الله ﷺ يوم الجمعة ، سوى سورة الجمعة ؟ فقال: كان يقرأ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾] (3) .

(1) حديث صحيح . أخرجه مسلم (878) ، كتاب الجمعة ، ورواه أصحاب السنن ، وقد مضى .

(2) حديث صحيح . أخرجه أحمد (277/4) ، وإسناده على شرط الصحيح ، وقد تقدم .

(3) حديث صحيح . أخرجه مسلم (878) ح (63) ، كتاب الجمعة . وأخرجه أبو داود (1123) ، والنسائي في «التفسير» (689) ، وفي «السنن» (1423) ، وأخرجه ابن ماجه (1119) .

موضوع السورة

أهوال الغاشية وأحوال الناس يوم الدين

- منهاج السورة -

- 1 - التخويف من أهوال الغاشية وهي القيامة ، فوجوه الكفار ذليلة منكسة ، لم ينتفع أصحابها من العمل والتعب ، والبذل والنصب .
- 2 - ذكر حال السعداء بعد ذكر مآل الأشقياء ، فوجوه المؤمنين ناعمة سعيدة ، يتقلب أصحابها في الملذات والنعم العديدة .
- 3 - التنبيه إلى النظر في المخلوقات العجيبة ، وتركيباتها الغريبة .
- 4 - هذه الذكرى تنفع المؤمنين ، وستكون حسرة على الكافرين .
- 5 - المرجع إلى الله والجزاء والحساب ، والأعمال توزن على الميزان لنيل الثواب والعقاب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- 1 - 7. قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۖ ﴾ ﴿ ١ ﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿ ٢ ﴾ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴿ ٣ ﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿ ٤ ﴾ تُشَقَّى مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿ ٥ ﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿ ٦ ﴾ لَا يَسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿ ٧ ﴾ .

في هذه الآيات: تخويفُ الله تعالى عباده من أهوال الساعة ، فوجوه الكفار يومئذ خاشعة ذليلة ، لهول ما هي قادمة عليه من حياة مريرة .

فقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۖ ﴾ . قال ابن عباس: ﴿ الْغَاشِيَةُ ﴾ من أسماء يوم القيامة ، عظمه الله ، وحذره عباده . وقال قتادة: (الغاشية: الساعة) . و﴿ هَلْ ﴾

بمعنى قد ، والتقدير: قد جاءك يا محمد حديث الغاشية ، أي القيامة . وسميت بذلك لأنها تغشى الخلائق بأهوالها وأفزاعها وتُعْثِمُهُمْ .

وقوله تعالى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَلِشَةٌ ﴾ . قال قتادة: (أي ذليلة) . وقال ابن عباس: (تنخسُ ولا ينفعها عملها) . والمراد بالوجوه أصحاب الوجوه ، قال يحيى بن سلام: (وجوه الكفار كلهم) . والخشوع: الخضوع والتذلل .

والمقصود: وجوه الكفار يومئذ في الموقف ذليلة منكسة من هول ما تراه وما هي قادمة عليه .

وقوله تعالى: ﴿ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾ . أي كانوا في الدنيا في تعب ونصب في العمل والعبادة ، لكنهم على منهاج فاسد ودين باطل ، فخسروا التجارة وباؤوا بغضب الله . و﴿ نَاصِبَةٌ ﴾ أي تعبئة . من نَصَبَ يَنْصِبُ نَصَبًا: إذا تعب .

قال البخاري: (وقال ابن عباس: ﴿ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾ : النصارى) .

وقال عكرمة: (﴿ عَامِلَةٌ ﴾ في الدنيا بالمعاصي ، ﴿ نَاصِبَةٌ ﴾ في النار بالعذاب والأغلال) .

وقال الضحاك عن ابن عباس: (هم الذين أنصبوا أنفسهم في الدنيا على معصية الله عز وجل ، وعلى الكفر ، مثل عبدة الأوثان ، وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وغيرهم ، لا يقبل الله جل ثناؤه منهم إلا ما كان خالصاً له) .

وقال الحافظ أبو بكر البرقاني: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُزَكِّي ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ السَّرَاج ، حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، حَدَّثَنَا سَيَّار ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عِمْرَانَ الْجَوْنِي يَقُولُ: (مَرَّ عُمرُ بْنُ الْخَطَّابِ - رضي الله عنه - بدير راهب ، قال: فناداه: يا راهبُ ! يا راهبُ ! فأشرف ، قال: فجعل عمر يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَبْكِي . فقليل له: يا أمير المؤمنين ، ما يُبْكِيكَ مِنْ هَذَا ؟ قال: ذَكَرْتُ قَوْلَ اللَّهِ - عزَّ وجلَّ - فِي كِتَابِهِ: ﴿ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾ تَصَلِّي نَارًا حَامِيَةً ﴾ ، فذاك الذي أبكاني) .

وقوله تعالى: ﴿ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴾ . قال ابن عباس: (أي: حارة شديدة الحر) .

والمقصود: يصيبها صلاؤها وحرّها ، فقد أوقدت وأحميت المدة الطويلة .

وقوله تعالى: ﴿ تُشَقَّى مِنْ عَيْنٍ عَابِتَةٍ ﴾ . قال ابن عباس ومجاهد: (أي: قد انتهى حرّها وغليانها) .

والمقصود: تسقى من عين ماء شديدة حرارة مائها ، قد أوقد عليها حتى وقت متأخر .

وهو من الإيناء: بمعنى التأخير . وفي لغة العرب: آناه يؤنيه إيناء ، أي أخره وحبسه وأبطأه ، ومنه قوله تعالى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آِنٍ﴾ [الرحمن: 44] .

وفي سنن ابن ماجة بسند صحيح عن جابر بن عبد الله ، أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة ، ورسول الله ﷺ يخطب . فجعل يتخطى الناس . فقال رسول الله ﷺ: [اجلس فَقَدْ أَذِيتَ وَأَنْتَ] ⁽¹⁾ .

وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ . الضريع: نوع من الشوك ، يقال له الشبرق في لسان قريش إذا كان رطباً ، فإذا يبس فهو الضريع .

قال ابن عباس: (الضريع: الشبرق) . وقال عكرمة: (هي شجرة ذات شوك ، لاطئة بالأرض ، فإذا كان الربيع سمّتها قريش الشبرق ، فإذا هاج العود سمّتها الضريع) . وقال مجاهد: (الشبرق اليابس) . وقال قتادة: ﴿لَا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ قال: هو الشبرق إذا يبس يسمى الضريع) . وقال: (من شرّ الطعام وأبشعه وأخبثه) .

قال البخاري: (وقال مجاهد: الضريع: نبتٌ يُقال له: الشبرق ، تُسمّيه أهل الحجاز الضريع إذا يبس ، وهو سُم) .

وقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَمِعُونَ وَلَا يُفْقَهُونَ مِنْ جُوعٍ﴾ . أي: لا يُخْصِبُ البدن ولا يحصل به مقصود ، ولا يسكن داعية النفس ولا نهما ولا يندفع به محذور .

8- 16 . قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۖ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۖ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ۖ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۖ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ۖ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ۖ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۖ وَزَرَارٍ مَبْنُوتَةٌ ۖ﴾ .

في هذه الآيات: ذكّر حال السعداء ، بعد ذكر مآل الأشقياء ، فوجوه المؤمنين

(1) حديث صحيح . أخرجه ابن ماجة (1115) . وله شاهد عند أبي داود (1118) من حديث عبد الله بن بسر ، وكذلك النسائي (103/3) ، وأحمد (4/190) ، وغيرهم .

يومئذ وجوه ناعمة سعيدة ، يعلوها الفرح والسرور لما بُشِّرَتْ به من حياة متميزة فريدة ، كل ما فيها ملذات ورخاء ونعم عديدة .

فقوله تعالى: ﴿وُجُوهُ يُؤْمِزُ نَاعِمَةٌ﴾ . أي ذات نعمة وبهجة ، وهي وجوه المؤمنين ، لما شاهدوا من عاقبة أمرهم وحسن استقبالهم . قال ابن جرير: (يقول: هي ناعمة بتنعيم الله أهلها في جناته ، وهم أهل الإيمان بالله) .

وقوله تعالى: ﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾ . أي: لعملها الذي عملته في الدنيا راضية ، لأنها قد أُعطيت من الثواب والتكريم ما أرضاها .

وقوله تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ . أي: في جنة رفيعة بهيئة الروعة والجمال ، عالية الغرفات رفيعة القدر والخدمة والاستقبال .

وقوله تعالى: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ . قال ابن عباس: (يقول: لا تسمع أذى ولا باطلاً) . وقال مجاهد: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ قال: شتماً . وقال قتادة: (لا تسمع فيها باطلاً ، ولا شتماً) .

قال القاسمي: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ أي لغواً ، أو كلمة ذات لغو . لأن كلامهم الحكمة والعلوم والتسبيح والتحميد) .

وفي التنزيل نحو ذلك :

1 - قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [الواقعة: 25 - 26] .

2 - وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [مريم: 62] .

3 - وقال تعالى: ﴿لَا لَغْوُ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور: 23] .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة - في وصف الزمرة الأولى والثانية في دخول الجنة - قال رسول الله ﷺ: [لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلبٌ واحد ، يسبحون الله بكرة وعشيًا]⁽¹⁾ .

وقوله تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ . قال ابن كثير: (أي: سارحة . وهذه نكرة في سياق الإثبات ، وليس المرادُ بها عيناً واحدةً ، وإنما هو جنسٌ ، يعني: فيها عيون جاريات) .

وقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ . السرر: جمع سرير ، و ﴿مَرْفُوعَةٌ﴾ أي عالية ناعمة

(1) حديث صحيح . انظر مختصر صحيح مسلم (1956) - (1957) ، وهو جزء من حديث أطول .

في رقتها وحسن فرشها ، وعليها الحور العين . قال النسفي : ﴿مَرْفُوعَةٌ﴾ من رفعه المقدار أو السَّمَك ، ليرى' المؤمن بجلوسه عليه - أي السرير - جميع ما خَوَّلَهُ ربه من الملك والنعيم).

وقوله تعالى: ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ . الأكواب جمع كوب ، وهي الأباريق التي لا آذان لها .

والمقصود: قد أعدت أواني الشراب وأرصدت لطالبيها .

قال ابن جرير: (وعني بقوله ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾: أنها موضوعة على حافة العين الجارية ، كلما أرادوا الشرب ، وجدوها ملاءى' من الشراب).

وقوله تعالى: ﴿وَمَنَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ . المنارق: الوسائد والمرافق . واحدها نُمْرُقَة . قال ابن عباس: (المنارق: الوسائد). أو قال: (المجالس). وقال أيضاً: ﴿وَمَنَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ يقول: المرافق).

والمقصود: وسائد ومطارج مصفوفة بعضها إلى بعض ، أينما أراد المؤمن الجلوس جلس على واحدة منها واستند إلى الأخرى.

وقوله تعالى: ﴿وَزَرَائِبُ مَبْنُوتَةٌ﴾ . قال ابن عباس: (الزرايب البُسُط). وقال قتادة: ﴿وَزَرَائِبُ مَبْنُوتَةٌ﴾: المبسوطة).

والمقصود: وبسط عراض فاخرة مفرقة في المجالس هاهنا وهاهنا لمن أراد الجلوس عليها .

17 - 26. قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ .

في هذه الآيات: تنبيه الله تعالى عباده إلى النظر في مخلوقاته العجيبة ، وتركيباتها الغريبة ، فالإبل والجبال والسماء والأرض تحتاج إلى نظرة دقيقة ، وهذه الذكرى تنفع

المؤمنين ، وستكون حسرة على الكافرين ، والموعود للحساب ووزن الأعمال يوم الدين .

فقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ . أي : على ما هي عليه من الخلق البديع ، والتركيب العجيب ، من عظم جثتها ، ومزيد قوتها ، وغريب أوصافها ، ومع ذلك فهي تلين للحمل الثقيل ، وتنقاد للقائد الضعيف ، مع ما تدرّره على الناس من اللحم واللبن والوبر . وكانت الإبل من غالب دواب العرب وأنفس أموالهم ، وأكثر ما لصق بحياتهم ومعاشهم .

قال قتادة : (لما نعت الله ما في الجنة ، عجب من ذلك أهل الضلالة ، فأُنزل الله ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ فكانت الإبل من عيش العرب ومن خولهم) . وكان شريح القاضي يقول : (اخرجوا بنا حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ؟) .

قلت : وسرّ هذا الخلق العجيب والقوة الشديدة للإبل متعلق بطبيعة ما خلقت منه ، فإنها خلقت من الجن . وفي ذلك أحاديث ، منها :

^٦ الحديث الأول : أخرج أبو داود بسند صحيح عن البراء بن عازب قال : سُئِلَ رسول الله ﷺ عن الصلاة في مبارك الإبل فقال : [لا تُصَلُّوا في مبارك الإبل فإنها من الشياطين] (1) .

الحديث الثاني : أخرج ابن ماجة بسند صحيح عن عبد الله بن مُغَفَّلِ الْمُزَنِيِّ قال : قال النبي ﷺ : [صَلُّوا في مَرَبَضِ الْغَنَمِ ، ولا تُصَلُّوا في أَعْطَانِ الْإِبْلِ . فإنها خُلِقَتْ مِنَ الشَّيَاطِينِ] (2) .

الحديث الثالث : أخرج أحمد وأبو داود عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : [لا تصلوا في مبارك الإبل ، فإنها من الشياطين ، وصلوا في مَرَبَضِ الْغَنَمِ ، فإنها بركة] (3) .

(1) حديث صحيح . أخرجه أبو داود في السنن (184) ، (493) . وانظر صحيح أبي داود (464) .

(2) حديث صحيح . أخرجه ابن ماجة في السنن (769) ، كتاب المساجد والجماعات . باب : الصلاة في أعطان الإبل ومراح الغنم . وانظر صحيح ابن ماجة (622) .

(3) حديث صحيح . رواه أحمد وأبو داود . انظر صحيح سنن أبي داود (169) ، وصحيح الجامع الصغير (7228) ، وله شواهد كثيرة .

وقوله تعالى: ﴿وَلِإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾. أي فوق الأرض بلا عمد ، على وجه لا يناله الفهم ولا يدركه العقل . كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيَّنَّنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: 6].

وقوله تعالى: ﴿وَلِإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾. أي: رفعت على الأرض منتصبه ، مُرساة راسخة ، لا تميد ولا تميل ولا تزول .

وقوله تعالى: ﴿وَلِإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾. أي بُسطت ومُدَّت ومُهَّدت .

قال القرطبي: (وكانوا يسرون على الإبل منفردين مستوحشين عن الناس ، ومن هذا حاله تفكر فيما يحضره ، فقد ينظر في مركوبه ، ثم يمد بصره إلى السماء ، ثم إلى الأرض . فأمرُوا بالنظر في هذه الأشياء ، فإنها أدل دليل على الصانع المختار القادر).

وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال: نُهِينَا أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، الْعَاقِلُ ، فَيَسْأَلُهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ! أَتَانَا رَسُولُكَ فَرَعَمَ لَنَا أَنْكَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ ؟ قَالَ: صَدَقَ . قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ ؟ قَالَ: اللَّهُ . قَالَ: فَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ ؟ قَالَ: اللَّهُ . قَالَ: فَمَنْ نَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ ، وَجَعَلَ فِيهَا مَا جَعَلَ ؟ قَالَ: اللَّهُ . قَالَ: فَبِالَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ وَخَلَقَ الْأَرْضَ وَنَصَبَ هَذِهِ الْجِبَالَ ، اللَّهُ أَرْسَلَكَ ؟ قَالَ: نَعَمْ [الحديث (1)].

فسأل الرجل من أهل البادية النبي ﷺ مستدلاً بهذه الأمور والمخلوقات العظيمة التي يراها في حله وترحاله على خالقها ومالكها ومدبر شؤونها .

وقوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾. أي: فعظ الناس يا محمد وخوفهم بما جاءك من الوحي ، فإنما أنت منذر وعلى ربك الحساب .

وقوله تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾. قال ابن عباس: (يقول: لست عليهم بجبار).

وقال ابن زيد: (لست عليهم بمسلط أن تكرهمهم على الإيمان).

والمقصود: لست تخلق الإيمان - يا محمد - في قلوبهم ، ولم تُسلط عليهم حتى يؤمنوا ، وإنما عليك البلاغ ، وعلى الله الثواب والعقاب .

أخرج الترمذي بسند صحيح عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: [أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بَحْثَهَا وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ . ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۚ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ۖ ﴾] (1).

قال القرطبي: (وقرأ هارون الأعور «بِمُصَيْطِرٍ» بفتح الطاء ، و «المصيطرون». وهي لغة تميم). وأصل ذلك في لغة العرب من السَّطَر وهو الصَّف من الشيء ، وهو الخط والكتابة أيضاً. قال الرازي: (والمُصَيْطِر والمُصَيْطِر: المُسَلِّط على الشيء لِشُرْفِ عليه ويتعهد أحواله ويكتب عمله ، قال الله تعالى: ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ﴾).

وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ۖ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۚ ﴾ . الاستثناء منقطع . والتقدير: لكن من تولى عن الوعظ ونكر ، وأعرض عن الإيمان وكفر ، فإن الله الولاية والقهر ، فهو تعالى يعذبه في نار جهنم العذاب الأكبر .

أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة: [أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَنْ أَبَى؟ قَالَ: مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى] (2).

وأخرج الإمام أحمد في المسند بإسناد حسن عن علي بن خالد ، أَنَّ أَبَا أُمَامَةَ الْبَاهِلِيَّ مَرَّ عَلَى خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، فَسَأَلَهُ عَنِ الْإِنِّ كَلِمَةً سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: [أَلَا كُلُّكُمْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، إِلَّا مَنْ شَرَّدَ عَلَى اللَّهِ شِرَادَ الْبَعِيرِ عَلَى أَهْلِهِ] (3).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۖ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ۖ ﴾ . قال قتادة: (يقول: إِنَّ إِلَى اللَّهِ الْإِيَاب ، وعليه الحساب).

والتقدير: إلينا مرجعهم ومنقلبهم بعد موتهم ، ثم علينا محاسبتهم ومجازاتهم على أعمالهم يوم بعثهم ومعادهم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

(1) حديث صحيح. أخرجه الترمذي (3341)، كتاب التفسير ، عند هذه الآية ، انظر صحيح سنن الترمذي (2662). وأخرجه أحمد (300/3) ، والنسائي في «التفسير» (690). والحديث ورد في الصحيحين عن جماعة من الصحابة دون ذكر الآية .

(2) حديث صحيح. أخرجه البخاري في الصحيح (7280) ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .

(3) حديث حسن. أخرجه أحمد (258/5) وإسناده حسن ، وعلي بن خالد قال عنه الحافظ في «التقريب» (4728): صدوق . وأصل الحديث شواهد ، وانظر ما قبله .

قال النسفي: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ رجوعهم ، وفائدة تقديم الظرف الشديد في الوعيد ، وأن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ فنحاسبهم على أعمالهم ، ونجازيهم بها جزاء أمثالهم. و «على» لتأكيد الوعيد لا للوجوب إذ لا يجب على الله شيء).

تم تفسير سورة الغاشية

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

مساء الخميس 22 - ذي القعدة - 1426 هـ

الموافق 22 / كانون الأول / 2005 م

دروس ونتائج وأحكام

- 1- كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين والجمعة بِسَبِّحِ وَالْغَاشِيَةِ .
- 2 - الغاشية من أسماء يوم القيامة ، عظمه الله وحذره عباده ، وسميت كذلك لأنها تغشى الخلائق بأهوالها وأفزاعها وتعمهم .
- 3 - الكافر إذا عمل أعمال الخير في الدنيا يطعم بحسنات ما عمل في الدنيا من زيتها وبهيجتها ، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها .
- 4 - لا تصلوا في مبارك الإبل فإنها خلقت من الشياطين .
- 5 - تفكروا في آلاء الله ، ولا تفكروا في الله .
- 6 - كلكم يدخل الجنة إلا مَنْ شَرَدَ عَلَى اللَّهِ شِرَادَ الْبَعِيرِ عَلَى أَهْلِهِ .

89

سُورَةُ الْفَجْرِ

آياتها
٨٩ترتيبها
٨٩

وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (30) .

موضوع السورة

القسم بالفجر وليالي العشر والشفع والوتر والليل أن العذاب نازل بأهل الكفر
والمؤمنون يفارقون الحياة في أمن وأمان إلى الجنة دار السرور والبشر

- منهاج السورة -

- 1 - قَسَمُ الله تعالى بالفجر والليالي العشر والشفع والوتر والليل إذا يَسِرُ أن العذاب والنكال نازل بأهل الكفر .
- 2 - ذكر عذاب الله لِعَادٍ عقب الإصرار على الكفر ، ونقمته من ثمود وفرعون وأهل المكر .
- 3 - نعت سلوك الإنسان في فرحه عند الرخاء ، وتغيّره عند الضيق والعناء .
- 4 - أكثر الناس على البخل على اليتيم ، وإهمال إطعام المسكين .
- 5 - حرص أكثر الناس على جمع المال ، ليكون عليهم حسرة في المال .
- 6 - وصف حال الأرض عند المعاد ، ونزول الرحمان والملائكة لفصل الحساب .
- 7 - بروز جهنم أمام الكافرين ، لينزل بهم عذاب الجحيم .
- 8 - المؤمنون يفارقون الحياة في أمن وتسليم ، ويدخلون في الآخرة جنات النعيم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 14. قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَالْأَيْلِ إِذَا يَسَّرَ ۝٤ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ مِثْلَهَا فِي الْعَالَمِ ۝٨ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخَرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَيَالْمُرْصَادِ ۝١٤﴾.

في هذه الآيات: يقسم الله تعالى بالفجر والليالي العشر ، والشفع والوتر ، والليل الذي يجري ويذهب أن العذاب نازل بأهل الكفر ، وقد مضى عذاب عاد وثمود وفرعون وأهل المكر.

فقوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ﴾. قَسَمٌ من الله سبحانه بالفجر وهو الصبح ، لأنه وقت انفجار الظلمة عن النهار. قال عكرمة: (الفجر: فجر الصبح). وقال مجاهد: (المراد به فجر يوم النحر خاصة ، وهو خاتمة الليالي العشر). وعن ابن عباس: ﴿وَالْفَجْرِ﴾ (قال: النهار). قلت: والراجح الأول ، وهو الصبح ، كما قال تعالى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ﴾ [التكوير: 18]. فبه يحصل انقضاء الليل وظهور الضوء ، وانتشار الناس وسائر الحيوانات ، لطلب العيش والأرزاق.

وقوله تعالى: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾. قال ابن عباس: (إن الليالي العشر التي أقسم الله بها ، هي ليالي العشر الأول من ذي الحجة).

وقال عبد الله بن الزبير: (أول ذي الحجة إلى يوم النحر). وقال مسروق: (ليالي العشر. قال: هي أفضل أيام السنة).

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ أنه قال: [ما العَمَلُ في أيام

العَشْرُ أَفْضَلُ مِنْهَا فِي هَذِهِ. قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ؟ قَالَ: وَلَا الْجِهَادُ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ⁽¹⁾.

ورواه أحمد وأبو داود والترمذي بلفظ: [مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ، مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ - يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ]⁽²⁾.

وأخرج أبو داود بسند صحيح عن هنيذة بن خالد، عن امرأته، عن بعض أزواج النبي ﷺ، قالت: [كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ تِسْعَ ذِي الْحِجَّةِ، وَيَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ: أَوَّلَ اثْنَيْنِ مِنَ الشَّهْرِ وَالْخَمِيسَ]⁽³⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ﴾. الشفع: الزوج، والوتر: الفرد، وذلك من كل الأشياء. وعن عكرمة: (الشفع: يوم الأضحى، والوتر يوم عرفة).

وقال قتادة: (إِنْ مِنَ الصَّلَاةِ شَفْعًا، وَإِنْ مِنْهَا وَتْرًا). وعن ابن عباس قال: (الله وتر وأنتم شفع. ويقال الشفع صلاة الغداة، والوتر صلاة المغرب).

قلت: والآية عامة في كل شفع ووتر، فأقسم الله قسمًا عامًا يشمل الخلق والخالق، فهو وتر سبحانه وخلقه شفع، للازدواج فيه، كما قال جل ثناؤه: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: 49]. قال مجاهد: (كل خلق الله شفع، السماء والأرض، والبر والبحر، والجن والإنس، والشمس والقمر، والكفر والإيمان، والسعادة والشقاوة، والهدى والضلالة، والليل والنهار).

وفي صحيح البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ: [لِللَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا - مِثَّةٌ إِلَّا وَاحِدًا - مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُوَ وَتْرٌ يُحِبُّ الْوَتْرَ]⁽⁴⁾. وفي رواية: (مَنْ أَحْصَاهَا).

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (969)، كتاب العيدين. باب فضل العمل في أيام التشريق.

(2) حديث صحيح. أخرجه أبو داود (2438)، وأخرجه أحمد (224/1)، والترمذي (757).

(3) حديث صحيح. أخرجه أبو داود (2437)، كتاب الصوم، باب في صوم العشر. وانظر: صحيح سنن أبي داود - حديث رقم - (2129). وهو مناسب للحديث قبله.

(4) حديث صحيح. أخرجه البخاري (6410)، كتاب الدعوات. وأخرجه مسلم (2677)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. والوتر والوتر لغتان.

فالله تعالى وتر - أي واحد - في ذاته وفي أسمائه وفي صفاته ، ليس كمثله شيء .

قال ابن جرير : (والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره أقسم بالشفع والوتر ، ولم يخص نوعاً من الشفع ولا من الوتر دون نوع بخبر ولا عقل ، وكل شفع ووتر فهو مما أقسم به ، مما قال أهل التأويل إنه داخل في قسمه هذا ، لعموم قسمه بذلك) .

وقوله تعالى : ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَسَّرَ﴾ . أي : إذا يمضي . قال ابن عباس : (أي إذا ذهب) . وقال مجاهد : (إذا سار) . وقال الضحاك : (أي : يجري) . قلت : فقوله تعالى : ﴿وَالْفَجْرُ﴾ ثم ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَسَّرَ﴾ فيه مقابلة لطيفة ، فيكون قسماً بإقبال النهار وإدبار الليل ، والله تعالى أعلم .

وقوله تعالى : ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ . الحِجْر : العقل : لأنه يحجر صاحبه ، أي يمنعه من ارتكاب ما لا ينبغي . والمقسم عليه محذوف ، تقديره «ليعذبن» كما يدل عليه ما بعده . قال ابن عباس : ﴿لِذِي حِجْرٍ﴾ لذي النهى والعقل) .

وعن قتادة : ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ قال : لذي حجى ، لذي عقل ولُب) .

قال الرازي : (المراد من الاستفهام التأكيد . كمن ذكر حجة باهرة ثم قال : هل فيما ذكرته حجة ؟ والمعنى أن من كان ذا لب علم أن ما أقسم الله تعالى به من هذه الأشياء فيه عجائب ودلائل على التوحيد والربوبية . فهو حقيق بأن يقسم به لدلالته على خالقه) .

وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ﴾ . إرم : اسم آخر لعاد الأولى ، فهو على سبيل زيادة التعريف بهم . قال ابن إسحاق : (يقول الله : بعاد إرم ، إن عاد ابن إرم بن عوص بن سام بن نوح) . وهم الذين بعث الله فيهم هوداً عليه السلام فكذبوه ، وعتوا في الأرض متمردين جبارين ، فأهلكهم الله بريح صرصر عاتية ، ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَينَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَابُ غُلَّيْ حَاوِيٍّ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ (الحاقة : 7 - 8) .

قال مجاهد : (إِرَمُ أُمَّ قديمة - يعني عاداً الأولى -) . وقال السدي : (إن إِرَمَ بيت مملكة عاد) .

فقوله تعالى : ﴿بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ عطف بيان ، زيادة تعريف بهم . قال ابن عباس : ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ كانوا أهل عمود لا يقيمون) . قال ابن كثير : (وقوله تعالى : ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ ، لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التي تُرفع بالأعمدة الشداد ، وقد

كانوا أشدَّ الناس في زمانهم خِلْقَةً وأقوامهم بَطْشاً ، ولهذا ذَكَرَهُم هُوْدٌ بتلك النعمة وأرشدهم إلى أن يستعملوها في طاعة ربهم الذي خلقهم ، فقال : ﴿ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَأَذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : 69] . وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّْا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ [فصلت : 15] . وقال هاهنا : ﴿ أَلَيْسَ لِمَنْ يَخْلُقُ مِثْلُهَا فِي الْإِلَادِ ﴾ ، أي : القبيلة التي لم يُخلق مثلها في بلادهم ، لقوتهم وشِدَّتْهم وعظم تركيبهم) .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَمُودَ الَّذِي جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ بِالْوَادِ ﴾ . أي : وتمود الذين كانوا ينحتون الجبال وينقبونها بيوتاً يسكنون فيها . وواديهم هو الحِجْر ، أو وادي القرى ، على طريق الشام من المدينة المنورة . وفي لغة العرب : اجتأب الثوب أي فتحه ، ومنه الجيب .

و ﴿ جَاءُوا السَّيِّئَةَ بِالْوَادِ ﴾ : أي يقطعون الصخر بالوادي . قال ابن عباس : (ينحتونها ويخرقونها) . وقال قتادة : (جأبوها ونحتوها بيوتاً) .

وهو كما قال تعالى : ﴿ وَتَحْتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴾ [الشعراء : 149] .

وقوله تعالى : ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴾ . أي : وفرعون صاحب الأوتاد . قيل : هي الأهرام التي بناها الفراعنة لتكون لهم قبوراً بعد موتهم ، وسخروا في بنائها أقوامهم . وقيل : ذي الجنود الذين لهم خيام كثيرة يشدونها بالأوتاد . وقيل غير ذلك .

فعن ابن عباس : (الأوتاد : الجنود الذين يشدون له أمره ، ويقال : كان فرعون يوتد في أيديهم وأرجلهم أوتاداً من حديد ، يعلقهم بها) . وقال عبد الرحمن بن زيد : (كانت له صخرة ترفع بالبكرات ، ثم يؤخذ الإنسان فتوتد له أوتاد الحديد ، ثم تُرسل تلك الصخرة عليه فتشدّه) .

قلت : والراجح بوصف فرعون ﴿ ذِي الْأَوْتَادِ ﴾ أي : صاحب الجنود والعساكر والجموع والجيوش الكثيرة والعُدَد الرهيبة التي تشدُّ ملكه ، وهذا يعم كل ما سبق .

وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ طَفَعُوا فِي الْإِلَادِ ﴾ ﴿ ٦٧ ﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴾ . صفة لِعادٍ وتمود وفرعون ، أي : طغت كل طائفة منهم في بلادهم ، وتمردوا وعَتَوْا وعاثوا في الأرض بالفساد والإفساد والأذية للناس .

وقوله تعالى : ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾ . أي : فأفرغ عليهم ربك وألقى على تلك الطوائف عذاباً موجعاً . وهو من قول العرب : صَبَّيْتُ السوط على المجرم ، أي :

جَلَدَتْهُ بِهِ جِلْدًا شَدِيدًا. وقد كان السوط عندهم نهاية ما يُعَذَّبُ به. وقال القرطبي: ﴿سَوِّطَ عَذَابٍ﴾ أي نصيب عذاب).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِيَالْمَرَّصَادِ﴾. قال ابن عباس: (يقول: يرى ويسمع). قال ابن كثير: (يعني: يَرُصُّدُ خَلْقَهُ فيما يعملون ، ويجازي كُلًّا بِسَعْيِهِ في الدنيا والأخرى ، وَسَيَعْرِضُ الخلائق كُلَّهُم عليه ، فيحكم فيهم بعدله ، ويقابل كُلًّا بما يَسْتَحِقُّهُ. وهو الْمُتَنَزِّهُ عن الظلم والجور).

15 - 20. قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرَمُونَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾.

في هذه الآيات: نَعَتْ الله تعالى سلوك الإنسان في العسر واليسر ، فهو يفرح بالنعيم عند الرخاء ، ويتنكر لآلاء ربه عند الضيق والعناء. وليته إذا أنعم الله عليه أكرم اليتم ، وحرص على إطعام المسكين ، بل أكثر الناس يبخلون ويحرصون على جمع المال ، ليكون عليهم حسرة في المال.

فقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْنَلَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾.

قال ابن جرير: (يقول تعالى ذكره: فأما الإنسان إذا ما امتحنه ربه بالنعيم والغنى ﴿فَأَكْرَمَهُ﴾ بالمال ، وأفضل عليه ، ﴿وَنَعَّمَهُ﴾ بما أوسع عليه من فضله ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ فيفرح بذلك ، ويسرُّ به ويقول: ربي أكرمني بهذه الكرامة).

والمقصود: إنكاراً على الإنسان ظنه أن ورود ألوان النعيم والرزق عليه علامة إكرام له من الله ، بل هي ابتلاء واختبار وامتحان ، كما قال جل ثناؤه: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهَا نِعْمَةٌ مِنْ مَالِ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ سَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: 55 - 56].

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْنَلَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾.

أي: وأما إذا ما اختبره سبحانه بضيق الرزق وقلة المال فيظن أن ذلك إهانة له.

وقوله: ﴿كَلَّا﴾ أي ليس الأمر كما يظنون ، فليس الإكرام والإهانة في كثرة المال

وقلته ، بل الإكرامُ في توفيق الطاعة والإهانة في الخذلان .

وقوله تعالى: ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ .

قال النسفي: (أي بل هناك شر من هذا القول ، وهو أن الله يكرمهم بالغنى فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من إكرامهم اليتيم بالمبرة ، وحض أهله على طعام المسكين) .

وفي الآيات: أمر بإكرام اليتيم ، وحض على الإحسان إلى الفقراء والمساكين ، والحث والتشجيع على ذلك ، وفي السنة الصحيحة أمثال ذلك في أحاديث:

الحديث الأول: أخرج البخاري عن سهل قال: [قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافلُ اليتيم في الجنة هكذا» ، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً]⁽¹⁾ .

الحديث الثاني: أخرج أبو داود بإسناد صحيح عن جابر بن عبد الله مرفوعاً: [يا معشر المهاجرين والأنصار إن من إخوانكم قوماً ليس لهم مال ولا عشيرة ، فليضم أحدكم إليه الرجلين أو الثلاثة]⁽²⁾ .

الحديث الثالث: أخرج ابن ماجة والترمذي بسند صحيح عن سلمان بن عامر الضبي قال: قال رسول الله ﷺ: [الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذي القربة اثنان: صدقة وصلة]⁽³⁾ .

ولفظ الترمذي: [الصدقة على المسكين صدقة ، وهي على ذي الرحم ثنتان: صدقة وصلة] .

وقوله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ . قال قتادة: ﴿وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ﴾ أي الميراث . وقال ابن عباس: ﴿وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾ يقول: تأكلون أكلاً شديداً .

قال الحسن: (نصيبه ونصيب صاحبه) . وقال مجاهد: (اللم: السف ، لف كل شيء) .

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري (5304) ، كتاب الطلاق ، وأخرجه أبو داود (5150) ، والترمذي (1918) ، وأحمد (333/5) ، وابن حبان (460) .

(2) حديث صحيح . أخرجه أبو داود (2534) في السنن ، وإسناده صحيح ، ورواه الحاكم .

(3) حديث صحيح . أخرجه ابن ماجة (1844) ، كتاب الزكاة ، باب فضل الصدقة . انظر صحيح سنن ابن ماجة (1494) ، وصحيح سنن الترمذي ، عقب الحديث (531) .

والمقصود: وتأكلون الميراث من أي جهة تحصل لكم ، من حلال أو حرام .

أخرج النسائي وأحمد بسند صحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: [يأتي على الناس زمان ما يبالي الرجل من أين أصاب المال ؟ من حلالٍ أو حرامٍ] ⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَيُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾. الجَمُّ الكثير. والمعنى: وتحبون المال حباً كثيراً ، حلاله وحرامه. قال النسفي: ﴿حُبًّا جَمًّا﴾ كثيراً شديداً مع الحرص ومنع (الحقوق).

21 - 30. قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ ﴿يٰۤاَيُّهَا الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذَعُ الْأَنْسُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرُ﴾ ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدِمْتُ لِحَيَاتِي﴾ ﴿فِيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وِثْقَاهُ أَحَدٌ﴾ ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً﴾ ﴿فَادْخُلِي فِي عِبْدِي﴾ ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

في هذه الآيات: وصف الله تعالى حال الأرض عند المعاد ، ونزول الرحمان والملائكة للفصل والحساب ، وبروز جهنم أمام أهلها لينزل بهم العقاب ، فالكفار في حسرة وندامة ، والمؤمنون في طمأنينة وسلامة .

فقوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾. كَلَّا: ردع وزجر ، وإنكار لما هم عليه من الفعل. والدك: الكسر والدق. قال القرطبي: (أي ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر. فهو ردٌّ لانكبابهم على الدنيا ، وجمعهم لها ، فإن من فعل ذلك يندم يوم تُدَكُّ الأرض ، ولا ينفع الندم). وقال الزجاج: ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا﴾: أي زلزلت فدك بعضها بعضاً). وقال المبرد: (أي ألصقت وذهب ارتفاعها).

والمقصود: زلزلت وحركت تحريكاً بعد تحريك ، أو دُكَّتْ جبالها حتى استوت ، وهو إخبار من الله تعالى عما يقع يوم القيامة من الأحوال العظيمة .

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾. أي: وجاء الله سبحانه لفصل القضاء بين عباده ، والملائكة جاؤوا بين يديه صفوفاً صفوفاً.

(1) حديث صحيح. أخرجه النسائي في السنن بإسناد صحيح من حديث أبي هريرة. انظر صحيح سنن النسائي (4149). ورواه أحمد والبخاري بنحوه.

قلت: وصفة المجيء والإتيان والاطلاع ثابتة لله تعالى في القرآن والسنة الصحيحة .
ففي التنزيل :

1 - قال تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [البقرة: 210].

2 - وقال تعالى: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام: 158].

3 - وقال هنا: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: 22].

وفي صحيح السنة العطرة أحاديث في ذلك ، منها :

الحديث الأول: أخرج ابن خزيمة بسند جيد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: [إذا جمع الله الأولى والآخره يوم القيامة جاء الرب تبارك وتعالى إلى المؤمنين فوقف عليهم . . .] الحديث (1).

الحديث الثاني: أخرج الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: [يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد ، ثم يطلع عليهم رب العالمين ، فيقول: ألا يتبع كلُّ إنسان ما كان يعبد] الحديث (2).

وقوله: ﴿ وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴾ . أي جيء بها يومئذ مزمومة والملائكة يجزونها . وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: [يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجزونها] (3).

وقوله: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَنْذَكُرُ الْإِنْسَانُ ﴾ . أي: يومئذ يتذكر الإنسان ماضيه وعمله وما صدر عنه في أيام عمره في الحياة الدنيا .

وقوله: ﴿ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ . أي: ومن أين له اليوم منفعة الذكرى وقد مضى زمان التذكر والاعتاظ والاعتبار .

(1) حديث صحيح . أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» ص (153) . وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (756) وقال الألباني: وهذا إسناد لا بأس به في الشواهد .

(2) حديث صحيح . انظر صحيح سنن الترمذي (2072) ، أبواب صفة الجنة . باب ما جاء في خلود أهل الجنة ، وأهل النار ، وهو صدر حديث طويل .

(3) حديث صحيح . أخرجه مسلم في الصحيح (2842) ، ورواه الترمذي في السنن (2573) .

وقوله: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾. قال النسفي: (هذه وهي حياة الآخرة ، أي ياليتني قدمت الأعمال الصالحة في الحياة الفانية لحياتي الباقية). وقال القرطبي: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ أي في حياتي. فاللام بمعنى في. وقيل: أي قدمت عملاً صالحاً لحياتي ، أي لحياة لا موت فيها. وقيل: حياة أهل النار ليست هنيئة ، فكأنهم لا حياة لهم ، فالمعنى: يا ليتني قدمت من الخير لنجاتي من النار ، فأكون فيمن له حياة هنيئة).

وأخرج الإمام أحمد في المسند ، والبخاري في «التاريخ الكبير» بسند صحيح عن عتبة بن عبد قال: إن رسول الله ﷺ قال: [لو أن رجلاً يجر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرماً في مرضاة الله عز وجل لحقره يوم القيامة]⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ﴾. قال ابن كثير: (أي: ليس أحداً أشدَّ عذاباً من تعذيب الله من عصاه).

والمقصود: لا يعذب كعذاب الله أحد ، ولا يوثق كوثاقه أحد. فالكنية ترجع إلى الله تعالى ، وهو قول ابن عباس والحسن.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقُهُ أَحَدٌ﴾. أي: ولا يوثق الكافر بالسلاسل والأغلال كوثاق الله أحد.

وقوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً.

أي: والصورة المقابلة لحال أولئك الكفرة الفجرة ، هي صورة الأتقياء السعداء البررة ، أصحاب النفوس الساكنة الموقنة بربها ، المطمئنة لثوابه ، الآمنة من عذابه ، يقال لها عند الاحتضار - أو البعث أو دخول الجنة -: ارجعي إلى جوار ربك وثوابه ونعيم جنانه ، راضية عن ربها ، مرضية عنده.

فعن ابن عباس: ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ ، يقول: المصدقة). قال الحسن: (المطمئنة إلى ما قال الله ، والمصدقة بما قال). وقال مجاهد: (النفوس التي أيقنت أن الله ربها ، وضربت جأشاً لأمره وطاعته). وقال أيضاً: (المنية المخبئة التي قد أيقنت أن الله ربها ، وضربت لأمره جأشاً). وقال: (المخبئة والمطمئنة إلى الله).

(1) حديث صحيح. أخرجه أحمد (4/ 185) ، والبخاري في «التاريخ الكبير» (1/ 15/ 1) ، وأبو نعيم في «الحلية» (2/ 15) ، (5/ 219). وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (447).

وعن ابن عباس: ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ قال: تردُّ الأرواح المطمئنة يوم القيامة في الأجساد).

وعن أبي صالح: ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ قال هذا عند الموت).

وفي سنن أبي داود ومسنند أحمد والطيالسي بسند صحيح من حديث البراء - في احتضار المؤمن - قال رسول الله ﷺ: [ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة - وفي رواية: المطمئنة - اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان] الحديث⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾. قال أبو صالح: (هذا يوم القيامة). وقال قتادة: (قال: ادخلي في عبادي الصالحين).

والمقصود: يقال لها: ادخلي في زمرة عبادي الصالحين وكوني في جملتهم.

وقوله تعالى: ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾. أي: وادخلي جنتي معهم ، وهي دار الخلود مَسْكَنُ الأبرار ، ودار الصالحين والأخيار ، وهذا هو التكريم الذي لا ينافسه كل تكريم كان في الدنيا ، فנסأل الله السلامة ، وبلوغ هذه الكرامة.

تم تفسير سورة الفجر

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

عصر يوم السبت 24 - ذي القعدة - 1426 هـ

الموافق 24 / كانون الأول / 2005 م

(1) حديث صحيح. أخرجه أحمد (4/ 287)، وأبو داود (2/ 281)، والطيالسي (753)، وغيرهم.

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - الليالي العشر التي أقسم الله بها هي ليالي العشر الأول من ذي الحجة .
- 2 - ما من أيام العمل الصالح فيها أحبُّ إلى الله من أيام العشر .
- 3 - أقسم الله بالشفع والوتر ، وهو سبحانه وثرٌ يجب الوثر .
- 4 - ليس الإكرام والإهانة مرتبط بكمثرة المال أو قلته ، بل التوفيق إلى مرضاته تعالى وطاعته .
- 5 - الصدقة على المسكين صدقة ، وهي على ذي الرحمِ ثنتان : صدقة وصلّة .
- 6 - يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد ، ثم يطلع عليهم رب العالمين ، فيقول : ألا يتبع كل إنسان ما كان يعبد .
- 7 - يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها .
- 8 - يجيء ملك الموت فيجلس عند رأس المؤمن فيقول : أيتها النفس المطمئنة ، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء .



90



وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (20) .

موضوع السورة

القَسَمُ بمكة والوالد والولد أن الإنسان في شدة وعناء
وأن سعادته في طاعة الله واقتحام الموانع وإلا كان الشقاء

- منهج السورة -

- 1 - قَسَمُ الله تعالى بمكة أم القرى وبالوالد وأولاده أن ابن آدم في شدة وعناء ، ثم مصيره إن كفر وعصى ربه إلى الشقاء .
- 2 - حث الإنسان على إخلاص العبادة لربه الذي أغدق عليه نعمه الكثيرة ، كالعينين واللسان والشفيتين والنجدتين والآلاء الكبيرة .
- 3 - توجيه الإنسان لاقتحام موانع الطاعة ، من النفس والشیطان والشهوات والهوى بالبدل والعمل والإيمان والجهاد والشجاعة .
- 4 - المؤمنون هم أصحاب الميمنة ، والكفار هم أصحاب المشأمة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

10 - 1. قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ١ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ٢ وَالْوَالِدِ وَمَا وَلَدَ ٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ٤ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأَ ٦ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ٧ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ١٠﴾ .

في هذه الآيات: يقسم تعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حلالاً ، تنبيهاً لعظمة قدرها حالة إحرام أهلها ، كما يقسم جلت عظمته بالوالد وأولاده ، أن ابن آدم في شدة وعناء ، ثم مصيره إن كفر وعصى ربه إلى الشقاء ، فهلا أخلص العبادة لربه الذي أغدق عليه نعمه الكثيرة ، كالعينين واللسان والشفَتين والنجدتين والآلاء الكبيرة .

فقوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ . قال الأخفش: (﴿لَا﴾ زائدة). والتقدير: أقسم بهذا البلد - وهي مكة - . قال القرطبي: (أي أقسم بالبلد الحرام الذي أنت فيه ، لكرامتك عليّ وحبّي لك). وقال مجاهد: (﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾: ﴿لَا﴾: ردّ عليهم).

وقد أقسم الله به في قوله: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: 3].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ . فيه تأويلان:

التأويل الأول: أي في المستقبل. قال مجاهد: (أحل لرسول الله ﷺ ما صنع فيه ساعة). وقال قتادة: (يقول: وأنت به حل لست بآثم).

وقد فصل ذلك ابن عباس حيث قال: (﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ يعني بذلك نبي الله ﷺ ، أحلّ الله له يوم دخل مكة أن يقتل من شاء ، ويستحيي من شاء ، فقتل يومئذ ابن خطل صبراً وهو آخذ بأستار الكعبة ، فلم تحل لأحد من الناس بعد رسول الله ﷺ أن يقتل فيها حراماً حرّمه الله ، فأحلّ الله له ما صنع بأهل مكة).

أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ يوم

افْتَحَ مَكَّةَ: [لا هجرةَ ولكن جهادَ ونيَّةَ] ، وإذا اسْتَنْفَرْتُمْ فانْفِرُوا ، فإن هذا بلدٌ حَرَّمَ اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وهو حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ ، فهو حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ [الحديث (1)] .

والتأويل الثاني: أي أقسم بهذا البلد الذي أنت مقيم به ، تشريفاً لك وتعظيماً لقدرك ، لأنه صار بحلولك فيه عظيماً شريفاً .

قلت: وكلا المعنيين حق ، سواء أكان القسم تأويله في الحاضر أو المستقبل ، والله تعالى أعلم .

وقوله تعالى: ﴿وَالِدٌ وَمَوْلَدٌ﴾ . قَسَمَ من الله تعالى بالوالد وأولاده ، كآدم وما تناسل من ولده ، وبكل والد ومولود من جميع الحيوانات ، تنبيهاً على عظم آية التناسل والتوالد ، ودلالتها على قدرة الله وحكمته وعلمه .

فعن ابن عباس: ﴿وَالِدٌ وَمَوْلَدٌ﴾ قال: هو الوالد وولده). وقال أيضاً: (الوالد: الذي يلد ، وما ولد: العاقر الذي لا يولد له). وقال مجاهد: (الوالد: آدم ، وما ولد: ولده). وعن عطية العوفي: (هو عموم في كل والد وكل مولود).

وقال الماوردي: (ويحتمل أن الوالد النبي ﷺ ، لتقدم ذكره ، وما ولد أمته ، لقوله عليه السلام: «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم» . فأقسم به وبأُمِّته بعد أن أقسم ببلده ، مبالغة في تشريفه عليه السلام).

قلت: والراجح العموم ، فيدخل في ذلك كل والد ومولود ، كما تقدم ، والله تعالى أعلم .

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ . هو جواب القسم . والإنسان هنا ابن آدم . والكبد: الشدة والمعاناة⁽²⁾ . والتقدير: لا يزال الإنسان في مكابدة شدائد هذه الدنيا ومقاساة آلامها حتى يموت ، فإذا مات كابد شدائد القبر والبرزخ وأهوالهما ، ثم إذا بُعث كابد شدائد الآخرة . وفيه تسلية للنبي ﷺ مما كان يكابده من قريش ، فإن الأنبياء أشد الناس بلاء .

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري (1834) ، كتاب جزاء الصيد . باب: لا يحل القتال بمكة .

(2) أصل الكبد من (كبد الرجل كبدًا) فهو أكبد ، إذا وجعت كبده وانتفخت . ثم استعمل في كل تعب ومشقة ، ومنه اشتقت المكابدة .

وعن ابن عباس: ﴿فِي كَيْدٍ﴾ قال: في شدة خلق، ألم تر إليه وذكر مولده ونبات أسنانه. وقال مجاهد: ﴿فِي كَيْدٍ﴾ نطفة، ثم علقه، ثم مضغة، يتكبد في الخلق. وقال ابن عباس أيضاً: ﴿فِي كَيْدٍ﴾ يقول: في نصب. أو قال: (في انتصاب، يعني القامة). قال الضحاك: (خلق منتصباً على رجلين، لم تخلق دابة على خلقه). وعن قتادة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَيْدٍ﴾ حين خلق، في مشقة، لا يلقى ابن آدم إلا مكابدة أمر الدنيا والآخرة. وعن الحسن: (يكابد أمراً من أمر الدنيا، وأمراً من أمر الآخرة). وقال أيضاً: (يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة). قلت: وإنما تهوين هذه الشدائد أو عبورها وتجاوزها يكون اختصاصاً من الله تعالى لأوليائه وأحبابه المؤمنين، فإنما استراح من عُفْرِ له، ولا راحة لمؤمن إلا بقاء ربه ورضاه.

وفي التنزيل نحو ذلك:

1- قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4].

2- وقال تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: 15].

وفي صحيح السنة العطرة من آفاق هذه الآية أحاديث:

الحديث الأول: أخرج أحمد في المسند، وأبو نعيم في الحلية، بسند حسن في الشواهد عن عائشة قالت: قيل: يا رسول الله ماتت فلانة واستراحت! فغضب رسول الله ﷺ وقال: [إنما يستريح من عُفْرِ له]⁽¹⁾.

وفي رواية: [إنما استراح من عُفْرِ له].

الحديث الثاني: أخرج مالك وأحمد والشيخان عن أبي قتادة: أن رسول الله ﷺ مرَّ عليه بجنابة، فقال: مستريحٌ أو مستراحٌ منه. قالوا: يا رسول الله ما المتسريحُ والمستراحُ منه؟ قال: [العبدُ المؤمن يستريح من نَصَبِ الدنيا وأذاها إلى رحمه الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب]⁽²⁾.

الحديث الثالث: أخرج ابن ماجه بسند صحيح من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ

(1) حديث حسن. أخرجه أحمد (69/6)، (102/6)، وأبو نعيم في «الحلية» (8/290). وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (1710)، وصحيح الجامع (2315).

(2) حديث صحيح. أخرجه مالك (1/241/54)، وعنه البخاري (4/233)، وكذا مسلم (3/54)، وأحمد (5/302 - 303)، والنسائي (1/272 - 273).

قال: [إِنَّ الْمَيِّتَ يَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ ، فَيُجْلَسُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِه ، غَيْرَ فَرَعٍ وَلَا مَشْعُوفٍ . ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : فِيمَ كُنْتَ ؟ فيقول : كنتُ في الإسلام . فَيُقَالُ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ ؟ فيقول : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَصَدَّقْنَاهُ . فَيُقَالُ لَهُ : هَلْ رَأَيْتَ اللَّهَ ؟ فيقول : مَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَرَى اللَّهَ ، فَيُفَرِّجُ لَهُ فُرْجَةً قِبَلَ النَّارِ . فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَخْطُمُ بَعْضُهَا بَعْضًا . فَيُقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللَّهُ . ثُمَّ يُفَرِّجُ لَهُ قِبَلَ الْجَنَّةِ . فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا . فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا مَقْعُدُكَ ، وَيُقَالُ لَهُ : عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ ، وَعَلَيْهِ مِتُّ ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ] (1).

وقوله تعالى: ﴿ اِيْحَسْبُ اَنْ لَّنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ اَحَدٌ ﴾ . أي: أيظن الإنسان أن لن يقدر عليه ولا ينتقم منه أحد ، مهما اقتترف من السيئات ، حتى ولا ربّه عزّ وجل ؟!

وقوله تعالى: ﴿ يَقُولُ اَهْلَكْتُ مَا لَا بُدَّ ﴾ . أي يقول ابن آدم: أنفقت ما لا كثيراً مجتمعاً . وهو من تلبّد الشيء: إذا اجتمع .

والمقصود: ما أنفق من الأموال للافتخار والمباهاة والرياء . قال ابن عباس: (يعني بالبد: المال الكثير) . وقال مجاهد: ﴿ اَهْلَكْتُ مَا لَا بُدَّ ﴾ قال: ما لا كثيراً . قال القاسمي: (كقولهم: «خسرت عليه كذا وكذا» إذا أنفق عليه . يتفضل على الناس بالتبذير والإسراف ، ويحسبه فضيلة لاحتجابه عن الفضيلة وجهله) .

وقوله تعالى: ﴿ اِيْحَسْبُ اَنْ لَّمْ يَرَهُ اَحَدٌ ﴾ . كشف لحقيقة ما كان عليه من النفاق والرياء . قال النسفي: ﴿ اِيْحَسْبُ اَنْ لَّمْ يَرَهُ اَحَدٌ ﴾ حين كان ينفق ما ينفق رياء وافتخاراً ، يعني أن الله تعالى كان يراه وكان عليه رقيباً) .

وقوله تعالى: ﴿ اَلَمْ يَجْعَلْ لَّمْ عَيْنَيْنِ ﴿٦﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾ . قال قتادة: (نعم من الله متظاهرة ، يقرّك بها كيما تشكره) . وقال القاشاني: (أي ألم ننعم عليه بالآلات البدنية التي يتمكن بها من اكتساب الكمال ، ليصير ما يعتبر به ، ويسأل عما لا يعلم ، ويتكلم فيه ؟) .

والمقصود: تذكير من الله تعالى عباده بنعمه عليهم ، في سلامة الآلات التي يتوصلون بها إلى تحصيل منافعهم الدينية والدنيوية ، فالحاجة إلى العينين للرؤية ، واللسان للنطق والتعبير عما في الضمير ، والتكلم بالحجة والحق ، والشفتين لحبس

(1) حديث صحيح . أخرجه ابن ماجه في السنن (4268) . وانظر صحيح سنن ابن ماجه (3443) - كتاب الزهد - باب ذكر القبر والبلى ، وهو جزء من حديث أطول .

الطعام والشراب وإمساكهما في الفم ، والنطق أيضاً ، وفيهما جمالٌ للوجه والفم .

وقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ . النجد: الطريق المرتفع - أو ما ارتفع من الأرض - .

فمفهوم الآية : وهديناه الطريقين : طريق الخير وطريق الشر .

والمقصود: امتنان من الله تعالى على الإنسان في معرض ذكر النعم الجليلة عليه .
أي: ألم نعرفه طريق الخير وطريق الشر ، مبينتين واضحتين كتبين الطريقين العاليتين !
فهو يدرك ذلك بفطرته التي فطره الله عليها .

يروى ابن جرير عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله : ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ قال : (الخير والشر) . وعن ابن عباس : (يقول : الهدى والضلالة) . وقال الضحاك : (نجد الخير ، ونجد الشر) .

قلت : وفي تسميتهما بالنجدين إشارة إلى وعورة وصعوبة كل مسلك منهما ، فليس الشر بأهون من الخير ، وإنما في كل طريق ما فيه من المحن ، وإنما النجاة بمجاهدة النفس ألا تقع في الآثام ، وأن تسلك سبيل تعظيم أوامر الرحمان .

11 - 20 . قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعَقَبَةَ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ

رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَيَّئْنَا لَهُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾ .

في هذه الآيات: توجيه الله تعالى الإنسان لاقتحام موانع الطاعة ، من النفس والشیطان والشهوات والهوى بالبدل والعمل والإيمان والجهد والشجاعة ، فالمؤمنون أصحاب الميمنة ، والكفار أصحاب المشئمة .

فقوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعَقَبَةَ﴾ . أي: فهلا اجتهد واخترق الموانع التي تحول بينه وبين طاعة الله ، من تسويل النفس واتباع الهوى والشیطان . وقال قتادة: (إنها عقبة

قُحْمَةٌ⁽¹⁾ شديدة فاقتموها بطاعة الله تعالى). وقال الحسن: (هي والله عقبة شديدة: مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان). وقيل: العقبة خلاصه من هول العرض. وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقْبَةُ﴾. استفهام لزيادة التقرير والاهتمام. قال القاسمي: (أي أي شيء أعلمك ما اقتحام العقبة؟ وفي الاستفهام زيادة تقريرها وكونها عند الله تعالى بمكانة رفيعة).

وقوله تعالى: ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾. فكها خلاصها من الأسر. وقيل: من الرق. قال القرطبي: (والفك: هو حل القيد، والرق قيد. وسمي المرقوق رقبة، لأنه بالرق كالأسير المربوط في رقبته، وسمي عتقها فكاً فكك الأسير من الأسر).

وقد حفلت السنة العطرة بأحاديث كثيرة في فضائل العتق، منها:

الحديث الأول: أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: [أَيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا اسْتَنْقَذَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنَ النَّارِ]⁽²⁾.

الحديث الثاني: أخرج الإمام أحمد في المسند بإسناد صحيح عن سعيد بن مرجانة: [أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ إِرْبٍ مِنْهَا إِرْبًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيُعْتَقُ بِالْيَدِ الْيَدَ، وَبِالرَّجْلِ الرَّجْلَ، وَبِالْفَرْجِ الْفَرْجَ». فقال علي بن الحسين: أنت سمعت هذا من أبي هريرة؟ فقال سعيد: نعم. فقال علي بن الحسين لغلام له أفره غلماناه: ادع مطرفاً. فلما قام بين يديه قال: اذهب فأنت حرٌّ لوجه الله]⁽³⁾.

وروى البخاري نحوه وفيه: (فعمد علي بن الحسين رضي الله عنهما إلى عبْدٍ له قد أعطاه به عبد الله بن جعفر عشرة آلاف درهم، أو ألف دينار فأعتقه).

الحديث الثالث: أخرج الترمذي بسند صحيح عن أبي هريرة قال: سمعت

(1) القُحْمَةُ: المَهْلَكَةُ، والسنة الشديدة. والقُحْمُ: صِيبَابُ الطَّرِيقِ. والاقْتِحَامُ: الرَّمْيُ بِالنَفْسِ فِي شَيْءٍ

من غير رَوِيَةٍ. والمَقْصُودُ هُنَا: الدُّخُولُ وَالْمَجَاوِزَةُ بِشِدَّةٍ وَمَشَقَّةٍ. والعَقْبَةُ: الطَّرِيقُ الْوَعْرَةُ فِي الْجَبَلِ يَصْعَبُ سُلُوكُهَا، اسْتَعِيرَتْ لِمُثَلِّلِ مَا سَيَأْتِي مِمَّا فِيهِ مُعَانَاةٌ وَمَشَقَّةٌ وَمَجَاهِدَةٌ لِلنَفْسِ مِنْ أَجْلِ النِّجَاةِ.

(2) حديث صحيح. أخرجه البخاري (2517) كتاب العتق. وكذلك (6715)، ورواه مسلم (1506)، والترمذي (1541)، والنسائي (505/9)، وأحمد (420/2).

(3) حديث صحيح. أخرجه أحمد في المسند (420/2)، وانظر صحيح البخاري - حديث رقم - (6715)، كتاب كفارات الأيمان.

رسول الله ﷺ يقول: [مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً أَعْتَقَ اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ عُضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنَ النَّارِ ، حَتَّى يُعْتَقَ فَرْجُهُ بِفَرْجِهِ] (1).

الحديث الرابع: أخرجه الطبري بسند على شرط مسلم عن أبي نجيح قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [أَيُّمَا مُسْلِمٍ أَعْتَقَ رَجُلًا مُسْلِمًا فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ وَقَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهِ عَظْمًا مِنْ عِظَامِ مُحَرَّرِهِ مِنَ النَّارِ. وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ أَعْتَقَتْ امْرَأَةً مُسْلِمَةً فَإِنَّ اللَّهَ جَاعِلٌ وَقَاءَ كُلِّ عَظْمٍ مِنْ عِظَامِهَا عَظْمًا مِنْ عِظَامِهَا مِنَ النَّارِ] (2).

الحديث الخامس: أخرجه الإمام أحمد بسند صحيح عن كثير بن مرة ، عن عمرو بن عَبَسَةَ: أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: [مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِيُذَكَّرَ اللَّهُ فِيهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ. وَمَنْ أَعْتَقَ نَفْسًا مُسْلِمَةً كَانَتْ فِدَيْتُهُ مِنْ جَهَنَّمَ. وَمَنْ شَابَّ شَيْبَةً فِي الْإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ] (3).

الحديث السادس: أخرجه الإمام أحمد بسند حسن عن البراء بن عازب قال: [جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ! عَلَّمَنِي عَمَلًا يَدْخُلُنِي الْجَنَّةَ. فَقَالَ: لَنْ كُنْتُ أَقْصَرْتَ الْخُطْبَةَ لَقَدْ أَعْرَضْتَ الْمَسْأَلَةَ. أَعْتَقَ النَّسْمَةَ ، وَفَكَ الرَّقَبَةَ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوَلَيْسَتْ بَوَاحِدَةٍ؟ قَالَ: لَا ، إِنْ عَتَقَ النَّسْمَةَ أَنْ تَنْفَرِدَ بِعِتْقِهَا ، وَفَكَ الرَّقَبَةَ أَنْ تُعَيِّنَ فِي عِتْقِهَا. وَالْمِنْحَةُ الْوَكُوفُ ، وَالْفِيءُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الظَّالِمِ ، فَإِنْ لَمْ تُطَقْ ذَلِكَ فَأَطْعَمَ الْجَائِعَ ، وَاسْقَى الظَّمْآنَ «وَأَوْمَرُ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ» ، فَإِنْ لَمْ تَطَقْ ذَلِكَ فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلَّا مِنَ الْخَيْرِ] (4).

وقوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ﴾. السَّعْبُ: الجوع ، والساغب الجائع. قال ابن عباس: ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ﴾: ذِي مَجَاعَةٍ. وقال إبراهيم النخعي: (في يوم الطعام فيه عزيز). وقال قتادة: (في يوم يُشْتَهَى فيه الطعام).

والمقصود: إن من سبل اقتحام العقبة إطعام الطعام وخاصة عند انتشار الجوع ووجود الحاجة إليه ، فإطعامه فضيلة وهو مع الجوع أفضل.

- (1) حديث صحيح. أخرجه الترمذي في السنن (1541) ، أبواب النذور والأيمان. باب ثواب من أعتق رقبة. وانظر صحيح الترمذي (1247) ، وله شواهد كثيرة.
- (2) حديث صحيح. أخرجه الطبري (37317) ، وإسناده على شرط مسلم. وله طرق.
- (3) حديث صحيح. أخرجه أحمد في المسند (386/4) ، وإسناده على شرط مسلم.
- (4) حديث حسن. أخرجه أحمد في المسند (299/4) ، وإسناده حسن ، وله شواهد.

أخرج الترمذي وابن ماجة بسند صحيح عن عبد الله بن سلام قال: [لما قدم رسول الله ﷺ ، يعني: المدينة ، انجفل الناس إليه ، وقيل قدم رسول الله ﷺ فجئت في الناس لأنظر إليه ، فلما استبنت وجه رسول الله ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، وكان أول شيء تكلم به أن قال: يا أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلّوا والناس نياماً ، تدخلوا الجنة بسلام]⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿يَتِمَّ ذَا مَقْرَبَةٍ﴾. قال ابن زيد: (ذا قرابة). والمعنى: أي يطعم اليتيم - وهو الصغير الذي لا أب له - ، ويكون اليتيم من أقارب هذا المقتحم الذي ينبغي النجاة في الآخرة.

أخرج الترمذي وابن ماجة بسند صحيح عن سلمان بن عامر يبلغ به النبي ﷺ قال: [الصدقة على المسكين صدقة ، وهي على ذي الرِّحمِ ثنتان: صدقةٌ وصلّة]⁽²⁾.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبٍ﴾. أي لا شيء له ، حتى كأنه لشدة فقره قد لصق بالتراب. وهو من «ترب الرجل» إذا افتقر ، والمتربة: المسكنة والفاقة. قال ابن عباس: ﴿ذَا مَتْرَبٍ﴾ هو المطروح في الطريق ، الذي لا بيت له ، ولا شيء يقيه من التراب). وفي رواية: (هو الذي لصق بالدقعاء من الفقر والحاجة ، ليس له شيء). والدقعاء: التراب. وقال عكرمة: (هو الفقير المديون المحتاج). وقال سعيد بن جبیر: (هو الذي لا أحد له). وقال قتادة: (هو ذو العيال). وقيل: هو البعيد التربة - قاله ابن عباس - يعني الغريب عن وطنه. وكل ما سبق داخل في مفهوم الآية ، والله تعالى أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَصَّوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَّصَّوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾.

أي: ثم إن ذلك المقتحم للعقبة إضافة إلى ما سبق من الأوصاف الجميلة فهو مؤمن يوصف بالتحلي برفيع الإيمان في قلبه ، وجميل الأعمال على جوارحه ، مع الاحتساب ثواب الابتلاء عند ربه ، ورحمته عباد الله جميعاً.

(1) حديث صحيح. أخرجه ابن ماجة في السنن - حديث رقم - (1334) ، (3251) ، والترمذي. انظر صحيح سنن الترمذي (2019).

(2) حديث صحيح. أخرجه الترمذي (658) ، أبواب الزكاة ، باب الصدقة على ذي القرابة. ورواه ابن ماجة (1844) ، كتاب الزكاة ، باب فضل الصدقة. وقد مضى.

وفي التنزيل نحو ذلك :

1 - قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾ [الإسراء: 19].

2 - وقال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: 1 - 3].

وفي الصحيحين عن جرير بن عبد الله مرفوعاً: [لا يرحم الله مَنْ لا يرحم الناس]⁽¹⁾.

وله شاهد صحيح رواه الحافظ العراقي عن أنس بن مالك مرفوعاً: [والذي نفسي بيده لا يضع الله رحمته إلا على رحيم]. قالوا: كلنا يرحم. قال: ليس برحمة أحدكم صاحبه، يرحم الناس كافة⁽²⁾.

وأخرج البخاري في الأدب المفرد بسند قوي عن عبد الله بن عمرو يرفعه: [مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرَنَا، فَلَيْسَ مِنَّا]⁽³⁾.

وأخرج الديلمي بسند حسن في الشواهد عن معقل بن يسار مرفوعاً: [أفضل الإيمان الصبر والسماحة]⁽⁴⁾.

وقوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾. أي المتصفون بهذه الصفات هم أصحاب اليمين، الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم. وقال يحيى بن سلام: (لأنهم ميامين على أنفسهم).

وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ ﴾. أي: أصحاب الشمال. قال محمد بن كعب: (أي يأخذون كتبهم بشمائيلهم). قال يحيى بن سلام: (لأنهم مشائيم على أنفسهم).

وقوله تعالى: ﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴾. قال ابن عباس: (مغلقة الأبواب).

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (7376)، ومسلم (319)، وأحمد (562/4).

(2) حديث صحيح. أخرجه الحافظ العراقي في «المجلس 86 من الأمالي» (77/2)، وله شاهد عند ابن المبارك في «الزهد» (203/1). وانظر «الصحيحة» (167).

(3) حديث حسن. أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (355)، وأبو داود في السنن، (4943)، والترمذي (1920)، وهو حديث قوي وله شواهد.

(4) حسن لغيره. أخرجه الديلمي (128/1/1)، وابن أبي شيبة في «الإيمان» (43).

وقال سعيد بن جبیر: (أي مُطَبَّقةً). وقال مجاهد: (أَصَد الباب بلغة قريش: أي أغلقه). وقال الضحاك: ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾: حِيطُ لا باب له).
وقال قتادة: ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾: مطبقة فلا ضوءَ فيها ولا فُرَجَ ، ولا خروج منها آخر الأبد).

قلت: وفي الصحاح: أَوْصَدْتُ البابَ وَأَصَدَّتْهُ أَي أَغْلَقْتُهُ .
والمقصود: تُطَبَّقُ أبواب النار وتغلق على الكفار ، لحبسهم فيها ، وسدّ سبل الخلاص منها ، أعاذنا الله والمؤمنين من نار جهنم ، بفضلِهِ ورحمته وكرمه .

تم تفسير سورة البلد

بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ ، وَوِاسِعِ مَنْهُ وَكَرَمِهِ

عصر يوم الأحد 25 - ذي القعدة - 1426 هـ

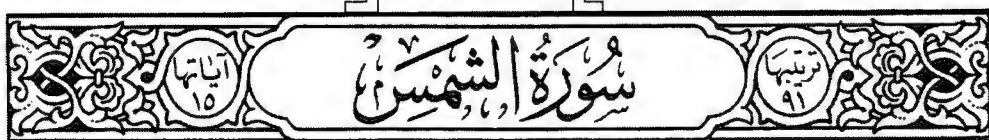
الموافق 25/ كانون الأول / 2005 م

دروس ونتائج وأحكام

- 1- أقسم الله بالبلد الحرام ، تشریفاً لنبيه المقيم فيه عليه الصلاة والسلام .
- 2- الكبد من المكابدة ، والعرب تقول كبد الرجل كبدًا إذا وجعت كبده وانتفخت ، ثم استعمل في كل تعب ومشقة .
- 3- النجد: الطريق المرتفع الواضح ، ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ : أي طريق الخير وطريق الشر .
- 4- العقبة: موانع الطاعة ، من النفس والهوى والشيطان وغير ذلك .
- 5- من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله منه بكل عضوٍ منه عضوًا من النار ، حتى يُعْتَقَ فَرْجُهُ بِفَرْجِهِ .
- 6- السَّعْبُ: الجوع ، والمسغبة: المجاعة ، والساغب: الجائع .
- 7- الصدقة على المسكين صدقة ، وهي على ذي الرحم ثنتان: صدقة وصلة .
- 8- من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف حق كبيرنا ، فليس منا .



91



وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (15).

فضائلها وما ورد في ذكرها :

لقد ورد في ذكرها أحاديث من السنة الصحيحة :

الحديث الأول: أخرج البخاري ومسلم من حديث جابر قال: [مر رجل من الأنصار بناضحين⁽¹⁾ على معاذ ، وهو يصلي المغرب ، فافتتح بسورة البقرة ، فصلى الرجل ثم ذهب . فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: أَفْتَانُ يَا مُعَاذُ ، أَفْتَانُ يَا مُعَاذُ ، أَلَا قَرَأْتَ بِـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ و﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ونحوهما]⁽²⁾.

الحديث الثاني: أخرج الترمذي بسند صحيح عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: [كان رسول الله ﷺ يقرأ في العشاء الآخرة بـ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ونحوها من السور]⁽³⁾.

الحديث الثالث: أخرج البخاري والنسائي عن جابر قال: [صلى معاذ بن جبل لأصحابه العشاء ، فطول عليهم ، فانصرف رجل منا . فأخبر مُعَاذُ عنه ، فقال: إنه مُنافق . فلما بلغ ذلك الرجل ، دخل على النبي ﷺ فأخبره بما قال معاذ . فقال النبي

(1) الناضح: الجمل الذي يخرج الماء من البئر.

(2) حديث صحيح. أخرجه البخاري (705) ، ومسلم (465) ح (179) ، وانظر صحيح سنن النسائي (941) - في الصلاة - باب القراءة في المغرب بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾.

(3) حديث صحيح. أخرجه الترمذي (309) . باب ما جاء في القراءة في صلاة العشاء.

ﷺ: أتريدُ أن تكون فتاناً يا معاذُ ، إذا أممتَ الناسَ فاقراً بـ ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ و﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ و﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾ و﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾⁽¹⁾.

الحديث الرابع: أخرج النسائي بسند صحيح عن أبي هريرة قال: [ما صليت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله ﷺ من فلان ، فصلينا وراء ذلك الإنسان ، وكان يطيل الأولين من الظهر ، ويخفف في الآخرين ، ويخفف في العصر ، ويقرأ في المغرب بقصار المفصل ، ويقرأ في العشاء بـ ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ وأشباهها]⁽²⁾.

موضوع السورة

القسم بالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض
أن سعادة النفس في الدارين لمن زكاها ، والشقاوة لمن دساها

- منهاج السورة -

- ١ - قَسَمُ الله تعالى بالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض والنفس أن الفلاح بتزكية هذه النفس والشقاء لمن دساها.
- 2 - الإخبار عن تكذيب ثمود وطغيانهم ، وخروج أشقاهم لعقر الناقة التي حذرهم نبهم .
- 3 - مقابلة الله تعالى لهم بالغضب والانتقام ، وإنزال العقاب والآلام .

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري ومسلم من حديث جابر كما مضى . وانظر صحيح النسائي (954).

(2) حديث صحيح . انظر صحيح سنن النسائي (940) . باب القراءة في المغرب بقصار المفصل .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 10. قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ۝٢ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ۝٣ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَدَّهَا ۝٥ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَّهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝١٠﴾.

في هذه الآيات: يقسم الله تعالى بالشمس ذلك الخلق العظيم ، ويقسم بضوئها مبعث الحياة في عالمها الفخيم . ويقسم بالقمر والنهار والليل والسماء والأرض والنفس ومن خلقها في أحسن تقويم ، أن الفلاح والسعادة لمن زكاها ، والخيبة والشقاء لمن دساها .

فقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا﴾ . قَسَمَ من الله بالشمس ونهارها . فإن الضحا وقت ارتفاع الشمس بعد طلوعها إذا تَمَّ ضياؤها . فهما قَسَمَانِ : أقسم الله بالشمس ، وأقسم بضحا الشمس . قال مجاهد: ﴿وَضُحَاهَا﴾ أي ضوؤها وإشراقها . وقال قتادة: (بهاؤها) . وقال السدي: (حرها) . وروى الضحاك عن ابن عباس: ﴿وَضُحَاهَا﴾ قال: جعل فيها الضوء وجعلها حارة) .

وقوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا﴾ . أي: إذا تبعها بعد غروب الشمس . فهو قسم بالقمر عند امتلائه أو قربه من الامتلاء . إذ يضيء الليل كله مع غروب الشمس إلى الفجر . وهذا في الحقيقة قسم بالضياء في طور آخر من أطواره . وعن ابن عباس: ﴿وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا﴾ قال: يتلو النهار) . وقال قتادة: ﴿تَلَّهَا﴾ ليلة الهلال ، إذا سقطت الشمس رُئيَ الهلالُ) . وقال ابن زيد: (هو يتلوها في النصف الأول من الشهر ، ثم هي تتلوه . وهو يتقدمها في النصف الأخير من الشهر) .

وقوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا﴾ . قَسَمَ من الله بالنهار إذا جَلَّى الشمس ، وذلك أن الشمس عند انبساط النهار تنجلي تمام الانجلاء . وعن مجاهد: ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا﴾ قال: أضاء) . وقال قتادة: (إذا غشيها النهار) . وقيل: والنهار إذا جَلَّى البسيطة ، كقوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى﴾ - ذكره مجاهد .

قال القاسمي: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ أظهر الشمس. وذلك عند انتفاخ النهار وانبساطه. لأن الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء). قلت: وهذه الأقسام كلها في تعظيم النور والضياء ليلفت الإنسان إلى قيمة هذه النعمة الجليلة وآثارها في الإيمان والعلم، والنور والهداية في القلب، وإشراق النفس.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾. قَسَمٌ من الله بالليل إذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق. قال القرطبي: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ أي يغشى الشمس، فيذهب بضوئها عند سقوطها، قاله مجاهد وغيره. وقيل: يغشى الدنيا بالظلم، فتظلم الآفاق. فالكنية ترجع إلى غير المذكور).

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾. فيه تأويلان حسب وقوع «ما» من الإعراب:

التأويل الأول: «ما» مصدرية. والتقدير: والسماء وبنائها، أو: والسماء وبنائها. كقوله تعالى: ﴿يَمَّا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ [يس: 27] أي بغفران ربي. قال قتادة: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ وبنائها: خلقها).

التأويل الثاني: «ما» بمعنى «مَنْ». والتقدير: والسماء وبنائها، أو: والسماء ومَنْ بناها. قال مجاهد: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ قال: الله بنى السماء). قلت: واختار التأويل الثاني ابن جرير، وكلا التأويلين صحيح.

وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا﴾. الطَّحُو: البسط - قال الجوهري: طَحَوْتُهُ مِثْلَ دَحَوْتُهُ، أي: بسطته. - والمقصود: قَسَمٌ من الله بالأرض التي بُسِطت من كل جانب. وعن مجاهد: ﴿وَمَا طَحَّهَا﴾ دحأها). وعن ابن عباس: ﴿وَمَا طَحَّهَا﴾ أي: خلق فيها). أو قال: (قَسَمَهَا). وقال ابن زيد: (بَسَطَهَا).

قلت: ومفهوم الطَّحُو والدَّحُو للأرض يفيد بسطها وتمهيدها للسكنى للضرب في أكنافها والتقلب في أقطارها، كما يشير اللفظ إلى كروية شكلها، والله تعالى أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾. قَسَمٌ من الله تعالى بالنفس وتسويتها، أو بالنفس ومن سواها، حسب وقوع «ما» من الإعراب كما سبق. والمعنى: يقسم تعالى بالنفس التي أنشأها وسوى أعضائها وركب فيها الروح، وأودعها القوى النفسية الهائلة، والإدراكات الحسية العجيبة، وجعلها مستقيمة على الفطرة القويمة.

وفي التنزيل نحو ذلك :

1 - قال تعالى : ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [الروم : 30] .

2 - وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين : 4] .

3 - وقال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل : 78] .

ومن صحيح السنة العطرة في آفاق هذه الآية أحاديث :

الحديث الأول : أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : [كُلُّ مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو يُنصرانه ، أو يُمجسانه ، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسُّون فيها من جدعاء] ⁽¹⁾ .

الحديث الثاني : أخرج البخاري عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : [نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ] ⁽²⁾ .

الحديث الثالث : خرَّج مسلم في الصحيح ، وأحمد في المسند ، عن عياض بن حمَّار قال : قال رسول الله ﷺ : [قال الله عز وجل : إني خلقت عبادي حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم] ⁽³⁾ .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ . أي عرَّفها طريق الفجور وطريق التقوى ومأل كل منهما . قال ابن عباس : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ : بَيَّنَّ لها الخير والشر . وقال سعيد بن جبير : (ألهمها الخير والشر) . وقال مجاهد : (عرَّفها الطاعة والمعصية) . وقال ابن زيد : (جعل فيها فجورها وتقواها) .

وفي صحيح مسلم عن أبي الأسود الدِّيلِّي قال : قال لي عمران بن الحُصَيْن : أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ وَيَكْدَحُونَ فِيهِ ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى عَلَيْهِمْ مِنْ قَدَرٍ مَا سَبَقَ؟ أَوْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيُّهُمْ وَبَيَّتَ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ؟ فَقُلْتُ : بل شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ ، وَمَضَى عَلَيْهِمْ ، قَالَ : فَقَالَ : أَفَلَا يَكُونُ ظُلْمًا؟ قَالَ : فَفَزِعْتُ مِنْ ذَلِكَ فَرَعَا

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري (4775) ، ومسلم (2658) ، وأحمد (253/2) ، وغيرهم .

(2) حديث صحيح . أخرجه البخاري في الصحيح (6412) - كتاب الرقاق .

(3) حديث صحيح . أخرجه مسلم (2865) ، وأحمد (266/4) ، وابن حبان (653) ، وغيرهم .

شديداً ، وقلتُ : كُلُّ شَيْءٍ خَلَقَ اللهُ وَمِلْكُ يَدِهِ ، فلا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وهم يُسْأَلُونَ . فقال لي : يَرْحَمُكَ اللهُ ! إني لَمْ أُرِدْ بما سَأَلْتُكَ إِلَّا لِأَحْزَرَ عَقْلَكَ ⁽¹⁾ ، إِنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ مُرِيَّتِي أَتَيَا رسولَ اللهِ ﷺ فقالا : يا رسولَ اللهِ ! أَرَأَيْتَ ما يَعْمَلُ الناسُ اليومَ ، وَيَكْذِبُونَ ⁽²⁾ فيه ، أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ مِنْ قَدَرٍ قَدْ سَبَقَ ؟ ، أَوْ فيما يُسْتَقْبَلُونَ بِهِ مِنْ أَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ نَبِيَّهُمْ ، وَبَيَّتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ ؟ فقال : « لا ، بل شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ ، وتصديقُ ذلك في كتاب الله عز وجل : ﴿ وَنَقِيسَ وَمَأْسُوتَهَا ⁽³⁾ فَالْمَمَّا جُورَهَا وَتَقْوَنَهَا ﴾ ⁽³⁾ .

وقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ . هو جواب القسم . وأصل الزكاة : النمو والزيادة ، ومنه زكا الزرع ، إذا كثر ريعه ، ومنه تزكية القاضي للشاهد ، لأنه يرفعه بالتعديل ، وذكر الجميل . قال القرطبي : (فمصطنع المعروف والمبادر إلى أعمال البر ، شَهَرَ نفسه ورفعها . وكانت أجواد العرب تنزل الرُّبَا وارتفاع الأرض ، ليشتهر مكانها للمُعْتَفِينَ ⁽⁴⁾ ، وتوقد النار في الليل للطارقين . وكانت اللثام تنزل الأولاج والأطراف والأهضام ⁽⁵⁾ ، ليخفي مكانها عن الطالبين . فأولئك عَلَوْا أنفسهم وزَكَّوها ، وهؤلاء أَخَفَوْا أنفسهم ودَسَّوها) .

وفي الآية تأويلان متكاملان يقتضيهما الإعجاز البياني للقرآن :

التأويل الأول : قد أفلح من زكى نفسه بطاعة الله ، وطهرها من الأخلاق الدنيئة والردائل . قال قتادة : (من عمل خيراً زكّاها بطاعة الله) . وقال أيضاً : (قد أفلح من زكى نفسه بعمل صالح) . وهذا المعنى كقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ ⁽¹⁵⁾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿ [الأعلى : 14 - 15] .

التأويل الثاني : قد أفلح من زكى الله نفسه . وهو قول ابن عباس . وقال ابن جرير : (يقول : قد أفلح من زكى الله نفسه ، فكثرت تطهيرها من الكفر والمعاصي ، وأصلحها بالصالحات من الأعمال) .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ . قال أهل اللغة : (والأصل : دَسَّاهَا ، من

(1) لأَحْزَرَ عَقْلَكَ : أي لَأَمْتَحَنَ فهِمَكَ ومَعْرِفَتَكَ .

(2) الكدح : هو السعي في العمل ، سواء أكان للآخرة أم للدنيا .

(3) حديث صحيح . أخرجه مسلم (2650) - كتاب القدر ، وأخرجه أحمد (438/4) ، والطبري (37382) ، وأخرجه ابن أبي عاصم (174) ، وابن حبان (6182) .

(4) المعتفي : كل طالب فضل أو رزق .

(5) الأولاج : غار أو كهف . والأهضام : أسافل الأودية .

التدسيس ، وهو إخفاء الشيء في الشيء ، فأبدلت سينه ياء ، كما يقال : قَصَبْتُ أَظْفَارِي ، وأصله قَصَصْتُ أَظْفَارِي). ذكره القرطبي ، وقال : (وكذا الفاجر أبداً خَفِيَّ المكان ، زَمِرٌ⁽¹⁾ المروءة ، غامض الشخص ، ناكس الرأس بركوب المعاصي . وقيل : دساها : أغواها).

وللآية تأويلان متكاملان كما سبق :

التأويل الأول : قد خاب من أهمل نفسه وتركها تركب المعاصي والآثام ، وتخوض في معصية الرحمان . قال مجاهد : ﴿ وَفَدَّ خَابَ مَنْ دَسَّنَهَا ﴾ قال : أضلَّها). وقال سعيد بن جبير : (أغواها). وقال قتادة : (أثمها وأفجرها).

التأويل الثاني : قد خاب من دسَّى الله نفسه . قاله ابن عباس ، وابن زيد .

في صحيح السنة من آفاق هذه الآيات أحاديث :

الحديث الأول : أخرج ابن أبي عاصم بسند حسن عن أبي هريرة ، أنه سمع النبي ﷺ يقول : ﴿ فَالْتَمَمَهَا جُورَهَا وَتَقَوَّيْنَهَا ﴾ . قال : اللهم إيت نفسي تقواها . زكها أنت خير من زكاها . أنت وليها ومولاها⁽²⁾.

الحديث الثاني : أخرج الطبراني بسند حسن عن ابن عباس قال : [كان رسول الله ﷺ إذا مرَّ بهذه الآية ﴿ وَفَقِسْ وَمَا سَوَّيْنَهَا ﴾ فَالْتَمَمَهَا جُورَهَا وَتَقَوَّيْنَهَا ﴾ وقف ثم قال : اللهم آت نفسي تقواها ، أنت وليها ومولاها ، وخير من زكاها⁽³⁾.

الحديث الثالث : خَرَجَ مُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحِ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ قَالَ : لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ، قَالَ : [كَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ ! إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعِجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ ، وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، اللَّهُمَّ ! آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا ، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا ، اللَّهُمَّ ! إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا]⁽⁴⁾.

(1) الزمر : القليل .

(2) حديث حسن . أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (319). باب : في قوله عليه السلام : ﴿ فَالْتَمَمَهَا جُورَهَا وَتَقَوَّيْنَهَا ﴾ . وله شواهد ، وانظر ما بعده .

(3) حديث حسن . أخرجه الطبراني (11191) ، وقال الهيثمي في «المجمع» (7/ 138) : إسناده حسن .

(4) حديث صحيح . أخرجه مسلم (2722) - كتاب الذكر والدعاء ، باب في الأدعية .

11 - 15. قوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَيْهَا﴾ ﴿١١﴾ إِذْ أُنْبِئَتْ أَشَقُّهَا﴾ ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾ ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عِقَابَهَا﴾ ﴿١٥﴾.

في هذه الآيات: إخبار من الله تعالى عن تكذيب ثمود رسولهم ، بسبب ما كانوا عليه من بغيتهم وكبرهم وطغيانهم ، حتى انبعث أعتاهم وأشقاهم ، فعقر الناقة التي جعلها الله اختباراً لهم ، فقابلهم الله تعالى بغضبه وسخطه ، ونقمته وعقابه .

فقوله تعالى: ﴿كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَيْهَا﴾. الطغيان: مجاوزة الحد في المعاصي. قال ابن زيد: (بطغيانهم وبمعصيتهم). قال البخاري: (وقال مجاهد: ﴿بِطَغْوَيْهَا﴾: بمعاصيها). والمقصود: بسبب المعاصي والطغيان ، الذي حملهم على تكذيب نبي الرحمان ، صالح عليه الصلاة والسلام .

وقوله تعالى: ﴿إِذْ أُنْبِئَتْ أَشَقُّهَا﴾. أي: حين قام أشقى ثمود ، أو أشقى البرية ، وهو قُدار بن سالف ، وهو أحيمر ثمود ، وكان عزيزاً في قومه شريفاً نسبياً رئيساً مطاعاً ، فعقر الناقة. ومعنى انبعث: انتدب لذلك وقام به .

وفي التنزيل نحو ذلك:

1 - قال تعالى: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ﴾ [القمر: 29].

2 - وقال تعالى: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [الأعراف: 77].

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن زَمْعَةَ: [أنه سمع النبي ﷺ يَخْطُبُ وذكّر الناقة والذي عَقَرَ ، فقال رسول الله ﷺ: ﴿إِذْ أُنْبِئَتْ أَشَقُّهَا﴾: انبعث لها رجلٌ عزيزٌ عارِضٌ مَنِيعٌ في رَهْطِهِ مِثْلُ أَبِي زَمْعَةَ] (1).

وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾. قال قتادة: (قسم الله الذي قسم لها من هذا الماء). والمقصود: فقال لهم رسول الله - صالح عليه الصلاة والسلام - احذروا ناقة الله وذروها ، وأعطوها حقها من شربها من الماء ، فلا تتعرضوا لها يوم شربها .

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري (4942) - كتاب التفسير . سورة: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾.

وقوله: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾. أي: فكذبوا صالحاً عليه السلام فيما جاءهم به من الحق، حتى حملهم تكذيبهم على عقر الناقة التي أخرجها من الصخرة آية لهم وحنة عليهم. قال القرطبي: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي عقرها الأشقى. وأضيف إلى الكل، لأنهم رضوا بفعله).

وقوله: ﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾. دَمَدَمْتُ الشيء - في لغة العرب - أي ألزقته بالأرض وطَخَطَحْتُهُ. ودمدم الله عليهم: أي أهلكهم. قال القشيري: (وقيل: دَمَدَمْتُ على الميت التراب: أي سَوَّيْتُ عليه⁽¹⁾). والمقصود: أهلكهم الله وأطبق عليهم العذاب، فسَوَّى الأرض عليهم فجعلهم تحت التراب.

وعن ابن عباس: ﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ﴾ قال: دَمَرَ عليهم ربهم بذنوبهم، أي بجرمهم). وقال الفراء: (دمدم: أي أرجف). وقال المؤرج: (الدمدمة: إهلاك باستئصال). وقيل: حقيقة الدمدمة تضعيف العذاب وترديده. وكل ما سبق يقارب بعضه بعضاً.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾. فيه تأويلان:

التأويل الأول: لا يخاف من عقر الناقة عاقبة ما أقدم عليه. قال الضحاك: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ قال: لم يَخَفِ الذي عَقَرَهَا عقباها). وقال السدي: (لا يخاف الذي صنع عقبي ما صنع).

التأويل الثاني: لا يخاف الله عاقبة ولا تبعة مما فعل بهم، فهو العظيم الجبار الذي يخافه كل شيء. قال ابن عباس: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ قال: لا يخاف الله من أحد تبعة). وقال الحسن: (ذاك ربنا تبارك وتعالى، لا يخاف تبعة مما صنع بهم). وقال أيضاً في رواية: (ذاك الرب صنع ذلك بهم، ولم يخف تبعة). وقال قتادة: (لا يخاف أن يُتَّبَعَ بشيء مما صنع بهم). وعن مجاهد: (الله لا يخاف عقباها).

قلت: والتأويل الثاني هو الأنسب للسياق، والمقصود الاستهزاء بهم وبالطغاة من أمثالهم، إذ كان ينبغي لهم تعظيم أمر الله والخوف منه قبل أن يدكهم العذاب، أما وَلَمْ يَفْعَلُوا فإن الله تعالى أنزل نعمته بهم، وانتصر لرسله منهم، وهو العزيز الجبار المنتقم الذي لا يمانعه أحد، ولا يخشى تبعة فعله من أحد.

(1) وقيل: دَمَدَمْتُ على الشيء: أطبقت عليه، ودمم عليه القبر: أطبقه.

وقد قرأ أهل الحجاز والشام: ﴿فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ بالفاء ، وقرأته قراء العراق بالواو ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ وهو الأشهر ، وكلا القراءتين معروف في الأمصار ، والله تعالى أعلم .

تم تفسير سورة الشمس

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منّه وكرمه

عصر يوم الثلاثاء 27 ذي القعدة 1426 هـ

الموافق 27 / كانون الأول / 2005 م

دروس ونتائج وأحكام

- 1- كان رسول الله ﷺ يقرأ في العشاء الآخرة بـ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ونحوها من السور .
 - 2- كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .
 - 3- كان رسول الله ﷺ يدعو يقول: اللهم إيت نفسي تقواها ، زكّها أنت خير من زكّاها ، أنت وليها ومولاها .
 - 4- ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي عقرها الأتقى . وأضيف إلى الكل ، لأنهم رضوا بفعله . وكذلك كل عمل يرضى به الإنسان من أعمال البر أو الإفساد يلحقه ثوابه أو وزره .
- وفي الحديث: [إذا عملت الخطيئة في الأرض ، كان من شهدها فكرها كمن غاب عنها ، ومن غاب عنها فرضيها كأن كمن شهدها] - رواه أبو داود بسند حسن عن العرس بن عميرة .

92

سُورَةُ اللَّيْلِ

آياتها ٢١

ترتيبها ٩٢

وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (21) .

فضائلها وما ورد في ذكرها :

لقد ورد في ذكرها أحاديث من السنة الصحيحة :

الحديث الأول: أخرج البخاري والنسائي عن جابر قال: [صلى معاذ بن جبل لأصحابه العشاء ، فطَوَّلَ عليهم ، فانصرف رجل منا . فَأُخْبِرَ مُعَاذٌ عَنْهُ ، فقال : إنه مُنَافِقٌ . فلما بلغ ذلك الرجل ، دخل على النبي ﷺ فأخبره بما قال معاذ . فقال النبي ﷺ : أتريد أن تكون فِتْنَاناً يَا مُعَاذُ ، إِذَا أَمَمْتُ النَّاسَ فَأَقْرَأُ بِـ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ﴿١﴾ و﴿سَجِّ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ﴿١﴾ و﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ ﴿١﴾ و﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ ﴿١﴾] ⁽¹⁾ .

وفي رواية: [فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة] .

الحديث الثاني: أخرج أبو داود يسند صحيح عن جابر بن سمرة قال: [كان رسول الله ﷺ ، إِذَا دَخَصْتُ الشَّمْسُ صُلَى الظَّهْرَ ، وقرأ بنحو من ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ ﴿١﴾ ، والعصر كذلك ، والصلوات إلا الصبح ، فإنه كان يطيلها] ⁽²⁾ .

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري ومسلم من حديث جابر كما مضى . وانظر صحيح النسائي (954) .

(2) حديث صحيح . أخرجه أبو داود في السنن (806) . انظر صحيح أبي داود (723) ، ورواه مسلم .

موضوع السورة

القسم بالليل والنهار وبالجنسين ، أن سعي العباد ومصيرهم
شتى في الدارين

- منهاج السورة -

- 1 - قَسَمُ الله تعالى بالليل وغشيانه ، وبالنهار وضياؤه ، وبالجنسين الذكر والأنثى ، أنَّ سَعْيَ العباد شتى .
- 2 - الثناء على الأتقياء المؤمنين المنفقين في وجوه الخير والوعد لهم بجنات النعيم ، والتقريع على المنافقين المكذبين الذين ييخلون والوعيد لهم بصلي الجحيم .
- 3 - العون من الله تعالى لطالب الهدى واليقين ، وكل ما في هذا الكون ملك لله العظيم .
- 4 - النار مستقر أهل الشقاء الذين استحقوا العقاب ، والنجاة لأهل السعادة الذين استحقوا الثواب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- 1 - 11. قوله تعالى : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ۚ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ۚ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۚ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ۚ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۚ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۚ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ۚ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۚ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۚ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ۚ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ۚ ۞ ﴾

في هذه الآيات : يقسم الله تعالى بالليل إذا غشي الخليقة بظلامه ، وبالنهار إذا ظهر بضياؤه وإشراقه ، وبالجنسين الذكر والأنثى من خلقه ، أن سعيكم أيها الناس مختلف في ماله ومصيره ، فمنه عمل للجنة ، ومنه عمل للنار ، فساع في فكاك نفسه ، وساع

في عطبها . فأما من بذل ماله في وجوه الخير واتقى محارم الله التي نهى عنها ، وصدق بموعد الله بالثواب والجنة فسييسره الله للخصلة اليسرى : العمل بطاعة الله والإنفاق في سبيله حتى بلوغ الجنة . وأما من بخل بالبذل والفضل واستغنى عن ربه ، وكذب بموعوده ، فسييسره الله للخصلة العسرى ، حتى تتعسر عليه أسباب الخير والصلاح ، ويضعف عن فعلها ، فيؤديه ذلك إلى النار .

فقوله تعالى : ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾ . قَسَمٌ من الله بالليل إذا وارى كل شيء بظلامه . قال القاسمي : (أي يغشى الشمس أو النهار بظلمته ، فيذهب بذلك الضياء) .

وقوله تعالى : ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى﴾ . قَسَمٌ من الله بالنهار إذا انكشف ووضح وظهر ، وبأن بضوئه عن ظلمة الليل . قال ابن كثير : (﴿وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى﴾ ، أي : بضياؤه وإشراقه) .

وقوله : ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ . فيه تأويلان ممكنان :

التأويل الأول : قَسَمٌ من الله عز وجل بنفسه . قال الحسن : (معناه والذي خلق الذكر والأنثى) .

التأويل الثاني : قَسَمٌ من الله تعالى بخلقه لجنسي الذكر والأنثى من بني آدم وغيرهم . فتكون «ما» مصدرية كما سبق .

أخرج البخاري في صحيحه عن إبراهيم ، عن علقمة قال : [دَخَلْتُ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّامِ فَسَمِعَ بَنَى أَبُو الدَّرْدَاءِ فَاتَانَا فَقَالَ : أَفِيكُمْ مَنْ يَقْرَأُ؟ فَقُلْنَا : نَعَمْ . قَالَ : فَأَيُّكُمْ أَقْرَأُ؟ فَأَشَارُوا إِلَيَّ ، فَقَالَ : أَقْرَأُ ، فَقَرَأْتُ ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾ . وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى . وَالذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ قَالَ : أَنْتَ سَمِعْتَهَا مِنْ فِي صَاحِبِكَ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : وَأَنَا سَمِعْتُهَا مِنْ فِي النَّبِيِّ ﷺ ، وَهَؤُلَاءِ يَأْبُونَ عَلَيْنَا] (1) .

وأخرج البخاري ومسلم عن الأعمش عن إبراهيم قال : [قَدِمَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ فَطَلَبَهُمْ فَوَجَدَهُمْ فَقَالَ : أَيُّكُمْ يَقْرَأُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : كُلُّنَا ، قَالَ : فَأَيُّكُمْ يَحْفَظُ؟ وَأَشَارُوا إِلَى عَلْقَمَةَ ، قَالَ : كَيْفَ سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ : ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾؟ قَالَ علقمة : ﴿وَالذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ قَالَ : أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ بِهَذَا ، وَهَؤُلَاءِ يَرِيدُونَنِي عَلَى أَنْ أَقْرَأُ : ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ وَاللَّهُ لَا أَتَابِعُهُمْ] (2) .

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري (4943) - كتاب التفسير - سورة الليل - آية (2) .

(2) حديث صحيح . أخرجه البخاري (4944) - كتاب التفسير - ، ومسلم (824) ح (282) . وانظر صحيح سنن الترمذي - حديث رقم - (2342) .

ورواه الترمذي وقال: (وهكذا قراءة عبد الله بن مسعود ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ والذكر والأنثى).

قلت: وهذه قراءة شاذة ، والقراءة المتواترة: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾. جواب القسم. والمعنى: إن عملكم لمختلف. أي: كما اختلفت هذه الأشياء المُقسَّم بها اختلف ما وقع عليه القسم. قال عكرمة: (السعي: العمل ، فسَّاعٍ في فكاك نفسه ، وسَّاعٍ في عطبها).

قال القرطبي: (و«شَتَّى»: واحده شتيت ، مثل مريض ومرضى. وإنما قيل للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعضه. أي إنَّ عملكم لمتباعد بعضه من بعض ، لأن بعضه ضلالة وبعضه هدى. أي فمنكم مؤمن وبر ، وكافر وفاجر ، ومطيع وعاصي. وقيل: ﴿لَشَتَّى﴾ أي لمختلف الجزاء ، فمنكم مثاب بالجنة ، ومعاقب بالنار. وقيل: أي لمختلف الأخلاق ، فمنكم راحم وقاس ، وحليم وطائش ، وجواد وبخيل ، وشبه ذلك).

وفي صحيح مسلم من حديث أبي مالك الأشعري مرفوعاً: [كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو ، فَبَايَعُ نَفْسَهُ ، فَمَعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا] (1).

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾. قال ابن عباس: (أعطى ما عنده واتقى. قال اتقى ربه). وقال قتادة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ حق الله ﴿وَاتَّقَى﴾ محارم الله التي نهى عنها).

وقوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾. قال ابن عباس: (وصدق بالخلف من الله). وقال عكرمة: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ قال: بأن الله سيخلف له). وقال الضحاك: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾: بلا إله إلا الله). وقال مجاهد: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ قال: بالجنة). وقال قتادة: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ قال: بموعد الله على نفسه ، فعمل بذلك الموعد الذي وعده الله). قلت: وجميع ما سبق من التأويل متقارب يكمل بعضه بعضاً.

وقوله تعالى: ﴿فَسَيَسِيرُ لِلْإِسْرَى﴾. قال ابن عباس: (يعني للخير). وقال زيد بن أسلم: (يعني للجنة). قال ابن جرير: (يقول: فسنيهيته للخلة اليسرى ، وهي العمل بما يرضاه الله منه في الدنيا ، ليوجب له به في الآخرة الجنة).

(1) حديث صحيح. أخرجه مسلم (223) - كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء. وقد مضى.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾. قال ابن عباس: (بخل بما عنده ، واستغنى في نفسه). وقال أيضاً: (وأما من بخل بالفضل ، واستغنى عن ربه).

وقال كذلك: (يقول: من أغناه الله ، فبخل بالزكاة). وقال قتادة: (وأما من بخل بحق الله عليه ، واستغنى في نفسه عن ربه).

وقوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى﴾. قال ابن عباس: (وكذب بالخلف من الله). وقال قتادة: (وكذب بموعد الله الذي وعد). وقال الضحاك: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى﴾ بلا إله إلا الله. وقال مجاهد: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى﴾ قال: بالجنة).

وقوله: ﴿فَسَيُصْرَبُ لِلْمُصْرَبِ﴾. أي لطريق الشر ، وللضياع والخذلان ، وطريق صلي النيران.

وفي التنزيل نحو ذلك:

1 - قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: 110].

2 - وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: 5].

3 - وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ [غافر: 34].

وفي صحيح السنة العطرة في آفاق هذه الآيات أحاديث:

الحديث الأول: أخرج البخاري في صحيحه عن علي رضي الله عنه قال: [كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فِي جَنَازَةٍ ، فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَفَلَا نَتَكَلَّمُ؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مُسِيرٍ» ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ وَصَدَّقَ بِالْحَسَنَى ﴿إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لِلْمُصْرَبِ﴾ (1).

الحديث الثاني: أخرج البخاري ومسلم وأهل السنن عن علي رضي الله عنه قال: [كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ ، فَأَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ ، فَكَسَّرَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ. ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ ، وَمَا مِنْ نَفْسٍ مَنُفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ». قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَفَلَا نَتَكَلَّمُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدْعُ الْعَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُصِيرُ

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري في الصحيح (4945). كتاب التفسير - سورة الليل - آية (5).

إلى أهل السعادة ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ . قال : «أما أهل السَّعَادَةِ فَيُيَسِّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وأما أهل الشَّقَاوَةِ فَيُيَسِّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ» . ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَّ ۚ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ ﴾ [الآية (1)] .

الحديث الثالث: أخرج مسلم في الصحيح ، وابن جرير في التفسير ، عن جابر قال : [جاء سُراقَةُ بْنُ مَالِكٍ بن جُعْثَمٍ قال : يا رسول الله ! بَيَّنْ لَنَا دِينَنَا كَأَنَّا خُلِقْنَا الْآنَ ، فِيمَ الْعَمَلِ الْيَوْمَ؟ أفيما جَفَّتْ به الأَقْلَامُ وَجَرَتْ به المقاديرُ ، أم فيما نَسْتَقْبِلُ؟ قال : «لا ، بَلْ فيما جَفَّتْ به الأَقْلَامُ وَجَرَتْ به المقاديرُ» قال : ففيم الْعَمَلُ؟ فقال : «اعملوا فكلُّ مُيَسَّرٍ»] (2) .

وفي رواية : [كل عامل مُيَسَّرٌ لِعَمَلِهِ] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ۝ ﴾ . قال مجاهد : (أي : إذا مات) . وقال زيد بن أسلم : (إذا تردى في النار) . والمعنى : وأي شيء يدفع مال هذا الذي بخل بماله واستغنى عن ربه إذا هو قضى ، ثم سقط في جهنم وهوى ، إنه لا ينفعه ماله يومئذ شيئاً .

12 - 21 . قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ۝ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ۝ ﴾ فَأَنْذَرْتَكُمْ نَارًا تَلْظَى ۝ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ۝ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۝ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ۝ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ۝ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ۝ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ۝ ﴾ (21) .

في هذه الآيات : طالب الهدى يلقي العون من الله الكريم ، فجميع ما في الدنيا والآخرة ملك لله العظيم ، وهذه النار مستقر أهل الشقاء الذين استحقوا العقاب ، وسيجنبها أهل السعادة الذين استحقوا أحسن الثواب .

فقوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ۝ ﴾ . قال قتادة : (يقول : على الله البيان ، بيان حلاله

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري (4948) - كتاب التفسير . وأخرجه مسلم (647) ح (6) ، وأخرجه أبو داود في السنن (4694) ، والترمذي في الجامع (2136) ، و (3344) ، والنسائي في «التفسير» (698) ، وأخرجه ابن ماجة في السنن (78) .

(2) حديث صحيح . أخرجه مسلم (2648) - كتاب القدر ، وأخرجه الطبري (37478) .

وحرامه ، وطاعته ومعصيته). وقال الفراء : (من سلك الهدى فعلى الله سبيله ، يقول : من أراد الله فالله على الطريق ، من أراده اهتدى إليه). والمقصود : على الله بيان الحلال والحرام ، ومن سلك طريق الهدى وصل إلى الرحمان ، كما قال جلت عظمتة : ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل : 9].

وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾. أي : لنا كل ما في الآخرة وكل ما في الدنيا ، نتصرف به كيف نشاء . فالجميع ملك له سبحانه وتعالى .

وقوله تعالى : ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾. أي : تتوقد وتتوهج . قال مجاهد : (توهج). قال القرطبي : ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ﴾ أي حذرتكم وخوفتكم . ﴿نَارًا تَلَظَّى﴾ أي تلهب وتتوقد . وأصله تتلظى).

وفي مسند الإمام أحمد على شرط مسلم ، عن سماك بن حرب قال : [سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول : سمعت رسول الله ﷺ يخطب يقول : «أَنْذَرْتُكُمْ النار ، أَنْذَرْتُكُمْ النار ، أَنْذَرْتُكُمْ النار» حتى لو أن رجلاً كان بالسوق لَسَمِعَهُ من مقامي هذا ، قال : حتى وقعت خميسة كانت على عاتقه عند رجله] (1).

وقوله تعالى : ﴿لَا يَصْلَحُهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾. قال ابن كثير : (أي : لا يدخلها دخولا تحيط به من جميع جوانبه إلا الأشقى). والمقصود : هو الكافر الشقي الذي يجد صلاها ، وهو حرّها ولهيبها ، ويخلد فيها .

وقوله تعالى : ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾. أي : كذب بالحق بقلبه ، وأعرض عن العمل بجوارحه . وقال النسفي : (إلا الكافر الذي كذب الرسل وأعرض عن الإيمان).

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : [كُلُّ أُمِّي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَبَى . قالوا : وَمَنْ يَأْبَى يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قال : من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى] (2).

وقوله تعالى : ﴿وَسَيَجَنَّبُهَا الْأَتَقَى﴾. قال ابن جرير : (يقول : وَسَيُوقَى صِلَى النَّارِ الَّتِي تَلْظَى التَّقَى).

وقوله تعالى : ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَرَكَّى﴾. يتزكى : أي يتطهر بهذا الإنفاق من الذنوب .

(1) حديث صحيح . أخرجه أحمد في المسند (4/ 272) ، وإسناده على شرط مسلم .

(2) حديث صحيح . أخرجه البخاري في الصحيح (7280) ، وأحمد في المسند (361/2) .

قال القاسمي : (أي ينفق ماله في سبيل الخير ، يتزكى عن رجس البخل ودانس الإمساك).

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدُكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ تَجُزَى ﴾ . أي : إنه لا يتصدق بماله ليجازي بصدقته نعمة لأحد من الناس عنده ويكافئه عليها .

وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ . قال قتادة : (يقول : ليس به مثابة الناس ولا مجازاتهم ، إنما عطيته لله) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ . أي : وتالله لسوف يرضى هذا المؤتي ماله في حقوق الله عز وجل يتزكى بذلك ، إذا لقي ربه تبارك وتعالى ، مما يلقي من رفيع الكرامة وعظيم الجزاء وروعة الاستقبال .

قلت : والجمهور على أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر رضي الله عنه ، وهذا حق تدل عليه الآثار والنصوص العطرة ، وإن كانت الآيات بعمومها تشمل كل مماثل بالبذل والصدق والجهاد .

لقد كان أبو بكر بحق فارس البذل في سبيل الله لاستنقاذ المؤمنين الأوائل من التعذيب والاضطهاد ، فلقد اشترى بلالاً فأعتقه كما يروي البخاري . وروى ابن أبي شيبة عن قيس بن أبي حازم قال : (اشترى أبو بكر بلالاً بخمس أواق وهو مدفون بالحجارة . قالوا : لو أبيت إلا أوقية لبعنا ، فقال لو أبيتم إلا مئة أوقية لأخذته) وهو مرسل صحيح (1) .

ويذكر إمام أهل المغازي عروة بن الزبير فيقول : (أعتق أبو بكر رضي الله عنه مَمَّنْ يَعْدَبُ في الله سبعة : عامر بن فهيرة ، وبلال ، ونذيرة ، وأم عُبَيْس ، والنهدية ، وأختها ، وجارية بني عمرو بن مؤمل) (2) .

ثم ذكر عروة : (أنَّ أبا بكر مرَّ بالنهدية ومولاتها تعذبها تقول : والله لا أُعْتِقُكَ حتى تعتقك حياتك . فقال أبو بكر : فبكم ؟ قالت : بكذا وكذا ، فقال : قد أخذتها وأعتقتها) (3) .

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (14/312) ، بإسناد صحيح .

(2) انظر مصنف ابن أبي شيبة (12/10) بسند مرسل صحيح . فهو صحيح الإسناد لعروة ، والذي كان يأخذ غالباً هذه الأخبار من خالته عائشة ، فمراسيله في السيرة قوية .

(3) أورده ابن إسحاق في «السير والمغازي» (191) من مرسل عروة . وانظر تفصيل البحث في كتابي : السيرة النبوية على منهج الوحيين (بحث 13) (1/220) .

وقد أخرج الحاكم في المستدرک بسند حسن: [أَنَّ أَبَا قحافة - عثمان بن عامر - قال لابنه أبي بكر: يا بني! أراك تعتق رقاباً ضعافاً. فلو أعتقت قوماً جلدأً يمنعونك؟ فقال: إني أريد ما أريد (أي أريد وجه الله لا المنعة) فنزلت الآية ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿فَسَيَسْـَٔرُهُ لِيُسْـَٔرَى﴾ (٧) وَأَمَّا مَنْ يُحِلْ وَأَسْتَفْتَى ﴿وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى﴾ (٩) فَسَيَسْـَٔرُهُ لِّلْعُسْرَى ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴿وَلَنَا لِّلْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ (١٣) فَأَنْذَرْتُمْ نَارًا تَلْظَنُ ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَرَكَّى ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِّعْمَةٍ تُجْزَى﴾ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (٢١) (١). والمقصود أبو بكر رضي الله عنه.

فكان - رضي الله عنه - ممن سارع لامتنال قوله عز وجل: ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نُّحَدِّثْهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾ [المزمل: 20].

وفي صحيح البخاري ومسند أحمد وسنن النسائي والترمذي عن أبي هريرة قال: [قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجِينَ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، وَلِلْجَنَّةِ أَبْوَابٌ ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَازِ». فقال أبو بكر - رضي الله تعالى عنه -: يا رسول الله ، ما على أحد من ضَرُورَةٍ دُعِيَ ، من أيها دُعِيَ ، فهل يُدْعَى مِنْهَا كُلُّهَا أَحَدٌ يا رسول الله؟ قال: «نعم ، وأرجو أن تكون منهم» (٢).

وفي صحيح البخاري من حديث أبي الدرداء ، قال النبي ﷺ: [إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت ، وقال أبو بكر: صدق ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟ مرتين ، فما أُوذِيَ بعدها] (٣).

تم تفسير سورة الليل

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

عصر يوم الأربعاء 28 - ذي القعدة - 1426 هـ

الموافق 28 / كانون الأول / 2006 م

- (1) حديث حسن . أخرجه الحاكم في «المستدرک» (2/ 525 - 526) بإسناد حسن .
- (2) حديث صحيح . أخرجه البخاري (1897) ، والنسائي (4/ 168 - 169) ، وأخرجه الترمذي (3674) ، وابن حبان (308) ، وغيرهم .
- (3) حديث صحيح . انظر صحيح البخاري (1451) - كتاب فضائل الصحابة .

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - السنة عدم الإطالة في صلاة العشاء ، فإذا أمت الناس فاقراً بـ ﴿وَالشَّمْسُ وَضَحَّهَا﴾ و﴿سَبَّحَ اسْمُ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ و﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى﴾ و﴿أَقْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ .
- 2 - السعي : العمل ، فسَّاعٍ في فكاك نفسه ، وسَّاعٍ في عطبها .
- 3 - «شَتَّى» : واحده شتيت ، وقيل للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعضه .
- 4 - أهل السعادة ييسرون لعمل أهل السعادة ، وأهل الشقاوة ييسرون لعمل أهل الشقاء . فكل عامل مُيسَّر لعمله .
- 5 - يدعى المؤمنون للجنة من أبواب مختلفة . فمن كان من أهل الصلاة دُعِيَ من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصدقة دُعِيَ من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دُعِيَ من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دُعِيَ من باب الريان .



93



وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (11).

أخرج النسائي في «التفسير والسنن» بإسناد صحيح عن جابر قال : [قام معاذُ فَصَلَّى العشاء الآخرةَ فَطَوَّلَ ، فقال النبي ﷺ : أَفْتَانُ يا معاذُ؟ أَفْتَانُ يا معاذُ؟! أَيْنَ كُنْتَ عن ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ و﴿وَالضُّحَى﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾] ⁽¹⁾.

موضوع السورة

القَسَمُ بالليل والنهار ، أن الله حافظ حبيبه سيد الأخيار

- منهاج السورة -

- 1 - قَسَمُ الله تعالى بالليل والنهار ، أنه ما وَدَّعَ حبيبه ورسوله سيد الأخيار .
- 2 - تأكيد الله لنبيه ﷺ أن الجنة خير له من هذه الدنيا ، وأنه سَيَمَكُّهُ ويعطيه من فضله حتى يرضى .

(1) حديث صحيح . أخرجه النسائي في «التفسير» (672) ، وفي «السنن» (831) ، (984) ، وانظر صحيح سنن النسائي (953) ، وأصل الحديث في الصحيحين .

3 - امتنان الله تعالى على نبيه الكريم ، أن آواه وهو يتيم ، وأغناه وهداه إلى الصراط المستقيم .

4 - وصية الله لنبيه الرحمة بالأيتام والمساكين ، والتحدث بنعمة الله العظيم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

11 - 1 . قوله تعالى : ﴿ وَالضُّحَى ۝۱ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ۝۲ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ۝۳ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ۝۴ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ۝۵ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۝۶ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝۷ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۝۸ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝۹ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝۱۰ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝۱۱ ﴾ .

في هذه الآيات : يُقَسِّمُ الله تعالى بالليل والنهار ، أنه ما وَدَّعَ حبيبه ورسوله سيد الأخيار ، وأن الجنة خير له من هذه الدنيا ، وأنه سَيُمَكِّنُهُ ويؤتیه من فضله حتى يرضى ، فلقد آواه في يتمه وهداه وأغنى ، ليكون لليتيم كالأب الرحيم ، ويكون رؤوفاً بالمساكين ، وليحدث بنعمة ربه العظيم .

أخرج الحاكم والبيهقي والطبراني بسند صحيح - واللفظ للحاكم - عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : [سَأَلْتُ رَبِّي مَسْأَلَةً وَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهُ ، قُلْتُ : يَا رَبِّ ! كَانَتْ قَبْلِي رَسُلٌ ، مِنْهُمْ مَنْ سَخَّرَتْ لَهُ الرِّيحَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُحْيِي الْمَوْتَى ، وَكَلَّمَتِ مُوسَى . قَالَ : أَلَمْ أَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَيْتُكَ ؟ أَلَمْ أَجِدْكَ ضَالًّا فَهَدَيْتُكَ ؟ أَلَمْ أَجِدْكَ عَائِلًا فَأَغْنَيْتُكَ ؟ أَلَمْ أَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ، وَوَضَعْتُ عَنكَ وَزْرَكَ ؟ قَالَ : فَقُلْتُ : بَلَى يَا رَبِّ ! فَوَدِدْتُ أَنْ لَمْ أَسْأَلْهُ]⁽¹⁾ .

فقوله تعالى : ﴿ وَالضُّحَى ۝۱ ﴾ . قَسَمَ من الله بالنهار . والضُّحَا اسم لوقت ارتفاع الشمس . قال قتادة : (﴿ وَالضُّحَى ۝۱ ﴾ ساعة من ساعات النهار) .

(1) حديث صحيح . أخرجه الحاكم (2/ 526) ، والبيهقي في «دلائل النبوة» (ج 2 - مخطوط) ، والطبراني في «المعجم الكبير» (3/ 155) ، وانظر السلسلة الصحيحة (2538) ، وإسناده صحيح .

وقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾. قَسَمٌ من الله بالليل إذا غطى كل شيء. قال الأصمعي: (سجى الليل تغطيته النهار، مثل ما يُسجى الرجل بالثوب). والعرب تقول: سجا الشيء أي سكن ودام. قلت: وكأن المقصود إقسام من الله تعالى بالنهار إذا أقبل، وبالليل إذا سيطر.

وعن ابن عباس: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ يقول: والليل إذا أقبل). وقال الحسن: (إذا لَبَسَ الناس، إذا جاء). وقال مجاهد: (إذا استوى). وقال قتادة: (سكن بالخلق). وقال الضحاك: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ يعني: استقراره وسكونه). وقال ابن زيد: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ قال: إذا سكن، قال: ذلك سجوه، كما يكون سكون البحر سجوه).

وقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾. هو جواب القسم. أي: ما قطعك ربك - يا محمد - قطع المودع، ولم يقطع عنك الوحي ﴿وَمَا قَلَى﴾ أي: وما أبغضك. والقلى في لغة العرب البُغْض، تقول: قَلَاهُ يَقْلِيهِ قَلَى وَقَلَاءً، بالفتح والمد. وعن ابن عباس: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ يقول: ما تركك ربك، وما أبغضك). وقال ابن زيد: (ما قلاك ربك وما أبغضك. قال: والقالي: المبغض).

أخرج البخاري ومسلم والنسائي والترمذي عن جُنْدُب بن سُفْيَانَ قال: [اشتكى رسول الله ﷺ فلم يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لَمْ أَرَهُ قَرَبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أو ثلاثاً، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالضُّحَى﴾ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿٣﴾] (١).

وأخرج الإمام مسلم في الصحيح عن الأسود بن قَيْس أنه سَمِعَ جُنْدُباً يقول: [أَبْطَأَ جِبْرِيلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فقال المشركون: قَدْ وُدَّعَ مُحَمَّدٌ، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالضُّحَى﴾ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿٣﴾] (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا آخِرَةَ خَيْرَ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾. أي: وللجنة خير لك - يا محمد - من هذه الدنيا، هذا مع ما قد أوتي في الدنيا من شرف النبوة وجمال الشوكة والتمكين في الأرض، ولكنه كان أزهد الخلق فيها.

أخرج ابن حبان في صحيحه، وأحمد في مسنده، بإسناد صحيح على شرط مسلم

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (1124)، ومسلم (1797)، والترمذي (3345)، وأخرجه النسائي في «التفسير» (701)، وأحمد في المسند (4/312).

(2) حديث صحيح. أخرجه مسلم في الصحيح (1797) ح (114) - كتاب الجهاد.

عن أبي زُرعة عن أبي هريرة قال: [جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء ، فإذا ملك ينزل ، فقال له جبريل: هذا المَلَكُ ما نزل منذ خُلِقَ قبل الساعة ، فلما نزل قال: يا محمد ، أرسلني إليك ربُّك: أملكاً أجعلك أم عبداً رسولاً؟ قال له جبريل: تواضع لربك يا محمد! فقال رسول الله ﷺ: لا ، بل عبداً رسولاً⁽¹⁾ .

وفي جامع الترمذي وسنن ابن ماجة ومسنند أحمد بسند صحيح عن علقمة ، عن عبد الله - وهو ابن مسعود - قال: [اضطجع رسول الله ﷺ على حصير ، فأثّر في جنبه ، فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت: يا رسول الله! ألا أذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئاً؟ فقال رسول الله ﷺ: «مالي وللدنيا؟ ما أنا والدنيا؟! إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظلّ تحت شجرة ثم راح وتركها»⁽²⁾ .

وقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ . أي: ولسوف يُمكنك ربك - يا محمد - ويعطيك من فواضل نعمه حتى ترضى ، فيشمل ذلك: الفتح في الدين ، والثواب والحوض والشفاعة لأمته في الآخرة .

أخرج الحاكم وابن جرير وابن أبي حاتم بسند حسن عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال: [عُرِضَ على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أُمته من بعده كنزاً كنزاً ، فسرّ بذلك ، فأنزل الله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ فأعطاه في الجنة ألف ألف قصر ، في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخُدام⁽³⁾ .

وفي رواية عند الطبراني في «الأوسط» - قال رسول الله ﷺ -: [عرض عليّ ما هو مفتوح لأمتي من بعدي فسرّني ، فأنزل الله: ﴿وَلَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾] .

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى﴾ . امتنان من الله سبحانه على نبيّه ﷺ أن رعاه منذ نعومة أظفاره . قال القرطبي: (قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً﴾: لا أب لك قد مات أبوك ، ﴿فَآوَى﴾ أي: جعل لك مأوى تأوي إليه عند عمك أبي طالب ، فكفلك) .

(1) حديث صحيح . أخرجه ابن حبان في صحيحه (2137) ، وأحمد في المسند (231/2) ، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (1002) .

(2) حديث صحيح . أخرجه الترمذي (2378) ، وابن ماجة (4109) ، وأحمد (441/1) .

(3) أخرجه الحاكم (526/2) ، والطبري (37513) ، والطبراني (10650) ، والواحدي في الأسباب (861) . وانظر: «الصحيح المسند من أسباب النزول» - الوادعي - سورة الضحى .

وقيل لجعفر بن محمد الصادق: (لم أوتِ النبي ﷺ من أبويه؟ فقال: لئلا يكون لمخلوق عليه حق).

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾. أي: غافلاً عما يراد بك من أمر النبوة فهداك الله وأرشدك لذلك. والضلال هنا بمعنى الغفلة، كما قال جل ذكره في سورة طه: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾، وكما قال لنبيه في سورة يوسف: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾.

وقيل: بل المراد وجدك ضالاً لم تكن تدري الشرائع ولا القرآن، فهداك الله إلى القرآن وإلى شرائع الإسلام، كما قال سبحانه في سورة الشورى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ...﴾. وقيل: بل المراد تششتك في قوم ضلال فهداهم بك سبحانه.

وعن قتادة: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ قال: كانت هذه منازل رسول الله ﷺ قبل أن يبعثه الله سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾. أي: وجدك فقيراً ذا عيال لا مال لك، فأغناك بما أعطاك من الرزق. والعرب تقول: عال الرجل يعيل عيلة: إذا افتقر. قال النسفي: ﴿فَأَغْنَىٰ﴾ فأغناك بمال خديجة، أو بمال أفاء عليك من الغنائم.

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾. قال قتادة: (كُنْ لِلْيَتِيمِ كَالْأَبِ الرَّحِيمِ). قال ابن كثير: (أي: كما كنت يتيماً فأواك الله فلا تقهر اليتيم، أي: لا تؤذله وتنهره وتؤهنه، ولكن أحسن إليه، وتلطّف به).

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾. قال ابن إسحاق: (أي: فلا تكن جباراً، ولا متكبراً، ولا فحاشاً، ولا فظاً على الضعفاء من عباد الله). وقال قتادة: (يعني ردّ المسكين برحمة ولين). وعن السدي: (المراد طالب العلم إذا جاءه فلا تنهره). والمقصود: لا تنهر السائل إذا سألَكَ، فكما كنت ضالاً فهداك الله، فافرق بطالب العلم المسترشد. وكما كنت فقيراً فأغناك الله، فأطعم السائل أو رده ردّاً ليناً.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾. أمر من الله لنبيه بالتحدث بنعمة الله عليه، وهو كذلك سنة في أمته.

فعن مجاهد: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ قال: بالنبوة. أي: حدث بالنبوة التي آتاك

الله وهي أجل النعم. وفي رواية عن مجاهد أيضاً: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ قال بالقرآن). والصحيح أنها تعم كل نعم الله عليه.

وروى ابن جرير بسنده عن أبي نضرة ، قال: (كان المسلمون يرون أنَّ مَنْ شَكَرَ النعم أن يحدث بها).

قلت: وهذا معنى مبسوط في روائع من السنة العطرة. ومن ذلك:

الحديث الأول: أخرج عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» ، وكذلك أحمد في المسند ، والبزار والطبراني بسند حسن عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ على المنبر: [مَنْ لَمْ يَشْكُرْ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرْ الْكَثِيرَ ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ. وَالتَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ شُكْرٌ ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ. وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ ، وَالْفِرْقَةُ عَذَابٌ] (1).

الحديث الثاني: أخرج أبو داود والترمذي بسند صحيح عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال: [لا يشكر الله من لا يشكر الناس] (2).

الحديث الثالث: أخرج أبو داود بسند حسن عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: [مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ بِهِ ، فَمَنْ أَثْنَى بِهِ فَقَدْ شَكَرَهُ ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ] (3).

الحديث الرابع: أخرج أبو داود وأبو نعيم بسند صحيح عن جابر ، عن النبي ﷺ قال: [من أبلي بلاء فذكره ، فقد شكره ، وإن كتّمه فقد كفره] (4).

الحديث الخامس: أخرج أبو يعلى بسند حسن من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً: [إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، وَيُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ] (5).

(1) حديث حسن. أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (375/4) ، وأخرجه أحمد في المسند (278/4) ، والبزار (1637) ، وقال الهيثمي في «المجمع» (217/5 - 218): رواه البزار والطبراني وعبد الله بن أحمد ، ورجالهم ثقات. وقد مضى.

(2) حديث صحيح. أخرجه أبو داود (4811) ، والترمذي (1955) ، والبخاري في «الأدب المفرد» (218) ، والطيالسي (2491) ، وأحمد (58/2) ، وابن حبان (3407).

(3) حديث حسن. أخرجه أبو داود (4813) ، وبنحوه الترمذي (2034). وله شواهد.

(4) حديث صحيح. أخرجه أبو داود (4814) ، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (259/1) ، وأخرجه ابن عساکر (1/302/16) ، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (618).

(5) حديث حسن. أخرجه أبو يعلى (1055) ، ولصدره شاهد في صحيح مسلم (91) ، من حديث ابن مسعود. وكذلك عند أبي داود (4091) ، والترمذي (1999).

الحديث السادس: أخرج النسائي وأحمد بسند صحيح عن مالك بن نضلة الجُشَمِيِّ قال: [كنت عند رسول الله ﷺ جالساً ، فرآني رَثَّ الثياب ، فقال: «ألك مال؟» قلت: نعم ، يا رسول الله ، من كل المال. قال: إذا أتاك الله مالاً فليُرْ أثره عليك] (1).

تم تفسير سورة الضحى

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

عشاء يوم الخميس 29 - ذي القعدة - 1426 هـ

الموافق 29 / كانون الأول / 2005 م

دروس ونتائج وأحكام

- 1- سجو الليل تغطيته النهار ، والقلبي : البُغْض .
- 2- ما الدنيا في الآخرة إلا كراكب ظلّ تحت شجرة ثم راح وتركها .
- 3- إذا أردت تليين قلبك فامسح رأس اليتيم ، وأطعم المسكين .
- 4- مَنْ لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، والتحدث بنعمة الله شكر ، وتركها كفر .
- 5- إن الله جميل يحب الجمال ، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده .



(1) أخرجه النسائي (8/196) ، وأحمد (3/373) ، وهو حديث صحيح. انظر جامع الأصول (10/8288) - من حديث مالك بن نضلة ، وله شواهد. وانظر ما قبله.

94



وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (8) .

موضوع السورة

انْشِراحُ صدر النبي عليه الصلاة والسلام
وإِتِّباعُ الله العسر باليسر والوصية بالتفريغ للعبادة والدعاء والقيام

- منهاج السورة -

- 1 - تذكيرُ الله تعالى نبيِّه ﷺ ببعض نعمه عليه كشرح الصدر ، ووضع الوزر ، ورفع الذكر .
- 2 - تقرير الله تعالى سنة من سننه العظيمة ، وهي : إنَّ مع العسر يسراً .
- 3 - الوصية بالتفريغ للعبادة والقيام والدعاء ، بعد الفراغ من الجهاد والبلاغ والبلاء .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 8. قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ١ وَوَضَعْنَا عَنكَ ٢ وِزْرَكَ ٣ الَّذِي ٤ أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ٥ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ٦ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ٧ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ٨ فَإِذَا فَرَغْتَ ٩ فَانصَبْ ١٠ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ١١ .

في هذه الآيات: تذكير الله تعالى نبيه ببعض آلائه عليه ، وإحسانه إليه ، ليحضه ذلك على المزيد من شكره ، ويستوجب لديه الإكثار من حمده . وتقريره تعالى أن مع العسر يسراً ، وأن بعد الضيق فرجاً . فإذا حصل الفراغ من الجهاد والبلاغ والبلاء ، فالخير كل الخير في التفرغ للعبادة والقيام والدعاء .

فقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ . امتنان من الله تعالى على نبيه ﷺ . قال ابن جرير: (﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾ يا محمد ، للهدى والإيمان بالله ومعرفة الحق ﴿صَدْرَكَ﴾ فنلين لك قلبك ، ونجعل له وعاءاً للحكمة) . وقال ابن كثير: (يعني أما شرحنا لك صدرك؟ أي نورناه وجعلناه فسيحاً رحيباً واسعاً كقوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ ، وكما شرح الله صدره كذلك جعل شزعه فسيحاً واسعاً سمحاً سهلاً لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق) .

قلت: والشرح في لغة العرب الكشف ، تقول: شرح الغامض أي فسره ، وشرح الصدر فتحه وتليينه ، ومنه قول ابن عباس: (﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾: ألم نلين لك قلبك) . والمراد: قد شرحنا صدرك يا محمد لقبول النبوة ، وملأناه حكماً وعلماً ، لتقوم بأعباء الوحي وبلاغ النبوة .

وقد أخرج الترمذي - في كتاب التفسير عند هذه الآية - بإسناد صحيح عن مالك بن صعصعة: [أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ ، إِذْ سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ: أَحَدُ بَيْنَ الثَّلَاثَةِ ، فَأُتِيتُ بِطُسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فِيهَا مَاءٌ رَمَزَمَ ، فَشَرَحْتُ صَدْرِي إِلَىٰ كَذَا كَذَا» . قَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لِأَنْسَ مَا يَعْنِي؟ قَالَ: إِلَىٰ أَسْفَلِ بَطْنِي ، قَالَ: «فَاسْتُخْرِجَ

قلبي فَعُسِلَ قلبي بماء زَمْزَم ، ثم أُعيد مكانه ، ثم حُشِيَ إيماناً وحِكْمةً⁽¹⁾ .

ولا شك أن حدث شق صدره في طفولته ﷺ ثم ليلة الإسراء كما ذكر في السيرة العطرة داخل في مفهوم هذه الآية ، والله تعالى أعلم .

وقوله تعالى: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴾ . قال مجاهد: (ذَنْبُكَ) . والوزر: الذنب . والمقصود: حططنا عنك ما سلف منك من زلل في الجاهلية . كما قال تعالى: ﴿ لِيَغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: 2] . قال النسفي: ﴿ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ﴾ وخففنا عنك أعباء النبوة والقيام بأمرها . وقيل هو زلة لا تعرف بعينها وهي ترك الأفضل مع إتيان الفاضل ، والأنبياء يعاتبون بمثلها ، ووضع عنه أن غفر له . والوزر: الحمل الثقيل) .

وقوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ . أي الذي أثقل ظهرك . والإنقاض: الصوت . والمقصود: لو كان حملاً يحمل لسمع نقيض ظهره من ثقل حملة .

وقوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ . أي: في الدنيا والآخرة . قال مجاهد: (لا أذكر إلا ذُكِرَتْ معي: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله) . وقال قتادة: (رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة ، فليس خطيب ، ولا متشهد ، ولا صاحب صلاة ، إلا ينادي بها ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله) .

وُروى عن الضحاك عن ابن عباس ، قال: (يقول له لا ذُكِرْتُ إلا ذُكِرْتُ معي في الأذان ، والإقامة والتشهد ، ويوم الجمعة على المنابر ، ويوم الفطر ، ويوم الأضحى ، وأيام التشريق ، ويوم عرفة ، وعند الجمار ، وعلى الصفا والمروة ، وفي خطبة النكاح ، وفي مشارق الأرض ومغاربها) .

وقوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ . إخبار من الله تعالى أن اليسر يعقب العسر ، ثم أكد ذلك أروع التأكيد . قال مجاهد: ﴿ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ : يتبع اليسر العسر) . وفي الأثر عن عبد الله بن مسعود قال: (لو دخل العسر في حُجْر ، لجاء اليسر حتى يدخل عليه ، لأن الله يقول: ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾) . وفي رواية: (والذي نفسي بيده ، لو كان العسر في حُجْر ، لطلبه اليسر حتى يدخل عليه ، ولن يغلب عسر يسرين) .

(1) حديث صحيح . انظر صحيح سنن الترمذي (2666) - كتاب التفسير - سورة ﴿ أَلَمْ تَشْرَحْ ﴾ . والحديث أصله في الصحيحين ، وفيه قصة طويلة - ليلة الإسراء - .

وكتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب يذكر له جموعاً من الروم ، وما يَتَخَوَّفُ منهم ، فكتب إليه عمر رضي الله عنهما : (أما بعد ، فإنه مهما ينزل بعبد مؤمن من مَنْزِلِ شِدَّةٍ ، يجعل الله بعده فرجاً ، وإنه لن يغلب عسر يسرين ، وإن الله تعالى يقول في كتابه : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران : 200] .

والمقصود بالآيات : تسليّة للنبي ﷺ عما يلقاه من أذى قومه وتكذيبهم ، فإن مع الشدة التي أنت فيها - يا محمد - من جهاد هؤلاء المشركين وما في طريق الدعوة من عقبات وآلام ، رجاء وفرجاً ، ونصراً قريباً ، وظفراً مؤكداً . وهو خطاب يمضي عبر الزمان يحمل الأمن والطمأنينة وبشائر النصر لرجال هذا الدين وعلمائه الذين يقارعون مناهج الكفر والطغيان في الأرض حتى يُعْبَدَ الله تعالى وحده ، ويُحْكَمَ بشرعه ويعلو منهاجه فوق كل مناهج الدنيا .

أخرج البزار في «مسنده» ، وابن عدي في «الكامل» ، بإسناد حسن في الشواهد ، عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : [إِنَّ الْمَعُونَةَ تَأْتِي مِنَ اللَّهِ عَلَى قَدَرِ الْمُؤْنَةِ ، وَإِنَّ الصَّبْرَ يَأْتِي مِنَ اللَّهِ عَلَى قَدَرِ الْبَلَاءِ]⁽¹⁾ . والمؤنة والمؤونة : القوت .

وأخرج الخطيب في «التاريخ» ، والدليمي بإسناد جيد ، عن أنس مرفوعاً : [النَّصْرُ مَعَ الصَّبْرِ ، وَالْفَرَجُ مَعَ الْكَرْبِ ، وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا]⁽²⁾ . ومما يُروى عن الشافعي أنه قال :

صَبْرًا جَمِيلًا مَا أَقْرَبَ الْفَرَجَا مِنْ رَاقِبَ اللَّهِ فِي الْأُمُورِ نَجَا
مَنْ صَدَّقَ اللَّهَ لَمْ يَنْلُهْ أَذًى وَمَنْ رَجَاهُ يَكُونُ حَيْثُ رَجَا

وقال ابن دُرَيْد : أنشدني أبو حاتم السَّجِسْتَانِي :

إِذَا اشْتَمَلْتَ عَلَى الْيَأْسِ الْقَلُوبُ وَضَاقَ لِمَا بِهِ الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وَأَوْطَأَتِ الْمَكَارِهِ وَاطْمَأَنَّتِ وَأَرَسَتْ فِي أَمَاكِنِهَا الْخُطُوبُ

(1) حديث حسن . أخرجه البزار في المسند (ص 156 - زوائد ابن حجر) ، وابن عدي في «الكامل» (1/ 206) ، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (1664) .

(2) حديث صحيح . أخرجه الخطيب في «التاريخ» (10/ 287) ، والدليمي (4/ 111 - 112) ، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة - حديث رقم - (2382) .

ولم ترَ لانكشاف الضرِّ وجهاً
أتاك على قنوطٍ منك غوثٌ
وكل الحادثات إذا تناهت
وقال آخر :

ولرُبَّ ضائقة يضيق بها الفتى
ضاقَت فلما استحكمت حلقاتها
وقال الشيخ خير الدين وانلي رحمه الله :

صَبَرَ الصحابةُ في الحروب يقودهم
حتى تقوَّضتِ الشرور وُزِّلَتْ
وتحرَّر البيت الحرامُ وحُطِّمَتْ
ورقى بلالٌ بالأذان مكبِّراً
نَصَرَ من الله العزيز لجنده
والله ينصرُ ناصراً لكتابه
لا يستحقُّ النصر إلا صابرٌ
اليُسْرُ يأتي بعد كلِّ عسيرة
خيرُ الرجالِ وسيِّدُ الشُّجعانِ
أركانُ شركٍ عمَّ كالطوفانِ
أصنامُهُ فهوَتْ على الأذقانِ
الله أكبرُ واحداً لا ثنانِ
والخزيُّ للطاغوتِ والشیطانِ
مُتَدَرِّعاً بالصبر والإيمانِ
ويوئُ بالخُسْرانِ كُلُّ جَبانِ
والنصرُ بعد النصرِ في الميِّدانِ

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾ . أي : فإذا فرغت من جهاد عدوك ، أو من بلاغ دعوتك ، أو من سفرك وما شغلك ، فاجتهد بدعائك وعبادتك ، وتفرَّغ إلى ربك . والخطاب للنبي ﷺ ، وهو إلى جميع أمته من بعده . فعن ابن عباس : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾ يقول : (في الدعاء) . وقال أيضاً : (يقول : فإذا فرغت مما فرض عليك من الصلاة فسل الله ، وارغب إليه ، وانصب له) . وقال الحسن : (أمره إذا فرغ من غزوه ، أن يجتهد في الدعاء والعبادة) . وقال ابن زيد عن أبيه : (فإذا فرغت من الجهاد ، جهاد العرب ، وانقطع جهادهم ، فانصب لعبادة الله ﴿ وَلِلَّهِ رَبِّكَ فَانصَبْ ﴾) .

وقال مجاهد : (إذا فرغت من أمر الدنيا فانصب ، قال : فصل) . وقال : (إذا فرغت من أمر الدنيا ، وقمت إلى الصلاة ، فاجعل رغبتك ونيتك له) .

قلت : ونَصَبَ الشيء - في لغة العرب - أقامه ، ونَصَبَ : تعب . والمقصود : إذا فرغت من الموانع والعوائق فارجع لإقامة ما شغلت عنه واجتهد في الذكر وطلب العلم

والإعداد وألوان العبادة التي تحتاجها لنفير آخر ، وموقف قادم ، ومشهد من مشاهد الملاحم .

أخرج الترمذي وابن ماجه وابن حبان بسند صحيح عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال: [إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمَلًا صَدْرَكَ غَنَى ، وَأَسَدَّ فَقْرَكَ ، وَإِنْ لَا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا ، وَلَمْ أُسَدِّ فَقْرَكَ] (1) .

وله شاهد أخرجه الحاكم بسند صحيح عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [يقول ربكم تبارك وتعالى: يا ابن آدم! تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى ، وأملأ يدك رزقاً. يا ابن آدم! لا تباعد مني فأملأ قلبك فقراً ، وأملأ يدك شغلاً] (2) .

وقوله تعالى: ﴿وَلِكِ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ . قال مجاهد: (اجعل نيتك ورغبتك إلى الله) . والمقصود: فإذا فرغت من الموانع فانصب إلى الصلاة والذكر والدعاء ، وأخلص رغبتك ونيتك إلى ربك عز وجل ، فتضرع إليه راهباً من النار ، راغباً في الجنة ، إنه تعالى قريب من أوليائه الصالحين ، وهو الكريم المنعم البر الرحيم .

تم تفسير سورة الشرح

بعون الله وتوفيقه ، وواسع مننه وكرمه

صبيحة يوم الجمعة 30 - ذي القعدة - 1426 هـ

الموافق 30/كانون الأول/2005 م

(1) حديث صحيح. أخرجه الترمذي (308/3) ، وابن ماجه (525/2) ، وابن حبان (2477) ، ورواه أحمد (358/2) . وانظر: السلسلة الصحيحة (1359) .

(2) حديث صحيح. أخرجه الحاكم (326/4) ، وقال: صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي . وهو كما قال . ويصلح شاهداً للحديث الذي قبله .

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - الشَّرْحُ لغة الكشف ، وشرح الصدر فتحه وتليينه .
- 2 - النصر مع الصبر ، والفرج مع الكرب ، وإن مع العسر يسراً .
- 3 - من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه ، وجمع له شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة .
- 4 - يقول الله تعالى : يا ابن آدم تفرّغ لعبادتي أَمْلاً صدرك غنىً ، وأَسَدَّ فقرك ، وإن لا تفعل ملأت يديك شغلاً ولم أَسَدَّ فقرك .



95



وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (8) .

فضائلها وما ورد في ذكرها :

لقد ورد ذكر هذه السورة في السنة الصحيحة في أحاديث :

الحديث الأول: أخرج البخاري في صحيحه عن البراء : [أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي سَفَرٍ ، فَقَرَأَ فِي الْعِشَاءِ فِي إِحْدَى الرُّكْعَتَيْنِ بـ ﴿وَاللَّيْلِ وَالزَّيْتُونِ﴾] (1) .

الحديث الثاني: أخرج الشيخان وأصحاب السنن عن عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ ، أَنَّهُ سَمِعَ الْبَرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : [سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ : ﴿وَاللَّيْلِ وَالزَّيْتُونِ﴾ فِي الْعِشَاءِ ، وَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ أَوْ قِرَاءَةً] (2) .

الحديث الثالث: أخرج النسائي في السنن بإسناد صحيح عن البراء بن عازب قال : [صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعَتَمَةَ ، فَقَرَأَ فِيهَا بـ ﴿وَاللَّيْلِ وَالزَّيْتُونِ﴾] . وفي رواية : [كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ ، فَقَرَأَ فِي الْعِشَاءِ فِي الرُّكْعَةِ الْأُولَى بـ ﴿وَاللَّيْلِ وَالزَّيْتُونِ﴾] (3) .

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري (767) - كتاب الأذان ، وكذلك (4952) - كتاب التفسير .

(2) حديث صحيح . أخرجه البخاري (769) ، ومسلم (464) ح (175) ، (176) ، وأخرجه أبو داود (1221) ، والترمذي (310) ، والنسائي في «التفسير» (702) ، وفي «السنن» (1000) ، وأخرجه ابن ماجه في السنن (834) ، (835) .

(3) حديث صحيح . انظر صحيح سنن النسائي - حديث رقم - (957) . باب القراءة في الركعة الأولى ، من صلاة العشاء الآخرة .

موضوع السورة

القسم بالتين والزيتون والطور ومكة أَنَّ خَلَقَ الإنسان في أحسن تقويم
وأن النجاة بالإيمان والعمل الصالح وإلا كان المَرَدُّ إلى أسفل سافلين

- منهاج السورة -

- 1 - قَسَمُ الله تعالى بالتين والزيتون والطور المبارك والبلد الحرام أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم .
- 2 - مَرَدُّ الإنسان إلى أسفل سافلين ، إن لم يكن على منهاج المرسلين .
- 3 - التعجب من التكذيب بالدين ، والله يحكم وهو أحكم الحاكمين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 8 . قوله تعالى : ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾ .

في هذه الآيات : يقسم الله تعالى بالتين والزيتون والجبل المبارك والبلد الحرام أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وأن مَرَدُّه إلى أسفل سافلين ، إن لم يكن من المؤمنين على منهاج المرسلين ، وهذا هو حكم الله أحكم الحاكمين .

فقوله تعالى : ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ . قَسَمٌ من الله بالتين الذي يأكله الناس ، والزيتون الذي يعصرون منه الزيت . قال البخاري : (وقال مجاهد : هو التين والزيتون الذي يأكل الناس) . وقال مجاهد أيضاً : (هو تينكم هذا) . وقال عكرمة : (هو هذا الزيتون الذي تعصرون) .

وقوله تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾. هو طور سيناء ، أقسم الله به . قال مجاهد: ﴿وَطُورِ﴾: الجبل و﴿سِينِينَ﴾: المبارك). قال كعب الأحبار: (هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى). وقال عكرمة: (والسينين: الحسن ، كما ينبت في السهل ، كذلك ينبت في الجبل). وقال قتادة: (جبل بالشام ، مبارك حسن).

وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾. يعني مكة ، وسماه أميناً لأنه آمن . والمقصود: يقسم الله تعالى بهذا البلد الحرام الآمن من أعدائه أن يحاربوا أهله ، أو يغزوهم .

قلت: وقد جاء في التوراة: أن الله تجلّى على الناس في أماكن ثلاثة ، هي: سيناء ، حيث أُعطي موسى عليه السلام التوراة. ساعير «جبال في فلسطين» ، حيث أُعطي الإنجيل ليعسى عليه السلام. مكة «فاران»: حيث نزل القرآن على محمد عليه وعلى آله الصلاة والسلام.

تقول التوراة التي بين يدي اليهود إلى يومنا هذا: «جاء الرب من سيناء ، وأشرق لنا من ساعير ، وتلأل من جبل فاران».

وفاران: هو الاسم القديم لمكة ، كما تذكر التوراة نفسها في سفر التكوين (21): (22).

وقد أشار بعض الباحثين ، إلى أن القرآن قد أشار إلى هذه الأماكن الثلاثة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ وَالْزَيْتُونِ﴾ ① و﴿طُورِ سِينِينَ﴾ ② و﴿هَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾. التين والزيتون: إشارة إلى منابتهما في فلسطين . طور سينين: سيناء . هذا البلد الأمين: مكة .

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾. هو جواب القسم .

وفي التفاسير أقوال متقاربة متكاملة في مفهوم هذه الآية :

1 - قال ابن عباس: ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ قال: في أعدل خلق). وقال إبراهيم: (في أحسن صورة). وقال مجاهد: (أحسن خلق).

2 - قال عكرمة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ قال: الشاب القوي الجلد). وعن ابن عباس قال: (شبابه أول ما نشأ).

3 - قال ابن عباس - في رواية - : (خلق كل شيء منكباً على وجهه إلا الإنسان).

والمقصود: خلق الله تعالى الإنسان في أكمل هيئة ، وأتمّ خلق ، وأحسن صورة ،

فقد خلقه مديد القامة يتناول مأكوله بيده ، وخلقه عالماً متكلماً مدبراً حكيماً ، جاهزاً لمهمة الاستخلاف في الأرض .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ . أي : ثم رددناه إلى دركات النار في الآخرة ، مقابل تضييع العمر والشباب في الكفر والآثام ، والمعاصي والطغيان ، إلا من رحمه الرحمن . فعن مجاهد : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ قال : إلى النار . وقال الحسن : (جهنم مأواه) .

قلت : فإذا كان هذا الإنسان الذي خلقه الله في أحسن حال وصورة يُرَدُّ شراً من كل دابة ، بعد الحُسن والنضارة ، وفي حال أسوأ من كل حال ، إلى أسفل دركات النار ، لمن لم يطع الله ويتبع الرسل ، كان هذا تأويل الرد إلى أسفل سافلين .

وروي عن ابن عباس وعكرمة : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ أي إلى أزدل العمر ، وإلى الهرم ، وهو اختيار ابن جرير ، والمعنى الذي ذكرناه أنسب للسياق ، لاستثناء المؤمنين من ذلك في الآية بعده ، وهو اختيار ابن كثير .

وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ . هو كقوله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرُ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ .

والمقصود : استثناء من الله تعالى للمؤمنين ، فلا يردون أسفل سافلين ، بل إلى جنة الله الواسعة في عليين . وعن مجاهد : ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ : قال : غير محسوب . وقال ابن عباس : (غير منقوص) . وقد قدمنا القول أن المقصود على الأرجح أنه ثواب دائم غير مقطوع ، والله تعالى أعلم .

وقوله : ﴿ فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ الدِّينِ ﴾ . أي فما يحملك بعد ذلك أيها الإنسان الذي خلقك الله في أحسن تقويم ، وأنه يردك إن عصيته أسفل سافلين ، أن تكذب بالبعث والحساب ، والثواب والعقاب ! وعن عكرمة : ﴿ فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ الدِّينِ ﴾ قال : (الحساب) . وقال ابن عباس : (يقول : ما يكذبك بحكم الله) .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ . أي قضاء وعدلاً . قال ابن جرير : (يقول تعالى ذكره : أليس الله يا محمد بأحكم من حكم في أحكامه ، وفصل قضائه بين عباده؟) .

ثم روى عن سعيد بن جبير قال: (كان ابن عباس إذا قرأ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾؟ قال: سبحانك اللهم ، بلى).

قلت: والحديث المرفوع في ذلك أن يقال: (بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين) ضعيف عند المحدثين فيه مجهول ، فلا يصح عن رسول الله ﷺ.

تم تفسير سورة التين

بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ ، وَوَسَّعَ مِنْهُ وَكْرَمَهُ

صَبِيحَةَ يَوْمِ السَّبْتِ 1 - ذِي الْحِجَّةِ - 1426 هـ

الموافق 31 - كانون الأول - 2005 م

دروس ونتائج وأحكام

- 1- قرأ رسول الله ﷺ في إحدى ركعتي العشاء بـ ﴿وَالْيَنِّ وَالزَّيْتُونِ﴾ .
- 2- خلق الله تعالى الإنسان في أكمل هيئة وأتم خلق وأحسن صورة.
- 3- مرد الإنسان إلى أسفل سافلين ، إن لم يكن على منهاج المرسلين .
- 4- الله تعالى هو الحَكَمُ ، وإليه الحُكْمُ ، وهو أحكم الحاكمين .



96



وهي سورة مكية ، وأول شيء نزل من القرآن ، وعدد آياتها (19) .

أخرج الترمذي والنسائي عن جابر قال : [صلى معاذ بن جبل لأصحابه العشاء ، فطَوَّلَ عليهم ، فانصرف رجل منا . فَأَخْبَرَ مُعَاذُ عَنْهُ ، فقال : إنه منافق . فلما بلغَ ذلك الرجل ، دخل على النبي ﷺ فأخبره بما قال معاذ . فقال النبي ﷺ : أتريد أن تكون فتناً يا مُعَاذُ ، إذا أَمَمْتَ الناسَ فاقرأ بـ ﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ﴾ و﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ و﴿ وَآيِلْ إِذَا يَبْتَغَى ﴾ و﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾]⁽¹⁾ .

موضوع السورة

ضرورة القراءة والكتابة لطلب العلم
والحث على الجهاد في حمل الدين ومقارعة أهل الظلم

- منهاج السورة -

- 1- الأمر بالقراءة والحث على الكتابة بالقلم ، لتثبيت الفهم والعلم .
- 2- الإخبار عن سلوك الإنسان حالة السعة وبسط الرزق والغنى .
- 3- حث الله تعالى نبيه ﷺ على الثبات على الحق والهدى ، وتحدي الطاغية الذي كذب وتولى .

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري ومسلم من حديث جابر كما مضى . وانظر صحيح النسائي (954) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 5. قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ .

في هذه الآيات: أمرُ الله تعالى رسوله بالقراءة باسم الله الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، والحث على الكتابة بالقلم ، لتثبيت الفهم والعلم .

أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: [أَوَّلُ مَا بُدِئَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبِبَ إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنَّث فيه قبل أن يتزعَّج إلى أهله ، ويزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه (وفي رواية: فَجِئَتْهُ) الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ قال: ما أنا بِقَارِئٍ. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بِقَارِئٍ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ ، فقلت: ما أنا بِقَارِئٍ ، فأخذني فغطني الثالثة فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ . فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده (وفي رواية: ترجف بوادره) فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة: مالي؟ وأخبرها الخبر ، وقال: لقد خشيت على نفسي . فقالت له خديجة: كلاً أبشر فوالله ما يخزيك الله أبداً ، فوالله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق . فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة أخي أبيها ، وكان امرأً قد تنصَّر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية (وفي رواية: الكتاب العربي ويكتب من الإنجيل بالعربية) ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي . فقالت له خديجة: يا ابن عمِّ اسمع من ابن أخيك . فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره

رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة: هذا الناموس⁽¹⁾ الذي نزل على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً⁽²⁾ ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله ﷺ: وَمُخْرِجِيَّ هم؟ قال: نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي (وفي رواية: أودى) وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزراً ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي⁽³⁾.

فكانت سورة العلق أول شيء نزل من القرآن⁽⁴⁾ ، وقد روي ذلك عن عائشة رضي الله عنها ، وكذلك عن بعض الصحابة والتابعين .

قال عبيد بن عمير: (أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾) .
وقال عطاء بن يسار: (أول سورة نزلت من القرآن ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾) .

وقد روى ابن جرير في تفسيره بسنده إلى أبي رجاء العطاردي قال: (كنا في المسجد الجامع ، ومقرئنا أبو موسى الأشعري ، كأني أنظر إليه بين بردين أبيضين ، قال أبو رجاء: عنه أخذت هذه السورة: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وكانت أول سورة نزلت على محمد).

قال ابن جرير: (يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ محمداً ﷺ يقول: اقرأ يا محمد بذكر ربك⁽⁵⁾ ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾. ثم بين الذي خلق فقال: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ يعني: من الدم ، وقال: من علق ، والمراد به من علقه ، لأنه ذهب إلى الجمع. ثم قال: وقوله: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ يقول: اقرأ يا محمد وربك الأكرم ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ خَلَقَهُ الكتاب والخط).

وقال قتادة: (القلم نعمة من الله عظيمة ، لولا ذلك لم يقم ولم يصلح عيش). وقال ابن زيد: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ قال: عَلَّمَ الْإِنْسَانَ خَطاً بِالْقَلَمِ).

(1) الناموس: صاحب السر ، والمراد جبريل .

(2) جذعاً: أي شاباً فتياً .

(3) حديث صحيح . أخرجه البخاري (3) - كتاب بدء الوحي . وأخرجه أحمد (6/ 153) ، ورواه مسلم .

(4) انظر التحقيق في ذلك في تفسير سورة المدثر ، وبسط الأدلة في ذلك هناك .

(5) الباء في ﴿يَأْسِرُ رَبِّكَ﴾ في محل نصب على الحال . والتقدير: اقرأ يا محمد مفتتحاً باسم ربك . وكأنه قيل: قل باسم الله ثم اقرأ . فهو إشارة إلى ذكر التسمية في ابتداء كل سورة . وقيل: الباء بمعنى على . أي اقرأ على اسم ربك . فالمقروء محذوف وهو القرآن . وقيل: الباء زائدة . والتقدير: اقرأ اسم ربك ، كقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يُدَّةُ الْكَلْبِ﴾ [المؤمنون: 20] .

قلت: والعلم لابد لحِفْظِهِ من الكتابة ، وقد ربط الله سبحانه في هذه الآيات التي هي أول ما نزل من القرآن بين القراءة والكتابة على أنهما وسيلتا العلم الأولى لا انفصال ، فقال جل ذكره: ﴿ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ ﴾ . وفي ذلك امتنان منه - تعالى - على الإنسان أن علمه الخط بالقلم ، ولم يكن يعلمه ، مع أشياء كثيرة غير ذلك ، مما علمه ولم يكن يعلمه . والدرس النافع المستنبط هنا هو أهمية الكتابة لطالب العلم .

أخرج الحاكم والطبراني عن أنس عن النبي ﷺ قال: [قِيدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ] (1) .

وله شاهد عند الخطيب وابن عبد البر بسند حسن عن عبد الله بن عمرو قال: [قلت: يا رسول الله! أُقِيدُ الْعِلْمَ؟ قال: نعم. قلت: وما تقيده؟ قال: الكتاب].

ومن ثمَّ فالقراءة وحدها لا تكفي لتثبيت العلم ، وإنما تعتضد بالكتابة ، فبالقراءة تتشكل ثقافة عامة ، وفرق بين الثقافة وبين العلم ، فإن العلم يقتضي استحضار الأدلة على جزئياته وفروعه ، وهذا لا يكون إلا بالاستعانة بالكتابة والتصنيف والاستفادة من طريقة العلماء .

6 - 19 . قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا ۝ ١٠ أَن رَّاهُ اسْتَعَىٰ ۝ ١١ إِلَىٰ رَبِّهِ ۝ ١٢ الرُّجُوعَ ۝ ١٣ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝ ١٤ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۝ ١٥ أَرَأَيْتَ أَن كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ۝ ١٦ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۝ ١٧ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ ١٨ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۝ ١٩ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝ ٢٠ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝ ٢١ فليدع ناديه ۝ ٢٢ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝ ٢٣ كَلَّا لَا تَطَّعُهُ وَلَا نُطْعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۝ ٢٤ ﴾ .

في هذه الآيات: إخبار الله تعالى عن حال الإنسان عند حصوله السعة وبسط الرزق والغنى ، فهو يتقلب في الفرح والأشهر والبطر والطغيان ، وسرعان ما ينسى المنعم المتفضل المَنَّان . وحثَّ الله تعالى نبيه ﷺ على الثبات على الحق والهدى ، وتحدي الطاغية الذي كذب وتولى .

فقوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا ۝ ١٠ أَن رَّاهُ اسْتَعَىٰ ۝ ١١ إِلَىٰ رَبِّهِ ۝ ١٢ الرُّجُوعَ ۝ ١٣ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝ ١٤ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۝ ١٥ أَرَأَيْتَ أَن كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ۝ ١٦ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۝ ١٧ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ ١٨ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۝ ١٩ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝ ٢٠ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝ ٢١ فليدع ناديه ۝ ٢٢ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝ ٢٣ كَلَّا لَا تَطَّعُهُ وَلَا نُطْعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۝ ٢٤ ﴾ . أي: حقاً ، إن الإنسان ليطغى

(1) حسن لشواهده . أخرجه الحاكم في «المستدرک» (1/106) ، والطبراني في «الكبير» (2/62/1) ، والخطيب في «التقييد» ص (96 - 97) - كشاهد له - وكذلك ابن عبد البر من طرق ، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (2026) ، وصحيح الجامع (4310) .

إن رأى نفسه مستغنياً بماله وقوته. قال النسفي: ﴿كَلَّا﴾ ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه. قال: ومعنى الرؤية العلم).

قلت: وهذه الآيات نزلت في أبي جهل الذي كان يحاول منع رسول الله ﷺ من الصلاة والدعوة وبلاغ الوحي ، ويؤذيه أشد الإيذاء. فجاءت هذه الآيات تحمل له التهديد الشديد والوعيد الأكيد.

ففي صحيح مسلم وسنن النسائي عن أبي هريرة قال: [قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقل: نعم ، فقال: واللوات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب. قال: فأتى رسول الله - ﷺ - وهو يصلي ، زعم ليطأ على رقبته ، قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه ، قال: فقل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخنقاً من نار وهولاً وأجنحة ، فقال رسول الله ﷺ: لَوْ دَنَا لاختطفته الملائكة عضواً عضواً ، قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿٦﴾ إِنَّ رَأَاهُ اسْتَفْتَى ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهَدْيِ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ - يعني أبا جهل - ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِرَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَدَّعُ الزَّيْنَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تَطَّعُهُ...﴾ (1).

وفي رواية عند ابن جرير من طريق ابن عباس: [فقال: - أي أبو جهل -: لقد علم أنني أكثر هذا الوادي نادياً. فغضب النبي ﷺ ، فأنزل الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَدَّعُ الزَّيْنَةَ﴾ فقال ابن عباس: فو الله لو فعل لأخذته الملائكة من مكانه] (2).

وفي رواية عند الترمذي عن ابن عباس قال: [كان النبي ﷺ يصلي فجاء أبو جهل فقال: ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ فانصرف النبي ﷺ فزبره - أي أغلظ النبي لأبي جهل القول ونهره - ، فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني ، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَدَّعُ الزَّيْنَةَ﴾ ، قال ابن عباس: لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله] (3).

(1) حديث صحيح. أخرجه مسلم في الصحيح (4/ 2154) ، وأحمد في المسند (2/ 370).

(2) حديث صحيح. انظر تفسير الطبري (3/ 256). وكتابي: السيرة النبوية على منهج الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة (1/ 214).

(3) حديث صحيح. انظر سنن الترمذي (5/ 443 - 444) ، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (275).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ رَحْمَنٌ﴾. أي: إلى الله المرجع والمصير ، وعنده الحساب والثواب والعقاب. ورجعى: على وزن فعلى ، والرجعى والمرجع والرجوع مصادر.

وقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾. قال مجاهد: (أبو جهل ينهى محمداً ﷺ إذا صلى). وقد سبق أن هذه الآيات نزلت في أبي جهل حين توعد النبي ﷺ إن رآه يصلي ليظأن على رقبته ، فأخزاه الله بالوحي والملائكة.

وقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ﴾. قال قتادة: (محمد كان على الهدى ، وأمر بالتقوى). والمقصود: كان محمد ﷺ على طريق مستقيم يهتدي من اتبعه ، وكان يأمر بالإخلاص والتوحيد والعمل الصالح الذي تُتقى به النار.

وقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾. يعني أبا جهل ، كذب بما جاء به رسول الله ﷺ من الحق وأعرض عن الإيمان.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾. أي: ألم يعلم بأن الله مطلع على أحواله وسيجزيه بها ، فواعجباً كيف اجترأ على ما اجترأ عليه؟!

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾. كلاً: ردعٌ لأبي جهل عن معارضته محمداً ﷺ في عبادة ربه وأمره بعبادة الأصنام. والسفع في كلام العرب: القبض على الشيء وجذبه بشدة. والناصية شعر مقدم الرأس. والمقصود: لناخذن بناصيته فتطوى مع قدميه فيطرح في النار.

قال ابن جرير: (قوله: ﴿كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ﴾ يقول: ليس كما قال إنه يطأ عنق محمد ، يقول: لا يقدر على ذلك ، ولا يصل إليه. يقول: لئن لم ينته أبو جهل عن محمد ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ يقول: لناخذن بمقدم رأسه ، فلنضمه ولنذله. وقيل: إنما قيل: ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ والمعنى: لنسودن وجهه ، فاكفني بذكر الناصية من الوجه كله ، إذ كانت الناصية في مقدم الوجه. وقيل: معنى ذلك: لناخذن بناصيته إلى النار ، كما قال: ﴿فِيؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: 41].

قال القرطبي: (فالآية - وإن كانت في أبي جهل - فهي عظةٌ للناس ، وتهديد لمن يمتنع أو يمنع غيره عن الطاعة).

وقوله تعالى: ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾. قال ابن كثير: (يعني: ناصية أبي جهل كاذبة في

مقالها ، خاطئة في فعالها). قلت : وقد أثبت العلم الحديث أن الكذب يُعرف بعلامات وإشارات في الناصية ، وهو من الإعجاز العلمي لهذا القرآن العظيم .

وقوله تعالى : ﴿ فَلْيَعْنُ نَادِيَهُ ﴾ . قال ابن عباس : (يقول : فليدع ناصره). والمقصود : ليدع قومه وأهل ناديه . والنادي : المجلس الذي يجلس فيه القوم .

وقوله تعالى : ﴿ سَنَعُ الزَّانِيَةَ ﴾ . قال مجاهد : (الملائكة). والمقصود : ردُّ على غرور أبي جهل الذي زعم الاستنصار بعشيرته وأهل ناديه ، فتحذاه الله بأمر ملائكته الغلاظ الشداد بأخذه وإلقائه في نار السعير التي تخزيه .

وقد مضى في رواية ابن جرير من طريق ابن عباس : [فقال - أي أبو جهل - : لقد علم أنني أكثر هذا الوادي نادياً . فغضب النبي ﷺ ، فأنزل الله ﴿ فَلْيَعْنُ نَادِيَهُ ﴾ سَنَعُ الزَّانِيَةَ ﴾ . فقال ابن عباس : فو الله لو فعل لأخذته الملائكة من مكانه].

والزبانة ملائكة العذاب ، واحد هم زبني كما ذكر الكسائي . وقال الأخفش : (زابن). وقال أبو عبيدة : (زبنيّة). وقيل : زباني . وقال قتادة : (هم الشُّرَط في كلام العرب). قال القرطبي : (وهو مأخوذ من الزَّين وهو الدفع ، ومنه المزانبة⁽¹⁾ في البيع .

وقوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَا تُطْعَمُهُ وَاَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ . كلاً : ردع لأبي جهل . أي : لا تطعه يا محمد فيما دعاك إليه من ترك الصلاة ، وصلَّ الله غير مكترث به ، ولا مبال بنهيه ﴿ وَاقْتَرِبْ ﴾ إليه سبحانه بالطاعة والعبادة . قال النسفي : ﴿ وَاسْجُدْ ﴾ ودُم على سجودك يريد الصلاة ﴿ وَاقْتَرِبْ ﴾ وتقرب إلى ربك بالسجود ، فإن أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد).

قلت : وهذا المعنى مستنبط من الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : [أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء]⁽²⁾ .

وقد ثبتت السجدة - سجدة التلاوة - في آخر هذه السورة : ففي صحيح مسلم عن عطاء بن ميناء ، عن أبي هريرة قال : [سجدنا مع النبي ﷺ في ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ . و﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾]⁽³⁾ . ورواه أصحاب السنن .

(1) هي بيع الرطب في رؤوس النخل بالتمر .

(2) حديث صحيح . أخرجه مسلم (482) - كتاب الصلاة . باب ما يقال في الركوع والسجود .

(3) حديث صحيح . أخرجه مسلم (578) ح (108 - 109) ، وأخرجه أبو داود (1407) ، والنسائي

(162/2) ، والترمذي (573) ، وابن ماجه (1058) .

وفي رواية قال : [سَجَدَ رسول الله ﷺ في : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ و ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾] .

تم تفسير سورة العلق

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه
صبيحة يوم الأحد 1 - ذي الحجة - 1426 هـ
الموافق 1 - كانون الثاني - 2006 م

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - سورة العلق هي أول شيء نزل من القرآن .
- 2 - أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة .
- 3 - القلم نعمة من الله عظيمة ، لولا ذلك لم يقم ولم يصلح عيش .
- 4 - قيدوا العلم بالكتابة ، فإن العلم ينسى دون تقييد بالكتاب .
- 5 - إن الإنسان ليطغى ، إذا شعر بالترف والغنى .
- 6 - سجد رسول الله ﷺ في ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ .



97



وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (5).

موضوع السورة

فضائل ليلة القدر

- منهاج السورة -

- 1 - إخبار الله تعالى عن إنزاله القرآن في ليلة القدر .
- 2 - ليلة القدر ليلة مباركة من ليالي العشر الأواخر من شهر رمضان ، وهي أفضل ليالي العمر .
- 3 - تنزل الملائكة في تلك الليلة بإذن الله من كل أمر .
- 4 - ليلة القدر سلام وخير كلها إلى مطلع الفجر .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 5. قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرِ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾.

في هذه الآيات: إخبارُ الله تعالى عن إنزاله القرآن في ليلة القدر ، وهي ليلة مباركة من ليالي شهر رمضان أفضل ليالي العمر ، تنزل فيها الملائكة بإذن الله من كل أمر ، وهي سلام وخير كلها إلى مطلع الفجر .

فقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ . كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ﴾ [الدخان: 3]. قال ابن عباس: (أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ، ثم نزل مُفَصَّلًا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله ﷺ).

قلت: وليس في المرفوع إلى النبي ﷺ شيء يؤكد التنزيل على مرحلتين ، فالله أعلم بحقيقة هذا التنزيل ، وكيفينا إثبات أن الله أنزل هذا القرآن في ليلة القدر .

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ . استفهام يفيد التنبيه . قال النسفي: (ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الأمور وقضائها ، والقدر بمعنى التقدير ، أو سميت بذلك لشرفها على سائر الليالي).

وقوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ . تبيان لفضلها وعظمها . قال مجاهد: (ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر ، ليس في تلك الشهور ليلة القدر). وقال سفيان ، بلغني عن مجاهد: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ قال: (عملها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر). وقال عمرو بن قيس الملائي: (عملٌ فيها خيرٌ من عمل ألف شهر).

وهذا المعنى الذي اختاره شيخ المفسرين ، الإمام ابن جرير رحمه الله ، وتابعه بذلك الحافظ ابن كثير ، وتأييده الأحاديث الصحيحة :

الحديث الأول: أخرج الإمام أحمد في المسند ، بسند رجاله رجال الصحيح عن أبي هريرة قال: [لما حَضَرَ رمضان قال رسول الله ﷺ: «قد جاءكم شهرُ رمضان ، شهر مبارك ، افترض الله عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة ، وتُغْلَقُ فيه أبواب الجحيم ، وتُغْلَقُ فيه الشياطين ، فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر ، من حَرَمَ خيرَها فقد حُرِمَ»⁽¹⁾].

الحديث الثاني: أخرج ابن ماجة بسند صحيح عن أنس بن مالك قال: [دخل رمضان ، فقال رسول الله ﷺ: «إن هذا الشهرَ قد حَضَرَكم ، وفيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر ، مَنْ حُرِمَها فقد حُرِمَ الخيرُ كُلُّهُ ، ولا يُحْرَمُ خيرَها إلا محروم»⁽²⁾].

الحديث الثالث: أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال: [مَنْ قامَ ليلةَ القدرِ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبه]⁽³⁾.

وقوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾.

أي تهبط الملائكة في تلك الليلة من السماوات إلى الأرض ، والروح هو جبريل عليه السلام ، فهو من باب عَطْفِ الخاص على العام ، وإنما يكثر تَنَزُّلُ الملائكة تلك الليلة لكثرة بركتها ، وكثرة التلاوة للقرآن والذكر فيها ، وكل ذلك بأمر ربها .

أخرج الطيالسي من حديث أبي هريرة مرفوعاً: [إن الملائكة تلك الليلة أكثر من عدد الحصى]⁽⁴⁾.

وعن قتادة: ﴿ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ قال: يقضى فيها ما يكون في السنة إلى مثلها). وقال مجاهد: ﴿ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ قال: سلام هي من كل أمر). قال القاسمي: ﴿ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ أي إنَّ الله يظهر الملائكة والروح لرسله عند كل أمر يريد إبلاغه إلى عباده. فيكون الإذن مبتدئاً من الأمر على هذا المعنى. والأمر هاهنا هو الأمر في قوله: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ

(1) حديث صحيح. أخرجه النسائي (4/ 129) ، وأحمد (2/ 230) ، (2/ 425) ، ورجاله رجال الصحيح ، فهو صحيح إن كان أبو قلابة سمعه من أبي هريرة ، فإنه كثير الإرسال ، وله شواهد.

(2) حسن صحيح. أخرجه ابن ماجة في السنن (1644). كتاب الصيام. انظر صحيح سنن ابن ماجة - حديث رقم (1333). وله شواهد.

(3) حديث صحيح. أخرجه البخاري (1091) ، ومسلم (760) ، وأبو داود (1372) ، والنسائي (8/ 118) ، والترمذي (808) ، وأحمد (2/ 529) ، وأبو يعلى (2632).

(4) حديث حسن. أخرجه الطيالسي (2545) وإسناده لا بأس به ، وله شواهد.

حَكِيمٍ ﴿١﴾ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٢﴾ [الدخان: 4 - 5]. فالكلام في الرسالة والأوامر والأحكام ، لا في شيء آخر سواها. ولهذا قال بعضهم: إن ﴿مِّنْ﴾ هاهنا بمعنى الباء ، أي بكل أمر).

وقوله تعالى: ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾. قال قتادة: (أي هي خير كلها إلى مطلع الفجر). وقال ابن زيد: (ليس فيها شرٌّ ، هي خير كلها ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾). وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، في قوله: ﴿مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ ﴿١﴾ سَلَّمَ هِيَ ﴿٢﴾ قال: (لا يحدث فيها أمر). وقال مجاهد: ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾: من كل أمرٍ سلام).

فضائل ليلة القدر وما ورد في تعيينها من أحاديث:

الحديث الأول: أخرج الترمذي بسند صحيح عن زر بن جبيش قال: [قلتُ لأبي بن كعب: إن أخاك عبد الله بن مسعود يقول: من يقيم الحول يصب ليلة القدر ، قال: يغفر الله لأبي عبد الرحمن لقد علم أنها في العشر الأواخر من رمضان وأنها ليلة سبع وعشرين ولكنه أراد أن لا يتكل الناس ، ثم حلف لا يستثني أنها ليلة سبع وعشرين. قال: قلت له: بأي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر؟ قال: بالآية التي أخبرنا رسول الله ﷺ أو بالعلامة أن الشمس تطلع يومئذ لا شعاع لها]⁽¹⁾. وفي لفظ أبي داود: [تصبح الشمس صبيحة تلك الليلة ، مثل الطُّسْتِ ، ليس لها شعاع حتى ترتفع].

الحديث الثاني: أخرج الطيالسي بسند حسن عن عكرمة ، عن ابن عباس: [أنَّ رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر: «ليلة سَمْعَةٍ طَلْقَةٍ ، لا حَارَّةٌ ولا باردةٌ ، وتُصبح شمسٌ صبيحتها ضعيفة حمراء»]⁽²⁾.

الحديث الثالث: أخرج أحمد والطيالسي وابن خزيمة بسند حسن عن أبي هريرة مرفوعاً: [ليلة القدر ليلة سَابِعَةٌ أو تَاسِعَةٌ وعشرين ، إِنَّ الملائكةَ تلكَ الليلةَ في الأرض أكثر من عددِ الحصى]⁽³⁾.

(1) حسن صحيح. انظر صحيح سنن الترمذي (2669) - كتاب التفسير ، سورة ليلة القدر. وانظر صحيح سنن أبي داود (1229) - باب في ليلة القدر. وروى مسلم نحوه.

(2) حديث حسن. أخرجه أبو داود الطيالسي (2680) ، وللحديث شواهد. فقد أخرجه بنحوه البيهقي وابن خزيمة والبرار وابن نصر. انظر صحيح الجامع (5351).

(3) إسناده حسن. أخرجه أحمد (519/2) ، والطيالسي في «مسنده» (2545) ، وأخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (223/2). وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (2205).

الحديث الرابع: أخرج الطبراني عن وائلة ، وأحمد عن عبادة ، بإسناد حسن ، أن رسول الله ﷺ قال: [ليلة القدر ليلة بلجة ، لا حارة ولا باردة ، . . . ، ولا يرمى فيها بنجم ، ومن علامة يومها تطلع الشمس لا شعاع لها]⁽¹⁾.

الحديث الخامس: أخرج مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: [تحروا ليلة القدر في السبع الأواخر]⁽²⁾. وفي رواية: [قال ابن عمر: رأى رجل أن ليلة القدر ليلة سبع وعشرين ، فقال النبي ﷺ: أرى رؤياكم في العشر الأواخر ، فاطلبوها في الوتر منها].

وفي رواية: [تحينوا ليلة القدر في العشر الأواخر].

وفي لفظ: [التمسوها في العشر الأواخر يعني ليلة القدر ، فإن ضعف أحدكم أو عجز ، فلا يغلبن على السبع البواقي].

الحديث السادس: أخرج الطيالسي وأحمد بسند على شرط مسلم - واللفظ له - عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: [اطلبوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان ، في تسع يمين ، وسبع يمين ، وخمس يمين ، وثلاث يمين]⁽³⁾.

الحديث السابع: أخرج الطبراني عن عبد الله بن أنيس مرفوعاً: [تحروا ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين]⁽⁴⁾.

الحديث الثامن: أخرج أبو داود بسند صحيح عن معاوية بن أبي سفيان ، عن النبي ﷺ في ليلة القدر قال: [ليلة القدر ليلة سبع وعشرين]⁽⁵⁾.

وله شاهد في مسند أحمد من حديث ابن عمر مرفوعاً: [تحروا ليلة القدر ، فمن كان متحرّياً فليتحرّها في ليلة سبع وعشرين].

(1) حديث حسن. انظر مسند أحمد (324/5) ، وقال الهيثمي في «المجمع» (5041): رجاله ثقات. وانظر «المجمع» (5035) ، (5040). ورواه الطبراني. انظر صحيح الجامع (5348).

(2) حديث صحيح. أخرجه مسلم (1165) ح (206) - كتاب الصيام. وكذلك ح (207) ، (209) ، (210) ، (211) ، (212). وانظر مسند أحمد (44/2) ، (75/2).

(3) حديث صحيح. أخرجه الطيالسي (962) دون ذكر التسع ، وأحمد (71/3) والسياق له وإسناده صحيح على شرط مسلم. وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (1471).

(4) حديث صحيح. أخرجه الطبراني وأحمد وابن نصر بإسناد صحيح. انظر صحيح الجامع (2920).

(5) حديث صحيح. أخرجه أبو داود في السنن (1386) - باب من قال: سبع وعشرون. انظر صحيح سنن أبي داود - حديث رقم - (1236).

الحديث التاسع: أخرج البخاري عن عبادة بن الصامت قال: [خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُخَبِّرَ النَّاسَ بَلِيلَةَ الْقَدْرِ ، فِتْلَاحِي رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: خَرَجْتُ لِأُخَبِّرَكُمْ ، فِتْلَاحِي فَلَانٌ وَفِلَانٌ ، وَإِنَهَا رُفِعَتْ ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ ، فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ وَالسَّابِعَةِ وَالْخَامِسَةِ] (1).

قلت: وفي هذا الحديث دلالة أن الخلاف والخصام والشجار شرٌّ بين المسلمين ، قد يُرفع به خيرٌ كثير عنهم ، ومن ذلك رفع تعيين ليلة القدر التي هي خيرٌ من ألف شهر ، ليحرص المسلمون بذلك على الجماعة ، وعلى الاجتهاد بالطاعة ، والله تعالى أعلم.

تم تفسير سورة القدر

بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ ، وَوَاسِعَ مَنْهُ وَكْرَمِهِ

غروب شمس يوم الاثنين 2 - ذي الحجة - 1426 هـ

الموافق 2 - كانون الثاني - 2006 م

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - تنزيل الله تعالى القرآن العظيم في ليلة القدر.
- 2 - ليلة القدر خير من ألف شهر ، من حُرِمَ خيرها فقد حُرِمَ.
- 3 - من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذنبه.
- 4 - تصبح الشمس صبيحة تلك الليلة مثل الطُسْتِ ليس لها شعاع حتى ترتفع.
- 5 - ليلة القدر ليلةٌ سَمْحَةٌ طَلْقَةٌ ، لا حَاوَةَ ولا باردة ، وتصبح شمسٌ صبيحتها ضعيفة حمراء.
- 6 - التمسوا ليلة القدر في التاسعة والسابعة والخامسة من العشر الأواخر من شهر رمضان.



(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (6049) - كتاب الأدب. وكذلك (49) - كتاب الإيمان.

98



وهي سورة مدنية ، ويقال لها سورة ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ ، وعدد آياتها (8).

فضائلها وما ورد في ذكرها :

لقد وَرَدَ ذكر هذه السورة الكريمة في أحاديث من السنة المطهرة :

الحديث الأول: أخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه: [قال النبي ﷺ لأبي: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾. قال: وَسَمَّانِي؟ قال: نَعَمْ. قال: فبِكَيْ⁽¹⁾].

الحديث الثاني: أخرج الترمذي بسند حسن عن أبي بن كعب: [أن رسول الله ﷺ قال: له: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ» فقرأ عليه: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾. وقرأ فيها: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ الْمُسْلِمَةُ لَا يَهُودِيَّةَ ، وَلَا نَصْرَانِيَّةَ ، وَلَا مَجُوسِيَّةَ ، مَنْ يَعْمَلْ خَيْرًا فَلَنْ يُكْفَرَهُ.

وقرأ عليه: لو أَنَّ لَابْنَ آدَمَ وادِيًا مِنْ مَالٍ لَا يَبْتَغِي إِلَيْهِ ثَانِيًا ، وَلَوْ كَانَ لَهُ ثَانِيًا لَا يَبْتَغِي إِلَيْهِ ثَالِثًا ، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا تُرَابٌ ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ⁽²⁾.

الحديث الثالث: أخرج الإمام أحمد بسند حسن عن عبد الله بن عبد الرحمن بن

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (3809) - كتاب مناقب الأنصار. وأخرجه مسلم (799) ، والنسائي في «التفسير» (711) ، وأخرجه أحمد في المسند (273/3).

(2) حديث حسن. انظر صحيح سنن الترمذي (3058) - فضل أبي بن كعب رضي الله عنه. ورواه أحمد (132/5) بإسناد حسن ، وله شاهد عنده (218/5) ورجاله ثقات .

أبزى ، عن أبيه : [عن أبي بن كعب قال : قال لي رسول الله ﷺ : «إني أُمرْتُ أن أقرأ عليك سورة كذا وكذا» . قلتُ : يا رسول الله ! وقد ذُكرْتُ هناك ؟ قال : نعم . فقلت له : يا أبا المنذر ! ففرحت بذلك قال : وما يمنعني والله يقول : ﴿ قُلْ يَفْضَلُ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس : 58] (1) .

موضوع السورة

حُجَّةُ البينة والوحي من رب العالمين
للفصل بين المشركين والمؤمنين في الدارين

- منهاج السورة -

- 1 - الإخبار أن تعلق الكفار من أهل الكتاب والمشركين بما هم عليه من الكفر لا ينفك إلا بحجة الوحي وبلاغ الرسل .
- 2 - الأمر للناس في الكتب المنزلة بإخلاص العبادة لله وحده .
- 3 - الإخبار عن مصير كفرة أهل الكتاب والمشركين ، أنه في نار جهنم نار الجحيم .
- 4 - الإخبار عن مصير المؤمنين الصادقين ، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه فاستحقوا الخلود في جنات النعيم .

(1) حديث حسن . أخرجه أحمد (5/ 123) في المسند من وجهين ، ولبعضه شواهد .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 5. قوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ ﴿٥﴾.

في هذه الآيات: يخبر تعالى أنَّ الكفار من أهل الكتاب والمشركون لم يكونوا منتهين عما هم عليه من الكفر حتى تأتيتهم حجة الوحي وبلاغ الرسل ، فلما جاءهم الحق آمن بعضهم ومنع أكثرهم الكبر ، وقد كانوا أمروا أن يخلصوا الدين لله ويسيّموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويستعدوا ليوم الحشر ، وذلك هو الدين الكامل الذي ارتضاه الله للبشر .

فقوله: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ . قال ابن كثير: (أما أهل الكتاب فهم اليهود والنصارى ، والمشركون عبدة الأوثان والنيران من العرب والعجم).

وقوله: ﴿مُنْفَكِينَ﴾ . أي: منتهين ومنفصلين عن الكفر . قال مجاهد: (لم يكونوا لينتهوا حتى يتبين لهم الحق). وقال قتادة: (﴿مُنْفَكِينَ﴾ قال: منتهين عما هم فيه). وقال البخاري: (﴿مُنْفَكِينَ﴾: زائلين).

وقوله: ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ . قال قتادة: (أي: هذا القرآن). قال النسفي: (﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ الحجة الواضحة ، والمراد محمد ﷺ ، يقول: لم يتركوا كفرهم حتى يبعث محمد ﷺ ، فلما بعث أسلم بعض وثبت على الكفر بعض).

وقوله: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾ . هو بديل من البينة ، والمقصود محمد ﷺ.

وقوله: ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً﴾ . أي: القرآن العظيم المكتتب في الملاء الأعلى في صحف مطهرة ، أي: مصونة عن التحريف واللبس . كقوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿عبس: 13 - 16﴾. قال قتادة: (﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ

يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿١﴾ يذكر القرآن بأحسن الذكر ، ويشني عليه بأحسن الثناء).

قال القاسمي : ﴿١﴾ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿١﴾ وهي صحف القرآن المطهرة من الخلط وحشو المدلسين ، فلهذا تنبعث منها أشعة الحق حتى يعرفه طالبوه ومنكروه معاً).

وقوله تعالى : ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٢﴾ . أي : مستقيمة لا اعوجاج فيها ، لاشتمالها على الحق الذي لا يختلط بباطل ولا يميل إليه ، كقوله تعالى : ﴿٣﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤﴾ [فصلت : 42]. قال ابن زيد : ﴿٥﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٥﴾ : مستقيمة معتدلة).

وأما مفهوم «الكتب» في الصحف ففيه أكثر من تأويل :

التأويل الأول : الصحف هي الكتب . والكتب التي في الصحف هي الأحكام . كما قال الله عز وجل : ﴿٦﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَىٰ ﴿٦﴾ [المجادلة : 21]. بمعنى : حكم . وقال ﷺ : [والله لأقضين بينكما بكتاب الله] - ثم قضى بالرجم . ذكره القرطبي وقال : (وليس ذكر الرجم مسطوراً في الكتاب ، فالمعنى لأقضين بينكما بحكم الله تعالى).

التأويل الثاني : الكتب التي في صحف القرآن ومصاحفه ، هي ما صحّ من كتب الأولين كموسى وعيسى وغيرهما ، مما حكاها الله تعالى في كتابه عنهم ، فإنه لم يأت منها إلا بما هو قوي سليم . ذكره القاسمي وقال : (وقد ترك حكاية ما لبس فيه الملبسون إلا أن يكون ذكره لبيان بطلانه . ولهذا لم يجد الجاحدون لرسالته عليه السلام من أهل الكتاب سبيلاً إلى إنكار الحق . وإنما فضلوا عليه سواه).

التأويل الثالث : الكتب هي السور المكتوبات - سور القرآن - فكل سورة من سور المصحف كتاب قويم . قال النسفي : ﴿٧﴾ فِيهَا ﴿٧﴾ في الصحف ﴿٨﴾ كُتِبَ ﴿٨﴾ مكتوبات ﴿٩﴾ قِيمَةٌ ﴿٩﴾ مستقيمة ناطقة بالحق والعدل). والتقدير : تحتوي صحف القرآن أو صحائفه وأوراق مصحفه على سور مكتوبات من القرآن هي كتب قيمة .

وقوله تعالى : ﴿١٠﴾ وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١٠﴾ .

أي : ولم يكن تفرق أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا لاشتباه في الأمر ، بل كان بعد وضوح الحق وظهور الصواب ، ثم بعث الله محمداً - ﷺ - فأمن به بعضهم وكفر آخرون ، وكان ينبغي أن يكونوا أمة واحدة في الإيمان بالله واتباع رسوله الذي جاءهم بالحق مصداقاً لما معهم ، ولكن تحاكم أكثرهم إلى الهوى والشهوات .

وقد حذر الله أمة محمد ﷺ من الوقوع في ما وقع به أهل الكتاب فقال جل ثناؤه :

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: 105].

أخرج الترمذي والحاكم بسند حسن في الشواهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: [ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل مثلاً بمثل حذو النعل بالنعل ، حتى لو أن فيهم من نكح أمه علانية كان في أمتي من يفعل مثله . إن بني إسرائيل افرقوا على إحدى وسبعين ملة ، وتفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة ، كلها في النار إلا واحدة . ف قيل : يا رسول الله ، ما الواحدة؟ قال : ما أنا عليه اليوم وأصحابي] (1).

وقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ . هو أصل هذا الدين ، وركنه القويم . والمقصود: وما أمر الناس في الكتب المنزلة وكذلك في هذا القرآن إلا بعبادة الله وحده عبادة خالصة من كل ألوان الشرك ، وليجعلوا أنفسهم خالصة له في الدين . ﴿حُنَفَاءَ﴾ مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام . قال ابن عباس: ﴿حُنَفَاءَ﴾: على دين إبراهيم عليه السلام . وقال قتادة: (والحنيفية: الختان ، وتحريم الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات والمناسك) . وأصله في لغة العرب: من تَحَنَّفَ إلى الإسلام ، أي: مال إليه ، فهو التحنّف عن الشرك إلى التوحيد .

وفي التنزيل نحو ذلك :

1 - قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25].

2 - وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36].

3 - وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 64].

(1) حسن لشواهد . أخرجه بتمامه الترمذي في «سننه» (26/5 - طبعة أحمد شاكر) ، والحاكم في «المستدرک» (128/1 - 129) ، والاجري في «الشریعة» ص (15).

أخرج الخطيب عن جابر ، والديلمى عن عائشة ، وأحمد عنها بسند حسن عن النبي ﷺ قال : [بعثت بالحنيفية السمحة] (1).

وروى البخاري في كتاب الإيمان ، باب : الدين يسر وقول النبي ﷺ : «أحب الدين إلى الله تعالى الحنيفية السمحة» ، وكذلك النسائي في «الإيمان وشرائعه» باب : الدين يسر ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : [إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة] (2).

وقوله : ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ . أي : ويفعلوا الصلوات على الوجه الذي يريده الله ، في أوقاتها ، ويعطوا الزكاة المفروضة عند محلها .

وقوله : ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ . أي : إن ذلك الدين هودين الملة القائمة المستقيمة ، دين الأمة العادلة المعتدلة . قال قتادة : ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ هو الدين الذي بعث الله به رسوله ، وشرع لنفسه ، ورضي به).

وقال الزجاج : (أي ذلك دين الملة المستقيمة). قال القرطبي : ﴿وَالْقَيِّمَةِ﴾ نعت لموصوف محذوف . أو يقال : دين الأمة القيمة بالحق ، أي : القائمة بالحق). قال : وقال الخليل : ﴿الْقَيِّمَةِ﴾ جمع القيم ، والقيم والقائم واحد). وقال الفراء : (أضاف الدين إلى القيمة وهو نعت ، لاختلاف اللفظين). وعنه أيضاً : (هو من باب إضافة الشيء إلى نفسه ، ودخلت الهاء للمدح والمبالغة). وقيل : الهاء راجعة إلى الملة أو الشريعة . وقال محمد بن الأشعث الطالقاني : ﴿الْقَيِّمَةِ﴾ هاهنا : الكتب التي جرى ذكرها ، والدين مضاف إليها).

قلت : فهذه الآية العظيمة تدل أن الدين يشمل الإيمان ولوازمه من الأعمال ، وقد استدل بها أئمة كرام كالإمام الزهري والإمام الشافعي مؤكدين أن الأعمال داخلة في مفهوم الإيمان .

6 - 8 . قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ

(1) حديث حسن . رواه أحمد والديلمى . ورواه البخاري «الأدب المفرد» عن ابن عباس بلفظ : [قيل لرسول الله ﷺ : أي : الأديان أحب إلى الله تعالى؟ قال : «الحنيفية السمحة»].

(2) رواه البخاري (87/1) في الإيمان ، ورواه النسائي (121/8 - 122) ، وهو حديث صحيح .

خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾ .

في هذه الآيات : إخبار الله تعالى عن مصير كفرة أهل الكتاب والمشركين ، أنهم في نار جهنم نار الجحيم ، خالدين فيها مع أشقياء البرية والمجرمين . ثم تقرير الله جلّت عظّمته أن أهل الإيمان والعمل الصالح هم خير العالمين ، جزاؤهم عند ربهم الخلود في جنات النعيم ، تجري من تحتهم الأنهار ناعمين غانمين ، لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه فاستحقوا عنده الخلود آمنين مطمئنين .

قال ابن جرير : ﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ يقول جلّ ثناؤه : هؤلاء الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ، هم شرّ من برأه الله وخلقّه . والبرية في لغة العرب : الخليفة . قال الرازي : (البرى : التراب . والبرية : الخلق ، وأصله الهمزة ، والجمع «البرايا» و«البريات» . وقد «براه» الله أي : خلقه) .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ . أي : خير الخليفة حالاً ، لأنهم آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم إخبائاً ، ولذلك سيكونون خير الخليفة مصيراً ومالاً .

وفي صحيح مسلم وسنن الترمذي عن أنس بن مالك قال : [قال رجل للنبي ﷺ : يا خير البرية ، قال : «ذاك إبراهيم»] ⁽¹⁾ . أخرجه الترمذي عند تفسير هذه الآية .

ومن كنوز صحيح السنة في آفاق ذلك أحاديث :

الحديث الأول : أخرج النسائي وأحمد وابن حبان بإسناد صحيح عن عطاء بن يسار عن ابن عباس : [أنّ النبي ﷺ خرج عليهم وهم جلوس فقال : ألا أخبركم بخير الناس منزلة؟ قلنا : بلى ، قال : رجل ممسك برأس فرسه في سبيل الله حتى يموت أو يقتل . قال : فأخبركم بالذي يليه؟ قلنا : نعم يا رسول الله ، قال : امرؤ معتزل في شعب يقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويعتزل الناس . قال : فأخبركم بشر الناس منزلة؟ قلنا : نعم يا رسول الله ، قال : الذي يسأل بالله العظيم ، ولا يعطي به] ⁽²⁾ .

(1) حديث صحيح . أخرجه مسلم في الصحيح (97/7) . وانظر صحيح سنن الترمذي (2670) .

(2) حديث صحيح . أخرجه النسائي (358/1) ، والدارمي (201/2 - 202) ، وابن حبان في =

الحديث الثاني: أخرج الترمذي وأحمد بسند صحيح عن أبي هريرة: [أن رسول الله ﷺ وقف على ناس جلوس فقال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بخيركم من شرِّكم؟» قال: فسكتوا ، فقال ذلك ثلاث مرات ، فقال رجل: بلى يا رسول الله أخبرنا بخيرنا من شرنا. قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ ، وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ»⁽¹⁾.

الحديث الثالث: أخرج الطبراني بسند حسن لغيره عن عبد الله بن عمر قال: [سئل النبي ﷺ: أي الناس خير؟ قال: أحسنهم خلقاً]⁽²⁾.

وقوله: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.

أي: ثوابهم عند ربهم يوم القيامة بساتين الجنان ، تجري تحتهم الأنهار ، يطلون عليها ينظرون وينعمون ، ولا يحولون ولا يزولون.

وقوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾. إثبات تبادل الرضا بينهم وبين ربهم. فقد رضوا عن شرعه وقدره ورضي عن دينهم وأعمالهم. قال ابن عباس: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: رضي أعمالهم. قال ابن جرير: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بما أطاعوه في الدنيا ، وعملوا لخلاصهم من عقابه في ذلك ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بما أعطاهم من الثواب يومئذ ، على طاعتهم ربهم في الدنيا ، وجزاهم عليها من الكرامة.

وقوله: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ حَسِيَ رَبُّهُ﴾. قال القاسمي: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: هذا الجزاء الحسن وهذا الرضاء ﴿لِمَنْ حَسِيَ رَبُّهُ﴾ أي: خاف الله في الدنيا ، في سره وعلايته ، فاتقاه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه. فإن الخشية ملاك السعادة الحقيقية).

تم تفسير سورة البينة

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

غروب شمس يوم الثلاثاء 3 - ذي الحجة - 1426 هـ

الموافق 3/ كانون الثاني/ 2006 م

= «صحيحه» (1593) ، وأحمد (1/ 237). وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (255).

(1) حديث صحيح. أخرجه الترمذي في السنن (2263). انظر صحيح سنن الترمذي (1845).

(2) حسن لغيره. أخرجه الطبراني (13326) ، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (1837). وأصله في الصحيحين من حديث ابن عمرو مرفوعاً بلفظ: [خياركم أحاسنكم أخلاقاً].

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - لم يترك الكفار كفرهم حتى بُعثَ محمد ﷺ ، فلما بعث آمن بعضهم وبقي على الكفر الآخرون.
- 2 - تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين ملة ، كلها في النار إلا واحدة ، وهي الجماعة . - كما جاء في الحديث . - وفي رواية : [ما أنا عليه اليوم وأصحابي].
- 3 - أحب الأديان إلى الله تعالى: الحنيفية السمحة .
- 4 - خيار الناس أحسنهم خلقاً ، وشرار الناس من لا يُرجى خَيْرُهُ ، ولا يُؤْمَنُ شَرُّهُ .
- 5 - المؤمنون الأوائل رضي الله عنهم وعن فهمهم لمراذه ، ورضوا هم عن الله وعن قضائه وقدره وشرعه وثوابه .



99



وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (8) .

أخرج أبو داود بسند حسن عن معاذ بن عبد الله الجهني : [أَنَّ رجلاً من جهينة أخبره : أنه سمع النبي ﷺ يقرأ في الصبح : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ ﴾ في الركعتين كليهما ، فلا أدري ! أنسي رسول الله ﷺ ، أم قرأ ذلك عمداً]⁽¹⁾ .

موضوع السورة

زلزلة الساعة ومشهد الحساب

- منهاج السورة -

- 1- زلزلة الأرض لقيام الساعة والنشور ، وإخراجها الموتى من القبور .
- 2- اندهاش الإنسان لتقلب هذه الأحوال ، ونطق الأرض بإذن ربها بما كان على ظهرها من الأعمال .
- 3 - صدور الناس لمشهد الحشر والحساب ، والوزن الحق للأعمال لنيل الثواب المستحق أو العقاب .

(1) حديث حسن . أخرجه أبو داود (816) - في الصلاة - باب الرجل يعيد سورة واحدة في الركعتين ، ورواه البيهقي وغيره . انظر صحيح سنن أبي داود (730) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 8. قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ ① وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ③ يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَعْيَارَهَا ④ إِنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ⑤ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيرَوْا أَعْمَالَهُمْ ⑥ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧ .

في هذه الآيات: تنزل الأرض لقيام الساعة والنشور ، وإخراجها الموتى ومن في القبور ، واندھاش الإنسان لتقلب هذه الأحوال ، ونطق الأرض بإذن ربها بما كان على ظهرها من الأعمال ، وصدور الناس أشتاتاً لمشهد الحشر والحساب ، ونيل الثواب ونكال العقاب .

فقوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ . قال ابن عباس: (أي: تحرّكت من أسفلها). والزّلزال مصدر ، قال القاسمي: (أي: أصابها ذلك الزلزال الشديد ، والاهتزاز الرهيب . فالإضافة للتفخيم أو الاختصاص ، بمعنى الزلزال المخصوص بها . وهي الرّجّة التي لا غاية وراءها . والأقرب الأول ، لآية: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُورَ رَبَّكُمْ إِنَّكَ زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ شَقٌّ عَظِيمٌ﴾ [الحج: 1] .

والمقصود: إذا زلزلت الأرض لقيام الساعة فرجّت رجاً بعد استقرارها ، وحُرّكت حركة شديدة من أصلها ، فاضطرب ما عليها وتكسّر لاهتزازها .

وكان ابن عباس ومجاهد يقولان: (في النفخة الأولى يزّلزلها - لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجِفَةُ﴾ ⑥ تَبْعُهَا الرَّادِفَةُ ⑦ [النازعات: 6 - 7] ثم تنزل ثانية ، فتخرج موتاها وهي الأثقال).

وقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ . قال عكرمة عن ابن عباس: (الموتى). وقال مجاهد: (من في القبور). وقال ابن عباس ومجاهد: ﴿أَثْقَالَهَا﴾: موتاها ، تُخرجهم في النفخة الثانية ، ومنه قيل للجن والإنس: الثّقَلان).

قال الأخفش: (إذا كان الميت في بطن الأرض ، فهو ثقل لها . وإذا كان فوقها ، فهو ثقل عليها). والمقصود: تخرج الأرض يومئذ ما في جوفها من الأموات والدفائن وما عُملَ عليها .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: [تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَادَ كَبْدِهَا أَمْثَالَ الْأَسْطُوانِ⁽¹⁾ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، فيجيء القتاتل فيقول: في هذا قَتْلٌ . ويجيء القاطع فيقول: في هذا قَطَعْتُ رحمي . ويجيء السارق فيقول: في هذا قُطِعَتْ يدي ، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً]⁽²⁾ .

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴾ . أي: وقال الإنسان لما دهمه أمرها وبهره خطبها: لأي شيء زلزلت وأخرجت أثقالها؟ وقد كانت قارة ساكنة بأهلها! لقد تقلبت أحوالها بعدما جاءها من أمر الله ما جاءها . كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: 48] .

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ . أي: يومئذ تخبر بأخبارها ، وتحدث بما عمل عليها ، ينطقها الله سبحانه لتشهد على العباد .

وعن سفيان: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾ قال: ما عمل عليها من خير أو شر). وقال ابن زيد: (ما كان فيها ، وعلى ظهرها من أعمال العباد). وقال مجاهد: (تخبر الناس بما عملوا عليها).

وقوله تعالى: ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ . أي: تحدث أخبارها بوحى الله وأمره لها ، بأن تخبر عما جرى عليها ، وتشهد على العاملين بما كان منهم على ظهرها . وعن سفيان: ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ قال: أعلمها ذلك). وقال مجاهد: (أمرها). وقيل: (أذن لها).

وقال البخاري: ﴿ أَوْحَى لَهَا ﴾ ، أوحى إليها ، ووحى لها ، ووحى إليها واحد).

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾ . أي: يصدر الناس يومئذ من قبورهم إلى موقف الحساب ، متفرقين ينصرف بعضهم إلى جهة اليمين وبعضهم إلى جهة الشمال ، إضافة إلى التفرق في الأديان والأعمال . قال ابن جريج:

(1) جمع أسطوانة: وهي السارية ، أو العمود .

(2) حديث صحيح . أخرجه مسلم (1013) ، والترمذي (2208) ، وأخرجه ابن حبان (6697) .

(يَتَصَدَّعُونَ أَشْثَاتًا فَلَآ يَجْتَمِعُونَ آخَرَ مَا عَلَيْهِمْ). وقال السدي: ﴿أَشْثَاتًا﴾ (فِرْقًا).
و﴿أَشْثَاتًا﴾ جمع شَتَّ. وفي التنزيل نحو ذلك:

1- قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم: 14].

2- وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: 43].

وقال النسفي: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّرُ النَّاسُ﴾ يصدرون عن مخارجهم من القبور إلى الموقف ﴿أَشْثَاتًا﴾ بيض الوجوه آمين وسود الوجوه فزعين ، أو يصدرون عن الموقف أشثاتاً يتفرق بهم طريقاً الجنة والنار ﴿لَيُرَوَّأُ أَعْمَلُهُمْ﴾ أي: جزاء أعمالهم).

وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ.

الذَّر: ما يرى في شعاع الشمس من الهباء. والمقصود: من يعمل في الدنيا مثقال ذرة من أعمال البر والصلاح يجد ذلك في كتابه يوم القيامة فيفرح به ، أو يراه بعينه معروضاً عليه ، يحمل البشري إليه . ومن يعمل كذلك في الدنيا مثقال ذرة من أعمال الفجور والسوء يجد ذلك في كتابه يوم القيامة فيسوؤه ، وقد يغفره الله .

وفي صحيح البخاري - عند تفسير هذه الآية - عن أبي هريرة رضي الله عنه: [أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْخَيْلُ لثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وَزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ: فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَطَالَ لَهَا فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيلِهَا ذَلِكَ فِي الْمَرْجِ وَالرَّوْضَةِ كَانَ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيلَهَا فَاسْتَنْتَّ شَرْفًا أَوْ شَرْفَيْنِ كَانَتْ آثَارُهَا وَأَزْوَائُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهْرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَمْ يُرَدْ أَنْ يَسْقِيَ بِهِ كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، فَهِيَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ أَجْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغْنِيًّا وَتَعَفُّفًا، وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي رِقَابِهَا وَلَا ظَهْرَهَا فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فُخْرًا وَرِيَاءً وَنَوَاءً فَهِيَ عَلَى ذَلِكَ وَزْرٌ». فَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْحُمْرِ، قَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ الْفَادَةُ الْجَامِعَةَ﴾ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» (1).

وفي مسند الإمام أحمد ومستدرک الحاكم بسند رجاله رجال الصحيح عن صَعْصَعَةَ بن معاوية ، عَمَّ الفرزدق : [أنه أتى النبي ﷺ فقراً عليه : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ، قال : حسبي ! لا أبالي ألا أسمع غيرها] (1).

وقد حفلت السنة العطرة بروائع من الأحاديث في مفهوم هاتين الآيتين :

الحديث الأول : روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : [إن الله لا يظلمُ مؤمناً حسنةً ، يُعطي بها في الدنيا ويَجْزِي بها في الآخرة ، وأما الكافر فيطعمُ بحسنات ما عَمِلَ بها لله في الدنيا ، حتى إذا أفضى إلى الآخرة ، لم تكن له حسنة يُجْزَى بها] (2).

الحديث الثاني : أخرج أحمد وابن ماجه بسند صحيح عن عوف بن الحارث بن الطفيل : أن عائشة أخبرته : أنَّ النبي ﷺ كان يقول : [يا عائشة ! إياك ومحقرات الذنوب ، فإن لها من الله طالباً] (3).

الحديث الثالث : أخرج أحمد والطبراني بسند حسن في الشواهد عن عبد الله بن مسعود ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : [إياكم ومُحَقَّرَاتِ الذنوب ، فإنهنَّ يَجْتَمِعْنَ على الرجل حتى يهلكنه ، كرجُلٍ كان بأرض فلاة فحضرَ صنيعَ القوم ، فجعلَ الرجلُ يجيءُ بالعود ، والرجل يجيءُ بالعود ، حتى جمعوا من ذلك سواداً وأَجَجُوا ناراً فأَنْضَجُوا ما فيها] (4).

وله شاهد في المسند ومعجم الطبراني من حديث سهل بن سعد مرفوعاً بلفظ : [إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنما مثل مُحَقَّرَاتِ الذنوب كمثل قوم نزلوا بطنَ وادٍ ،

(1) حديث صحيح . أخرجه أحمد في المسند (59/5) ، والحاكم في المستدرک (613/3) ، والنسائي في «التفسير» (714) ، والطبراني (7411) وقال الهيثمي في «المجمع» (141/7) : رواه أحمد والطبراني مرسلًا ومتصلًا ورجال الجميع رجال الصحيح .

(2) حديث صحيح . رواه مسلم (2808) ح (56) - كتاب صفات المنافقين . وانظر أيضاً ح (57).

(3) حديث صحيح . أخرجه أحمد في المسند (70/6) ، وابن ماجه (4243) ، وابن حبان (5568).

(4) حديث حسن . أخرجه أحمد (402/1) ، والطبراني (10500) ، وأخرجه أبو يعلى (5/22) من وجه آخر ، والحديث حسن بشواهد . انظر المجمع (189/10) ، وصحيح الجامع (2684).

فجاء ذا بعود ، وجاء ذا بعود ، حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم ، وإنَّ محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه⁽¹⁾.

الحديث الرابع: أخرج البخاري ومسلم من حديث عدي مرفوعاً: [اتقوا النار ولو بشق تمره ، ولو بكلمة طيبة]⁽²⁾.

الحديث الخامس: أخرج البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعاً: [يا نساء المؤمنات ، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة]⁽³⁾ - يعني ظلفها.

الحديث السادس: أخرج البخاري في «التاريخ الكبير» ، ومالك في «الموطأ» ، وأحمد في المسند بإسناد حسن من حديث حواء بنت السكن مرفوعاً: [رُدُّوا السائل ولو بظلفٍ مُحَرَّقٍ]⁽⁴⁾.

الحديث السابع: أخرج أبو داود بسند صحيح من حديث جابر بن سليم مرفوعاً: [لا تحقرن شيئاً من المعروف ، وأن تكلم أخاك وأنت مُنْبَسِطٌ إليه وَجْهٌك إنَّ ذلك من المعروف]⁽⁵⁾.

وفي لفظ: [لا تحقرن من المعروف شيئاً ، ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسطاً ، ولو أن تُفْرِغَ من دُلُوكَ في إناء المُسْتَقِي ، وإن امرؤ شتمك بما يعلمُ فيك فلا تشتمه بما تعلمُ فيه ، فإنه يكون لك أجره وعليه وزره] الحديث⁽⁶⁾.

والخلاصة: تحثُ خاتمة السورة على التسابق إلى مزيد من العمل الصالح ولو كان

(1) حديث صحيح. أخرجه أحمد (331/5) ، والطبراني ، والبيهقي في «الشعب» (1/384/2) ، وقال الهيثمي (190/10): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني في الثلاثة من طريقين ، ورجال إحداهما رجال الصحيح غير عبد الوهاب بن عبد الحكم وهو ثقة». وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (389) ، وصحيح الجامع (2683).

(2) حديث صحيح. أخرجه البخاري (1413) ، و (1417) ، ومسلم (1016) ، وأحمد (256/4).

(3) حديث صحيح. أخرجه البخاري في صحيحه (2566) - كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها.

(4) حديث حسن. أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (262/5) ، والنسائي (81/5) ، وأحمد (435/6) ، ومالك في «الموطأ» (931/2) ، وابن حبان (3374).

(5) حديث صحيح. أخرجه أبو داود في السنن (4084) في أثناء حديث ، كتاب اللباس ، باب ما جاء في إسبال الإزال. انظر صحيح سنن أبي داود (3442).

(6) حديث صحيح. انظر مسند أحمد (64/5) ، وسنن النسائي «الكبرى» (9694) ، (9696) ، وصحيح ابن حبان (521) ، وسنن أبي داود (4084) بسند جيد.

من الأعمال البسيطة التي لا تعب في تحصيلها ولا جهد ولا نصب ، ليرجح الميزان يوم الحساب ولو بشعرة إلى الزحزحة عن النار إلى رضوان الله إلى العبور إلى الجنة دار القرار والنعيم والخلود .

تم تفسير سورة الزلزلة
 بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه
 عصر يوم الأربعاء 4 - ذي الحجة - 1426 هـ
 الموافق 4 / كانون الثاني / 2006 م

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - تخرج الأرض يوم القيامة ما في جوفها من الأموات والدفائن وما عَمِلَ عليها .
- 2 - يصدر الناس يومئذ من قبورهم إلى موقف الحساب ، متفرقين ينصرف بعضهم إلى جهة اليمين وبعضهم إلى جهة الشمال ، إضافة إلى التفرق في الأديان والأعمال .
- 3 - إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه .



100



وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (11) .

موضوع السورة

أثر المباغته بالعاديات في النصر على الأعداء
ووجوب التفكير بنعم الله والبعث والجزاء

- منهاج السورة -

- 1 - قَسَمُ الله تعالى بالخيل المباغته في الهجوم ، يُغَيِّرُ عليها المجاهدون وهي تحمحم بصوتها وتقذح بحوافرها وتثير الأرض حتى تنزل بساحة القوم .
- 2 - جحود الإنسان نعم ربه الكريم ، والحُبُّ الشديد للمال والتعظيم .
- 3 - الحث على التفكير بالبعث من القبور ، وإخراج السرائر من الصدور .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 11. قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِبَاتِ قَدْحًا ۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾.

في هذه الآيات: ثناء الله تعالى على المباغتين - في قتال الكفرة - والمهاجمين ، فأقسم جلت عظمته بالخيّل التي يُغيّر عليها القوم إذا أصبحوا لياغتوا عدوهم ، وهي تشتد عند الفجر وتحمحم بصوتها ، وتقذح بحوافرها التي تضرب الحصى فيخرج منه النار ، وتثير تراب الأرض في الطريق إلى القتال ، حتى تنزل فجأة في ساحة القوم المجرمين فتباغتهم بهجوم سريع مفاجئ ، فتكسب الملحمة وتوقع الخسارة بالعدو وتغنم الغنائم ، إنّ الإنسان لربه لكفور ، وإنه لحب المال لشديد ، فهلاً تفكر بالبعث من القبور ، وإخراج السرائر من الصدور ، فالله تعالى بأعمال العباد خبير بصير .

فقوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ . مدح من الله تعالى: «العاديات ضَبْحًا» وهي الخيل التي تعدوها وهي تحمحم ، والضبح: الحمحمة⁽¹⁾ . قال ابن عباس: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ الخيل ، هو في القتال . وقال عكرمة: (ألم تر إلى الفرس إذا جرى كيف يضبح) . وقال عطاء: (ليس شيء من الدواب يضبح غير الكلب والفرس) .

والآية: قسم من الله تعالى بالخيّل إذا أُجريت في سبيله فعدت وضبحت . وضبحاً: حال ، أو مصدر في موضع الحال .

وقوله تعالى: ﴿فَالْمُورِبَاتِ قَدْحًا﴾ . قال الكلبي: (تقذح بحوافرها حتى يخرج منها النار) . وقال قتادة: (هجن الحرب بينهم وبين عدوهم) .

(1) الضبح: هو الصوت الذي يُسمع من الفرس حين تعدو . قال الفراء: (الضَّبْحُ: صوت أنفاس الخيل إذا عدّون) .

والعرب تقول: وَرَى الزند يَرِي وَرِيّاً: إذا خرجت ناره. ويجوز بالكسر أيضاً: (وَرِيّ الزند يَرِي وَرِيّاً). وأصل القَدْح الاستخراج، ومنه قولهم: قَدْحْتُ العين: إذا أخرجت منها الماء الفاسد. واقدخت بالزند. والمِقْدَحَة: ما تُقْدَح به النار. والقَدَّاح: الحجر الذي يُوري النار. فَبَعْدُو تلك الخيل في طريقها إلى القتال أثناء المباغته والهجوم، تضرب الحصى بمناسمها بعضه ببعض، فيخرج منه النار والشرر. أثنى الله سبحانه على ذلك.

وقوله تعالى: ﴿فَالْمُغِيرَتِ صُبْحًا﴾. متابعة في الوصف المثير، الموجب للمدح والثناء والكبير. قال قتادة: (أغار القوم بعدما أصبحوا على عدوهم). وعن مجاهد: ﴿فَالْمُغِيرَتِ صُبْحًا﴾ قال: هي الخيل. وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: (سألني رجل عن المغيرات صباحاً، فقال: الخيل تغير في سبيل الله). وقال عكرمة: (أغار على العدو صباحاً).

وقوله تعالى: ﴿فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا﴾. أي: فرفعن بالوادي غباراً من أثر تلك الحركة المفاجئة السريعة، والنقع: الغبار.

فعن مجاهد: (قوله: ﴿فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا﴾ قال: الخيل). وقال عطاء: (النقع: الغبار). وقال عكرمة: (أثارت التراب بحوافرها).

وقوله تعالى: ﴿فَوْسَطُنَ بِهِ جَمْعًا﴾. أي: فوسطن بركابهن جمع العدو.

قال عكرمة: (جمع الكفار). وقال قتادة: (فوسطن جمع القوم). وقال الضحاك: (الجمع: الكتبية).

وعن ابن زيد: (في قوله: ﴿وَالْمَدِيدَتِ صُبْحًا﴾ ① ﴿فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا﴾ قال: هذا قسم أقسم الله به. وفي قوله: ﴿فَوْسَطُنَ بِهِ جَمْعًا﴾ قال: كل هذا قسم).

قلت: وخلاصة القول: لقد وَصَف سبحانه بجوامع من الكلم وروائع من البيان تفاصيل معركة كاملة، منذ الإغارة من الفجر، حتى حصول النصر، ليعلم المؤمنين أنّ هذا الدين العظيم دين قوة وعز ونصر، ودين هجوم على الباطل ومباغته لأهل الكفر، دين قهر لأعداء الله في الأرض لا دين ضعف وعجز وكسل، أو دفاع وانتظار وخجل، وقد أقسم الله تعالى بتلك الخيل المغيرة، والله سبحانه يقسم بما شاء، ولا يقسم جل ثناؤه إلا بعظيم، وأمر هام وكبير.

لقد أخرج الإمام أحمد في مسنده، والطبراني في معجمه، بسند صحيح عن

عبد الله بن أبي أوفى قال: [كان يحب أن ينهضَ إلى عدوه عند زوال الشمس]⁽¹⁾.

وهذا الوقت وقت راحة وتعب وقيلولة ، فكان يحب عليه الصلاة والسلام أن يباغت به عدوه .

وفي رواية أخرى للحديث: [كان يعجبه أن يلقي العدو عند زوال الشمس].

وروى أبو داود والنسائي بسند صحيح عن كعب قال: [كان إذا أراد غزوة ورى بغيرها]⁽²⁾.

وذلك لتحصل المباغته والهجوم المفاجئ ، فإن الحرب خدعة ، والمؤمنون هم أحق الناس في الأرض بتعلم فنون المباغته وطرق كبت العدو .

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ . هو جواب القسم . والمعنى: إن الإنسان لربه لكفور . قاله ابن عباس ومجاهد . وقال الحسن البصري: (هو الكفور الذي يعدّ المصائب ، وينسى نعم ربه) . وقال: ﴿ لَكَنُودٌ ﴾ يقول: لوأم لربه يعدّ المصائب) . وَكَئِدَ - في لغة العرب - كفرّ النعمة فهو كنود . قال النسفي: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴾ لكفور ، أي: إنه لنعمة ربه خصوصاً لشديد الكفران) .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ لَشَٰهِدٌ ﴾ . فيه تأويلان حسب موقع الضمير:

التأويل الأول: إن الله على كنود الإنسان ربه شهيد: - يعني لشاهد - وهذا من باب الوعيد . قال قتادة: ﴿ وَإِنَّكُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ لَشَٰهِدٌ ﴾ قال: يقول: إن الله على ذلك لشهيد) . وقال سفيان: (يقول: وإن الله عليه شهيد) .

التأويل الثاني: إن الإنسان على كونه كنوداً لشهيد . قال ابن كثير: (أي: بلسان حاله . أي ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله) .

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكُمْ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ . فيه تأويلان متكاملان:

التأويل الأول: إنه لحب المال لشديد . قال القرطبي: (أي لقوي في حبه للمال) .

التأويل الثاني: إنه لحريصٌ بخيل ، من محبة المال . قال ابن جرير: (قال بعض

(1) حديث صحيح . أخرجه أحمد (4/ 356) ، وله شاهد عند البخاري (6/ 91 - فتح) ، وعند البيهقي (9/ 152) . وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (2126) .

(2) حديث صحيح . انظر صحيح الجامع (4538) ، وكتابي: السيرة النبوية (2/ 789) لتفصيل البحث .

البصريين: معنى ذلك: وإنه من أجل حبّ الخير لشديد: أي لبخيل. قال: يقال للبخيل: شديد ومتشدد).

أخرج ابن أبي خيثمة والبخاري بسند صحيح عن ابن عباس مرفوعاً: [مَنْهُومان لا يشبعان: طالبٌ علم ، وطالب دنيا]⁽¹⁾.

والمقصود: أنّ الإنسان لحب المال لشديد قوي يميل كثيراً إلى البخل والإمساك ، وأما لحب عبادة ربه المنعم المتكرم فبطيء ضعيف .

وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رَمَاهُ فِي الْقُبُورِ ﴾ . قال ابن عباس: (بُحْثٌ).

والمقصود: أفلا يعلم إذا نُثِرَ ما في القبور من الموتى وأخرجوا من قبورهم للحشر والحساب ، كيف يكون مستقبله أفي الثواب أو العقاب!

وقوله تعالى: ﴿ وَخُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ . قال ابن عباس: (أُبْرِزَ). وقال سفيان:

(يقول: مُبْرِزٌ). والمعنى: ومُيِّزٌ ويُبَيِّنُ يومئذ ما في الصدور من الخير والشر ، وأُبْرِزَ ما فيها من السِّرِّ .

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ . قال ابن جرير: (يقول: إِنَّ رَبَّهُم

بأعمالهم ، وما أسروا في صدورهم ، وأضمره فيها ، وما أعلنوه بجوارحهم منها ، عليهم لا يخفى عليه منها شيء ، وهو مجازيهم على جميع ذلك يومئذ).

أخرج الحاكم بسند صحيح عن عمرو بن ميمون الأودي قال: قام فينا معاذ بن جبل

فقال: يا بني أود! إني رسولُ رسولِ الله ﷺ: [تعلمون المعاد إلى الله ، ثم إلى الجنة أو إلى النار ، وإقامة لا ظعن فيه ، وخلود لا موت ، في أجساد لا تموت]⁽²⁾.

تم تفسير سورة العاديات

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

غروب شمس يوم الأربعاء 4 - ذي الحجة - 1426 هـ

الموافق 4/ كانون الثاني/ 2006 م

(1) حديث صحيح. أخرجه ابن أبي خيثمة (142/ 141)، والبخاري. وانظر صحيح الجامع (6500).

(2) حديث صحيح. أخرجه الحاكم (83/ 1)، وأورده الهيثمي في «المجمع» (10/ 396) نحوه، دون الجملة الأخيرة، وقال: رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط». وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم (1668)، وقد مضى.

دروس ونتائج وأحكام

- 1- كان رسول الله ﷺ يحب أن ينهض إلى عدوه عند زوال الشمس .
- 2- منهومان لا يشبعان: طَالِبُ عِلْمٍ ، وطالب دنيا .
- 3- يبين يوم الحشر ما في الصدور من الخير والشر ، ويرز ما كان فيها من السّر .



101



وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (11).

موضوع السورة

أهوال القارعة وأحوال الناس يوم الدين

- منهاج السورة -

- 1- التخويف من أمر القارعة ، تفرع القلوب بالفزع ، وتفرع أعداء الله بالعذاب .
- 2- انتشار الناس كالفراس في أرض المحشر ، والجبال كالصوف المنفوش المبعثر .
- 3 - أهل الموازين الثقيلة في جنات النعيم ، وأصحاب الموازين الخفيفة في نار الجحيم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1- 11. قوله تعالى: ﴿ الْقَارِعَةُ ١ مَا الْقَارِعَةُ ٢ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ٥

الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ
خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا آدْرَكَكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارٌ
حَامِيَةٌ ﴿١١﴾.

في هذه الآيات: تعظيمُ الله أمر القارعة ، تفرع العباد بأهوالها ، ويكون الناس كالفراس المنتشر في أرض الحشر ، والجبال كالصوف المنفوش المبعثر ، فمن ثقلت موازينه كان في جنات النعيم ، ومن خفت موازينه كان في نار الجحيم .

فقوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ﴾ . اسم من أسماء القيامة ، سميت بذلك لأنها تفرع القلوب بالفرع ، وتفرع أعداء الله بالعذاب . قال ابن عباس: ﴿الْقَارِعَةُ﴾ من أسماء يوم القيامة ، عَظَمَهُ اللهُ وحذره عباده . وقال قتادة: ﴿الْقَارِعَةُ﴾: الساعة . وقال وكيع: (سمعت أن القارعة والواقعة والهاقة: القيامة) . قلت: وكذلك الطامة والصاخة والغاشية وغير ذلك من أسماء ونعوت القيامة .

وقوله تعالى: ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ . قال ابن جرير: (يقول تعالى ذكره معظماً شأن القيامة والساعة التي يقرع العباد هولها ، أي شيء القارعة ، يعني بذلك: أي شيء الساعة التي يقرع الخلق هولها ، أي ما أعظمها وأفظعها وأهولها) .

وقوله تعالى: ﴿وَمَا آدْرَكَكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ . قال القاسمي: (تأكيد لهولها وفظاعتها ، ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى أن عظم شأنها ومدى شدتها ، بحيث لا تكاد تناله دراية أحد ، حتى يدريك بها) .

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ . الفراش: هو الحشرة الطائرة المعروفة . والمبثوث: المنتشر . والمقصود: القارعة يوم يسير الناس على غير هدى في كل اتجاه لشدة الهول حتى يحشروا إلى الموقف . كما قال سبحانه: ﴿كَانَ هُمْ جَرَادًا مُّثَبِّرًا﴾ [القمر: 7] .

وعن قتادة: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ هذا الفراش الذي رأيت يتهافت في النار . وقال ابن زيد: (هذا شبهة شبهه الله . وكان بعض أهل العربية يقول: معنى ذلك: كغوغاء الجراد ، يركب بعضه بعضاً ، كذلك الناس يومئذ ، يجول بعضهم في بعض) .

وقوله تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ . العهن: الصوف .

والمعنى: وتكون الجبال يومئذ كالصوف الملون بالألوان المختلفة الذي تُفَسَّ بالندف. وهذا لأنها تتفتت وتطَّير. قال قتادة: (العهن: هو الصوف. وذكر أن الجبال تسير على الأرض وهي في صورة الجبال كالهباء). قال ابن جرير: (يقول تعالى ذكره: ويوم تكون الجبال كالصوف المنفوش. والعهن: هو الألوان من الصوف).

وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾. أي: أعماله الصالحة. والموازن: الوزن. والمقصود: رجحت حسناته على سيئاته في الميزان.

والميزان كما دلت السنة الصحيحة هو لِوَزْنِ الأعمال يوم القيامة، وله كفتان حسيّتان مشاهدتان، وهو ميزان دقيق عالي الحساسية والدقة، يعطي الوزن الصحيح لكل عمل حسب قيمته وظروف القيام به، والغربة التي رافقته، ودواعي النفس والسوء التي صاحبته، وخلاصه من الرياء وحب السمعة، وبُعده عن الظهور وحب الرياسة، والأذى الذي لحق بصاحبه، والصبر الذي صُرف له، وكظم الغيظ ومعالي الأخلاق وجميل الحلم الذي احتسب الله عنده، فقد هيا الله هذا الميزان يوم القيامة ليؤشر ويدخل في الحساب هذه الدقة العالية.

وفي التنزيل:

1 - قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47].

2 - وقال تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ يَمَا كَانُوا يَتَنَبَّأُونَ ظِلْمُونَ﴾ [الأعراف: 8 - 9].

ومن صحيح السنة العطرة في مفهوم ذلك أحاديث:

الحديث الأول: أخرج الحاكم بسند جيد عن سلمان، عن النبي ﷺ قال: [يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعت. فتقول الملائكة: يا رب: لِمَنْ يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي. فتقول الملائكة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك. ويوضع الصراط مثل حد موسى فتقول الملائكة: من تجيز على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي. فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك] (1).

الحديث الثاني: أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

رسول الله ﷺ: [كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم]⁽¹⁾.

الحديث الثالث: أخرج مسلم في الصحيح من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [الطهور شطرُ الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله ، والحمد لله تملآن ما بين السماوات والأرض]⁽²⁾.

الحديث الرابع: أخرج أحمد في المسند بإسناد حسن عن ابن مسعود رضي الله عنه: [أنه كان يجني سواكاً من الأراك وكان دقيق الساقين ، فجعلت الريح تكفؤه ، فضحك القوم منه ، فقال رسول الله ﷺ: ممّ تضحكون؟ قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه ، فقال: والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد]⁽³⁾.

وقوله تعالى: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾. قال مجاهد: (يقول: في عيشة قد رضيها في الجنة). والعيشة كلمة تجمع النعم التي في الجنة ، والمقصود: هو في حياة مرضية يرضاها صاحبها.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾. أي: خفّ وزن حسناته ، ورجح وزن سيئاته.

أخرج البخاري عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال: [إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة ، وقال اقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴾ [الكهف: 105]]⁽⁴⁾.

وقوله تعالى: ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾. أي: فمسكنه جهنم ، وسمّاها أمّه لأنه يأوي إليها كما يأوي الطفل إلى أمه ، وسميت هاوية لأنه يهوي فيها مع بعد قعرها. فعن قتادة: ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ وهي النار هي مأواهم). وقال: (مصيره إلى النار ، هي الهاوية). وقال قتادة: (هي كلمة عربية ، كان الرجل إذا وقع في أمر شديد قال: هوت أمّه). وعن أبي صالح: ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ قال: يهوون في النار على رؤوسهم).

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (7563) - كتاب التوحيد. وأخرجه مسلم (2694) في الذكر.

(2) حديث صحيح. انظر مختصر صحيح مسلم برقم (120) ، وهو جزء من حديث أطول.

(3) حديث حسن. انظر تخريج الطحاوية (82) - وكتابي: أصل الدين والإيمان (741/2) لمزيد من التفصيل لهذا البحث: «الحساب والقصاص والميزان».

(4) حديث صحيح. أخرجه البخاري (4729) - كتاب التفسير. سورة الكهف ، آية (105).

وعن سعيد عن قتادة: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ قال: يهوي في النار على رأسه). وعن ابن عباس: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ وهو مثلها، وإنما جعلت النار أمه، لأنها صارت مأواه، كما تؤوي المرأة ابنها، فجعلها إذ لم يكن له مأوى غيرها، بمنزلة أم له).
و﴿هاوِيَةٌ﴾ اسم من أسماء النار. قال ابن زيد: (الهاوية: النار، هي أمه ومأواه التي يرجع إليها ويأوي إليها، وقرأ: ﴿وَمَا أُولَئِكَ إِلَّا فِي آسَافٍ﴾).

وفي سنن النسائي بسند صحيح من حديث أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: [إِذَا خُضِرَ المؤمن أَنْتَهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بِيضَاءٍ، فيقولون: أَخْرِجِي رَاضِيَةً مَرْضِيًّا عَنْكَ، إِلَى رَوْحِ اللَّهِ وَرِيحَانٍ، وَرَبٌّ غَيْرُ غَضْبَانٍ، فتخرج كأطيب ريح المسك، حتى أَنَّهُ لَيَنَالُهَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حتى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ السَّمَاءِ، فيقولون: مَا أَطْيَبَ هَذَا الرِّيحَ، التي جَاءَتْكَ مِنَ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ، فلهِم أَشَدَّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ يَقْدُمُ عَلَيْهِ. فيسألونه: مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ، مَاذَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فيقولون: دَعَاهُ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمِّ الدُّنْيَا، فِإِذَا قَالَ: أَمَا أَتَاكُمْ؟ قَالُوا: ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَآوِيَةِ] الحديث⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾. استفهام للتحويل والتفطيع، ببيان أَنها خارجة عن المعهود بحيث لا يدري كنهها.

وقوله تعالى: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾. أي: قد انتهت حرّها وبلغ في الشدة غايته، فهي شديدة الحرّ، قوية اللهب والسعير.

قال ابن جرير: (يعني بالحامية: التي قد حميت من الوقود عليها).

وقد جاء تفصيل ذلك في أحاديث من السنة المطهرة:

الحديث الأول: أخرج الشيخان عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: [نَارَكُمْ جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم. قيل: يا رسول الله! إن كانت لكافية. قال: فَضَّلْتُ عليهن بتسعة وستين جزءاً كلهنّ مثلُ حرّها]⁽²⁾.

وفي رواية: [نَارَكُمْ هذه التي توقد بنو آدم، جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنم].

(1) حديث صحيح. انظر صحيح سنن النسائي (1729) - كتاب الجنائز. باب ما يلقى به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه. ورواه الحاكم وابن حبان. انظر: صحيح الجامع (504).

(2) حديث صحيح. أخرجه البخاري (3265)، وأخرجه مسلم (2843). وانظر: مختصر صحيح مسلم (1976)، وكتابي: أصل الدين والإيمان (760/2) - لتفصيل البحث. وانظر لرواية أحمد: المسند (467/2)، وإسناده على شرط مسلم.

وفيها: [فإنَّهَا فَضَّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسْتِينَ جُزْءًا ، كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا]. وفي رواية لأحمد في المسند: [لَقَدْ فَضَّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةِ وَسْتِينَ جُزْءًا حَرًّا فَحَرًّا].

الحديث الثاني: أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال: [إِنَّ نَارَكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ، وَضُرِبَتْ بِالْبَحْرِ مَرَّتَيْنِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنَفَعَةً لِأَحَدٍ⁽¹⁾].

وفي رواية أخرى عند أحمد عنه مرفوعاً: [هَذِهِ النَّارُ جُزْءٌ مِنْ مِئَةِ جُزْءٍ مِنْ جَهَنَّمَ].

الحديث الثالث: أخرج الإمام مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: [أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً أَبُو طَالِبٍ ، وَهُوَ مُتَّعِلٌ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ⁽²⁾].

وله شاهد في مسند أحمد من حديث أبي هريرة مرفوعاً: [إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً مَنْ لَهُ نَعْلَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ].

الحديث الرابع: أخرج أحمد والشيخان من حديث أبي هريرة مرفوعاً: [إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنْ الصَّلَاةِ ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ⁽³⁾].

الحديث الخامس: أخرج البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: [اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: يَا رَبِّ! أَكَلَّ بَعْضِي بَعْضًا ، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ: نَفْسٌ فِي الشِّتَاءِ ، وَنَفْسٌ فِي الصَّيْفِ . فَأَشَدُّ مَا تَجْدُونَ فِي الشِّتَاءِ مِنْ بَرْدِهَا ، وَأَشَدُّ مَا تَجْدُونَ فِي الصَّيْفِ مِنْ حَرِّهَا⁽⁴⁾].

تم تفسير سورة القارعة

بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ ، وَوِاسِعِ مَنَّةٍ وَكَرَمِهِ

صَبِيحَةَ يَوْمِ الْخَمِيسِ 5 - ذِي الْحِجَّةِ - 1426 هـ

الموافق 5/ كانون الثاني/ 2006 م

(1) حديث صحيح. أخرجه أحمد (2/ 244) ، وإسناده على شرطهما. وانظر للرواية الأخرى مسند أحمد (2/ 379) ، وإسناده على شرط مسلم.

(2) حديث صحيح. رواه مسلم (1/ 135). وانظر للشاهد مسند أحمد (2/ 432) ورجاله ثقات.

(3) حديث صحيح. أخرجه البخاري (536) ، ومسلم (615) ح (183) ، وأحمد (2/ 229).

(4) حديث صحيح. أخرجه البخاري (537) ، ومسلم (617) ح (185) ، والترمذي (2592) ، وابن ماجه (4319) ، وأحمد (2/ 462) ، وابن حبان (7566).

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - القارعة اسم من أسماء يوم القيامة ، عَظَّمَهُ اللهُ وحَذَّرَهُ عِبَادَهُ .
- 2 - يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السماوات والأرض لو سعت ، ليزن أعمال الصالحين الكبيرة ، وآثام المجرمين الخطيرة .
- 3 - كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمان : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم .
- 4 - إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة .
- 5 - ناركم هذه التي توقد بنو آدم ، جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنم .

102

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

آياتها ٨

ترتيبها ١٦

وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (8) .

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن مُطَرِّفٍ ، عن أبيه قال : [أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ : ﴿ اَلْهَنَكُمُ التَّكْوِيْنُ ﴾ قال : يقول ابنُ آدمَ : مالي ، مالي ، قال : وهلْ لكَ ، يا ابنِ آدمَ ! مِنْ مالِكَ اِلا ما اَكَلْتَ فَأَنْتَ ، اَوْ لَيْسَتْ فَأَنْتَ ، اَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ ؟]⁽¹⁾ .

موضوع السورة

اختبار التفاخر والتكاثر يوم الدين
والسؤال عن النعيم ورؤية الجحيم

- منهج السورة -

- 1 - الإخبار عن انشغال أكثر العباد بالتفاخر بالأموال والأولاد وإيثار الدنيا الفانية على الحياة الباقية .
- 2 - حصول الاعتبار عند المصير إلى التراب ، ومفارقة الأهل والأحباب .
- 3 - السؤال حق عن النعيم ، أمام أهوال نار الجحيم ، ولا ينجو إلا من كتب له الفوز والنجاة من الله الكريم .

(1) حديث صحيح . أخرجه مسلم (2958) - كتاب الزهد - ورواه أحمد (24/4) ، والترمذي (2342) ، والنسائي (238/6) ، وابن حبان (701) ، واستدركه الحاكم (534/2) ، ورواه الطيالسي (1148) ، كلهم من حديث عبد الله بن الشخير .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 8. قوله تعالى: ﴿أَلْهَنُكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ ١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ٨ .

في هذه الآيات: تقريرُ الله تعالى انشغال أكثر العباد عن طاعته بالأموال والأولاد ، والتفاخر والتكاثر ، وإيثار الدنيا الفانية ، على الحياة الباقية ، فلا يحصل الاعتبار إلا عند المصير إلى التراب ، ومفارقة الأهل والأحباب ، ثم السؤال لا مفر منه في أرض المحشر عن النعيم ، أمام أهوال نار الجحيم ، ولا ينجو إلا مَنْ كُتِبَ له الفوز والنجاة من الله الكريم .

فقوله تعالى: ﴿أَلْهَنُكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ . تحذير ووعيد . أي: شغلكم التكاثر بالأموال والأولاد ، والتفاخر بزينة هذه الحياة الدنيا ، والتغالب فيها ، والاستكثار من تحصيلها ، عن طاعة الله والعمل للآخرة ، وما ينجيكم من سخطه تعالى وعقابه .

قال الحسن البصري: ﴿أَلْهَنُكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ في الأموال والأولاد). وقيل: ﴿أَلْهَنُكُمْ﴾: أنساكم. وقال قتادة: ﴿أَلْهَنُكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ أي: التفاخر بالقبائل والعشائر). وقال الضحاك: (أي: ألهاكم التشاغل بالمعاش والتجارة).

وأصل: ﴿أَلْهَنُكُمْ﴾ - في كلام العرب - من لَهِيَ عن الشيء لَهْيًا وَلُهْيَانًا - بضم اللام وكسرهما - أي: سلا عنه وتركه وأضرَب عنه . و«ألهاء» شغله ، و«ألهاء» به تلهية أي: علَّله .

أخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك: [أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ لابن آدمَ وادياً مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ واديان ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التراب ، ويتوب الله

على مَنْ تَابَ». قال ثابت عن أنس عن أبي: (كُنَّا نَرَى هَذَا مِنَ الْقُرْآنِ حَتَّى نَزَلَ ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾) [1].

قال ابن العربي: (وهذا نصّ صحيح مليح ، غاب عن أهل التفسير فجَهِلُوا وَجَهِلُوا ، والحمد لله على المعرفة). ومقصود كلام ابن العربي أن الحديث المتقدم ظنه بعض المفسرين من الآيات التي نسخت ، وهو ليس بقرآن أصلاً ، وإنما دل على ذلك نزول: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: [يقول العبد: مالي مالي! وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو تصدّق فافتنى ، وما سِوَى ذَلِكَ فَذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ] [2].

وفي مسند أحمد وجامع الترمذي من حديث عبد الله بن الشخير قال: [انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ ، يقول ابن آدم: مالي مالي. وهل لك من مالٍ إلا ما أكلت فأفنى ، أو لبست فأبليت ، أو تصدّقت فأمضيت] [3].

وفي الصحيحين والمسند عن أنس أن النبي ﷺ قال: [يَهْرُمُ ابْنُ آدَمَ وَتَبْقَى مِنْهُ اثْنَتَانِ: الْحَرَصُ وَالْأَمَلُ] [4].

وقوله تعالى: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾. أي: ما زلتم في الانشغال بالدنيا عن الآخرة حتى أدرككم الموت وأنتم على تلك الحال. قال ابن جرير: (وقوله: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ يعني: حتى صرتم إلى المقابر فدفنتم فيها ، وفي هذا دليل على صحة القول بعذاب القبر ، لأن الله تعالى ذكره ، أخبر عن هؤلاء القوم الذين ألهاهم التكاثر ، أنهم سيعلمون ما يلقون إذا هم زاروا القبور وعيداً منه لهم وتهديداً).

وقال النسفي: (﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ حتى أدرككم الموت على تلك الحال ، أو حتى زرتم المقابر وعددتهم من في المقابر من موتاكم).

- (1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (6439) - (6440) ، كتاب الرقاق ، باب ما يَتَّقَى من فتنه المال.
- (2) حديث صحيح. أخرجه مسلم في الصحيح (2959) ح (4) . - كتاب الزهد - من حديث أبي هريرة.
- (3) حديث صحيح. أخرجه أحمد (24/4) ، والترمذي (2342) ، (3354). والنسائي في «التفسير» (716) ، وفي «السنن» (3613). ورواه مسلم (2958/3) بنحوه.
- (4) حديث صحيح. أخرجه البخاري في الصحيح (6421) ، ومسلم (1047) ، ورواه أحمد في المسند (115/3) ، ورواه أبو يعلى (2979).

وقال القرطبي: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي: حتى أتاكم الموت، فصرتم في المقابر زوّاراً، ترجعون منها كرجوع الزائر إلى منزله من جنة أو نار. يقال لمن مات: قد زار قبره).

قلت: والراجح أن المقصود المصير إلى القبور بعد الموت والدفن فيها، وعُبر عن دخولها بالزيارة لأن الإنسان ماكن فيها إلى يوم البعث، فهو كالزائر فترة محدودة إلى حين يوم النشور والحساب، ومقايضة الجزاء، والاستقرار في الجنة أو النار، وربما كان هذا من فتح الله علي من روائع الفهم لكتابه، والله تعالى أعلم.

والمقابر: جمع مَقْبَرَةٍ ومَقْبَرَةٍ. والقبور: جمع القبر. ولم يرد ذكر المقابر في التنزيل إلا في هذه السورة، وأما السنة فقد كثر ذكر المقابر فيها والحث على زيارتها، وزيارتها كما قيل من أعظم الدواء للقلب القاسي، لأنها ترققه بذكر الموت والآخرة. وفي ذلك أحاديث:

الحديث الأول: أخرج الإمام مسلم في الصحيح عن أبي هريرة قال: [زار النبي ﷺ قَبْرَ أمه، فَبَكَى وَأَبَكَى مِنْ حَوْلِهِ، فَقَالَ ﷺ: اسْتَأذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفَرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأذَنْتَهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأَذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ، فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْمَوْتَ] (1).

الحديث الثاني: أخرج ابن ماجه بسند صحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: [زُورُوا الْقُبُورَ. فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الْآخِرَةَ] (2).

الحديث الثالث: أخرج أبو داود بسند صحيح عن ابن بريده، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: [نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا، فَإِنْ فِي زِيَارَتِهَا تَذَكُّرٌ] (3).

الحديث الرابع: أخرج ابن ماجه بسند حسن عن أبي هريرة قال: [لعن رسول الله ﷺ زَوَّارَاتِ الْقُبُورِ] (4).

والمقصود هنا: لعنُ النساء اللاتي يكثرن الزيارة لما لا يسلم ذلك من المخالفات الشرعية، بخلاف غيرهن فلا يشملهن اللعن، وإلا فقد أذن للرجال والنساء بزيارة

(1) حديث صحيح. أخرجه مسلم في الصحيح (976) ح (108) - كتاب الجنائز، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وانظر الحديث (105).

(2) حديث صحيح. أخرجه ابن ماجه في السنن (1569) - كتاب الجنائز - باب ما جاء في زيارة القبور.

(3) حديث صحيح. أخرجه أبو داود (3235) - كتاب الجنائز - . وانظر صحيح سنن أبي داود (2772).

(4) حديث حسن. أخرجه ابن ماجه (1576) - كتاب الجنائز - . وانظر صحيح سنن ابن ماجه (1281).

القبور. قال القرطبي: (اللعن المذكور في الحديث إنما هو للمكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصيغة من المبالغة ، ولعلّ السبب ما يفضي إليه ذلك من تضييع حق الزوج والتبرج ، وما ينشأ من الصياح ونحو ذلك ، وقد يقال: إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الإذن لهن ، لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء).

قال الشوكاني في «نيل الأوطار» (4/ 95): (وهذا الكلام هو الذي ينبغي اعتماده في الجمع بين أحاديث الباب المتعارضة الظاهر).

والخلاصة: إن الاعتبار بزيارة القبور من أنفع أنواع الاعتبار ، وكذلك شهود الناس عند الاحتضار.

قال العلماء: (ينبغي لمن أراد علاج قلبه ، وانقياده بسلاسل القهر إلى طاعة ربه ، أن يكثر من ذكر هادم اللذات ، ومفرق الجماعات ، وموتم البنين والبنات ، ويواظب على مشاهدة المحتضرين ، وزيارة قبور أموات المسلمين. فهذه ثلاثة أمور ، ينبغي لمن قسا قلبه ، ولزمه ذنبه ، أن يستعين بها على دواء دائه ، ويستصرخ بها على فتن الشيطان وأعوانه).

أخرج ابن ماجة والترمذي بسند صحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: [«أكثرُوا هادم اللذات» - يعني الموت -] (1).

ورواه البيهقي وابن حبان بلفظ: [«أكثرُوا ذكر هادم اللذات: الموت ، فإنه لم يذكره أحدٌ في ضيقٍ من العيش إلا وسَّعه عليه ، ولا ذكره في سعةٍ إلا ضَيَّقَهَا عليه»].

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٢) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. قال الحسن: (هذا وعيد بعد وعيد). والمقصود: زَجَرٌ لهم على التكاثر ، وَتَنْبِيهٌُ على أنهم سيعلمون عاقبة ذلك يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾. أي: لو علمتم حق العلم لما ألهاكم التكاثر عن طلب الآخرة ، حتى صرتم إلى المقابر. قال النسفي: ﴿كَلَّا﴾ تكرير الردع للإنذار والتخويف ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ - جواب لو محذوف - ، أي: لو تعلمون ما بين أيديكم ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ علم الأمر يقين ، أي كعلمكم ما تستيقنونونه من الأمور لما ألهاكم

(1) حسن صحيح. أخرجه ابن ماجة في السنن (4258). والترمذي في أبواب الزهد. انظر صحيح سنن الترمذي (1877). ورواه البيهقي وابن حبان كما في الرواية الأخرى. انظر «تخريج الإرواء» (682) ، وصحيح الجامع (1222).

التكاثر ، أو لفعلتم ما لا يوصف ولكنكم ضلال جهلة).

وقوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾. أي: في الآخرة. قال القاسمي: (قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ جواب قسم مضمّر ، أكّد به الوعيد ، وشدّد به التهديد ، وأوضح به ما أنذروه تفخيماً).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾. ﴿عَيْنَ﴾ هنا بمعنى «نفس». والمقصود: ثم لترون الجحيم الرؤية التي هي نفس اليقين ، وهي المشاهدة والرؤية بأعينكم. والتكرار بثُمَّ - التي تفيد العطف - إنما هو للتغليظ في التهديد ، والزيادة في التهويل والوعيد. وقيل: الرؤية الأولى بالقلب والثانية بالعين ، والمعنى الأول أرجح ، والله تعالى أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾. أي: ثم لتسألن يوم القيامة عن نعيم الدنيا الذي ألهاكم عن شكر الله والعمل للآخرة.

قال مجاهد: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال: الأمن والصحة). وقال ابن عباس: (النعيم: صحة الأبدان والأسماع والأبصار). وقال سعد بن طريف عن أبي جعفر: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ قال: العافية). وقيل: الطعام والشراب.

قلت: والنعيم كلمة جامعة للأمن ، والصحة ، والفراغ ، وملاذّ المأكول والمشروب ، والماء البارد عند الظمأ ، وظلال المساكن والأشجار عند تقلب الأجواء. وغير ذلك من النعم التي لا يحصيها إلا الله.

ففي التنزيل من آفاق ذلك:

1 - نعمة استواء الخلق واكتمال صورته. قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4]. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: 78].

2 - نعمة الماء والنبات والشجر. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُبْدِي لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَفْكُرُونَ﴾ [النحل: 10 - 11].

3 - نعمة الدواب والمسكن والملبس. قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ

الْجِبَالِ أَكْنَدْنَا وَجَعَلْ لَكُمْ سَرِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿ [النحل : 80 - 81].

4 - نعمة اللبن والعسل والتمر . قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِضُوا بِطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذْ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهِنَّ شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ [النحل : 66 - 69].

5 - نعمة الليل والنهار ، ونعمة النجوم والجبال والبحار والأنهار . قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِي إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمْنَا وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ [النحل : 12 - 18].

6 - نعمة الأمن . قال تعالى : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٢﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿ [قريش : 3 - 4].

ومن كنوز السنة العطرة في آفاق هذه الآية أحاديث :

الحديث الأول: أخرج ابن ماجه والترمذي بسند حسن عن الزبير بن العوام قال : [لما نزلت : ﴿ ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ قال الزبير : يا رسول الله ، وأَيُّ النعيم نسأل عنه؟ وإنما هما الأسودان : التمر والماء؟ قال : «أما إنَّه سيكون»⁽¹⁾.

الحديث الثاني: أخرج الترمذي بسند حسن عن أبي هريرة قال : [لما نزلت هذه الآية : ﴿ ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ قال الناس : يا رسول الله عن أي النعيم نسأل؟

(1) حسن الإسناد . أخرجه ابن ماجه في السنن (4158) . والترمذي (3353) ، وأحمد (1/164).

وإنما هما الأسودان ، والعدو حاضر وسيوفنا على عواتقنا؟ قال: «إن ذلك سيكون»⁽¹⁾.

الحديث الثالث: أخرج ابن حبان والحاكم والترمذي بسند صحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: [إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - يَعْنِي الْعَبْدُ مِنَ النَّعِيمِ - أَنْ يُقَالَ: أَلَمْ نُصِخْ لَكَ جِسْمَكَ ، وَنُزَوِّيكَ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ]⁽²⁾. وفي رواية: [إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن يقال له: ألم أصح لك جسمك ، وأروك من الماء البارد؟].

الحديث الرابع: أخرج البخاري والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: [نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصَّحَّةُ الْفَرَاغُ]⁽³⁾.

الحديث الخامس: أخرج الترمذي بسند صحيح عن أبي هريرة وأبي سعيد قالا: قال رسول الله ﷺ: [يُوتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ لَهُ: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعاً وَبَصَراً ، وَمَالاً وولداً ، وَسَخَّرْتُ لَكَ الْأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ ، وَتَرَكْتُكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعُ ، فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ يَوْمِكَ هَذَا؟ فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ لَهُ: الْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي]⁽⁴⁾.

وله شاهد عند الإمام مسلم بلفظ: [فيلقى العبد فيقول: أي فل - تصغير فلان -! ألم أُكْرِمَكَ وَأُسَوِّدَكَ وَأَزَوَّجَكَ وَأُسَخِّرَ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذْرَكَ تَرَأْسُ وَتَرْبَعُ؟ فيقول: بلى أي رب ، قال: فيقول: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟ فيقول: لا. فيقول: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي].

الحديث السادس: روى مسلم في الصحيح عن أبي هريرة قال: [خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ ، فَقَالَ: مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟ قَالَا: الْجُوعُ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: وَأَنَا ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَأُخْرِجَنِي الَّذِي

(1) حسن بما قبله. أخرجه الترمذي في السنن بإسناد حسن من حديث أبي هريرة. انظر صحيح سنن الترمذي (2673) - كتاب التفسير - سورة التكاثر.

(2) حديث صحيح. أخرجه الترمذي في الجامع (240/2) ، وابن حبان (2585) ، والحاكم في المستدرک (138/4). وانظر صحيح سنن الترمذي (2674) - كتاب التفسير - عند الآية السابقة ، سورة التكاثر ، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (539).

(3) حديث صحيح. أخرجه البخاري (6412) ، والترمذي (2304) ، وابن ماجه (4170).

(4) حديث صحيح. أخرجه الترمذي في السنن ، وأصله في صحيح مسلم. انظر صحيح سنن الترمذي (1978). وانظر للشاهد: مختصر صحيح مسلم (1932).

أَخْرَجَكُمَا ، قوموا ، فقاموا معه ، فأتى رجلاً من الأنصار ، فإذا هو ليس في بيته ، فلما رآته المرأة قالت: مَرْحَبًا! وأهلاً! فقال لها رسول الله ﷺ: أين فلان؟ قالت: ذَهَبَ يَسْتَعِذُّ لَنَا مِنَ الْمَاءِ ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِي فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبِيهِ ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ ، مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي ، قَالَ: فَانْطَلِقْ فِجَاءَهُمْ يَعِدُكَ⁽¹⁾ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطْبٌ ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ ، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكَ! وَالْحُلُوبَ» فَذَبَحَ لَهُمْ ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ ، وَمِنْ ذَلِكَ الْعِدْقِ ، وَشَرَبُوا ، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُّوا ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَتَسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النِّعَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَخْرَجَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعَ ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النِّعَمُ»⁽²⁾.

تم تفسير سورة التكاثر

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منّه وكرمه

مساء يوم الخميس 5 - ذي الحجة - 1426 هـ

الموافق 5/ كانون الثاني / 2006 م

دروس ونتائج وأحكام

- 1- ليس لابن آدم من ماله إلا ما أكل فأفنى ، أو لیس فأبلى ، أو تصدق فأمضى .
- 2- يهرم ابن آدم وتبقى منه اثنتان : الحرص والأمل .
- 3- زوروا القبور ، فإنها تذكركم الآخرة . وأكثروا ذكر هادم اللذات : الموت ، فإنه لم يذكره أحدٌ في ضيق من العيش إلا وسَّعه عليه ، ولا ذكره في سعة إلا ضيَّقها عليه .
- 4- نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصَّحة والفراغ .

(1) العدق: غصن من النخل ، والعدق من التمر بمنزلة العنقود من العنب .

(2) حديث صحيح . أخرجه مسلم (2038) - كتاب الأشربة ، وأخرجه أبو داود (5128) ، والترمذي (2822) ، (2369) ، وابن ماجه (3745) ، والنسائي في «التفسير» (717) .

103

سُورَةُ الْعَصْرِ

آيَاتُهَا
٣تَبَيَّنَ
١٣

وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (3) .

أخرج الطبراني في «الأوسط» والبيهقي في «الشعب» بسند حسن في الشواهد عن ثابت البناني عن أبي مدينة الدارمي - وكانت له صحبة - قال: [كان الرجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِرٌ ، ثم يُسَلِّم أحدهما على الآخر] (1) .

وفي لفظ: [كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها ، ثم يُسَلِّم أحدهما على الآخر]. وقال الشافعي رحمه الله: (لو تَدَبَّرَ النَّاسُ هَذِهِ السُّورَةَ لَوَسَّعَتْهُمْ) .

موضوع السورة

الإقسام بالعصر أن الإنسان مظنة الخسران
إلا إن كان من أهل الصدق في العمل والإيمان

- منهاج السورة -

- 1 - قَسَمُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْوَقْتِ وَالزَّمَانِ ، أَنَّ الْإِنْسَانَ مِظْنَةُ الْخُسْرَانِ .
- 2 - اسْتِثْنَاءُ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالتَّوَّاصِي بِالْحَقِّ وَالصَّبْرِ مِنَ الْخُسَارَةِ ، فَهَؤُلَاءِ قَدْ كَتَبَ اللَّهُ لَهُمُ الْفَوْزَ وَالرَّيْحَ فِي التِّجَارَةِ .

(1) حديث حسن . أخرجه الطبراني في «الأوسط» (5120) ، والبيهقي في «الشعب» (9057) ، وانظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة - حديث رقم - (2648) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 3. قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ .

في هذه الآيات: يقسم الله سبحانه بالوقت - وهو العمر - أن الإنسان مظنة الخسران ، إلا إن كان من أهل الإيمان والعمل الصالح والشكر لله بمقابلة الإحسان بالإحسان ، وكان من أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - في جماعة الحق - أهل الصبر على الغربة والمحن عبر الأيام .

فقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١﴾ . قسم من الله سبحانه بالدهر . وعن ابن عباس: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١﴾ قال: العصر: ساعة من ساعات النهار). وقال الحسن: (هو العشي).

قلت: والراجح الأول وهو عموم الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم ، من خير وشر . فأقسم تعالى بالزمان لما في مروءه من أصناف العجائب . قال القرطبي: (أي عصر أقسم الله به عز وجل ، لما فيه من التنبيه بتصرف الأحوال وتبدلها ، وما فيها من الدلالة على الصانع).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ . هو جواب القسم . ويعني بالإنسان جنس الناس . قال الأخفش: (﴿لَفِي خُسْرٍ﴾: لفي هلكة). وقال الفراء: (عقوبة). قال ابن جرير: (يقول: إن ابن آدم لفي هلكة ونقصان). وقيل: لفي غبن . وقال ابن زيد: (لفي شر). والمعنى متقارب . وهو كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝١ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٢﴾ .

وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۝٣﴾ . استثناء من الإنسان ، الذي هو مظنة الخسران . قال ابن كثير: (فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم ، وعملوا الصالحات بجوارحهم).

وقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾. قال القاسمي: (أي أوصي بعضهم بعضاً بما أنزل الله في كتابه من أمره ، واجتناب ما نهى عنه من معاصيه).

وقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾. قال قتادة: (الصبر: طاعة الله). قال الرازي: (دلت الآية على أن الحق ثقیل ، وأن المحن تلازمه . فلذلك قرن التواصي بالصبر). وقال النسفي: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما ييلو به الله عباده). وتخصيص التواصي بالحق والصبر مع دخولهما في مفهوم الأعمال الصالحة ، إنما هو لإبراز مكانتهما ليحصل الاعتناء بهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فلا بد من العلم بالمعروف والمنكر ، والتمييز بينهما. ولا بد من العلم بحال المأمور وحال المنهي. قال: ولا بد أيضاً أن يكون حليماً ، صبوراً على الأذى. فإنه لا بد أن يحصل له أذى. فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، كما قال لقمان لابنه: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: 17].

قال: ولهذا أمر الله الرسل - وهم أئمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - بالصبر ، كقوله لخاتم الرسل ﷺ ، بل ذلك مقرون بتبليغ الرسالة ، فإن أول ما أرسل أنزلت عليه سورة ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ﴾ بعد أن أنزلت عليه سورة ﴿أَقْرَأْ﴾ التي بها نُبئ. فقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ﴾ ﴿قَدْ فَانَدَرَ﴾ ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ ﴿وَبَيْنَكَ فَطَفِّرْ﴾ ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجِرْ﴾ ﴿وَلَا تَصْنَعْ﴾ ﴿سِتْرَكَ﴾ ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾. فافتتح آيات الإرسال إلى الخلق بالأمر بالندارة ، وختمها بالأمر بالصبر⁽¹⁾.

فسورة «العصر» سورة جامعة لكل خير ، ولذلك كان الرجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأها أحدهما على الآخر ، كما مضى ذكره. قال الشافعي رحمه الله: (لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم).

قال ابن القيم في «مفتاح دار السعادة»: (وبيان ذلك أن المراتب أربعة وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله. إحداها معرفة الحق. الثانية عمله به. الثالثة تعليمه من لا يحسنه. الرابعة صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه. فذكر تعالى المراتب الأربعة في هذه السورة. وأقسم سبحانه في هذه السورة بالعصر أن كل أحد في خسر ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ

(1) انظر رسالة: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» - شيخ الإسلام - وانظر كتابي: تحصيل السعادتین ص (262). لمزيد من التفصيل في هذا البحث.

ءَامَنُوا ﴿ وهم الذين عرفوا الحق وصدقوا به ، فهذه مرتبة . ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ وهم الذين عملوا بما علموه من الحق فهذه أخرى . ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾ ، وصى به بعضهم بعضاً تعليماً وإرشاداً ، فهذه مرتبة ثالثة . ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ ، صبروا على الحق ووصى بعضهم بعضاً بالصبر عليه والثبات . فهذه مرتبة رابعة . وهذا نهاية الكمال . فإن الكمال أن يكون الشخص كاملاً في نفسه ، مكماً لغيره . وكماله بإصلاح قوته العلمية والعملية . فصلاح القوة العلمية بالإيمان . وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات . وتكميله غيره ، بتعليمه إياه وصبره عليه وتوصيته بالصبر على العلم والعمل . فهذه السورة ، على اختصارها ، هي من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره . والحمد لله الذي جعل كتابه كافياً عن كل ما سواه ، شافياً من كل داء ، هادياً إلى كل خير) انتهى .

تم تفسير سورة العصر

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منّه وكرمه

عصر يوم الجمعة 6 - ذي الحجة - 1426 هـ

الموافق 6 / كانون الثاني / 2006 م

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - لو تَدَبَّرَ الناس سورة العصر لوسعتهم .
- 2 - صلاحُ القوة العلمية بالإيمان ، وصلاحُ القوة العملية بعمل الصالحات والإحسان .
- 3 - سورة العصر من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره .



104



وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (9) .

موضوع السورة

مصير الهمزة اللزمة

الجامع المال للإثم والمعصية

- منهاج السورة -

- 1 - التحذير الشديد من الغيبة للمؤمنين والطعن واللمز في السر والعلن .
- 2 - الوعيد الأكيد على عبید المال الذين ينفقون أموالهم في المنكرات والفتن .
- 3 - نار الله الموقدة تطلع على الأفئدة ، ولها أبواب على أهلها مطبقة موصدة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 9. قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ ^(١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ^(٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ^(٣) كَلَّا لَيُبَدِّلَنَ فِي الْخُطْمَةِ ^(٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْخُطْمَةُ ^(٥) نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ ^(٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ^(٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ^(٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ^(٩) .

في هذه الآيات: التحذير الشديد من الغيبة والطعن واللمز في السر والعلن ، والوعيد الأكيد على عبيد المال الذين ينفقون أموالهم في المنكرات والفتن ، فإن نار الله الموقدة ، تطلع على الأفئدة ، ولها أبواب على أهلها مؤصدة ، مطبقة بإحكام بعمد ممددة .

فقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ . أي: خزي أو عذاب أو هلكة للهمزة ، وهو الذي يغتاب الرجل في وجهه ، واللمزة الذي يغتابه من خلفه . قال ابن عباس: ﴿هُمَزَةٌ لُّمَزَةٌ﴾ : طَعَانٌ معيَّبٌ . وكان أمية بن خلف إذا رأى رسول الله ﷺ همزه ولمزه . وقيل فيه نزل: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ .

قال ابن هشام: (الهمزة: الذي يشتم الرجل علانية ، واللمزة الذي يعيب الناس سراً ويؤذيهم) . وقال الربيع بن أنس: (الهُمَزَةُ ، يَهْمِزُهُ فِي وَجْهِهِ ، وَاللُّمَزَةُ مِنْ خَلْفِهِ) . وقال قتادة: (يَهْمِزُهُ وَيَلْمِزُهُ بِلِسَانِهِ وَعَيْنِهِ ، وَيَأْكُلُ لَحُومَ النَّاسِ ، وَيَطْعَنُ عَلَيْهِمْ) . وقيل: الهمَّاز بالقول ، واللمَّاز بالفعل . وقال مجاهد: (الهُمَزَةُ بِالْيَدِ وَالْعَيْنِ ، وَاللُّمَزَةُ بِاللِّسَانِ) .

قلت: وفي لغة العرب: الهمز كاللَّمَزِ وزناً ومعنى: . والهمَّاز العِيَابُ . واللَّمَزُ العيب وأصله الإشارة بالعين ونحوها . وَلُمَزَةٌ بوزن هُمَزَةٍ أي: عِيَابُ . والراجع أن اللَّمَزَ في السر والهمز في العلن . وفي التنزيل: ﴿هَمَّازٍ مَّشَامٍ بَنِيْمٍ﴾ [القلم: 11] .

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ . بيان لسبب همزه ولمزه ، وهو إعجابه بما جمع من المال ، وظنه أن له به الفضل ، فهو لذلك يستقصر غيره .

وعن السدي: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ أي: جَمَعَهُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ، وَأَحْصَى

عدده ، كقوله تعالى: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾. وقال محمد بن كعب: ﴿جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدُوهُ﴾ ، ألهاه ماله بالنهار ، هذا إلى هذا ، فإذا كان الليل نام كأنه جيفة).

وقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾. أي: يظن أن ما جمع من المال يخلده في هذه الدار. فهو لشدة إعجابه بماله ، أعماه ذلك عن التفكير بماله.

وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّ فِي السَّاعَةِ﴾. أي: ليس الأمر على ما يحسبه بل لَيُطْرَحَنَّ هو وماله في النار التي تهشم كل ما يلقي فيها وتحطمه. قال ابن جرير: (والحطمة: اسم من أسماء النار ، كما قيل لها: جهنم وسقر ولظى ، وأحسبها سميت بذلك لحطمتها كل ما ألقى فيها ، كما يقال للرجل الأكل: الحطمة).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا السَّاعَةُ﴾. تعجيب وتهويل وتعظيم ، لشأن الحطمة وأحوالها وتفخيم لأمرها.

وقوله تعالى: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾. أي: التي أوقد عليها الأحقاب الطويلة ، فهي غير خامدة ، أعدها الله للعصاة.

وقوله تعالى: ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفَاقَةِ﴾. أي: يخلص حرّها إلى القلوب فيعلوها ويغشاها ، فيكون ألمها بحسب ما حوت تلك الأفئدة من المقاصد الخبيثة والنيات الزائغة الفاسدة ، وسَيِّئِ الأخلاق من الكبر ، واحتقار أهل الفضل ، والنفاق والرياء وغير ذلك. قال محمد بن كعب: (تأكل النار جميع ما في أجسادهم ، حتى إذا بلغت إلى الفؤاد ، خُلِقُوا خلقاً جديداً ، فرجعت تأكلهم).

وقال النسفي: ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفَاقَةِ﴾ يعني أنها تدخل في أجوافهم ، حتى تصل إلى صدورهم ، وتطلع على أفئدتهم وهي أوساط القلوب ، ولا شيء في بدن الإنسان ألطف من الفؤاد ولا أشدّ تألماً منه بأذى أذى يمسه ، فكيف إذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه ، وقيل خصّ الأفئدة لأنها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة ، ومعنى اطلاع النار عليها أنها تشتمل عليها).

وقيل: معنى ﴿تَطَّلِعُ عَلَى الْآفَاقَةِ﴾ أي: تعلم مقدار ما يستحقّه كل واحد منهم من العذاب ، وذلك بما استبقاه الله تعالى من الأمانة الدالة عليه. ويقال: أطلع فلان على كذا: أي علمه. ذكره القرطبي وقال: (وقد قال الله تعالى: ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ [المعارج: 17]. وقال تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: 12]. فوصفها بهذا ، فلا يبعد أن توصف بالعلم).

قلت : وهذا تأويل لطيف منسجم مع السياق والنصوص ، والله تعالى أعلم .
 وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ﴾ . قال الحسن : (أي مُطَبَّعةٌ) . وقال مجاهد :
 (مغلقة) . وهو من أَصَدَّتْ الباب : إذا أغلقته . وقد مضى تفصيل ذلك في سورة البلد .
 والمقصود : إن نار الله الموقدة ستكون مطبقة على أهلها ، مغلقة عليهم أبوابها ، فلا
 سبيل لهم إلى الخروج منها .

وقوله تعالى : ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ . قيل : أي كائنين في عمد ممددة موثقين . وقال
 مقاتل : (أطبقت الأبواب عليهم ثم شددت بأوتار من حديد ، فلا يفتح عليهم باب ،
 ولا يدخل عليهم رَوْح) . وقال عطية العوفي : ﴿ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ : عَمَدٌ من حديد) .
 وقال السُّدي : (من نار) . وقال عكرمة عن ابن عباس : (يعني : الأبواب هي الممدودة) .
 وقال قتادة : (في قراءة عبد الله بن مسعود : ﴿ إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ بِعَمْدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴾) . فالفاء
 هنا بمعنى الباء . وقال العوفي ، عن ابن عباس : (أدخلهم في عَمَدٍ فَمُدَّتْ عليهم
 بعماد ، في أعناقهم السلاسل فَسُدَّتْ بها الأبواب) . وقال أبو صالح : ﴿ فِي عَمَدٍ
 مُّمَدَّدَةٍ ﴾ : يعني القيود الطوال) . وقال قتادة : (كنا نُحَدِّثُ أَنَّهُمْ يَعَذِّبُونَ بَعَمَدٍ فِي النَّارِ) .
 واختاره ابن جرير .

قلت : والراجح من السياق أن المقصود تؤصد عليهم الأبواب ثم تمدد العمد على
 تلك الأبواب استيثاقاً في استيثاق ، وإحكاماً في إحكام ، وإطباقاً في إطباق ، والله
 تعالى أعلم .

تم تفسير سورة الهمزة

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منته وكرمه

عصر يوم السبت 7 - ذي الحجة - 1426 هـ

الموافق 7 / كانون الثاني / 2006 م

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - الهمز كاللّمز وزناً ومعنى ، واللمز في السر والهمز في العلن .
- 2 - الحطمة اسم من أسماء النار ، تحطم كل ما ألقى فيها .
- 3 - يُحَكَّم الإطباق على أهل النار ، فلا سبيل لهم إلى الخروج منها .

105

سُورَةُ الْفِيلِ

آياتها

تنتهي

وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (5).

موضوع السورة

قصة أصحاب الفيل

- منهاج السورة -

- 1 - امتنان الله تعالى على قريش إذ نصرهم يوم الفيل وهم مشركون . فما لهم لا يؤمنون!
- 2 - ردُّ الله كيد الكافرين بكيدهم حين أرادوا تخريب البيت الحرام ، ومكره تعالى بهم وإنزال انتقامه الموجه بأصحاب الفيل البغاة اللثام .
- 3 - جعلهم كورق الزرع إذا أكلته الدواب ، وعبرة للناس على مرّ الزمان .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 5. قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَلْ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾.

في هذه الآيات: ذكُرُ قصة أصحاب الفيل ، الذين تطاولوا في البغي فحصدهم الله بالطير الأبابيل ، ترميهم بالحجارة فصاروا كورق الزرع المأكول .

وقصة أصحاب الفيل كما رواها ابن إسحاق رحمه الله: كان ذو نواس آخر ملوك حمير مشركاً قتل أصحاب الأخدود وكانوا نصارى حوالى عشرين ألفاً ، لم يفلت منهم إلا دوس ذو ثعلبان ، فاستغاث بقيصر ملك الشام فكتب للنجاشي ملك الحبشة فبعث معه أميرين أرياط وأبرهة في جيش كثيف فدخلوا اليمن واستلبوا ملك حمير وهلك ذو نواس غريقاً في البحر . واستقل الحبشة بملك اليمن وعليهم أميران أرياط وأبرهة فاختلفا وتقاتلا كل مع جيش . فقال أحدهما للآخر: (إنه لا حاجة بنا إلى اصطلام الجيشين بيننا ولكن ابزؤ إليّ وأبرز إليك فأيهما قتل الآخر استقل بالملك). فتبارزا فحمل أرياط على أبرهة فضربه بالسيف فشرم أنفه وفمه وشق وجهه ، فحمل عتودة مولى أبرهة على أرياط فقتله ورجع أبرهة جريحاً .

فكتب إليه النجاشي يتوعده بما فعل ، فاستعطفه فرضي ، قد حلف ليطأن بلاده ويجزن ناصيته فترقق وبعث بهدايا وتحف وجراب من تراب اليمن وجرّ ناصيته ليطأها فيبر قسمه ، فأعجب النجاشي . ثم أرسل أبرهة للنجاشي يقول: (إني سأبني لك كنيسة باليمن لا مثيل لها).

فبناها بصنعاء رفيعة البناء عالية مزخرفة سمّتها العرب «القليس» لارتفاعها ، لأن الناظر لها تكاد تسقط قلنسوته من ارتفاعها . وعزم أبرهة أن يصرف حج العرب لها بدل مكة ، فكرهت العرب العدنانية والقحطانية وغضبت قريش . قيل: بعثوا فتى ليلاً

فأحدث فيها فرأى السدنة ذلك وأعلموا أبرهة فأقسم ليسيرن إلى بيت مكة فيخربنه حجراً حجراً.

وذكر مقاتل بن سليمان: (أن فتية من قريش دخلوها فأججوا فيها ناراً وكان يوماً فيه هواء شديد فاحترقت وسقطت إلى الأرض).

فسار أبرهة في جيش عرمرم ، واستصحب معه فيلاً عظيماً كبير الجثة ، لم يُر مثله يقال له «محمود» ومعه ثمانية أفيال غيره أو اثنا عشر - أخرى - ليجعل السلاسل في أركان الكعبة ثم توضع في عنق الفيل فيزجر ليلقى الحائط جملة واحدة. وسمعت العرب فخرج رجل من أشراف اليمن - وهو ذو نفر - فدعا قومه لجهاد أبرهة وحماية بيت الله فأجابوه وقاتلوا أبرهة ، لكنهم هزموا وأسر «ذو نفر» فاستصحبه معه ، فلما وصل أرض خثعم اعترض له «نفيل بن حبيب الخثعمي» في قومه فقاتلوه فهزمهم أبرهة وأسر نفيل ، فأراد قتله ، ثم عفا عنه ، واستصحبه ليدله في بلاد الحجاز. فلما اقترب من الطائف خرج له أهلها ثقيف وصانعوه خوفاً على بيتهم المسمى «اللات» فأكرمهم وبعثوا معه دليلاً «أبو رغال». فلما وصل أبرهة «المغمس» قرب مكة نزل به وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الإبل فأخذوها وفيها متناً بغير لعبد المطلب.

ثم بعث - أي أبرهة - حناطة الحميري يأتيه بأشراف مكة يخبرهم ما جاء لقتالهم إلا إن صدوه عن البيت ، فذلل على عبد المطلب فأخبره ، فقال عبد المطلب: (والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمة).

فأتى معه أبرهة ، وكان عبد المطلب رجلاً جسيماً حسن المنظر ، فنزل أبرهة عن سريره وجلس معه على البساط وقال لترجمانه: (قل له ما حاجتك؟) فقال: (إن حاجتي أن يرّد عليّ الملك مئتي بغير أصابها لي). فقال أبرهة لترجمانه: (قل له: قد كنت أعجبتي حين رأيتك ، ثم قد زهدت فيك حين كلمتي ، أتكلمني في مئتي بغير أصبتها لك ، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه؟). فقال له عبد المطلب: (إني أنا رب الإبل وإن للبيت رباً سيمنعه). قال: (ما كان ليمنع مني). قال: (أنت وذاك).

فرجع يأمر أهل مكة التحصن برؤوس الجبال ، ثم قام عبد المطلب وأخذ بحلقة باب الكعبة هو ونفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة.

قال ابن إسحاق: (ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب ثم خرجوا إلى رؤوس الجبال).

فلما أصبح أبرهة تهيأ وهياً فيه «محموداً» وجيشه ، فلما وجهوا الفيل نحو مكة ، أقبل نفيل بن حبيب وأخذ بأذن الفيل وقال: (ابرك محمود ، وارجع راشداً من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام).

فبرك ومضى نفيل يشتد في صعود الجبل ، وضربوا الفيل ليقوم فأبى ، فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ثم وجهوه إلى المشرق ففعل كذلك ، ووجهوه إلى مكة فبرك. فبعث الله طيراً من البحر أمثال الخطاطيف ، مع كل طير ثلاثة أحجار: حجر بمنقاره ، وحجران برجليه ، فحلقت عليهم وأرسلت تلك الأحجار فهلكوا.

قال ابن إسحاق: (جاؤوا بفيلين ، فأما محمود فربض ، وأما الآخر فشجع فحصب). ففرت بقية الفيلة ، وهلك أبرهة أثناء هربه وهلك جنده معه.

يروى مقاتل: (أن قريشاً أصابوا مالاً جزيلاً من أسلابهم وما كان معهم ، وأن عبد المطلب أصاب يومئذ من الذهب ما ملأ حفرة).

فقص الله في القرآن الكريم ، يوم جاء الإسلام ، هذه القصة ، يمتن بها على قريش ويذكرهم فضله عليهم إذ نصرهم وهم مشركون ، وقد كانوا تخلوا عن حماية البيت وهربوا صعوداً في الجبال.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَحَبِّ الْفِيلِ﴾. قال ابن عباس: (ألم تسمع؟) واللفظ استفهام ، والمعنى تقرير. وقيل المعنى: ألم تُخبر. وقيل: ألم تعلم. والخطاب للنبي ﷺ ، ولكنه عام ، فيه امتنان من الله تعالى على قريش فما لهم لا يؤمنون؟

وأصحاب الفيل هم أولئك القوم من النصارى من الأحباش الذين ملكوا اليمن ، ثم ساروا يريدون تخريب الكعبة ، فلما أقبلوا على مكة أرسل الله عليهم الطير المذكورة في هذه السورة فأهلكتهم ، وكان ذلك آية ، وقد وقع قبل بعثة النبي ﷺ بأربعين عاماً ، وكان بعض الذين شهدوا ذلك أحياء عند البعثة.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾. أي: ألم يجعل الله تعالى مكرهم وسعيهم في تخريب الكعبة ، ضلالاً منهم أدى بهم إلى الهلاك. قال القرطبي: ﴿أَلَمْ

يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْيِيلٍ ﴿١﴾ أي: في إبطال وتضييع ، لأنهم أرادوا أن يكيدوا قُرَيْشًا بالقتل والسبي ، والبيت بالتخريب والهدم).

وقوله تعالى: ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٢﴾. أي: جماعات متفرقة. وهي طير سود جاءت من قبل البحر فوجاً فوجاً ، مع كل طائر ثلاثة أحجار: حجران في رجليه ، وحجر في منقاره ، لا يصيب شيئاً إلا هشمه.

وعن ابن عباس: (قوله: ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٢﴾ قال: هي التي يتبع بعضها بعضاً). وقال مجاهد: (هي شتى متتابعة مجتمعة). وقال قتادة: (الأبابل: الكثيرة). وقال ابن زيد: (الأبابل: المختلفة ، تأتي من ها هنا ، وتأتي من ها هنا ، أتتهم من كل مكان). وقال أبو سلمة: (الأبابل: الزمر). وعن عبيد بن عمير: (قوله: ﴿٢﴾ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٢﴾ قال: سود بحرية ، في أظافيرها ومنافيرها الحجارة).

وقوله تعالى: ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٣﴾. قال ابن عباس: (من طين. قال: طين في حجارة. قال: سجيل بالفارسية: سنك وكل ، حجر وطين). فهي من النوع الشديد الصلب.

وقال قتادة: (كانت مع كل طير ثلاثة أحجار: حجران في رجليه ، وحجر في منقاره ، فجعلت ترميهم بها). فلا يصيب بها شيئاً إلا هشمه.

وقوله تعالى: ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَصَفِ مَأْكُولٍ ﴿٤﴾. قال مجاهد: (ورق الحنطة). وقال قتادة: (هو التبن). وقال الضحاك: (كزرع مأكول). وقال ابن زيد: (ورق الزرع وورق البقل ، إذا أكلته البهائم فرائثه فصار روثاً).

والمقصود: فجعلهم الله كورق الزرع إذا أكلته الدواب فرمت به من أسفل. أو كورق زرع قد أكلت منه الدواب وبقي منه التبن.

قال ابن جرير: (فجعل الله أصحاب الفيل كزرع أكلته الدواب فرائثه ، فیس وتفرقت أجزاءه. شبه تقطع أوصالهم بالعقوبة التي أنزلت بهم ، وتفرق آراب أبدانهم بها ، بتفرق أجزاء الروث ، الذي حدث عن أكل الزرع).

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: [إن الله حبس عن مكة

الفيل ، وَسُلِّطَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنُونَ⁽¹⁾ .

وقد كان فضل الله على قريش في ذلك عظيماً ، رغم بعدهم وانهيار مفاهيمهم وتحريفهم لدين إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

فقد أخرج البخاري في «التاريخ الكبير» بسند صحيح عن أم هانئ مرفوعاً: [فَضَّلَ الله قريشاً بسبع خصال: فضلهم بأنهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبد إلا قرشي . وفضلهم بأنه نصرهم يوم الفيل وهم مشركون . وفضلهم بأنه نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيهم غيرهم ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ﴾ . وفضلهم بأن فيهم النبوة والخلافة والحجبة والسقاية]⁽²⁾ .

تم تفسير سورة الفيل

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

مساء يوم السبت 7 - ذي الحجة - 1426 هـ

الموافق 7 / كانون الثاني / 2006 م

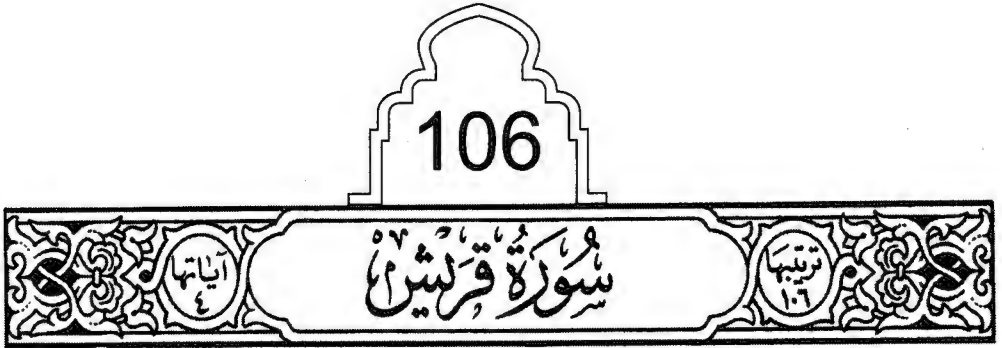
دروس ونتائج وأحكام

- 1 - إن الله حبس عن مكة الفيل ، وَسُلِّطَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُؤْمِنُونَ .
- 2 - فضل الله قريشاً بأن نصرهم يوم الفيل وهم مشركون .
- 3 - من السنة للحاج أن ينطلق من المزدلفة قبل طلوع الشمس إلى منى وهو يلبي ، فإذا أتى بطن مُحَسَّر - وهو واد أهلك الله فيه أصحاب الفيل - أسرع السير .



(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (6880) - كتاب الديات. وله شاهد آخر في كتاب اللقطة (2434). ورواه مسلم وغيره. وانظر تفصيل البحث في كتابي: السيرة النبوية (1/63).

(2) حديث صحيح. أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (1/341). والبيهقي في «منقب الشافعي» (34/1). وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (1944).



وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (4).

فضائلها وما ورد في ذكرها :

لقد جاء ذكر قريش وهذه السورة في أحاديث من السنة الصحيحة :

الحديث الأول: أخرج البخاري في «التاريخ الكبير» بسند صحيح عن أم هانئ مرفوعاً: [فَضَّلَ اللهُ قَرِيشاً بِسَبْعِ خصال: فَضَّلَهُمْ بأنهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبد إلا قرشي. وفضلهم بأنه نصرهم يوم الفيل وهم مشركون. وفضلهم بأنه نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيهم غيرهم ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ﴾. وفضلهم بأن فيهم النبوة والخلافة والحجاجة والسقاية]⁽¹⁾.

الحديث الثاني: أخرج ابن حبان والحاكم بسند جيد عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ: [إِنَّ لِلْقُرَشِيِّ مِثْلِي قوة الرجل من غير قريش]⁽²⁾. فقليل للزهري: بم ذلك؟ قال: ينبل الرأي.

الحديث الثالث: أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال: [لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان]⁽³⁾.

- (1) حديث صحيح. أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (341 / 1 / 1) ، والبيهقي في «مناقب الشافعي» (34 / 1). وانظر السلسلة الصحيحة (1944) ، وقد مضى آخر سورة الفيل .
- (2) حديث صحيح. أخرجه ابن حبان (2289) ، والحاكم (72 / 4) - على شرط البخاري ، وأخرجه أحمد (81 / 4 - 83) . وانظر كتابي: السياسة الشرعية (157 - 161) لتفصيل البحث .
- (3) حديث صحيح. أخرجه البخاري (3501) - كتاب المناقب . ومسلم (1820) - كتاب الإمارة .

وليس المراد بذلك العدد ، وإنما المقصود انتفاء حصول ذلك .

الحديث الرابع : أخرج الإمام أحمد بسند صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [الأئمة من قريش ، إن لهم عليكم حقاً ولكم عليهم حقاً مثل ذلك ، ما إن استرحموا رحموا ، وإن عاهدوا وفوا ، وإن حكموا عدلوا ، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين] (1) .

موضوع السورة

آلاء الله على قريش

- منهاج السورة -

- 1 - امتنان الله على قريش في تذليله لهم رحلة الشتاء ورحلة الصيف .
- 2 - أمره تعالى لهم أن يفردوه بالعبادة والتعظيم ، فهو رب البيت العلي العظيم .
- 3 - امتنان الله على قريش بنعمة الإطعام من الجوع ، ونعمة الأمن من الخوف .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- 1 - 4 . قوله تعالى : ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۚ إِلَّا لِفِهِمْ رِحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ (٢) .
- فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۚ (٤) .

في هذه الآيات : امتنان الله تعالى على قريش في تذليل رحلة الشتاء والصيف على مدار السنين ، لتعود عليهم بالخيرات بفضل الله العظيم ، إضافة إلى نعمة الأمن التي وفّرها لهم ربهم الكريم .

فقوله تعالى : ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ﴾ فيه أكثر من تأويل :

(1) حديث صحيح . انظر تخريج أحاديث فضائل الشام ص (63) . وصحيح الجامع الصغير (2755) .


التأويل الأول: اللام لام التعجب. قال الكسائي: (أي اعجبوا لإيلاف قريش).

التأويل الثاني: اللام متعلقة بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾. والتقدير: فليعبدوا ربَّ هذا البيت، لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف للامتياز. قال ابن عباس: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ قال: نعمتي على قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف. قال: كانوا يَشْتُونَ بمكة، ويَصِيفُونَ بالطائف).

التأويل الثالث: أهلك الله أصحاب الفيل، فجعل ذلك لإيلاف قريش، أي ليألفوا الخروج ولا يُجترأ عليهم. ذكره مجاهد⁽¹⁾.

التأويل الرابع: أَلَفَ الله قريشاً إيلافاً فليعبدوا ربَّ هذا البيت - قاله الخليل.

التأويل الخامس: حبسنا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ أي: لائتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين - ذكره محمد بن إسحاق، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

التأويل السادس: قيل بل المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام في المتاجر وغير ذلك، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين في أسفارهم، لعظمتهم عند الناس، لكونهم سكان حرم الله، فمن عرفهم احترّمهم بل من ضَوَى إليهم وسار معهم أمن بهم، وهذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم، وأما في حال إقامتهم في البلد فكما قال الله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّا وَنَا وَيُنَظِّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: 67] ولهذا قال تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾  إِيْلَافِهِمْ، بدل من الأول ومفسّر له. ولهذا قال تعالى: ﴿إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾. ذكره ابن كثير.

التأويل السابع: قيل بل المقصود: سياسة الإيلاف، هيّاها الله لرعاية مصالح قريش. فقد أعطى نسب قريش إلى كنانة - التي تسكن قرب مكة - عمقاً استراتيجياً. ثم إن قريشاً قد حالفت الأحابيش الذين يعيشون قرب مكة فاستخدمتهم في حراسة القوافل المكية، ثم شملت الأحلاف خطوط التجارة المكية إلى الشام والعراق واليمن، فأوجد هاشم بن عبد مناف ما يسمى بالإيلاف، وهي جعالات تشرك زعماء تلك البلاد في تجارتها. حتى إنّ هاشم بن عبد مناف تمكن من الحصول على حق التجارة داخل

(1) وأما القول بأن السورتين «الفيل» و«قريش» متصلتان، وأنهما سورة واحدة، فلا دليل عليه، بل هما سورتان منفصلتان كما دلّ على ذلك حديث أم هانئ المتقدم.

أراضي الروم والفرس بالاتفاق مع حكامهم. فسياسة الإيلاف والمعاهدات كانت أساس ازدهار اقتصاد مكة ورواج تجارتها في البر والبحر⁽¹⁾.

واختار ابن جرير أن اللام في قوله تعالى: ﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ﴾ لامُ التعجب ، والتقدير عنده: اعجبوا لإيلاف قريش ونعمتي عليهم في ذلك.

قلت: بل كل ما سبق من التأويل يظهر بعض وجوه الإعجاز القرآني في هاتين الكلمتين وما يمكن أن تغطي من المعاني والمفاهيم ، ومن ثمَّ فقولهُ تعالى: ﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ﴾ يدخل في مفهومه جميع ما ذكر ، والله تعالى أعلم.

وأصل كلمة «إيلاف» من أَلَفَ يَأْلِفُ إلفاً ، وألفته إلفاً. أو من أَلَفَ يُوَالِفُ إيلافاً. فألفت وألفت لغتان عند العرب. والمفهوم الإلف والتآلف أي التقارب والاجتماع.

وأصل كلمة قريش من القرش وهو الجمع والكسب. وقيل نسبة إلى سمك القرش القوي الخطير الذي يهدد سفن البحر. قال النسفي: (وقريش ولد النضر بن كنانة ، سموه بتصغير القرش ، وهو دابة عظيمة في البحر تعبت بالسفن ولا تطاق إلا بالنار ، والتصغير للتعظيم ، فسموه بذلك لشدتهم ومنعتهم تشبيهاً بها. وقيل من القرش وهو الجمع والكسب ، لأنهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد).

قلت: والقرشية معتبرة في شروط الإمامة العظمى. لقوله ﷺ: [الأئمة من قريش] - كما مضى ذكره من حديث أنس. وله شاهد عند الحاكم والبيهقي من حديث علي عن النبي ﷺ قال: [الأئمة من قريش ، أبرارها أمراء أبرارها ، وفجّارها أمراء فجّارها ، وإن أقرت عليكم قريشٌ عبداً حبشياً مُجَدَّعاً فاسمعوا له وأطيعوا ، ما لم يخير أحدكم بين إسلامه وضرب عنقه ، فإن خيّر بين إسلامه وضرب عنقه فليقدّم عنقه]⁽²⁾.

ومفهوم النسب إلى قريش: قيل - هو النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر. وقيل: هو فهر بن مالك.

قال الشنقيطي: (الفهري قرشي بلا نزاع ، ومن كان من أولاد مالك بن النضر ، أو

(1) انظر تفصيل هذا البحث في كتابي: السيرة النبوية على منهج الوحيين - القرآن والسنة الصحيحة - البحث 3 - الحياة في مكة قبيل ولادة النبي ﷺ. ص (47 - 62).

(2) حديث صحيح. انظر تخريج: «إرواء الغليل» - حديث - (513). وصحيح الجامع الصغير (2754). وانظر تفصيل البحث في كتابي: السياسة الشرعية (157).

أولاد النضر بن كنانة ففيه خلاف ، ومن كان من أولاد كنانة من غير النضر فليس بقرشي بلا نزاع⁽¹⁾.

ويؤيد هذا ما روى مسلم في صحيحه عن وائلة بن الأسقع ، عن النبي ﷺ قال : [إنَّ الله تعالى اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم]⁽²⁾.

وقوله تعالى : ﴿إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ . - إيلافهم - بدل من الأولى . فأطلق الإيلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيماً لأمر الإيلاف وتذكيراً بعظيم تلك النعمة التي حباهم الله بها ، إذ كانوا يرحلون في الصيف إلى الشام وفي الشتاء إلى اليمن يتجرون آمنين . قال ابن زيد : (كانت لهم رحلتان : الصيف إلى الشام ، والشتاء إلى اليمن في التجارة ، إذا كان الشتاء امتنع الشام منهم لمكان البرد ، وكانت رحلتهم في الشتاء إلى اليمن).

وقوله تعالى : ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ . أي فليؤحدوا رب هذا البيت وليفردوه بالعبادة والتعظيم ، كما جعل لهم حرماً آمناً وبيتاً محرماً ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي هَٰذِهِ الْبَلَدَ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل : 91] . وهو سبحانه إنما عرّفهم أنه رب هذا البيت ، لأنه كانت لهم أوثان يعبدونها ، فميّز تعالى نفسه عنها . وهم بالبيت قد تشرفوا على سائر العرب ، ففي ذلك تنبيه لهم أن العراقة بالإيمان بالله رب هذا البيت الذي أسس على التوحيد لا بشرف المال والنسب .
وقوله : ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ .

أي : فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم ورزقهم بدعوة أبيهم إبراهيم وبسبب هاتين الرحلتين فخلصهم من جوع شديد .

وعن ابن عباس : (قوله : ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ يعني : قريشاً أهل مكة ، بدعوة إبراهيم ﷺ حيث قال : ﴿وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [إبراهيم : 37] .

وقوله : ﴿وَأَمْنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ . أي : وأمنهم من القتل والسبي ، وقد كانت العرب

(1) انظر كتاب : «أضواء البيان» - الشنقيطي (1/ 52) . وكتابي : السياسة الشرعية على منهج الوحيين : القرآن والسنة الصحيحة (157) لتفصيل البحث .

(2) حديث صحيح . أخرجه مسلم في الصحيح - حديث رقم - (2276) - كتاب الفضائل . باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه .

يغير بعضها على بعض ويسبي بعضها بعضاً ، فأمنت قريش من ذلك لمكان الحرم . وقد آمنهم كذلك من خوف الحبشة مع الفيل ، ومن أشياء كثيرة أخرى .

وعن ابن عباس : ﴿وَأَمَّنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ حيث قال إبراهيم عليه السلام : ﴿رَبِّ أَجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ [إبراهيم : 35] . وعن مجاهد : ﴿وَأَمَّنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ قال : آمنهم من كل عدو في حرمهم .

وقال قتادة : (كان أهل مكة تجاراً ، يتعاورون ذلك شتاء وصيفاً ، آمنين في العرب ، وكانت العرب يغير بعضها على بعض ، لا يقدرّون على ذلك ، ولا يستطيعونه من الخوف ، حتى إن كان الرجل منهم ليصاب في حي من أحياء العرب ، وإذا قيل حَرَمِيّ خُلِّيَ عنه وعن ماله ، تعظيماً لذلك فيما أعطاهم الله من الأمن) . وقال ابن زيد : (كانت العرب يغير بعضها على بعض ، ويسبي بعضها بعضاً ، فأمنوا من ذلك لمكان الحرم ، وقرأ : ﴿أَوَلَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْعَلُ إِلَيْهِ تَمَرْتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [القصص : 57] .

والخلاصة : لقد جَمَعَ الله لقريش بين الأمن والرخص ، فأطعمهم دون تعب ، وآمنهم دون نصب ، فليفردوه بالعبادة والتعظيم ، ومتابعة هذا النبي الكريم ، عليه وعلى الأنبياء أفضل الصلاة وأتم التسليم .

ثم إن المعظم لدين الله المستجيب لأمره يجمع الله له بين أمن الدنيا والآخرة ، أمّا أَمْنُ الدنيا فهي نعمة من أجل نعم الله على العباد ، ولاسيما حين تعصف في الأرض رايات الفتن وتهدد البلاد .

قال تعالى : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل : 112] .

وفي جامع الترمذي بسند حسن عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِخْصَنٍ الْخَطْمِيِّ ، - وكانت له صحبة - قال : قال رسول الله ﷺ : [مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّهِ ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قَوْتٌ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا]⁽¹⁾ . وَحِيزَتْ : أَي جُمِعَتْ .

وأما أَمْنُ الآخرة ، فهو أَكْبَرُ وأَعْلَى وأَجَلُّ من أَمْنِ الدنيا ، كما قال تعالى : ﴿أَفَنَنْ

(1) حديث حسن . أخرجه ابن ماجة في السنن (4141) ، والترمذي - صحيح سنن الترمذي - (1913) .

يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيَّ آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿﴾ [فصلت : 40].

أخرج أبو نعيم في «الحلية» بسند حسن لغيره عن شداد بن أوس ، أن رسول الله ﷺ قال : [قال الله عز وجل : وعزتي وجلالي ، لا أجمعُ لعبدي أُمْنَيْن ولا خَوْفَيْن ، إنَّ هو أُمْنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ أَجْمَعُ عِبَادِي ، وَإِنَّ هُوَ خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ أَجْمَعُ عِبَادِي] ⁽¹⁾.

تم تفسير سورة قريش

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

عصر يوم الأحد 8 - ذي الحجة - 1426 هـ

الموافق 8 / كانون الثاني / 2006 م

دروس ونتائج وأحكام

1 - فضل الله قريشاً بأن أنزل فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيهم غيرهم ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ﴾ .

2 - الأئمة من قريش ، وإن للقرشي مثلي قوة الرجل من غير قريش .

3 - نعمتان يغفل عنهما وعن شكرهما كثير من الناس : نعمة الطعام ونعمة الأمن .



(1) حديث حسن . أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (98 / 6) ، وفي سننه عمر بن صبح متهم ، لكن له طريق آخر أخرجه عبد الله بن المبارك في «الزهد» برقم (157) عن الحسن ، وهو مرسل صحيح . ووصله يحيى بن صاعد في «زوائد الزهد» (158) . وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (742) ، وصحيح الجامع الصغير - حديث رقم - (4208) .



وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (7) .

موضوع السورة

تهديد المكذبين بالحساب في المعاد
والوعيد على أهل الرياء ومنع المعونة على العباد .

- منهاج السورة -

- 1 - التهديد الشديد للمكذب بالجزاء والحساب يوم الدين ، الظالم لليتيم والبخيل على المسكين .
- 2 - الوعيد الأكيد على المنافقين ، المتهاونين في صلاتهم والمفرطين والمنشغلين .
- 3 - الرياء من صفات أهل النفاق ، وكذلك منع المعونة والمنفعة عن المحتاجين وأهل الاستحقاق .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 7. قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ أَيْتِيْمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾.

في هذه الآيات: التهديد الشديد للمكذب بالجزاء والحساب يوم الدين ، الظالم لليتيم والبخيل على المسكين ، والوعيد الأكيد على المنافقين ، الذين يتهاونون في صلاتهم وينشغلون عنها ويرأؤون ، ويمنعون المعونة وحصول المنفعة للمحتاجين .

فقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾﴾ . أي: أبصرت يا محمد المكذب بالحساب والجزاء في الآخرة . وعن ابن عباس: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾﴾ قال: الذي يكذب بحكم الله عز وجل).

وقوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ أَيْتِيْمَ ﴿٢﴾﴾ . يدع: أي يدفع . من دَعَعْتُ فلاناً عن حقه إذا دفعته عنه . قال ابن عباس: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ أَيْتِيْمَ ﴿٢﴾﴾ قال: يدفع حق اليتيم). وقال مجاهد: (يدفع اليتيم فلا يطعمه). وقال قتادة: (يقهره ويظلمه). والمقصود: إن ذاك المكذب بالدين لو تأملت حاله لوجدته ذلك الذي يدفع اليتيم عن حقه ويقهره ويظلمه ، ولا يحسن إليه ولا يطعمه . وقد كان عرب الجاهلية لا يورثون النساء والصبيان .

وفي التنزيل :

1 - قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: 10].

2 - وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: 152].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: [اجتنبوا السبع الموبقات . قالوا: يا رسول الله ، وما هن؟ قال: الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله

إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات⁽¹⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾. أي: لا يحضّ نفسه ولا يأمر أهله ولا غيرهم بإطعام المسكين ، بخلاً منه بالمال ، وتكديباً بالحساب والجزاء .
وفي التنزيل: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [الفجر: 17 - 18]. والمسكين هو الفقير الذي لا يجد ما يكفيه ، ولا يقوم فيسأل ما يغنيه .

يروى الطبراني وابن عساكر بسند حسن من حديث أبي بردة بن أبي موسى الأشعري مرفوعاً: [ملعونٌ من سأل بوجه الله ، وملعونٌ مَنْ يُسأل بوجه الله ثم منع سائله ما لم يسأله هُجراً]⁽²⁾.

وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾.

قال ابن جرير: ﴿سَاهُونَ﴾: لاهون يتغافلون عنها ، وفي اللهو عنها والتشاغل بغيرها ، تضييعها أحياناً ، وتضييع وقتها أخرى).
ومن أقوال أئمة التفسير في تفصيل ذلك:

1 - قال ابن عباس: (هم المنافقون يتركون الصلاة في السرّ ، ويصلون في العلانية).

2 - وقال مجاهد: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال: الترك لها).

3 - وقال قتادة: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾: غافلون. قال: ساهٍ عنها ، لا يبالي صلى أم لم يصل). وقال مجاهد أيضاً: (يتهاونون).

4 - وعن عاصم ، عن مصعب بن سعد: (السهو: الترك عن الوقت). وقال مصعب بن سعد: (قلت لسعد: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾: أهو ما يحدث به أحدنا نفسه في صلاته؟ قال: لا ، ولكن السهو أن يؤخرها عن وقتها).

وقال عطاء بن دينار: (الحمد لله الذي قال: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ، ولم يقل: في صلاتهم ساهون).

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (2766) - كتاب الوصايا. وأخرجه مسلم (89) - كتاب الإيمان.

(2) حديث حسن. أخرجه ابن عساكر (2/397/8) ، والطبراني كما في «المجمع» (3/103) ، وإسناده حسن. وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة - حديث رقم - (2290).

قلت: فالوعيد يشمل أهل الصلاة الذين أهملوها بالكلية ، أو تهاونوا في فعلها في وقتها المقدّر لها فعرفوا بتأخيرها ، كما يشمل المتهاونين بأدائها بأركانها وشروطها الشرعية ، وكذلك المنشغلين عن التدبر والخشوع فيها ، وعن أدائها في الجماعة من غير عذر.

ومن صحيح السنة في آفاق هذا المعنى أحاديث:

الحديث الأول: أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال: [أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حَبْوًا ، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ، ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس ، ثم أنطلق معي برجال ، ومعهم خُزْم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة ، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار]⁽¹⁾.

الحديث الثاني: أخرج مسلم ومالك وأحمد وابن حبان والبيهقي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: [تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان ، قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً]⁽²⁾.

الحديث الثالث: أخرج الطبراني وأبو يعلى بإسناد حسن عن أبي عبد الله الأشعري: [أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً لا يتم ركوعه ، وينقر في سجوده ، وهو يصلي ، فقال رسول الله ﷺ: لو مات هذا على حاله هذه مات على غير ملة محمد ﷺ. ثم قال رسول الله ﷺ: مثل الذي لا يتم ركوعه ، وينقر في سجوده مثل الجائع ، يأكل التمرة والتمرتين ، لا يغنيان عنه شيئاً]⁽³⁾.

الحديث الرابع: أخرج الأصبهاني في «الترغيب» بسند حسن عن أبي هريرة مرفوعاً: [إنَّ الرجل ليُصَلِّي سَتِينَ سَنَةً ، وما تُقْبَلُ له صلاةٌ ، ولعلَّه يُتِمُّ الركوع ولا يُتِمُّ

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (657) ، ومسلم (651) ح (252) ، وأحمد (424/2).

(2) حديث صحيح. أخرجه مالك (221/1) ومن طريقه أخرجه أبو داود (413) ، وأحمد (149/3) ، وابن حبان (261). وأخرجه مسلم (622) ، والترمذي (160) ، والنسائي (254/1) ، والبيهقي (443/1) من طريق إسماعيل بن جعفر عن العلاء به.

(3) رواه الطبراني في «الكبير» ، وأبو يعلى وابن خزيمة بسند حسن. انظر صحيح الترغيب (529/1).

السجود ، وَيُسَبِّحُ السُّجُودَ وَلَا يُسَبِّحُ الرُّكُوعَ⁽¹⁾ .

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ . قال الضحاك: (يعني المنافقين). وقال ابن عباس: (هم المنافقون ، كانوا يراؤون الناس بصلاتهم إذا حضروا ، ويتركونها إذا غابوا). وقال ابن زيد: (يصلون ، وليس الصلاة من شأنهم ، رياء). والمقصود: إنما هم يراؤون الناس بصلاتهم إذا صلوا ، وكذلك في جمع أعمالهم التي ظاهرها البر ، ليشنوا عليهم. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِّعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: 142].

وفي صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: [قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه]⁽²⁾.

وفي مسند الإمام أحمد بإسناد حسن عن أبي سعيد مرفوعاً: [ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الشرك الخفي: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته ، لما يرى من نظر الرجل]⁽³⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ . الماعون: اسم لما يتعاوره الناس بينهم ، من الدلو والفأس والقدر ، وما لا يمنع ، كالماء والملح. وقيل الماعون هو الزكاة: أي يمنعون زكاة أموالهم.

قال ابن كثير: (أي: لا أحسنوا عبادة ربهم ، ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما يَتَنَفَّعُ به ويستعان به ، مع بقاء عينه ورجوعه إليهم ، فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى).

وأصل الماعون في لغة العرب من المَعْن وهو القليل - حكاه الطبري -. أو من المعونة ، والألف عوض من الهاء - حكاه الجوهري -. قال قطرب: (أصل الماعون من القلة ، والمَعْنُ: الشيء القليل ، تقول العرب: ماله سَعْنَةٌ⁽⁴⁾ ولا معنة ، أي شيء

(1) حديث حسن. أخرجه الأصبهاني في «الترغيب» (ق 2/236) ، وإسناده حسن ، رجاله ثقات. وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة - حديث رقم - (2535).

(2) حديث صحيح. أخرجه مسلم في الصحيح (2985) - كتاب الزهد والرقائق - ، وقد مضى.

(3) حديث حسن. أخرجه أحمد في المسند (30/3) وسنده حسن. وانظر تفصيل البحث في كتابي: «أصل الدين والإيمان - عند الصحابة والتابعين لهم بإحسان» (1/495 - 499).

(4) السَّعْنَةُ: الكثير.

قليل). فيكون الماعون هو المستغل من منافع الأموال ، ومن ثمَّ فتكون الزكاة والصدقة ونحوهما من المعروف - على هذا المعنى - ماعوناً.

وقال ابن العربي : (الماعون: مفعول من أعان يعين ، والعَوْن: هو الإمداد بالقوة والآلات والأسباب الميسرة للأمر).

وقال الرازي : (والماعون: اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس ونحوهما. والماعون أيضاً الماء. والماعون أيضاً الطاعة. وقوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾. قال أبو عبيدة: الماعون في الجاهلية كُلُّ مَنْفَعَةٍ وَعَطِيَّةٍ ، وفي الإسلام الطاعة والزكاة).
ومن أقوال أئمة التفسير في ذلك :

1 - قال مجاهد: قال علي: (الماعونُ الزكاة). وروي ذلك عن ابن عمر ، وسعيد بن جبیر. وقال الحسن البصري: (إن صليّ راءى ، وإن فاتته لم يأْسَ عليها ، ويمنع زكاة ماله. وفي لفظ: صدقة ماله). وقال زيد بن أسلم: (هم المنافقون ، ظهرت الصلاة فصلوها ، وخفيت الزكاة فمنعوها).

2 - وقال المسعودي ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي العبيدين: أنه سأل ابن مسعود عن الماعون فقال: (هو ما يتعاطاه الناس بينهم ، من الفأس والقدر والدلو ، وأشباه ذلك).

وفي لفظ: (ما يتعاور الناس بينهم: الفأس والدلو وشبهه). وعن ابن عباس: (أنه العارية).

3 - وعن محمد بن كعب: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ قال: المعروف). وقال البخاري: (و﴿الْمَاعُونَ﴾: المعروف كله).

4 - وقال الزهري: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾: قال: بلسان قريش المال).

5 - وقال الفراء: (سمعت بعض العرب يقول: الماعون: الماء).

قلت: والجامع لهذه الأقوال المتقاربة أن الماعون يشمل أنواع المعاونة بالمال والمنافع ، والآية ذمٌ في حق مانع العارية والمنفعة ، والصدقة والزكاة من باب أولى.

أخرج أبو داود بسند حسن عن عبد الله قال: [كُنَّا نَعُدُّ المَاعُونَ عَلَى عَهْد رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَارِيَةً ، الدَّلُو ، والقَدَرُ] (1).

قال عكرمة: (رَأْسُ المَاعُونَ زَكَاةُ المَالِ ، وَأَدْنَاهُ المُنْخُلُ والدَّلُو والإِبْرَةُ) - رواه ابن أبي حاتم (2). وهو قول حسن جامع منسجم مع الحديث قبله ، ومع الأقوال المتكاملة التي سبقت ذلك ، والله تعالى أعلم.

تم تفسير سورة الماعون

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

ظهر يوم عرفة يوم الاثنين 9 - ذي الحجة - 1426 هـ

الموافق 9/ كانون الثاني/ 2006 م

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - ملعونٌ من سأل بوجه الله ، وملعونٌ مَنْ يُسأل بوجه الله ثم مَنَعَ سائله ما لم يسأله هُجْرًا.
- 2 - أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حَبْوًا.
- 3 - قال الله تعالى: 'أنا أغنى الشركاء عن الشرك' ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيبي تركته وشركه.
- 4 - الماعون: هو المعونة والمعاونة بالمال وبذل المنفعة.



(1) حديث حسن. أخرجه أبو داود (1657) ، والنسائي في «التفسير» (721) ، والبخاري (2292) وإسناده حسن. وانظر صحيح سنن أبي داود (1459) - كتاب الزكاة. باب في حقوق المال.

(2) وقال البخاري: (وقال عكرمة: أعلاها الزكاة المفروضة ، وأدناها عارية المتاع). ذكره في كتاب التفسير من صحيحه ، سورة «أَزَى يَت» [الماعون: 1].

108



وهي سورة مدنية ، وعدد آياتها (3) .

فضائلها وما ورد في ذكرها :

لقد ورد ذكر هذه السورة الكريمة في أحاديث من السنة الصحيحة :

الحديث الأول: أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك قال: [بيننا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا ، إذ أغفى إغفاءً⁽¹⁾ ، ثم رفع رأسه متبسماً ، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت عليّ آية سورة» ، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ ۝ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝﴾ ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم ، قال: «فإنه نهرٌ وعدنيه ربي عزَّ وجلَّ ، عليه خيرٌ كثيرٌ ، وهو حوضٌ تردُّ عليه أمتي يوم القيامة ، آيئته عددُ النجوم ، فيختلجُ العبدُ منهم ، فأقول: ربِّ ، إنَّه من أمتي ، فيقول: ما تدري ما أخذوا بعذك»⁽²⁾ . قلت: وفي الحديث دلالة أن السورة مدنية ، وأن البسملة تقرأ قبل كل سورة ، والله تعالى أعلم .

الحديث الثاني: أخرج الإمام أحمد بسند ثلاثي صحيح قال: حدثنا محمد بن فضيل ، عن المختار بن فلفل ، عن أنس بن مالك قال: [أغفى رسول الله ﷺ إغفاءً ،

(1) أغفى إغفاءً: أي نام نومة .

(2) حديث صحيح . أخرجه مسلم (400) - كتاب الصلاة . باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة ، سوى براءة . وأخرجه أبو داود (784) ، والنسائي (2/ 133 - 134) .

فرفع رأسه مُتَبَسِّمًا ، إما قال لهم وإما قالوا له : لِمَ ضَحِكْتَ؟ فقال رسول الله ﷺ : «إنه أنزلت عليَّ آيةً سورةً». فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ، حتى ختمها قال: «هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «هو نهر أعطانيه ربي - عز وجل - في الجنة ، عليه خيرٌ كثير ، تَرِدُّ عليه أمتي يوم القيامة ، آيةُ عددِ الكواكب ، يُخْتَلَجُ العبدُ منهم فأقول: يا رب! إنه من أمتي. فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بِعَدِّكَ!»⁽¹⁾.

الحديث الثالث: أخرج النسائي بسند صحيح عن زيد بن ثابت: [أنه قال لمروان: يا أبا عبد الملك ، أتقرأ في المغرب بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾؟ قال: نعم! قال: فمحلوفة⁽²⁾ ، لقد رأيت رسول الله ﷺ يقرأ فيها بأطول الطولين ﴿الْمَصَّ﴾⁽³⁾.

ورواه أبو داود بسند صحيح عن مروان بن الحكم قال: [قال لي زيد بن ثابت: مالك تقرأ في المغرب بقصار المفصل ، وقد رأيت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بطُولَي الطُولَيْنِ؟ قال: قلت: ما طُولَي الطُولَيْنِ؟ قال: الأعراف والأخرى الأنعام].

موضوع السورة

تكریم الله رسوله بالكوثر
وتهديد المخالف له بالبر

- منهاج السورة -

- 1 - امتنان الله تعالى على رسوله ﷺ بنهر في الجنة هو الكوثر .
- 2 - أمره تعالى نبيه ﷺ بإخلاص الصلاة له والنحر .
- 3 - القضاء من الله تعالى أن مبغض هذا النبي هو الأبر .

(1) حديث صحيح . أخرجه أحمد في المسند (102/3) ، وانظر الحديث قبله .

(2) أي: أنني أحلف بالله . و(أطول الطولين): سورتا الأنعام والأعراف .

(3) حديث صحيح . أخرجه أبو داود (812) - في الصلاة - باب قدر القراءة في المغرب . وأخرجه النسائي: صحيح سنن النسائي (945) . باب القراءة في المغرب بـ ﴿الْمَصَّ﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 3. قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾
إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾.

في هذه الآيات: تكريم الله تعالى رسوله ﷺ في الجنة بنهر الكوثر ، وأمره تعالى له بإخلاص الصلاة له والنحر ، وقضاء الله الذي لا يردُّ أن مبغض هذا النبي هو الأقطع الأبتَر.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾. الكوثر: فَوْعَلٌ من الكثرة ، مثل النوفل من النفل ، والجوهر من الجهر. قال ابن عباس: (هو الخير الكثير). فقليل له: إن ناساً يقولون هو نهر في الجنة! فقال: (هو من الخير الكثير).

وقال سفيان: (قيل لعجوز رجع ابنها من السفر: بم آب ابنك؟ قالت: بكوثر ، أي بمال كثير). وقيل الكوثر من الرجال: السيد الكثير الكثير الخير. والكوثر: العدد الكثير من الأصحاب والأشياء. وقد تكوثر: إذا كثر. قال القرطبي: (والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد والقدر والخطر كوثرًا). وقال النسفي: (الكوثر: فوعل من الكثرة ، وهو المفرط الكثرة).

قلت: والمقصود بالكوثر في الآية ذلك النهر في الجنة الذي جعله الله كرامة لرسول الله ﷺ ولأئمة ، والذي يحمل من ألوان الخير الكثير الكثير ، فحافته من الذهب ، ومجره على الدر والياقوت ، وتربته أطيب من المسك ، وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج ، وأوانيه من فضة. وقد جاءت نصوص السنة الصحيحة بذلك في أحاديث:

الحديث الأول: أخرج الإمام أحمد في المسند بإسناد صحيح عن ثابت ، عن أنس: [أنه قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيَ الْكَوْثَرُ فإذا هو نهر يجري ، ولم يُسَقَّ شَقًّا ، وإذا حافته قبابُ اللؤلؤ ، فضربت بيدي في

تربيته ، فإذا مِسْكَةً ذَفِرَةً ، وإذا حَصَاهُ اللُّؤْلُؤُ»⁽¹⁾. قال أنس : (أظنكم تظنون أن أنهار الجنة أخصود في الأرض ، والله إنها لسائحة على وجه الأرض إحدى حافتيها اللؤلؤ والأخرى الياقوت ، وطينها المسك الأذفر الذي لا خلط له) - ذكره ابن أبي الدنيا.

الحديث الثاني: أخرج البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك قال: [لَمَّا عُرِجَ بالنبي ﷺ إلى السماء قال: «أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَتَاهُ قِيَابُ اللُّؤْلُؤِ الْمُجَوَّفَةِ ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟! قال: هذا الكوثر»]⁽²⁾.

وله شاهد عند الإمام أحمد عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: [دخلت الجنة فإذا أنا بنهر ، حافتاها اللؤلؤ ، فَضْرَبْتُ بِيَدِي إِلَى مَا يَجْرِي فِيهِ الْمَاءُ ، فَإِذَا مِسْكٌ أَذْفَرُ ، قُلْتُ مَا هَذَا يَا جَبْرِيلُ؟! قال: هذا الكوثر أعطاكهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ]- وإسناده على شرط البخاري ومسلم.

الحديث الثالث: أخرج أبو داود وأحمد وابن حبان بسند صحيح في الشواهد من حديث أبي برزة مرفوعاً - في صفة الحوض يوم القيامة -: [أَنَّهُ يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ نَهْرِ الْكَوْثَرِ ، وَأَنْ عَلَيْهِ آتِيَةٌ عِدَدُ نَجُومِ السَّمَاءِ]⁽³⁾.

الحديث الرابع: أخرج أبو داود والترمذي بإسناد صحيح عن أنس بن مالك ، قال: [لَمَّا عُرِجَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فِي الْجَنَّةِ ، أَوْ كَمَا قَالَ: عَرَضَ لَهُ نَهْرٌ حَافَتَاهُ الْيَاقُوتُ الْمُجَبَّبُ ، أَوْ قَالَ الْمُجَوَّفُ ، فَضْرَبَ الْمَلِكُ الَّذِي مَعَهُ يَدُهُ ، فَاسْتَخْرَجَ مِسْكَاً ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ لِلْمَلِكِ الَّذِي مَعَهُ: «مَا هَذَا؟» قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ]⁽⁴⁾. زاد الترمذي: (ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى ، فَرَأَيْتُ عِنْدَهَا نُوراً عَظِيماً).

الحديث الخامس: أخرج الترمذي وابن ماجه بسند صحيح عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: [الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ ، حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ وَمَجْرَاهُ عَلَى الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ]⁽⁵⁾.

- (1) حديث صحيح. أخرجه أحمد في المسند (152/3) ، وإسناده على شرط مسلم.
- (2) حديث صحيح. أخرجه البخاري (4964). والشاهد رواه أحمد (103/3) وسنده صحيح.
- (3) حديث صحيح. أخرجه أبو داود في السنن (4749) ، وأخرجه أحمد في المسند (424/4) ، ورواه ابن حبان (6458) ، وعبد الرزاق (20852) ، وهو صحيح ، وله شواهد.
- (4) حديث صحيح. أخرجه أبو داود في السنن (4748) ، والترمذي في «ال تفسير». انظر: صحيح سنن الترمذي - حديث رقم - (2676). وروى البخاري نحوه.
- (5) حديث صحيح. أخرجه ابن ماجه (4334) ، والترمذي: انظر صحيح سنن الترمذي (2677).

الحديث السادس: أخرج البخاري في الصحيح ، والنسائي في التفسير ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبيدة ، عن عائشة قال: سألتها عن قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ قالت: [نَهْرٌ أُعْطِيَ نَبِيَّكُمْ ﷺ ، شَاطِئَاهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مَجْوْفٌ ، آيَتُهُ كَعَدَدِ النُّجُومِ] (1).

الحديث السابع: أخرج أحمد والطبري بسند جيد عن أنس: [أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا الْكَوْثَرُ؟ قَالَ: نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ أُعْطَانِيهِ رَبِّي ، لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ ، فِيهِ طَبِيبٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْجُزْرِ . قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّهَا لِنَاعِمَةٌ؟ قَالَ: أَكَلِهَا أَنْعَمُ مِنْهَا يَا عُمَرُ] (2).

وروى نحوه ابن جرير وفي آخره: [«تَرِدُّهُ طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا مِثْلُ أَعْنَاقِ الْجُزْرِ»]. فقال أبو بكر: يا رسول الله! إنها لناعمة؟ قال: أَكَلِهَا أَنْعَمُ مِنْهَا].

وقوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾ . أي: فأخلص لربك الصلاة والذبح على ما أولاك من الكرامة ، فصل له الصلاة المكتوبة والنافلة ، وانحر على اسمه النسك خالصاً له .

قال ابن عباس: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾ قال: الصلاة المكتوبة ، والنحر: التُّسُكُ والذبح يوم الأضحى). وقال عكرمة: (الصلاة ونحر التُّسُك). وقال الربيع: (إذا صليت يوم الأضحى فانحر). وقال ابن زيد: (نحر البدن).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ . أي: إن مبغضك يا محمد وما جئت به من الوحي العظيم والشرع القويم هو الأذل الأقل المنقطع عن كل خير .

أخرج البزار بإسناد صحيح عن ابن عباس قال: [قدم كعب بن الأشرف مكة ، فقالت له قريش: أنت سيدهم ، ألا ترى إلى هذا الصنوبر المنبر من قومه يزعم أنه خيرٌ منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية! فقال: أنتم خير منه . قال: فنزلت: ﴿ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾] (3). ورواه ابن جرير وزاد فيه: (وأنزلت عليه ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري في الصحيح (4965) ، والنسائي في «التفسير» (725).

(2) حديث إسناده جيد . أخرجه أحمد في المسند (221/3) ، والطبري في «التفسير» (38177). ورواه ابن جرير كذلك (38174) باللفظ الآخر ، وإسناده قوي .

(3) إسناده صحيح . أخرجه البزار من حديث عكرمة عن ابن عباس . انظر: «الصحيح المسند من أسباب النزول» - الوادعي - سورة الكوثر ، آية (3). ورواه ابن جرير في «التفسير» (38222) بنحوه .

الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴿٥١﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿نَصِيرًا﴾ [النساء: 51 - 52].

والصنبور: الرجل الضعيف الذليل بلا أهل ولا عقب ولا ناصر⁽¹⁾. وقد كان أهل الجاهلية يرون في موت أولاد النبي ﷺ انقطاعاً لأثره وذكره ، فأخزاهم الله تعالى بهذه الآية ، بأن محمداً ﷺ سيبقى أثره وذكره العطر في الأرض ، وأن مبغضه هو المنقطع الذكر المقطوع من خير الدنيا والآخرة.

تم تفسير سورة الكوثر

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

مساء يوم عيد الأضحى 10 - ذي الحجة - 1426 هـ

الموافق 10 / كانون الثاني / 2006 م

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - الكوثر نهر في الجنة أعطاه الله رسوله ﷺ ، آتيته عدد الكواكب .
- 2 - نهر الكوثر حافته من الذهب ، ومجراه على الدّر والياقوت ، وتربته أطيب من المسك .
- 3 - الكوثر ماءؤه أحلى من العسل ، وأبيض من الثلج ، وأوانيه من فضة .
- 4 - ترد على نهر الكوثر طير أعناقها مثل أعناق الجُرُر .
- 5 - الصلاة أو الذبح لا تكون إلا لله ، ولا تكون إلا بنص شرعي صحيح .
- 6 - مبغض هذا النبي الكريم ، أو ما جاء به من الوحي العظيم ، هو الأذل الأقطع المنقطع المحروم .



(1) وأصل الصنبور في كلام العرب سفعة تنبت في جذع النخلة لا في الأرض ، أو النخلة تبقى منفردة .
(انظر لسان العرب).

109



وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (6).

فضائلها وما ورد في ذكرها:

لقد ورد ذكر هذه السورة الكريمة في أحاديث من السنة الصحيحة العطرة:

الحديث الأول: يروي الترمذي بإسناد حسن عن أنس عن النبي ﷺ قال: [مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ﴾ عُدِلَتْ لَهُ بِرُبْعِ الْقُرْآنِ ، وَمَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عُدِلَتْ لَهُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ]⁽¹⁾.

الحديث الثاني: يروي الطبراني بإسناد حسن عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: [﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن ، و﴿قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ﴾ تعدل ربع القرآن]⁽²⁾.

ورواه الحاكم بلفظ: [قل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن]. وسنده حسن.

الحديث الثالث: أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» بسند صحيح عن علي قال: [لدغت النبي ﷺ عقرب وهو يصلي ، فلما فرغ قال: لعن الله العقرب لا تدع مصليا]

(1) حديث حسن . أخرجه الترمذي (2893) - أبواب فضائل القرآن . انظر صحيح سنن الترمذي - حديث رقم - (2317) . وصحيح الجامع الصغير (6342) .

(2) حديث حسن . أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (3/ 203/ 2) ، والحاكم (566/ 1) ، وله شاهد في مسند أحمد (3/ 146 - 147) . وانظر السلسلة الصحيحة (586) .

ولا غيره ، ثم دعا بماء وملح ، وجعل يمسح عليها ويقرأ: ب ﴿قُلْ يَتَائِبُ الْكٰفِرُوْنَ﴾ و ﴿قُلْ اَعُوْذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ اَعُوْذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾⁽¹⁾.

الحديث الرابع: روى مسلم عن جابر: [أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة ، وبقل هو الله أحد في ركعتي الطواف]⁽²⁾.

الحديث الخامس: روى مسلم عن أبي هريرة: [أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعتي الفجر]⁽³⁾.

الحديث السادس: روى أحمد بسند صحيح عن ابن عمر: [أن رسول الله ﷺ قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب ، بضعا وعشرين مرة ، ﴿قُلْ يَتَائِبُ الْكٰفِرُوْنَ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾]⁽⁴⁾.

وفي رواية ، قال: [رمقت النبي ﷺ أربعاً وعشرين أو خمساً وعشرين مرة ، يقرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب ، ب ﴿قُلْ يَتَائِبُ الْكٰفِرُوْنَ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾].

وفي رواية: [رمقت النبي ﷺ شهراً ، وكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر ب ﴿قُلْ يَتَائِبُ الْكٰفِرُوْنَ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾]⁽⁵⁾.

الحديث السابع: أخرج أبو داود بسند صحيح عن فروة بن نوفل ، عن أبيه ، أن النبي ﷺ قال لنوفل: [«اقرأ ﴿قُلْ يَتَائِبُ الْكٰفِرُوْنَ﴾» ثم نم على خاتمها ، فإنها براءة من الشرك]⁽⁶⁾.

(1) حديث صحيح . أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (ص 117) ، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (2/ 223) . وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (548) .

(2) حديث صحيح . انظر مختصر صحيح مسلم (707) ، باب حجة النبي ﷺ ، في أثناء حديث طويل .

(3) حديث صحيح . أخرجه مسلم في الصحيح (726) ح (98) . وانظر مختصر صحيح مسلم (360) .

(4) حديث صحيح . أخرجه أحمد في المسند (2/ 24) ، وكذلك (2/ 95) للرواية الثانية ، وإسناده على شرط البخاري ومسلم .

(5) حديث صحيح . أخرجه الترمذي (417) ، وابن ماجه (1149) ، وأحمد (2/ 94) ، والنسائي (1064) من حديث مجاهد عن ابن عمر ، وإسناده على شرط الشيخين .

(6) حديث صحيح . أخرجه أبو داود (5055) - أبواب النوم - وأخرجه الترمذي بنحوه . انظر صحيح سنن الترمذي (2709) ، وصحيح سنن أبي داود (4227) .

موضوع السورة

الولاء للمؤمنين ، والبراء من الكافرين

- منهاج السورة -

- 1 - أمر الله تعالى رسوله الكريم ، البراءة من دين المشركين ، ومن أوثانهم وأصنامهم وما يعبدون .
- 2 - التأكيد للكافرين أنهم في ضلال في منهاج عبادتهم ، وأنه ﷺ في منهاج مختلف في العبادة بريء من شركهم وأوثانهم .
- 3 - إعلان النبي ﷺ لقومه صراحة بأنه ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 6. قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمُ الْكُفْرُ وَلَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ١ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٢ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ٣ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٤ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ٥ .

في هذه الآيات: نعتُ الله تعالى منهاج الولاء والبراء ، الذي هو سبيل المؤمنين تجاه الكفرة الأعداء .

فقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمُ الْكُفْرُ وَلَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ١ . أي: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك ، لا أعبد الأوثان والأنداد والأصنام التي تعبدون . والخطاب وإن كان موجهاً إلى كفار قريش ، إلا أنه ينسحب ليشمل كل كافر إلى يوم القيامة .

فعن ابن عباس: (إن قريشاً وعدوا رسول الله ﷺ أن يعطوه مالا ، فيكون أغنى رجل بمكة ، ويزوجوه ما أراد من النساء ، ويطئوا عقبه ، فقالوا له: هل لك عندنا يا محمد ، وكفّ عن شتم آلهتنا ، فلا تذكرها بسوء ، فإن لم تفعل ، فإننا نعرض عليك

خصلة واحدة ، فهي لك ولنا فيها صلاح ، قال : ما هي ؟ قالوا : تعبد آلِهتنا سنة : اللات والعزى ، ونعبد إلهك سنة ، قال : حتى أنظر ما يأتي من عند ربي ، فجاء الوحي من اللوح المحفوظ ﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكَافِرُونَ﴾ السورة ، وأنزل الله : ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ إلى قوله : ﴿فَأَعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ ذكره ابن جرير في التفسير .

وقال محمد بن إسحاق : (حدثني سعيد بن مينا مولى البختری قال : لقي الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل ، والأسود بن المطلب ، وأمية بن خلف ، رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، ونشركك في أمرنا كله ، فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه ، وأخذنا بحظنا منه ، وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما في يدك ، كنت قد شركتنا في أمرك ، وأخذت منه بحظك ، فأنزل الله : ﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكَافِرُونَ﴾ حتى انقضت السورة).

وقوله تعالى : ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ﴿٢﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿١﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ . أي : ولا أنتم عابدون الله وحده لا شريك له وهو ما أعبد ، ولا أنا أعبد عبادتكم ولا أسلك طريقتكم ، وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحب ، ثم أنتم لا تقتدون بأوامر الله وشرعه ، بل قد اخترعتم عبادة من تلقاء أنفسكم فيها من الظن والهوى والابتداع الكثير ، فلكم دينكم ولي دين . قال البختری : (يقال : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ الكفر ، ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ الإسلام).

ورأى بعض أهل العربية أن تكرر ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وما بعده على وجه التوكيد .

وقال الحافظ ابن كثير : (وقد استدلل الإمام أبو عبد الله الشافعي وغيره بهذه الآية الكريمة «﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ على أن الكفر كله ملة واحدة).

تم تفسير سورة «الكافرون»

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

ثاني أيام التشريق - 12 ذي الحجة - 1426 هـ

الموافق 12 / كانون الثاني / 2006 م .

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمُ الْوُجُوهُ﴾ تعدل رُبْع القرآن .
- 2 - كان رسول الله ﷺ يقرأ بهذه السورة ويقل هو الله أحد في ركعتي الفجر والطواف وفي الركعتين بعد المغرب .
- 3 - ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمُ الْوُجُوهُ﴾ براءة من الشرك ، وهي منهاج كامل للمسلم في الولاء والبراء .
- 4 - استدل الشافعي رحمه الله من قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ أن الكفر كله ملة واحدة .



110

سُورَةُ النَّصْرِ

وهي سورة مدنية ، وعدد آياتها (3) . وتسمى كذلك «سورة التوديع» .

فضائلها وما ورد في ذكرها :

لقد ورد ذكر هذه السورة الكريمة في أحاديث من السنة الصحيحة :

الحديث الأول: أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: [قال لي ابن عباس رضي الله عنهما: تعلم - وفي رواية: تَدْرِي - آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ ، نَزَلَتْ جَمِيعًا؟ قُلْتُ: نَعَمْ ، ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ، قال: صَدَقْتُ] (1) .

الحديث الثاني: أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» ، وأحمد في «مسنده» ، بإسناد صحيح على شرط الشيخين عن أبي هريرة قال: [لما نزلت: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ قال: أتاكم أهل اليمن ، هُمْ أَرْقَى قُلُوبًا ، الْإِيمَانُ يَمَانٍ ، الْفَقْهُ يَمَانٍ ، الْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ] (2) .

الحديث الثالث: أخرج النسائي والطبراني بسند حسن لغيره عن عكرمة عن ابن عباس قال: [لما نزلت: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ... إلى آخر السورة ، قال:

(1) حديث صحيح . أخرجه مسلم في الصحيح (3024) ح (21) - كتاب التفسير ، وأخرجه النسائي في «التفسير» - حديث رقم - (733) .

(2) حديث صحيح . أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (404/2) ، ومن طريقه أحمد في «مسنده» (277/2) ، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (3369) .

نُعِيَتْ لرسول الله ﷺ نفسه حين أنزلت ، فأخذ في أشد ما كان قط اجتهداً في أمر الآخرة ، وقال رسول الله ﷺ بعد ذلك : «جاء الفتح ، وجاء نصر الله ، وجاء أهل اليمن» . فقال رجل : يا رسول الله ! وما أهل اليمن ؟ قال : «قوم رقيقة قلوبهم ، لينة قلوبهم ، الإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، والفقہ يمان»⁽¹⁾ .

موضوع السورة

النصر المبين والتمكين ، ودخول الناس في هذا الدين

- منهاج السورة -

- 1 - التبشير بمجيء نصر الله والفتح المبين ، ودخول الناس أفواجا في دين الله العظيم .
- 2 - أمره تعالى نبيه ﷺ بالتسبيح والشكر والاستغفار له فهو المنعم المتفضل الكريم ، الذي جاء بالفتح والنصر على الأعداء والطغاة المجرمين .
- 3 - تأكيد الله تعالى قبوله توبة التائبين ، والعفو والصفح عن المذنبين المستغفرين .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- 1 - 3. قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝ ﴾ .

في هذه الآيات : يخاطب الباري عز وجل نبيه ﷺ يقول : إذا حصل الفتح ، وتحقق النصر ، بعد طول عناء وصبر وجهاد ، وأقبل الناس على الدين الحق يدخلون فيه جماعات كثيرة ، وقبائل كبيرة ، بعد أن كانوا يدخلون فيه أفراداً وآحاداً ، فقد ارتفع

(1) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (6/525/11712) ، والطبراني في «المعجم الكبير» (11/328 - 329) ، و«الأوسط» (3/2017/15) ، وله شاهد عند أحمد (1/217) ، وانظر المرجع السابق : الصحيحة ج (7) ص (1108) عقب الحديث السابق .

الخوف وزال موجب القلق والحزن ، ولم يبق إلا تسبيح الله وشكره على ما أنعم عليه من الظهور والظفر والشوكة في الأرض وعز الدين فوق المناهج كلها ، والاستغفار مما كان من خواطر النفس وقلقها وحزنها وضعفها ، إنه سبحانه كان للمستغفرين توباً. ثم الاستعداد عقب ذلك للرحيل عن الدنيا ، فقد تم الأمر - يا محمد - وكمل الدين وحن وقت اللحاق بالرفيق الأعلى.

فقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. أي: إذا جاءك يا محمد نصر الله على من عاداك ، وهم قريش والعرب ، وفتح عليك مكة. والنصر هو التأيد الذي يكون به قهر الأعداء وغلبهم والاستعلاء عليهم ، والفتح هو فتح مساكن الأعداء ودخول منازلهم. وقيل: فتح قلوبهم - أيضاً - لقبول الحق.

قال النسفي: ﴿إِذَا﴾ منصوب بَسَبَّحَ ، وهو لما يستقبل ، والإعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة. قال: ﴿جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ النصر الإغاثة والإظهار على العدو ، والفتح فتح البلاد ، والمعنى نصر رسول الله ﷺ على العرب أو على قريش وفتح مكة ، أو جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم).

يروى البزار والبيهقي عن ابن عمر قال: (نزلت هذه السورة ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ في أوسط أيام التشريق ، فعرف رسول الله ﷺ أنه الوداع)⁽¹⁾.

وقال عمر بن الخطاب وابن عباس: (هو أجل رسول الله نعي إليه). ذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» ثم قال: (وقال ابن عمر نزلت أوسط أيام التشريق في حجة الوداع ، فعرف رسول الله أنه الوداع فخطب الناس خطبة أمرهم فيها ونهاهم).

قلت: ولا شك أن رسول الله ﷺ قد فهم من نزول هذه السورة أنه الوداع ، وأنه لا بد مفارق الدنيا قريباً إلى الرفيق الأعلى.

يروى البخاري عن ابن عباس قال: [كان عمرٌ يدخلني مع أشياخ بدر ، فكان بعضهم وجد في نفسه فقال: لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه ممن قد علمتم ، فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم ، فما رأيت أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليريه ، فقال: ما تقولون في قول الله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال لي: أكذلك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا ، فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أجل

(1) في سنده نظر ، «راجع - زاد المعاد - (289/2)» ، تحقيق الأرنؤوط ، لكن له شواهد.

رسول الله ﷺ أعلمه له ، قال : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ فذلك علامة أجلك ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّكُمْ كَانَتْ تَوَّابًا ﴾ . فقال عمر بن الخطاب : لا أعلم منها إلا ما تقول⁽¹⁾ .

فكان رسول الله ﷺ يكثر بعد ذلك من التسبيح والاستغفار .

وأخرج البخاري كذلك في الباب عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس : [أنَّ عمر رضي الله عنه سأله عن قوله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ قالوا : فَتَحَ الْمَدَائِنَ وَالْقُصُورَ . قال : ما تقول يا ابن عباس ؟ قال : أَجَلٌ أَوْ مِثْلُ ضَرْبٍ لِمُحَمَّدٍ ﷺ ، نُعِيَتْ لَهُ نَفْسُهُ]⁽²⁾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ . أي : جماعات كثيرة ، فوجاً بعد فوج ، بعد أن كانوا يدخلون فيه واحداً واحداً ، واثنين اثنين ، فصارت القبيلة تدخل بأسرها في الإسلام .

وفي صحيح البخاري من حديث عمرو بن سلمة قال : [لَمَّا كَانَ الْفَتْحُ بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَكَانَتِ الْأَحْيَاءُ تَتَلَوُّمُ بِإِسْلَامِهَا فَتَحَ مَكَّةَ ، يَقُولُونَ : دَعُوهُ وَقَوْمَهُ ، فَإِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ . . .] الحديث⁽³⁾ .

وفي رواية : [وكانت العرب تَلَوُّمُ بِإِسْلَامِهِمْ الْفَتْحَ فيقولون : اتركوه وقومهم فإنه إنْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ فَهُوَ نَبِيٌّ صادق ، فلما كانت وقعة أهل الفتح بَادَرَ كُلُّ قَوْمٍ بِإِسْلَامِهِمْ] .
وقوله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّكُمْ كَانَتْ تَوَّابًا ﴾ .

فيه الجمع بين تسبيح الله ، المؤذن بالتعجب مما يَسِّرُهُ اللهُ له مما لم يكن يخطر بباله ولا بال أحد من الناس ، وبين الحمد له على جميل صنعه له وعظيم منته عليه بالنصر والفتح لأم القرى ودخول الناس في الإسلام أفواجا . ﴿ وَاسْتَغْفِرْهُ ﴾ أي : اطلب منه المغفرة لذنبك تواضعاً لله ، واستقصاراً لعملك ﴿ إِنَّكُمْ كَانَتْ تَوَّابًا ﴾ أي : إنه تعالى من شأنه التوبة على المستغفرين له ، فهو يتوب على التائبين ويرحمهم بقبول توبتهم .

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري (4294) - كتاب المغازي . وكذلك (4970) - كتاب التفسير .

(2) حديث صحيح . أخرجه البخاري في الصحيح - حديث رقم - (4969) - كتاب التفسير ، عند هذه الآية من سورة النصر من حديث ابن عباس .

(3) حديث صحيح . وهو جزء من حديث أخرجه البخاري في الصحيح - حديث رقم - (4302) - كتاب المغازي ، من حديث عمرو بن سلمة .

وقال القرطبي: ﴿يَحْمَدُ رَبِّكَ﴾ أي: حامداً له على ما آتاك من الظفر والفتح).
وقال القاسمي: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ أي: ورأيت الناس من
صنوف العرب وقبائلها عند ذلك يدخلون في دين الله ، وهو دينك الذي جئتهم به لزوال
ذلك الغطاء الذي كان يحول بينهم وبينه ، وهو غطاء قوة الباطل فيقبلون عليه أفواجا
طوائف وجماعات لا آحاداً ، كما كان في بدء الأمر أيام الشدة. إذا حصل ذلك كله وهو
لا ريب حاصل ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: فتره ربك عن أن يهمل الحق ويدعه للباطل
يأكله. وعن أن يخلف وعده في تأييده. وليكن هذا التنزيه بواسطة حمده والثناء عليه
بأنه القادر الذي لا يغلبه غالب ، والحكيم الذي إذا أمهل الكافرين ليمتحن قلوب
المؤمنين ، فلن يضيع أجر العاملين ولا يصلح عمل المفسدين. والبصير بما في قلوب
المخلصين والمنافقين ، فلا يذهب عليه رياء المرائين ﴿وَأَسْتَغْفِرُ﴾ أي: أسأله أن
يعفرك ولأصحابك ما كان من القلق والضجر والحزن ، لتأخر زمن النصر والفتح.
والاستغفار إنما يكون بالتوبة الخالصة. والتوبة من القلق إنما تكون بتكميل الثقة بوعد
الله ، وتغليب هذه الثقة على خواطر النفس التي تحدثها الشدائد ، وهو وإن كان مما
يشق على نفوس البشر ، ولكن الله علم أن نفس نبيه ﷺ قد تبلغ ذلك الكمال فلذلك
أمره به ، وكذلك تقاربه قلوب الكمل من أصحابه وأتباعه عليه السلام. والله يتقبل منهم
﴿إِنَّمَا كَانَ تَوَّابًا﴾ أي: إنه سبحانه لا يزال يوصف بأنه كثير القبول للتوبة ، لأنه رب
يربي النفوس بالمحن. فإذا وجدت الضعف أنهضها إلى طلب القوة ، وشدت همها
بحسن الوعد. ولا يزال بها حتى تبلغ الكمال. وهي في كل منزلة تتوب عن التي قبلها.
وهو سبحانه يقبل توبتها فهو التواب الرحيم).

قلت: وهذا كلام بديع ، وتفسير رائع ، وتؤيده السنة الصحيحة في روائع من
الأحاديث:

الحديث الأول: أخرج البخاري في كتاب التفسير من صحيحه عن مسروق ، عن
عائشة رضي الله عنها قالت: [ما صَلَّى النبي ﷺ صلاةً بعد أن نزلت عليه ﴿إِذَا جَاءَ
نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إلا يقول فيها: «سبحانك ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي»⁽¹⁾.

الحديث الثاني: وأخرج البخاري في كتاب التفسير من صحيحه - كذلك - عند هذه
الآية ، عن عائشة رضي الله عنها قالت: [كان رسول الله ﷺ يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (4967) - كتاب التفسير. وانظر (794) - كتاب الأذان.

وسُجوده: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» ، يتأَوَّلُ الْقُرْآنُ⁽¹⁾ .

الحديث الثالث: أخرج الإمام أحمد بسند حسن عن عبد الله قال: [لما أنزل على رسول الله ﷺ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ كان يكثر إذا قرأها وركع أن يقول: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم (ثلاثاً)]⁽²⁾ .

تم تفسير سورة النصر

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

عصر ثاني أيام التشريق 12 - ذي الحجة - 1426 هـ

الموافق 12 / كانون الثاني / 2006 م.

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - سورة النصر هي آخر سورة نزلت من القرآن الكريم .
- 2 - سورة النصر فيها الإخبار بدنو أجل رسول الله ﷺ وعلامة ذلك ، ففيها نُعيت له نفسه عليه الصلاة والسلام .
- 3 - كانت العرب تَلَوُّمُ بِإِسْلَامِهِمُ الْفَتْحَ ، فلما وقع الفتح بادر كُلُّ قوم بِإِسْلَامِهِمُ .
- 4 - كان رسول الله ﷺ يكثر بعد نزول هذه السورة أن يقول في صلاته: سبحانك ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي .



(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري في الصحيح (4968) - كتاب التفسير . سورة النصر ، آية (1) .
 (2) حديث صحيح . أخرجه أحمد في المسند (410/1) ورجاله ثقات . وانظر تفصيل هذا البحث في كتابي: «السيرة النبوية على منهج الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة» (بحث 85 - التشريع النازل في حجة الوداع -) ص (1731 - 1744) .

111

سُورَةُ الْمَسَدِ

وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (5).

أسباب النزول:

لقد ورد في أسباب نزول هذه السورة الأحاديث الآتية:

الحديث الأول: أخرج البخاري في كتاب الجنائز من صحيحه - بابُ ذِكْرِ شِرَارِ الموتى - عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: [قَالَ أَبُو لَهَبٍ - لَعَنَهُ اللَّهُ - لِلنَّبِيِّ ﷺ: تَبَّأَ لَكَ سَائِرُ الْيَوْمِ ، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾⁽¹⁾]. وفي رواية: [قال أبو لهب: تَبَّأَ لَكَ ، أَلْهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾].

الحديث الثاني: أخرج البخاري في كتاب التفسير من صحيحه عن الأعمش ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: [لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (ورَهْطَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ) ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى صَعِدَ الصَّفا فهِتَفَ: «يَا صَبَاحَاهُ» ، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا؟ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ مِنْ سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟» قَالُوا: مَا جَرَّئْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا. قَالَ: «فإني نذيرٌ لكم بين يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ». قَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّأَ لَكَ ، مَا جَمَعْتَنَا

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (1394) - كتاب الجنائز ، وأخرج الرواية الأخرى في كتاب التفسير من صحيحه - حديث رقم - (4973). سورة المسد ، آية (3).

إلا لهذا؟ ثم قام فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (وقد تبَّ) ، هكذا قرأها الأعمش يومئذ⁽¹⁾.

الحديث الثالث: أخرجه البخاري عن ابن عباس: [أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ إِلَى الْبُطْحَاءِ فَصَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ فَنَادَى: «يَا صَبَاحَةَ»، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّيكُمْ، أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ». فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: أَلِهَذَا جَمَعْتُنَا؟ تَبَّأَ لَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ إِلَى آخِرِهَا⁽²⁾.

الحديث الرابع: أخرجه البخاري ومسلم والنسائي عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: [لما نزلت: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصِّفَا فَجَعَلَ ينادي: يا بني عدي! لبطون قريش حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش ، فقال: «أَرَأَيْتُمْ لو أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تَرِيدُ أَنْ تَغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟» قَالُوا: نَعَمْ ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا. قَالَ: «إِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ». فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبَّأَ لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ أَلِهَذَا جَمَعْتُنَا ، فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾⁽³⁾.

وهذا الحديث هو آخر حديث مما صَحَّ في أسباب النزول في القرآن بأسانيد صحيحة مما كنت جمعته أثناء رحلة تخصصي في الولايات المتحدة الأمريكية ، كنواة لهذا التفسير الجامع على منهج الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة . وقد كتبه في مدينة سان فرانسيسكو بتاريخ 1989/10/20 أثناء رحلتي إلى ولاية كاليفورنيا في إجازة بعد أدائي امتحاناتي الجامعية .

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري - (4971) - كتاب التفسير . سورة المسد . ورواه مسلم .

(2) حديث صحيح . أخرجه البخاري (4972) - كتاب التفسير - سورة المسد ، آية (1 - 2) .

(3) حديث صحيح . أخرجه البخاري (4971) ، ومسلم (208) ، وابن مندة نحوه في الإيمان (949) ،

ورواه الطبري (38262) ، والترمذي (3363) ، وأخرجه النسائي في التفسير كما في عمدة القاري

ج (16) ص (93) ، ج (19) ص (102) .

موضوع السورة

شقاء أبي لهب وزوجته في نار الجحيم

- منهاج السورة -

- 1 - الدعوة بالهلاك والخيبة ليدي أبي لهب والخسران .
- 2 - تأكيد خسارة الطاغية أبي لهب ، وعدم انتفاعه بماله وما كسب .
- 3 - تأكيد اشتراكه وزوجته حمالة الحطب ، في عذاب جهنم وفي جيد امرأته حبل من مسد .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 5. قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۚ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۚ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۚ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۚ ۝٥ ﴾

في هذه الآيات: قضاء الله تعالى بالهلاك والخسران ، على أبي لهب وزوجته بإيذائهما خير الأنام ، محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام .

فقوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ ﴾ . أي: هلكت يده وخسرت وخابت . ﴿ وَتَبَّ ۚ ﴾ أي: وهلك هو ، أي: قد وقع ما دعا به عليه وتحقق .

وأصله - في كلام العرب - من التَّباب: وهو الخسران والهلاك . يقال: «تبت يده» و«تَبَّأله» بالنصب على المصدر ، بإضمار فعل ، والتقدير: أَلْزَمَهُ اللَّهُ هَلَاكًا وَخُسْرَانًا .

وعن قتادة: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ۚ ﴾: أي خسرت . وقال ابن زيد: (التَّبَّ: الخسران) .

وأبو لهب هو أحد أعمام رسول الله ﷺ ، واسمه: عبد العزى بن عبد المطلب ، وكنيته أبو عتبة ، وإنما سُمي «أبا لهب» لإشراق وجهه ، وكان كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغضة له ، والازدراء به ، والتنقص له ولدينه .

فقد أخرج الإمام أحمد في المسند ، والحاكم في المستدرک ، والترمذي بسند حسن عن ربيعة بن عباد⁽¹⁾ رضي الله عنه قال: [رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: يا أيها الناس! قولوا: لا إله إلا الله ، تفلحوا. (وفي رواية الترمذي: تفلحوا وتملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم ، فإذا تمتم كنتم ملوكاً في الجنة ، وأبو لهب وراءه يقول: لا تطيعوه فإنه صابئ كاذب). وفي رواية أحمد: (والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجلٌ وضيءُ الوجه أحولُ ذو غديرَتين ، يقول: إنه صابئٌ كاذبٌ يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه فقالوا: هذا عمُّه أبو لهب)]⁽²⁾.

وروى أحمد والطبراني بسند حسن عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال: سمعت ربيعة بن عباد الديلي يقول: [إني لمع أبي رجلٌ شابٌ أنظرُ إلى رسول الله ﷺ يتبع القبائل - ووراءه رجلٌ أحولٌ وضيءٌ ، ذو جمة - يقفُ رسول الله ﷺ على القبيلة فيقول: «يا بني فلان! إني رسول الله إليكم ، أمركم أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئاً ، وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أنفذَ عن الله ما بعثني به». وإذا فرغَ من مقالته قال الآخرُ من خلفه: يا بني فلان! هذا يريدُ منكم أن تسلخُوا اللات والعزى ، وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش ، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تسمعوا له ولا تتبعوه. فقلت لأبي: مَنْ هذا؟ قال: عمُّه أبو لهب]⁽³⁾.

وكان أبناء أبي لهب متزوجين ببنات محمد ﷺ فأمرهم بفراقهن ، فطلق عتبة وعتية رقيقةً وأم كلثوم . ولربما تأثر أبو لهب بزوجه الشرسة أم جميل بنت حرب ، وهي أخت

(1) هو من بني الدليل ، وكان جاهلياً فأسلم.

(2) حديث حسن. أخرجه أحمد في المسند (4/341) ، وكذلك (3/491 - 493) ، ورواه الحاكم (16/1) ، والترمذي بإسناد حسن ، وانظر ما بعده.

(3) حديث حسن. أخرجه أحمد (3/492) ، والطبراني في «الكبير» (4589) ، وأخرجه الحاكم (15/1) ، وأحمد (3/492) من وجه آخر ، وصححه على شرط البخاري ومسلم ، ووافقه الذهبي. وأورده ابن كثير في التفسير ، وانظر ما قبله.

أبي سفيان ، كانت امرأة سليطة تؤذيها على كراهية محمد ودينه علل شتى ، ولذلك لم تأل جهداً بالنيل منه ومن الإسلام ، فبسطت فيه لسانها أيما بسط وتناولت وتمادت .

يروى أبو يعلى في مسنده ، والحاكم في مستدركه ، بسند حسن لغيره ، عن أسماء قالت : [لما نزلت : ﴿ تَبَتَّ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾] أقبلت أم جميل بنت حرب امرأة أبي لهب وهي تنشد : مُذَمَّمٌ أَبِينَا ، ودينه قَلِينَا ، وأمره عَصِينَا ، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر رضي الله عنه ، فسألت أبا بكر إن كان النبي قد هجاها فنفي ذلك⁽¹⁾ .

فيبدو أنها سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن فأنت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ، ومعه أبو بكر وفي يدها حجارة - كما يروي ابن هشام - : [فأعماها الله عن رؤية رسول الله ﷺ فقالت : يا أبا بكر! أين صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجوني ، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر⁽²⁾ فاه ، أما والله إنني لشاعرة :

مُذَمَّمًا عَصِينَا وأمره أبِينَا ودينه قَلِينَا

ثم انصرفت . فقال أبو بكر : يا رسول الله ، أما تراها رأتك؟ قال : «ما رأني ، لقد أخذ الله بصرها عني»⁽³⁾ .

وفي رواية عند البزار : (قالت : يا أبا بكر هجانا صاحبك ، فقال أبو بكر : لا ورب هذه البنية ، ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به ، فقالت : إنك لمصدق) .

وكان يفرح عليه الصلاة والسلام حين يحرفون اسمه لضده ويشتمون (وهو قولهم مذممٌ بدل محمد) ، لأن اسمه مدح كله ، فلا يقع الشتم بذلك عليه .

أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [ألا تعجبون

(1) حسن لغيره . أخرجه أبو يعلى (1/ 153 - 154) ، والحاكم (2/ 361) ، وانظر تفصيل البحث في كتابي : السيرة النبوية (1/ 210 - 212) .

(2) الفهر - بكسر الفاء - الحجر ملء الكف .

(3) انظر سيرة ابن هشام (1/ 342 - 343) ، ورواها الحميدي (1/ 323) بهذا اللفظ عن أسماء بنت أبي بكر ، وحسنه الحافظ في «الفتح» (8/ 610) .

كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم ، يشتمون مذمماً ، ويلعنون مذمماً ، وأنا محمد⁽¹⁾ .

ومع أن أبا لهب عم رسول الله ﷺ وجاره ، وكان بيته ملصقاً ببيته ، لكنه شقيّ تَنَكَّرَ للرحم والجوار من أجل شهوة الكبر والظهور والعلو في الأرض بغير الحق ، شأن جيرانه الآخرين من المشركين الذين كانوا يؤذونه .

وقوله تعالى: ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۖ ﴾ . قال ابن عباس: ﴿ وَمَا كَسَبَ ﴾ يعني: وَلَدَهُ . والمقصود: لم يدفع عنه ما جمع من المال ، ولا ما كسب من الأرباح والجاه والولد ، ما حَلَّ به من التباب ، وما نزل به من عذاب الله .

وقوله تعالى: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ . أي: سوف يعذب في النار الملتهبة ، تحرق جلده ، وهي ذات اشتعال وتوقد ، وهي نار جهنم .

وقوله تعالى: ﴿ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ . - فيه أكثر من تأويل :

التأويل الأول: كانت تجيء بالشوك فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ .

فعن ابن عباس: ﴿ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ قال: كانت تحمل الشوك ، فتطرحه على طريق النبي ﷺ ليعقره وأصحابه . وعن عطية الجدلي قال: (كانت تضع العضاء على طريق رسول الله ﷺ ، فكانما يطأ به كثيراً) .

وقال ابن زيد: (كانت تأتي بأغصان الشوك ، فتطرحها بالليل في طريق رسول الله ﷺ) . - واختاره ابن جرير .

التأويل الثاني: قيل لها حمالة الحطب لأنها كانت تحطب الكلام ، وتمشي بالنميمة ، وتعيّر رسول الله ﷺ بالفقر .

فعن عكرمة: (قال: ﴿ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ : كانت تمشي بالنميمة) . وقال قتادة: (كانت تنقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض) . وقال أيضاً: (كانت تحطب الكلام ، وتمشي بالنميمة . وقال بعضهم: كانت تعير رسول الله ﷺ بالفقر وكانت تَحْطُبُ فَعُيرَتِ بأنها كانت تحطب) .

التأويل الثالث: قيل بل تحمل الحطب فتلقيه على زوجها في نار جهنم .

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري في الصحيح (فتح الباري: 6/ 554 - 555) .

قال ابن كثير: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ ، وكانت زوجته من سادات نساء قريش ، وهي أم جميل ، واسمها أَرْوَى بنتُ حَرْب بن أُمَيَّة ، وهي أخت أبي سفيان . وكانت عوناً لزوجها على كُفْرِهِ وَجُحُودِهِ وَعِنَادِهِ ، فلهذا تكونُ يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار جهنم . ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ في جِدِّهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ، يعني: تحمل الحطب فتلقي على زوجها ، ليزداد في ما هو فيه ، وهي مُهَيَّأة لذلك مستعدة له).

قلت: والتأويل الأول أظهر وأنسب لعبارة الآية ، وأما التأويل الثاني والثالث فيحتمله البيان والإعجاز ، والله تعالى أعلم.

ونصب عاصم ﴿حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ على الشتم ، ويسوغ الوقف على ﴿وَأَمْرَأَتُهُ﴾ لأنها عطفت على الضمير في سيصلي ، والتقدير: سيصلي هو وامرأته ، أعني حمالة الحطب . ورفع غيره ﴿حَمَّالَةَ﴾ على أنها خبر ، وامرأته مبتدأ .

وقوله تعالى: ﴿فِي جِدِّهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ . الجيد: العنق . قال ابن زيد: ﴿فِي جِدِّهَا﴾ قال: في رقبته . والمسد: الليف . وقال الرازي: (المَسْدُ أيضاً حَبْلٌ مِنْ لَيْفٍ أَوْ خُوصٍ وَقَدْ يَكُونُ مِنْ جُلُودِ الْإِبِلِ أَوْ أَوْبَارِهَا . وَ«مَسَدٌ» الْحَبْلُ أَجَادَ قَتْلَهُ) . قال الضحاك: ﴿فِي جِدِّهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ قال: حبل من شجر ، وهو الحبل الذي كانت تحتطب به . وقال ابن زيد: ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ : حبال من شجر تنبت في اليمن لها مسد ، وكانت تفتل ، وقال: ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ : حبل من نار في رقبته . وقال قتادة: (قلادة من ودع) . وقال عروة: (سلسلة من حديد ، ذرعها سبعون ذراعاً) .

وقال سعيد بن المسيب: (كانت لها قلادة فاخرة من جوهر ، فقالت: واللات والعزى لأنفقها في عداوة محمد . ويكون ذلك عذاباً في جديدها يوم القيامة) .

قلت: والراجح من المعنى مما يناسب السياق: في عنقها حبل مما مسد من الحبال - والمسد الذي فتل من الحبال فتلاً شديداً من ليف كان أو جلد أو غيرها - فهي تحمل حزم الشوك وتربطها بذلك الحبل في جديدها في النار جزاء من جنس العمل ، والله تعالى أعلم.

وهذه السورة العظيمة تحدّى الله تعالى فيها أبا لهب وزوجته ، اللذين أصراً على معاداة النبي ﷺ وتكذيب الوحي والنبوة ، فتحذاهما تعالى بأنهما لن يؤمنا ، لا ظاهراً

ولا باطناً ، لا سرّاً ولا علناً ، وأنهما سيخرجان من هذه الحياة الدنيا كافرين ، ولم يجبرهما تعالى على الكفر والعمى عن طريق الصواب ، وإنما اختارا طريق الجحد واللؤم ففارقا الحياة وقد استحقا العقاب ، والخزي في قرآن يتلى على ألسنة الأجيال إلى يوم الحساب ، ثم يكون تحقيق الوعيد يومئذ برّدّهما إلى أشدّ أنواع الإهانة والعذاب ، فكان في ذلك أقوى الأدلة على إثبات النبوة .

تم تفسير سورة المسد

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

ظهر يوم السبت 14 - ذي الحجة - 1426 هـ

الموافق 14 / كانون الثاني / 2006 م

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - علم الله المسبق بِصِلِّي أبي لهب نار الجحيم ، وخروجه من هذه الدنيا ليضاف إلى الكافرين .
- 2 - نزول هذه السورة في حياة أبي لهب اللعين ، وتأكد علم الله بعدم اختياره منهاج المؤمنين .
- 3 - التّب من التّبَاب ، وهو الهلاك والخسران .
- 4 - الزوجة المعينة لزوجها على الكفر تشترك مع زوجها الكافر في عذاب الجحيم .



112

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

آياتها
٤ترتيبها
١١٢

وهي سورة مكية ، وعدد آياتها (4).

فضائلها وما ورد في ذكرها :

لقد ورد ذكر هذه السورة العظيمة وفضلها في أحاديث من السنة الصحيحة العطرة :

الحديث الأول: يروي البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها: [أنَّ النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية ، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك . فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال النبي ﷺ: أخبروه أن الله تعالى يحبه⁽¹⁾.

الحديث الثاني: يروي البخاري في كتاب الصلاة عن أنس رضي الله عنه قال: [كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء ، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، حتى يفرغ منها ، ثم كان يقرأ سورة أخرى معها ، وكان يصنع ذلك في كل ركعة: فكلّمه أصحابه فقالوا: إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بالأخرى ، فإذا أن تقرأ بها ، وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى ، فقال: ما أنا بتاركها ، إن أحببتهم أو مكّم بذلك فعلت ، وإن كرهتم تركتكم ، وكانوا يرون أنه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره ، فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (7375) - كتاب التوحيد. وأخرجه مسلم (813) ، والنسائي (171/2) ، وأخرجه ابن حبان (793).

الخبر ، فقال : يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمر بك به أصحابك وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟ قال : إني أحبها ، قال : حبك إياها أدخلك الجنة⁽¹⁾ .

الحديث الثالث : يروي الإمام أحمد في المسند عن أنس رضي الله عنه قال : [جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إني أحب هذه السورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ . فقال رسول الله ﷺ : حبك إياها أدخلك الجنة]⁽²⁾ .

الحديث الرابع : يروي البخاري عن أبي سعيد : [أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يرددّها ، فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر له ذلك ، وكان الرجل يتقالها ، فقال النبي ﷺ : والذي نفسي بيده ، إنها لتعدل ثلث القرآن]⁽³⁾ .

الحديث الخامس : يروي البخاري عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : [قال رسول الله ﷺ لأصحابه : أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة؟ فشق ذلك عليهم وقالوا : أينما يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال : الله الواحد الصمد ثلث القرآن]⁽⁴⁾ .

الحديث السادس : يروي الإمام أحمد عن أبي أيوب عن النبي ﷺ قال : [من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فكأنما قرأ ثلث القرآن]⁽⁵⁾ .

الحديث السابع : يروي الإمام أحمد بن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن]⁽⁶⁾ .

الحديث الثامن : يروي الإمام أحمد عن معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه قال : [أصابنا عطش وظلمة ، فانتظرنا رسول الله ﷺ يصلي بنا ، فخرج فأخذ بيدي ، فقال : قل ، فسكت؟ قل . قلت : ما أقول؟ قال : قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثاً ، تكفيك كل يوم مرتين] . وفي رواية : [تكفيك كل شيء] .

- (1) حديث صحيح . أخرجه البخاري (774) ، كتاب الأذان . والترمذي (2901) ، والبيهقي (61/2) .
- (2) حديث صحيح . انظر الحديث السابق ، ومسند أحمد (3/141) ، (3/150) . وصحيح ابن حبان (792) .
- (3) حديث صحيح . أخرجه البخاري في الصحيح (7374) ، كتاب التوحيد . وأخرجه أبو داود في السنن (1461) ، ورواه النسائي (171/2) .
- (4) حديث صحيح . أخرجه البخاري في الصحيح (5015) ، كتاب فضائل القرآن .
- (5) حديث صحيح . أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (684) ، وأحمد في المسند (5/141) ، وانظر صحيح الجامع (6349) ، وله شواهد كثيرة .
- (6) حديث صحيح . أخرجه أحمد (4/122) ، وابن ماجه (3789) ، وله شواهد .

وفي لفظ عند الترمذي وأبي داود والنسائي: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذتين حيث تُمسي ، وحين تُصبح ، ثلاث مرات ، تكفيك من كل شيء⁽¹⁾.

الحديث التاسع: يروي الإمام أحمد بسند حسن عن معاذ بن أنس الجهني صاحب رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: [من قرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى يخطمها عشر مرات بنى الله له قصرًا في الجنة]. وفي رواية: [من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ عشر مرات بنى الله له بيتًا في الجنة]⁽²⁾. وفي رواية: [فقال عمر: إذن نستكثر قصوراً يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ: الله أكثر وأطيب].

ورواه الدارمي عن سعيد بن المسيب قال: إن نبي الله ﷺ قال: [من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له قصرًا في الجنة ، ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين في الجنة ، ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاثة قصور في الجنة ، فقال عمر بن الخطاب: إذن نكثر قصورنا ، فقال رسول الله ﷺ: الله أوسع من ذلك].

قال الحافظ ابن كثير: (وهذا مرسل جيد).

الحديث العاشر: في أثر الدعاء بما اشتملت عليه هذه الألفاظ الكريمة من أسماء الله وصفاته.

يروي أهل السنن واللفظ للنسائي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه: [أنه دخل مع رسول الله ﷺ إلى المسجد ، فإذا رجل يصلي يدعو يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أن لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. قال: والذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الأعظم الذي سئل به أعطى وإذا دعى به أجاب]⁽³⁾.

الحديث الحادي عشر: في الرقية بها والاستشفاء بكلماتها.

يروي البخاري عن عائشة: [أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما ، وقرأ فيهما قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من

(1) حديث حسن: أخرجه أبو داود (5082) ، والنسائي في «الكبرى» (7860) ، والترمذي (3575).

(2) حديث حسن. أخرجه أحمد (437/3). وانظر صحيح الجامع (6348) ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (589) ، وانظر سنن الدارمي (459/2) لما بعده ، وسنده صحيح.

(3) حديث صحيح. انظر صحيح سنن الترمذي (2763) ، وصحيح سنن ابن ماجه (3857).

جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات⁽¹⁾ . ورواه أصحاب السنن .

موضوع السورة

توحيد الله عز وجل

- منهاج السورة -

- 1 - أمر الله تعالى نبيه ﷺ بإفراده بالتوحيد فهو الله الواحد الأحد .
- 2 - وصف الله تعالى نفسه بأنه الصمد ، فهو الذي يُصمد إليه أمر جميع خلقه .
- 3 - وصف الله تعالى نفسه بأنه لم يلد ولم يولد ، ولم يكافئه من خلقه أحد .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 4 . قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ .

في هذه الآيات: توحيد الله تعالى في جوامع من الكلم العظيم ، فهو الله الواحد لا نظير له ولا شبيه السيد الحي القيوم ، الذي إليه يصمد أمر جميع العباد وحاجاتهم ، وأرزاقهم ومصائبهم ، والذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكافئه من خلقه أحد .

قال ابن جرير رحمه الله: (ذكر أن المشركين سألوا رسول الله ﷺ عن نسب رب العزة ، فأنزل الله هذه السورة جواباً لهم . وقال بعضهم: بل نزلت من أجل اليهود سألوه ، فقالوا له: هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله؟ فأنزلت جواباً لهم) .

ثم ذكر أثراً عن أبي بن كعب قال: (قال المشركون للنبي ﷺ: انسب لنا ربك ، فأنزل الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝﴾ .

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري (5017) ، وأبو داود (5056) ، والترمذي (3402) ، وغيرهم .

وكذلك عن عكرمة قال: (إن المشركين قالوا: يا رسول الله أخبرنا عن ربك ، صف لنا ربك ما هو ، ومن أي شيء هو! فأنزل الله ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخر السورة).
وعن قتادة قال: (جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: انسب لنا ربك فنزلت: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى ختم السورة).

وبنحوه من طريق ابن إسحاق عن محمد بن سعيد قال: (أتى رهط من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا محمد هذا الله خلق الخلق ، فمن خلقه؟ فغضب النبي ﷺ حتى انتفخ لونه ، ثم ساورهم غضباً لربه ، فجاءه جبريل عليه السلام فسكّنه ، وقال: اخفض عليك جناحك يا محمد! وجاءه من الله جواب ما سأله عنه. قال: يقول الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ﴿لَمْ يَكُنْ لَكَ يُولَدٌ﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُوًا أَحَدٌ﴾).

قال الحافظ ابن كثير: (وقال عكرمة: ولما قالت اليهود نحن نعبد عزيز بن الله ، وقالت النصارى: نحن نعبد المسيح ابن الله ، وقالت المجوس: نحن نعبد الشمس والقمر ، وقال المشركون: نحن نعبد الأوثان ، أنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾).

قلت: والصحيح المسند من ذلك ما رواه الترمذي بسند حسن عن أبي بن كعب: [أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ انسب لنا ربك؟ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾] (1).

والمعنى أنه الله الواحد الذي لا نظيره ولا وزير ولا شبيه ولا عدیل ، فهو وحده الكامل في صفاته وأفعاله. وأما قوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ففيه معان جليلة ذكرها المفسرون:

الأول: السيد. قال ابن عباس: (هو السيد الذي قد كمل في سؤدده ، والشريف الذي قد كمل في شرفه ، والعظيم الذي قد كمل في عظمته ، والحليم الذي قد كمل في حلمه ، والعليم الذي قد كمل في علمه ، والحكيم الذي قد كمل في حكمته ، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد ، وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي إلا له ، ليس له كفء وليس كمثل شيء ، سبحانه الله الواحد القهار).

وعن الأعمش عن شقيق قال: (الصمد: هو السيد الذي قد انتهى سؤدده).

(1) حديث حسن. انظر صحيح سنن الترمذي (2680) - كتاب التفسير - سورة الإخلاص.

الثاني: الباقي. قال قتادة: (هو الباقي بعد خلقه). وفي رواية قال: (الصمد الدائم).

الثالث: الحي القيوم. قال الحسن: (الصمد: الحي القيوم الذي لا زوال له).

الرابع: الذي لا يأكل ولا يشرب. قال الشعبي: (الصمد: الذي لا يأكل الطعام ، ولا يشرب الشراب).

الخامس: ليس بأجوف. قال الضحاك: (الصمد: الذي لا جوف له). وقال مجاهد: (المصمت الذي لا جوف له).

السادس: لم يلد ولم يولد. قال أبو رجاء: سمعت عكرمة قال في قوله الصمد: (الذي لم يخرج منه شيء ، ولم يلد ولم يولد).

وقال أبو العالية: (الصمد: الذي لم يلد ولم يولد ، لأنه ليس شيء يلد إلا سيورث ، ولا شيء يولد إلا سيموت ، فأخبرهم تعالى ذكره أنه لا يورث ولا يموت).

السابع: نور يتلأأ. ذكره عبد الله بن بريدة.

قلت: وباستقراء هذه التفسير المختلفة ظاهراً المتحددة تأويلاً في معنى الصمد ، يتبين أن هذا اللفظ في صفة الباري عز وجل ، هو لفظ جامع لكل صفات الجمال والكمال التي لا تليق إلا بالله عز وجل ، فإنه يصمد الأمر كله ، فهو الكامل في صفاته وأسمائه ، الذي يجيب حوائج عباده ، ويعينهم ويدبر أمورهم ويرزقهم ويكشف مصابهم ، ويرحمهم ويجعل لمضطربهم من كربهم فرجاً ومخرجاً ، فهو الأحد الصمد تباركت أسماؤه وصفاته.

وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلَّ﴾. قال أبو جعفر: (ليس بفان ، لأنه لا شيء يلد إلا وهو فان بائد ، وليس بمحدث لم يكن فكان ، لأن كل مولود فإنما وجد بعد أن لم يكن ، وحدث بعد أن كان غير موجود ، ولكنه تعالى قديم لم يزل ، ودائم لم يبد ، ولا يزول ولا يفنى).

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ - فيه أكثر من تأويل:

الأول: لا شبيه له ولا مثل. قال أبو العالية: (لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء).

وقال قتادة فيما يرويه عن عمرو بن غيلان عن كعب: (إن الله تعالى ذكره أسس

السموات السبع ، والأرضين السبع ، على هذه السورة ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾ ^(٣) وَلَمْ يَكُنْ لَمْ كُفُّوا أَحَدٌ ﴿وإن الله لم يكافئه أحد من خلقه﴾.

وقال ابن عباس : (ليس كمثله شيء ، فسبحان الله الواحد القهار).

الثاني : يعني لا صاحبة له .

قال مجاهد : (﴿لَمْ يَكُنْ لَمْ كُفُّوا أَحَدٌ﴾ : يعني لا صاحبة له).

وفي ﴿كُفُّوا﴾ قراءتان بتسكين الفاء وضمها ، فقد قرأها قراء البصرة بالضم ﴿كُفُّوا﴾ وقرأها بعض قراء الكوفة بالتسكين ﴿كُفُّوا﴾ وهما قراءتان مشهورتان .

وكلا المعنيين حق ، كما قال سبحانه في سورة (مريم) : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۖ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝٨٨﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝٨٩﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝٩٠﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩١﴾ إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۝٩٢﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٣﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ۝٩٤﴾ .

وكذلك روى البخاري في صحيحه في هذا المعنى من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال : [قال الله تعالى : كذبنى ابن آدم ، ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان ، وأما شتمه إياي فقلوه : لي ولدٌ ، فسبحاني أن أتخذ صاحبةً أو ولدًا] ⁽¹⁾ .

تم تفسير سورة الإخلاص

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

عصر يوم السبت 14 - ذي الحجة - 1426 هـ

الموافق 14 / كانون الثاني / 2006 م

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري في الصحيح (4974) - كتاب التفسير . وكذلك (3193) - كتاب بدء الخلق . وانظر الروايات المختلفة في صحيح الجامع الصغير (4199) ، (4203) .

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - سورة الإخلاص فيها صفة الرحمان عز وجل .
- 2 - ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن ، ومن قرأها عشر مرات حتى يختمها بنى الله له بيتاً في الجنة .
- 3 - سورة الإخلاص يُرَقَى بها ويستشفى بكلماتها . وكان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما ، وقرأ فيهما قل هو الله أحد ، وقل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده .



113

سُورَةُ الْفَلَقِ

وهي سورة مدنية ، وعدد آياتها (5) .

فضائل المعوذتين وما ورد في ذكرهما :

لقد جاء ذكر فضائل هاتين السورتين العظيمتين في أحاديث من السنة الصحيحة :

الحديث الأول: يروي البخاري عن زرّ بن حُبَيْش رضي الله عنه قال : سألت أُبَيَّ بن كعب عن المعوذتين فقال : سألت رسول الله ﷺ فقال : [قيل لي ، فقلتُ] . فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ (1) .

الحديث الثاني: يروي الإمام مسلم في صحيحه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : [ألم ترَ آيات أنزلت الليلة لم يُر مثلهن قط : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾] (2) .

الحديث الثالث: يروي الإمام أحمد عن عقبة بن عامر قال : [بينا أنا أقود برَسُولِ اللَّهِ ﷺ في نَقَب من تلك النُقَاب إذ قال لي : يا عقبة ألا تركب . قال : فأشفقت أن تكون معصية ، قال : فنزل رسول الله ﷺ وركبت هنية ثم ركب ثم قال : يا عقب ألا أعلمك

(1) حديث صحيح . أخرجه البخاري - (4977) - كتاب التفسير من صحيحه ، وكذلك (4976) .

(2) حديث صحيح . أخرجه مسلم في الصحيح (558 / 1) ، والترمذي (3367) ، وأحمد (151 / 4) .

سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس . قلت : بلى يا رسول الله ، فأقْرَأْنِي : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ثم أقيمت الصلاة فتقدم رسول الله ﷺ فقرأ بهما ثم مرَّ بي فقال : كيف رأيت يا عقب اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت [(1)] . وفي رواية قال : [أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة] .

الحديث الرابع : يروي الإمام النسائي بإسناد صحيح عن عقبة بن عامر قال : قال لي رسول الله ﷺ : [لن نقرأ شيئاً أبلغ عند الله من ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾] . ورواه أحمد بلفظ : [اقرأ بالمعوذتين فإنك لن تقرأ بمثلهما] .

وفصل في رواية أخرى ، قال عقبة : [إن رسول الله ﷺ أهديت له بغلة شهباء فركبها فأخذ عقبة يقودها له ، فقال رسول الله ﷺ : اقرأ قل أعوذ برب الفلق . فأعادها له حتى قرأها ، فعرف أنني لم أفرح بها جداً فقال : لعلك تهاونت بها؟ فما قمت تصلي بشيء مثلها] (2) .

الحديث الخامس : يروي الإمام أحمد بإسناد صحيح عن فروة بن مجاهد اللخمي قال : [لقيت رسول الله ﷺ فقال لي : يا عقبة بن عامر ! صل من قطعك ، وأعط من حرمك ، واعف عمن ظلمك . قال : ثم أتيت رسول الله ﷺ ، فقال لي : يا عقبة بن عامر : أملك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك . قال : ثم لقيت رسول الله ﷺ فقال لي : يا عقبة بن عامر ! ألا أعلمك سوراً ما أنزلت في التوراة ولا في الزبور ، ولا في الإنجيل ، ولا في الفرقان مثلهن ، لا يأتين عليك ليلة إلا قرأتهم فيها؟ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾] (3) .

قال عقبة : فما أتت علي ليلة إلا قرأتهم فيها ، وحق لي أن لا أدعهن ، وقد أمرني بهن رسول الله ﷺ .

وكان فروة بن مجاهد إذا حدث بهذا الحديث يقول : (ألا قرب من لا يملك لسانه ، أو لا يبكي على خطيئته ، ولا يسعه بيته) .

الحديث السادس : يروي الإمام النسائي عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال : [إن الناس لم يتعوذوا بمثل هذين ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾] .

(1) حديث حسن . أخرجه أحمد (4/ 144) ، وأبو داود (1462) ، والنسائي في «الكبرى» (7843) .

(2) حديث إسناده على شرط مسلم ، أخرجه أحمد (4/ 151) ، وانظر المرجع السابق (7842) .

(3) حديث حسن . انظر مسند أحمد (4/ 148) ، والطبراني (17/ 271) ، وله شواهد تحسنه .

وفي رواية ، قال له : [يا ابن عباس ألا أدلك - أو ألا أخبرك - بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون. قال: بلى يا رسول الله. قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ هاتين السورتين] (1).

الحديث السابع: يروي الإمام النسائي عن عقبة بن عامر قال: [كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فقال: يا عقبة قل! قلت: ماذا أقول؟ فسكت عني ، ثم قال: قل. قلت: ماذا أقول يا رسول الله؟ قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾. فقرأتها حتى أتيت على آخرها ، ثم قال: قل ، فقلت: ماذا أقول يا رسول الله ﷺ؟ قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾. فقرأتها ثم أتيت على آخرها ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: ما سألت سائل بمثلهما ولا استعاذ مستعيز بمثلهما].

ورواه الإمام أحمد من حديث أبي العلاء قال: قال رجل: [كنا مع رسول الله ﷺ في سفر والناس يعتقبون ، وفي الظهر قلة ، فحانت نزلة رسول الله ﷺ ونزلتي ، فلحقني فضرب منكبي ، فقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾. فقرأها رسول الله ﷺ فقرأتها معه ثم قال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾. فقرأها رسول الله ﷺ فقرأتها معه فقال: إذا صليت فاقرأ بهما] (2).

وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير وقال: (الظاهر أن هذا الرجل هو عقبة بن عامر والله أعلم. وقال: فهذه طرق عن عقبة كالمتواترة عنه تفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث).

الحديث الثامن: يروي الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: [كان إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه يده].

ورواه الإمام مالك بلفظ: [كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث ، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه بالمعوذات وأمسح بيده عليه رجاء بركتها] (3).

الحديث التاسع: يروي ابن ماجه والترمذي بسند حسن عن أبي سعيد الخدري قال:

(1) حديث صحيح. أخرجه النسائي (312/2) ، وأحمد (153/4) ، وابن سعد (312/2).

(2) حديث حسن. أخرجه أحمد (79/5) ، والنسائي (7859) ، ورجاله ثقات ، وله طرق كثيرة ، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة - حديث رقم - (1104).

(3) حديث صحيح. أخرجه البخاري (5016) ، ومسلم (2192) ، وأبو داود (3902) ، ورواه مالك في الموطأ (942/2) ، وأحمد في المسند (104/6) ، (181/6).

[كان رسول الله ﷺ يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنس ، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك] (1).

الحديث العاشر: يروي النسائي بسند صحيح عن عبد الله بن خبيب عن النبي ﷺ قال: [﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ، ما تعوذ الناس بأفضل منهما] (2).

موضوع السورة

الاستعاذة بالله رب الفلق

من الشياطين والسحرة والحساد وشر ما خلق

- منهاج السورة -

- 1- أمر الله رسوله بالاستعاذة به - تعالى - رب الفلق ، من شر ما خلق .
- 2- الأمر بالاستعاذة بالله تعالى من شر الغاسق إذا وقب .
- 3- الأمر بالاستعاذة بالله تعالى من شر السحرة والسواحر الذين ينفثون ويعقدون في العقد .
- 4- الأمر بالاستعاذة بالله تعالى من شر كل حاسد وما حسد .

(1) حديث صحيح . رواه ابن ماجة والترمذي من حديث أبي سعيد ، ورواه النسائي ، وقال الترمذي :

«حسن» . انظر حديث (7613) - تفسير ابن كثير - ، وكذلك آخر سورة القلم .

(2) صحيح الإسناد . انظر صحيح سنن النسائي - حديث رقم - (5018) - كتاب الاستعاذة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1 - 5. قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾.

في هذه الآيات: أمرُ الله تعالى نبيه - وهو أمر لأُمَّته - بالاستعاذة به من شر ما خلق ، ومن شر ما يكون من انتشار للفواحش والآثام إذا دخل الليل ووقب ، ومن شر السواحر والسحرة الذين يعقدون العقد ، ومن شر كل حاسد إذا أصاب بعينه أو حسد .

فقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ . أي: قل يا محمد أستجير وأستعيذ برب الفلق من شر ما خلق . وفي تفسير الفلق أكثر من قول:

الأول: الفلق هو الصبح . قال ابن عباس: (الفلق: الصُّبْح). وعن القرظي: (أنه كان يقول في هذه الآية: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْبِ وَالنَّوَى﴾ ، قال: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾).

وقال قتادة: (الفلق: فلق النهار) ، وفي رواية عنه: (فلق الصبح) .

وقيل لابن زيد: فلق الصبح؟ قال: نعم ، قرأ: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ .

الثاني: الفلق هو الخلق . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: (الفلق: الخلق) . وقال الضحاك: (أمر الله نبيه أن يتعوذ من الخلق كله) .

الثالث: الفلق سجن في جهنم .

فعن ابن إسحاق بن عبد الله قال: (الفلق: سجن في جهنم) . وقال سفيان: (سمعت السدي يقول: (الفلق جب في جهنم) . وعن العوام بن عبد الجبار الجولاني قال: (قدم رجل من أصحاب رسول الله الشام ، فنظر إلى دور أهل الذمة ، وما هم فيه من العيش والنضارة ، وما وسَّع عليهم في دنياهم ، قال: فقال: لا أبا لك ، أليس من ورائهم الفلق؟ قال: قيل: وما الفلق؟ قال: بيت في جهنم ، إذا فتح هَرَّ أهل النار) .

وعن كعب: (أنه دخل كنيسة فأعجبه حسنها ، فقال: أحسن عمل وأضل قوم ، رضيت لكم الفلق ، قيل وما الفلق؟ قال: بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حرّه). ذكره والأثر الذي قبله ابن جرير.

الرابع: الفلق اسم من أسماء جهنم.

فعن ابن وهب قال: سمعت خيثم بن عبد الله يقول: (سألت أبا عبد الرحمن الحيلي عن الفلق ، قال: (هي جهنم)).

ورجح ابن جرير أن المراد فلق الصبح. قال: (والفلق في كلام العرب: فلق الصبح ، تقول العرب: هو أبيض من فلق الصبح ، ومن فَرَق الصبح).

وقال الحافظ ابن كثير: (والصواب القول الأول إنه فلق الصبح وهذا هو الصحيح ، وهو اختيار البخاري في صحيحه رحمه الله تعالى).

فيكون المعنى: قل يا محمد أستجير وأستعذ برب الفلق من شر ما خلق من الخلق.

وقوله تعالى: ﴿ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ ﴾. أمر بالاستعاذة بالله من شر كل شيء خلقه في هذا الكون.

قال الحسن البصري: (جهنم وإبليس وذريته مما خلق).

فيكون المعنى: تعوذ بالله يا محمد من شر كل المخلوقات فإنه لا يصرف شرها عنك إلا الله.

ثم قال جل ذكره: ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ ﴾. وفي تفسيرها أقوال متقاربة:

الأول: الغاسق هو الليل إذا أظلم. قال ابن عباس: ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ ﴾ قال: (الليل). وقال الحسن: (أول الليل إذا أظلم). وقال القرطبي: (النهار إذا دخل في الليل). وقال مجاهد: (قوله: ﴿ غَاسِقٍ ۝ ﴾ قال: الليل ، ﴿ إِذَا وَقَبَ ۝ ﴾ قال: إذا دخل).

قال قتادة والحسن: (إنه الليل إذا أقبل بظلامه).

الثاني: الغاسق هو غروب الشمس.

فعن محمد بن كعب قال: (هو غروب الشمس إذا جاء الليل ، إذا وقب).

وقال الزهري: (الشمس إذا غربت). وقال مجاهد: (غاسق الليل إذا وقب غروب الشمس).

الثالث: الغاسق هو كوكب الثريا.

قال ابن زيد: (كانت العرب تقول: الغاسق: سقوط الثريا ، وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها ، وترتفع عند طلوعها).

وقال أبو المهزم عن أبي هريرة: (ومن شر غاسق إذا وقب: الكوكب).

الرابع: قيل بل الغاسق هو القمر.

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي والحاكم بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها: [أن رسول الله ﷺ أخذ بيدها فأشار بها إلى القمر فقال: يا عائشة! استعيذي بالله من شر هذا ، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب. يعني القمر]⁽¹⁾.

وفي لفظ للترمذي: [استعيذي بالله من هذا (يعني القمر) ، فإنه الغاسق إذا وقب].

قال الألباني: (وفي الحديث دلالة على جواز الإشارة باليد إلى القمر خلافاً لما نقل عن بعض المشايخ من كراهة ذلك ، والحديث يرد عليه).

ولفظ أحمد عنها قالت: [أخذ رسول الله ﷺ بيدي فأراني القمر حين طلع وقال: تعوذني بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب]. ولفظ النسائي: [تعوذني بالله من شر هذا ، هذا الغاسق إذا وقب].

قلت: ويمكن الجمع بين هذه التفاسير وجعل عمدتها حديث رسول الله ﷺ ، فإن القمر أكبر آية من آيات الليل ، وتليه الكواكب والنجوم التي تظهر بعد غروب الشمس ، فإذا دخل الليل وذهب النهار تعاقبت هذه الآيات بالظهور ، فجاء الأمر من الله بالاستعاذة من هذا الغاسق إذا دخل وأقبل وما يصاحب ذلك من حركة شياطين الإنس والجن بالمعاصي والفواحش.

ثم قال سبحانه: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾. وفيه أقوال متكاملة:

الأول: المراد الرقي من طريق السحر. قال ابن عباس: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي

(1) حديث صحيح. أخرجه الترمذي (2/241) ، وأحمد (6/61) ، والحاكم (2/540).

الْعَقْدِ ﴿ قال: ما خالط السحر من الرقى). وقال قتادة: (إياكم وما خالط السحر من هذه الرقى).

الثاني: قيل بل المراد السحرة والسواحر. قال الضحاك: (يعني السواحر).

وقال الحسن: (السواحر والسحرة). وقال ابن زيد: (السواحر في العقد).

الثالث: قيل بل المراد النفث في العقد. قال مجاهد: (إذا رقين ونفثن في العقد). وفي رواية عنه قال: (الرقى في عقد الخيط). وقال عكرمة: (الأخذ في عقد الخيط).

الرابع: قيل بل المراد رقية الحية والمجانين.

يروى ابن جرير بسنده إلى طاووس قال: (ما من شيء أقرب من الشرك من رقية الحية والمجانين).

وقد ثبت في صحيح الإمام البخاري وصحيح الإمام مسلم ومسند الإمام أحمد كيف سحر اليهود النبي ﷺ حتى رماه جبريل عليه الصلاة والسلام.

فقد أخرج البخاري في كتاب الطب من صحيحه عن عائشة قالت: [كان رسول الله ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، فقال يا عائشة! أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم - رجل من بني زريق حليف لليهود، كان منافقاً - قال: وفيه؟ قال: في مشط ومشاطة، قال: وأين؟ قال: في جف طلع ذكر تحت رعوفة في بئر ذروان. قالت: فأتى النبي ﷺ البئر حتى استخرج، فقال: هذه البئر التي أربتها وكأن ماءها نفاعه الحنأ، وكأن نخلها رؤوس الشياطين. قال: فاستخرج، قالت: فقلت: أفلا؟ - أي تشرت - فقال: أما والله فقد شفاني وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً⁽¹⁾.

وجاء في رواية أخرى: [حتى كان يُخَيَّلُ إليه أنه فعل الشيء ولم يفعلهُ].

وفي رواية: [فأمر بالبئر فدُفِنَتْ]⁽²⁾.

قلت: وإنما كان سحره ﷺ كالمرض، ولم يؤثر على عصمة النبوة وتبليغ الرسالة، وكل ما كان يُخَيَّلُ إليه أنه أتى أهله أو فعل الشيء من أمور الدنيا ولم يفعلهُ.

(1) حديث صحيح. أخرجه البخاري (5765) - كتاب الطب - ، باب: هل يستخرج السحر؟

(2) حديث صحيح. أخرجه البخاري (5766)، (6063)، (6391)، ومسلم (2189) ح (43).

يروى الإمام أحمد عن عبادة بن الصامت قال: [دخلت على رسول الله ﷺ أعوده وبه من الوجع ما يعلم الله تبارك وتعالى بشدة ، ثم دخلت عليه من العشي وقد برئ أحسن بُرءٍ فقلت له: دخلت عليك غدوةً وبك من الوجع ما يعلم الله بشدة ، ودخلت عليك العشية وقد برئت فقال: يا ابن الصامت إن جبريل عليه السلام رقاني برقية برئتُ ألا أعلمكها؟ قلت: بلى. قال: بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ ، من كل شيء يؤذيك ، من حسد كل حاسدٍ وعينٍ ، باسم الله يشفيك].

وله شاهدٌ في المسند عن عبادة يحدث عن رسول الله ﷺ: [أن جبريل أتاه وهو يُرْعِدُ فقال: باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ، من حسدٍ حاسدٍ ، وكلِّ عينٍ ، واسمُ الله يشفيك].

وشاهد آخر فيه أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري: [أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال: اشتكت يا مُحمد؟! قال: نعم قال: باسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس وعين يشفيك ، باسم الله أرقيك].

وفي رواية: [باسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من كل عينٍ وحاسدٍ ، يشفيك ، أو قال: الله يشفيك].

وهو من حديث عائشة عنده بلفظ: [كان النبي ﷺ إذا اشتكى رقاها جبريل عليه السلام فقال: باسم الله أرقيك ، من كل داء يشفيك ، من شر حاسدٍ إذا حسد ، ومن شر كل ذي عين⁽¹⁾].

ثم قال سبحانه: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾. قال قتادة: (من شر عينه ونفسه).

وقال ابن زيد: (يهود لم يمنعهم أن يؤمنوا به إلا حسدهم).

فأمر الله نبيه أن يستعيذ به من شر كل حاسد إذا حسد ، فعابه أو سحره ، أو نظر إليه نظرة بغي وسوء ، وهذا ما رقاها به جبريل عليه الصلاة والسلام.

يروى ابن ماجة بإسناد صحيح عن عائشة عن النبي ﷺ قال: [استعيذوا بالله تعالى

(1) حديث صحيح. انظر الروايات المختلفة في صحيح مسلم (2186) ، ومسند أحمد (28/3) ، (58/3 - 56/3) ، (75/3) ، وسنن الترمذي (972).

من العين ، فإن العين حق⁽¹⁾ . ورواه الحاكم .

تم تفسير سورة الفلق

بعون الله وتوفيقه ، وواسع منه وكرمه

مساء يوم السبت 14 - ذي الحجة - 1426 هـ

الموافق 14 / كانون الثاني / 2006م

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - لن نقرأ شيئاً أبلغ عند الله من ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ .
- 2 - كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده .
- 3 - استعيذوا بالله من شر هذا - يعني القمر - ، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب .
- 4 - استعيذوا بالله تعالى من العين ، فإن العين حق .



(1) صحيح . أخرجه ابن ماجه في السنن (3508) ، والحاكم في المستدرک (215/4) ، وصححه على شرطهما ، ووافقه الذهبي ، وأقره الألباني .

114

سُورَةُ النَّاسِ

آياتها ٦

ترتيبها ١١٤

وهي سورة مدنية ، وعدد آياتها (6) .

موضوع السورة

الاستعاذة برب الناس ملك الناس إله الناس ،
من شر الشيطان اللعين الرجيم الوسواس الخناس

- منهاج السورة -

- 1 - أَمُرُ الله تعالى رسوله ﷺ بالاستعاذة به وهو رب الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، من شر الوسواس الخناس .
- 2 - الوسواس هو الشيطان الرجيم ، يوسوس في صدور العالمين .
- 3 - الوسواس اللعين الخناس ، يحاول بوسوسته إضلال ما استطاع من الجنة والناس .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- 1 - 6 . قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١ مَلِكِ النَّاسِ ٢ إِلَهِ النَّاسِ ٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ٦ ﴾ .

في هذه الآيات : يقول تعالى ذكره لنبه محمد ﷺ : قل يا محمد أَسْتَعِيزُ وَأَسْتَجِيرُ

برب جميع الخلق من الإنس والجن وغير ذلك ، فله الكبرياء وحده في السماوات والأرض وهو يجير ولا يجار عليه ، وهو الملك لا يشاركه في ملكه أحد ، وهو الإله الحق فلا يستحق غيره العبادة ولا يجوز صرفها من دونه لأحد .

فقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَهِ النَّاسِ ۝٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ 》 . - التجاء إلى الله الرب الملك الإله العظيم ، من شر الوسواس الرجيم .

قال الحافظ ابن كثير: (هذه ثلاث صفات من صفات الرب عز وجل: الربوبية والملك والإلهية: فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه ، فجميع الأشياء مخلوقة له مملوكة عبيد له ، فأمر المستعيز أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات من شر الوسواس الخناس ، وهو الشيطان الموكل بالإنسان ، فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يزين له الفواحش ولا يألوه جهداً في الخبال ، والمعصوم من عصمه الله) .

قلت: وقد أمر الله بالاستعاذة من شر هذا الوسواس وهو الشيطان ، ولم يأمر سبحانه بلعنه وسبّه وشتمه ، وإنما هو ابتلاء من الله يسلطه على من اتبع هواه وأعرض عن دينه ، فالخلاص منه يكون بالاستعاذة بالله منه والالتجاء إليه بتعظيم دينه وشرعه .

يروى الديلمي بسند صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال: [لا تسبوا الشيطان ، وتعوذوا بالله من شره] (1) .

فالشيطان موكل ببني آدم ، وما من أحد إلا ومعه قرينه من الجن ، كما معه قرينه من الملك ، فهو في حالة توازن ما لم يؤثر الهوى ، ويرغب أن يطغى .

روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده ، عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: [ما منكم من أحد ، إلا وقد وُكِّلَ به قرينه من الجنّ وقرينه من الملائكة . قالوا: وإياك؟ قال: وإيائي ، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير] (2) .

قال ابن عباس: (ما من مولود إلا على قلبه الوسواس ، فإذا عقل فذكر الله خنس ، وإذا غفل وسوس ، قال: فذلك قوله: ﴿ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ 》) .

(1) حديث صحيح . أخرجه الديلمي (4/ 148) ، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (2422) .

(2) حديث صحيح . أخرجه مسلم في الصحيح (2814) ، كتاب صفات المنافقين . ح (69) . باب تحريش الشيطان ، وبعثه سراياه لفتنة الناس ، وأن مع كل إنسان قريناً .

وفي رواية عنه : (الشیطان جائم على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس ، وإذا ذكر الله خنس).

وقال مجاهد : (ينبسط ، فإذا ذكر الله خنس وانقبض ، فإذا غفل انبسط).

وقال قتادة : (هو الشیطان ، وهو الخنّاس أيضاً ، إذا ذكر العبد ربه خنس ، وهو يوسوس ويخنس).

وقال ابن زید : (الخنّاس : الذي يوسوس مرة ويخنس مرة ، من الجن والإنس ، وكان يقال : شیطان الإنس أشد على الناس من شیطان الجن ، وشیطان الجن يوسوس ولا تراه ، وهذا يعاينك معاينة).

وقيل بل هو الشیطان لا يزال يوسوس حتى يطاع ، فإن أطيع خنس .

فعن ابن عباس قال : (هو الشیطان يأمره ، فإذا أطيع خنس). وعن المعتمر بن سليمان عن أبيه قال : (ذكر لي أن الشیطان الوسواس ينث في قلب ابن آدم عند الحزن والفرح ، فإذا ذكر الله خنس).

قلت : ومن كنوز السنة الصحيحة في آفاق هذا المعنى أحاديث :

الحديث الأول : أخرج الإمام أحمد بسند جيد عن عاصم قال : سمعت أبا تميمه يحدث عن رديف رسول الله ﷺ قال : عثر بالنبي ﷺ حمّاره ، فقلت : تعس الشیطان ! فقال النبي ﷺ : [لا تقل : تعس الشیطان ، فإنك إذا قلت : تعس الشیطان ، تعاظم ، وقال : بقوّتي صرّعته ، وإذا قلت : باسم الله ، تصاغر حتى يصير مثل الذباب]⁽¹⁾.

الحديث الثاني : أخرج الإمام أحمد بسند حسن عن سعيد المقبري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : [إن أحدكم إذا كان في المسجد جاءه الشیطان فأبس به كما يبس الرجل بدابته ، فإذا سكن له زنفه - أو : ألجمه]⁽²⁾. قال أبو هريرة : (وأنتم ترون ذلك ، أما المزنون فتراه ماثلاً - كذا - لا يذكر الله ، وأما المُلجم ففاتح فاه ، لا يذكر الله عز وجل).

(1) أخرجه أحمد في المسند (71/5) وإسناده قوي ، وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير وقواه وقال : (تفرّد به أحمد ، إسناده جيّد قوي ، وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصاغر الشیطان وغلب ، وإن لم يذكر الله تعاظم وغلب).

(2) حديث حسن . أخرجه أحمد في المسند (330/2) من حديث أبي هريرة ، وإسناده حسن ، والمزنون : المربوط بحبل يمنع من الجماع .

الحديث الثالث: أخرج أحمد والطيالسي وأبو داود بسند صحيح عن ابن عباس قال: [جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! إني أُحَدِّثُ نفسي بالشيء لأنَّ أَخِرَّ من السماء أحبُّ إليَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ. قال: فقال النبي ﷺ: الله أكبر الله أكبر ، الحمد لله الذي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسةِ] (1).

وفي لفظ أبي داود: [إن أحدنا يجد في نفسه ، يعرض بالشيء ، لأن يكون حُمَمَةً - أي يصير فحماً - أحب إليه من أن يتكلم به ، فقال: الله أكبر ، الله أكبر ، الحمد لله الذي رَدَّ كَيْدَهُ إِلَى الْوَسْوَسةِ].

وقوله تعالى: ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾. المراد الشيطان الوسواس.

قال ابن جرير: (يعني بذلك الشيطان الوسواس ، الذي يوسوس في صدور الناس: جَنَّهُم وإِنْسَهُم).

وقوله تعالى: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾. فجعل الجن في هذه الآية ناساً ، كما جعلهم في الآية الأخرى رجالاً فقال: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾ فالجن سماهم مرة ناساً ومرة رجالاً.

قلت: ومن وساوسه أن يعرض للمسلم في أوقات أحوج ما يحتاج فيها إلى الخشوع والتدبر واستحضار القلب فيجهد ليفسد على المؤمن طمأنينته وخشوعه. وتفصيل ذلك:

أولاً - يعرض له في الصلاة إذا وقف بين يدي الله سبحانه:

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: [إن الشيطان إذا سمع النداء أحال له ضُراطٌ حتى لا يسمع صوته ، فإذا سكث رجع فوسوس ، فإذا سمع الإقامة ذهب حتى لا يسمع صوته ، فإذا سكث رجع فوسوس] (2).

(1) حديث صحيح. أخرجه أحمد (1/235) ، والطيالسي (2704) ، وأبو داود (5112) ، وابن حبان (147) وإسناده صحيح على شرطهما. وانظر صحيح سنن أبي داود (4264).

(2) حديث صحيح. انظر صحيح مسلم (389) ، كتاب الصلاة ، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وكذلك في صحيح الإمام مسلم من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي ، فقال رسول الله ﷺ: [ذلك شيطانٌ يقال له خنزَب ، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه ، واتقل عن يسارك ثلاثاً]⁽¹⁾. قال: ففعلت ذلك فأذهب الله تعالى عني .

ولذلك قال الله في سورة «فصلت»: ﴿وَمَا يَزَعْنِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَأَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

وهذا نبينا ﷺ عرض له الشيطان أثناء صلاته فاستعاذ بالله منه فأمكنه الله منه .

روى مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: [قام رسول الله ﷺ يصلي فسمعناه يقول: أعوذ بالله منك ، ثم قال: ألْعَنُكَ بلعنة الله ثلاثاً ، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً ، فلما فرغ من الصلاة قلنا: يا رسول الله ، سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ، ورأيناك بسطت يدك ، قال: إن عَدُوَّ الله إبليس جاء بشهابٍ من نار ليجعله في وجهي ، فقلت: أعوذُ بالله منك ثلاث مرات ، ثم قلت: ألْعَنُكَ بلعنة الله الثامنة ، فاستأخر ثلاث مرات ، ثم أردت أن آخذه ، والله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح مؤثقاً تلعب به ولدان أهل المدينة]⁽²⁾.

ورواه البخاري بلفظ آخر من حديث أبي هريرة وفيه: [إن الشيطان عَرَضَ لي فَشَدَّ علي ليقطع الصلاة عليّ ، فأمكنني الله تعالى منه فَدَعَتْهُ - أي خنقته - ولقد هممت أن أوثقَهُ إلى سارية حتّى تُصَبِّحُوا فتنظروا إليه فذكرتُ قولَ سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ فرده الله خاسئاً]⁽³⁾.

ثانياً - يعرض له بطريق الإسلام والهجرة والجهاد لتخور عزائمه بوساوسه فيركن إلى الدنيا .

يروي الإمام أحمد في المسند بإسناد صحيح عن سبرة بن أبي فاكه عن النبي ﷺ

- (1) حديث صحيح. أخرجه مسلم في صحيحه - حديث رقم - (2203) ، كتاب السلام: باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة.
- (2) حديث صحيح. أخرجه مسلم في صحيحه - حديث رقم - (542) ، كتاب المساجد ، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه ، وجواز العمل القليل في الصلاة.
- (3) حديث صحيح. أخرجه البخاري (461) كتاب الصلاة. وكذلك (3284) كتاب بدء الخلق.

قال: [إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لابنِ آدَمَ بِأَطْرَقِهِ ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ: تُسَلِّمُ وَتَذُرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَأَبَاءَ آبَائِكَ؟! فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهَجْرَةِ: فَقَالَ: تَهَاجِرُ وَتَدْعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ وَإِنَّمَا مِثْلُ الْمَهَاجِرِ كَمِثْلِ الْفَرَسِ فِي الطَّوْلِ - حَبْلٌ طَوِيلٌ يَشُدُّ بِهِ الْفَرَسُ بِيَدِهِ وَيُرْبِطُ لَوْتَدَ فَيَدُورُ وَيَرْعَى دُونَمَا يَذْهَبُ! - فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ: تَجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ ، فَتَقَاتِلُ فَتَقْتُلُ فَتَنْكُحُ الْمَرْأَةَ وَيَقْسِمُ الْمَالُ؟! فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ قَتَلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَإِنْ وَقَصَّتُهُ دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخِلَهُ الْجَنَّةَ] (1).

ثالثاً - يعرض له فيوسوس له بالشبهات ليفسد عليه دينه :

يروى الطبراني بسند صحيح عن ابن عمرو عن النبي ﷺ قال: [إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟! فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدَكُمْ فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ] (2).

ورواه أحمد من حديث عائشة بلفظ: [إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَكَ؟ فَيَقُولُ: اللَّهُ ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ اللَّهُ؟! فَإِذَا وَجَدَ أَحَدَكُمْ ذَلِكَ فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، فَإِنْ ذَلِكَ يَذْهَبُ عَنْهُ].

رابعاً - يعرض له عند طعامه وشرابه ليشركه فيه :

روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: [إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ الَّذِي لَمْ يُذَكِّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَإِنَّهُ لَمَّا جَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِي لَيَسْتَحِلُّ بِهِ فَأَخَذَتْ يَدَهُ ، وَجَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لَيَسْتَحِلُّ بِهَا فَأَخَذَتْ يَدَهَا ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ يَدِهِ فِي يَدِي مَعَ أُيْدِيهِمَا] (3).

(1) حديث صحيح . رواه أحمد والنسائي وابن ماجه . انظر صحيح الجامع الصغير (1648).

(2) حديث صحيح . رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط . وانظر «مجمع الزوائد» (341) . ومسند أحمد (214/5) ، (258/6) بإسناد حسن ، وسلسلة الأحاديث الصحيحة (116) ، (117) . وأصله في صحيح البخاري (321/2) ، وصحيح مسلم (84/1) .

(3) حديث صحيح . أخرجه مسلم في الصحيح (2017) ، ورواه أبو داود والنسائي في سننهما . وانظر «صحيح الجامع الصغير» - حديث رقم - (1649) .

وكذلك في صحيح الإمام مسلم عن جابر ، عن النبي ﷺ قال : [إن الشيطان يحضُر أحدكم عند كل شيء مِنْ شأنِهِ ، حتى يحضره عندَ طعامه ، فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليُمِطْ ما كان بها من أذى ، ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان ، فإذا فرغ فليعلق أصابعه ، فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة] (1).

خامساً - يعرض له ليحشر بينه وبين إخوانه :

روى أحمد ومسلم عن جابر عن النبي ﷺ قال : [إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون (2) ولكن في التحريش بينهم] (3).

سادساً - يعرض له ليزين له الفواحش والمنكر :

روى أحمد عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : [إن الشيطان قال : وعِزَّتْكَ يا رب لا أبرحُ أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم ، فقال الرب : وعِزَّتْكَ وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني] (4).

والمؤمن مطالب إزاء هذا الزحف الشيطاني ، والهجوم المتتابع للإبليسي ، بالالتجاء إلى الله ليكف عنه شر المردة ، فإنه لا يكفهم عن بني آدم إلا الله ، وقد جعلهم فتنة للبشر ليختبر بذلك دينهم وصدقهم ، ومطالب أيضاً بكف الشبهة عن نفسه أمام الناس لئلا يصطاد عليها الشيطان فيأكل عليها ويشرب ، ويشيع الفاحشة والضغينة في الأرض.

وقد صنَّف الإمام مسلم في صحيحه باباً سماه : «باب إذا مرَّ برجل ومعه امرأة فليقل إنَّها فلانة» وذكر تحته حديث أم المؤمنين صفية بنت حُيي رضي الله عنها قالت : [كان النبي ﷺ معتكفاً ، فأتيته أزوره ليلاً ، فحدثته ، ثم قمت لأنقلب فقام معي ليقلبني ،

(1) حديث صحيح . أخرجه مسلم (2033) ح (135) - كتاب الأشربة . وانظر كذلك ح (134).

(2) زاد مسلم وحده : «في جزيرة العرب» .

(3) حديث صحيح . أخرجه مسلم (138/8) ، والترمذي (127/3) ، وأحمد (313/3) ، وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» (609/2) ، وله شواهد كثيرة .

(4) حديث حسن . أخرجه أحمد (29/3) ، والحاكم (261/4) ، والبيهقي في «الأسماء» (ص 134) ، وأورده الهيثمي في «المجمع» (207/10) . والذهبي في «العلو» (ص 116) . وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة - حديث رقم - (104).

وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، فَمَرَّ رجلان من الأنصار ، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعَا ، فقال النبي ﷺ : على رُسُلِكما إنها صفية بنتُ حبي ، فقالا : سبحان الله يا رسول الله ! قال : إِنَّ الشَّيْطَانَ يجري من الإنسان مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًا ، أو قال : شيئاً⁽¹⁾ .

تم تفسير سورة الناس

بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ ، وَوَاسِعَ مِنْهُ وَكْرَمِهِ

مساء يوم السبت 14 - ذي الحجة - 1426 هـ

الموافق 14 / كانون الثاني / 2006 م

دروس ونتائج وأحكام

- 1 - ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ما سأل سائل بمثلهما ، ولا استعاذ مستعيز بمثلهما .
- 2 - لا تسبوا الشيطان وتعوذوا بالله من شره .
- 3 - الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ، فإن ذكر الله خنس ، وإن غفل وسوس .
- 4 - إن الشيطان قد آيسَ أن يعبد المصلون ولكن رضي في التحريش بينهم .
- 5 - إن الشيطان قال : وعزتك يا رب لا أبرحُ أغوي عبادَكَ ما دامت أرواحهم في أجسادهم ، فقال الرب : وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني .



(1) حديث صحيح . أخرجه مسلم في الصحيح (2175) - كتاب السلام - الباب السابق الذكر .

طرف الحديث الجزء/ الصفحة

-أ-

- اتئدما بالزيت وادهنوا به 5/ 252، 8/ 345
 اتئدما من هذه الشجرة 5/ 252
 ابدؤا بما بدأ الله به 1/ 456
 ابدأ بنفسك فتصدق عليها 1/ 564
 اتق الله حيثما كنت 1/ 96، 2/ 170
 اتق الله ولا تحقرن 1/ 96، 2/ 170
 اتقوا الظلم فإن الظلم 1/ 94، 2/ 245، 2/ 421،
 3/ 353، 4/ 417، 5/ 54، 5/ 521، 7/ 7
 621، 7/ 623، 7/ 675، 7/ 491، 8/ 85
 اتقوا الله في البهائم 1/ 96
 اتقوا الله في ما ملكت 1/ 96
 اتقوا الله واعدلوا 1/ 95
 اتقوا الله و صلوا أرحامكم 1/ 96، 2/ 182
 اتقوا الله وصلوا خمسكم 3/ 605
 اتقوا المجذوم 1/ 95
 اتقوا الملاعن الثلاث 1/ 95
 اتقوا النار ولو بشق 1/ 94، 3/ 307، 8/ 525
 اتقوا بيتاً يقال 1/ 95
 اتقوا دعوة المظلوم 1/ 94، 5/ 217
 اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى الله 6/ 108
 اتقوا هذه المذابح 1/ 95
 اتقي الله فإنه ابن عمك 7/ 639
 اثنتان في الناس هما بهم كفر 4/ 667
 اثنتان يكرههما ابن آدم 6/ 673
 اجتنبوا السبع الموبقات 2/ 193، 2/ 226، 3/ 3
 94، 3/ 340، 5/ 312، 8/ 571
 اجلس فقد أذيت وآتيت 8/ 427
 اجمعوا إلي من كان هاهنا من يهود 2/ 432
 احتج آدم و موسى 1/ 197، 2/ 370، 2/ 493،
 3/ 241، 4/ 597، 5/ 60
 احتجت الجنة و النار 1/ 159

احتجت الجنة و النار فقالت النار في الجبارون 7/ 418

احفظ عورتك إلا من زوجتك 5/ 242، 6/ 176،
 8/ 190

احمل متاعك فضعه على الطريق 2/ 360

اختصمت الجنة و النار 4/ 103

اختلعت من زوجي ثم جئت عثمان 1/ 593

اختلف فيها أهل الكوفة 2/ 305

اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان 5/ 337، 5/ 388

اخرجوا باسم الله قاتلوا 1/ 518

اخرجني إليه فإنه لا يحسن الاستئذان 6/ 99

ادعوا الله و أنتم موقنون بالإجابة 2/ 163، 7/ 48،
 7/ 78

ادعوا لي المقداد! يا مقداد أقتلت 2/ 308

اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً 6/ 196

اذهب إلى صاحب صدقة بني زريق 7/ 638

اذهب فاطلب ولو خاتماً من حديد 5/ 607

اذهب فقد ملكتكها بما 1/ 220

اذهب فوار أباك ثم لا تحدثن شيئاً 3/ 569

اذهب فواره ثم لا تحدث شيئاً حتى تأتيني 5/ 629

اذهبوا بنا نصلح بينهم 7/ 387

اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم 5/ 695

ارجع إليهما وأضحكهما 7/ 278

ارجعوا الأعلى والأسفل 2/ 115، 2/ 226، 4/ 4

71، 5/ 499، 7/ 41، 8/ 201

ارحموا ترحموا و اغفروا يغفر لكم 3/ 510، 5/ 5

188

ارملوا البيت ثلاثاً ليرى المشركون 7/ 367

ارموا واركبوا 3/ 399

استأذنت النار ربه 1/ 160

استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن 3/ 568

استأذنت ربي في أن أستغفر لها 8/ 543

استحيوا إن الله لا يستحي من الحق 1/ 575

استرقوا لها فإن بها النظرة 4/ 156، 8/ 162

استعيذوا بالله تعالى من العين فإن العين حق 8/ 618

افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة 3/

677

اقبلوا البشرى يا بني تميم 4/ 17

اقربت الساعة ولا يزداد الناس 5/ 79

اقرؤوا القرآن فإنه شافع 2/ 5

اقرؤوا القرآن فإنه يأتي 1/ 48، 3/ 653

اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً 1/ 80

اقرؤوا القرآن ولا تأكلوا به 3/ 437

اقرؤوا إن شئتم القرآن: كالذين من قبلكم كانوا أشد

514/3

اقرؤوا فكل حسن 3/ 437

اقرأ علي القرآن 1/ 51، 4/ 414

اقرأ فلان فإنها السكينة نزلت للقرآن 4/ 551

اقرأ قل أعوذ برب الفلق 8/ 611

اقرأ قل يا أيها الكافرون ثم نم على خاتمتها 8/ 584

اكتب باسمك اللهم 5/ 433

اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق 7/ 472

اكتبوا كتابه في سجين 8/ 375

اكلفوا لي بست أكفل لكم بالجنة 5/ 340

اكلفوا من العمل ما تطيقون 3/ 296

الاستئذان ثلاثة فإن أذن لك 5/ 335

الآن جاء القتال لا تزال طائفة 6/ 529

الآيتان من آخر سورة 1/ 81

الآيتان من آخر سورة البقرة 4/ 532

الأئمة من قريش أبرارها أمراء أبرارها 8/ 566

الأئمة من قريش إن لهم عليكم حقاً 8/ 564

الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجراً 6/ 333

الأنصار لا يجهم إلا مؤمن 3/ 419

الإبل عز لأهلها والغنم بركة 3/ 400

الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه 4/ 203، 6/ 72

الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله 7/ 399

الإشراك بالله 2/ 521

الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسله 6/ 98

البخيل من ذكرت عنده ثم لم يصل 6/ 210

البر حسن الخلق 1/ 226، 3/ 42

استعذوا بالله من العين 4/ 156، 8/ 162

استعذوا بالله من عذاب القبر 3/ 155، 4/ 275،

289/5

استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان 2/ 281،

113/4

استغفروا لأخيكم وسلوا له الثبوت 7/ 493

استفت قلبك وإن أفنك 3/ 7، 3/ 357

استقرئوا القرآن من أربعة 1/ 20

استقيموا ولن تحصوا 3/ 244، 5/ 245

استقيموا ونعما إن استقمتم 3/ 244

استوصوا بالنساء 2/ 181

استووا حتى أنثي على ربي 2/ 33، 7/ 385

اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي 1/ 456

اسق يا زبير ثم أرسل الماء إلى جارك 2/ 277

اسقه عسلاً 4/ 399

اسكت فقد أيدك الله تعالى بملك كريم 3/ 336

اسم الله الأعظم في سور من القرآن 1/ 637، 5/ 5

اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين 2/ 6

اسمعوا وأطيعوا 2/ 272

اشتكت النار إلى ربها 3/ 527، 8/ 538

اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً 8/ 480

اشفعوا تؤجروا 2/ 294

اصنعوا كل شيء إلا النكاح 1/ 569

اطلبوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان 8/

509

اطلعت في الجنة فرأيت 2/ 22

اعبد الله كأنك تراه 3/ 656، 4/ 356

اعبد الله كأنك تراه واعد نفسك 3/ 656، 5/ 425

اعبدوا الرحمن وأطعموا الطعام 5/ 386

اعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم 7/ 397

اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة 3/ 353

اغتنم خمساً قبل خمس 3/ 637، 4/ 407، 4/

562، 7/ 616

اغزوا باسم الله في سبيل الله 3/ 415

اغزوا في سبيل الله 1/ 518

- البر حسن الخلق والإثم ما حاك 2/ 160، 2/ 166
البر ما سكنت إليه النفس 1/ 226، 2/ 563
البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه 2/ 166
السوا من ثيابكم البياض 3/ 146
البطشة الكبرى يوم بدر 7/ 315
البيت المعمور في السماء 7/ 105
البيعان بالخيار ما لم يفترقا 2/ 224
البينة أو حد في ظهورك 5/ 314
التؤدة والاقتصاد 4/ 445
التقى آدم وموسى 5/ 22
التمس لي غلاماً 1/ 399
التمسوها - يعني ليلة القدر - في سبع عشرة 3/ 379
التيمن ضربة للوجه والكفين 2/ 258
الثلاث كبير إنك إن تركت 1/ 493
الثلاث كثير 1/ 492، 2/ 192
الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة 1/ 658، 3/ 179
الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة 8/ 55
الجن ثلاثة أصناف 6/ 395، 6/ 419
الجنة مئة درجة 7/ 312
الجنف في الوصية من الكبائر 1/ 494
الحج الحج يوم عرفة 1/ 534
الحجاج والعمار وفد الله 5/ 183
الحسب المال والكرم التقوى 7/ 398
الحلال بين والحرام بين 3/ 199، 200
الحمد لله الذي أخرجه بي من النار 2/ 30
الحمد لله الذي أطعم وسقى وسوغه 4/ 256
الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات 3/ 565
الحمد لله الذي رد كيده 8/ 623
الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات 4/ 202، 5/ 539، 7/ 637
الحمد لله رب العالمين أم القرآن 4/ 336
الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه 4/ 256، 4/ 284
الحنيفية السمحة 3/ 110
الحيات مسخ الجن 2/ 432، 2/ 489، 6/ 419
الخالة بمنزلة الأم 2/ 42، 6/ 136، 7/ 369
- الخمر أم الخبائث 2/ 528
الخمر أم الفواحش 2/ 528، 7/ 458
الخمر أم الفواحش وأكبر الكبائر 2/ 228
الخیل لثلاثة : لرجل أجر ولرجل ستر 3/ 400، 8/ 523
الخیل معقود في نواصيها الخير 3/ 400
الدعاء هو العبادة 1/ 63
الدقل والفارسي والحلو والحامض 4/ 194
الدنيا كلها متاع وخير متاع 1/ 568، 2/ 22، 2/ 2
234
الدنيا ملعونة 5/ 691، 6/ 610
الدين النصيحة 3/ 536
الدين دينان 1/ 237
الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح 3/ 659، 4/ 115
الرؤيا الصادقة من الله 4/ 113، 4/ 115
الرؤيا ثلاث فالبشرى من الله 4/ 115
الرؤيا ثلاث منها أهوئيل من الشيطان 4/ 115
الرؤيا على رجل طائر 4/ 114
الراجعة النفخة الأولى 8/ 329
الراحمون يرحمهم الرحمن 4/ 387، 7/ 320، 8/ 135
الربا اثنان وسبعون باباً 6/ 213
الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها 1/ 666
الربا سبعون حوباً 1/ 666
الرحم شجنة من الرحمن 5/ 514
الريح من روح الله 1/ 466
الزاد والراحلة 2/ 85
السائحون هم الصائمون 8/ 114
الساعي على الأرملة 1/ 320
السحور بركة فلا تدعوه 1/ 510
السلام اسم من أسماء الله وضعه في الأرض 4/ 270
السمع والطاعة على المرء المسلم 2/ 272
الشام أرض المحشر والمنشر 7/ 666
الشرك بالله وقتل النفس 2/ 227

- العجوة من الجنة 1/ 259
 العرجاء البين ظلها والعوراء 6/ 446
 العز إزاره والكبرياء رداؤه 7/ 264
 العمدة قود والخطأ دية 2/ 300
 العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة 4/ 666
 العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر 4/ 113،
 156/ 4، 162/ 8، 163/ 8
 الغلام الذي قتله الخضر 4/ 612
 الفجر فجران 1/ 511
 الفطرة خمس: الختان 1/ 388
 القدرية مجوس هذه الأمة 7/ 525
 القرآن شافع مشفع 1/ 10، 6/ 522
 القضاة ثلاثة اثنان في النار 6/ 520
 القضاة ثلاثة قاضيان في النار 6/ 521
 القضاة ثلاثة واحد في الجنة 5/ 123
 القوم ألف كل جزور لمئة ونيفها 2/ 20
 القوم ما بين التسع مئة والألف 2/ 20
 الكبائر الإشراف بالله 5/ 446
 الكبر بطل الحق وغمط الناس 7/ 390
 الكبر من بطل الحق 7/ 5
 الكبرياء ردائي فمن نازعني ردائي 7/ 264
 الكبرياء ردائي والعز إزاري 6/ 321، 6/ 428
 الكرسي موضع القدمين 4/ 190، 5/ 280، 5/ 106
 540، 7/ 106
 الكريم ابن الكريم 4/ 112، 4/ 660، 5/ 681
 الكرامة من المن 1/ 259
 الكمأن من المن وماؤها شفاء للعين 1/ 260
 الكوثر نهر في الجنة حافته من ذهب 8/ 580
 الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام 6/ 147
 الله أكبر هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى 3/ 234
 الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين 4/ 472
 الله يعلم أن أحدكم لا كاذب 5/ 315
 الله يمنني منك 2/ 423
 اللهم اجعل أوسع رزقك عليّ 6/ 371
 اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف 3/ 225
 الشرك بالله واليأس من روح الله 3/ 211، 3/ 626،
 4/ 325، 4/ 533
 الشرك فيكم أخفى من ديب النمل 4/ 178
 الشعر بمنزلة الكلام 6/ 373
 الشعر منه حسن ومنه قبيح 6/ 373
 الشفاء في ثلاثة 4/ 399
 الشمس والقمر ثوران مكوران في النار 6/ 586، 8/ 352
 الشمس والقمر مكوران يوم القيامة 8/ 352
 الشهداء على بارق نهر بباب الجنة 2/ 141، 4/ 613، 7/ 670
 الشهر تسع وعشرون 1/ 581
 الصدقة على المسكين 1/ 106، 1/ 320، 1/ 485،
 1/ 440، 2/ 192، 6/ 52، 8/ 440
 454/ 8
 الصرعة كل الصرعة الذي 2/ 114
 الصعيد الطيب طهور المسلم 2/ 255
 الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم 2/ 242
 الصلاة خير موضوع 7/ 372
 الصلاة على وقتها 1/ 319، 3/ 90، 4/ 480، 4/ 532،
 5/ 244، 5/ 668، 6/ 81
 الصلاة في وقتها 1/ 613
 الصلاة لأول وقتها 5/ 244
 الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة 4/ 96
 الصور قرن ينفخ فيه 5/ 49
 الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة 8/ 234
 الضيافة ثلاثة أيام 4/ 61
 الطاعون بقية رجز 1/ 269
 الطاعون رجز أرسل 1/ 269
 الطاعون رجز أو عذاب 1/ 269
 الطهور شطر الإيمان 5/ 292، 6/ 174، 8/ 536
 الطواف بالبيت صلاة 5/ 181
 الطيرة شرك الطيرة شرك 5/ 553
 العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا 8/ 449
 العجماء جرحها جبار 5/ 122

اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك 7/ 523
 اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه 2/ 464
 اللهم باسمك أموت وأحيا 2/ 637
 اللهم بك أصول وأجول 1/ 629
 اللهم توفنا مسلمين 5/ 478
 اللهم حاسبني حساباً يسيراً 8/ 388
 اللهم رب السماوات السبع وما أظللن 8/ 104
 اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل 1/ 553
 اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة 1/ 540
 اللهم صل على آل أبي أوفى 3/ 549
 اللهم صل عليهم 15/ 1، 241
 اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب 1/ 16
 اللهم علمه الكتاب 1/ 15
 اللهم عليك بقريش 6/ 654
 اللهم فاشهد 1/ 214
 اللهم فائق الإصباح وجاعل الليل 3/ 14
 اللهم فقهه في الدين 1/ 15
 اللهم لا تجعل قبري وثناً 4/ 571
 اللهم لا تخزنني يوم القيامة 8/ 119
 اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة 6/ 374
 اللهم لك الحمد أنت كسوتيه 4/ 256
 اللهم لك أسلمت وبك آمنت 3/ 390، 3/ 494،
 3/ 595، 3/ 669، 8/ 235
 اللهم لك سجدت ولك أسلمت 7/ 686
 اللهم من آمن بك وشهد أنني رسولك 4/ 362
 اللهم منزل الكتاب 6/ 157
 اللهم منزل الكتاب سريع الحساب 3/ 386، 8/
 208
 اللهم هؤلاء أهل بيتي 6/ 170
 اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس 6/ 170
 اللهم يا رب بك أقاتل وبك أصاول 1/ 629
 اللهم يا مثبت القلوب 1/ 121
 المؤمن يغفر له 1/ 305
 المؤمن يغفر له مدى صوته 4/ 498
 المؤمن الذي يخالط الناس 7/ 121

اللهم ارحم المحلقين 7/ 370
 اللهم اغفر للمحلقين 1/ 527
 اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي 7/ 316
 اللهم العن فلاناً وفلاناً لأحياء من العرب 2/ 110
 اللهم آتنا في الدنيا حسنة 2/ 230
 اللهم أبرأ إليك مما صنع خالد 2/ 303
 اللهم أحييني مسكيناً 3/ 501
 اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف 4/ 172
 اللهم أمتي اللهم أمتي 4/ 285
 اللهم أنت الأول فليس قبلك 7/ 134
 اللهم أنت أحب البلاد إلى الله 7/ 309
 اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة 2/ 314
 اللهم أين ما وعدتني 3/ 333
 اللهم أين ما وعدتني اللهم أنجز لي 2/ 138
 اللهم إن أعوذ بك من شرها 1/ 467
 اللهم إنا نجعلك في نحورهم 7/ 56
 اللهم إنا نعوذ بك من شر ما أرسل به 4/ 207
 اللهم إنك إن تشأ لا تعبدني 3/ 386
 اللهم إنك إن تهلك هذه الفئة لا تعبدني 3/ 335
 اللهم إنما أنا بشر 5/ 141
 اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة 6/ 144
 اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد 7/ 599
 اللهم إني أسألك العفو والعافية 5/ 449
 اللهم إني أسألك الهدى 2/ 230
 اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك 6/ 91
 اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك 4/ 384
 اللهم إني أعوذ بك من البخل 4/ 401
 اللهم إني أعوذ بك من الجوع 3/ 354
 اللهم إني أعوذ بك من الشيطان 1/ 62
 اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل 3/ 371، 6/
 370، 6/ 632
 اللهم إني أعوذ بك من الهدم 5/ 287
 اللهم إني أعوذ بك من شرورهم 1/ 629
 اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع 6/ 632
 اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع 6/ 632

النذر نذران 5/ 183، 8/ 285
النساء عورة وإن المرأة لتخرج من بيتها 5/ 346، 6/ 167
النصر مع الصبر 1/ 262، 1/ 555، 3/ 628، 3/ 231، 3/ 388، 4/ 51، 4/ 84، 4/ 97، 4/ 184، 5/ 199، 5/ 415، 6/ 476، 7/ 241، 7/ 307، 8/ 100، 8/ 488
النكاح من ستي فمن لم يعمل 2/ 516، 5/ 351
النوم أخو الموت 6/ 661، 7/ 240
النوم أخو الموت ولا يموت 2/ 637
الوائدة والموودة في النار 8/ 356
الوالد أوسط أبواب الجنة 5/ 669
الوسيلة درجة عند الله 2/ 458
الولد ثمرة القلب 8/ 84
اليقين الإيمان كله 4/ 562
اليهود مغضوب عليهم 1/ 76
اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود 8/ 395
اليوم الموعود يوم القيامة وإن الشاهد يوم الجمعة 8/ 396
اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي 2/ 407
أَمْضِ حَتَّى تَنْزِلَ نَخْلَةَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ 1/ 559
أَمْكُنِي فِي بَيْتِكَ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ 1/ 618
أَتَدَّبَّ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ 2/ 315، 3/ 562، 5/ 214
أَتَسْبَ رَجُلَانِ عَلَى عَهْدِ مُوسَى 1/ 423، 2/ 351
أَنَشَقَ الْقَمَرُ بِمَكَّةَ حَتَّى صَارَ فَرَقَتَيْنِ 7/ 510
أَنَشَقَ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ 7/ 510
أَنَشَقَ الْقَمَرُ وَنَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بَمَنَى 3/ 624، 7/ 509
أَنْصِرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا 2/ 396، 7/ 387
أَنْطَلِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ 5/ 434، 5/ 394، 6/ 511
أَنْطَلِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ 7/ 211، 8/ 129، 8/ 289

المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر 2/ 396
المؤمن القوي خير وأحب إلى الله 6/ 542، 7/ 599
المؤمن إذا اشتهى 1/ 166، 6/ 366، 7/ 118، 7/ 420
المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة 4/ 670
المؤمن للمؤمن كالبنيان 3/ 516، 6/ 543، 7/ 388، 7/ 372
المؤمن مرآة المؤمن 6/ 543
المؤمن يألف 4/ 274، 4/ 445
المؤمنون تتكافأ دماؤهم 6/ 543
المؤمنون كرجل واحد 6/ 543
الماهر بالقرآن مع 1/ 52، 3/ 654
المتوفى عنها زوجها 1/ 606
المجاهد من جاهد نفسه 7/ 319
المختلعات والمبترجات هن المنافقات 1/ 589
المرء مع من أحب 1/ 356، 3/ 420
المرأة عورة فإذا خرجت 5/ 346، 6/ 167
المستبان ما قالوا فعلى البادئ 2/ 359
المستحاضة تترك الصلاة 1/ 584
المستشار مؤتمن 2/ 133
المسجد الحرام 1/ 407، 2/ 82، 5/ 180
المسلم أخو المسلم لا يخونه 2/ 484، 3/ 516، 5/ 244، 8/ 190
المسلمون تتكافأ دماؤهم 2/ 467، 2/ 450
المسلمون على شروطهم 4/ 418، 5/ 243
المقام المحمود الشفاعة 4/ 528
الملائكة تحدث في العنان 5/ 516
الملائكة يتعاقبون فيكم 4/ 387، 8/ 182
المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض 3/ 414
الميت تحضره الملائكة 7/ 583
النار عدو فاحذروها 6/ 641
النجوم أمانة للسماء 7/ 198
الندم توبة 3/ 252، 3/ 564، 5/ 600، 6/ 681، 7/ 159، 8/ 118
الندم توبة والتائب من الذنب 2/ 448

أتاني الملك فقال يا محمد أما يرضيك 210 / 6
 أتاني آت من عند ربي 238 / 1
 أتاني جبريل فقال يا محمد إن الله عز وجل لعن الخمر
 528 / 2
 أتاني جبريل فقال يا محمد قل 686 / 7
 أتاني جبريل فقال يا محمد من أدرك رمضان 481 / 4
 أتاني داعي الجن فذهبت معه 290 / 7
 أتاني عروة البارقي من عند عمر أن جراحات 469 / 2
 أتني أمي رابعة في عهد النبي ﷺ 14 / 8
 أتدرون أي يوم هذا 150 / 5
 أتدرون أين تذهب هذه الشمس 103 / 3، 191 / 4،
 532 / 7، 586 / 6، 349 / 6، 279 / 5
 أتدرون ما الغيبة 330 / 2، 213 / 6، 393 / 7
 أتدرون ما المفلس 647 / 6، 237 / 1
 أتدرون ما هذان الكتابان 117 / 1، 613 / 2، 4 /
 86، 494 / 5، 471 / 6، 621 / 6، 142 / 7
 أتدري أين تذهب هذه الشمس 124 / 7
 أتدري إلى أين أبعثك إلى أهل الله 241 / 8
 أتدين عليه حديقته 590 / 1
 أترون هذه المرأة طارحة ولدها 436 / 1، 116 / 3،
 680 / 6، 189 / 6
 أترون هذه هيئة على صاحبها 589 / 4، 633 / 5
 أتريد أن تكون فتاناً يا معاذ إذا أممت الناس 459 / 8،
 497
 أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين 680 / 1
 أتستطيع أن تريني كيف كان رسول الله يتوضأ 416 / 2
 أتشفع في حد من حدود الله عز وجل 462 / 2
 أتشهد أني رسول الله 218 / 7
 أتشهدين أن لا إله إلا الله 303 / 2
 أتعلم أول زمرة تدخل الجنة 220 / 4، 321 / 4، 6 /
 608 / 6، 13
 أتى النبي ﷺ عبد الله بن أبي بعدما دفن 529 / 3
 أتى جبريل النبي ﷺ فقال يا رسول الله هذه خديجة /
 323

أهج المشركين 328 / 1، 372 / 6
 أهج قريشاً 328 / 1
 أهجهم أو هاجهم وجبرئيل معك 519 / 5
 أهجوا قريشاً فإنه أشد عليهم 373 / 6
 أتى باب الجنة يوم القيامة 28 / 7
 آخر آية أنزلت أو آخر شيء أنزل يستفتونك 379 / 2
 آخر آية نزلت : يستفتونك قل الله 423 / 3
 آخر سورة نزلت براءة 379 / 2
 آخر ما نزل على رسول الله ﷺ آية الربا 665 / 1
 أخى رسول الله ﷺ بين أصحابه 420 / 3، 139 / 6
 أكل الربا وموكله وكتبه 665 / 1
 أكل الربا وموكله وشاهداه 595 / 1
 ألفقر تخافون 74 / 3، 68 / 5، 615 / 7، 222 / 8،
 آله ما أجلسكم إلا ذاك 693 / 5
 أملك بلا إله إلا الله فإن السماوات 591 / 7
 أملككم بأربع وأنهاكم عن أربع 378 / 3
 أملككم بثلاث وأنهاكم عن ثلاث 149 / 1، 3 /
 387، 148 / 7
 أملككم بخمس بالجماعة والسمع 388 / 3
 أيون تائبون عابدون 482 / 4
 آية المنافق ثلاث 125 / 1، 486 / 1، 221 / 4، 5 /
 524 / 3، 244
 أبا يحيى ربح البيع 546 / 1، 378 / 4
 أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئاً 20 / 8
 أبشر بخير يوم مر عليك 287 / 8
 أبشروا أبشروا أليس 52 / 1، 88 / 2، 111 / 4، 4 /
 298، 544 / 4، 482 / 6، 182 / 7
 أبشروا أبشروا إنه من صلى الصلوات 96 / 3
 أبشروا فإن هذا القرآن 91 / 2، 638 / 6
 أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ 480 / 8
 أبغض الناس إلى الله ثلاثة 477 / 2
 أبي أقرؤنا وإنا لنعد 358 / 1
 أتاني الليلة آتيان فابعثتاني 548 / 3
 أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة 5 /
 284، 560 / 6، 172 / 7

أخذ الله الميثاق من ظهر آدم 6/ 588
أخذ الله تبارك وتعالى الميثاق 3/ 18، 3/ 274، 4/
26، 4/ 251، 6/ 47، 6/ 631
أخلفت غازياً في سبيل الله في أهله 4/ 95
أخوف ما أخاف على أمتي 2/ 507
أد الأمانة إلى من ائتمنك 2/ 270
أدعو إلى الله وحده الذي إن مسك ضر 5/ 562
أدعو إلى الله وحده من إذا كان بك 3/ 303
أدعو إلى ربك الذي إن مسك ضر 2/ 662، 3/ 13،
3/ 638، 3/ 686، 4/ 390، 7/ 9، 8/ 248
أدعو إلى الله وحده من إذا كان بك ضر فدعوته 6/ 96
أدعو إلى ربك الذي إن مسك ضر 5/ 274، 299
أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة 7/ 43، 8/
171
أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة 7/ 43، 8/
171
أذنب عبد ذنباً فقال اللهم 6/ 680، 7/ 487
أرادوا أن ينفروا برسول الله ﷺ راحلته 3/ 522
أرأيت قول الله : حتى إذا استئشس الرسل 4/ 183
أرأيت قول الله تعالى إن الصفا والمروة 1/ 455
أرأيت يا عاصم لو أن 1/ 362
أرأيتك لو كان عليها دين كنت تقضيه 7/ 493
أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي 5/ 82، 5/
512، 8/ 595
أرأيتكم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل
8/ 594
أرأيتكم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم 6/ 273، 8/
595
أرأيتكم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل 4/ 96
أربع أفضل الكلام لا يضررك 4/ 591
أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك 6/ 227
أربع في أمتي من أمر الجاهلية 7/ 615
أربع لا تجوز في الأضاحي 5/ 187
أربع من السعادة 2/ 234، 3/ 194، 4/ 423
أربع من أمر الجاهلية 4/ 297

أتى النبي ﷺ برجل قتل نفسه 3/ 569
أتى النبي ﷺ بلحم صيد وهو محرم 2/ 533
أتى عمر بن الخطاب بامرأة جهدها العطش 5/ 308
أتيت النبي ﷺ فدعوت فقال من هذا 5/ 336
أتيت بالبراق وهو دابة أبيض 4/ 456
أتيت على نهر حافته قباب اللؤلؤ المجوفة 8/ 580
أتيت ليلة أسري بي 1/ 229، 1/ 325، 4/ 460،
7/ 477
أتينا عبد الله فسألناه أن يقرأ علينا طسم 5/ 587
أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء 2/ 355،
8/ 573
أثقل شيء في الميزان الخلق الحسن 5/ 285
أجب عني اللهم أيده بروح القدس 5/ 520
أجعلني لله عدلاً 1/ 153
أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة 3/ 594
أحب الصلاة إلى الله صلاة داود 6/ 508، 7/ 434
أحب حبيك هوناً ما 8/ 14
أحتج آدم وموسى 6/ 562
أحسنست أتركها حتى تماثل 2/ 221
أحسنهم خلقاً 8/ 518
أحسنوا إلى أصحابي 5/ 349
أحلت لنا ميتتان و دمان 1/ 480، 2/ 398، 2/
538، 3/ 226
أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس 7/ 172، 8/
233
أحياهم الله حتى أسمعهم قوله 3/ 162، 6/ 62
أخاف على أمتي ثلاثاً 3/ 16
أخبرني بهن جبريل 1/ 342
أخبرني عبد الله بن عمر أنه ينام وهو شاب 1/ 397
أخبرني عن صفة رسول الله 1/ 381، 3/ 36، 5/
505، 6/ 191، 6/ 619
أخبرني عن قول الله : والذين يكتزون الذهب 3/
469
أخبروني بشجرة تشبه أو كالرجل المسلم 4/ 272
أخبروه أن الله تعالى يحبه 8/ 602

- أعطها إياه بنخلة في الجنة 7/ 600
 أعطيت الكوثر فإذا هو نهر يجري 8/ 579
 أعطيت خمساً لم يعطهن 1/ 631، 2/ 30، 2/ 262
 أعطيت خواتيم سورة البقرة 1/ 683
 أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين 5/ 156، 6/ 313
 أعوذ بالله منك 6/ 531
 أعوذ بوجهك 2/ 644
 أعيذوا عبدي إلى الأرض 8/ 274
 أفتان يا معاذ ألا قرأت 8/ 458
 أفتان يا معاذ أين كنت 8/ 363، 8/ 416، 8/ 478
 أفتحه لأمك 4/ 490
 أفضل الإيمان الصبر والسماحة 7/ 120، 8/ 455
 أفضل الجهاد كلمة عدل 7/ 57، 120
 أفضل الحج العج والثج 8/ 313
 أفضل الذكر لا إله إلا الله 1/ 70، 6/ 79
 أفضل الصدقات ظل فسطاط 2/ 78
 أفضل الصدقة الصدقة على 1/ 105
 أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح 1/ 485
 أفضل الصدقة جهد 1/ 106
 أفضل الصدقة ما ترك غنى 2/ 78
 أفضل الصيام بعد رمضان 5/ 438
 أفضل المؤمنين إسلاماً 7/ 120
 أفضل الناس رجل يجاهد 7/ 120
 أفضل دينار ينفقه 1/ 105
 أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد 8/ 122
 أفكتمتم تهمونه بالكذب 4/ 428
 أفلا أخبرتهم أنهم كان يسمون 2/ 59
 أفلا أعلمكم شيئاً إذا فعلتموه سبتم 7/ 424
 أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم 7/ 617، 48/ 8
 أفلح من هدي إلى الإسلام 2/ 171، 6/ 652
 أقبل النبي ﷺ من نحو بئر جمل 2/ 256
 أربع من كن فيه كان منافقاً 1/ 125، 3/ 524، 4/ 221، 8/ 29
 أربعة تجري عليهم أجورهم بعد الموت 4/ 591
 أربعة يحتجون يوم القيامة 4/ 471
 أربعة يوم القيامة يدلون 5/ 72
 أرضعيه تحرمي عليه ويذهب 6/ 134
 أرواح الشهداء في حواصل 1/ 164
 أرواحهم في جوف طير خضر 7/ 585
 أريت ليلة أسري بي موسى بن عمران 6/ 120
 أسأل الله معافاته 1/ 53
 أسبغوا الوضوء ويل للأعقاب من النار 2/ 417
 أسلمت على ما أسلفت من خير 6/ 650، 7/ 8
 أسلمت و عندي امرأتان أختان 2/ 217
 أسماء رجال صالحين من قوم نوح 3/ 622
 أشد الناس بلاء الأنبياء 1/ 554، 2/ 152، 3/ 209، 5/ 664
 أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون 3/ 209
 أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة أشدهم 8/ 400
 أشد الناس عذاباً يوم القيامة 1/ 276، 2/ 31
 أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى 2/ 569
 أشيروا أيها الناس علي أترون 7/ 344، 7/ 346
 أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر 3/ 626، 5/ 426، 7/ 581، 7/ 582
 أصبحنا على ملة الإسلام 3/ 110
 أصدق كلمة قالها الشاعر 6/ 372
 أضل الله تبارك وتعالى عن الجمعة 1/ 552
 أضل الله عن الجمعة من كان 4/ 442، 8/ 52
 أطفال المسلمين في جبل في الجنة 4/ 473
 أطفال المشركين هم خدم أهل الجنة 8/ 290
 أطيب الكسب عمل الرجل بيده 6/ 346
 أطيعوا الله وأطيعوا الرسول 2/ 271
 أعتق النسمة وفك الرقبة 3/ 504
 أعذر الله إلى امرئ أخر أجله 3/ 651، 5/ 156
 أعذر الله عز وجل إلى امرئ أخر عمره 6/ 313
 أعط ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن 2/ 194

- أقبل وأدبر واتق 574 / 1
أقرؤنا أبي وأقضانا علي 358 / 1
أقراني جبريل على حرف 53 / 1، 516 / 7
أقراني رسول الله ﷺ فهل من مدكر 515 / 7
أقراني رسول الله ﷺ : إني أنا الرزاق 447 / 7
أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف 27 / 2، 7 /
735
أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد 4 / 287، 4 /
342، 503 / 8
أقم حتى تأتينا الصدقة 3 / 504
أقيمت الصلاة والإناء في يد عمر 1 / 512
أقيموا الصفوف فإنما تصفون 6 / 389، 6 / 473
أقيموا حدود الله في القريب والبعيد 5 / 390
أكبر الكبائر الإشراك بالله 2 / 228، 3 / 211، 4 /
326
أكثر خطايا ابن آدم في لسانه 4 / 505، 7 / 390
أكثر من يموت من أمتي بعد قضاء الله 8 / 163
أكثروا الصلاة علي فإن الله وكل بي ملكاً 6 / 208
أكثروا ذكر هادم اللذات 6 / 314، 8 / 544
أكثروا من شهادة أن لا إله إلا الله 6 / 460
أكرمهم عند الله أتقاهم 4 / 112، 7 / 397
أكرموا أصحابي فإنهم خياركم 2 / 674، 3 / 106
أكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة 5 /
336
أكل ولدك نحلته مثله 2 / 421
أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً 2 / 208
ألا احتطت يا أبا بكر فإن البضع 6 / 30
ألا تشهدوا أن دمها هدر 3 / 440
ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله 5 / 431، 5 / 560
ألا أخبركم بأسرع كرة منهم 6 / 511
ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام 2 / 332
ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف 8 / 149
ألا أخبركم بأهل النار 2 / 243، 4 / 495، 5 /
160، 6 / 85، 7 / 276
ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ 7 / 621
ألا أخبركم بخير الشهداء 1 / 675
ألا أخبركم بشيء إذا نزل برجل منكم كرب 6 / 458
ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي 4 / 148،
8 / 574
ألا أخبركم بما يمحو الله 2 / 169
ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار 4 / 444
ألا أدلك على باب من أبواب الجنة 4 / 585
ألا أدلك على كلمة من تحت العرش 4 / 584
ألا أدلكم على ما يمحو الله 1 / 449، 6 / 334
ألا أرى هذا يعلم ما ها هنا لا يدخلن 5 / 348
ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن 4 / 336
ألا أعلمك كلمة هي من كنوز الجنة 4 / 584
ألا أنبئكم بأكبر الكبائر 5 / 185، 5 / 446، 7 /
277
ألا أنبئكم بخير أعمالكم 5 / 692، 6 / 186
ألا إن الخمر قد حرمت 2 / 526
ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله 3 / 474
ألا إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم 5 / 233
ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا 2 / 518
ألا إن آل أبي 1 / 241
ألا إن دية الخطأ العمد بالسوط 2 / 301
ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم 1 / 474، 2 /
435
ألا إن كلكم مناج ربه 3 / 179
ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افرقوا 6 / 49
ألا إنما أنا بشر 1 / 514، 2 / 327
ألا إني أوتيت الكتاب 1 / 417
ألا تأمنوني وأنا أمين 4 / 388، 5 / 217، 8 / 135،
8 / 418
ألا تخرجون مع راعينا في إبله فتصيبوا 2 / 452
ألا تسألوني مم ضحكتم 4 / 20، 4 / 122، 4 /
254، 5 / 258، 5 / 596، 7 / 110، 7 /
169، 8 / 82
ألا تصفون كما تصف الملائكة 6 / 389، 6 / 473
ألا تصليان 4 / 601

أما بعد أشيروا علي في أناس أبنوا أهلي 2/ 133
أما بعد أيها الناس فلو كنت متخذاً من أهل الأرض
340/2

أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة 2/ 97
أما ترضى أن تعيش حميداً و تقتل شهيداً 2/ 157
أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم 8/
70

أما عثمان فقد جاءه والله اليقين 4/ 343
أما علمت يا عمر أن الإسلام يهدم ماكان قبله 3/
372

أما كان هؤلاء يسألون العافية 7/ 78
أما من أحسن منكم في الإسلام 7/ 8
أما هو - يعني عثمان بن مظعون - فقد جاءه اليقين 8/
259

أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت 3/ 434
أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى 4/
110

أمتي هذه أمة مرحومة 2/ 438
أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت 5/ 183
أمر رسول الله ﷺ بقتل الكلاب 2/ 409
أمرت أن أقاتل الناس 1/ 520، 3/ 549، 8/ 432
أمرنا أن نخرج العواتق والحيض 6/ 443
أمرنا رسول الله ﷺ أن نحثو في وجوه المداحين 2/
264

أمرنا رسول الله ﷺ أن نشترك في الإبل والبقر 1/
527

أمرني العباس أن أبيت بآل رسول الله 2/ 162
أمرني خليلي ﷺ بسبع 2/ 481
أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ عليه 2/ 175
أمرني عبد الرحمن بن أبزى قال سل ابن عباس عن
هاتين 5/ 442

أمرني عمر بن الخطاب في فتية من قريش 5/ 308
أملك ثم أملك ثم أملك 1/ 556
أملك وأباك وأختك وأخاك 1/ 556

ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم
8/ 598

ألا رجل يحملني إلى قومه 2/ 52، 5/ 420
ألا كلكم مناج ربه 3/ 315، 5/ 695
ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله 8/ 432
ألا لا يمنعن رجلاً هيبة الناس 1/ 253، 2/ 491،
2/ 509، 3/ 351، 4/ 99، 6/ 184

ألا هل بلغت 7/ 65، 8/ 135
ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث 7/ 144، 7/ 471
ألا وإن في الجسد مضغة 1/ 121
ألا واستوصوا بالنساء خيراً 2/ 208
ألا والذي نفسي بيده ليختصمن كل شيء 5/ 212،
8/ 323، 8/ 354

ألا وإن في الجسد مضغة 3/ 285، 5/ 205
ألا وإني تارك فيكم ثقلين 2/ 91
ألحقوا الفرائض بأهلها 2/ 381
ألسنا من فقراء المهاجرين 2/ 437
ألظوا بذئ الجلال والإكرام 7/ 538، 7/ 554
ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط 8/ 610
ألم تروا إلى الإنسان إذا مات 6/ 662
ألم تري أن قومك بنوا الكعبة 1/ 403
ألم تسمع ما قال أبو الحباب 1/ 366
أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا 3/ 51، 4/
524، 4/ 540، 5/ 417

أليس يحلون لكم ما حرم الله فتحلونه 3/ 44، 3/
463، 4/ 438

أليس يحلون لكم ما حرم الله 2/ 70
أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه 1/ 608
أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك 3/ 535
أما أهل النار الذين هم أهلها 1/ 213، 5/ 36، 6/
312، 7/ 481، 7/ 683، 8/ 318، 8/ 421

أما إن ربك يحب الحمد 1/ 70
أما إن كل بناء وبال على صاحبه 3/ 195
أما إنه سيكون 8/ 546
أما إنه ليس من أهل هذه الأديان 2/ 100

أن النبي ﷺ كان يقرأ في الفجر بـ ((ق والقرآن
المجيد)) 404 / 7

أن النبي ﷺ كان يقول عند الكرب 563 / 5

أن النبي ﷺ لا عن بين رجل وامرأته 315 / 5

أن النبي ﷺ لما أراد قتل عقبة 303 / 7

أن النبي ﷺ لما رأى الصور في البيت 663 / 2

أن النبي ﷺ يوم فتح مكة اغتسل 511 / 6

أن الوليد بن المغيرة جاء رسول الله ﷺ فقرأ عليه
القرآن 251 / 8

أن اليهود كانوا يقولون 645 / 7

أن امرأة ثابت بن قيس اختلعت من زوجها 593 / 1

أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ 216 / 6

أن امرأة كانت تستعير الحلبي للناس ثم تمسكه 2 /
462

أن أبا بكر رضي الله عنه أقبل على فرس 118 / 2

أن أبا قحافة - عثمان بن عامر - قال لابنه أبي بكر 8 /
476

أن أسماء بنت أبي بكر كانت تخرج 522 / 2

أن أم حبيبة كانت تستحاض 584 / 1

أن أناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا 5 / 441، 6 /
676

أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم 3 / 624،
7 / 315، 7 / 509

أن بني سلمة شكوا 6 / 331

أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه 2 / 634، 4 / 416

أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه 3 / 293

أن تجعل لله نداً 1 / 149، 1 / 469

أن تجعل لله نداً وهو خلقك 2 / 227، 2 / 263، 3 /
92، 4 / 178، 4 / 489، 5 / 441

أن تخشى الله كأنك تراه فإنك 5 / 540

أن تسلم قلبك لله 4 / 148

أن تصدق وأنت صحيح صحيح 7 / 600، 8 / 286

أن تطعمها إذا طعمت 1 / 585، 2 / 236، 5 / 440

أن تعبد الله كأنك تراه 2 / 182، 7 / 594

أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً 6 / 83

أملى علي المغيرة بن شعبة في كتاب إلى معاوية 6 /
284

أمنكم أحد أمره أن يحمل عليها 2 / 540

أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يقول في الإيلاء 1 /
582

أن الذي زاد التأذين الثالث يوم الجمعة 8 / 53

أن الرجل يقتل بالمرأة 2 / 467

أن الله تعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد 8 /
410

أن الله عز وجل تابع الوحي على رسول الله ﷺ قبل
وفاته 5 / 57

أن المشركين قالوا للرسول الله ﷺ انسب لنا ربك 8 /
606

أن المشركين كانوا يطوفون بالبيت يقولون 3 / 363

أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ على الحجر 3 / 192

أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ على الحجر 4 /
333، 4 / 292

أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس 7 / 379

أن النبي ﷺ أمر من كل جاد عشرة أوسق 3 / 71

أن النبي ﷺ حبس رجلاً 2 / 554

أن النبي ﷺ خرج من المدينة إلى مكة 2 / 317

أن النبي ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة 5 / 188

أن النبي ﷺ سجد بالنجم 5 / 209، 7 / 468، 7 /
502

أن النبي ﷺ صلى بأصحابه في خوف 2 / 318

أن النبي ﷺ صلى على النجاشي حين نعي 2 / 167

أن النبي ﷺ قبل امرأة من نسائه 2 / 257

أن النبي ﷺ قبلها ولم يتوضأ 2 / 257

أن النبي ﷺ قرأ: وأنذرهم يوم الحسرة 5 / 79

أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: فلما تجلى ربه للجبل 3 /
240

أن النبي ﷺ كان في سفر فقرأ في العشاء 8 / 492

أن النبي ﷺ كان يقرأ القرآن 3 / 317

أن النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر بـ سيج اسم ربك
الأعلى 8 / 416

أن رسول الله ﷺ قرأ في صلاة المغرب 120 / 3
 أن رسول الله ﷺ قسم بينهم الغنائم 191 / 5
 أن رسول الله ﷺ قضى أن عقل 470 / 2
 أن رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل 378 / 3
 أن رسول الله ﷺ قطع سارقاً 460 / 2
 أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره 256 / 5
 أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يضحي 187 / 5
 أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه 448 / 1
 أن رسول الله ﷺ كان إذا ضحى اشترى كبشين سميين
 أقرنين 193 / 5
 أن رسول الله ﷺ كان يستأذن 198 / 6
 أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات 589 / 7
 أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة 41 / 8
 أن رسول الله ﷺ كانت له أمة 110 / 8
 أن رسول الله ﷺ لعن الواصلة 335 / 2
 أن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر استشار 441 / 2
 أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك 3 / 192
 أن رسول الله ﷺ نحر عن آل محمد 529 / 1
 أن رسول الله ﷺ نحر قبل أن يحلق 362 / 7
 أن رسول الله ﷺ نهى عن قتل الضفدع 538 / 2
 أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا ينحرون البدنة
 معقولة 193 / 5
 أن رسول الله ﷺ يوم حنين بعث جيشاً 217 / 2
 أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس 316 / 3
 أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا 133 / 6
 أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام 62 / 2
 أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج 95 / 6
 أن زينب كان اسمها برة 489 / 7
 أن سبيعة الأسلمية توفي عنها زوجها وهي حامل 8 / 97
 أن سبيعة الأسلمية نفست بعد 604 / 1
 أن سليمان بن داود عليه السلام لما بنى 83 / 2
 أن سودة استحيضت فأمرها النبي 584 / 1
 أن طائفة صفت معه 320 / 2

أن جارية لعبد الله بن أبي يقال لها 356 / 5
 أن جميلة بنت سلول أتت النبي 590 / 1
 أن جميلة كانت تحت أوس بن الصامت 640 / 7
 أن رجلاً من المنافقين على عهد الرسول 156 / 2
 أن رجلاً أصاب من امرأة قبله 94 / 4
 أن رجلاً أقام سلعة في السوق 67 / 2
 أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال السلام 295 / 2
 أن رجلاً قال للنبي ﷺ إن أبي مات وترك مالا 494 / 7
 أن رجلاً كانت له يتيمة 184 / 2
 أن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة 556 / 2
 أن رجلاً من اليهود قال له : يا أمير المؤمنين آية في
 كتابكم 407 / 2 ، 178 / 6
 أن رجلاً من أسلم أتى رسول الله ﷺ فحدثه أنه زنى
 307 / 5
 أن رجلاً من جهينة أخبره أنه سمع النبي ﷺ يقرأ في
 الصبح 520 / 8
 أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر 459 / 3
 أن رسول الله ﷺ أمر بالمساجد أن تبنى في الدور 5 / 361
 أن رسول الله ﷺ بعث سرية فأخذتهم 375 / 1
 أن رسول الله ﷺ بعثهما إلى اليمن 69 / 3
 أن رسول الله ﷺ بعثهما إلى اليمن يعلمان الناس 3 / 470
 أن رسول الله ﷺ توفي ودرعه مرهونة عند يهودي 1 / 678
 أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يصلي 417 / 2
 أن رسول الله ﷺ شاور 440 / 2
 أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس 431 / 1
 أن رسول الله ﷺ صلى بإحدى الطائفتين 321 / 2
 أن رسول الله ﷺ ضحى بكبشين 187 / 5
 أن رسول الله ﷺ فقد ناساً 225 / 1
 أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة 584 / 8
 أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في ركعتي الفجر 584 / 8
 أن رسول الله ﷺ قرأ في الركعتين قبل الفجر 584 / 8
 أن رسول الله ﷺ قرأ في العيدين 424 ، 416 / 8

- أن طيباً سأل النبي ﷺ عن ضفدع يجعلها 228 / 3
 أن عبد الله بن مسعود أتى في رجل 603 / 1
 أن علياً بعث إلى النبي ﷺ بذهبية في تربتها من اليمن
 503 / 3
 أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي 403 / 7
 أن عمر رضي الله عنه سألهم عن قوله تعالى إذا جاء
 نصر الله 591 / 8
 أن غلاماً ابتهر جارية 189 / 2
 أن غيلان بن سلمة كانت عنده عشر نسوة 185 / 2
 أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمر و 7
 580
 أن قوماً أسلموا ثم ارتدوا 76 / 2
 أن لقمان الحكيم كان يقول: إن الله إذا استودع 78 / 6
 أن مروان قال لبوابه اذهب يا رافع 157 / 2
 أن موسى عليه السلام لما ورد ماء مدين 604 / 5
 أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا 26 / 8
 أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائط رجل 120 / 5
 أن هذه الآية التي في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك
 257 / 3
 أن هذه الآية: وتخفي في نفسك ما الله مبديه 181 / 6
 أن يؤتيني الله الحكم مرتين 16 / 1
 أن يطاع فلا يعصى ويذكر 89 / 2
 أن يهودياً رض 301 / 1
 أنا أكثر الناس تبعاً 27 / 7
 أنا أول الناس سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية 4 /
 294
 أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة 602 / 7، 8
 119
 أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة 169 / 5
 أنا أولى الناس بآبى مريم 434 / 2، 650 / 4
 أنا أولى الناس بعيسى 110 / 1، 423 / 1، 2
 475، 675 / 2، 92 / 5، 131 / 5، 479 / 6
 199 / 7
 أنا بريء من كل مسلم يقيم 103 / 2، 478 / 2، 3
 417
 أنا خير الشركاء فمن عمل عملاً 631 / 4
 أنا دعوة إبراهيم 110 / 1، 36 / 3
 أنا سيد الناس يوم القيامة 242 / 3، 462 / 4
 أنا سيد ولد آدم ولا فخر 535 / 5، 141 / 6
 أنا سيد ولد آدم يوم القيامة 242 / 3، 425 / 7
 أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب 49 / 3
 أنا محمد وأحمد والمُقَفِّي والحاشر 33 / 8
 أنا وأمتي يوم القيامة على كوم 435 / 1
 أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا 440 / 8
 أناس كانوا يستخفون 13 / 4
 أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي 218 / 8
 أنت ومالك لأبيك 384 / 5
 أنت ومالك لوالدك 383 / 5
 أنتم الذين قلتم كذا وكذا 516 / 2
 أنتم اليوم على بينة 98 / 1
 أنتم توفون سبعين أمة 236 / 1، 96 / 2
 أنتم خير أهل الأرض 343 / 7، 508 / 7
 أنذركم النار أنذركم النار 474 / 8
 أنزل الله القرآن على رسول الله ﷺ فتلاه 110 / 4، 4 /
 106، 633 / 6
 أنزل الله على رسول ﷺ وفخذه على فخذي 233 / 8
 أنزل عبس وتولى في ابن أم مكتوم 339 / 8
 أنزلت في قوله: لا والله 579 / 1
 أنزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين 508 / 1
 أنشدك بالذي أنزل التوراة 258 / 3
 أنشدكم بالله وبآيame 341 / 1
 أنعت لك الكرسف فإنه يذهب الدم 313 / 8
 أنفق يا بلال ولا تخش 488 / 4، 419 / 7
 أنفقي هكذا وهكذا 488 / 4
 أنه اشتكى رجل منهم حتى أضني 541 / 6
 أنه أتاه رجل فقال إني خطبت امرأة فأبت 91 / 3
 أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه: فمن يعمل مثقال 524 / 8
 أنه أتى النبي ﷺ وهو في مشربة له 387 / 5
 أنه بعثه رسول الله ﷺ إلى رجل تزوج 211 / 2
 أنه توضأ فغسل وجهه 416 / 2

- أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله 478 / 2
أوصاني خليلي أن أسمع وأطيع 272 / 2
أوصاني خليلي ﷺ بصيام ثلاثة 510 / 6
أوصاني رسول الله ﷺ بتسع 89 / 3، 340 / 3
أوصي الخليفة بالمهاجرين 672 / 7
أوصيك بتقوى الله 49 / 1
أوصيك بتقوى الله تعالى 543 / 2، 628 / 7
أوصيك بتقوى الله تعالى فإنه رأس 678 / 1
أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة 106 / 3
أوغير ذلك يا عائشة 284 / 3
أوف بنذر فإنه لا وفاء لنذر في 111 / 3
أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر 322 / 4، 669 / 4
أول زمرة تلج الجنة صورتهم 612 / 3، 322 / 4، 172 / 5، 28 / 7
أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم 468 / 7
أول شيء يرفع من هذه الأمة الخشوع 4 / 546، 6 / 608، 7 / 175
أول ما اتخذ النساء المنطق 403 / 1
أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا 7 / 171
أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة 305 / 2
أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ 415 / 8
أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم 507 / 4
أولئك رجال يؤمنون بالغيب 438 / 1
أولم رسول الله ﷺ حين بنى بزينب 6 / 182، 6 / 201
أولم ولو بشاة 607 / 5
أولياء الله تعالى الذين 658 / 3، 365 / 3
أي الخلق أعجب إليكم إيماناً 7 / 596
أي بنية ألتس تحبين ما أحب 5 / 330
أي بيوت أهلنا أقرب 5 / 506
أي دعوة كان أكثر مما يدعو بها النبي 1 / 540
أي هذه أذات بعل 1 / 586، 1 / 596
أي: يؤتيه وهو صحيح شحيح 1 / 485
- أنه خرج على هوازن في شوال فلما كسرهم 478 / 3
أنه ذكر رجلاً من بني اسرائيل سأل 2 / 65
أنه ركب مع أبي هريرة إلى أرضه 7 / 278
أنه سمع جابر يُسأل هل بايع النبي 7 / 343
أنه سمع رجلاً من أهل الشام وهو يسأل 5 / 184، 5 / 389
أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا ركع 7 / 586
أنه كان لهما عبدان من أهل غير اليمن 4 / 427
أنه كان يأمر بأن لا يتصدق 1 / 659
أنه كان يقول دبر كل صلاة حين يسلم 7 / 82
أنه كان يكره أن يأكل ذبيحة ذبحت لغير 5 / 189
أنه كانت تحته امرأة قد خلا من سنّها 2 / 343
أنه لم يكن بين إسلامهم وبين أن نزلت 7 / 608
أنه نادى رسول الله ﷺ من وراء الحجرات 7 / 381
أنه نهى أن يقام الرجل من مجلسه 7 / 648
أنها اختلعت على عهد رسول الله 1 / 593
أنها أتت النبي ﷺ فقالت ما أرى كل شيء إلا للرجال 6 / 172
أنها أخبرته عن حبيبة بنت سهل الأنصارية 1 / 590
أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات 8 / 297
أنها كانت تحت سعد بن خولة 1 / 605
أنها كانت تحت عبيد الله بن جحش فمات 5 / 342
أهدى النبي ﷺ مرة غنماً 1 / 527
أهدى رسول الله ﷺ مرة إلى البيت غنماً 2 / 395
أهل الجنة جرد مرد 7 / 18
أهل الجنة جرد مرد كحل 4 / 34
أهل الجنة عشرون ومئة صف 2 / 97
أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل 2 / 264
أهون أهل النار عذاباً أبو طالب 4 / 477، 5 / 629، 8 / 538
أو أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة 3 / 542
أو في شك أنت يا ابن الخطاب 5 / 68
أو ليس قد ابتعته منك 1 / 676
أوثق عرى الإيمان الحب في الله 2 / 478

إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له 388 / 5
 إذا استعطرت المرأة فمرت 350 / 5، 169 / 6
 إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ 663 / 4
 إذا استيقظ أحدكم فليقل 637 / 2، 661 / 6
 إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة 538 / 8
 إذا اقترب الزمان لم تكذبوا المسلم تكذب 658 / 3
 إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فيسلم 388 / 5
 إذا أتاك الله مالاً 447 / 1، 246 / 2، 484 / 8
 إذا أتاكم من ترضون خلقه 418 / 3
 إذا أتيت مضجعك 267 / 1
 إذا أتيت الصلاة فعليكم السكينة 335 / 6، 52 / 8
 إذا أحب الله عبداً حماه في الدنيا 175 / 5، 23 / 6
 إذا أحب الله عبداً نادى جبرئيل 77 / 4، 690 / 4
 402 / 8، 23 / 6
 إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان 485 / 2
 إذا أراد الله بالأمير خيراً 355 / 2، 361 / 3، 4 /
 209، 244 / 4، 555 / 5
 إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله 291 / 6
 إذا أراد الله بعبد خيراً طهره قبل موته 290 / 6
 إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له العقوبة في الدنيا 3 /
 290
 إذا أراد الله بعبد خيراً غسله 290 / 6
 إذا أراد الله بعبد الخير 354 / 2، 361 / 3، 4 /
 209، 244 / 4، 527 / 5، 555 / 5، 6 /
 249، 212 / 7، 413 / 8
 إذا أراد الله بقوم عذاباً 394 / 4
 إذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء 367 / 4، 8 /
 403
 إذا أراد الله قبض روح عبد بأرض 100 / 6
 إذا أرسلت الكلاب المعلمة وذكرت اسم الله 2 /
 409
 إذا أصاب أحدكم مصيبة 454 / 1
 إذا أصبت بحده فكل 401 / 2
 إذا أصبح إبليس 352 / 1، 56 / 3، 143 / 3، 4 /
 598، 430 / 5، 114 / 7، 416 / 7

أيا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب 154 / 2
 أيام التشريق أيام أكل 542 / 1
 أحب أحدكم إذا رجع 51 / 1
 أعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة 603 / 8
 أيكم الذي سمعت صوته قد ارتفع 486 / 2
 أيكم مال وارثه 367 / 1، 241 / 8
 أيكم يحب أن هذا له بدرهم 223 / 4
 أيكم يحب أن يغدو 51 / 1
 أيما امرأة أصابت بخوراً 350 / 5
 أيما امرأة دعاها زوجها 587 / 1
 أيما امرأة سألت زوجها الطلاق 589 / 1
 أيما رجل أعتق امرأة مسلماً 452 / 8
 أيما رجل من أمي سبته سبة 142 / 5
 أيما ضيف نزل بقوم 360 / 2
 أيما عبد أصاب 333 / 1
 أيما عبد تزوج بغير إذن مواليه 220 / 2
 أيما مسلم أعتق رجلاً مسلماً 453 / 8
 أيما مسلم شهد له أربعة 434 / 1، 514 / 2
 أين السائل عن العمرة 525 / 1
 أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية 592 / 3
 أيها الناس اربعوا على أنفسكم 179 / 3
 أيها الناس أفشوا السلام 620 / 3، 601 / 6، 5 /
 506
 أيها الناس إن الله طيب 479 / 1، 496 / 3
 أيها الناس إنكم مسؤولون عني 499 / 2
 أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة 659 / 3
 أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر 529 / 2
 أيها الناس إياكم وشرك السرائر 148 / 4
 أيها الناس عليكم بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان
 374 / 2
 أيها الناس قد فرض 362 / 1
 أيها الناس لا تسألوا في هذه الآيات 519 / 7
 إذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عزيز 465 / 8
 إذ زنت فاجلدوها 221 / 2
 إذا اجتهد الحاكم فأصاب 137 / 6

إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب 5/ 123
 إذا خرجت روح العبد المؤمن 6/ 658
 إذا خلص المؤمنون من النار 3/ 611
 إذا خلص المؤمنون من النار 3/ 159، 5/ 176، 7/ 306
 إذا دخل الرجل بيته فذكر 4/ 426
 إذا دخل أحدكم المسجد فيسلم على النبي 6/ 211
 إذا دخل أهل الجنة الجنة 1/ 166، 1/ 317، 3/ 624، 5/ 36، 6/ 650
 إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله 2/ 569، 3/ 24، 3/ 238، 3/ 447، 3/ 631، 7/ 29، 8/ 377، 8/ 270
 إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل هل تشتهون 2/ 25، 3/ 519، 6/ 366
 إذا دخل أهل الجنة وأهل النار النار يجاء بالموت 4/ 556
 إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه 2/ 235
 إذا دعا أحدكم أخاه فليجب 6/ 203
 إذا ذهب أحدكم إلى الغائط 5/ 230
 إذا رآه أو شهد فإنه لا يقرب من أجل 2/ 482
 إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها 4/ 115
 إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله 3/ 177، 4/ 584
 إذا رأيت الله تعالى يعطي 1/ 135، 2/ 620، 3/ 289، 3/ 497، 3/ 625، 4/ 222، 4/ 581، 4/ 685، 5/ 205، 5/ 265، 5/ 528، 5/ 646، 6/ 267، 7/ 131، 8/ 195، 8/ 157
 إذا رأيتم الذين يجادلون فيه 2/ 13
 إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد 5/ 363
 إذا رقد أحدكم عن الصلاة 5/ 13
 إذا رميت بسهمك وذكرت اسم الله 2/ 409
 إذا زنت الأمة فتيين زناها 2/ 203
 إذا زنى العبد 1/ 97، 6/ 173، 8/ 21
 إذا زوqتم المساجد وحليتم 5/ 362

إذا أقبل الليل من ها هنا 1/ 513، 6/ 347
 إذا أقعد المؤمن في قبره 4/ 275
 إذا أمن الإمام فأمنوا 1/ 76
 إذا أنعم الله على عبد 3/ 194
 إذا أنفق الرجل على أهله 1/ 104، 1/ 623، 5/ 440
 إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها 1/ 663
 إذا أنفقت المرأة من بيت 1/ 105، 5/ 440
 إذا أوى أحدكم إلى فراشه 2/ 637، 6/ 661
 إذا أبقظ الرجل أهله من الليل فصليا 6/ 176، 8/ 57
 إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها 2/ 235
 إذا بلغ الرجل من أمي ستين سنة 5/ 156، 6/ 294، 6/ 313
 إذا بلغ الله العبد ستين سنة فقد أعذر 5/ 156
 إذا تبايعتم بالعينة 1/ 557، 1/ 625، 3/ 450، 3/ 482
 إذا تقاضى إليك رجلان 6/ 517
 إذا تكلم الله تعالى بالوحي 6/ 258
 إذا تمنى أحدكم فليكثر 2/ 163، 2/ 230
 إذا تواجه المسلمان بسيفهما 2/ 445، 3/ 109
 إذا توضأ العبد المسلم 2/ 418
 إذا جلس إليك الخصمان 6/ 517
 إذا جمع الله الأولين والآخرين 1/ 429، 1/ 471، 2/ 48، 4/ 631، 4/ 626، 6/ 256، 6/ 378
 إذا جمع الله العباد بصعيد واحد 4/ 412، 6/ 378، 7/ 156، 8/ 61
 إذا جمع الله الناس ليوم القيامة 5/ 635
 إذا حدثتكم حديثاً فلا تزيدن 4/ 382، 6/ 151
 إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة 2/ 253
 إذا حضر المؤمن أتت ملائكة الرحمة 2/ 142، 6/ 537، 8/ 658
 إذا حضر أحدكم الأمر يخشى فوته فليصل 5/ 231
 إذا حضرتم موتاكم فأغمضوا 6/ 658

إذا كان أجل أحدكم بأرض 6/ 100، 8/ 274
 إذا كان جنح الليل 1/ 69
 إذا كان دماً أحمر فدينار 1/ 571
 إذا كان رجل مؤمن يخفي إيمانه 2/ 308
 إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب 8/ 54
 إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد 8/ 374
 إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن 5/ 367، 7/ 271
 إذا كان يوم القيامة بعث إلى كل مؤمن 5/ 479
 إذا كان يوم القيامة دفع الله 3/ 160
 إذا كان يوم القيامة كنت إمام الناس 4/ 529
 إذا كان يوم القيامة ماج الناس 3/ 606، 5/ 52
 إذا كان يوم القيامة نادى مناد 6/ 292
 إذا كانت لك مئة درهم وحال عليها الحول 3/ 470
 إذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان 7/ 647
 إذا لقيتم المداحين فاحثوا 7/ 490
 إذا مات ابن آدم انقطع عمله 7/ 457
 إذا مات الإنسان انقطع 4/ 592، 5/ 449، 5/ 482، 7/ 495
 إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعين ليلة 6/ 590
 إذا مشيت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس 8/ 275
 إذا نسي أحدكم اسم الله على طعامه 4/ 573
 إذا نعس أحدكم فليرقد 2/ 253
 إذا نعس أحدكم وهو يصلي 2/ 253
 إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان 2/ 484
 إذا هم أحدكم بالأمر فليركع 2/ 405
 إذا وزنتم فأرجحوا 8/ 373
 إذا وهبت الوليدة التي توطأ 1/ 604
 إذا مضت أربعة أشهر يوقف 1/ 582
 إذن يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك 6/ 210
 إسباغ الوضوء في المكاره 5/ 365
 إلا أن تروا كفراً بواحاً 2/ 272، 2/ 420
 إما لا فاصبروا حتى تلقوني 7/ 672
 إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما 4/ 481
 إن ابن عمر - والله يغفر له - 1/ 574
 إن ابني هذا سيد 2/ 670، 7/ 387

إذا سألتكم الله تعالى فاسألوه الفردوس 2/ 230، 5/ 245
 إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقراً 2/ 574، 3/ 67
 إذا سلم عليكم اليهود 2/ 295
 إذا سمع أحدكم النداء والإناء في يده 1/ 512
 إذا سمعتم الإقامة 5/ 437، 8/ 52
 إذا سمعتم المؤذن فقولوا 2/ 457، 6/ 211
 إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه 1/ 621
 إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا 6/ 87
 إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس 5/ 350، 5/ 168، 6/ 365
 إذا صار أهل الجنة إلى الجنة 7/ 211
 إذا صدقكم ضربتموهما وإذا كذباكم 3/ 382
 إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد 6/ 208
 إذا صنع لأحدكم خادمه طعامه 2/ 243
 إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة 6/ 228
 إذا طهرت فليطلق أو ليمسك 8/ 91
 إذا ظهر الزنا والربا في قرية 3/ 127، 4/ 434، 4/ 509، 5/ 64، 5/ 631، 6/ 56
 إذا ظهر السوء في الأرض 3/ 127، 4/ 434، 4/ 509، 5/ 64، 5/ 472، 5/ 631
 إذا ظهرت المعاصي في أمتي 2/ 568، 3/ 126، 3/ 351
 إذا عاد الرجل أخاه المسلم 6/ 189، 7/ 44
 إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله 7/ 300
 إذا عملت الخطيئة في الأرض 1/ 245، 2/ 149، 4/ 434
 إذا قام صاحب القرآن 1/ 49
 إذا فُبر الميت أتاه ملكان 5/ 288، 5/ 637
 إذا قرأ ابن آدم السجدة 1/ 199، 3/ 75، 3/ 317، 4/ 425، 5/ 168، 6/ 113، 6/ 564
 إذا قرأتم ((الحمد لله)) 1/ 66، 4/ 335
 إذا قضى الله الأمر في السماء 4/ 310، 5/ 518
 إذا قضى الله تعالى الأمر 1/ 350، 6/ 258، 6/ 393، 8/ 217

إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي 294 / 4
 إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس 393 / 7
 إن الإسلام يجب ما كان قبله 372 / 3
 إن البركة تنزل وسط القصعة 385 / 5
 إن الجماء لتقتص من القرآن 616 / 2
 إن الحلال بين وإن الحرام بين 41 / 3
 إن الحمد لله نحمده ونستعينه 540 / 4
 إن الدعاء هو العبادة 627 / 2، 77 / 7
 إن الدنيا حلوة خضرة 22 / 2، 606 / 2، 114 / 3
 618 / 3، 558 / 4، 589 / 4، 285 / 6
 إن الدين يسر 507 / 2، 516 / 8
 إن الذي لا يؤد زكاة ماله 147 / 2
 إن الذي يأكل أو يشرب في آنية الذهب 482 / 1
 إن الربا وإن كثر فإن عاقبته 667 / 1
 إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة 237 / 4
 إن الرجل لترفع درجته 40 / 1، 330 / 3، 133 / 5
 614 / 6
 إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى 380 / 7
 إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان 639 / 2، 5 / 133
 إن الرجل ليصلي ستين سنة 102 / 1، 573 / 8
 إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار 76 / 8
 إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة 421 / 1، 77 / 8
 إن الرجل ليكون له عند الله منزلة 210 / 3، 330 / 3
 إن الرجل من بني إسرائيل 509 / 2
 إن الرجل يؤجر في نفقته كلها إلا في هذا التراب 3 / 195
 إن الرحم معلقة بالعرش 321 / 7
 إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه 18 / 6
 إن الرسالة والنبوة قد انقطعت 659 / 3، 185 / 6
 إن الرضاة تحرم ما تحرم 214 / 2
 إن الرقي والتمايم والتولة شرك 178 / 4
 إن الروح إذا قبض تبعه البصر 614 / 3، 662 / 6
 إن السعيد لمن جنب الفتن 447 / 2
 إن السلام اسم من أسماء الله 295 / 2، 388 / 5
 684 / 7
 إن السلف يجري مجرى شطر الصدقة 611 / 7
 إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد 94 / 6
 إن الشيطان إذا سمع النداء 485 / 2، 623 / 8
 إن الشيطان إذا نودي بالصلاة 485 / 2
 إن الشيطان عرض لي 624 / 8
 إن الشيطان قال وعزتك يا رب 204 / 2، 135 / 3
 363 / 3، 319 / 4، 424 / 4، 513 / 4
 626 / 8، 684
 إن الشيطان قد أيس أن يعبد 405 / 2، 75 / 3
 135 / 3، 136 / 3، 319 / 4، 425 / 4، 6 / 6
 626 / 8، 566
 إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه 145 / 2، 75 / 3
 135 / 3، 450 / 3، 424 / 4، 516 / 4، 6 / 6
 625 / 8، 566
 إن الشيطان ليستحل الطعام الذي لم يذكر 625 / 8
 إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلق السماء 8 / 625
 إن الشيطان يحضر أحدكم 566 / 6، 626 / 8
 إن الشيطان يستحل 69 / 1
 إن الصدق يهدي إلى البر 580 / 3، 173 / 6
 إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد 501 / 3
 إن الصعيد الطيب وضوء المسلم 258 / 2
 إن الصفا والمرة من شعائر الله أبدأ بما 456 / 1
 إن الصلاة فرضت في الحضر أربعاً 316 / 2
 إن العالم يستغفر له كل شيء 459 / 1
 إن العبد المؤمن إذا خرجت روحه 28 / 5
 إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع 640 / 2، 7 / 117
 إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه 376 / 8
 إن العبد إذا دعا بوضوء فغسل وجهه 419 / 2
 إن العبد ليعمل - فيما يرى الناس - بعمل أهل 145 / 3
 إن العلماء ورثة الأنبياء 639 / 4
 إن العين لتولع الرجل بإذن الله 162 / 8

إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي 294 / 4
 إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس 393 / 7
 إن الإسلام يجب ما كان قبله 372 / 3
 إن البركة تنزل وسط القصعة 385 / 5
 إن الجماء لتقتص من القرآن 616 / 2
 إن الحلال بين وإن الحرام بين 41 / 3
 إن الحمد لله نحمده ونستعينه 540 / 4
 إن الدعاء هو العبادة 627 / 2، 77 / 7
 إن الدنيا حلوة خضرة 22 / 2، 606 / 2، 114 / 3
 618 / 3، 558 / 4، 589 / 4، 285 / 6
 إن الدين يسر 507 / 2، 516 / 8
 إن الذي لا يؤد زكاة ماله 147 / 2
 إن الذي يأكل أو يشرب في آنية الذهب 482 / 1
 إن الربا وإن كثر فإن عاقبته 667 / 1
 إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة 237 / 4
 إن الرجل لترفع درجته 40 / 1، 330 / 3، 133 / 5
 614 / 6
 إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى 380 / 7
 إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان 639 / 2، 5 / 133
 إن الرجل ليصلي ستين سنة 102 / 1، 573 / 8
 إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار 76 / 8
 إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة 421 / 1، 77 / 8
 إن الرجل ليكون له عند الله منزلة 210 / 3، 330 / 3
 إن الرجل من بني إسرائيل 509 / 2
 إن الرجل يؤجر في نفقته كلها إلا في هذا التراب 3 / 195
 إن الرحم معلقة بالعرش 321 / 7
 إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه 18 / 6
 إن الرسالة والنبوة قد انقطعت 659 / 3، 185 / 6
 إن الرضاة تحرم ما تحرم 214 / 2
 إن الرقي والتمايم والتولة شرك 178 / 4
 إن الروح إذا قبض تبعه البصر 614 / 3، 662 / 6
 إن السعيد لمن جنب الفتن 447 / 2

إن الله تعالى إذا أراد رحمة أمة 4/ 366
 إن الله تعالى إذا أنعم على عبد 6/ 268
 إن الله تعالى تصدق عليكم 1/ 107
 إن الله تعالى حيي ستي 1/ 168، 6/ 156، 7/ 382
 إن الله تعالى حيي كريم 1/ 168
 إن الله تعالى خلق الجنة وخلق النار 6/ 404
 إن الله تعالى خلق آدم 1/ 186، 2/ 181، 2/ 580،
 4/ 564، 57/ 4
 إن الله تعالى خلق خلقه في ظلمة 2/ 579، 3/ 27،
 3/ 46، 3/ 275، 3/ 347، 4/ 29، 4/ 4
 250، 5/ 573، 6/ 189، 6/ 631، 7/ 499، 7/ 310
 إن الله تعالى فرغ إلى كل عبد من خلقه من خمس 4/ 201
 إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً 2/ 430، 2/ 430،
 3/ 629، 3/ 356، 4/ 447، 4/ 680، 5/ 22، 6/ 197
 إن الله تعالى كتب كتاباً 1/ 81
 إن الله تعالى لا يجمع أمتي 2/ 91، 3/ 387، 7/ 147، 7/ 164
 إن الله تعالى لا ينال 1/ 634، 3/ 23
 إن الله تعالى لا ينظر إلى أجسامكم 4/ 631
 إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم 6/ 266
 إن الله تعالى لم يجعل لمسخ 1/ 290
 إن الله تعالى ليستحي أن يبسط 1/ 505
 إن الله تعالى ليملي للظالم 2/ 355، 3/ 361، 3/ 4
 626، 4/ 208، 4/ 244، 4/ 366، 4/ 4
 558، 5/ 555، 7/ 212، 8/ 413
 إن الله تعالى مع القاضي 2/ 270
 إن الله تعالى هو الخالق 1/ 623، 2/ 35، 4/ 4
 277، 7/ 686
 إن الله تعالى وكل بالرحم ملكاً 5/ 249، 7/ 489
 إن الله تعالى يبسط يده 1/ 211، 2/ 276، 3/ 4
 580، 4/ 282، 4/ 439، 4/ 467، 5/ 531، 5/ 444

إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة 8/ 410
 إن الغنيمة لا تحل لأحد سود الرؤوس غيركم 3/ 409
 إن الفتنة تجيء من ها هنا 5/ 21
 إن القرآن لم ينزل ليكذب 2/ 15
 إن الكافر إذا عمل حسنة 4/ 24، 4/ 168
 إن الكافر ليرى جهنم فيظن أنها موافقته 4/ 600
 إن الكافر يزيده الله بكاء أهله عذاباً 7/ 498
 إن الله اتخذني خليلاً 2/ 340
 إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل 3/ 593
 إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل 3/ 48، 4/ 663
 إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس 1/ 149
 إن الله أمرني أن أقرأ 1/ 20
 إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن 8/ 511
 إن الله أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا 8/ 511
 إن الله أوحى إلي أن تواضعوا 5/ 651، 7/ 615
 إن الله إذا أحب عبداً 4/ 689
 إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب 5/ 307
 إن الله بعثني إلى كل أحمر وأسود 5/ 141
 إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدق 8/ 476
 إن الله تبارك وتعالى لا يغفر أن يشرك به 1/ 239
 إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة 4/ 25، 6/ 260، 7/ 580
 إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة 3/ 519، 5/ 313، 7/ 66
 إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت 4/ 184، 7/ 412
 إن الله تجاوز لأمتي عما توسوس 6/ 137
 إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ 6/ 137
 إن الله تعالى اصطفى كنانة من ولد إسماعيل 8/ 567
 إن الله تعالى أخذ ذرية آدم من ظهورهم 4/ 87، 5/ 594، 6/ 163

إن الله عز وجل لما خلق الخلق قامت الرحم 240 / 2
 إن الله عز وجل يقبل توبة 211 / 1
 إن الله عز وجل يملئ للظالم 135 / 1
 إن الله عز وجل خلق آدم ثم أخذ الخلق 4 / 87، 7
 143، 7 / 488، 8 / 76
 إن الله عز وجل قبض قبضة 7 / 143، 488 / 7
 إن الله عز وجل قد أوجب بها الجنة 4 / 392
 إن الله عز وجل كتب الحسنات والسيئات 3 / 107
 إن الله عز وجل كريم يحب الكرم 4 / 485
 إن الله عز وجل لا يقبل من العمل 3 / 531، 6 / 610
 إن الله عز وجل لا ينالم 5 / 530، 5 / 436
 656، 7 / 474، 7 / 538، 7 / 593
 إن الله عز وجل ييسط يده بالليل 5 / 436، 5 / 642
 إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي 5 / 106
 إن الله عز وجل يقبل الصدقات 3 / 550
 إن الله عز وجل يقبل توبة العبد 4 / 439
 إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة 5 / 137
 إن الله عز وجل يقول: يا ابن آدم اكفني أول النهار 6 / 511
 إن الله عز وجل يملئ للظالم 4 / 223
 إن الله فرض فرائض 1 / 594، 2 / 545
 إن الله قال لي أنفق أنفق عليك 4 / 488
 إن الله قال: إنا أنزلنا المال 1 / 107
 إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه 1 / 492
 إن الله قد أنزل على صاحبك صاعقة 4 / 207
 إن الله قد أهلك صاحبك بعدك 4 / 208
 إن الله قد تجاوز لي عن أمتي ما حدثت 1 / 680
 إن الله قد صدقك 8 / 61، 8 / 67
 إن الله قد غفر لك كذبتك بتصديقك 2 / 568
 إن الله قد وضع عن الجاهلية ما عملوا 3 / 65
 إن الله قدر مقادير الخلائق 3 / 282
 إن الله قسم بينكم أخلاقكم 5 / 649
 إن الله كتب الإحسان على كل شيء 5 / 193، 6 / 446

إن الله تعالى يبغض الفاحش 6 / 668
 إن الله تعالى يبغض كل عالم بالدنيا 6 / 668، 7 / 485
 إن الله تعالى يحب أن تؤتى رخصه 1 / 501، 2 / 317
 إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم 3 / 72، 4 / 484
 إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثة 6 / 605
 إن الله تعالى يصنع كل صانع 6 / 433
 إن الله تعالى يغار وإن المؤمن 6 / 605
 إن الله تعالى يقول لأهل النار عذاباً 6 / 605، 6 / 669، 6 / 687
 إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم تفرغ 5 / 69، 6 / 651، 7 / 447، 8 / 221، 8 / 235
 إن الله تعالى ينزل المعونة على قدر المؤنة 1 / 629
 إن الله جميل يحب الجمال 8 / 483
 إن الله حبس عن مكة الفيل 8 / 561
 إن الله حرم على النار من قال 3 / 89، 4 / 351، 5 / 12، 5 / 93، 7 / 81
 إن الله حرم على أمتي الخمر والميسر 3 / 368
 إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات 2 / 291
 إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ 4 / 483
 إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مئة 4 / 323
 إن الله خلق آدم ثم أخذ الخلق 6 / 404
 إن الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح 3 / 274
 إن الله خلق آدم من قبضة قبضها 4 / 193، 4 / 317، 5 / 247، 6 / 39، 6 / 108، 7 / 488، 7 / 535، 8 / 204
 إن الله خلق خلقه في ظلمة 1 / 642
 إن الله خلق يوم خلق السماوات والأرض مئة رحمة 3 / 116، 3 / 255
 إن الله زوى لي الأرض حتى رأيت 2 / 646
 إن الله زوى لي الأرض فرأيت 3 / 465، 5 / 377
 إن الله سائل كل راع عما استرعاه 4 / 339
 إن الله عز وجل إذا أنعم على عبد نعمته 2 / 246
 إن الله عز وجل لم يهلك قوماً 2 / 488

إن الله ليملي للظالم 1/ 402، 2/ 146، 3/ 651،
 3/ 675، 4/ 31، 4/ 232، 4/ 280، 4/ 385،
 4/ 417، 4/ 604، 4/ 684، 5/ 203،
 5/ 265، 5/ 521، 7/ 42، 8/ 158،
 8/ 401
 إن الله لينادي يوم القيامة أين جبراني 3/ 445
 إن الله نظر في قلوب العباد 3/ 49
 إن الله هو الحكم 2/ 95، 2/ 633، 2/ 642، 3/ 393،
 4/ 278، 5/ 374، 5/ 640، 5/ 657،
 7/ 145، 7/ 175
 إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير 2/ 399،
 3/ 83
 إن الله ورسوله ينهيانكم عن لحوم الحمر فإنها رجس 3/ 79
 إن الله وملائكته يصلون على الصف الأول 6/ 188
 إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة 4/ 307
 إن الله يبغض كل جعظري 6/ 34، 6/ 668، 7/ 485،
 8/ 149
 إن الله يتجلى للمؤمنين يضحك 3/ 24، 3/ 239،
 8/ 271، 8/ 377
 إن الله يحب ثلاثة ويبغض ثلاثة 2/ 244
 إن الله يحب معالي الأخلاق 6/ 620
 إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها 4/ 485
 إن الله يحب من العامل إذا عمل 4/ 569
 إن الله يدني المؤمن فيضع 1/ 682، 2/ 594، 4/ 30،
 4/ 197، 4/ 339، 6/ 117، 7/ 61،
 7/ 253، 8/ 173
 إن الله يرفع بهذا الكتاب 1/ 52، 4/ 532، 7/ 649
 إن الله يقبل توبة العبد 2/ 204، 3/ 252، 7/ 89
 إن الله يقول لأهل الجنة 7/ 372
 إن الله يقول يوم القيامة أين المتحابون 7/ 208
 إن الله يقول: يا ابن آدم اكفني أول النهار 6/ 651
 إن الله يقول: يا ابن آدم تفرغ 6/ 17، 7/ 155، 8/ 490
 إن الله ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق 4/ 206

إن الله كتب الحسنات والسيئات 2/ 250، 5/ 581،
 5/ 652
 إن الله كتب على ابن آدم حفظه من الزنا 7/ 487
 إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات 1/ 683
 إن الله كتب مقادير الخلائق 7/ 526
 إن الله كتب مقادير الخلق 4/ 16، 4/ 234، 5/ 223
 إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق 3/ 552، 8/ 96،
 8/ 419
 إن الله كره لكم 1/ 362
 إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة 1/ 458، 4/ 265، 4/ 423،
 5/ 132، 5/ 265، 5/ 410، 5/ 423
 5/ 419، 5/ 528، 6/ 684، 7/ 307، 8/ 524
 إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة 1/ 549، 2/ 101، 2/ 249،
 3/ 10، 3/ 246، 3/ 444، 3/ 495،
 3/ 531، 4/ 24، 6/ 604، 8/ 95
 إن الله لا يغفر أن يشرك به 2/ 262
 إن الله لا ينال أن ينال 2/ 627
 إن الله لا ينظر إلى أجسادكم 2/ 542، 2/ 629، 5/ 196
 إن الله لا ينظر إلى صوركم 7/ 397
 إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم 2/ 629، 3/ 618
 إن الله لما خلق الخلق 2/ 587، 2/ 630، 3/ 684
 إن الله لو شاء أن لا يعصى 2/ 612
 إن الله لو شاء أن لا يعصى ما خلق 3/ 85، 4/ 355،
 6/ 111، 6/ 593
 إن الله لو عذب أهل سماواته 5/ 677
 إن الله لو يشاء أن لا يعصى ما خلق 5/ 459
 إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل 4/ 256، 4/ 462
 إن الله ليرفع الدرجة للعبد الصالح 7/ 457
 إن الله ليرفع ذرية المؤمن 1/ 40، 7/ 45
 إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته 5/ 449، 7/ 456
 إن الله ليسأل العبد يوم القيامة 2/ 482

إن أحب الأسماء إلى الله تعالى عبد الله 4/ 229
 إن أحببتكم أن يحبكم الله تعالى ورسوله فأدوا 2/ 242
 إن أحدكم إذا كان في المسجد جاءه الشيطان 8/ 622
 إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده 5/ 479
 إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان 7/ 380
 إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه 5/ 154، 5/ 590، 248
 إن أحدكم يجمع في بطن أمه 1/ 420
 إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً 4/ 200
 إن أحق ما أخذتم 1/ 56، 1/ 220
 إن أخاك لكم لا يقول الرفث 6/ 114
 إن أخاك محتبس بدينه فاقض عنه 2/ 197
 إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل 4/ 72، 5/ 499
 إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر 6/ 612
 إن أدنى أهل الجنة منزلاً رجل صرف الله وجهه 8/ 290
 إن أردت أن يلين قلبك فاطعم 2/ 241
 إن أزواج أهل الجنة 7/ 238، 7/ 551
 إن أصدق الحديث كلام الله 2/ 336
 إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه 5/ 383، 7/ 494
 إن أعظم المسلمين 1/ 362، 2/ 544
 إن أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم 6/ 333
 إن أقواماً بالمدينة خلفنا ما سلكنا 3/ 535
 إن أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة 6/ 610
 إن أم الفضل سمعته وهو يقرأ والمرسلات عرفاً 8/ 296
 إن أهل الجنة ليتراءون الغرف في الجنة 6/ 15
 إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف 2/ 280، 3/ 612، 3/ 519، 3/ 330
 إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون 5/ 174
 إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف 4/ 476، 5/ 37
 5/ 375، 6/ 15، 6/ 225، 6/ 622
 إن أهل الدرجات العُلا ليراهم من تحتهم 8/ 379
 إن أهل الكتائبين افترقوا في دينهم 2/ 94، 2/ 496، 3/ 609، 3/ 677

إن المؤمن إذا أذنب 1/ 122
 إن المؤمن إذا حضره الموت 3/ 660
 إن المؤمن لينضي شياطينه 4/ 517
 إن المؤمن من أهل الإيمان 7/ 389
 إن المؤمن يجاهد بسيفه 5/ 201، 5/ 519
 إن الماء طهور لا ينجسه شيء 5/ 424
 إن المتبايعين بالخيار في بيعهما 2/ 224
 إن المختلعات والمنتزعات هن 1/ 589
 إن المرأة تقبل في صورة شيطان 5/ 342، 6/ 167
 إن المرأة خلقت من ضلع 1/ 203، 2/ 181، 3/ 298
 إن المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها 6/ 167
 إن المسلم لا ينجس 7/ 580
 إن المعونة تأتي من الله على قدر 1/ 629، 8/ 488
 إن المعونة تأتي من الله للعبد 3/ 222، 4/ 312
 إن المقام كان في زمان رسول الله 1/ 395
 إن المقسطين عند الله على منابر 7/ 388، 7/ 527
 إن المقسطين عند الله يوم القيامة 2/ 493، 6/ 520، 7/ 563، 7/ 11
 إن الملائكة تلك الليلة 8/ 507
 إن الموتى ليعذبون في قبورهم 5/ 289
 إن الميت تحضره الملائكة 2/ 640، 6/ 662، 7/ 117، 7/ 584
 إن الميت يصير إلى القبر فيجلس الرجل الصالح 8/ 450
 إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا 2/ 491، 2/ 509، 2/ 551، 4/ 98، 6/ 184
 إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه 2/ 491
 إن الناس يعبرون يوم القيامة جُثاً 4/ 529
 إن النطفة إذا وقعت في الرحم 6/ 591
 إن الهجرة لا تنقطع ما كان الجهاد 6/ 13
 إن الهدى الصالح والسمت الصالح 7/ 373
 إن الولد مبدخل مجنبه 3/ 354، 8/ 84
 إن اليهود افترقت على إحدى وسبعين فرقة 4/ 101
 إن أبغض الرجال 1/ 36، 1/ 544

- إن بني إسرائيل لما هلكوا 8 / 49
 إن بُيُتكم فليكن شعاركم 7 / 40
 إن بين أيديكم فتناً كقطع الليل 2 / 446
 إن بين يدي الساعة فتناً 2 / 445
 إن بين يدي الساعة كذابين 3 / 6
 إن تغفر اللهم تغفر جمّاً 7 / 487
 إن جبريل أتاني فقال لي أرجع حفصة 6 / 215
 إن جبريل عليه السلام قال لي ألا أبشرك 6 / 209
 إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل 7 / 344
 إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه 1 / 605
 إن خير دينكم أيسره 1 / 504
 إن ذلك سيكون 8 / 547
 إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها 3 / 413
 إن ربك أمرني أن أبني له بيتاً 1 / 407
 إن ربك ليعجب من عبده إذا قال رب اغفر لي 5 / 257
 إن ربك يعجب من عبده إذا قال اغفر لي ذنوبي 7 / 186
 إن ربكم رحيم، من هم بحسنة 3 / 108
 إن ربي قد غضب اليوم 8 / 197
 إن رجلاً كان فيمن كان قبلكم 1 / 670
 إن رجلاً كان قبلكم رغبه الله مالا 6 / 381
 إن رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة 1 / 409
 إن رسول الله ﷺ نهى عن طعام المتباريين 2 / 401
 إن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر 7 / 10
 إن روح القدس 1 / 328
 إن روح القدس لا يزال 1 / 328، 5 / 520
 إن روح القدس نفث 1 / 328، 2 / 119، 2 / 140،
 3 / 74، 4 / 74، 6 / 17، 7 / 171
 إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت 8 / 125
 إن سياحة أمتي الجهاد 3 / 566
 إن شئت دعوت الله أن يشفيك 3 / 310
 إن شئت صبرت ولك الجنة 6 / 216
 إن شئت فصم وإن شئت فافطر 1 / 502
 إن شئتما أعطيتكما ولا حظ فيها لغني 3 / 500
 إن شر الرعاء الحطمة 7 / 59
- إن أهل النار ليبكون 2 / 165، 2 / 269، 3 / 397،
 3 / 528، 5 / 295، 5 / 402، 5 / 680، 7 / 498، 7 / 315
 إن أهون أهل النار عذاباً 4 / 264
 إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان 3 / 527
 إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة 6 / 11
 إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس 3 / 104، 4 / 191، 5 / 575، 6 / 349
 إن أول الناس يشفع في الجنة 6 / 611
 إن أول الناس يقبض يوم القيامة عليه 6 / 579
 إن أول الناس يقضى 1 / 218، 2 / 247
 إن أول خلع كان في الإسلام 1 / 591
 إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر 7 / 549
 إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة 7 / 568
 إن أول شيء خلقه الله عز وجل القلم 7 / 261
 إن أول ما خلق الله القلم 3 / 490، 4 / 233، 5 / 223، 6 / 434، 7 / 178، 7 / 620، 8 / 144
 إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة 4 / 668
 إن أول ما يحاسب به العبد 1 / 115، 4 / 668
 إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة 8 / 547
 إن أول من جحد آدم 1 / 672، 6 / 587
 إن أول من سيب السوائب 2 / 549، 3 / 77، 3 / 623
 إن أول من يأخذ بحلقة باب الجنة 6 / 611
 إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام 3 / 365
 إن أولى الناس بي المتقون 3 / 365
 إن إبراهيم حرم مكة 1 / 399
 إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام يرى أباه 5 / 480
 إن إبليس يضع عرشه 1 / 352، 3 / 56، 3 / 143،
 4 / 598، 7 / 114
 إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم 2 / 242
 إن بالمدينة أقواماً ما سرتهم من مسير 2 / 311
 إن بني إسرائيل كتبوا 1 / 109، 1 / 312، 8 / 49
 إن بني إسرائيل لما هلكوا 1 / 312

إن كان أحدكم مادحاً 264 / 2
 إن كان يكتم أذى من مطر 322 / 2
 إن كان تهيأ الفتح ولم يقدرُوا 615 / 1
 إن كان رسول الله ﷺ ليتفقد يقول أين أنا اليوم 5 / 329
 إن كان رسول الله ﷺ ليقظه الله عز وجل بالليل 4 / 527
 إن كان في شيء من أدويتكم خير 4 / 399
 إن كان ليأتي علي السنة 1 / 363
 إن كل صلاة تحط ما بين يديها 4 / 97
 إن لكل أمة أميناً 2 / 59
 إن لكل شيء سنماً 1 / 79
 إن لكل نبي حوارياً 2 / 53
 إن لكل نبي ولاية من النبيين 2 / 62
 إن للشيطان لمة بآدم 1 / 655
 إن للقرشي مثلي قوة الرجل 8 / 563
 إن للمؤمن في الجنة لخيمة 6 / 546، 6 / 623، 7 / 552
 إن للمؤمنين في الجنة لخيمة 7 / 30
 إن للمساجد أوتاداً 5 / 365
 إن لله أقواماً يختصهم بالنعم 7 / 329
 إن لله أهلين من الناس 1 / 11
 إن لله تسعة وتسعين اسماً 1 / 66، 3 / 286، 7 / 686
 إن لله تعالى أقواماً يختصهم 6 / 672
 إن لله تعالى عبداً يعرفون 3 / 357
 إن لله عبداً يعرفون الناس 4 / 329
 إن لله ما أخذ وله ما أعطى 4 / 201
 إن لله ملكاً أعطاه أسماخ الخلائق 6 / 209
 إن له مرضعاً في الجنة 1 / 600
 إن لولي الله في الجنة 1 / 166
 إن لي أسماء أنا محمد 6 / 185، 8 / 33
 إن لي خمسة أسماء 3 / 49
 إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي 6 / 185
 إن مثلي ومثل ما بعثني الله عز وجل 7 / 501

إن صاحب الشمال ليرفع القلم 2 / 639، 7 / 412، 8 / 409
 إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار 8 / 624
 إن عظم الجزاء مع عظم البلاء 1 / 554، 3 / 209، 4 / 254، 5 / 258، 5 / 648، 5 / 665، 6 / 95
 إن عفريتاً من الجن تفلت 6 / 531
 إن علينا جمعه أن نجعله في صدرك 8 / 269
 إن غلظ جلد الكافر 6 / 12، 2 / 268
 إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة 4 / 464
 إن فصل ما بين صيامنا 1 / 509
 إن في الجسد مضغة إذا صلحت 6 / 427
 إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد 4 / 226
 إن في الجنة باباً يقال له الريان 6 / 175، 6 / 607
 إن في الجنة بحر الماء 4 / 371، 6 / 409، 7 / 311
 إن في الجنة ثمانية أبواب 7 / 27
 إن في الجنة خيمة من لؤلؤة 3 / 518، 5 / 410، 7 / 552
 إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها 4 / 226
 إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها 3 / 519، 6 / 476، 6 / 15
 إن في الجنة لشجرة يسير الراكب 2 / 269، 7 / 547
 إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها 7 / 566
 إن في الجنة لغرفاً يرى ظهورها من بطونها 7 / 435
 إن في الجنة لمئة درجة 7 / 612
 إن في الجنة مئة درجة 1 / 162، 2 / 311، 3 / 533، 4 / 371، 4 / 476، 6 / 607، 7 / 312
 إن في الصلاة شغلاً 1 / 615
 إن في أصلاب أصلاب رجال رجالاً 8 / 47
 إن فيها اسم الله الأعظم 1 / 637
 إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة 3 / 293
 إن قلوب بني آدم 1 / 121، 3 / 302، 3 / 349، 4 / 280، 5 / 278
 إن قومك استقصروا من بنيان البيت 1 / 411

إن هذا البلد حرمه الله 400 /1
 إن هذا الدينار والدرهم 534 /6
 إن هذا السقم عذب به الأمم قبلكم 621 /1
 إن هذا الشهر قد حضركم 221 /7، 507 /8
 إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم 411 /2
 إن هذا القرآن شافع مشفع 482 /6
 إن هذا الوجع أو السقم 269 /1
 إن هذا يوم عيد 42 /8
 إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء 614 /1
 إن وجدتك خارجاً من جبال مكة أضرب عنقك 5 /
 413
 إن يأجوج ومأجوج يحفرون 4 /620، 5 /134
 إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم 4 /552
 إن يعيش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم 3 /294، 4 /
 85
 إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة 2 /493
 إن يوم الجمعة سيد الأيام 8 /42
 إنا أمة أمة 1 /309
 إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً قال الحديدية 7 /339
 إنا كذلك يضعف لنا البلاء ويضعف لنا الأجر 2 /
 152
 إنا كنا لنعد لرسول الله 1 /415
 إنا لم نرده إلا أنا حرم 2 /539
 إنا لمع رسول الله ﷺ يوم حنين 3 /453
 إنا معشر الأنبياء تنام أعيننا 6 /440
 إنا معشر الأنبياء لا نورث 4 /639
 إنك أن تذر ورثتك أغنياء 3 /72
 إنك إن اتبعت عورات الناس 7 /392
 إنك إن تنفق نفقة تبتغي 1 /663
 إنك غلام معلم 1 /22
 إنك لتنتظر إلى الطير في الجنة 7 /564
 إنك لعريض القفا إن أبصرت 1 /508
 إنك لن تخلف فتعمل عملاً 4 /11
 إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة 2 /663، 2 /666
 إنكم تختصمون إلي وإنما أنا بشر 2 /327

إن مما أخاف عليكم من بعدي 5 /67
 إن مما دعانا إلى الإسلام 1 /331
 إن مما يلحق المؤمن من عمله 7 /495
 إن من البيان سحراً 6 /373
 إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها 4 /272
 إن من الشجر شجرة مثلها كمثل الرجل المسلم 4 /
 272
 إن من المؤمنين من يضيء نوره 7 /604
 إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة 8 /
 147
 إن من أحسن الناس صوتاً 1 /50، 8 /233
 إن من أشد الناس بلاء الأنبياء 5 /258
 إن من أشد الناس بلاء الأنبياء 2 /152، 5 /664
 إن من أفرى الفري أن يري عينه 4 /494
 إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة 8 /41، 8 /55
 إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل 2 /228
 إن من أمتي قوماً يعطون 1 /114، 3 /288
 إن من أمتي من يدخل الجنة بشفاعته 5 /295، 8 /
 259
 إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء 3 /657
 إن من عباد الله من لو أقسم 2 /468
 إن من ورائكم أيام الصبر 1 /98، 3 /420، 6 /
 122
 إن منكم من يقاتل على تأويل هذا القرآن 2 /473،
 4 /306
 إن موسى سأل ربه فقال أي رب 6 /116
 إن موسى كان رجلاً حياً 6 /223
 إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً 8 /538
 إن ناساً يأتونا فيخبرونا أن عندهم 2 /499
 إن نبي الله أيوب ﷺ لبث به بلاؤه 5 /126، 6 /537
 إن نبي الله نوحاً ﷺ لما حضرته الوفاة 1 /639، 2 /
 669، 4 /36، 4 /499، 8 /103
 إن نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغي للضيف 2 /360،
 4 /62
 إن نسمة المؤمن طائر 1 /450

إنكم تقرؤون هذه الآية: من بعد وصية توصون 2/ 198
 إنكم دنوت من عدوكم و الفطر أقوى لكم 1/ 502
 إنكم سترون ربكم عياناً 3/ 24، 3/ 239، 7/ 20،
 8/ 270
 إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر 5/ 65، 7/ 422، 7/ 616
 إنكم لا ترجعون إلى الله 1/ 9
 إنكم لتخصمون إليّ 7/ 325
 إنكم محشورون إلى الله حفاة 5/ 139
 إنكم ملاقو الله حفاة 1/ 576
 إنكم والله لا تأمنون عندي إلا بعهد 7/ 665
 إنما الأعمال بالنيات 2/ 315، 2/ 415
 إنما الإمام جنة يقاتل من ورائه 3/ 402
 إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله 2/ 231
 إنما السكنى والتفقه للمرأة 8/ 92
 إنما أخشى عليكم شهوات الغي 1/ 476
 إنما أنا بشر أنسى كما تنسون 5/ 328
 إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء 5/ 328
 إنما أنا بشر تدمع العين ويخشع القلب 5/ 328
 إنما أنا بشر مثلكم 4/ 379، 5/ 328
 إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي 5/ 328
 إنما أنا بشر وإنني اشتربت على ربي 5/ 328
 إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم 6/ 139
 إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق 8/ 146
 إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق 3/ 308
 إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله: نزلت 2/ 453
 إنما جعل الإمام ليؤتم به 3/ 312
 إنما خيرني الله فقال استغفر لهم أو لا 3/ 529
 إنما سعى النبي ﷺ بالبيت وبين الصفا 7/ 368
 إنما سمل النبي ﷺ أعين أولئك 2/ 452
 إنما سمي الخضر لأنه جلس 4/ 607
 إنما سن رسول الله ﷺ الزكاة في هذه الأربعة 3/ 70
 إنما شفاعتي لأهل الكبائر 1/ 239
 إنما كان من أهل لمناة الطاغية 7/ 481

إنما كان يكفيك هكذا 2/ 258
 إنما مثلي ومثل الناس 3/ 595
 إنما مثلي ومثل ما يعنني الله به 4/ 338
 إنما نزلت هذه الآية في أصحاب الصفة 7/ 159
 إنما نسمة المؤمن طائر 7/ 585
 إنما هلك من كان قبلكم بهذا 2/ 16
 إنما هلك الأمم قبلكم باختلافهم في الكتاب 2/ 291
 إنما هي أربعة أشهر وعشر 1/ 606، 1/ 617
 إنما هي طعمة أطعمكموها الله 2/ 539
 إنما يبعث الناس على نياتهم 5/ 15
 إنما يعنني الله مبلغاً 8/ 114
 إنما يستريح من غفر له 8/ 449
 إنما يلبس الحرير في الدنيا 5/ 173
 إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها 6/ 476، 6/ 539
 إنه سيأتكم إنسان ينظر بعيني شيطان 7/ 652
 إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور 3/ 180
 إنه سينهاه ما تقول 5/ 691
 إنه قد شهد بديراً وما يدريك لعل 8/ 8
 إنه كان من حديث الخندق أن نفراً 6/ 142
 إنه لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء 8/ 188
 إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه 5/ 175، 8/ 282
 إنه لم يمنعي أن أرد عليك 2/ 256
 إنه لو كان مسلماً فأعتقتم أو تصدقتم 7/ 494
 إنه ليأتي الرجل العظيم السمين 3/ 130، 4/ 627،
 5/ 292، 8/ 536
 إنه ليس بنا رد عليك ولكننا حرم 2/ 533
 إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك 5/ 347
 إنه ليس لئبي إذا لبس لأمته أن يضعها 2/ 106
 إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر 2/ 328، 6/ 238
 إنه من أعطي حظه من الرفق 4/ 445، 8/ 199
 إنه من لم يسأل الله 7/ 79
 إنها ستكون فتنة القاعد فيها 2/ 445

إني لأعطي رجلاً وأدع من هو أحب إلي منهم 7/ 399

إني لأعلم شيئاً لو قاله 1/ 63

إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب 1/ 63

إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه 3/ 310

إني لبدت رأسي وقلدت هديي 1/ 528

إني لم أبعث لعناً 5/ 141

إني من أول من يرفع رأسه بعد النفخة 5/ 578

إني والله إن شاء الله لا أحلف 1/ 578

إياك وإسبال الإزار 2/ 244

إياكم والشح فإنه أهلك 2/ 245

إياكم والغلو فإنما أهلك 2/ 507، 5/ 152

إياكم وكثرة الحديث عني 1/ 192، 2/ 156، 4/ 495

إياكم ومحقرات الذنوب 8/ 524

إياكم ومحقرات الذنوب فإنما 1/ 317، 8/ 524

إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن 1/ 317

إياكم والجلوس على الطرقات 5/ 340

إياكم والدخول على النساء 5/ 349، 6/ 202

إياكم والشح فإنه أهلك 4/ 488

إياكم والظن 4/ 494، 7/ 384، 7/ 392، 7/ 485

إيمان بالله ورسوله 3/ 485

إيمان لا شك فيه وجهاد 6/ 599

- ب -

بش مطية الرجل زعموا 4/ 494

بابني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم 5/ 513

بادروا بالأعمال ستاً طلوع الشمس 5/ 575

بادروا بالأعمال ستاً: إمارة السفهاء 2/ 466

بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل 6/ 238

باسم الله والله أكبر هذا عني 6/ 445

باسمك أموت وأحيا 5/ 424

بايعت رسول الله ﷺ أن لا أفر 2/ 89

بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا 8/ 20

إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات 7/ 225

إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين 4/ 650

إنهم لا يحسدوننا على شيء 1/ 76، 1/ 432

إنهن من العتاق الأول 4/ 450

إني استأذنت ربي في زيارة قبر أُمي 3/ 569

إني أراك تحب الغنم والبادية 4/ 498

إني أرى ما لا ترون 4/ 486، 5/ 88، 5/ 168، 5/ 691، 6/ 472، 7/ 105، 7/ 124، 8/ 256

إني أمرت أن أقرأ عليك سورة كذا وكذا 8/ 512

إني أمرت بالعفو فلا تقتاتلوا 2/ 286

إني خيرت فاخترت 3/ 529

إني ذاكر لك أمراً فلا عليك 1/ 63

إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقوداً 7/ 567

إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي 5/ 275، 6/ 613

إني رسول الله ولست أعصيه 7/ 365

إني سألت ربي في الاستغفار لأُمي فلم يأذن 3/ 568

إني صليت صلاة رغبة ورهبة 2/ 646

إني عند الله لخاتم النبيين 1/ 416، 8/ 34

إني عند الله مكتوب خاتم 2/ 72

إني عند عائشة أم المؤمنين قالت لقد أنزل 7/ 524

إني فرطكم على الحوض 6/ 612

إني قد خبات خباً فما هو 7/ 219

إني قمت من الليل فصليت 6/ 560

إني كنت رأيت قرني الكباش 6/ 443

إني كنت نهيتكم عن لحوم الأضاحي 6/ 446

إني لا أصافح النساء 8/ 20

إني لا أقول إلا حقاً 7/ 472

إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدر 3/ 336

إني لأتوب إلى الله تعالى في اليوم 6/ 508

إني لأرجو أن لا تعجز أمتي عند ربها 5/ 206

إني لأستغفر الله في اليوم سبعين 6/ 509

إني لأسمع أطيظ السماء 6/ 472

إني لأعرف حجراً 1/ 304، 1/ 410، 4/ 498

إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه 3/ 502

- بنوا إسرائيل والكهف ومريم وطه 75 / 5
 بني الإسلام على خمس 100 / 1
 بين المسلم وبين الكفر 666 / 4
 بين يدي الساعة مسخ 384 / 4
 بينما الناس بقاء في صلاة الصبح 432 / 1
 بينما أنا أسير في الجنة 1 / 161، 4 / 459، 7 / 476
 بينما أنا عند البيت بين النائم واليقظان 4 / 456، 8 / 486
 بينما أيوب يغتسل عرياناً 6 / 539
 بينما جبريل عليه السلام قاعد 1 / 57، 1 / 81
 بينما رجل بفلاة من الأرض 1 / 466
 بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء 5 / 649
 بينما رجل يمشي في حلة 2 / 244، 3 / 126، 4 / 496، 5 / 160، 6 / 86، 7 / 621
 بينما رسول الله ﷺ وعنده جبريل إذ سمع 1 / 684
 بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ أطلع 7 / 171
 بينما نحن في الصلاة نحو بيت المقدس 1 / 438
 بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى فانشق 7 / 509
 بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ أقبلت 8 / 58

- ت -

- تابعوا بين الحج والعمرة 5 / 183
 تب إلى الله عز وجل وتقرب إليه 5 / 668
 تباعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً 8 / 23
 تبسمك في وجه أخيك صدقة 5 / 133
 تبسمك في وجه أخيك لك صدقة 6 / 86
 تبلغ الحلية من المؤمن 5 / 172، 6 / 310
 تجزئك آية الصيف 2 / 380
 تحتاج الجنة والنار 4 / 471، 7 / 418
 تحته ثم تقرصه بالماء ثم تنفضه 2 / 399
 تحروا ليلة القدر في السبع الأواخر 8 / 509
 تحروا ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين 8 / 509
 تحشرون حفاة عراة غرلاً 8 / 347
 تخرج الزكاة من مالك 4 / 485
 تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله ﷺ فيسأله 8 / 27، 37

- بت عند خالتي ميمونة فتحدث رسول الله 2 / 161
 بت عند خالتي ميمونة فقلت لأنظرن 2 / 161
 بخ ذلك مال رابع 2 / 78، 5 / 481
 بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله
 25 / 5
 بشر الكانزين برضف يحمي عليهم 3 / 472
 بشر المشائين في الظلم 1 / 161، 6 / 616
 بشر الناس أنه من قال 1 / 161، 6 / 617
 بشر هذه الأمة بالسَّاء 6 / 616
 بشرا ولا تنفرا 1 / 503
 بشري الدنيا الرؤيا 1 / 161، 6 / 617
 بعث من رسول الله ﷺ رجل سراويل قبل الهجرة 8 / 373
 بعث النبي ﷺ جيشاً فردت رايته 2 / 135
 بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة 8 / 28
 بعث رسول الله ﷺ بعثاً قبل الساحل 2 / 537
 بعثت أنا والساعة كهاتين 3 / 40، 4 / 437، 5 / 389، 6 / 221، 7 / 315
 بعثت بالحنفية السمحة 8 / 516
 بعثت بأربع لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة 3 / 430
 بعثت بين يدي الساعة 1 / 355، 7 / 623
 بعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرنا 3 / 49
 بعثت والساعة كهاتين 7 / 507
 بعثنا رسول الله ﷺ إلى إضم 2 / 307
 بعثني أبو بكر في تلك الحجة 3 / 430، 457
 بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن وأمرني أن آخذ 3 / 471
 بل باب التوبة والرحمة 4 / 510
 بل على أمر قد فرغ منه 5 / 163
 بل على شيء قد فرغ منه وجرت به الأقلام 4 / 87
 بل في أمر قد فرغ منه 3 / 347، 4 / 201، 6 / 593
 بل نترفق به ونحسن صحبته 5 / 318
 بل هو رجل ولد له عشرة 6 / 246
 بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد 6 / 332
 بلى قد سمعت فرددت عليهم 7 / 646

تعرض الفتن كالحصير عوداً عوداً 3/ 245، 3/ 643، 4/ 308، 4/ 375
 تعرف إلى الله في الرخاء 6/ 460
 تعس عبد الدينار 5/ 670، 6/ 34، 7/ 307
 تعلموا القرآن و اقرووه 1/ 81، 3/ 259
 تعلموا القرآن وسلوا الله به الجنة 3/ 438
 تعلموا كتاب الله 1/ 49
 تعلموا من أنسابكم 1/ 319
 تعلموا من أنسابكم ما تصلوا به أرحامكم 4/ 484
 تعلموا من أنسابكم ما تصلون 7/ 396
 تعلمون المعاد إلى الله 1/ 234، 5/ 222، 5/ 249، 7/ 497، 7/ 571، 8/ 357، 8/ 531
 تعوذوا بالله من جار السوء 6/ 460
 تعوذوا بالله من جهد البلاء 3/ 250، 4/ 287، 6/ 460
 تفتح بأجوج ومأجوج 4/ 623
 تفضل صلاة الجميع صلاة أحدكم 4/ 358
 تفقهوا قبل أن تسودوا 6/ 543
 تفكروا في آلاء الله 3/ 188، 5/ 97، 5/ 158، 6/ 246، 7/ 35
 تفكروا في خلق الله 5/ 158، 6/ 35، 7/ 246
 تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة 3/ 292
 تقيء الأرض أفلاذ كبدها 8/ 522
 تكفل الله لمن جاهد في سبيله 5/ 214
 تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء 2/ 379
 تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون 2/ 425، 3/ 378، 5/ 588
 تكون دعاة على أبواب جهنم 2/ 352، 4/ 564
 تلا رسول الله ﷺ هذه الآية يوماً : وإن تتولوا 7/ 329
 تلك الروضة الإسلام 1/ 640
 تلك السكينة تنزلت بالقرآن 4/ 551
 تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني 5/ 516
 تلك الملائكة دنت لصوتك 1/ 80
 تلك امرأة يغشاها أصحابي 5/ 341

تركت فيكم شيئين لن تضلوا 6/ 178، 7/ 472
 ترى المؤمنين في تراحمهم 7/ 371
 تزوج النبي ﷺ أميمة بنت شراحيل 6/ 193
 تزوج رسول الله ﷺ أميمة بنت شراحيل 1/ 610
 تزوجت أم يحيى بنت أبي إهاب 2/ 215
 تزوجوا الودود الولود 2/ 23
 تزوجوا فإني مكاثركم الأمم 3/ 463
 تسألوني عن الساعة وإنما علمها 3/ 295
 تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قمنا 1/ 510
 تسحرنا مع علي بن أبي طالب 1/ 512
 تسحروا فإن في السحور 1/ 509
 تسموا باسمي ولا تكتنوا 2/ 41
 تصدق بأصله لا بيباع ولا يوهب 2/ 78
 تصدق به على نفسك 1/ 565
 تصدقن يا معشر النساء 1/ 320
 تضامون في رؤية القمر ليلة البدر 7/ 20
 تضمن الله لمن خرج في سبيله 2/ 283
 تعافوا الحدود فيما بينكم 2/ 461، 5/ 309
 تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا 2/ 456، 2/ 425
 تعالي أسابك 2/ 208
 تعاهدوا القرآن 1/ 49
 تعاهدوا هذا القرآن 1/ 49
 تعبد الله ولا تشرك به شيئاً 2/ 240، 4/ 652
 تعجبون من غيرة سعد 3/ 92
 تعجبون من هذا لمناديل سعد 5/ 173، 7/ 237، 8/ 291
 تعجلوا إلى الحج فإن أحدكم 2/ 86
 تعدون أنتم الفتح فتح مكة 7/ 336
 تعرض الأعمال في كل اثنين وخميس 3/ 579
 تعرض الفتن على القلوب 1/ 120
 تعرض الفتن على القلوب عرض الحصير 3/ 31، 3/ 571، 4/ 235
 تعرض الفتن على القلوب كالحصير 2/ 357، 2/ 516
 617، 5/ 369، 5/ 671، 7/ 163، 7/ 516
 256، 8/ 32

ثلاثة يؤتون أجرهم 1/ 112، 1/ 282، 1/ 385،
2/ 167، 2/ 369، 3/ 263، 5/ 626، 7/
629

ثلاثة يدعون الله عز وجل فلا يستجاب لهم 2/ 187
ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم 1/ 672، 1/ 676
ثم تلا إنما الصدقات للفقراء والمساكين 7/ 675
ثم جاءه نسوة مؤمنات فأُنزل الله 8/ 15
ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعثه 2/ 60
ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة 4/ 664
ثم عرج بنا إلى السماء السابعة 8/ 256
ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل 8/ 182
ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه 7/ 476
ثم مسح رأسه 1/ 103
ثم نزلت عليه هذه الآية: يا أيها النبي قل لأزواجك
164/ 6

ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس 3/ 8، 3/ 392،
5/ 409، 8/ 444
ثم يضرب الجسر على جهنم 4/ 602، 8/ 322
ثم يقبل الآخرون الذين لم يصلوا 2/ 320
ثم يلقي الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يا رب 8/
267

ثم ينفخ في الصور 7/ 409، 7/ 425، 7/ 571
ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام 7/ 513

-ج-

جاء ابن أم مكتوم إلى النبي ﷺ 8/ 341
جاء الحق وزهق الباطل 4/ 530
جاء الفتح وجاء نصر الله 8/ 589
جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال يا محمد أنشدك 5/
276

جاء جبريل عليه السلام ذات يوم 1/ 305
جاء جبريل فقال: ما تعدون من شهد بدرًا فيكم 3/
62، 3/ 336، 5/ 165

جاء خبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ 6/ 91، 7/ 9،
7/ 259

تلك صريح الإيمان 1/ 680
تلك صلاة المنافق 1/ 101، 2/ 356، 8/ 573
تلك عاجل بشرى المؤمن 3/ 660
تمام عيناه ولا ينأى قلبه 1/ 141، 1/ 340، 2/ 80،
4/ 206
تنصح لكل مسلم وتبرأ من الكافر 2/ 478
تنكح المرأة لأربع 1/ 568

-ث-

ثلاث أقسم عليهن 2/ 361، 7/ 166
ثلاث إذا خرجن 3/ 103
ثلاث جدھن جد وهزلھن جد 1/ 598
ثلاث دعوات مستجابات لهن 4/ 118
ثلاث من السعادة وثلاث من الشقاوة 3/ 194
ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان 3/ 355
ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان 3/ 448، 5/
326

ثلاث منجيات خشية الله 6/ 559
ثلاث مهلكات و ثلاث منجيات 2/ 396، 2/
474، 7/ 149، 7/ 255
ثلاثة حق على الله تعالى عونهم 1/ 486، 5/ 352
ثلاثة حق على الله عونهم 3/ 503
ثلاثة في ضمان الله عز وجل 3/ 563
ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة 5/ 311
ثلاثة كلهم ضامن على الله 2/ 163، 3/ 563، 5/
214

ثلاثة لا ترد دعوتهم 1/ 506
ثلاثة لا يدخلون الجنة ولا ينظر الله إليهم 5/ 311
ثلاثة لا يكلمهم الله 1/ 176، 1/ 483، 1/ 648،
2/ 68

ثلاثة لا ينظر الله إليهم... العاق لولديه 1/ 649
ثلاثة لا ينظر الله إليهم... رجل كان له فضل ماء 2/
228

ثلاثة لا ينظر الله عز وجل إليهم 1/ 483، 7/ 281
ثلاثة وددت أن رسول الله ﷺ كان عهد إلينا 2/ 379

- حجي عنه 85 / 2
حجي واشترطي 526 / 1
حد يعمل به في الأرض 390 / 5، 57 / 6، 624 / 7
حدثنا رسول الله ﷺ حديثين 227 / 6
حرثك انت حرثك 574 / 1
حرق رسول الله ﷺ نخل بني النضير 668 / 7
حرمت النار على عين دمعت 168 / 2
حرمت عليكم سبعة نسباً 212 / 2
حسبت أنه كان أخاها من الرضاعة 348 / 5
حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم 144 / 2، 390 / 3
حضرتني هذه الآية لن تنالوا البر 79 / 2
حفت الجنة بالمكاره 139 / 5
حق على الله عون من نكح التماس 352 / 5
حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل 53 / 8
حلفت أم سعد ألا تكلمه أبداً 666 / 5
حيثما مرت بقبر كافر فبشره 269 / 3

-خ-

- خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين 146 / 8
خذ بعض مالها وفارقها 591 / 1
خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان لأن يمتلئ 5 / 517

- خذوا القرآن من أربعة 20 / 1
خذوا جنتكم من النار 4 / 591، 4 / 681
خذوا عني خذوا عني 2 / 202، 5 / 308
خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً 2 / 202
خذي من ماله بالمعروف 5 / 231
خذيها فأعتقها واشترطي لهن الولاء 5 / 355
خربت خير إننا إذا نزلنا 6 / 478
خرج النبي ﷺ عام الحديبية في بضع عشرة مئة 7 / 343

- خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري 2 / 552
خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية 7 / 343

- جاء خبر من اليهود إلى النبي ﷺ 580 / 5
جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن رجل طلق 1 / 595
جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال إني عالجت امرأة 4 / 94
جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إني وجدت امرأة 4 / 94
جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال إني أحب هذه السورة 8 / 603
جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله من أحق 3 / 91
جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد 3 / 541
جاء رجل من أهل الكتاب إلى رسول الله ﷺ 5 / 412
جاء مشركو قريش يخاضمون 5 / 223، 7 / 525
جاءت فاطمة بنت عتبة تباع النبي ﷺ 8 / 21
جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ فقال بعضهم 4 / 182
جاهدوا المشركين بأموالكم 2 / 458
جاهدوا في الله القريب والبعيد 7 / 304
جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت 8 / 246
جعل الله الأهلة مواقيت للناس 1 / 516
جعل الله الرحمة مئة جزء 3 / 115، 3 / 255
جعل رسول الله ﷺ في الضبع يصيبه المحرم 2 / 533
جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوماً 5 / 447
جمع رسول الله ﷺ بين الظهر والعصر 5 / 230
جنتان من فضة آتيتهما 3 / 518، 7 / 545، 7 / 550، 8 / 271

-ح-

- حاج موسى آدم فقال له 5 / 59
حب الأنصار التمر 2 / 41
حب إلي من دنياكم 2 / 23، 5 / 241
حبك إياها أدخلك الجنة 8 / 603
حتى أتيت بيت المقدس ففتحت 4 / 459
حتى إذا أتيا أهل قرية لثاماً 4 / 611
حتى إذا أتينا البيت 1 / 394
حتى إذا خلص المؤمنون من النار 5 / 52
حججت فدخلت على عائشة 2 / 387

- خمس من جاء بهن مع إيمان دخل الجنة 6/ 226
 خمس يقتلن المحرم 2/ 532
 خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه 2/ 241
 خير الخيل الأدهم 2/ 24
 خير الدعاء دعاء يوم عرفة 1/ 147، 2/ 570
 خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى 1/ 565
 خير الناس ذو القلب المحموم 4/ 274
 خير الناس قرني ثم الذين يلونهم 1/ 675
 خير النساء التي تسره 2/ 22، 2/ 234
 خير النساء من تسرك إذا 2/ 23
 خير مال امرئ له 2/ 24
 خير نساء العالمين 2/ 46
 خير نساء ركن الإبل 2/ 47
 خير نساكم الودود الولود 1/ 589
 خير نساها مريم 2/ 46، 8/ 122
 خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة 8/ 41
 خير يوم طلعت فيه الشمس 1/ 207
 خيركم خيركم لأهله 1/ 585، 2/ 207
 خيركم من تعلم القرآن 1/ 51
 خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره 8/ 518

- د -

- دب إليكم داء الأمم قبلكم 4/ 114
 دخل النبي ﷺ يوماً نخلًا لبني النجار 7/ 70
 دخل علي رسول الله ﷺ وأنا مريض لا أعقل 2/ 378
 دخلت العمرة في الحج 1/ 529
 دخلت في نفر من أصحاب عبد الله الشام 8/ 470
 دخلنا المسجد عند أبواب كندة فإذا رجل يقص 7/ 224
 دخلنا مع النبي ﷺ مكة وحول البيت 4/ 531
 دخلوا الباب يزحفون على أستاههم 1/ 266
 درهم ربا يأكله الرجل 1/ 666
 دع ما يريك إلى ما لا يريك 3/ 42
 دعوا لي أصحابي 1/ 99، 7/ 598
 دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب 7/ 492

- خرج ﷺ إلى خيبر حين استخلف سباع بن عرفة 8/ 370
 خرج من بطن أمه بعد ما خلق 5/ 248
 خرجت لأخبركم فتلاحي فلان وفلان وإنها رفعت 8/ 510
 خرجت مع النبي ﷺ حاجاً فكان الناس يأتونه 5/ 231
 خرجت من نكاح 3/ 593
 خرجنا مع النبي ﷺ فشهدت معه بدرًا 3/ 324
 خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك 3/ 573
 خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره 2/ 414
 خرجنا مع رسول الله ﷺ في شهر رمضان 1/ 502
 خرجنا مع رسول الله ﷺ مهلين بالحج 5/ 191
 خطبنا عتبة بن غزوان فحمد الله 7/ 508
 خفف على داود القرآن 4/ 507
 خففت على داود القراءة 4/ 230
 خل عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم 5/ 520، 7/ 368
 خلق الله التربة 1/ 180، 3/ 171، 3/ 606، 4/ 17، 5/ 27، 5/ 432، 5/ 218، 6/ 106، 7/ 100، 7/ 593
 خلق الله الخلق فلما فرغ 7/ 320
 خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه 8/ 76
 خلق الله آدم فضرب كتفه اليمين 6/ 524
 خلق الله تبارك وتعالى الجنة لبنة من ذهب 4/ 670، 5/ 240
 خلق الله عز وجل آدم على صورته 4/ 270
 خلق الله يحيى بن زكريا في بطن أمه مؤمناً 8/ 76
 خلقت الملائكة من نور 3/ 133، 4/ 317، 4/ 507، 7/ 536
 خمس بخمس 1/ 174، 2/ 225، 2/ 465، 3/ 98، 5/ 86، 5/ 426
 خمس فواسق يقتلن 1/ 172، 2/ 532
 خمس قد مضين 7/ 225
 خمس لا يعلمهن إلا الله 5/ 14، 6/ 99
 خمس ليس لهن كفارة 2/ 521

رأيت النبي ﷺ وأكلت معه 317 / 7
 رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً 549 / 2
 رأيت خيراً أما المنهج العظيم 640 / 1
 رأيت رجلين أتيا نبي 173 / 6
 رأيت رسول الله ﷺ بذي المجاز يتبع الناس 420 / 5
 رأيت رسول الله ﷺ وهو يريد غزواً 655 / 7
 رأيت رسول الله ﷺ يصلي وفي صدره أزيز 546 / 4
 رأيت عثمان توضعاً 416 / 2
 رأيت عمر بن عامر الخزاعي يجر قصبه 548 / 2
 رأيت غنماً كثيرة سوداء 46 / 8
 رأيت في المنام أخذوا عمود الكتاب 117 / 5
 رأيت في رؤياي أنني هزرت سيفاً 105 / 2
 رب صائم حظه من صيامه 495 / 1
 رباط يوم في سبيل الله 168 / 2
 رباط يوم وليلة 168 / 2، 305 / 7
 رجعت إلى النبي ﷺ ليلة 231 / 1
 رجل ممسك برأس فرسه في سبيل الله 517 / 8
 رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع 224 / 2
 رحم الله رجلاً قام من الليل 4 / 663، 8 / 116
 رحم الله موسى قد أودى بأكثر 224 / 6
 رحم الله موسى لقد أودى بأكثر من هذا 31 / 8
 رحمة الله على موسى لقد أودى بأكثر 223 / 6
 رحمة الله علينا وعلى موسى لو صبر 611 / 4
 ردوا السائل ولو بظلف محرق 525 / 8
 رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف رجل 481 / 4
 رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل 480 / 4، 6 / 210
 رفع القلم عن ثلاثة 1 / 257، 2 / 189، 5 / 307
 رفعت رأسي يوم أحد وجعلت أنظر 126 / 2
 ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها 465 / 7

دعوة أبي إبراهيم 1 / 416، 8 / 34
 دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت 5 / 128
 دعوة ذي النون إذ دعا ربه 4 / 287، 5 / 563
 دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت 8 / 160
 دعوني ما تركتكم 1 / 362
 دعوني ما تركتكم فإنما هلك 2 / 545
 دعوه وأهريقوا على بوله ذنوباً 3 / 541
 دعوهم يكن لهم بدء الفجور 7 / 359
 دية المعاهد نصف دية الحر 2 / 304
 دينار أنفقت في سبيل الله 1 / 105

- ذ -

ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً 7 / 133
 ذاك إبراهيم 8 / 517
 ذاك شيطان يقال له خنزب 3 / 310
 ذاك صريح الإيمان 1 / 680، 3 / 308
 ذاك عند أوان ذهاب العلم 2 / 495
 ذبحنا يوم خبير الخيل والبغال 4 / 354
 ذروني ما تركتكم 1 / 296
 ذكاة الجنين ذكاة أمه 2 / 393
 ذكر أن جبرئيل جعل يدس في في فرعون الطين 5 / 474، 5 / 617، 8 / 332
 ذلك شيطان يقال له خنزب 1 / 64، 1 / 664، 3 / 624
 ذهب المفطرون اليوم بالأجر 1 / 503

- ر -

رؤيا الرجل المسلم الصالح 3 / 659
 رأى جبريل عليه السلام له ست مئة جناح 7 / 479
 رأى رجلاً يصلي 1 / 103
 رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق 2 / 519
 رأيت ابن عمر رضي الله عنهما أتى على رجل قد أناخ 5 / 193
 رأيت الليلة غنماً سوداً 8 / 47

سبعة يظلهم الله في ظله 1/ 655، 4/ 135، 4/ 515، 6/ 562

سبق درهم مئة ألف درهم 7/ 599

سبوح قدوس رب الملائكة والروح 7/ 684

ستر ما بين الجن وعورات 1/ 69

ستصالحون الروم صلحاً آمناً 3/ 629

ستكون هجرة بعد هجرة 5/ 680

سجدنا مع النبي ﷺ في إذا السماء انشقت 8/ 385،

8/ 392، 8/ 503

سقطت قلادة لي بالبذاء 2/ 418

سل الله العافية 5/ 283

سلوا الله العفو والعافية 5/ 284

سلوا عما شتم 1/ 340

سلوني عما شتم 2/ 79

سمع معاوية يحدث رهطاً 6/ 5

سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول ترمي بشر

8/ 304

سمعت النبي ﷺ يأمر في من زنى ولم يحصن 5/ 308

سمعت النبي ﷺ يقرؤها : فروح وريحان 7/ 584

سمعت النبي ﷺ يقرأ في الفجر إذا الشمس كورت 8/

350

سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور 7/ 450،

7/ 461

سمعت النبي ﷺ يقرأ والتين والزيتون في العشاء 8/

492

سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية : إن الله يأمركم 2/

271

سمعت طاووساً عن ابن عباس أنه سئل 7/ 157

سمعت عبد الله يقرأ فهل من مذكر 7/ 515

سمعت يزيد بن عامر السوائي وكان شهد 3/ 454

سموا عليه أنتم وكلوا 3/ 43

سهر رسول الله ﷺ مقدمه المدينة ليلة 2/ 499

سورة تبارك هي المانعة من عذاب القبر 8/ 126

سورة من القرآن ما هي إلا ثلاثون آية 8/ 125

سيحان وجيحان والفرات 4/ 371

رمقت النبي ﷺ شهراً وكان يقرأ في الركعتين 8/ 584

رويداً يا بلال يتسحر علقمة 1/ 512

-ز-

زوجنيك الرحمن من فوق عرشه 3/ 174، 5/

217، 6/ 181

زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة 8/ 543

زينوا القرآن بأصواتكم 1/ 50، 5/ 124، 8/ 232

-س-

سئل النبي ﷺ عن الوسوسة 3/ 308

سئل أبو موسى الأشعري عن ابنة وابنة ابن 2/ 380

سئل رسول الله ﷺ عن أشياء كرهها 2/ 544

سئل عطاء تاجر له مال 1/ 653

سافروا تصحوا 6/ 17

سأل أهل مكة النبي ﷺ آية 3/ 624

سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق 7/ 509

سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا 4/

224، 4/ 510

سألت النبي ﷺ عن نظرة الفجأة 5/ 340

سألت أبي بن كعب عن المعوذتين 8/ 610

سألت جبريل أي الأجلين قضى موسى 5/ 608

سألت ربي ثلاثاً فأعطاني 2/ 645

سألت ربي مسألة ووددت أني لم أسأله 8/ 479

سألت رسول الله ﷺ عن قوله : يوم تبدل الأرض 4/

675

سألت عائشة أم المؤمنين بأي شيء كان نبي الله 6/

668

سألت عائشة بأي شيء كان يفتح رسول الله 7/ 465

سألت عائشة : كم كان صداق نساء النبي 6/ 194

سألت مجاهداً عن سجدة في «ص» 6/ 519

سباب المسلم فسوق 4/ 667

سبحان الله إن المؤمن لا ينجس 3/ 457، 7/ 580

سبحان الله يا أبا هريرة إن المؤمن لا ينجس 2/ 254

سبعة يظلهم الله تعالى في ظله 3/ 445

صلاة الضحى صلاة الأوابين 4/ 483، 6/ 510
صلاة الوسطى صلاة العصر 1/ 613
صلاة في مسجد بقاء كعمرة 3/ 558
صلاة فيه أفضل من ألف صلاة 3/ 557
صلة القرابة مثراً 1/ 319، 1/ 556، 2/ 241
صلوا على النبيين إذا ذكرتوني 6/ 479
صلوا على أنبياء الله ورسله 2/ 675، 4/ 351، 6/ 479

صلوا على صاحبكم 3/ 570
صلوا علي واجتهدوا في الدعاء 6/ 479
صلوا في مريض الغنم 8/ 430
صلى النبي ﷺ في خوف الظهر 2/ 321
صلى بنا رسول الله ﷺ آمن ما كان بمنى 2/ 317
صليت بأصحابك وأنت جنب 2/ 225
صليت خلف رسول الله 1/ 67
صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة 1/ 78
صليت مع النبي ﷺ وسلم فافتتح 2/ 174
صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ 8/ 384
صليت مع رسول الله 1/ 67
صليت مع رسول الله ﷺ العتمة فقرأ فيها والتين 8/ 492

صلينا مع رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة 2/ 317
صنائع المعروف تقي مصارع السوء 1/ 657، 8/ 199

صنائع المعروف تقي مصارع السوء والصدقة خفياً 1/ 657
صنائع المعروف تقي مصارع السوء والآفات 6/ 459

صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاماً 2/ 252
صنفان من أمتي لن تنالهما شفاعتي 3/ 607، 4/ 377، 7/ 484

- ض -

ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما 7/ 674
ضحى النبي ﷺ بكيشين أملحين 5/ 189، 6/ 445

سيد الاستغفار أن يقول العبد 6/ 459، 8/ 218
سيروا هذا جمدان سبق المفردون 6/ 177
سيكون بعدي فتن يكون فيها 3/ 405
سيكون في آخر الزمان شرطة 3/ 673
سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر 6/ 21
سيكون قوم يعتدون في الدعاء 3/ 180
سيوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج 4/ 622

- ش -

شاهت الوجوه 3/ 342، 3/ 452
شر ما في رجل شح هالـ 8/ 186
شغلنا المشركون يوم الخندق 6/ 157
شغلونا عن الصلاة الوسطى 1/ 614
شق ذلك على المسلمين 1/ 43
شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله 8/ 23
شهدت معاوية بن أبي سفيان وهو يسأل 6/ 444
شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً 2/ 133
شيبني هود والواقعة 4/ 5
شيبني هود والواقعة والمرسلات 7/ 556
شيبني هود والواقعة والمرسلات 8/ 296، 309، 350

شيبني هود وأخواتها 4/ 5، 4/ 92

- ص -

صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح 8/ 205
صام رسول الله ﷺ حتى إذا بلغ الكديد الماء 3/ 478
صدق الخبيث 1/ 636
صدق الله ورسوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة 8/ 84
صدقت أم طليق لو أعطيتها الجمل كان في سبيل الله 3/ 505

صدقة تصدق الله بها عليكم 2/ 316
صدقت ذلك مدد من السماء الثالثة 3/ 335
صل قائماً فإن لم تستطع 2/ 159، 4/ 32
صلاة الأوابين حين ترمض 6/ 510
صلاة الجماعة أفضل 1/ 225

عرضت علي الأمم فجعل يمر النبي 682 / 3

عرضت علي الأمم فرأيت 96 / 2

عرضت علي الجنة 164 / 1

عرضنا على النبي ﷺ يوم قريظة 188 / 2

عشر من الفطرة 387 / 1

عقل شبه العمد مغلظ 302 / 2

علام يقتل أحدكم أخاه 583 / 4

علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة 281 / 3

على أن لا يأتيك منا رجل 15 / 8

على جسر جهنم 11 / 7

على رسلكما إنها صفية بنت حيي 627 / 8

على ظهر كل بعير شيطان 46 / 4، 186 / 7

على كل رجل مسلم في كل سبعة أيام 53 / 8

على ما توقد هذه النيران 79 / 3

عليك السلام ورحمة الله وبركاته 58 / 1

عليك باتقاء الله ولا تحقرن من المعروف 307 / 3

عليك بالخيال فارتبطها 400 / 3

عليك بحسن الكلام وبذل الطعام 285 / 5

عليك بكثرة السجود لله 317 / 3

عليكم بالثياب البيضاء فالبسوها 147 / 3

عليكم بالجهاد في سبيل الله 1 / 557، 1 / 625، 2 / 293

عليكم بقيام الليل 438 / 5

عليكم بقيام الليل فإنه دأب 601 / 6

عن أنس بن مالك عن هذه الآية: تتجافى جنوبهم 6 / 114

عن رجل من أصحاب النبي: وإن تبدوا 681 / 1

عند الله خزان الخير والشر 73 / 5، 6 / 498، 7 / 7

عينان لا تمسهما النار 419 / 7

-غ-

غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر 154 / 6

غدوة في سبيل الله أو روحه 5 / 403، 6 / 548

غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح 3 / 502

ضرس الكافر مثل أحد 2 / 268

ضع يدك على الذي يآلم 1 / 69

-ط-

طائر كل إنسان في عنقه 4 / 468

طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة 8 / 94

طوبى شجرة في الجنة 4 / 226، 7 / 547

طوبى للشام إن ملائكة الرحمن باسطة 5 / 116

طوبى لهم وحسن مآب شجرة غرسها الله 4 / 226، 7 / 547

طوفي من وراء الناس وأنت راكبة 7 / 450

طول القنوت 6 / 598

-ع-

عادني النبي ﷺ وأبو بكر في بني سلمة 2 / 193

عجب الله من قوم يدخلون الجنة 2 / 74

عجب ربك من قوم يقادون 1 / 638

عجب ربنا من رجلين 6 / 115

عجباً لأمر المؤمن 1 / 448، 3 / 616، 6 / 253، 7 / 169

عجباً لأمر المؤمن إن أمره 4 / 20، 6 / 51

عجباً للمؤمن لا يقضي الله له شيئاً 3 / 617، 4 / 21، 4 / 123، 4 / 254، 5 / 597، 6 / 51

عجبت لأمر المؤمن 3 / 209، 3 / 616

عجبت لصبر أخي يوسف وكرمه 4 / 139، 4 / 144

عجبت للمؤمن إن الله تعالى لم يقض 2 / 225، 6 / 253، 6 / 596

عجبت للمسلم إذا أصابته 4 / 21، 6 / 51

عجبت للمسلم إذا أصابته مصيبة 3 / 616، 4 / 122، 4 / 254، 5 / 597، 6 / 253، 6 / 82، 8 / 596

عرجت في الجو 1 / 80

عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته 8 / 481

عرضت على النبي ﷺ يوم أحد 2 / 188

غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد /3
227

غزونا مع رسول الله ﷺ لست عشرة /1 502
غزونا مع رسول الله ﷺ وكان معنا أناس من الأعراب
67 /8

غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم /8 53، 54
غير الدجال أخوف على أمتي من الدجال /2 474
غير أولي الضرر /2 310

- ف -

فاتقوا الله في النساء /1 585
فاستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر وعلياً /7 656
فاعتزلها حتى تكفر عنك /7 640، 641
فانطلق حتى إذا نصف الطريق /2 641
فانظري أين أنت منه فإنما هو جنتك و نارك /2 236
فاتيت على يوسف فسلمت فقال مرحباً بك /4 133
فاتينا السماء السابعة /7 453
فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقرياً /7 553
فاعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً الصلوات الخمس /4
459

فأعني على نفسك بكثرة السجود /2 280
فألهمها فجورها وتقواها قال: اللهم إيت نفسي
تقواها /8 464

فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله /5 479
فأمر بالبئر فدفت /8 617
فأنا أحق بموسى منكم /3 675
فأنزل الله: لا يكلف الله نفساً إلا وسعها /6 137
فأهويت يدي إلى كنانتي /2 404
فأوحى الله إلي ما أوحى /7 172
فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه /8 85
فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه /2 13
فإذا طهرت فاعسلي موضع الدم /2 399
فإذا كان الرجل السوء قال: أخرجني /3 8، 3
323 /7، 392
فإن الرجل المسلم إذا م يقوم /2 295

فإن السماوات السبع /1 181
فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة /8 230
فإن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة
240 /8

فإن طفلاً رأى رؤيا أخبر بها /1 149
فإن كان خوف هو أشد من ذلك صلوا /1 615
فإن كل محدثة بدعة /1 378
فإن هذا اليوم الحج الأكبر /1 535
فإنما تركها من جرائي /3 109
فإنه لا يجني عليك ولا تجني عليه /1 441
فإنه لا يرمى به لموت أحد أو لحياته /6 259
فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل /8 577
فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش /6 93، 6
348

فإني أحب أن أسمعه من غيري /2 175
فبعث رسول الله ﷺ في طلبهم كافة /2 452
فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء /8 245
فبينما هو كذلك إذ بعث الله /2 54، 7 /206
فتزوج فإن خير هذه الأمة /2 22
فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه /8 207
فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى /7 224
فحاصروهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء /7
666

فدعا عمر ليعثه إلى مكة /7 345
فذلك مثل من أطاعني فاتبع /5 621
فرض الله الصلاة على لسان نبيكم ﷺ في الحضر /1
615

فرضت الصلاة ركعتين ركعتين /2 317
فرغ الله إلى كل عبد من خمس /3 38
فرغ الله عز وجل إلى كل عبد من خمس /2 635، 3
490، 4 /234، 4 /362، 5 /571، 7 /318
فرغ الله من المقادير وأمر الدنيا /2 635، 3 /38
فرغ الله من أربع /3 38، 3 /284، 7 /318
فرغ لي البيت المعمور /7 476
فرفعت رأسي فإذا بسحابة قد أظلنتني /3 593

فلما أصابهم الرفاهية عادوا 226 / 7
 فلما خفف الله تعالى عنهم من العدة 407 / 3
 فلما دخلها ومضى لأجل 369 / 7
 فلما غشيها من أمر الله 479 / 7
 فلما فتح علونا السماء الدنيا 460 / 4، 477 / 7، 560
 فلما قدم عليه ألقى له وسادة 430 / 4
 فلولا أخذتم مسكها 79 / 3
 فمن أحب أن يزحزح عن النار 150 / 2
 فنأتي باب الجنة فأخذ بحلقة الباب 174 / 3
 فندب رسول الله ﷺ الناس 382 / 3
 فهل لك من والديك أحد حي 652 / 4
 فهل من مذكر 515 / 7
 فوالذي نفسي بيده لو طوقت ذلك 170 / 2
 فويل للذين يكتبون 311 / 1
 في الأنف الدية إذا استوعب جدعه 469 / 2
 في الإنسان ثلاث مئة وستون مفصلاً 99 / 7
 في الإنسان ستون وثلاث مئة مفصل 510 / 6
 في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها 237 / 4
 في الجنة غرفة يرى ظاهرها 438 / 5
 في الجنة مئة درجة ما بين كل درجتين 37 / 5
 في أمتي كذابون ودجالون 6 / 3
 في قول الله عز وجل : ما قطعتم من لينة 668 / 7
 في قوله تبارك وتعالى : إن الذين ينادونك 381 / 7
 في قوله تعالى : فإذا نقر في الناقور 16 / 7
 في قوله تعالى : لقد رضي الله عن المؤمنين 355 / 7
 في قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا 10 / 8
 في قوله عز وجل : ضرب الله مثلاً عبداً 405 / 4
 في قوله عز وجل : ولنذيقنهم من العذاب 225 / 7
 في قوله : فكان قاب قوسين أو أدنى 473 / 7
 في كل قرن من أمتي سابقون 561 / 7
 في نزلت : ولا تطرد الذين يدعون ربهم 39 / 4، 4
 487 / 5، 575
 في هذه الأمة خسف ومسح 290 / 1، 383 / 4، 4
 519

فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى 464 / 4
 فصوروه أنتم 247 / 1، 40 / 5
 فضل العالم على العابد 196 / 1، 83 / 5، 5
 304 / 6، 547
 فضل العلم خير من فضل العبادة 84 / 5، 547 / 5،
 303 / 6
 فضل الله قريشاً بسبع خصال 562 / 8، 563 / 8
 فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد 526 / 4
 فضلت بأربع جعلت لي 122 / 2
 فضلت على الأنبياء بخمس 122 / 2، 593 / 2، 3
 410 / 3، 262
 فضلت على الأنبياء بست 30 / 2، 592 / 2، 3
 185 / 6، 397 / 5، 410
 فضلنا على الناس بثلاث 258 / 2، 389 / 6
 ففي الجدين قيس نزلت هذه : ومنهم من يقول ائذن لي
 492 / 3
 فقال - أي أبو جهل - لقد علم أني أكثر هذا الوادي
 501
 فقال له النجاشي أي لجعفر بن أبي طالب 634 / 4
 فقال المشركون هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى 7
 368
 فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله والله لا تنقلب 318 / 5
 فكانت السنة بعدهما أن يفرق بين المتلاعنين 5
 316
 فكلوا وادخروا وتصدقوا 195 / 5
 فكنت أخدم رسول الله 305 / 1
 فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل
 أصحابه 68 / 8
 فلا جهاد ولا صدقة فيم تدخل الجنة 341 / 3
 فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة 186 / 5
 فلعلكم تأكلون متفرقين 384 / 5
 فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس 536 / 1
 فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة 649 / 2
 فلما التقينا نحن وأصحاب رسول الله 453 / 3
 فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى 153 / 2

قال الله تبارك وتعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتني /5

600

قال الله تعالى : إذا أحب عبدي لقائي /4 ، 257 ، 4

361

قال الله تعالى : كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك /4

266

قال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا أجمع /3 ، 269 ،

179 /4

قال الله تعالى : يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة /4 ، 266

قال الله تعالى : يا ابن آدم مهما عبدتني /2 ، 262 ، 4

258

قال الله تعالى : يا عبادي إني حرمت الظلم /5 ، 510

قال الله تعالى : الكبرياء ردائي /5 ، 224 ، 227

قال الله تعالى : أنا أغني الشركاء /4 ، 626 ، 6

574 /8 ، 579 /6 ، 291

قال الله تعالى : إني خلقت عبادي حنفاء /3 ، 46 ، 3

276

قال الله تعالى : حقت مجبتي /6 ، 515 ، 527 /7

قال الله تعالى : كذبني ابن آدم /3 ، 22 ، 4 ، 425 ، 7

608 /8 ، 188

قال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي /8

189

قال الله تعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني /3

84

قال الله تعالى : يسب ابن آدم الدهر /7 ، 257

قال الله تعالى : يشتمني ابن آدم /7 ، 411

قال الله تعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتني /4 ، 57

قال الله تعالى : الكبرياء ردائي /1 ، 276 ، 6 ، 321 ،

428 /6

قال الله تعالى : الكبرياء ردائي فمن نازعني /2 ، 673 ،

674 /6 ، 584 /6

قال الله تعالى : الكبرياء ردائي والعظمة إزاري /2

673

قال الله تعالى : الكبرياء ردائي والعز إزاري /2

673 ، 584 /6 ، 674 /6 ، 264 /7 ، 685 /7

فيأتون نوحاً ﷺ فيقولون يا نوح /5 ، 487

فيأتوني فيقولون يا محمد أنت رسول الله /7 ، 337

فيأتيه ملكان شديداً الانتهاز /5 ، 636

فيجلس الرجل الصالح في قبره /5 ، 637 ، 7 ، 474

فيرد إلى الأرض وتعاد روحه /6 ، 62

فيستفتحون له فيفتح لهم /3 ، 139

فيشيعة من كل سماء مقربوها /8 ، 378

فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملائكة /8 ، 181

فيضربه ضربة أخرى فيصبح /7 ، 540

فيفرج له فرجة قبل النار /4 ، 372

فيقال لا مرحباً بالنفس الخبيثة /8 ، 274

فيقول الله تعالى : اذهبوا فمن وجدتم /2 ، 249

فيقول الملك : أي رب ذكر أم أنثى /4 ، 200

فيكون عيسى بن مريم في أمتي حكماً عدلاً /2 ، 367

فيلقى العبد فيقول أي فل ألم أكرمك /4 ، 673 ، 5

62 ، 111 /6 ، 543 /7

فيما سقت الأنهار والغيم العصور /3 ، 70 ، 471

فيما سقت السماء والعيون /3 ، 70 ، 471

فيما نزلت معشر الأنصار : ولا تنازروا /7 ، 391

فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي /7 ، 585

فيها ما لا عين رأت /1 ، 62

فيهم المستبصر والمجبور /6 ، 437

-ق-

قاتل الله قوماً يصورون ما لا يخلقون /7 ، 685

قاتل الله يهوداً حرمت عليهم الشحوم فباعوها /3 ، 83

قاتلهم الله أما والله لقد علموا /2 ، 404

قاربوا وسددوا فإنه ليس أحد منكم /7 ، 618

قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم /2 ، 338

قال الله : ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك /3 ، 60

قال الله تبارك وتعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتني /3

441

قال الله تبارك وتعالى : أنا أغني الشركاء /5 ، 635

قال الله تبارك وتعالى للجنة : أنت رحمتي /7 ، 262

قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي 188 / 6
قال الله عز وجل : إني خلقت عبادي حنفاء 335 / 2 ،
462 / 8 ، 663 / 2

قال الله عز وجل : عبدي أنا عند ظنك 90 / 2
قال الله عز وجل : وعزتي لا أجمع لعبدي أمين 5 /
582

قال الله عز وجل : وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي
569 / 8 ، 108 / 5
قال الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق 5 /
226

قال الله عز وجل : يا عبادي إنما هي أعمالكم 233 / 7
قال الله عز وجل : يسب ابن آدم الدهر 572 / 3
قال الله : أعددت لعبادي الصالحين 370 / 4
قال الله : أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي 2 / 89 ، 2 /
90

قال الله : إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة 681 / 1
قال الله : إذا هم عبدي بحسنة 681 / 1
قال الله : إذا هم عبدي بسيئة 681 / 1
قال الله : قد فعلت 137 / 6

قال الله : كذبي ابن آدم ولم يكن له ذلك 4 / 196 ، 4 /
557 / 4 ، 654
قال الله : نعم 685 / 1

قال الله : يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات 4 / 342
قال الله : يا ملك الموت 453 / 1
قال آدم عليه السلام 203 / 1 ، 243 / 3
قال أبو جهل : اللهم إن كان هذا هو الحق 3 / 362 ،
180 / 8

قال أبو لهب - لعنه الله - للنبي ﷺ تبال لك سائر 8 / 594
قال تعالى : يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها 5 /
584

قال جبريل يا رسول الله متى تقوم الساعة 8 / 337
قال جبريل : يا محمد عش ما شئت فإنك ميت 8 /
387

قال رجل في غزوة تبوك في مجلس 3 / 509
قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد 2 / 164

قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين 4 / 149 ،
6 / 115 ، 6 / 649 ، 7 / 30 ، 7 / 156 ، 7 /
210

قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء 7 / 12 ، 2 / 247 ،
4 / 599 ، 5 / 406

قال الله تعالى : إني خلقت عبادي حنفاء 2 / 579 ،
4 / 250

قال الله تعالى : عبدي إذا ذكرتني 1 / 446
قال الله تعالى : كذبي ابن آدم 1 / 377 ، 4 / 376 ،
4 / 673 ، 6 / 43

قال الله تعالى : لا يذكرني عبد في نفسه 1 / 447
قال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا أجمع لعبدي 4 /
46 ، 4 / 197 ، 6 / 428

قال الله تعالى : ومن أظلم ممن ذهب يخلق 7 / 685
قال الله تعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتني 6 / 579
قال الله تعالى : يا ابن آدم مهما عبدتني 6 / 579
قال الله تعالى : يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار
6 / 80

قال الله تعالى : يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري 4 / 55
قال الله تعالى : يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي
4 / 596 ، 6 / 36

قال الله تعالى : يا عبادي لو أن أولكم 5 / 548
قال الله تعالى : يا عبادي إني حرمت الظلم 2 / 95
قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له 1 / 496

قال الله عز وجل : أنا الرحمن وهي الرحم 4 / 229
قال الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين 5 / 138
قال الله عز وجل : أنا الرحمن وهي الرحم 5 / 434

قال الله عز وجل : أنفق أنفق عليك 4 / 17
قال الله عز وجل : الكبرياء ردائي والعزة إزاري 5 /
7 / 685 ، 226

قال الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين 5 /
451

قال الله عز وجل : أنا الرحمن خلقت الرحم 7 / 321
قال الله عز وجل : أنا أغنى الشركاء عن الشرك 5 /
636

قال أفلح من هدي إلى الإسلام 423 / 4
 قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبك 314 / 5
 قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك 507 / 8
 قد جمع الله لك ذلك كله 333 / 6
 قد سألت الله لآجال مضروبة 200 / 4
 قد علمت أنه رجل كبير 601 / 1
 قد فعلت و لكن غفر لك بإخلاصك 568 / 2
 قدر الله المقادير قبل أن يخلق 2 / 635، 3 / 38، 3 /
 490، 8 / 419
 قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء فطلبهم 8 /
 470
 قدم رسول الله ﷺ فطاف 1 / 394
 قدم رسول الله ﷺ وأصحابه فقال المشركون 7 / 367
 قدم رسول الله ﷺ يوم الفتح 1 / 398
 قدم ركب من بني تميم على النبي 7 / 378
 قدم على أبي موسى معاذ بن جبل باليمن 4 / 430
 قدم عيينة بن حصن 3 / 306
 قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش 8 / 581
 قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام 7 /
 383
 قرأ ابن عباس : ألا إنهم يشنون صدورهم 4 / 13
 قرأ النبي ﷺ النجم بمكة 5 / 209
 قرأ النبي ﷺ يوم فتح مكة سورة الفتح 7 / 334
 قرأ أبو سعيد الخدري : واعلموا أن فيكم رسول الله
 7 / 384
 قرأت على النبي ﷺ والنجم فلم يسجد 7 / 502
 قرصت نملة نبياً من الأنبياء فأمر 5 / 540
 قرن ينفخ فيه 2 / 656
 قضى رسول الله ﷺ أن أعيان بني الأم 2 / 199
 قضى رسول الله ﷺ بالدين قبل الوصية 2 / 197
 قطع على أهل المدينة بعث 2 / 312
 قعدنا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا 8 / 26
 قفوا على مشاعرهم 1 / 537، 5 / 187
 قل آمنت بالله ثم استقم 4 / 92، 7 / 116
 قل آمنت بنبيك الذي أرسلت 1 / 267

قال رجل : لأتصدقن الليلة 1 / 660
 قال رسول الله ﷺ لعمه عند الموت قل لا إله 5 / 628
 قال سليمان بن داود عليهما السلام لأطوفن الليلة 4 /
 572
 قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة 6 / 244، 6 /
 530
 قال عمر بن الخطاب يوماً لأصحاب النبي 1 / 651
 قال عمر رضي الله عنه : وافقت الله في ثلاث 1 / 393
 قال عمر : وافقت ربي في ثلاث 1 / 393
 قال في المزمّل : قم الليل إلا قليلاً 8 / 231
 قال في قوله تعالى : فإذا نقر في الناقور 2 / 656، 5 /
 578
 قال كعب : لم أتخلف عن رسول الله في غزوة 3 /
 574
 قال له ابنه عبد الله بن عبد الله والله لا تنقلب 8 / 68
 قال لي ابن عباس رضي الله عنهما تعلم آخر سورة 8 /
 588
 قال لي أبي بن كعب : كأين تقرأ سورة الأحزاب 6 /
 127
 قال لي أبي بن كعب : كم تعدون سورة الأحزاب 6 /
 127
 قال لي عمر هل تعرف ما يهدم الإسلام 5 / 374
 قال : أملك 1 / 319
 قال : أن تخشى الله كأنك تراه 6 / 73
 قال : خذها فلعمري لمن أكل 1 / 58
 قالت الأنصار للنبي ﷺ أقسم بيننا وبين إخواننا 7 /
 672
 قالت النار : رب أكل بعضي بعضاً 6 / 300
 قالت امرأة من النسوة ما هذا المعروف 8 / 22
 قالت قريش لليهود أعطونا شيئاً نسأل عنه 4 / 534
 قالوا يا رسول الله أناكل ما نقتل 3 / 44
 قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ما ترك شيئاً 6 / 220
 قد اجتمع في يومكم هذا عيدان 6 / 444
 قد أجزنا من أجزت 3 / 434
 قد أفلح من أسلم 4 / 422، 4 / 589

قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد 4/ 64،
208/ 6

قولوا: الله أعلى وأجل 2/ 123

قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك 6/
207

قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته 6/
207

قوموا إلى جنة عرضها السماوات 2/ 293، 3/ 405
قوموا فانحروا ثم احلقوا 1/ 526

قومي فأوترى يا عائشة 8/ 116

قيدوا العلم بالكتاب 8/ 500

قيل لنبى إسرائيل: وادخلوا الباب سجداً 1/ 265،
264/ 3

قيل لنبى إسرائيل 1/ 39

قيل لنبى إسرائيل ادخلوا الباب سجداً 1/ 266

قيل للنبى ﷺ لو أتيت عبد الله بن أبي 7/ 386

- ك -

كاد الخير أن يهلكا 7/ 379

كاد يصيبنا بلاء في خلافك 3/ 408

كان ابن الزبير يقول في دبر كل صلاة 7/ 48

كان الجن يصعدون إلى السماء 8/ 217

كان الجوّاري إذا نكحوا يمرون 8/ 58

كان الرجل فيمن قبلكم يحفره في الأرض 3/ 465

كان الرجل يجامع امرأته 4/ 13

كان الرجل يذنب فيقول 1/ 523

كان الرجلان من أصحاب النبى ﷺ إذا التقيا لم يفترقا
549/ 8

كان الفضل بن عباس رديف رسول الله 5/ 344

كان القراء أصحاب مشورة عمر 2/ 134

كان الكتاب الأول ينزل من باب 2/ 16، 6/ 634

كان اللات رجلا يلت سوق الحاج 7/ 480

كان المستفتح يوم بدر أباجهل 3/ 344

كان المسلمون في شهر رمضان 1/ 508

قل ربي الله ثم استقم 7/ 116

قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له 5/ 560، 7/ 81،
481/ 7

قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً 4/ 626

قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن 8/ 583، 8/ 603

قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي 8/ 604

قل يا أبا الوليد أسمع 7/ 94

قلت لابن عباس أولى لك فأولى 8/ 275

قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة الأنفال 3/
323، 312

قلت لابن عباس سورة التوبة 3/ 423

قلت لابن عباس سورة التوبة 7/ 659

قلت لابن عباس سورة الحشر 7/ 659

قلت لأبي بن كعب إن أخاك عبد الله بن مسعود يقول
من يقيم 8/ 508

قلت لسلمة بن الأكوع على أي شيء يابعتهم 7/ 346

قلت لعائشة فأين قوله ثم دنا فتدلى 7/ 473

قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرني بأشد ما
صنع 7/ 57

قلت لعثمان هذه الآية التي في البقرة 1/ 617

قلت للبراء: الرجل يحمل على المشركين 2/ 292

قلت يا رسول الله أذكر الرجال في كل شيء 6/ 172

قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسى لموسى 3/
235

قلوبهم قلب واحد يسبحون 5/ 174

قم يا بلال فأرحنا بالصلاة 5/ 241

قول الجن لقومهم لما قام عبد الله يدعو 8/ 223

قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك 4/ 528

قوله تعالى: ولا تطرد الذين يدعون ربهم 4/ 575

قوله: قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرراً 3/ 295

قوله: ويرزقه من حيث لا يحتسب 8/ 95

قولوا الله أعلى وأجل 7/ 309

قولوا اللهم صل على محمد 6/ 207

قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد 8/ 403

كان المسلمون يرغبون في التغير مع رسول الله 382

كان المشركون يقولون لبيك لا شريك لك 4/ 178
كان المهاجرون لما قدموا المدينة 2/ 232، 3/ 415

كان النبي ﷺ إذا اشتكى رقاءه جبريل 8/ 618

كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر صلى 3/ 671

كان النبي ﷺ إذا سلم لم يقعد 7/ 554

كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح 7/ 285

كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي حرّك به لسانه 5/ 269، 8/ 57

كان النبي ﷺ لا يزال يذكر شأن الساعة 8/ 337

كان النبي ﷺ وأصحابه يعفون 1/ 366، 2/ 153

كان النبي ﷺ يتوضأ عند كل صلاة 2/ 415

كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه 7/ 580

كان النبي ﷺ يصلي فجاء أبو جهل 8/ 501

كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة 6/ 103، 8/ 279

كان النبي ﷺ يقول في مرضه 1/ 329

كان النبي ﷺ يكره أن يأتي الرجل أهله طروقاً 8/ 407

كان النداء يوم الجمعة 8/ 52

كان آخر قول إبراهيم عليه السلام حين ألقى 6/ 132

كان آخر ما تكلم به أن قال قاتل الله اليهود 4/ 571

كان أبو برزة الأسلمي كاهناً 2/ 274

كان أبو بكر الصديق إذا ورد عليه أمر 2/ 134

كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام 3/ 14، 7/ 592

كان أحياناً يقرأ بـ ((والسماء ذات البروج)) 8/ 394

كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً 1/ 507

كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء 3/ 79

كان أهل الجاهلية يحرمون ما يحرم 2/ 210

كان أهل الجاهلية يقفون 1/ 535

كان أهل الجاهلية يقولون إنما يهلكنا 7/ 257

كان أهل اليمن يحجون 1/ 532

كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق 2/ 325

كان إذا استوى على بعيره 7/ 186

كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين 8/ 612

كان إذا أراد غزوة ورى بغيرها 8/ 530

كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه 8/ 604

كان إذا رأى ما يحب قال: الحمد لله الذي 6/ 80

كان إذا رأى ناشئاً 7/ 286

كان إذا ركب راحلته كبر ثلاثاً 4/ 45

كان إذا قرأ سبح اسم ربك الأعلى قال 8/ 418

كان إذا مر بأية خوف تعوذ 1/ 384

كان بين آدم ونوح عشرة قرون 5/ 674

كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة 3/ 522

كان تبع رجلاً صالحاً 7/ 232

كان تُعدّ لرسول الله ﷺ في المجلس 6/ 156

كان رجال من الأنصار ممن كان يهل لمناة 7/ 481

كان رجل في غنيمة له 2/ 307

كان رجل ممن كان قبلكم وكان به جرح 2/ 226

كان رجل من الأنصار أسلم 2/ 75

كان رجل يصلي فوق بيته 8/ 277

كان رجل يُقال له مرثد بن أبي مرثد 5/ 310

كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا كنا سفراً 5/ 230

كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً 8/ 146

كان رسول الله ﷺ أمر بصيام يوم عاشوراء 3/ 675

كان رسول الله ﷺ إذا انتبه من الليل 7/ 498

كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه 6/ 662

كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً قرع بين

أزواجه 5/ 319

كان رسول الله ﷺ إذا حزبه 1/ 231، 4/ 342

كان رسول الله ﷺ إذا دحضت الشمس صلى الظهر

468/ 8

كان رسول الله ﷺ إذا دعي لجنابة 3/ 530، 3/ 569

كان رسول الله ﷺ إذا سافر يتعوذ من وعاء السفر 8/

389

كان رسول الله ﷺ أكثر أن يقول في ركوعه وسجوده
592 / 8

كان رسول الله ﷺ أكثر أن يقول في سجوده 4 / 546
كان زكريا نجاراً 4 / 637

كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في نفر فذكروا
409 / 3

كان عبد الله بن أبي بن سلول يقول لجارته 5 / 356
كان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله ﷺ أحجب / 6
201

كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر 8 / 590

كان في بني إسرائيل رجل قتل 2 / 315

كان في بني إسرائيل القصاص 1 / 488

كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ في المعروف 8 / 21

كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات 2 / 215

كان فيمن كان قبلكم رجل قتل 3 / 373

كان قريظة والنضير وكان النضير أشرف 2 / 464

كان قوم من أهل مكة أسلموا 2 / 313، 5 / 670

كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء 2 / 543

كان لا ينাম حتى يقرأ: ألم تنزل السجدة 6 / 103

كان لا ينাম حتى يقرأ: ألم تنزل 8 / 126

كان ملك الموت يأتي الناس عياناً 8 / 182

كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر 8 / 397

كان ملك من الملوك وكان لذلك الملك كاهن 8 / 8

399

كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء 3 / 3

411

كان يبلغني عن أبي ذر حديث 8 / 31

كان يتمثل بشيء من شعر عبد الله بن رواحة 6 / 373

كان يحب أن ينهض إلى عدوه عند زوال 8 / 530

كان يحرك شفتيه إذا أنزل عليه 5 / 57

كان يدعو بهؤلاء الكلمات 3 / 250

كان يدعو عند الكرب 3 / 596

كان يدعو: أعوذ بك من البخل 4 / 402

كان يعجبه الحلواء 4 / 399

كان يقبل بعض أزواجه ثم يصلي 2 / 257

كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل 1 / 61، 7 / 123،
464 / 7

كان رسول الله ﷺ إذا مر بهذه الآية: ونفس وما سواها
464 / 8

كان رسول الله ﷺ إذا نزل منزلاً 2 / 497

كان رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس 1 / 437

كان رسول الله ﷺ قد صلى نحو بيت المقدس 1 / 431

كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل / 6

573

كان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون 1 / 365

كان رسول الله ﷺ يأتي مسجد قباء راكباً 3 / 557

كان رسول الله ﷺ يباشر نساءه 1 / 570

كان رسول الله ﷺ يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنس

613 / 8

كان رسول الله ﷺ يتعوذ يقول: اللهم إني 4 / 401

كان رسول الله ﷺ يدعو على صفوان بن أمية 2 / 110

كان رسول الله ﷺ يسبح على الراحلة 1 / 375

كان رسول الله ﷺ يستحب الجوامع 4 / 287

كان رسول الله ﷺ يصلي 1 / 39

كان رسول الله ﷺ يصلي الصلوات 7 / 556

كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر بالهاجرة 1 / 613

كان رسول الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس 1 / 431

كان رسول الله ﷺ يصلي وهو مقبل 1 / 374

كان رسول الله ﷺ يصوم تسع ذي الحجة 8 / 436

كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول 4 / 450

كان رسول الله ﷺ يقرأ فهل من مذكر 7 / 515

كان رسول الله ﷺ يقرأ في العشاء الآخرة 8 / 458

كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة 8 / 424، 416

كان رسول الله ﷺ يقطع 1 / 71

كان رسول الله ﷺ يقول إذا سافر 7 / 187

كان رسول الله ﷺ يقول بأخرة 7 / 464

كان رسول الله ﷺ يقوم في أصل شجرة 1 / 304

كان رسول الله ﷺ أكثر أن يقول في ركوعه 5 / 431

كانت له ناقة ضارية فدخلت حائطاً 5/ 121
 كانت لي أخت تخطب لي 1/ 599
 كانت مداً ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم 8/ 232
 كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد 6/ 332
 كانوا إذا أحرموا في الجاهلية 1/ 516
 كانوا لا يرضخون لقراباتهم 1/ 659
 كانوا يتقيظون ما بين المغرب والعشاء 6/ 113
 كانوا يتكلمون في الصلاة 1/ 43، 1/ 614
 كانوا يفتتحون الصلاة 1/ 67
 كانوا يفيضون من جمع فدفعوا إلى عرفات 1/ 538
 كأنك تريد أن ترجعي إلى رفاة 1/ 595
 كأنني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة 3/ 536
 كأنني به أسود أفحج 1/ 412
 كتاب الله هو حبل الله الممدود 2/ 91
 كتب الضحاك بن قيس إلى النعمان بن بشير يسأله 8/ 424
 كتب الله مقادير الخلائق 3/ 656، 3/ 680، 5/ 48، 5/ 570، 7/ 619
 كتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب يذكر له 2/ 169
 كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا 4/ 490
 كتب عليكم السعي 1/ 456
 كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا 1/ 353
 كتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود 7/ 662
 كتبت نبياً وأدم بين الروح والجسد 2/ 72
 كذبت يهود وهم على الله أكذب 7/ 70
 كذلك الرسل تبلى ثم تكون لها العاقبة 1/ 555
 كُشف القمر على عهد رسول الله 7/ 509
 كفوا عن القوم إلا أربعة 4/ 446
 كفى بالمرء إثماً 1/ 565، 2/ 86
 كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع 2/ 290
 كل الناس يغدو فبايع نفسه 8/ 471
 كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي 2/ 288، 5/ 25
 كل أهل الجنة يرى مقعده من النار 3/ 159، 6/ 474
 كل أهل الجنة يرى مقعده من النار 3/ 159، 6/ 474

كان يقرأ في الظهر والعصر بـ ((والسما ذات
 البروج)) 8/ 394، 8/ 406
 كان يقرأ في الوتر 8/ 416
 كان يقرأ في ركعتي الفجر 1/ 425
 كان يقرأ فيهما بـ ((ق والقرآن والمجيد)) 7/ 505
 كان يقطع قراءته آية آية 8/ 232، 5/ 563
 كان يقول في دبر كل صلاة 2/ 545، 7/ 423
 كان يقول في ركوعه وسجوده 8/ 44
 كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل 8/ 464
 كان يمد مداً 8/ 232
 كان ينأى أوله ويقوم آخره 2/ 27
 كانا يقولان في الميت ترك بنتاً وأختاً 2/ 381
 كانت الأنصار إذا حجوا فجاؤا ولم يدخلوا 1/ 516
 كانت الأنصار إذا قدموا من سفر 1/ 516
 كانت الأنصار بعيدة 1/ 38، 6/ 332
 كانت الأنصار يتصدقون 1/ 523
 كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة 3/ 146
 كانت المرأة تكون 1/ 638
 كانت المرأة في الجاهلية إذا توفي 2/ 205
 كانت اليهود تقول إذا جامعها 1/ 573
 كانت امرأة تصلي خلف رسول الله 4/ 314
 كانت امرأة مخزومية تستعير متاعاً 2/ 462
 كانت امرأتان معهما ابناهما 5/ 123
 كانت أموال بني النضير مما أفاء الله 7/ 669
 كانت أمة ممن عذر الله 2/ 314
 كانت إحدانا إذا كانت حائضاً 1/ 570
 كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء 2/ 273
 كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر 7/ 683
 كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز 1/ 533
 كانت فارس ظاهرة على الروم 6/ 29
 كانت قريش يطوفون بالبيت 3/ 148
 كانت لعبد الله بن أبي جارية تزني في الجاهلية 5/ 356
 كانت للنبي ﷺ خطبتان يجلس 8/ 58

كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث عن عدة أصحاب بدر
627 /1
كنا بمدينة الروم 522 /1
كنا عند النبي ﷺ فخط خطاً 40 /3
كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار 183 /2
كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مئة 343 /7
كنا مع النبي ﷺ ستة نفر 2 /626، 4 /39، 4 /
488 /5، 576
كنا مع النبي ﷺ في سفر فحضر الأضحى 192 /5
كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان 2 /318، 319
كنا مع رسول الله ﷺ في أصل الشجرة 358 /7
كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فحضر الأضحى 6 /
446
كنا مع رسول الله ﷺ في سفر والناس يتعقبون 8 /
612
كنا مع رسول الله ﷺ في ليلة سوداء 1 /374
كنا مع سعيد بن العاص بطبرستان 2 /321
كنا نتكلم في الصلاة 1 /43، 1 /614
كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية 1 /455
كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل 4 /498
كنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ 8 /576
كنا نغزو مع النبي ﷺ وليس معنا نساء 2 /516
كنا نقول ما لمفتن توبة 6 /677
كنا ننهي أن نحد على ميت فوق ثلاث 1 /606
كنت أكل مع النبي ﷺ في قعب 6 /202
كنت أتعرق العرق وأنا حائض 1 /570
كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن 6 /197
كنت أغسل رأس رسول الله ﷺ 1 /570
كنت أقتل قلائد الغنم للنبي 1 /527
كنت أنا وأمي من المستضعفين 2 /284، 2 /314
كنت أنا ورسول الله ﷺ نبيت 1 /570
كنت جالساً عند القاسم 1 /191
كنت عند النبي ﷺ فأثاءه رجل فقال إني رأيت البارحة
167 /5
كنت عند أنس وعنده ابنة له 6 /196

كل أيام التشريق ذبح 6 /445
كل بالمعروف غير مسرف 2 /190
كل بني آدم يطعن الشيطان 2 /42
كل حلف كان في الجاهلية أو عقد أدركه 2 /232
كل دعاء محجوب حتى يصلي على النبي 6 /211
كل ذنب عسى الله أن يغفره 2 /306
كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة 5 /290، 5 /
291
كل سلامى من الناس عليه صدقة 6 /334، 7 /387
كل شيء ليس من ذكر الله عز وجل فهو لغو 3 /400
كل عرفات موقف 1 /536
كل عرفة موقف وكل منى منح 1 /536
كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة 1 /647
كل غلام رهين بعقيقته 2 /41
كل معروف صدقة 4 /11
كل من مال يتيمك غير مسرف 2 /189
كل مولود يولد على الفطرة 2 /335، 2 /663، 4 /
27، 4 /471، 8 /462
كل نفقة يتفقهها العبد يؤجر فيها 5 /492، 6 /268
كلاكما محسن 1 /35
كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته 3 /128
كلمتان حبيبتان إلى الرحمن 1 /184
كلمتان خفيفتان على اللسان 5 /107، 5 /292،
5 /431، 7 /586، 8 /536
كله أنت وأهلك 7 /639
كلوا واشربوا ولا يهيدنكم 1 /511
كلوا الزيت وادهنوا به 5 /252
كلوا جميعاً ولا تفرقوا 5 /385
كلوا واشربوا والبسوا 3 /72، 3 /147
كلوا وأطعموا واحبسوا 5 /195
كلوا وتصدقوا والبسوا 3 /147
كلوه إن شئتم فإن ذكاته ذكاة أمه 2 /392
كمل من الرجال كثير 2 /46، 8 /123
كن في الدنيا كأنك غريب 7 /607

لا ألفين أحدهم يوم القيامة على رقبته شاة 2/ 136
 لا إله إلا الله ويل للعرب من شر 4/ 394
 لا إله إلا الله الحليم الحكيم 2/ 591، 8/ 45
 لا إله إلا الله الواحد القهار 2/ 638، 2/ 591
 لا إله إلا الله إن للموت سكرات 2/ 279، 7/ 413
 لا إله إلا الله وحده، أعز جنده 6/ 158
 لا إله إلا الله وحده لا شريك له 2/ 591
 لا إله إلا الله ويل للعرب من شر 4/ 622، 5/ 134
 لا بأس بالغنى لمن اتقى 4/ 422
 لا بأس شربت عسلاً عند زينب 8/ 110
 لا بل تشقق عنها ثمر الجنة 4/ 227
 لا بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم 8/ 463
 لا بل عبداً رسولاً 5/ 228، 5/ 408، 6/ 534،
 8/ 481، 7/ 173
 لا بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير 8/ 473
 لا بل هو من أهل الجنة 7/ 380
 لا تؤمنوا حتى تحابوا 3/ 328، 6/ 154
 لا تؤمنوهم وقد خونهم الله 8/ 9
 لا تأكلوا بالشمال 3/ 136، 4/ 426، 5/ 286
 لا تبأشر المرأة المرأة لتنتعتها 5/ 341
 لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام 2/ 295، 3/ 459
 لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن 6/ 74
 لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله 2/ 117
 لا تتمنوا لقاء العدو وإذا لقيتموهم 3/ 386
 لا تجعلوا بيوتكم قبوراً 1/ 79
 لا تجعلوا بيوتكم مقابر 1/ 79
 لا تحاسدوا ولا تباغضوا 7/ 392
 لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا 2/ 346
 لا تحرم المصة ولا المصتان 2/ 215
 لا تحقرن شيئاً من المعروف 6/ 85، 8/ 525
 لا تحقرن من المعروف 1/ 321، 3/ 307، 8/ 525
 لا تحل الصدقة لغني 3/ 500، 3/ 505، 7/ 473

كنت عند عائشة فقلت أليس الله يقول: ولقد رآه 7/ 478
 كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل 3/ 446
 كنت في النجدات فأصبت ذنوباً لا أراها 5/ 668،
 6/ 685
 كنت فيمن تغشاء النعاس يوم أحد 2/ 127
 كنت قيناً في الجاهلية وكان لي 4/ 681
 كنت متكئاً عند عائشة فقالت يا أبا عائشة 5/ 567
 كنت مستراً بأستار الكعبة 7/ 111
 كنت مع النجدات فأصبت ذنوباً 2/ 227
 كنت نائماً في المسجد علي خميسة 2/ 461
 كنت نبياً وأدم بين الروح والجسد 2/ 72
 كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة 6/ 106
 كيف أنت إذا أصاب الناس موت 2/ 446
 كيف أنعم وصاحب الصور 2/ 657، 4/ 504، 6/ 361
 كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم 5/ 49، 8/ 250
 كيف بكم إذا لبستكم 1/ 219، 6/ 304
 كيف بكم وبزمان 2/ 551، 4/ 564
 كيف تجد قلبك 4/ 429
 كيف ترى في قتال الفتنة 3/ 375
 كيف ترى يا عمر أما والله لو قتلت 5/ 318
 كيف تسألون أهل الكتاب 6/ 5
 كيف نسبه فيكم 3/ 592
 كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا 2/ 110

- ل -

لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة 8/ 453
 لا اختلاف بينهم ولا تباغض 8/ 428
 لا أحد أصبر على أذى سمعه 1/ 377، 2/ 505
 لا أحد أغير من الله 2/ 371، 3/ 58، 3/ 93، 3/ 584، 6/ 149
 لا ألفين أحدهم متكئاً على أريكته 6/ 178، 7/ 471

لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت 240 / 2
 لا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل 2 / 412، 8 / 209
 لا تصدقوا أهل الكتاب 1 / 425، 6 / 5
 لا تصف المرأة المرأة 1 / 299
 لا تصلوا في مبارك الإبل 8 / 430
 لا تضربوا إماء الله 2 / 237
 لا تطرقوا النساء ليلاً 8 / 407
 لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم 5 / 397،
 5 / 572
 لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم 2 /
 374، 2 / 507
 لا تطعموهم مما لا تأكلون 1 / 654
 لا تعجبوا بعمل أحد 1 / 200، 8 / 294
 لا تعجبوا بعمل عامل 1 / 200
 لا تعذبوا بعداب الله 4 / 430
 لا تعلموا العلم لتباهوا 1 / 219، 5 / 159
 لا تغضب 2 / 114
 لا تفضلوا بين أنبياء الله 4 / 507، 7 / 15
 لا تفضلوني على الأنبياء 1 / 631
 لا تفكروا في الله وتفكروا 5 / 97، 5 / 157، 6 /
 35، 7 / 246
 لا تقبل صلاة لا امرأة تطيب لهذا المسجد 5 / 350
 لا تقتل نفساً ظلماً 2 / 447، 5 / 673
 لا تقتله فإن قتلته فإنه بمنزلك 3 / 376
 لا تقتلوا الجراد فإنه من جند الله 3 / 227
 لا تقتلوا الضفادع 3 / 228
 لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعداً 2 / 460
 لا تقل تمس الشيطان 8 / 622
 لا تقل عليك السلام فإن عليك السلام تحية الميت
 8 / 248
 لا تقولن ذلك فإن فيهم قرة عين 8 / 85
 لا تقولن زرعت ولكن قل حرثت 7 / 574
 لا تقوم الساعة إلا على شرار 4 / 623
 لا تقوم الساعة إلا وطائفة من أمتي 2 / 438
 لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي 3 / 468، 3 / 514

لا تحل المسألة إلا ثلاث 3 / 504
 لا تحل لزوجها الأول حتى يذوق 1 / 594
 لا تحلفوا بأبائكم 2 / 519
 لا تخبري أحداً وإن أم إبراهيم عليّ حرام 8 / 110
 لا تخيروني على موسى 3 / 241
 لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين 3 / 672، 4 / 292،
 4 / 332، 6 / 436
 لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا 2 / 296، 5 / 386
 لا تدعوا على أنفسكم 3 / 614
 لا تتركوا ما ارتكبت 1 / 290، 3 / 266
 لا تزال جهنم تقول هل من مزيد 2 / 518
 لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد 4 / 102
 لا تزال طائفة من أمتي 1 / 416، 2 / 438، 3 /
 288، 3 / 588، 6 / 122، 8 / 36
 لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله 4 / 177
 لا تزال طائفة من أمتي قوامه على أمر الله 3 / 288
 لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون 5 / 613، 8 / 36
 لا تُزرموه دعوه 5 / 362
 لا تزكوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر 7 / 489
 لا تزوج المرأة المرأة 2 / 220
 لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة 4 / 339
 لا تساب وأنت صائم 1 / 495
 لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء 6 / 6
 لا تسبوا الدهر فإن الله 2 / 33
 لا تسبوا الريح 1 / 467
 لا تسبوا الشيطان وتعوذوا بالله من شره 5 / 286، 8 /
 621
 لا تسبوا أحداً من أصحابي 3 / 544
 لا تسبوا أصحاب محمد 3 / 545
 لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم 7 / 374
 لا تسبوا تبعاً 7 / 232
 لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم 4 / 615
 لا تسموا العنب الكرم 7 / 257
 لا تشتر ولا تعد في صدقتك 3 / 280
 لا تشربوا من مائها شيئاً 3 / 192

لا تطلق لابن آدم فيما لا يملك 6/ 193
لا عدوى ولا طيرة 4/ 468، 5/ 553
لا عليكم أن تعجبوا بأحد حتى تنظروا 3/ 551
لا ما أنتم عليهم ودعوتهم الله لهم 7/ 673
لا هجرة ولكن جهاد ونية 1/ 519، 5/ 583، 8/ 448
لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك 3/ 450، 139/ 6
لا والله لا يلقي الله حبيبه في النار 2/ 433، 7/ 295
لا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة 7/ 577
لا والله ما يلقي حبيبه في النار 6/ 190
لا وجدت وإنما بنيت المساجد 5/ 362
لا ولكن برأباك وأحسن صحبته 5/ 318
لا ومقلب القلوب 5/ 280
لا يؤاخذكم الله باللغو 2/ 520
لا يؤمن أحدكم حتى أكون 3/ 328، 3/ 355، 3/ 449، 6/ 138، 4/ 562
لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه 3/ 328، 4/ 562
لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين 1/ 405، 2/ 406، 5/ 267
لا يأخذ أحد شبراً 1/ 181، 8/ 103
لا يتصدق أحد بتمرة من كسب 1/ 650
لا يتكلفن أحد لضيفه 6/ 568
لا يتم بعد احتلام 2/ 188
لا يتمن أحدكم الموت لضر نزل به 4/ 175
لا يتوارث أهل ملتين 1/ 383، 3/ 417
لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن 2/ 90، 3/ 181، 4/ 324، 5/ 268، 6/ 602
لا يجزي ولد والد إلا أن يجده 3/ 91، 4/ 480، 5/ 668
لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن 3/ 315، 5/ 695
لا يحرم من الرضاع إلا ما فتق 1/ 600، 2/ 215
لا يحرم من الرضاع إلا ما كان في 1/ 600

لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات 5/ 574
لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس 3/ 103، 3/ 540، 6/ 93، 292
لا تقوم الساعة حتى تقتلوا قوماً 3/ 629
لا تقوم الساعة حتى تقتل فتان 6/ 361
لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون 6/ 3
لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس بالمساجد 5/ 361
لا تقوم الساعة حتى يقاتل 3/ 268، 4/ 464
لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم 4/ 384، 4/ 519
لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم 3/ 630
لا تكتحل قد كانت إحداكن تمكث 1/ 618
لا تكرهوا البنات 4/ 393
لا تلبسوا الحرير ولا الديباج 7/ 195، 209
لا تلعنوه فوالله ما علمت 1/ 462
لا تماروا في القرآن 1/ 11
لا تمتنع من شيء أحباء 7/ 281
لا تمنعوا إماء الله أن يصلين في المسجد 5/ 389
لا تنعت المرأة المرأة 1/ 299
لا تواصلوا 1/ 513
لا توطأ حامل حتى تضع 1/ 604
لا حتى تذوقي عسيلته 1/ 595
لا حتى يذوق عسيلتها كما ذاق الأول 1/ 594
لا حتى يكون الآخر قد ذاق من عسيلتها 1/ 594
لا حسد إلا على اثنتين 1/ 52، 1/ 365، 1/ 656، 2/ 231، 5/ 547، 6/ 534، 6/ 535
لا حلف في الإسلام 2/ 232
لا سواء كنا بمكة مستندين 7/ 404
لا شخص أغير من الله تعالى 3/ 58
لا صدقة في اللؤلؤ 1/ 653
لا صلاة بحضرة طعام 2/ 253
لا صلاة لمن لا وضوء 1/ 102
لا ضرر ولا ضرار 2/ 85
لا طاعة لأحد في معصية الله 6/ 14
لا طاعة لبشر في معصية الله 6/ 14
لا طلاق قبل النكاح 6/ 193

- لا يصلين أحداكم وهو حاقن 253 / 2
لا يصيب أحداً من المسلمين 452 / 1
لا يغني حذر من قدر 156 / 4
لا يفرك مؤمن مؤمنة 209 / 2
لا يقاد الوالد بالولد 489 / 1
لا يقتل مسلم بكافر 467 / 2
لا يقيم الرجلُ الرجلَ من مجلسه 648 / 7
لا يقولها أحد حين يمسي 459 / 6
لا يقيم الرجلُ الرجلَ من مجلسه 648 / 7
لا يلج النار رجل بكى من خشية الله 486 / 3
لا يمنعكم أذان بلال عن سحورك 510 / 1
لا يمنعكم من سحورك أذان بلال 511 / 1
لا يمنعن رجلاً هبة الناس أن يقول 482 / 2، 482 / 3
566
لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس 160 / 8
لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس 455 / 6
لا ينظر الرجل إلى عرية الرجل 176 / 6
لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل 200 / 3، 490 / 4
لا ينفعه إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي 248 / 2، 77 / 2
لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله 311 / 5
لا ، كان عمله ديمة وأيكم يطيق 295 / 3
لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون 55 / 2
لا عن النبي ﷺ بين رجل وامرأة من الأنصار 315 / 5
لا يشر أحدكم إلى أخيه بالسلاح 94 / 3
لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن 89 / 2
لا يمين عليك ولا نذر في معصية الرب 580 / 1
لا بعثن إليكم رجلاً أميناً حق 59 / 2
لا بعثن معكم رجلاً أميناً 58 / 2
لا علمن أقواماً من أمتي يأتون يوم القيامة 410 / 5
لا علمنك سورة هي أعظم 55 / 1
لأن أقول سبحان الله 560 / 5، 81 / 7
لأن يمتلئ جوف الرجل قبحاً 517 / 5
لتؤذن الحقوق إلى أهلها 238 / 1، 548 / 1، 2
270، 421 / 2، 616 / 2، 354 / 3، 54 / 5
- لا يحل دم امرئ مسلم 302 / 2، 451 / 2، 2
454، 94 / 3، 95 / 3، 491 / 4
لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر 605 / 1
لا يحل لأحدكم أن يحمل 401 / 1، 85 / 2
لا يحل لرجل أن يعطي عطية 29 / 8
لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث 579 / 3
لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس 354 / 5
لا يحلبن أحد ماشية امرئ 624 / 2
لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها 86 / 2، 349 / 5
لا يدخل الجنة عاق 648 / 1، 281 / 7
لا يدخل الجنة قاطع 416 / 4
لا يدخل الجنة مدمن خمر 529 / 2
لا يدخل الجنة من النساء إلا من 589 / 1
لا يدخل الجنة من كان في 199 / 1، 275 / 1، 2
32، 243 / 2، 364 / 4، 495 / 4، 160 / 5
652 / 5، 20 / 6، 85 / 6، 672 / 6، 276 / 7
لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة 545 / 3
لا يدخل أحداً منكم عمله الجنة 56 / 4، 672 / 6
لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد 466 / 3
لا يرث المسلم الكافر 383 / 1، 417 / 3
لا يرحم الله من لا يرحم الناس 455 / 8
لا يزال العبد في فسحة من دينه 303 / 2، 93 / 3
لا يزال المؤمن معتقاً صالحاً 306 / 2، 93 / 3
لا يزال الناس بخير 510 / 1
لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم 425 / 2
لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله 693 / 5
لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي 563 / 8
لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً 613 / 5
لا يزال يلقى فيها وتقول هل من مزيد 418 / 7
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن 173 / 6
لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر 310 / 2
لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون 2 / 2
309
لا يشكر الله من لا يشكر الناس 483 / 8
لا يشير أحدكم إلى أخيه بالسلاح 506 / 4

لقد حكمت فيهم بحكم الله 159 / 6
 لقد حكمت فيهم بحكم الملك 160 / 6
 لقد رأى ابن الأكوع فرعاً 451 / 3
 لقد رأى هذا ذعراً 360 / 7
 لقد رأيت رسول الله ﷺ بالعرج يصب على رأسه 5 / 231
 لقد رأيت رسول الله ﷺ يوماً على باب حجرني 5 / 341
 لقد رأيتنا ليلة بدر 1 / 231 ، 4 / 342
 لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق 5 / 364
 لقد رأيته في الحجر وقرش تسألني 4 / 458
 لقد رأيته مع رسول الله ﷺ بنيت بيتاً يكتني 5 / 492
 لقد رأيته مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوف 2 / 127
 لقد سألت عن عظيم 6 / 114
 لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد قبلك 8 / 374
 لقد شهدت من المقداد مشهداً 2 / 441
 لقد قرأتها سورة الرحمن على الجن ليلة الجن 7 / 291 ، 7 / 529
 لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر 7 / 394
 لقد كان تنورنا وتنور رسول الله 7 / 403
 لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد 1 / 554
 لقد مزجت بكلمة لو مزج بها البحر 7 / 390
 لقد هممت ألا أقبل هدية إلا من قرشي 3 / 541
 لقد هممت أن أنهي عن الغيلة 8 / 356
 لقلب ابن آدم أشد انقلاباً 1 / 121
 لقي ابن عباس كعباً بعرفة 7 / 474
 لك بها يوم القيامة سبع مئة 1 / 647
 لكل غادر لواء عند استه 4 / 367 ، 4 / 418 ، 5 / 244
 لكل غادر لواء يعرف 4 / 367
 لكل غادر لواء يوم القيامة 4 / 417 ، 5 / 244 ، 8 / 190
 لكل قرن من أمتي سابقون 3 / 545

212 / 5 ، 521 / 5 ، 623 / 7 ، 323 / 8 ، 354
 لتأخذوا مناسككم فإنني لا أدري 1 / 456
 لتتبعن سنن الذين من قبلكم 1 / 296 ، 3 / 468 ، 514
 لتحملن شرار هذه الأمة على سنن 3 / 468
 لتركين سنن من كان قبكم 2 / 496 ، 3 / 468 ، 50 / 8 ، 514
 لتركين طبقاً على طبق حالاً بعد حال 8 / 391
 لتلبسها أختها من جلبابها 6 / 215
 لروحة في سبيل الله أو غدوة خير 7 / 549
 لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل 2 / 306 ، 491 / 4
 لعل الله اطلع على من شهد بدرأ 3 / 411
 لعل على صاحبكم ديناً 7 / 493
 لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة 5 / 629
 لعن الله السارق 2 / 460
 لعن الله العقرب لا تدع مصلياً ولا غيره 8 / 583
 لعن الله المحلل 1 / 595
 لعن الله الواشمات 2 / 335 ، 7 / 670
 لعن الله الواصلة والمستوصلة 8 / 22
 لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم 3 / 82
 لعن الله من ذبح لغير الله 2 / 400 ، 2 / 649 ، 3 / 111
 لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة 6 / 169
 لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال 6 / 169
 لعن رسول الله ﷺ أكل الربا وموكله 1 / 666
 لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور 8 / 543
 لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا 4 / 570
 لغدوة في سبيل الله 1 / 166 ، 7 / 238
 لقد أخذ الله بصرها عني 8 / 598
 لقد أعذر الله إلى عبد أحياء حتى بلغ ستين أو سبعين 5 / 156
 لقد أنزلت عليّ الليلة سورة 7 / 333
 لقد أنزلت عليّ آيتان هما أحب إليّ 7 / 333 ، 339

لما أغرق الله فرعون 1/ 246، 3/ 232، 3/ 674،
 473/ 8، 333/ 5
 لما أنزل الله عز وجل ولا تقرّبوا مال اليتيم 1/ 566
 لما أنزل على رسول الله ﷺ إذا جاء نصر الله والفتح
 593/ 8
 لما تلا رسول الله ﷺ القصة التي نزل بها عذري 5/
 333
 لما توفي أبو قيس بن الأسلت أراد ابنه 2/ 206
 لما توفي رسول الله ﷺ وكان أبو بكر 3/ 375
 لما خرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر 5/ 198
 لما خرج رسول الله ﷺ إلى أحد 2/ 297
 لما خلق الله الجنة قال لجبريل 4/ 103، 6/ 286
 لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبرائيل 7/ 118
 لما خلق الله الخلق كتب في كتاب 3/ 115، 3/
 174، 6/ 680
 لما خلق الله آدم مسح على ظهره 3/ 274
 لما خلق الله آدم ونفخ 1/ 210، 6/ 588
 لما دخل رسول الله ﷺ المسجد الحرام يوم الفتح 6/
 274
 لما رجع رسول الله ﷺ من الخندق 6/ 158
 لما صور الله تعالى آدم 1/ 210
 لما عرج بي ربي عز وجل مرت 4/ 460، 7/ 477
 لما عرج بي مرت بقوم لهم أظفار 7/ 393
 لما عرج نبي الله ﷺ في الجنة 8/ 580
 لما فتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم 2/
 411
 لما فتحت قبرص فرق بين أهلها 3/ 126، 5/ 471
 لما قدم المهاجرون المدينة على الأنصار 1/ 574
 لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أحبب الناس كيلاً
 370/ 8
 لما قدم رسول الله ﷺ من تبوك 3/ 539
 لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة 5/ 377
 لما قدم كعب بن الأشرف مكة 2/ 265
 لما كاتب سهيل بن عمرو 8/ 16
 لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم 8/ 591

للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء 3/
 409
 للرجل من أهل الجنة زوجتان 7/ 549
 للشهيد عبد الله سبع خصال 2/ 164، 7/ 305
 للشهيد عند الله ست خصال 5/ 444
 للمملوك طعامه وكسوته 2/ 243
 لله أشد فرحاً بتوبة عبده 7/ 159
 لله أفرح بتوبة العبد من أحدكم 4/ 439
 لله أفرح بتوبة عبده 1/ 211
 لله تسعة وتسعون اسماً 8/ 436
 لله خمسها وأربعة أخماس للجيش 3/ 377
 لله مئة رحمة فقسم منها جزءاً 3/ 255
 لم أسمع يرخص في شيء مما يقوله الناس 2/ 331
 لم نبأ رسول الله ﷺ على الموت 7/ 346
 لم يبعث الله تعالى نبياً إلا بلغه قومه 4/ 253
 لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام 2/ 125
 لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه 3/ 453
 لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة 2/ 49
 لم ير للمتحابين مثل النكاح 3/ 298، 6/ 40
 لم يرخص في أيام التشريق 1/ 530
 لم يزل النبي ﷺ يسأل عن الساعة حتى أنزل الله 8/
 337
 لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات 5/ 113، 6/
 430
 لم يكن النبي ﷺ على شيء من النوافل 7/ 465
 لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء الدعوات 7/ 280
 لم يكن رسول الله ﷺ يغزو في الشهر الحرام 1/ 521
 لما اعتزل رسول الله ﷺ نساء 2/ 290
 لما اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة 7/ 366
 لما اعتمر رسول الله ﷺ سترناه من غلمان 7/ 367
 لما انصرف أبو سفيان والمشركون عن أحد 2/ 143
 لما أسري برسول الله 1/ 683، 7/ 476، 7/ 479
 لما أسلم عبد الله بن سلام 2/ 100
 لما أصيب إخوانكم بأحد 1/ 449، 2/ 140

لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله 7/ 303،
358 /7
لما كان يوم أحد انهزم الناس 5/ 343
لما كان يوم أحد هزم المشركون 2/ 124
لما كبرت سودة بنت زمعة وهبت يومها 2/ 344
لما كذبني قريش قمت في الحجر 7/ 478
لما لقي موسى الخضر عليهما السلام 4/ 605
لما مات عبد الله بن أبي 3/ 530
لما نزل تحريم الخمر 1/ 563
لما نزل صوم رمضان كانوا 1/ 507
لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل 3/ 525
لما نزلت أول المزمّل كانوا يقومون نحواً 8/ 231
لما نزلت إذا جاء نصر الله والفتح 8/ 588
لما نزلت تبت يدا أبي لهب وتب أقبلت أم جميل 8/ 598
لما نزلت هذه الآية التي في الفرقان: والذين لا يدعون 2/ 305
لما نزلت هذه الآية: إنكم وما تعبدون من دون الله 5/ 137
لما نزلت يا أيها المزمّل قاموا حولاً حتى ورمّت أقدامهم 8/ 231
لما نزلت: ((على الذين يطيقونه فدية طعام مسكين)) 498 /1
لما نزلت: الم - غلبت الروم 6/ 30
لما نزلت: إن يكن منكم عشرون صابرون 3/ 407
لما نزلت: ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم 6/ 647
لما نزلت: لا يستوي القاعدون من المؤمنين 2/ 309
لما نزلت: ولم يلبسوا إيمانهم بظلم 2/ 665
لما نزلت: يدنين عليهن من جلابيبهن 6/ 214
لما وجه النبي ﷺ إلى الكعبة 1/ 436
لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا 8/ 291
لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذا 5/ 173، 7/ 237
لن يبرح هذا الدين قائماً 3/ 588

لن يدخل أحداً عمله الجنة 6/ 311
لن يدخل أحداً منكم عمله الجنة 7/ 240
لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم 5/ 206
لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة 2/ 233
لن يلج الدرجات العلا من تكهن 2/ 404
لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس 5/ 65
لن ينجي أحداً منكم عمله 3/ 160، 4/ 283
لن يهلك الناس حتى يعذروا 2/ 510، 2/ 586،
4/ 99، 4/ 435، 5/ 471، 8/ 132
لن يوافي عبد يوم القيامة يقول لا إله إلا الله 2/ 433
لو أعلم أنك تنظرني لطعنت به في عينك 5/ 336
لو أن ابن آدم هرب من رزقه 4/ 16، 6/ 18
لو أن الماء الذي يكون منه الولد 6/ 293
لو أن أحداً منكم إذا أتى أهله 1/ 68
لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله 4/ 515، 5/ 287
لو أن رجلاً يجر على وجهه 4/ 522، 5/ 195، 8/ 443
لو أن قطرة من الزقوم قطرت 4/ 236، 4/ 512، 6/ 419، 7/ 84، 7/ 235، 7/ 571
لو أن لابن آدم وادياً من ذهب 8/ 541
لو أن ما يقل ظفر مما في الجنة 7/ 238
لو أنكم تتوكلون على الله تعالى 6/ 652
لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله 8/ 134
لو أنكم تكونون على كل حال 6/ 623
لو أنكم توكلون على الله 5/ 69، 5/ 115، 7/ 447
لو أنكم كنتم توكلون على الله 6/ 17، 8/ 95، 8/ 221
لو أنكم لم تكن لكم ذنوب 5/ 599
لو تعلمون قدر رحمة الله 3/ 255، 4/ 324، 5/ 366، 8/ 96
لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً 2/ 543
لو تعلمون ما دُخِرَ لكم 5/ 366
لو دخلتموها ما خرجتم منها أبداً 2/ 273
لو دخلوها لم يزلوا فيها 1/ 391
لو دعيت إلى ذراع لأجبت 6/ 203

ليتمنين أقوام لو أكثروا من السيئات 5/ 443، 5/ 666

ليحجن البيت وليعتمرن 1/ 412

ليراجعها ثم يمسخها حتى تطهر 8/ 90

ليردن علي ناس من أصحابي الحوض 2/ 558

ليس الخبر كالمعاينة 3/ 249

ليس الشديد بالصرعة 2/ 113

ليس الغنى عن ظهر 4/ 606

ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس 2/ 331، 7/ 386

ليس المؤمن بالطعان 2/ 207، 5/ 437، 5/ 627

ليس المسكين الذي ترده التمرة 1/ 661، 7/ 436

ليس المسكين بهذا الطواف 1/ 661، 3/ 501

ليس أحد أحب إليه المديح من الله 3/ 571، 8/ 131

ليس أحد أصبر على أذى 1/ 402، 3/ 133، 4/ 556

556، 4/ 604، 4/ 655، 5/ 219

ليس أحد يحاسب إلا هلك 8/ 388

ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك 2/ 329، 3/ 551

551، 4/ 217، 5/ 135، 5/ 212، 5/ 496

582، 7/ 496

ليس أحد أصبر على أذى 5/ 570

ليس بين العبد والشرك إلا 4/ 667

ليس بيني وبينه نبي 2/ 367

ليس ذلك بالبغى 1/ 276

ليس شيء أطيع 4/ 419

ليس شيء أكرم على الله 2/ 627، 7/ 78

ليس شيء إلا وهو أطوع لله تعالى 6/ 43

ليس شيء من الإنسان إلا يبلى 6/ 381

ليس على المسافر جمعة 8/ 55

ليس في الجنة شيء 1/ 164

ليس فيما دون خمس ذود صدقة 3/ 70، 3/ 470

ليس لنا مثل السوء الذي يعود 3/ 280

ليس له ما يستغني به 7/ 436

ليس من الإنسان شيء إلا يبلى 5/ 248

ليس من رجل ادعى لغير أبيه 6/ 136

لو دنا لا اختطفته الملائكة عضواً عضواً 3/ 61، 8/ 501

لو رأيته وأنا أستمع 1/ 50، 5/ 124

لو كان الإيمان عند الثريا لئاله رجال 8/ 46

لو كان الدين عند الثريا لذهب 8/ 46

لو كان القرآن في إهاب 6/ 7

لو كان المطعم بن عدي حياً 3/ 412

لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين 8/ 162

لو كانت الدنيا تعدل 1/ 170، 2/ 606، 3/ 481، 6/ 626، 7/ 195

لو كنت أماً أحداً أن يسجد لأحد 2/ 235، 4/ 173

لو لبثت في السجن ما لبث يوسف 4/ 140، 4/ 144

لو لم تكونوا تذبون خشيت 2/ 619، 5/ 645

لو لم تكونوا تذبون لخفت 4/ 496، 6/ 86، 6/ 681، 6/ 251

لو مات هذا على حاله هذه 1/ 102، 8/ 573

لو يعطى الناس بدعواهم 2/ 68، 6/ 517

لو يعلم المؤمن ما عند الله 1/ 71، 3/ 116، 3/ 441، 7/ 488

لو أن أحدكم إذا أتى امرأته 1/ 576

لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها 2/ 409

لولا أن الناس حديث عهدهم بكفر 1/ 411

لولا أن تدافنوا لدعوت الله 7/ 70

لولا أنك رسول لضربت عنقك 3/ 434

لولا أنكم تذبون لخلق الله 6/ 681

لولا حداثة قومك بالكفر 1/ 404

لي الواجد يحل عرضه 2/ 349، 2/ 555

ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة 3/ 51

ليأتين على الناس زمان 1/ 473

ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل 6/ 48، 8/ 515

ليأتين عليكم أمراء يقرئون 3/ 672، 6/ 437

ليأتين هذا الحجر 1/ 304

ليبلغن هذا الأمر ما بلغ 2/ 34، 5/ 378

ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكني أصلي 6/ 180
 ما بال دعوى الجاهلية 8/ 68
 ما بال رجال بلغهم عني أمر ترخصت 4/ 381، 6/
 151، 7/ 627
 ما بال رجال يقولون إن رحم رسول الله ﷺ لا تنفع 5/
 290
 ما بعث الله من نبي ولا استخلف 5/ 18
 ما بقي شيء يقرب من الجنة 1/ 12، 3/ 594
 ما بين المشرق والمغرب قبلة 1/ 375
 ما بين النفتختين أربعون 2/ 656، 5/ 579، 7/
 15، 8/ 315
 ما بين منكبي الكافر في النار 2/ 459، 6/ 12
 ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم 3/ 191، 4/
 332
 ما تركت بعدي فتنة 2/ 21
 ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله 4/ 382، 6/ 152
 ما ترون في الشارب 1/ 101
 ما ترون في هؤلاء الأسارى 2/ 133
 ما تشيرون علي في قوم يسبون أهلي 5/ 323
 ما تصدق أحد بصدقة من طيب 6/ 53
 ما تعدون الصرعة فيكم 2/ 113
 ما تواوا اثنان في الله عز وجل 3/ 299
 ما توطن رجل المساجد للصلاة 5/ 365
 ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله 6/ 211
 ما جلس قوم يذكرون الله 6/ 187
 ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه 8/
 377
 ما حدثكم أهل الكتاب فلا 1/ 42، 1/ 113
 ما رأيت رسول الله ﷺ في شيء من النوافل أسرع 7/
 466
 ما رأيت ناقصات عقل ولا دين أغلب 1/ 674
 ما زال الرجل يسأل الناس حتى يأتي 4/ 529
 ما زال جبريل يوصيني بالجار 2/ 241
 ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض
 7/ 274

ما شيع رسول الله ﷺ من خبز 5/ 68
 ما صدت بكلك المعلم فاذا رسم الله وكل 2/ 410
 ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه إذا جاء نصر
 الله 8/ 592
 ما صلى رسول الله ﷺ صلاة لوقتها الآخر 5/ 245
 ما صليت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله 8/ 459
 ما ضرب ابن عفان ما عمل بعد اليوم 3/ 582
 ما ضرب رسول الله ﷺ 8/ 146
 ما ضل قوم بعد 1/ 36، 7/ 205
 ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين 8/ 55
 ما على عثمان ما عمل بعد هذا 3/ 582
 ما قطع من البهيمة وهي حية 5/ 194
 ما قل وكفى خير مما 2/ 543
 ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله 6/ 174، 7/
 608
 ما لصيكم هذا يبكي 8/ 162
 ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض 2/ 291
 ما لي وللدنيا ما أنا والدنيا 7/ 294
 ما لي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا 7/ 294
 ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل الله له 6/ 200
 ما مثل الدنيا في الآخرة إلا مثل 5/ 633
 ما ملأ ابن آدم وعاء شراً 3/ 147
 ما من الأنبياء من نبي 1/ 48، 1/ 111، 1/ 158
 3/ 362، 5/ 71، 5/ 229، 6/ 9، 7/ 49
 ما من آدمي إلا في رأسه حكمة 5/ 651
 ما من أحد إلا وله في هذا المال حق 7/ 676
 ما من أيام العمل الصالح فيها أحب 8/ 436
 ما من بعير إلا في ذروته شيطان 4/ 45، 7/ 186
 ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام 7/ 654
 ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم 3/ 259،
 5/ 83
 ما من دابة إلا وهي مُصَيَّحَةٌ يوم الجمعة 8/ 347
 ما من ذنب أجدر أن يعجل 2/ 182، 3/ 627، 4/
 118، 4/ 416، 4/ 419
 ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه 1/ 460

ما بال أقوام قالوا كذا وكذا لكني أصلي 6/ 180
 ما بال دعوى الجاهلية 8/ 68
 ما بال رجال بلغهم عني أمر ترخصت 4/ 381، 6/
 151، 7/ 627
 ما بال رجال يقولون إن رحم رسول الله ﷺ لا تنفع 5/
 290
 ما بعث الله من نبي ولا استخلف 5/ 18
 ما بقي شيء يقرب من الجنة 1/ 12، 3/ 594
 ما بين المشرق والمغرب قبلة 1/ 375
 ما بين النفتختين أربعون 2/ 656، 5/ 579، 7/
 15، 8/ 315
 ما بين منكبي الكافر في النار 2/ 459، 6/ 12
 ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم 3/ 191، 4/
 332
 ما تركت بعدي فتنة 2/ 21
 ما تركت شيئاً يقربكم إلى الله 4/ 382، 6/ 152
 ما ترون في الشارب 1/ 101
 ما ترون في هؤلاء الأسارى 2/ 133
 ما تشيرون علي في قوم يسبون أهلي 5/ 323
 ما تصدق أحد بصدقة من طيب 6/ 53
 ما تعدون الصرعة فيكم 2/ 113
 ما تواوا اثنان في الله عز وجل 3/ 299
 ما توطن رجل المساجد للصلاة 5/ 365
 ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله 6/ 211
 ما جلس قوم يذكرون الله 6/ 187
 ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه 8/
 377
 ما حدثكم أهل الكتاب فلا 1/ 42، 1/ 113
 ما رأيت رسول الله ﷺ في شيء من النوافل أسرع 7/
 466
 ما رأيت ناقصات عقل ولا دين أغلب 1/ 674
 ما زال الرجل يسأل الناس حتى يأتي 4/ 529
 ما زال جبريل يوصيني بالجار 2/ 241
 ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض
 7/ 274

ما من نفس منقوسة إلا وقد كتب 664 / 6
 ما من يوم إلا والجنة والنار يسألان 4 / 370، 6 / 623
 ما من يوم يصبح العباد فيه 1 / 549، 1 / 653، 4 / 488، 6 / 175، 7 / 267، 7 / 491، 8 / 187، 601
 ما منعك أن تأتي ألم يقل الله 3 / 348
 ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه 2 / 607، 3 / 551، 4 / 217، 7 / 496، 8 / 323
 ما منكم من أحد إلا له منزلان 3 / 160، 5 / 245
 ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة 8 / 472
 ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار 3 / 638، 7 / 24
 ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن 3 / 34، 8 / 621
 ما منكم من أحد ما من نفس منقوسة 3 / 145، 3 / 238، 7 / 142
 ما منكم من أحد وما من نفس منقوسة 8 / 472
 ما منكم من أحد يتوضأ 7 / 26
 ما منكم من نفس منقوسة 6 / 593
 ما نصر الله النبي ﷺ في موطن كما نصره يوم أحد 2 / 122
 ما نقصت صدقة من مال 2 / 359، 3 / 543، 7 / 337
 ما هذا الذي أرى وسطهن 2 / 208
 ما هذا الذي تصومونه 1 / 246، 5 / 40
 ما ييكيك يا ابن الخطاب 8 / 113
 ما يخرج رجل شيئاً من الصدقة 4 / 488
 ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة 4 / 558، 5 / 648
 ما يصيب المسلم من نصب 2 / 287، 2 / 338، 3 / 221، 4 / 21، 8 / 250
 ما يكن عندي من خير قلن أخره عنكم 3 / 221
 ما يمنعك أن تزورنا 1 / 343، 4 / 671، 5 / 327
 ماذا عندك يا ثمامة 7 / 302
 ما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل 3 / 43

ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله 3 / 472
 ما من رجل يجرح من جسده جراحة 2 / 470
 ما من رجل يحفظ علماً فيكتمه 2 / 156
 ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي 2 / 551
 ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن 8 / 147
 ما من عام بأكثر مطراً من عام 4 / 204، 4 / 313، 5 / 425، 6 / 625، 8 / 140
 ما من عبد قال : لا إله إلا الله 1 / 462، 2 / 262، 3 / 89
 ما من عبد لا يؤدي زكاة ماله 2 / 147
 ما من عبد مسلم يدعو 7 / 44، 7 / 389
 ما من عبد مسلم يعود مريضاً 7 / 140
 ما من عبد يسترعيه الله 7 / 59
 ما من قلب إلا بين إصبعين 4 / 203، 6 / 657
 ما من قلب إلا وهو بين إصبعين 3 / 349
 ما من قوم جلسوا مجلساً لم يذكروا الله فيه 6 / 187
 ما من قوم يذكرون الله إلا حفت 5 / 693
 ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي 2 / 94، 2 / 491، 3 / 350، 4 / 98، 5 / 472، 6 / 124
 ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس 6 / 139
 ما من مسلم تصيبه مصيبة 1 / 452، 6 / 608، 8 / 81
 ما من مسلم يدعو الله عز وجل 1 / 505
 ما من مسلم يذنب ذنباً فيتوضأ ويصلي 4 / 96
 ما من مسلم يشاك 1 / 170
 ما من مسلم يصيبه 1 / 170
 ما من مسلم يموت 1 / 434، 2 / 514
 ما من مصيبة تصيب المسلم 4 / 21
 ما من مولود إلا يولد على الفطرة 6 / 47
 ما من مولود يولد إلا مسه 2 / 41
 ما من نبي من الأنبياء إلا قد أعطي من الآيات 4 / 230
 ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة 2 / 279
 ما من نفس تموت لها عند الله خير 6 / 664
 ما من نفس تموت وهي تشهد 6 / 664
 ما من نفس منقوسة اليوم يأتي 6 / 664

مثلي ومثل ما بعثني الله 594/3، 198/4، 5/143، 621/5،

مثلي ومثلكم كمثّل رجل استوقد ناراً 4/214

مدمن الخمر إن مات 2/528

مدينة هرقل تفتح أولاً 5/378

مرّ الملا من قريش على رسول الله 4/39

مر على النبي ﷺ ببدنة أو هدية فقال اركبها 5/188

مرحباً بطالب العلم 1/195

مررت بالريذة فإذا أنا بأبي ذر 3/469

مررت ليلة أسري بي 1/229

مرضت فأتاني رسول الله ﷺ وأبو بكر يعوداني 2/378

مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين 8/116

مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع 8/116

مروا بالمعروف وانها عن المنكر 2/509، 3/566، 6/184

مستريح ومستراح منه 6/56

مصائب الدنيا والروم 6/119

مضت السنة في المتلاعنين أن يفرق بينهما 5/315

مع أحكما جبريل ومع الآخر ميكائيل 5/228

مفاتيح الغيب خمس 2/633، 4/200، 5/565، 6/99

مقبلة ومدبرة إذا كان 1/573

مكتوب في الإنجيل لا فظ ولا غليظ 2/132، 3/258، 5/505

ملا الله بيوتهم وقبورهم ناراً 1/613، 6/527

ملعون من أتى امرأة 1/575، 3/200

ملعون من سأل بوجه الله 8/572

من ابتلي من البنات بشيء 4/392

من استطاع الباءة فليتزوج 6/175

من استطاع منكم أن يكون له خبء 6/460

من استعف أعفه الله ومن استغنى 1/661

من استغفر للمؤمنين والمؤمنات 7/316، 8/209

من اطلع في بيت قوم بغير إذنه 5/337

من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب 8/55

مالمعمل في أيام العشر أفضل 5/182

مالي أراك جفوت أمير المؤمنين عثمان 2/128

مالي أراكم عزيزين 8/192

مالي أنازع القرآن 3/313

مالي وللدنيا ما أنا والدنيا 2/151، 2/606، 3/481

مالي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا 2/151، 3/481، 5/633

مامن غازية تغزو في سبيل الله 2/283

مامن قوم يعمل فيهم بالمعاصي 1/253، 6/184

مامن مسلم يصاب بشيء من جسده 2/470

مامن نبي بعثه الله في أمة 2/53

مايكن عندي من خير فلن أدخره عنكم 4/446

متعها ولو نصف صاع من تمر 1/610

مثل البخيل والمنفق كمثّل رجلين 3/543، 4/487

مثل الذي يتعلم العلم 1/223، 2/156

مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له 8/343

مثل العالم الذي يعلم 1/229

مثل القائم على حدود الله والواقع فيها 3/350

مثل القلب مثل الريشة 1/121، 3/349

مثل المؤمن الذي يقرأ 1/52، 4/532، 6/627

مثل المؤمن كمثّل الخامة 1/138

مثل المؤمن كمثّل الزرع 1/138، 3/209

مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم 3/516، 3/388، 7/537

مثل المجاهد في سبيل الله 2/283

مثل المسلمين واليهود والنصارى 1/427، 6/644، 7/630

مثل المنافق كالشاة بين ريضين 2/356

مثل المنافق كمثّل الشاة 1/138، 2/356، 4/214، 8/65

مثل ما بعثني الله به من الهدى 3/182، 4/214، 6/627

مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثّل رجل 7/631

من أقتبس شعبة من النجوم 16/3
 من اقتراب الساعة انتفاخ الأهلة 1/516
 من السائل عن العمرة 1/38، 1/525
 من الكبائر شتم الرجل والديه 29/3
 من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته 2/147، 3/472
 من آخر مل نزل آية الربا 1/665
 من أذن النبي ﷺ بالجن 7/289
 من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة 2/292، 3/518، 4/628
 من أبلي بلاء فذكره فقد شكره 8/483
 من أتى عرافاً 1/351، 2/650
 من أتى كاهناً فصدقه 1/351، 1/576
 من أجل ذلك أرسل رسله 2/371، 3/149
 من أحب الأنصار أحبه الله 3/419
 من أحب أن يبسط له في رزقه 4/483، 8/199
 من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه 2/545
 من أحب أن يقرأ القرآن 1/22
 من أحب لقاء الله 7/118، 119
 من أحدث حدثاً في الحرم 1/519
 من أحدث في أمرنا 1/369، 1/476، 2/38
 40/3، 4/437، 5/152
 من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ 3/65، 3/372، 5/201
 من أحسن فيما بقي غفر له ما مضى 3/65
 من أحيا سنة من سنتي 5/673
 من أخذ شبراً من الأرض 1/180، 8/103
 من أسلف فليسلف في كيل 1/673
 من أسلم من أهل الكتاب فله أجره 1/113، 7/630
 من أشار إلى أخيه بحديدة 3/94
 من أشد أمتي لي حباً ناس يكونون بعدي 6/138
 من أصاب بفيه من ذي حاجة 2/461
 من أصاب منه من ذي حاجة 1/481
 من أصابته فاقة فأنزلها بالناس 4/478
 من أصبح منكم آمناً في سريه 6/251، 8/568

من أصبح منكم معافى في جسده 2/437
 من أصيب بشيء من جسده 2/470
 من أطاعني فقد أطاع الله 2/288
 من أطاق الحج فلم يحج 2/87
 من أعان على خصومة يظلم 2/329
 من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب 8/452
 من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله منه 3/503، 8/453
 من أعطي عطاء فوجد فليجز به 8/483
 من أقرض مرتين كان له مثل أجر 7/611
 من أقرض ورعاً مرتين 1/622
 من أكل برجل مسلم أكلة 7/394
 من أنظر معسراً أو وضع عنه 1/669
 من أنظر معسراً أو وضع له 1/669
 من أنظر معسراً فله بكل يوم 1/669
 من أنفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة 4/219
 من أنفق زوجين في سبيل الله نودي 1/663
 من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله دعي 8/476
 من أنفق نفقة في سبيل الله 1/622، 1/647، 1/663، 3/401
 من بات فوق بيت ليس له إجار 1/465
 من بدا جفا 3/540
 من بدل دينه فاقتلوه 4/430
 من بلغ بسهم فهو له درجة في الجنة 3/399
 من بنى مسجداً لله كمفحص قطاة 5/361
 من بنى مسجداً لله يبتغي به وجه الله تعالى 5/360
 من بنى مسجداً ليذكر الله فيه 8/453
 من بنى مسجداً يبتغي به 3/445
 من بنى مسجداً يذكر فيه اسم الله 5/361
 من تاب قبل أن تطلع 1/211، 2/276، 3/103، 4/283، 4/467، 5/531
 من تحلم حلما كلف يوم القيامة 4/494
 من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر 2/679
 من ترك اللباس تواضعاً لله 3/147
 من ترك بعده كثرأ مثل له 2/147
 من تشبه بقوم 1/356

من خير معاش الناس لهم رجل ممسك 130 / 2
من دخل السوق فقال لا إله إلا الله 623 / 1، 57 / 8
من دعا إلى هدى كان له 470 / 4، 673 / 5، 6 / 597

من دعا بدعاء يونس استجيب له 129 / 5
من دعا لأخيه بظهر الغيب 294 / 2
من دل على خير فله مثل 397 / 2، 11 / 4
من ذبَّ عن عرض أخيه بالغيبة 579 / 3، 331 / 5
من ذبح قبل أن يصلي 68 / 1، 444 / 6
من ذكرت عنده فليصل علي 210 / 6
من راح إلى مسجد الجماعة 445 / 3
من راح روحه في سبيل الله 293 / 2
من رأى من أميره شيئاً فكرهه فليصبر 273 / 2
من رأى منكراً فليغيره بيده 510 / 2
من رأى منكم منكراً فليغيره 93 / 2
من رأيتموه يعمل عمل قوم لوط 203 / 2
من سئل عن علم 222 / 1، 460 / 1، 156 / 2
من سأل الله الجنة ثلاث مرات 439 / 5
من سأل الناس أموالاً تكثرأ 662 / 1
من سأل من غير فقر 662 / 1
من سأل وله أربعون درهماً 662 / 1
من سرق أو قتل في الحل ثم دخل الحرم 519 / 1، 478 / 3

من سره أن يبسط له في رزقه 294 / 6، 321 / 7، 8 / 199

من سره أن يستجيب الله له 672 / 6
من سره أن ينجي الله من كرب 670 / 1
من سره أن ينظر إلى رجل يمشي 155 / 6
من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي 155 / 6
من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين 8 / 350، 363 / 8، 384 / 8

من سكن البادية جفا 540 / 3، 181 / 4
من سلك طريقاً يلتمس فيه 10 / 1، 195 / 1
من سمع النداء فلم يأتيه 103 / 1، 364 / 5
من سمع سمع الله به 354 / 2، 631 / 4

من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب 667 / 1، 3 / 543، 550 / 3

من تطهر في بيته ثم أتى 558 / 3
من تعار من الليل 140 / 7، 423 / 7، 464 / 7
من تعلم علماً 219 / 1، 159 / 5، 304 / 6
من تقول علي ما لم أقل 494 / 4
من توضأ فأحسن الوضوء 418 / 2، 54 / 8
من توضأ فأسبغ الوضوء 97 / 4
من توضأ وضوئي هذا ثم قام 590 / 4
من توضأ يوم الجمعة 54 / 8
من جاء إلى الجمعة فليغتسل 53 / 8
من جامع المشرك وسكن معه 103 / 2، 313 / 2، 417 / 3

من جعل الهموم همماً واحداً 545 / 6، 154 / 7
من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه 464 / 7
من جهز جيش العسرة فله الجنة 406 / 3
من جهز غازياً في سبيل الله 622 / 1، 397 / 2، 3 / 485

من حالت شفاعته دون حد 329 / 2
من حدث عني حديثاً 191 / 1
من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً 498 / 2
من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف 551 / 4
من حلف بغير الله 518 / 2، 178 / 4، 667 / 4
من حلف بملة سوى الإسلام 519 / 2
من حلف على مال امرئ مسلم 446 / 5
من حلف على يمين فرأى 581 / 1، 578 / 1
من حلف على يمين فقال إن شاء الله 572 / 4
من حلف على يمين كاذبة 68 / 2
من حلف على يمين يستحق بها مالاً 518 / 6
من حلف على يمين يقتطع 67 / 2
من حلف فقال في حلفه 579 / 1، 481 / 7
من حلف منكم فقال في حلفه باللات 518 / 2
من حمل علينا السلاح فليس منا 190 / 8
من حوَّسب عُدْب 388 / 8
من خاصم في باطل 42 / 7

من قال رضىت بالله رباً وبالإسلام 630 / 6
 من قال سبحان الله العظيم ويحمده غرست 586 / 7
 من قال لا إله إلا الله أنجته يوماً 81 / 7
 من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد 3 / 150، 685 / 3
 من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً 8 / 507
 من قتل خطأ فدينه مئة من الإبل 2 / 302
 من قتل عمداً دفع إلى أولياء القتل 4 / 492
 من قتل قتيلاً فله كذا وكذا 3 / 324
 من قتل قتيلاً له عليه بينة 3 / 455
 من قتل كافراً فله سلبه 3 / 455
 من قتل له قتيلاً فهو 2 / 301
 من قتل مؤمناً فاعتبط بقتله 2 / 306
 من قتل متعمداً دفع إلى أولياء المقتول 2 / 301
 من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة 3 / 95
 من قتل نفسه بحديدة 2 / 226
 من قتل نفسه بشيء 2 / 226
 من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف 4 / 552
 من قرأ القرآن فليسأل الله به 3 / 437
 من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة 1 / 636
 من قرأ بالآيتين - من آخر سورة البقرة - 1 / 683
 من قرأ حرفاً من كتاب 1 / 52
 من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة 4 / 552، 8 / 56
 من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها 8 / 604
 من قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن 8 / 603
 من قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له بربع القرآن 8 / 583
 من كان آخر كلامه لا إله إلا الله 1 / 463
 من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد 3 / 396
 من كان له إمام فقراءة الإمام 3 / 314
 من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات 5 / 482
 من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن 5 / 482
 من كان له سعة ولم يضح 6 / 443
 من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس 2 / 649، 446 / 5

من سن في الإسلام سنة حسنة 2 / 447، 4 / 470، 680 / 7
 من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً 7 / 539
 من شرب الخمر في الدنيا 7 / 311
 من شهد أن لا إله إلا الله 2 / 375، 4 / 655
 من شهد صلاتنا هذه ووقف معنا 1 / 535
 من صام رمضان إيماناً 1 / 650
 من صام رمضان وصلى الصلاة 5 / 37
 من صام ستة أيام بعد الفطر 3 / 108
 من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله 5 / 197
 من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن 1 / 57، 1 / 81
 من صلى علي صلاة واحدة 6 / 208، 6 / 210
 من صنع امرأة على غير 1 / 476
 من ضحى منكم فلا يصبحن بعد الثالثة 5 / 194
 من طال عمره وحسن عمله 6 / 187
 من طلب العلم ليجاري 1 / 219، 6 / 304
 من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه 2 / 135
 من عادى لي ولياً 1 / 343
 من عال ابنتين أو ثلاث بنات 5 / 482
 من عال جاريتين حتى تبلغا 5 / 482
 من عال جاريتين حتى يدركا 4 / 393
 من عبد الله لا يشرك به شيئاً 2 / 227
 من علم الرمي ثم تركه فليس منا 3 / 399
 من عمر من أمتي سبعين سنة 3 / 651
 من عمل عملاً ليس عليه 1 / 369، 3 / 251
 من غدا إلى المسجد أوراخ 6 / 334
 من غسّل واغتسل يوم الجمعة 8 / 54
 من غشنا فليس منا 4 / 73، 4 / 418، 6 / 320
 من فرق بين والدة وولدها 4 / 118
 من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا 1 / 520، 3 / 484
 من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي 3 / 341
 من قال إني بريء من الإسلام 2 / 519
 من قال باسم الله توكلت على الله 4 / 585
 من قال حين يسمع النداء 2 / 457، 4 / 529
 من قال حين يصبح أو حين يمسي 6 / 630

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل 352 / 2
 من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه 62 / 4
 من كانت الآخرة همه 2 / 347، 6 / 17، 5 / 69،
 6 / 545، 7 / 154، 8 / 222
 من كانت الدنيا همه 7 / 154، 7 / 447
 من كانت عنده مظلمة 1 / 236، 1 / 237، 5 / 54،
 6 / 647
 من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما 2 / 345
 من كتم علماً 1 / 223، 1 / 673، 2 / 156
 من كسر أو عرج فقد حل 1 / 526
 من كظم غيظاً وهو قادر على أن 2 / 113
 من كف غضبه كف الله عنه عذابه 2 / 114
 من كل الليل قد أوتر رسول الله 2 / 27
 من لا يرحم لا يرحم 3 / 511
 من لبس الحرير في الدنيا 6 / 310
 من لعب بالنرد فقد عصى 2 / 527
 من لعب بالنردشير 2 / 400، 2 / 527، 3 / 80
 من لم يتغن بالقرآن 1 / 50
 من لم يدع الله 7 / 78
 من لم يدع قول الزور 1 / 495
 من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا 8 / 455
 من لم يشكر القليل 1 / 250، 1 / 447، 2 / 92، 7 /
 148، 8 / 249، 8 / 483
 من مات لا يشرك بالله شيئاً 2 / 262، 3 / 89، 3 /
 685، 4 / 351، 4 / 388
 من مات مرابطاً وفي فتنة 2 / 168
 من مات وعليه دين 1 / 237، 6 / 647
 من مات وهو يدعو من دون الله 1 / 153، 3 / 622
 من مات وعليه صيام 7 / 493
 من مات ولم يغز 1 / 557
 من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله 4 / 389، 5 / 12،
 7 / 316
 من مخاطبة العبد ربه 4 / 368، 6 / 368
 من ملك ذا رحم محرّم فهو حر 1 / 602
 من نذر أن يطيع الله 5 / 183، 8 / 285

من نزل به حاجة فأنزلها بالناس 8 / 96
 من نسي الصلاة علي خطي طريق 6 / 211
 من نسي صلاة فليصل إذا ذكر 5 / 13
 من هذا اللاعن بعيره 4 / 466
 من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة 4 / 128
 من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط 3 / 200، 4 / 71،
 5 / 499
 من ولي منكم عملاً فأراد الله به خيراً 5 / 18
 من يأخذ عني هؤلاء الكلمات 1 / 93، 6 / 674
 من يأخذه بحقه 3 / 406
 من يدخل الجنة ينعم لا يبأس 4 / 90، 4 / 323، 5 /
 451، 5 / 633، 6 / 116، 7 / 100، 5 /
 173، 8 / 291
 من يراني يراني الله به 8 / 410
 من يردهم عنا وله الجنة 2 / 125
 من يعرف أصحاب هذه الأقبر 7 / 71
 من ينح عليه يعذب بما ينح عليه 3 / 112
 منهم من تأخذه النار إلى كعبه 2 / 268، 2 / 459،
 4 / 477
 منهومان لا يشبعان 8 / 531
 مهلاً يا قوم بهذا أهلكت 1 / 35، 2 / 291
 موت الفجأة أخذة أسف 3 / 210
 موضع سوط أحدكم في الجنة 5 / 403
 موضع سوط في الجنة خير 2 / 150

- ن -

نادى فينا رسول الله ﷺ يوم انصرف عن الأحزاب 6 /
 159
 ناركم جزء من سبعين 3 / 526، 5 / 171، 7 /
 576، 8 / 318، 8 / 537
 ناركم هذه التي توقد بنو آدم 1 / 160، 4 / 376
 ناركم هذه التي يوقد ابن آدم 3 / 608، 5 / 102
 ناركم هذه الذي توقد بنو آدم 6 / 641
 ناركم هذه جزء من سبعين 1 / 160، 6 / 641
 ناس من أمتي عرضوا علي 1 / 464

نزلت : هذان خصمان اختصموا 169 / 5
 نسمة المؤمن طائر 141 / 2 ، 450 / 1
 نصرت بالرعب على العدو 122 / 2
 نصرت بالصبا وأهلك عاد بالدبور 189 / 3 ، 7
 286 ، 442 / 7 ، 168 / 8
 نصر الله امرأ سمع 267 / 1 ، 650 / 7
 نصر الله عبداً سمع مقاتلي 267 / 1
 نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل 434 / 7
 نعم أنا دعوة إبراهيم 416 / 1
 نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله 349 / 3
 نعم إني أحب أن أسمعه من غيري 251 / 2
 نعم تفعل الخيرات وتترك السيئات 532 / 5
 نعم صلي أمك 14 / 8 ، 83 / 6 ، 668 / 5
 نعم فتصدق عنها 494 / 7
 نعم قوم من بعدكم يؤمنون 98 / 1 ، 596 / 7
 نعم ما خلق الله من بني آدم من بشر 17 / 2
 نعم مكلم 204 / 1
 نعم نبياً رسولاً كلمه الله 204 / 1
 نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة 239 / 3 ،
 271 / 8 ، 677 / 4
 نعم يجزى به المؤمن في الدنيا في نفسه 338 / 2
 نعم يميئك الله ثم يحييك 379 / 6
 نعمت الأضحية الجذع 445 / 6
 نعمتان مغبون فيهما كثير 637 / 3 ، 407 / 4 ، 8
 547 / 8 ، 462
 نغزوهم ولا يغزونا 157 / 6
 نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى 118 / 8
 نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه 581 / 8
 نهر في الجنة أعطانيه ربي لهو أشد بياضاً 581 / 8
 نهى النبي ﷺ أن يقيم الرجل الرجل من مقعده 7
 648
 نهى النبي ﷺ عن قتل أربعة من الدواب 540 / 5
 نهى النبي ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر 79 / 3
 نهى أن يسافر بالقرآن 580 / 7
 نهى رسول الله ﷺ الناس عن سب أسعد 232 / 7

ناولني كفاً من حصي 342 / 3
 ناوليني الخمرة من المسجد 254 / 2
 نبيكم ﷺ ممن أمر أن يقتدي بهم 675 / 2
 نجا أول هذه الأمة باليقين 304 / 4
 نجد مكتوباً محمد رسول الله 505 / 5 ، 30 / 8
 نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرساً 354 / 4
 نحرنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية البدنة 191 / 5 ،
 361 / 7
 نحرنا يومئذ سبعين بدنة 361 / 7
 نحن الآخرون الأولون يوم القيامة 551 / 1 ، 4
 42 / 8 ، 443
 نحن الآخرون السابقون يوم القيامة 442 / 4
 نحن السابقون الأولون 28 / 7
 نحن أحق بالشك من إبراهيم 646 / 1
 نحن أولى بموسى منكم 246 / 1
 نحن أولى موسى فصوصه 40 / 5
 نزل القرآن على سبعة أحرف 16 / 2
 نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار 2
 526
 نزلت في آيات من القرآن 529 / 2
 نزلت في أربع آيات 252 / 2
 نزلت في ستة أنا وابن مسعود منهم 626 / 2
 نزلت في عبد الله بن رواحة كانت له أمة 568 / 1
 نزلت في يوم بدر : ومن يولهم يومئذ 339 / 3
 نزلت لما رمى النبي ﷺ أبي بن خلف 342 / 3
 نزلت هذه الآية في النجاشي وأصحابه : وإذا سمعوا
 513 / 2
 نزلت هذه الآية في أهل قباء : ((فيه رجال
 يحبون)) 558 / 3
 نزلت هذه الآية في عشرة أنا أحدهم 624 / 5
 نزلت هذه الآية فينا إذ همت طائفتان 106 / 2
 نزلت هذه الآية : ((وما كان لنبي أن يغفل)) في قطيفة
 حمراء 135 / 2
 نزلت هذه الآية : إن الذين توفاهم الملائكة 315 / 2
 نزلت ورسول الله ﷺ مخفف بمكة 547 / 4

- هل أنتم تاركو لي صاحبي 261 / 3
 هل تدرون أول من يدخل الجنة 219 / 4
 هل تدرون أي يوم ذلك 150 / 5
 هل تدرون مِمَّ أضحك 2 / 596، 3 / 128، 7 / 414
 هل تدري أين صلى رسول الله ﷺ في مسجدكم 2 / 645
 هل تدعو الله بشيء أو تسأله إياه 1 / 541
 هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تصوم 7 / 612
 هل تسمع النداء بالصلاة 1 / 104، 5 / 364
 هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة 2 / 596،
 3 / 167، 7 / 263
 هل تعرف ما يهدم الإسلام 2 / 477
 هل حضرت معنا الصلاة 5 / 444
 هل صليت مع رسول الله ﷺ صلاة الخوف 2 / 320
 هل علمت أن الله تعالى قد حرّمها 2 / 528
 هل قرأ أحد منكم معي آناً 3 / 312
 هل لك من مال 2 / 549
 هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت 6 / 372
 هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً 6 / 62
 هلاك أمتي في الكتاب واللبن 1 / 11، 1 / 43، 4 / 382، 7 / 64
 هلك المتنطعون 2 / 507
 هلم إلى الغداء المبارك 1 / 509
 هم خدم أهل الجنة 4 / 472، 7 / 563، 8 / 290
 هو اختلاس يختلسه الشيطان 3 / 136، 8 / 188
 هو الطهور ماؤه 1 / 464، 2 / 399، 2 / 536، 2 / 537، 5 / 428
 هو رزق أخرجه الله لكم 2 / 538
 هو في النار 2 / 136
 هو في ضحضاح من النار 5 / 629
 هو كفارة ذنوبها 1 / 333
 هو مسجدكم هذا 3 / 557
 هو مسجدي 3 / 556
 هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة 8 / 578
 هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم 3 / 659

- نهى رسول الله ﷺ أن يتعاطى السيف 3 / 94
 نهى رسول الله ﷺ عن البيع والإيتاع 5 / 362
 نهى رسول الله ﷺ عن الجعرور 1 / 654
 نهى رسول الله ﷺ عن ثمن الكلب 4 / 645
 نهى رسول الله ﷺ عن قتل الصرد والضفدع 3 / 228
 نهى رسول الله ﷺ عن لحوم الحمر 4 / 354
 نهى رسول الله ﷺ عن معاقرة الأعراب 2 / 401
 نهى عن الدياء 7 / 671
 نهى عن المتعة زمان الفتح 2 / 218
 نهى عن قتل أربع من الدواب 4 / 399
 نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها 8 / 543
 نهيتنا أن نسأل رسول الله ﷺ 8 / 431
 نهيتنا أنا نسأل 1 / 362
 نور أنى أراه 3 / 23، 7 / 474

-- ه --

- هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة 8 / 83
 هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة 6 / 309
 هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً 4 / 228
 هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن 7 / 289
 هجاهم حسان فشفي 5 / 520
 هذا الإنسان وهذا أجله محيط به 7 / 606
 هذا المنحر وكل منى منح 7 / 369
 هذا إن شاء الله المنزل 3 / 555
 هذا حجر ألقى به من شفير جهنم 1 / 160
 هذا سبيل الشيطان ثم خط خطوطاً 1 / 642
 هذا سبيل الله مستقيماً 3 / 98
 هذا فرعون هذه الأمة 1 / 242
 هذا ليس لي ولا لك 3 / 323
 هذا مصرع فلان 3 / 383، 5 / 421
 هذا ممن قضى نحبه 6 / 155
 هذا يوم الحج الأكبر 2 / 498
 هذه أسماء رجال صالحين 3 / 183
 هذه يد عثمان 7 / 346
 هكذا فإنما الاستئذان من النظر 5 / 337

والذي نفسي بيده إنه لفتح 333 / 7
 والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن 603 / 8
 والذي نفسي بيده إني لأرى لحمه 394 / 7
 والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا / 4
 505
 والذي نفسي بيده لا يضع الله رحمته إلا 3 / 117، 8 /
 455
 والذي نفسي بيده لا يلج النار أحد بايع 4 / 676
 والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف 2 / 93، 3 /
 351، 3 / 517
 والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم 4 / 283
 والذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الأعظم 8 / 604
 والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد 5 /
 292، 8 / 536
 والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم 5 /
 281
 والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى عليه السلام
 4 / 111
 والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم 7 / 497
 والذي نفسي بيده لو علم أحدهم 2 / 356
 والذي نفسي بيده لو كان الإيمان 7 / 329
 والذي نفسي بيده لو لم تذبذبا الذهب الله بكم 5 / 280
 والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم 2 / 367،
 7 / 206
 والذي نفسي بيده ما بقي من الدنيا 7 / 508
 والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك 5 / 310
 والغدوة يغدوها العبد في سبيل الله 3 / 533
 والقرآن حجة لك أو عليك 1 / 9، 8 / 282
 والله إنك لخير أرض الله 7 / 141
 والله إنه لموصوف ببعض صفته في القرآن 2 / 132
 والله إني لأستغفر الله وأتوب 2 / 328، 5 / 300،
 7 / 317
 والله لا أحملكم وما عندي ما أحملكم عليه 3 / 537
 والله لا تدرون منه درهماً 3 / 412
 والله لا تنقلب حتى تقر أنك الدليل 3 / 448

هي أسماء رجال صالحين من قوم نوح 6 / 582

-و-

واتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان 2 / 237
 والذي نفس بيده لا يضع الله رحمته 1 / 436
 والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد 1 / 282،
 1 / 385
 والذي نفسي بيده ما السماوات السبع في الكرسي 1 /
 634
 والذي نفسي بيده ما أنزل الله في التوراة 1 / 58
 والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً 1 / 617
 وأمركم أن تذكروا الله 1 / 475
 وأقرؤهم لكتاب الله 1 / 20
 وأنفقوا في سبيل الله 1 / 522
 وإن العالم ليستغفر 1 / 196
 وإن كنت كارهاً 1 / 641
 وربما الجاهلية موضوع 1 / 665
 وعليك السلام ارجع فصل 1 / 101
 ولا تيمموا الخبيث منه تففقون 1 / 654
 ولا يقتل مسلم بكافر 1 / 489
 وما ترمي بالبرعة على رأس الحول 1 / 618
 ومن بطأ به عمله 1 / 423
 ومن كان غنياً فليستعفف 2 / 189
 ومن كف غضبه ستر الله عورته 2 / 114
 وا عجبني لك يا ابن عباس عائشة وحفصة 6 / 161
 واخفض لهما جناح الذل من الرحمة 4 / 479
 واستوصوا بالنساء خيراً فإنكم 2 / 210
 وافقت ربي في ثلاث 1 / 394
 والأذن زناها الاستماع 5 / 343
 والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا 3 / 612، 7 /
 306
 والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة 1 / 585
 والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي 2 / 30، 2 /
 433، 2 / 592، 2 / 623، 3 / 260، 4 / 28،
 8 / 133، 7 / 8

والله لأن يلج أحدكم يمينه 578 / 1
والله لولا الله ما اهتدينا 374 / 6
والله لولا آياتنا في كتاب الله 460 / 1
والله ما الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس 151 / 2
والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل 480 / 3
223 / 4، 617 / 7
والله ما أجدي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف 122 / 4
والمطلقات يتربصن بأنفسهن 588 / 1
والنبي ﷺ نائمة عيناه 440 / 6
وأمركم أن تذكروا الله تعالى 137 / 3، 319 / 4، 516
وأناه الخبر عن قریش بمسيرهم 441 / 2
وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة 399 / 3، 201 / 5
وألزمهم كلمة التقوى 364 / 7
وأنت من أهلي 170 / 6
وأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة 475 / 7
وأي داء أدوأ من البخل 493 / 3
وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم 44 / 3
وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع 110 / 6، 7 / 323، 327 / 8
وإن الكافر إذا خرجت روحه 9 / 3
وإن الله أمركم بالصلاة فإذا صليتم فلا تلتفتوا 188 / 8
وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم 407 / 5
وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً 342 / 2
وإن رغم أنف أبي الدرداء 546 / 7
وإن شوكة فما فوقها 338 / 2
وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر 649 / 7
وإنك لن تنفق نفقة تبتغي 11 / 4
وإنه أوحى إلي أنكم تقتنون في قبوركم 70 / 7
ويبوتهن خير لهن 365 / 5
وجبت وجبت وجبت 434 / 1، 513 / 2
وجدت امرأة مقتولة 518 / 1
وجع أبو موسى وجعاً فغشي عليه 22 / 8
وجنتان من فضة آتيتهما وما فيهما 24 / 3

وجهت وجهي للذي فطر السماوات 111 / 3
وددنا أن موسى صبر حتى يقص علينا 610 / 4
ورأيت أني في درع حصينة 106 / 2
ورجل ذكر الله خالياً 419 / 7
ورفعت لي سدرة المنتهى 459 / 4، 479 / 7
وصلى المغرب قبل أن يغيب الشفق 390 / 8
وعندي ربي أن يدخل الجنة من أمي 97 / 2
وفي الركاز الخمس 472 / 3
وقت صلاة المغرب إذا غابت الشمس 390 / 8
وقد رأيته في جماعة من الأنبياء 459 / 4
وقد صليت يا ابن أخي قبل أن ألقى رسول الله 106 / 6
وقد عرفت ذلك في أهل بيتي 465 / 3
وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً 527 / 4
وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن 381 / 5
وقول الله عز وجل : وترغبون أن تنكحوهن 341 / 2
وقوله إن لك في النهار سبحاً طويلاً 234 / 8
وُقِيت شرکم كما وقیم شرها 296 / 8
وكان النبي يبيع إلى قومه خاصة 427 / 5
وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة 610 / 4
وكان وراءهم ملك 612 / 4
وكانت حميتهم أنهم لم يقرأوا أنه نبي الله 363 / 7
ولا تمسكوا بعصم الكوافر فطلق عمر 18 / 8
ولا ظلم عبد مظلمة صبر 165 / 7
ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل 86 / 4
ولا يحل لي من غنائمكم مثل هذه إلا الخمس 3 / 377
ولا ينفع ذا الجدم منك الجدم 214 / 8
ولد الرجل من كسبه 383 / 5
ولد الزنا شر الثلاثة 112 / 3
ولدي الليلة غلام 40 / 2
ولقد رءاه بالأفق المبين 172 / 7
ولم ينقصوا المكيال والميزان 203 / 3
وما أفاء الله على رسوله منهم 676 / 7
وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس 511 / 4
وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً 301 / 2

109 / 6، 120 / 6، 687 / 6، 236 / 7، 8 /

547

يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله 1 / 80، 2 / 5
يؤتى بالموت كهينة كبش أملح 4 / 89، 4 / 656،
239 / 7

يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف 6 / 112
يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار 2 / 589، 4 /
350، 5 / 298، 5 / 509

يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون 3 / 527، 4 / 320،
4 / 625، 5 / 484، 7 / 86، 8 / 442

يؤذيك هوامك 1 / 38، 1 / 528، 7 / 362
يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني 7 / 332
يا ابن آدم اعمل كأنك ترى 7 / 607

يا ابن آدم إنك إن تبذل 1 / 565
يا ابن أخي كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا 2 /
343

يا ابن أخي هذه اليتيمة 2 / 185
يا ابن عباس ألا أدلك بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون
8 / 612

يا أبا المنذر أندري أي آية من كتاب الله 1 / 635
يا أبا المنذر أي آية في كتاب الله أعظم 5 / 90
يا أبا أمامة إن من المؤمنين من يلين له قلبي 2 / 132

يا أبا بكر ثلاث كلهن حق 7 / 166
يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما 3 / 483
يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف 3 / 161

يا أبا ذر أندري فيم تنتطحان 2 / 616، 5 / 212، 8 /
324

يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً 2 / 190، 4 / 492
يا أبا ذر تعوذ بالله من شياطين 1 / 60، 3 / 34، 7 /
115

يا أبا ذر هل أدلك على خصلتين 5 / 285
يا أبا ذر هل تدري أين تذهب هذه الشمس 5 / 167
يا أبا ذر هل صليت 1 / 636

يا أبا رزين أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر 5 / 158

«وما كان لنبي أن يغفل» قال: ما كان لنبي أن يتهمه 2 /

135

وما كنت تستترون أن يشهد عليكم 7 / 111
وما وافد عاد 7 / 442
ومن الناس من يعبد الله على حرف 5 / 162

ومن أظلم ممن خلق كخلقي 5 / 226
ومن دعا بدعوة الجاهلية فهو من جناء جهنم 5 / 232
ومن شرفتن الليل والنهار ومن شر كل طارق 8 / 408

ومن يحول بينه وبين التوبة 8 / 118
ومن يستعفف يعفه الله 1 / 449
ومن يقتل مؤمناً متعمداً 2 / 306

ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك 7 / 211
وناشئة الليل أوله وكانت صلاتهم لأول الليل 8 /
234

وهل ترك لنا عقيل من رباع 5 / 178
وهل ترك لنا عقيل من منزل 5 / 199
وهم في غفلة معرضون قال: في الدنيا 5 / 79

ويأتيه رجل حسن الوجه 4 / 372
ويحك أهبلت أو جنة واحدة 5 / 246
ويحك إن الساعة آتية فما أعددت لها 3 / 294

ويسألونك عن الروح 4 / 534
ويستفتونك في النساء قل الله فيتيكم فيهن 2 / 341
ويل للأعقاب من النار 1 / 103

ويل للأعقاب ويطون الأقدام من النار 2 / 417
ويلك قطعت عنق صاحبك 7 / 490
ويلك وما أعددت لها 2 / 280

ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل 3 / 498
ويوم الحج الأكبر يوم النحر 3 / 431

- ي -

يؤتى بالرجل من أهل الجنة فيقول له 2 / 76
يؤتى بالرجل يوم القيامة 1 / 37، 1 / 228
يؤتى بالعبد يوم القيامة 1 / 233، 2 / 603، 4 /

291، 4 / 350، 4 / 377، 4 / 403، 4 /
407، 4 / 502، 4 / 594، 5 / 62، 5 / 195،

يا أيها الناس توبوا إلى الله 2/ 276، 5/ 300، 7/ 317

يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون 3/ 296

يا أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج 2/ 85

يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا 8/ 597

يا أيها الناس كتب عليكم الحج 2/ 544

يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو 3/ 385

يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل 6/ 568

يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك 8/ 110

يا بلال اكثلاً لنا الليلة 5/ 13

يا بلال أسكت الناس 1/ 537

يا بني عبد مناف 4/ 341، 5/ 513، 6/ 595

يا بني فلان إني رسول الله إليكم 8/ 597

يا بني فهر يا بني عدي 6/ 594

يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم 6/ 594، 8/ 115

يا بنية أدني وضوءاً 3/ 359

يا بنية خمري عليك نحرك ولا تخافي 5/ 345

يا جابر ما لي أراك منكسراً 2/ 141، 7/ 173

يا جبرئيل إني بعثت 1/ 53

يا رب ألم تجرني من الظلم 4/ 433

يا رسول الله أعطني قميصك 1/ 125

يا رسول الله أفيد العلم 3/ 259

يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة 2/ 163

يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي 4/ 480، 6/ 81

يا رسول الله يدخل عليك البر 6/ 202

يا شيب ادن مني 3/ 454

يا شيطان اخرج من صدر عثمان 1/ 664

يا عائشة استعذي بالله من شر هذا 6/ 94، 8/ 616

يا عائشة أعلمت أن الله قد أفئاني 8/ 617

يا عائشة إياك والفحش 2/ 207، 4/ 274، 4/ 445

يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب 7/ 526، 8/ 524

يا عائشة لا تكوني فاحشة 7/ 645

يا أبا سعيد من رضي بالله رباً 2/ 293، 2/ 311، 3/ 533

يا أبا عبد الرحمن ألا تسمع ما ذكر الله 3/ 374

يا أبا عبد الملك أنقرأ في المغرب بقل هو الله أحد 8/ 578

يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة 1/ 635

يا أبا بكر : لو أراد الله أن لا يعصى ما خلق إبليس 3/ 85

يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما 3/ 61

يا أسامة أقتلته بعدما قال : لا إله إلا الله 3/ 375

يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض 5/ 344

يا أكثم رأيت عمر بن لحي 2/ 549، 3/ 77

يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله 8/ 145

يا أنس هات بالتور 6/ 201

يا أهل القلب هل وجدتم ما وعد ربكم 6/ 655

يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا 2/ 205

يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة 1/ 564

يا أيها الناس ابكوا فإن لم تستطيعوا 5/ 296

يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة 6/ 209

يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم 1/ 504، 3/ 316

يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله 2/ 499، 5/ 613

يا أيها الناس أطعموا الطعام وصلوا الأرحام 7/ 435

يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام 8/ 454

يا أيها الناس أي يوم هذا 2/ 498

يا أيها الناس إن الله حرم مكة 7/ 141

يا أيها الناس إن الله طيب 5/ 263

يا أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية 7/ 398

يا أيها الناس إن الله يقول : إن المسلمين والمسلمات 172/ 6

يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة 2/ 567، 9/ 3

يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة 5/ 141

يا معشر الشباب من استطاع /1 496، 5/ 351، 5/
353
يا معشر المسلمين /1 313
يا معشر المهاجرين خصال خمس /1 174، 4/
86/ 5، 221
يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم /3 97، 6/ 56
يا معشر المهاجرين والأنصار إن في إخوانكم قوماً
440/ 8
يا معشر اليهود أروني اثني عشر رجلاً /7 274
يا معشر قريش اشتروا أنفسكم /5 274، 5/ 513،
368/ 5، 492/ 7، 672/ 5
يا معشر قريش إنه ليس أحد يعبد من دون الله /7 203
يا معشر من آمن بلسانه /7 395
يا معشر من أسلم بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه /3
545
يا معشر يهود أسلموا قبل /2 19
يا مقلب القلوب ثبت /1 302، 2/ 17
يا نعايا العرب يا نعايا العرب /8 128
يا وزان زن وأرجح /8 373
يا ولي الإسلام وأهله /5 234
يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة /3 145
يا جميلة ما كرهت من ثابت /1 591
يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي /2 278
يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل /1 578
يا نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها /8 525
يأتي الشيطان أحدكم فيقول له من خلق /3 308
يأتي على الناس زمان /1 473، 8/ 441
يأتي عيسى إلى قوم قد عصمهم /4 620
يأتي من أفناء الناس ونوازع القبائل /3 658
يأتيني في صلصلة كصلصلة الجرس /6 259
ياخذ الجبار عز وجل سماواته وأرضيه /7 685
ياكل المسلم في معي واحد /7 309
ياكل أهل الجنة ويشربون /3 612، 4/ 34، 4/
237
يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً /8 348

يا عائشة لولا أن قومك حديث عهد /1 404
يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام /5 329
يا عباد الله أنا عبد الله ورسوله /3 452
يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار /5 220
يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني /8 305
يا عبادي إنما هي أعمالكم /2 131، 3/ 350، 3/
618، 5/ 432، 6/ 254
يا عبادي إني حرمت الظلم /3 393، 3/ 644، 5/
106، 5/ 161، 5/ 452، 7/ 51، 7/ 128
يا عبادي لو أن أولكم وآخركم /4 257
يا عبادي: إنكم تخطئون بالليل والنهار /4 197
يا عباس اصرخ يا معشر الأنصار /3 452
يا عدي اطرح عنك هذا الوثن /5 374
يا عدي أسلم تسلم /3 466
يا عقب ألا أعلمك سورتين من خير سورتين /8 610
يا عقبة بن عامر صل من قطعك /8 611
يا عقبة صل من قطعك /3 305
يا علي لا تتبع النظرة النظرة /5 340
يا عم أكثر الدعاء بالعافية /5 283، 6/ 460
يا عم قل لا إله إلا الله /3 568، 5/ 628، 8/ 11
يا عم لا تمن الموت /3 615، 4/ 175، 6/ 650
يا غلام إني أعلمك كلمات /2 183، 4/ 16، 6/
653/ 6، 539
يا غلام سم الله /1 68
يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان أيسركم أنكم /5
573
يا فلان ما منعك أن تصلي مع القوم /2 257
يا محمد إذا صليت فقل /4 175
يا محمد عش ما شئت /6 601
يا معاذ أتدري ما حق الله /1 148، 2/ 239، 5/ 92
يا معاذ أفتان أنت /8 415
يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده /3 622
يا معشر الأنصار ألم آتكم ضللاً فهداكم /3 404،
14/ 8، 401/ 7
يا معشر الأنصار إن الله قد أثنى عليكم /3 558

يبحث الناس يوم القيامة فأكون أنا 4/ 528
يتبع الدجال من يهود أصفهان سبعون ألفاً 4/ 464
يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل و ملائكة بالنهار 4/ 203، 4/ 527
يتقارب الزمان ويقبض العلم 4/ 535
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت 4/ 275
يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل 1/ 433
يجاء بالكافر يوم القيامة 2/ 76
يجاء بنوح يوم القيامة 1/ 433
يجتمع المؤمنون يوم القيامة 1/ 188
يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد 8/ 321
يجمع الله الأولين والآخرين لميقات 7/ 62، 8/ 155
يجمع الله الناس يوم القيامة 3/ 635، 4/ 412، 4/ 523، 5/ 91، 5/ 576، 6/ 377، 7/ 603، 8/ 442
يجيء القرآن يوم القيامة 1/ 48، 1/ 54، 3/ 653
يجيء النبي ومعه الرجلان 2/ 514، 3/ 125، 3/ 128
يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل 2/ 250، 3/ 647، 4/ 414، 5/ 81، 5/ 233، 7/ 22، 7/ 613
يجيء نوح وأمه 2/ 250، 4/ 414، 5/ 81، 5/ 233، 7/ 22، 7/ 74
يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب 5/ 245
يحرم من الرضاة ما يحرم 2/ 214
يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك 5/ 105
يحشر الله عز وجل الناس يوم القيامة 4/ 596
يحشر المتكبرون يوم القيامة 1/ 333، 1/ 471، 2/ 165، 2/ 358، 2/ 372، 2/ 377، 3/ 50، 3/ 102، 3/ 151، 3/ 512، 3/ 608، 3/ 633، 4/ 31، 4/ 83، 4/ 236، 4/ 296، 4/ 363، 4/ 477، 5/ 101، 5/ 153، 5/ 213، 5/ 442، 6/ 11، 6/ 553، 6/ 614، 8/ 283، 8/ 639، 7/ 5

يحشر الناس يوم القيامة حفاة 4/ 593، 5/ 366
يحشر الناس يوم القيامة على أرض 4/ 294
يحلها ويحل به رجل من قریش 5/ 179
يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله 4/ 307، 5/ 210
يخرب الكعبة ذو السويقتين 1/ 412
يخرج الدجال في أمي فيمكث 5/ 579، 6/ 360، 7/ 16
يخرج عنق من النار يوم القيامة 5/ 401، 6/ 368، 7/ 416
يخرج من النار من قال لا إله إلا الله 6/ 154
يخسف بهم ولكن يبعث يوم القيامة 4/ 395
يخلص المؤمنون من النار 1/ 237، 4/ 323، 7/ 27
يد الله ملأى لا يغيضها نفقة 4/ 542
يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم 3/ 284
يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مردأ 7/ 568
يدخل عليكم رجل ينظر بعين شيطان 7/ 652
يدخل فقراء المسلمين الجنة 5/ 206، 5/ 207
يُدْرُسُ الإسلام كما يدرس وشي الثوب 4/ 535
يرحم الله نساء المهاجرات الأول 5/ 345، 6/ 169
يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم 4/ 675
يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي 2/ 558
يردونها ثم يصدرون بأعمالهم 4/ 675
يرسل البكاء على أهل النار 3/ 528، 5/ 680، 6/ 315، 7/ 555
يزعمون أن رسول الله ﷺ نهى عن حمر الأهلية 3/ 78
يستجاب لأحدكم ما لم يعجل 1/ 505
يسرا ولا تعسرا 3/ 305، 3/ 594
يسروا ولا تعسروا 1/ 503، 3/ 305، 3/ 594
يشخب فيه ميزابان من السماء من نهر الكوثر 8/ 580
يصاح برجل من أمي يوم القيامة 3/ 130، 4/ 595
يصبح على كل سلامى من أحدكم 6/ 510، 7/ 99
يضرب الصراط بين ظهراني جهنم 8/ 321

يبحث الناس يوم القيامة فأكون أنا 4/ 528
يتبع الدجال من يهود أصفهان سبعون ألفاً 4/ 464
يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل و ملائكة بالنهار 4/ 203، 4/ 527
يتقارب الزمان ويقبض العلم 4/ 535
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت 4/ 275
يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل 1/ 433
يجاء بالكافر يوم القيامة 2/ 76
يجاء بنوح يوم القيامة 1/ 433
يجتمع المؤمنون يوم القيامة 1/ 188
يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد 8/ 321
يجمع الله الأولين والآخرين لميقات 7/ 62، 8/ 155
يجمع الله الناس يوم القيامة 3/ 635، 4/ 412، 4/ 523، 5/ 91، 5/ 576، 6/ 377، 7/ 603، 8/ 442
يجيء القرآن يوم القيامة 1/ 48، 1/ 54، 3/ 653
يجيء النبي ومعه الرجلان 2/ 514، 3/ 125، 3/ 128
يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل 2/ 250، 3/ 647، 4/ 414، 5/ 81، 5/ 233، 7/ 22، 7/ 613
يجيء نوح وأمه 2/ 250، 4/ 414، 5/ 81، 5/ 233، 7/ 22، 7/ 74
يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب 5/ 245
يحرم من الرضاة ما يحرم 2/ 214
يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك 5/ 105
يحشر الله عز وجل الناس يوم القيامة 4/ 596
يحشر المتكبرون يوم القيامة 1/ 333، 1/ 471، 2/ 165، 2/ 358، 2/ 372، 2/ 377، 3/ 50، 3/ 102، 3/ 151، 3/ 512، 3/ 608، 3/ 633، 4/ 31، 4/ 83، 4/ 236، 4/ 296، 4/ 363، 4/ 477، 5/ 101، 5/ 153، 5/ 213، 5/ 442، 6/ 11، 6/ 553، 6/ 614، 8/ 283، 8/ 639، 7/ 5

يقول الله عز وجل : أنى تعجزني ابن آدم 7/ 499 ، 8/ 302

يقول الله عز وجل : يؤذيني ابن آدم 6/ 212

يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا آدم 5/ 150

يقول الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين 5/ 403 ، 7/ 118

يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي 6/ 188

يقول الله عز وجل : من جاء بالحسنة 3/ 107

يقول الله لأهون أهل النار عذاباً 2/ 458 ، 3/ 275 ، 5/ 295 ، 7/ 248

يقول الله : أعددت لعبادي الصالحين 7/ 566

يقول الله : يا ابن آدم أنى تعجزني 4/ 335 ، 6/ 321 ، 8/ 193

يقول ربكم تبارك وتعالى : يا ابن آدم تفرغ لعبادتي 8/ 490

يقي أحلكم وجهه حر جهنم ولو بتمرة 6/ 669

يكشف ربنا عن ساقه 3/ 512 ، 4/ 32 ، 4/ 625 ، 8/ 155

يكون في آخر الزمان 1/ 34 ، 3/ 6

يكون في آخر هذه الأمة خسف 4/ 384 ، 4/ 519

يلقى إبراهيم أباه أزي يوم القيامة 2/ 659 ، 3/ 570 ، 3/ 649 ، 5/ 480

يلقى إبراهيم أباه فيقول 5/ 480

يلقى في النار وتقول هل من مزيد 7/ 418

يمن الخيل في الشقر 2/ 24

يمعني أن الله حرم دم أخي 1/ 521

ينادي مناد أيها الناس ألم ترضوا 3/ 635

ينادي مناد إن لكم أن تصحوا 3/ 160 ، 4/ 34 ، 4/ 90

219/ 4 ، 5/ 451 ، 6/ 38 ، 7/ 100 ، 7/ 208 ، 7/ 239 ، 7/ 420 ، 7/ 682 ، 8/ 191 ، 8/ 292

ينزل الله تعالى في السماء الدنيا لسطر الليل 1/ 623 ، 8/ 86

يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة 7/ 673

يظهر هذا الدين حتى يجاوز البحار 5/ 614

يعرق الناس يوم القيامة 8/ 374

يعض أحلكم أخاه كما يعض الفحل 2/ 470

يعطى المؤمن في الجنة 6/ 548

يعقد الشيطان على قافية 5/ 438

يغزو جيش الكعبة 4/ 394

يغزوا الرجال ولا تغزوا النساء 2/ 229

يغفر الله للوط إن كان ليأوي 4/ 69

يغفر للشهيد كل ذنب إلا 7/ 305

يقال لصاحب القرآن 1/ 48 ، 8/ 232

يقال للكافر يوم القيامة أرأيت لو كان 3/ 649

يقبض الله الأرض 1/ 72 ، 4/ 503 ، 5/ 412 ، 6/ 42 ، 6/ 667 ، 7/ 10 ، 7/ 50 ، 7/ 258 ، 7/ 683 ، 8/ 44 ، 8/ 306

يقتص الخلق بعضهم من بعض 1/ 548 ، 5/ 212 ، 8/ 323 ، 8/ 354

يقطع الصلاة الحمار والمرأة 2/ 408

يقطع الصلاة المرأة 1/ 60

يقول ابن آدم مالي مال 1/ 550 ، 3/ 9 ، 7/ 596 ، 8/ 540 ، 8/ 542

يقول العبد مالي مالي إنما له 3/ 10 ، 8/ 542

يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النار عذاباً 3/ 649 ، 4/ 236 ، 4/ 291 ، 5/ 101 ، 6/ 118

يقول الله تعالى : يا ابن آدم أنى تعجزني 8/ 365

يقول الله تعالى : يا آدم 8/ 238

يقول الله تعالى : ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك أن 4/ 352

يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي 1/ 446 ، 1/ 505 ، 8/ 57

يقول الله تعالى : إني خلقت عبادي حنفاء 4/ 26

يقول الله تعالى : من عادى لي ولياً 4/ 407

يقول الله تعالى : وإني خلقت عبادي حنفاء 6/ 43

يقول الله عز وجل : إني خلقت عبادي حنفاء 4/ 514

يقول الله عز وجل : يا آدم 4/ 623

يوضع الميزان يوم القيامة 2 / 377 ، 3 / 129 ، 4 /
677 ، 5 / 105 ، 5 / 212 ، 5 / 291 ، 7 / 51 ،

7 / 152 ، 7 / 250 ، 7 / 260 ، 7 / 496 ، 8 /

535

يوم الجمعة اثنتا عشرة ساعة 8 / 56

يوم عرفة و يوم النحر و أيام التشريق 1 / 542

يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم 8 /

373

يوم يقوم الناس لرب العالمين لعظمة الرحمن 8 /

374

ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة 2 / 26 ، 4 / 527 ،
7 / 435

ينزل عيسى بن مريم عند 2 / 55 ، 7 / 206

ينصب الكافر مقدار خمسين ألف سنة 4 / 600

ينصب لكل غادر لواء عند استه يوم القيامة 3 / 50

يهرم ابن آدم وتبقى معه اثنتان 8 / 542

يوشك أن تطلبوا في قراكم هذه طستاً من ماء 5 / 116

يوشك أن تعلموا خياركم من شراركم 1 / 435

يوشك أن يكون خير مال المسلم 4 / 564

أَصْلُكَ الدِّينَ وَالْإِيمَانُ

عِنْدَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ

دراسة تحليلية منهجية شاملة
لأصول الإيمان ومنهج التوحيد ومسائل العقيدة
على منهاج الوفيين: القرآن والسنة الصحيحة

الجزء الأول

تأليف الدكتور
مأمون حمزة

الحج والعمرة

على منهج الوحيين
القرآن والسنة الصحيحة

تأليف الدكتور
مأمون حموش

السيرة النبوية

على منهج الوحيين القرآن والسنة الصحيحة

دراسة تحليلية منهجية وفقهية شاملة
في محاولة لإسقاطها على الواقع المعاصر

المجلد الثالث

تأليف
الدكتور مأمون حموش

منهج الوحيين

في معالجة زل النفس وتسلط الجن

دراسة تحليلية منهجية لأسباب تسلط الجن
والنفس والسحر والإصابة بالعين
على منهج الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة
الوقاية والعلاج

تأليف
الدكتور مأمون حموش

السياسة الشرعية

على منهج الوحيين
القرآن والسنة الصحيحة

دراسة تحليلية منهجية شاملة
للأصول وضوابط السياسة الشرعية

تأليف
الدكتور مأمون حموش

تَحْصِيلُ السَّعَادَاتَيْنِ عَلَى مَنَهْجِ الْوَحْيَيْنِ

دَرَاةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ مَنَهْجِيَّةٌ شَامِلَةٌ
لِقَفْصِلِ النَّشَاتَيْنِ وَطَرِيقِ السَّعَادَتَيْنِ
عَلَى مَنَهْجِ الْوَحْيَيْنِ: الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ الْأَصْحِيحَةُ

تَأَلَّفَ
الدُّكْتُورُ مَامُونُ حَمُوشُ

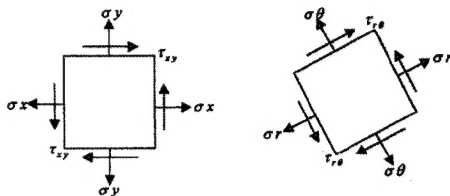
عُلُومُ الْحَدِيثِ وَتَرَاجِمُ أَعْلَامِهِ وَفُرْسَانِهِ

دَرَاةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ مَنَهْجِيَّةٌ شَامِلَةٌ
لِعُلُومِ الْحَدِيثِ وَمَصْطَلَحَاتِهِ وَتَرَاجِمِ رِجَالِهِ

تَأَلَّفَ
الدُّكْتُورُ مَامُونُ حَمُوشُ

نظرية المرونة

THEORY OF ELASTICITY
(دراسة تحليلية و تطبيقات هندسية)



الدُّكْتُورُ الْهَنْسُ : مَامُونُ حَمُوشُ
كَلِيَّةُ الْهَنْدَسَةِ الْمَدِينَةِ
جَامِعَةُ دِمَشْقَ

الْأَمْرُاضُ النَّفْسِيَّةُ وَعَوَالِمُ السَّيِّئِ إِلَى الْخَلْفِ

دَرَاةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ نَفْسِيَّةٌ زَبَدِيَّةٌ
عَلَى مَنَهْجِ الْوَحْيَيْنِ: الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ الْأَصْحِيحَةُ

تَأَلَّفَ
الدُّكْتُورُ مَامُونُ حَمُوشُ

